

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العدد : ٢٢

أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

جمادي الأول ١٤٣٩ هـ / شباط ٢٠١٨

مجلة فصلية محكمة تصدر عن جامعة أهل البيت عليه السلام

رئيس التحرير: أ.د. لبنان هاتف الشامي
(مساعد رئيس الجامعة)
مدير التحرير: أ.د. باقر جواد الزجاجي
(عميد كلية الآداب)

أعضاء هيئة التحرير

أ.د. عباس حسين جواد الحميري / كلية العلوم الاسلامية
أ.د. عزيز جبر شلال / كلية القانون
أ.د. ماجد حمزة طعمة الدفاعي / كلية الآداب
أ.د. حسن حنتوش رشيد الحسنائي / كلية القانون
أ.د. عادل خليل مهدي / كلية الآداب
أ.د. حميد عبد الجواد النجدي / كلية العلوم الاسلامية

كربلاء، شارع الحر، شارع الحر الصغير، جامعة أهل البيت عليه السلام
ص.ب: ٤٨٦، هاتف: ٣٥١٢٥٧٩

Karbala, Al-Hurr street, P.O.Box: 486

info@abu.edu.iq, www.abu.edu.iq

الهيئة الإستشارية

الأستاذ الدكتور

أحمد سليم

جامعة الاسكندرية / مصر

الأستاذ الدكتور

أكرم محسن الياسري

جامعة كربلاء

الأستاذ الدكتور

عبد الجبار محمود

متقاعد

الأستاذ الدكتور

أحمد خليل الحسيني

جامعة بابل

الأستاذ الدكتور

علاء فرحان الدعيمي

جامعة كربلاء

الأستاذ الدكتور

حسن عبدالهادي الجبلي

الجامعة الاسلامية / بيروت

الأستاذ الدكتور

عبود جودي الحلي

جامعة كربلاء

الأستاذ الدكتور

نبيل كاظم عبد الصاحب

رئيس جامعة النهرين

الأستاذ الدكتور

عادل البغدادي

رئيس جامعة بابل

الأستاذ الدكتور

علي عبد الله

عميد كلية اليرموك الجامعة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

٨٥٤ لسنة ٢٠٠٥

ISSN 1819-2033

قواعد النشر في المجلة

ترحب مجلة أهل البيت عليه السلام بمساهمات الاساتذة والكتّاب والباحثين في مجالات الفكر الإسلامي، والعلوم الإنسانية والاجتماعية مع الإهتمام بقضايا المشكلات الثقافية في العالم العربي والإسلامي، والتجدد والبناء الحضاري، وكذلك قضايا الإنماء التربوي والتعليمي.

يشترط في المادة المرسلة:

أن لا تكون قد نشرت أو أرسلت للنشر في مجلات أخرى.

✓ أن تلتزم بقواعد البحث العلمي والأعراف الأكاديمية بتوثيق المصادر والمراجع، بذكر البيانات كاملة، مع تحقق الموضوعية والمنهجية والمعالجة العلمية، مع تخريج النصوص القرآنية والحديث النبوي الشريف بصورة دقيقة وكاملة.

✓ أن يراعي الباحث سلامة اللغة وحسن صياغتها.

✓ يقدم البحث من نسختين مطبوعة على الآلة الكاتبة والحاسوب ويرافقه ملخص في صفحة واحدة مع تعريف بالباحث.

✓ تخضع المادة المرسلة للنشر لمراجعة المقيمين المتخصصين.

✓ لا تعاد المواد التي ترسل إلى المجلة ولا تسترد، نشرت أم لم تنشر. ولا تلتزم المجلة بإبداء أسباب

عدم النشر.

ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه.

توجه جميع المراسلات إلى رئيس التحرير على العنوان.

كربلاء المقدسة، شارع الحر، شارع الحر الصغير، جامعة أهل البيت عليه السلام

ص.ب: ٤٨٦، هاتف: ٣٥١٢٥٧.٩

البريد الإلكتروني: info@abu.edu.iq

الموقع الإلكتروني للمجلة: http://abu.edu.iq/ahl-al-bayt-jurnal

محتويات العدد

- ٨ **كلمة هيئة التحرير**
- ٩ **الضمان بين كسب الملكية وعدمه**
أ.م.د. علي شاكر عبد القادر البدري
- ٣٦ **الأساليب الدعائية لتنظيم داعش في شبكات التواصل الاجتماعي**
م.د. اسراء شاكر حسن
- ٧٦ **الفساد الاداري ودور المؤسسات الدستورية في مكافحته**
أ.م.د. سامر مؤيد عبد اللطيف
م.م. حيدر سامي غريب
- ٩٩ **دور شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية في تشكيل الرأي العام لطلبة جامعات محافظة كربلاء**
م.د. نصيف جاسم
- ١١٩ **الأحكام العامة للوقف**
م. حسن خالد دببیس
م. شهيد عبد الزهرة
- ١٣٥ **المصادر الإسلامية المفقودة، المذكورة في كتاب "البدء و التاريخ" ل: مطهر بن طاهر المقدسي (٣٥٥ هـ)**
م.د. خضر بورعبادي
أ.د. هادي عالم زاده

- ١٥٤..... **إمكانية تطبيق استراتيجية العناقيد الصناعية في العراق**
 م.م. إيهاب علي الموسوي
 أ.د. كاظم احمد البطاط
 أ.د. رحيم كاظم الشرع
- ١٧٥..... **صورة المكان الروائي عند سهيل إدريس بارييس في رواية الحي اللاتيني**
أنموذجاً
 أ.م.د. عبدالله حسيني
 أ.م.د. هومن ناظميان
- ١٩٤..... **مفهوم الاستطاعة في مدرسة أهل البيت**
 م.د. محمد عيدان محمد
- ٢٠٥..... **وسائل تطور النصوص القانونية**
 م.د. جمال عبد كاظم الحاج ياسين
 م. علي شمران حميد الشمري
- ٢٢٤..... **الجوانب الحضارية للأمم السابقة في القرن الكريم**
 رزاق مهدي حمادي السعدي
- ٢٤٩..... **اثر نهج البلاغة في شعر الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ)**
 م.د. هاشم جعفر الحيدري
- ٢٦٩..... **التعليم والمعارف في العراق خلال الحقبة الزمنية (١٥٣٤ - ١٩٣٣ م)**
 م.د. سالم هاشم عباس أبو دله
- ٣٠٧..... **الإخبار والإنشاء في سورة (الطور) دراسة تحليلية**
 م.د. علي عباس سلمان الربيعي
- ٣٢٣..... **السياسة الخارجية المصرية تجاه العراق بعد الاحتلال الأمريكي**
 م.د. ارشد مزاحم مجبل
- ٣٣٩..... **المعوقات التي تواجه معلمي المرحلة الابتدائية في العراق أثناء تأدية المهنة**
من وجهة نظرهم. (دراسة ميدانية)
 م.د. ضياء صالح مهدي العطار
- ٣٦٤..... **المفاوضات ودورها في تسوية منازعات عقود التنمية التكنولوجية**
 م.د. غسان عبيد محمد المعموري

مسألة قتل الجماعة بالواحد دراسة فقهية استدلالية مقارنة ٣٩٥
د. حميد جاسم الغرابي

وضع السلطة التنفيذية في النظام البرلماني (دراسة مقارنة) ٤١٩
أ.م. ميثم حسين الشافعي

الاغتراب النفسي لدى معلمي ومعلمات مدارس الكرفانات وأقرانهم في
المدارس الابتدائية في محافظة كربلاء المقدسة ٤٧٧
م.د. عماد عبود هاني الظالمي
م.م. إحسان خضير كاظم الطالقاني

السياحة في الاسلام ٥٠١
م.م. عدنان محمد دباغ الحسناوي

تجارب فندقية في إدارة الجودة شركة ريتز كارلتون أنموذجاً ٥١٥
م.م. حيدر عبدزید خضر السلطاني
م.م. نجم عبد العالي عباس الدعمي

تنازع الاختصاص بين الأجهزة الرقابية في العراق على أعمال الإدارة في العراق -
دراسة مقارنة- ٥٢٦
هادي حمزة عبد

شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي ومواقفه السياسية والوطنية ٥٤٧
م.م. عباس جعفر كاظم

العناصر التيبوغرافية في الصحف العراقية (دراسة وصفية) ٥٦٠
م.د. جاسم زبون حسن الساعدي

قسم الانكليزي

الدين في "شجاعة الأم وأطفالها": منظور ماركسي 7
أ.م.د. صباح واجد علي

كلمة العدد

الثقافة .. والجامعة

لاتحيا الجامعات بدون الثقافة..

فالجامعات بلا ثقافة تتحول إلى هياكل كونكرتية، وإلى قاعات صماء وإلى علم لا ينفع إلا لتدمير البشرية.

ولا يخرج منها إلا الجهلاء بالحياة.

يتخرج منها براميل من العلم كبراميل النفط، فبدل أن تنفع تضر وتخطم، وتحرق الأخضر واليابس.

والثقافة هي فن الحاة .. فن التعامل مع الآخرين .. فن تلقي العلم وكيفية تطبيقه.

فما الفائدة من وجود استاذ جامعي غير مثقف، يتصرف في الحياة كالجهلاء.

وما الفائدة من وجود طالب جامعي غير مثقف يتصرف مع أقرانه كالأميين.

وما الفائدة من وجود جامعة تخلو قاعاتها وحدائقها ومختبراتها من ثقافة الإنسان.

هل تريدون جامعة موبوءة بالعلاقات المنحرفة. وبالتصرفات الصبانية؟

وهل مهمة الجامعات فقط أن تعلم الطب والهندسة والفيزياء والرياضيات فقط؟

بل إن مهمتها الأولى أن تعلم الطالب كيف يكون إنساناً قبل أن يكون طبيباً أو مهندساً أو عالماً في

الفيزياء والرياضيات.

فجامعاتنا أمام مهمة كبيرة، هي كيف نتقف أبناءها بثقافة الحياة..

كيف تعلمهم حب الآخرين واحترامهم وتكريمهم.

تعلمهم ان الحياة حقوق وواجبات.

لاتعلمهم الحقوق فقط وتترك الواجبات.

فالثقافة هي السبيل إلى التزكية وارتباط الإنسان بالخالق والمخلوق.

ولقد بعث الله النبيين للبشرية بالتزكية والتعليم معاً.

هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة

وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين

صدق الله العلي العظيم

الضمان بين كسب الملكية وعدمه

Guarantee: Obtaining property or not
أ.م.د. علي شاكر عبد القادر البديري^(١) Dr.Ali Shakir Al-Badry

ملخص البحث:

تنتقل الملكية بموافقة ورضا مالكة، ولا يتصور ان يكون شخصا مالكا دون سبب من أسباب كسب الملكية، فتبدل المالك رغما عنه قد تبدو للوهلة الأولى فكرة مستعصية لا يقرها القانون والفقه الاسلامي، ولكن بمزيد من التدبر والتعمق نجد لها تطبيقات في الفقه الاسلامي والقانون المدني، ففي بحثنا يتغير المالك بنص من القانون لمسوغات عديدة منها يستدعي الاستقرار في الحياة القانونية وترجيح المصلحة الأولى بالرعاية، فالضمان الذي يترتب نتيجة لتغير في العين يحدث بفعل من الغاصب أو المثلّف مما يجعل العين متغيرة عما كانت قبل الغصب أو الأتلاف وها ما يؤدي إلى تغير مالك العين.

Abstract

The transferring of property depends on the agreement of its owner. It is not acceptable to imagine that a person could be as owner unless there is a reason of gaining of property. Changing the owner lack of his wish may seem at first glance intractable idea and not acceptable by Islam Jurisprudence. However, if we studied this case in depth we could find some application in both Islamic Jurisprudence and civil law

In this research, the owner could be changer according to the provisions of law for many justifications which call for stability in our legal life and the like hood of the first interest. The guarantee which result from the changing the title take place by usurper or destructive which leads to make the title also changed before the irregularity or Damage which lead to the change the title.

المقدمة

ان حق الملكية يعد من أهم الحقوق العينية وأوسعها نطاقاً ويعد هذا الحق هو الاصل الذي تفرعت عنه بقية الحقوق العينية الاصلية، فلا ينشأ حق الملكية لشخص ما من تلقاء نفسه، ومعنى أدق ان الشخص لا يصبح مالكا دون ان يكون هناك سبب من أسباب كسب الملكية، ويرى الاتجاه السائد في فقه القانون

١ - كلية القانون/ جامعة اهل البيت - كربلاء -

المدني ان اسباب كسب الملكية واردة على سبيل الحصر، بينما يذهب الاتجاه الفقهي الأخران اسباب كسب الملكية في القانون المدني واردة على سبيل المثال، ومن الاسباب التي يمكن اضافتها الضمان. وان كانت دراسة الضمان نجدها متناثرة في كتب الفقه الاسلامي فلا بد من جمع شتاتها وجمع معانيها لمعرفة معناها ونطاقها، ويكاد ان يكون هذا المعنى غير واضح المعالم من حيث معناه وأثره حتى في الفقه القانوني، ولمعرفة دور الضمان ولا سيما في الغصب والاتلاف اخترناه لبحثنا، ولعل هناك أهمية عملية تحدث من الضمان مثل لو غير الغاصب العين المغصوبة فهل يملكها بالضمان، فلو غير الغاصب الخشب المغصوب للأثاث فهل يملكها بالضمان.

ويذهب الفقه الحنفي إلى ان الضمان يكسب الملكية إذا توافرت شروط معينة واستدلوا بقولهم بحجج يعدوها دامغة، بل ان فقهاء من مذاهب أخرى يرون ما يرى المذهب الحنفي، وقد اتجهت بعض القوانين إلى ان الضمان يكسب الملكية، وذهب اتجاه في القانوني ان قانوننا المدني قد أخذ بقاعدة كسب الملكية بالضمان ضمناً وليس صراحة.

وبين الاتجاه الذي يقول ان الضمان يكسب الملكية لابد من توافر عدة شروط منها أن يكون محل الضمان قابلاً لثبوت الملك فيها ابتداءً وان تتغير العين المضمونة وان يكون هناك مقابل للضمان وان ينتفي قصد الغش لدى الضمان، وأيد هذا الاتجاه الفقهي الاسلامي اتجاه في الفقه القانوني من ان الضمان يعد من أسباب كسب الملكية ويعد من الأسباب الناقلة للملكية.

بينما ذهب اتجاه فقهي آخر إلى أن الضمان لا يكسب الملكية وقدموا أصحاب الاتجاه السابق من ان الضمان لا يكسب الملكية بتبريرات عديدة فلا يمكن ان يكسب المعتدي صفة المالك للعدوان على عين لا يملكها.

لذا بحثنا هذا الموضوع مقارنة بالفقه الإسلامي، وبحثنا في القوانين وعن موقفها من موضوعنا ولكن عدنا بذلك بقليل ووجدنا شذرات من هنا وهناك، فقد جاءت دراساتنا إلى بلورة الموضوع وإزالة أسباب الغموض فيه، فهو بحاجة إلى من ينفذ الغبار عنه، ولقد وجدنا ان من المناسب معالجة هذا الموضوع في ثلاثة مباحث، أولهما مفهوم الضمان وثانيهما كسب الملكية بالضمان والمبحث الثالث عدم كسب الملكية بالضمان. وإذا ما انتهينا من بحث ذلك سنوصله بخاتمة سندرج فيها أبرز النتائج والمقترحات وسنتخذ المنهج التحليلي والاستقرائي سبيلاً إلى غرضنا هذا والله من وراء القصد وبه المستعان وعليه التوكل.

المبحث الاول: مفهوم الضمان

للضمان عدة معان في اللغة وكذلك في الاصطلاح الفقهي، ولوجود العلاقة الوطيدة بين المعنيين، فلا بد من معرفة مدى المناسبة والمطابقة بين هذه المعاني اللغوية والمعنى الاصطلاحي وكذلك لابد من تمييز الضمان مما يشبهه به من أوضاع، وعليه يمكن تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين نعالج في المطلب الاول تحديد معنى الضمان ونكرس في المبحث الثاني تمييز الضمان مما يشبهه به.

المطلب الأول: تحديد معنى الضمان

عند البحث عن معنى الضمان اصطلاحاً لا بد من معالجته المعنى لغة، لوجود العلاقة الوطيدة بين المعنيين، والمتصفح لمعاجم اللغة يجد في طياته معان عدة للضمان، ولا بد من معرفة مدى المناسبة والمطابقة بين هذه المعاني اللغوية والمعنى الاصطلاحي، وإي من المعاني اللغوية التي سنأسس عليها المعنى الاصطلاحي.

لفظ الضمان له عدة معان في اللغة منها: ضَمَّنَ الشيء الوعاء ونحوه أي جعله فيه وأودعه إياه، وضمن فلاناً الشيء: جعله يضمنه، ويقال تَضَمَّنَ الوعاء ونحوه الشيء: احتواه وأشتمل عليه هو شغل الشيء بغيره واشتماله عليه^(٦)، ويقال ضمن الشيء أضمنه ضمناً وضماناً فانا ضامن ومضمون والضامن هو الكفيل^(٧).

ويقال ضمن الشيء يأتي بمعنى الحفظ ومنه الضمان في النخل فسمي الضمان لأن أربابها ضمنوا عمارتها وحفظها^(٨)، وقالوا ضمنت الشيء بمعنى غرمته دين فلان أي غرامته، ويأتي الضمان بمعنى الالتزام فيقال ضمنت والتزمت وضمنت المال ألزمته، وضمنت المال الزمته إياه وضمان المال التزامه، ويأتي الضمان بمعنى سادس وهو الجزم، فيقال ضمن الشيء أي جزم بصلاحيته وخلوه مما يعيبه^(٩).

أما معنى الضمان اصطلاحاً لدى فقهاء المسلمين فله عدة معان منها الكفالة وهي ضم ذمة إلى ذمة في مطالبة شيء بالكفالة تعهد والتزام أي جعل الإنسان سلطنة على نفسه، وبمعنى آخر ان الكفالة تعهد ذمة لأخرى^(١٠)، وأن هذا المعنى الاصطلاحي للضمان يجري مجرى المعنى اللغوي للضمان بمعنى الكفالة، وهذا المعنى أخص إطلاقاً كلمة الضمان^(١١).

أما المعنى الثاني للضمان فهو الالتزام بأداء التعويض وهذا المعنى أعم من المعنى الأول وعرف بانه ((...رد مثل الهالك ان كان مثلياً أو قيمته ان كان قيمياً))^(١٢).

٢- جمال الدين ابن الفضل محمد بن مكرم (ابن منظور)، لسان العرب، الجزء السابع عشر، دار الرسالة، الكويت، 1973، ص385.

٣- المعجم الوسيط، قام بإخراجه إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار، الجزء الأول، مطبعة مصر، 1960، ص547. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ص348.

٤- محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، الجزء التاسع، ط2، الكويت، دون ذكر سنة الطبع، ص265.

٥- أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، ج1، ص364.

٦- ينظر محمد الحسين كاشف الغطاء، تحرير المجلة، الجزء2، الطبعة الثانية، المركز العلمي للتقريب بين المذاهب، 1432هـ، ص294. ويذهب رأي فقهي آخر إلى تعريفه بالقول (إحالة المديون دائنه على غيره) ينظر محمد حسن النجفي، جواهر الكلام، من دون ذكر المطبعة ولا مكان الطبع ج21، ص46.

٧- شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي سهل (السرخسي) المبسوط، ج19، دار المعرفة بيروت، 1986، ص160. كمال الدين بن عبد الواحد (ابن الهمام)، البحر الرائق، شرح فتح القدير، الجزء6، دار أحياء التراث العربي، 1316هـ، ص329. أحمد (الدردير) المالكي، الشرح الصغير، ج3، المكتبة الكبرى، ص320. أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (الشافعي)، الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي، ج6، ط1، دار الكتب العلمية، 1994، ص430. موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد (ابن قدامة المقدسي)، المعني، الجزء الخامس، دار الحديث، 2004، ص71. محمد بن حسن بن علي (الطوسي) المبسوط في فقه الإمامية، ج2، المكتبة الرضوية، 1387هـ، دون ذكر مكان الطبع، ص322. ابن حزم الاندلسي، المحلى، ج8، (ص110-111). د. علي الخفيف، الضمان في الفقه الاسلامي، القسم الأول، منشورات معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، بلا سنة طبع، ص7. ويوجد تعريف آخر للضمان بمعنى الغرامة، لمزيد من التفصيل ينظر محمد بن علي الشوكاني، نيل الاوطار، الجزء الخامس، دار الكتب العلمية، بيروت، ص210.

٨- زين العابدين بن ابراهيم بن نجيم، شرح الاشباه والنظائر، الجزء الثاني، دار الكتب العلمية بيروت، ص210. ومنهم من عرفه بمثل هذا التعريف (أنه واجب رد الشيء أو بدله بالمثل أو القيمة) ينظر أبي حامد بن محمد بن أحمد الغزالي، الوجيز، ج1، مطبعة الآداب والمؤيد، مصر، ص205.

اما المعنى الثالث للضمان فهو شغل الذمة، فقد عرفه بعض الفقهاء المسلمين المحدثين بأنه ((الضمان: هو شغل الذمة بما يوجب الوفاء به من مال أو عمل والمراد بثبوته فيها ان يكون مطلوباً داؤه شرعاً عند تحقيق شرط ادائه، سواء أكان مطلوباً ادائه في الحال كالدين الحال ام في الزمن المستقبل المعين، كالدين المؤجل إلى وقت معين إذ هو مطلوب ادائه إذا ما تحقق شرط ادائه)).

وهذا التعريف^(٩)، يعد المعنى الاعم للضمان، فعد الضمان كل ما يشغل الذمة من التزام سواء كان محله مالا أو عملاً أو امتناعاً أو أياً كانت الاسباب المنشئة له.

وقد يتبادر للذهن للوهلة الاولى ان المعنى الثاني والمعنى الثالث للضمان متطابقان من حيث المغزى والمفهوم، ولكن هذا النظر غير دقيق فمعنى شغل الذمة يختلف عن معنى التعويض فمثلاً المدين يعد مشغول الذمة بالدين ولكن لا يعد ملزماً بالتعويض.

اما مجلة الاحكام العدلية فقد بينت معنى الضمان اذ نصت المادة(416) من مجلة الاحكام العدلية على أن ((الضمان هو اعطاء مثل الشيء أن كان من المثليات وقيمته أن كان من القيميات))، وهذا المعنى يوافق المعنى الثاني في الفقه الاسلامي (التعويض).

ونجد كذلك ان المشرع العراقي قد أدرج معنى (ضمان العقد) كمرادف للمسؤولية العقدية في المواد(176-168) من القانون المدني العراقي رقم 40 لسنة 1951 المعدل، وكذلك نص على مصطلح الضمان في المادة(134/ف2) من القانون المدني العراقي على ان ((وللعائد المكروه أو المغرور الخيار ان شاء ضمن العائد الاخر وان شاء ضمن المجرر والغار. فأن ضمن المجرر أو الغار فلهما الرجوع بما ضمنه على العائد الآخر. ولا ضمان على العائد المكروه أو المغرور أن قبض البديل مكروهاً أو مغروراً وهلك في يده بلا تعد منه))، ونستدل من هذا النص ان المشرع يقصد بالضمان هو اداء التعويض من قبل المجرر أو الغار أو من قبل المتعاقدين الاخر مع المكروه أو المغرور، وكذلك نستدل بما نصت عليه المادة(186) من القانون المدني العراقي إذ بينت ان ((١- إذا أتلّف أحد مال غيره أو أنقص قيمته مباشرة أو تسبباً، يكون ضامناً، إذ اكان في أحداث هذا الضرر قد تعمد أو تعدى. ٢- وإذا أجمع المباشّر والمتسبب ضمن المتعمد أو المتعدي منهما، فلو ضمنا معاً كانا متكافلين في الضمان))، وبينت لجنة القانون المدني عند بيانهم لهذه المادة ان معنى الضمان هو التعويض.^(١٠)

وقد نصت المادة(193) من القانون المدني العراقي على ان ((يضمن الغاصب اذا استهلك المال المغصوب او اتلفه او ضاع منه او اتلف كله او بعضه بتعديه او بدون تعديه)). ودار نقاش في اللجنة التحضيرية لوضع القانون المدني عن معنى الضمان في هذه المادة واستقروا أن معنى الضمان هو التعويض أي كل ما لحقه خسارة وما فاتته من كسب عند مناقشة هذه المادة وهذا المعنى يعد أعم من معنى رد القيمة للقيمي ورد المثل للمثلي^(١١)، لان التعويض قد يشمل الحرمان من المنافع وغيرها وهذا المعنى لا يتضمنه رد القيمة للقيمي اورد المثل للمثل.

٩- يلاحظ ان هذا التعريف استنبطه هذا الفقيه من خلال ملاحظته هذه التعريفات في الفقه الاسلامي، علي الخفيف، المرجع السابق، ص5.

١٠- ينظر القانون المدني مع مجموعة الأعمال التحضيرية، الجزء الثاني، مطبعة الزمان، بغداد، 2002، ص7.

١١- ينظر، المرجع نفسه، ص13.

ونجد ان المادة (187) من القانون المدني العراقي نصت على ان ((١- اذا هدم احد عقار غيره بدون حق فصاحب العقار بالخيار ان شاء ترك انقاضه للهادم وضمنه قيمته مبنياً مع التعويض عن الاضرار الاخرى وان شاء حط من قيمته مبنياً قيمة الانقاض واخذ هو الانقاض وضمنه القيمة الباقية مع التعويض عن الاضرار الاخرى ٢- ولكن إذا بناه للهادم كما كان أولاً وعوض عن الاضرار الاخرى، فإنه يبرأ من الضمان))^(١٢). ونصت المادة (201) من القانون المدني العراقي على أن ((الحال الذي هو مساو للغصب في إزالة التصرف حكمه حكم الغصب فالوديعة اذا أنكر الوديعة يكون في حكم الغاصب وبعد الانكار اذا تلفت الوديعة في يده بلا تعد يكون ضامناً)).

ونجد من هذه النصوص المتقدمة ان المشرع العراقي اراد ان يبين أن معنى الضمان هو المعنى الثاني الذي قصده فقهاء المسلمين وهو اداء التعويض سواء كان في المسؤولية العقدية أو التقصيرية، ولكنه لم يقصره على رد القيمة للقيمي اورد المثل للمثلي.

وان القانون المدني الاردني ٤٣ لسنة ١٩٧٦ قد نص صراحة على قاعدة كسب الملكية بالضمان في المادة (1085) التي نصت على أنه ((المضمونات تملك بالضمان ملكاً مستنداً إلى وقت سببه وبشرط ان يكون المحل قابلاً لثبوت الملك ابتداء)). ويفهم مما تقدم ان العين المغصوبة المتغيرة تكتسب ملكيتها بأثر رجعي من وقت تحقق سببها لقاء ما يدفع الغاصب من تعويض وبشرط ان لا يكون الغاصب ممنوعاً من تملك العين وان لا تكون العين المغصوبة من الأموال العامة^(١٣)، وغاية القانون المدني الأردني من النص على كسب الملكية بالضمان هو حماية الغير واستقرار التعامل واستكمالاً للأحكام المستمدة من الفقه الإسلامي^(١٤)، وتجدد الإشارة ان الحكم الأصلي لغصب العين هي ردها ما لم تتلف او تتضرر العين وان الحكم الاستثنائي للغصب هو كسب الملكية بالضمان بشرط تغير العين^(١٥)، وتجدد الإشارة إلى ان الغصب هو من أكثر تطبيقات كسب الملكية بالضمان ولكنها ليست التطبيق الوحيد، وقد ذهب القضاء الأردني إلى ان الضمان يكون سبباً لكسب الملكية إذ جاء ((ان التزام شركة التأمين بموجب عقد التأمين الشامل بأن تدفع قيمة السيارة المؤمنة بحالتها الراهنة بتاريخ الحادث فأنها ملزمة عندئذ بدفع القيمة المصرح بها، ولشركة التأمين حق مطالبة المؤمن لها بالتنازل عن السيارة لها، وعليه وحيث ان قيمة الباص المصرح بها في عقد التأمين أقل من القيمة الفعلية للباسف فان حكم المؤمن له بالقيمة المصرح بها موافق للقانون ولشركة التأمين حق المطالبة بحطام الباص)).^(١٦)

١٢ - نصت المادة (190) من القانون المدني العراقي على ان ((١- اذا تلف احد مال غيره على زعم ان ماله ضمن ما اتلف ٢- اما اذا اتلفه بإذن مالكه فلا يضمن)). وقد نصت المادة (197) من القانون المدني العراقي على ان ((المغصوب ان كان عقاراً يلزم الغاصب رده الى صاحبه مع اجر مثله واذا تلف العقار أو طرأ على قيمته نقص ولو بدون تعد من الغاصب لزمه الضمان))، وكذلك نصت المادة (262) من القانون المدني العراقي على ما يأتي ((يعتبر الدائن في استعماله لحقوق مدينه نائباً عن هذا المدين. وكل فائدة تنتج من استعمال هذه الحقوق تدخل في أموال المدين وتكون ضمناً لجميع دائنيه)).

١٣ - علي هادي العبيدي، الوجيز في شرح القانون المدني الحقوق العينية، ط10، دار الثقافة، عمان، 2014، ص106.

١٤ - د. يوسف محمد عبيدات، الحقوق العينية والأصلية والتبعية، ط1، دار المسيرة، 2011، ص106.

١٥ - ينظر المادة (279) من القانون المدني الأردني.

١٦ - قرارها المرقم 1045/ ٩٩ أشار اليه د. هادي العبيدي، المرجع السابق، ص 105 هامش 1.

المطلب الثاني: تمييز الضمان من غيره

سنقسم هذا المطلب إلى ثلاث فقرات نتناول في الأولى منها تمييز الضمان من المسؤولية العقدية ونكرس الثاني منها تمييز الضمان من التأمين ونخصص الثالث منها تمييز الضمان من الدين.

أولاً: تمييزه من المسؤولية العقدية

المسؤولية المدنية تنقسم على المسؤولية العقدية والمسؤولية التقصيرية، ويمكن تحديد معنى المسؤولية العقدية بأنها ((الجزء الذي يرتبه القانون على إخلال المتعاقد بتنفيذ التزامه التعاقدية^(١٧)))، وقد يحتج علينا محتج بأن المسؤولية العقدية ماهي إلا مرادف للضمان ويستدل على ذلك بأن المشرع العراقي قد أدرج معنى (ضمان العقد) كمرادف للمسؤولية العقدية في المواد (168-176) من قانونه المدني، ولكن بمزيد من التمعن نجد وجود تشابه واختلاف بينهما، فالتشابه بين المسؤولية والضمان أن لقيام المسؤولية العقدية لا بد من توافر عقد صحيح ووجود إخلال بهذا العقد يترتب عليه المسؤولية وكذلك في الضمان ان كان مترتباً على المسؤولية العقدية، والاختلاف بينهما أن وجود الضمان لا يكون حصراً في المسؤولية العقدية فحسب بل في المسؤولية التقصيرية أيضاً، فقد نصت المادة (198) من القانون المدني العراقي على ان ((١ - غاصب الغاصب حكمه حكم الغاصب، فإذا غصب احد من الغاصب المال المغصوب واتلفه او اتلف في يده للمغصوب منه مخير ان شاء ضمنه الغاصب الاول وان شاء ضمنه الغاصب الثاني، وله ان يضمن مقداراً منه الاول والمقدار الآخر الثاني، فإذا ضمن الغاصب الاول، كان لهذا ان يرجع على الثاني، وإذا ضمن الثاني فليس له ان يرجع على الاول. ٢ - كذلك اذا اتلف احد المال المغصوب الذي هو في يد الغاصب فان المغصوب منه يكون بالخيار ان شاء ضمنه الغاصب وهو يرجع على المتلف وان شاء ضمنه المتلف ولا يكون لهذا رجوع على الغاصب)). وما أشارت اليه هذه المادة من الضمان (التعويض) المترتب على الغصب، وكما لا يخفى ان الغصب يعد من تطبيقات المسؤولية التقصيرية^(١٨).

إنَّ الضمان وبالمعنى الذي اشرنا إليه فيما سبق (التعويض) ما هو الا اثرٌ يترتب حين قيام المسؤولية العقدية، أي أن قيام المسؤولية قد لا يترتب عليه ضمان (التعويض) لعدم مطالبة المتضرر به رغم توافر أركان المسؤولية من خطأ وضرر وعلاقة سببية، ولا يقال ان توافر المسؤولية يستلزم التعويض، فالمسؤولية تمكن الدائن من قهر المدين على الوفاء ان لم يقم الأخير بسداده مختاراً، فمجرد تمكين الدائن من الحصول على دينه لا يستلزم الحصول على التعويض لاحتمال عدم مطالبة الدائن بذلك^(١٩)، اما الضمان (التعويض) فأن وجد فسيلتزم توافر المسؤولية العقدية، فتكون العلاقة المنطقية بين المسؤولية العقدية والضمان ليست المساواة كما نص عليها المشرع العراقي وانما العلاقة المنطقية بين المسؤولية العقدية و الضمان عموم وخصوص من وجه.

١٧ - د. عبد الرزاق أحمد السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، مصادر الالتزام، دار أحياء التراث العربي، ص 779 د. حسن علي الذنون، شرح القانون المدني، أصول الالتزام، مطبعة المعارف بغداد، 1970، ص 13.
١٨ - توجد مواد أخرى في المسؤولية التقصيرية قد نصت على الضمان، مثلاً المواد (190، 193، 197).
١٩ - د. محمد سليمان الأحمد، كسب الملكية بضمان ضرر المال، دار النهضة العربية، القاهرة، 2005، ص 33.

ثانياً: تمييزه من التأمين

عرف المشرع العراقي التأمين في المادة (983/ف1) من قانونه المدني ((التأمين، عقد به يلتزم المؤمن أن يؤدي إلى المؤمن له أو إلى المستفيد مبلغاً من المال أو أيراد مرتباً أو أي عوض مالي آخر، في حالة وقوع الحادث المؤمن ضده، وذلك في مقابل أقساط أو أية دفعة مالية أخرى يؤديها المؤمن له للمؤمن)).

وبعد تسليط الضوء على التأمين نقول ان ثمة تشابهاً بينه وبين الضمان من حيث ان كلاهما يعدان تعويضاً والتعويض يدفع للشخص المتضرر^(٢٠)، انما تقدمت الإشارة اليه من توافق من حيث التعويض هو محل الخلاف بين التأمين والضمان حيث ان تعويض التأمين يكون للمستفيد الذي قد يكون المتضرر أو غيره، بينما الضمان يكون للمتضرر الا اذا احال المتضرر حقه في الضمان لشخص آخر، كذلك يختلف التأمين من الضمان في أن تعويض التأمين يشترط ان يؤدي المؤمن له مقدماً أقساط دورية وهو ما لا وجود له في الضمان.

ثالثاً: تمييزه من الدين

إن معنى الدين في الفقه الإسلامي مختلف قليلاً عن الفقه القانوني، فالدين في الفقه الإسلامي هو مال حكمي ثابت في الذمة بأي سبب من أسباب ثبوته، فالدين مال موصوف غير مشخص فلا يكون محله الا مبلغاً من النقود أو جملة من الأشياء المثلثة، لهذا يكون موضوع حق الدائن غير متعين بذاته، وانما بوصفه، لذا اقتضى تدخل المدين أو وساطته ليقوم بتشخيص موضوع حق الدائن اذ لا يمكن أدائه الا بتعيينه وهذا يتطلب من الدائن ان يقوم بمطالبة المدين، ويستلزم كل هذا أن يتعلق الدين بذمة المدين لعدم وجود مال بذاته يتعلق به، فالدين متعلقة بذمة المدين ويمكن وفاؤه بدفع أي عين مالية مثلية من جنس الدين المتعهد به.^(٢١)

وقد يتبادر للذهن أن معنى الدين مساوي لمعنى الضمان (التعويض) ولكن عند التمعن بالمعنيين نجد ان الدين في الفقه الإسلامي قد يكون عملاً أو امتناعاً عن عمل بينما الضمان يكون دائماً القيام بعمل. اما وفق نظرة القانون فقد عرّف المشرع العراقي الحق الشخصي (الدين) في المادة (69/ف1) من قانونه المدني على أن ((الحق الشخصي هو رابطة ما بين شخصين دائن ومدين يطالب بمقتضاها الدائن والمدين بأن ينقل حقاً عينياً أو أن يقوم بعمل أو أن تمتنع عن عمل))، وان النص المتقدم ساوياً بين معنى الدين ومعنى الحق الشخصي^(٢٢)، وبعد تسليط الضوء على الدين في الفقه الإسلامي نقول أن ثمة تشابهاً بينه وبين

٢٠- ينظر المادة (989) من القانون المدني العراقي.

٢١- ولزيد من التفصيل ينظر علي حيدر، درر الحكام شرح مجلة الأحكام، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010، ص116 وما بعدها. الكاساني، بدائع الصنائع، ج6، المرجع السابق، ص119.

٢٢- والدين شيء والحق شيء آخر، ولكن يجب ان يبقى الحق متميزاً عن الدين ومن المؤسف له ان هذه الحقيقة البسيطة لم يأخذ بها المشرع العراقي اذ نصت المادة (3/69) من القانون المدني العراقي على ما يأتي ((يؤدي التعبير (الالتزام) ولفظ (الدين) نفس المعنى الذي يؤديه التعبير بلفظ (الحق الشخصي))) فشخص الدائن يكون صاحب حق محتواه أنه يحق له مطالبة شخص آخر يسمى المدين بأداء معين أو امتناع معين وفي الطرف الثاني هناك مدين عليه التزام وهو ملتزم بأن يقوم بأداء معين أو تمتنع عن أداء معين ونستخلص مما تقدم ان الحق الشخصي لا يساوي الدين بل هو نقيضه، ولزيد من التفصيل ينظر د. سعدي اسماعيل البرزنجي، ملاحظات نقدية في القانون المدني دار الكتب القانونية، مصر، 2010، ص (9-10).== ويبدو ان العلاقة بين الحق الشخصي والدين من جهة العلاقة المنطقية ليس تقابل النقيضين بل هناك تقابل المتضايقين، فالتضايقان أمران وجوديان يتوقف تعقل أحدهما على تعقل الآخر ولا يجتمعان في موضع واحد من

الضمان، فالضامن تشتغل ذمته بالدين (التعويض) وكذلك المدين، ولكن يختلفان في ان المدين قد لا يطالب بالدين فيتحقق عنصر المديونية دون المسؤولية بينما في الضمان يتحقق عنصر المديونية وعنصر المسؤولية فيعد كل ضامن مدين وليس كل مدين ضامن لاحتمال ان شرط المطالبة قد لا يتحقق.

المبحث الثاني: كسب الملكية بالضمان

سنقسم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب نبين في المطلب الاول تحديد معنى كسب الملكية بالضمان ونكرس في المطلب الثاني شروط كسب الملكية بالضمان ونعالج في المطلب الثالث موقع الضمان من اسباب كسب الملكية.

المطلب الاول: تحديد معنى كسب الملكية بالضمان

يرى عدد من فقهاء الحنفية أن العين تكسب بالضمان^(٢٣)، فأن غيّر الغاصب العين المغصوبة تغييراً كلياً بحيث يفقد ذاتيته بشرط تبدل الأسم فأن الغاصب يملك العين المغصوبة مقابل ما يدفعه إلى المغصوب منه من ضمان (التعويض)^(٢٤)، فمثلاً من يغصب نحاس ويغيره إلى آنية فقد تغير أسم المغصوب من نحاس إلى آنية فيتملكها الغاصب بالضمان، ويسوغون سبب كسب الملكية بالضمان بعدة تسويغات منها أن الضمان هو بدل المغصوب يقضى به جبراً له، والجبران يستدعي فوات المغصوب من يد المالك لأن الجبر يكون للغائب لا للقائم، فكان القضاء بالضمان يقضي انعدام ملك المالك في عين ماله ليكون الضمان جبراً لما هو فائت وكذلك أن الغاصب يلزم برد قيمة المغصوب للمغصوب منه تعويضاً عن ملكه الذي تغير، ولو لم يكن الغاصب قد تملك المغصوب للزم رد العين ورد قيمته على الرغم من أن الاعتداء يقتضي برد مثله، اذ جاء في محكم كتابه ﴿فمن اعتدى عليكم فأعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾^(٢٥)، وان لم يملك الغاصب العين للزم اجتماع البدل والمبدل في ملك شخص واحد وهو المغصوب منه، وهذا غير جائز^(٢٦)، وما ذكرناه سلفاً من شرط تبدل الاسم لتملك الغاصب العين بالضمان يكون اما بتغير أسم العين (المعنى) دون تغير الصورة مثل تغير قطعة القماش إلى قميص فأسم المغصوب مختلف في الحالتين وان كانت قطعة القميص من أصل قطعة القماش، فاصل القميص وهي قطعة القماش موجودة وظاهرة معالمها لم تندثر أو تختفي، او يكون التغير من خلال تغير أسم العين وصورتها مثل غصب الخنطة وتحويلها بيد الغاصب إلى خبز فمعالم الخنطة قد اختفت وأسمها قد تغير، ويضيف بعض شراح فقهاء المسلمين المحدثين شرط تغير منافع العين^(٢٧)، ولكن لا

جهة واحدة ويجوز ان يرتفعاً، فكل حق شخصي في طرف الدائن يعد التزاماً من طرف المدين، وكل التزام في طرف المدين يعد حقاً شخصياً من طرف الدائن.

٢٣- للتفصيل ينظر أبو الحسن علي بن أبي بكر الرشداني المرغيناني، الهداية شرح بداية المبتدىء، ج 4 دار الكتب العلمية، بيروت، 1990، ص 11 وما بعدها. السرخسي، ج 11، المرجع السابق، ص 67 وما بعدها.

٢٤- ويتفق فقهاء المسلمين ان الحكم الاصيل هو رد المغصوب ان كان قائماً، وأورد هذا القول د. محمد سليمان الأحمد، المرجع السابق، ص 80.

٢٥- آية (94) من سورة البقرة.

٢٦- الرشداني، المرجع السابق، ص 13 وما بعدها. د ابراهيم فاضل الدوب، ضمان المنافع دراسة مقارنة في الفقه الاسلامي والقانون المدني، الطبعة 2، دار عمار للمطابع التعاونية، عمان، 2001، ص 272.

٢٧- المرجع نفسه، ص 273.

نميل إلى إضافة هذا الشرط حتى نقول بكسب ملكية العين للغاصب بالضمان لان تغير الاسم يستلزم تغير منافع العين.^(٢٨)

وقد ذهب الحنفية إلى أن كسب الملكية بالضمان يكون في المنقول والعقار، فمن غصب حديد وادخله في عملية البناء فستختفي معالم الحديد داخل البناء، وهنا تغيرت العين المنقولة إلى عين عقارية.^(٢٩) وقد أثير خلاف حول وقت ثبوت الملكية للغاصب، فذهب رأي فقهي إلى أن ملكية الغاصب تكون وقت الغصب، وذهب رأي ثاني إلى أن ملكية الغاصب تكون وقت اختيار الضمان من قبل المغصوب منه.^(٣٠)

اما اذا غير الغاصب العين المغصوبة في صفاتها دون ذاتيتها، فأن حكم العين المغصوبة تبقى للمغصوب منه دون الغاصب وذلك لان العين مازالت باقية، فتغير الصفة ليس مثل تغير الذات^(٣١)، ويذهب رأي فقهي آخر ان تغير العين عند الغاصب إن كان في صفة معتبرة فيكسب الغاصب الملكية بالضمان، مثل لو كانت العين المغصوبة سبيكة ذهبية فضربها الغاصب وجعلها دراهم فيكسب الغاصب الدراهم بالضمان^(٣٢)، وهذا الرأي المتقدم لا يمكن الركون إليه لان تغير الاسم يستدل منه تغير الذات لا الصفة، فيعد التغير في المثال السابق تغيراً في الذات لا في الصفات وهو تغير معنى لا صورة.

اما اذا تغيرت العين المغصوبة عند الغاصب بفعل الطبيعة، فأن للمغصوب منه بالخيار بين استرداد العين من الغاصب بالحالة التي عليها أو يترك العين للغاصب مقابل دفع قيمتها، وهنا يكون الغاصب قد تملك العين بالضمان^(٣٣).

وذهب فقهاء المالكية إلى انتقال ملكية المغصوب للغاصب يشترط فيها حصول استهلاك العين أو اتلافاً لها وحكم على الأخير بالتعويض^(٣٤)، ولا يحصل عندهم تغير العين المغصوبة جبراً في حالة كون العين المغصوبة منقولاً فلا تتغير إلى عقار كما ذهب إليه الحنفية، لأن أسم العين المغصوبة مازال منقولاً، فإذا غصب شخص خشباً وأدخله في بناء، فعندهم ان لوح الخشب لم يتغير ومازال اسمه خشباً^(٣٥).

ويستدلون أصحاب اتجاه كسب الملكية بالضمان أن حتى من أنكر من فقهاء المذاهب الأخرى بأن الملكية تكسب بالضمان، قد أقروا بذلك ضمناً، فيرى الشيخ الطوسي وهو من أجل فقهاء الامامية انه ان

٢٨- فتغير الحنطة إلى خبز معناه تغير الاسم وتغير معظم منافعها عندما كانت حنطة، فلم يعد يمكن زرع بذر الحنطة لتغيره إلى خبز ولا حاجة ان نقول ان من شروط الضمان اضافة لتغير الاسم تغير المنافع لأنه تحصيل حاصل، ينظر علي حيدر، المجلد الثاني، المرجع السابق، ص 530.

٢٩- ينظر الكاساني، ج 7، المرجع السابق، ص (148، 149).

٣٠- المرجع نفسه، ج 7، ص 153.

٣١- د. سعد حسين عبد الملحم، كسب الملكية بالضمان، بحث منشور في مجلة كلية الحقوق - جامعة النهرين، المجلد 10، العدد 19، كانون الأول 2007، ص 33.

٣٢- الكاساني، المرجع السابق، ج 7، ص 153.

٣٣- د. إبراهيم فاضل الدبو، المرجع السابق، ص 272.

٣٤- ابن رشد القرطبي، بداية المجتهد، ج 2، دار الفكر، من دون ذكر مكان الطبع، ص 239. عبد الله محمد الحزني، شرح الخرشي على مختصر خليل، بيروت، دار الصادر، من دون ذكر سنة الطبع، ص 134.

٣٥- للتفصيل ينظر سليمان بن خلف (الباجي) المنتقى شرح الموطأ، ج 5، دار الكتاب الاسلامي، دون ذكر سنة ومكان الطبع، ص 277.

قام شخص بغصب حب فزرعه، فالزرع للغاصب، وذلك بأن العين المغصوبة قد تلفت، فلا يلزم الغاصب الا بالقيمة^(٣٦).

ومما تقدم يتضح أن الغاصب قد تملك العين فعليا لقاء ما دفعه من قيمة، ويذكر أحد فقهاء الامامية ان في حالة تلف العين عند الغاصب فللمالك ان يطالب بالقيمة من الغاصب ويعد الغاصب كأنه ملك العين النالفة بالمعاوضة القهرية بين ما دفعه من القيمة وبين العين النالفة فالغاصب أصبح مالكا لهذه الانقاص فهي ملك الغاصب دون المالك^(٣٧).

أما في الفقه القانوني فنجد أن القانون المدني الاردني قد نص صراحة على قاعدة كسب الملكية بالضمان في المادة(1085) التي نصت على أنه ((المضمونات تملك بالضمان ملكا مستنداً إلى وقت سببه وبشرط ان يكون المحل قابلاً لثبوت الملك ابتداء))، ويفهم مما تقدم أن الضامن يملك المضمون بأثر رجعي من وقت تحقق سبب الضمان يشترط ان يكون المحل قابلاً لثبوت الملك ابتداء.

وثمة رأي انتقد مسلك القانون المدني الاردني الذي جعل الضمان سبباً لكسب الملكية وذلك لاعتداد القانون المدني الاردني بقاعدة الحيازة في المنقول سند الحائز في كسب الملكية^(٣٨)، ويبدو أن هذا الانتقاد غير دقيق، فالمشرع الاردني نص في قانونه المدني في المادة(1189) على ان (١- لا تسمع دعوى الملك على من حاز منقولاً أو حقاً عينياً على منقول أو سند لحامله وكانت حيازته تستند إلى سبب صحيح وحسن نية. ٢- وتقوم الحيازة بذاتها قرينة على الملكية ما لم يثبت غير ذلك). ومن خلال ما تقدم يفهم أن الحيازة لا تعد لذاتها سبباً لكسب الملكية، انما هي قرينة على كسب الملكية على خلاف القانون المدني المصري الذي جعل الحيازة سبباً لكسب الملكية، اذ نصت المادة (٩٧٦/ف١) من القانون المدني المصري على ان ((من حاز بسبب صحيح منقولاً أو حقاً عينياً على منقول أو سنداً لحامله فإنه يصبح مالكا له إذا كان حسن النية وقت حيازته)). وكذلك أن اشتراط الحيازة القانونية ورودها على منقول وبمحسن نية ومستندة إلى سبب صحيح، وهذه الشروط لم يشترطها القانون المدني الاردني لكسب الملكية بالضمان، مما جعل دور قاعدة الحيازة في المنقول في التطبيق العملي محدودة وهو منع الغير من الادعاء بملكية المال المحوز، ومما جعل نطاق تطبيق قاعدة كسب الملكية في الضمان أوسع من نطاق تطبيق قاعدة الحيازة.

وتجدر الاشارة أن ثمة رأي يذهب إلى أن القانون المدني العراقي قد أخذ بقاعدة كسب الملكية بالضمان ضمناً وليس صراحة^(٣٩)، فقد نصت المادة(194/ف2) من القانون المدني العراقي على أن ((اما إذا غير الغاصب المال المغصوب بحيث يتبدل اسمه كان ضامناً وبقي المال المغصوب له، فمن غصب حنطة غيره وزرعها في أرضه كان ضامناً للحنطة وبقي المحصول له))، ويتبين مما تقدم أن الغاصب الذي يغير العين المغصوبة تغييراً يفقدها ذاتيتها ويبدل اسمها فيتملكها لقاء ما يدفع من ضمان، وبالمقابل يتملك المغصوب

٣٦- أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، الخلاف، ج2، دار العالم الاسلامي، بيروت، من دون ذكر سنة الطبع، ص178.

٣٧- ينظر محمد باقر الصدر، الحوالة حقيقتها وبعض مقوماتها، بحث منشور في قراءات فقهية معاصرة في الاقتصاد الإسلامي، ج2، ط1، مطبعة الغدير، بيروت، 2004، ص92 وما بعده.

٣٨- د.محمد وحيد الدين سوار، شرح القانون المدني الاردني، الحقوق العينية الاصلية، ج2، مكتبة دار الثقافة، عمان،

1994، ص31.

٣٩- د. محمد سليمان الاحمد، المرجع السابق، ص3٤. وينظر في المقابل المادة (976) من القانون المدني المصري.

منه الضمان لقاء تخليه عن العين المغصوبة، ويذهب أحد فقهاء القانون المدني العراقي إلى القول ما يجري في تملك المغصوب منه للضمان هو تحول من حق عيني إلى حق شخصي بقوة القانون^(٤٠).

كذلك ان المشرع العراقي قد نص في (المادة ١٩٤ / ف١) من القانون المدني العراقي على أن ((إذا تغير المغصوب عند الغاصب فالمغصوب منه بالخيار ان شاء استرد المغصوب عينا مع التعويض عن الأضرار الأخرى وان شاء ترك المغصوب ورجع على الغاصب بالضمان))، ويفهم من هذا النص أن المغصوب منه له الخيار بين أن يعطي للغاصب قيمة ما أضافه و يسترد العين المغصوبة مع التعويض عن الأضرار الأخرى أو أن يترك المغصوب منه العين المغصوبة ويرجع على الغاصب بالضمان، ويلاحظ على هذه المادة ان كسب الملكية لم يكن جبراً على المغصوب منه كما في المادة (194 / ف2) من القانون المدني العراقي بل برضا المغصوب منه وجبراً على الغاصب، ولعل الحكمة بالفرق بين حكم الحالتين أن التغير بالفقرة الثانية من المادة (194) كان بفعل الغاصب فيتحمل مسؤولية الغصب والتغير بالعين المغصوبة، اما في الفقرة الاولى من المادة (194) فالتغير بالعين المغصوبة لم يحدث بفعل الغاصب فيتحمل مسؤولية الغصب دون التغير، وبما أن الغاصب يعد، حتى في هذه الصورة متعدياً، والتعدي يجعله مسؤولاً ولكن بحكم مختلف عن حكم الفقرة الثانية، ويجدر بالذكر أن المشرع العراقي قد ضرب صفحا عن الاشارة إلى كون التغير في الفقرة الاولى من المادة (194) تقع بفعل الغاصب أو بفعل السبب الاجنبي، ويمكن القول بأن مقصود المشرع هو التغير بفعل السبب الاجنبي دون فعل الغاصب، وحجتنا لو كان التغير بفعل الغاصب، لم يكن للمغصوب منه الخيار، ويجدر بالذكر أن المشرع العراقي قد ضرب صفحا عن الاشارة إلى كون التغير في الفقرة الاولى من المادة (194) يقع بفعل الغير أو بفعل القوة القاهرة، ويمكن القول بأن مقصود المشرع هو التغير بفعل القوة القاهرة دون الغير، وحجتنا لو كان التغير بفعل الغير للزم الخيار للمغصوب منه بالرجوع على الغاصب او على من قام بالتغير لأنه بفعله يعد الغير متعدياً أيضاً، ويجدر بالذكر أن المشرع العراقي قد ضرب صفحا عن الاشارة أيضاً إلى كون التغير في الفقرة الاولى من المادة (194) تقع في الذات او الاوصاف، ولعل من يقول ان النص مطلق والمطلق يجري على اطلاقه، ولكن هذا القول لا يمكن الركون إليه فلو كان التغير يتعلق بالوصف لكان حكم الفقرة الاولى من المادة (194) يقتضي دفع المغصوب منه للغاصب الزيادة وهذا ما لا وجود له في حكم هذه الفقرة.^(٤١)

وقد نصت المادة (194/ف٣) من القانون المدني العراقي على أن ((وإذا غير الغاصب بعض أوصاف المغصوب بزيادة شيء عليه من ماله، فالمغصوب منه مخير أن شاء أعطى الغاصب قيمة الزيادة وأسترد المغصوب عينا مع التعويضات الأخرى وأن شاء ترك المغصوب ورجع على الغاصب بالضمان))، ويلاحظ على هذا النص أن التغير في الوصف وليس في الذات، فتغير العين^(٤٢)، بزيادة سواء أكانت متولدة من الاصل ومتصلة به مثل السمينة بالنسبة للحيوان أم منفصلة عنه مثل الثمرة لا يغير المالك جبراً انما للمغصوب

٤٠ - د. ليلي عبد الله الحاج سعيد، النظرية العامة لضمان اليد، ط1، مطبعة الجمهور، الموصل، 2001م، ص58 وما بعدها. ود سليمان محمد الاحمد، المرجع السابق، ص106. للتفصيل ينظر د. سعد حسين عبد الملحم، المرجع السابق، ص37.

٤١ - د. حسن علي الذنون، المبسوط في المسؤولية المدنية، الجزء2، الخطأ، مطبعة العزة، بغداد، 2001، ص286.

٤٢ - علي شاكر عبد القادر، التغير الجبري لمالك العين وأثره في التصرفات القانونية) دراسة مقارنة)، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية القانون جامعة كربلاء، 2013، ص70.

منه بالخيار بالتخلي عن ملكهم مقابل الضمان أو استرداد ملكه مع المطالبة بالتعويض مع اعطاء قيمة الزيادة إلى الغاصب^(٤٣). ولكن السؤال الذي يثار في هذا السياق هل يتصور تملك الغاصب للعقار المغصوب بالضمان، ويتسنى لنا الإجابة على هذا السؤال المتقدم ونقول بأن القانون المدني في المادة (194) من القانون المدني العراقي يبيّن أن التغير يكون في المغصوب ولم يقيده في المنقول أو العقار، والنص المطلق يجري على إطلاقه إذا لم يقدّم دليل التقييد نصاً أو دلالة، ومن ثم يمكن تصور كسب الغاصب للعقار المغصوب بالضمان، والتساؤل السابق يقودنا إلى سؤال آخر، هل يكون كسب الغاصب للملكية بالضمان نتيجة تغير الذات أو الوصف، ثمة رأي عند شراح قانوننا المدني يذهب إلى أنه لا يمكن تصور كسب الغاصب للملكية للعقار نتيجة تغير الذات، فمن يغصب أرضاً ويضيف عليها بناءً أو غرساً تبقى الأرض مسمى الأرض وكل ما حصل هو إضافة بناء أو غرس عليها مما يعد زيادة متصلة في الأرض^(٤٤) وبرهان أصحاب هذا الرأي هو نص قانوننا المدني في الفقرة الأولى من المادة (563) ((زيادة شيء من مال المشتري على المبيع تمنع الرد، كصبغ الثوب أو البناء على الأرض المبيعة أو ظهور الثمر في الشجر المبيع)).

وهو ما أكدته بعض قرارات القضاء العراقي إذ جاء في قرار لمحكمة تمييز العراق ((إذا بنى الموهوب له على الأرض الموهوبة داراً فليس للوهاب الرجوع بالهبة، لأن الدار تعتبر زيادة متصلة بالأرض زادت من قيمتها فأمتنع الرجوع بالهبة حسب الفقرة (أ) من المادة (622) مدني))^(٤٥)، فأضافه البناء تعدد زيادة في الوصف وليست في الذات.

وثمة رأي ثانٍ يذهب إلى أن البناء في الأرض يعد تغيراً في العقار ويؤدي إلى زوال أسم الأرض ومن ثم تتغير ذاتيتها تبعاً لذلك، ومن ثم يمكن كسب الملكية بالضمان نتيجة تغير الذات^(٤٦)، ويبدو رجاحة الرأي الثاني للأسباب التي تم ذكرها ونضيف عليها أن الأرض لم تبق على هيأتها السابقة وإنما تغيرت من محض أرض خالية (عرصة) إلى أرض مبنية تسمى داراً وقد تبدل هنا أسم العين المغصوبة من عرصة إلى دار وهو ما نصت عليه المادة (279) من قانون التسجيل العقاري على ما يأتي ((يصحح جنس العقار عند إجراء التغيرات المادية فيه بإحداث الابنية والمنشآت أو الغراس أو إضافة محدثات أو مغروسات جديدة أو أي تغيير في المحدثات أو المغروسات يؤدي إلى تغيير جنس العقار من حيث استغلاله أو استعماله أو عند زوال المحدثات أو المغروسات ما لم يوجد نص قانوني يقضي بغير ذلك)). فالنص المتقدم يبين صراحةً أن

٤٣ - د. عباس الصراف، شرح عقد البيع في القانون الكويتي، ط 1، دار البحوث العلمية، الكويت، ص 344 وما بعدها. شاكراً ناصر حيدر، الوسيط في شرح الحقوق العينية الأصلية، ج 1، مطبعة المعارف، بغداد، 1959، ص 891.

٤٤ - محمد عبد الوهاب، تغير الشيء وأثره في التصرفات والقوائم القانونية، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة بغداد كلية القانون، 2006، ص 47 وما بعدها.

٤٥ - قرارها المرقم 408 م 2/1981 الصادر بتاريخ 21/ 4 / 1982، المنشور في مجموعة الأحكام العدلية، العدد الثاني، السنة الثالثة عشر 1982، ص 44. وأن كان الموضوع لا يتعلق بالغصب ولكنه يتعلق بأن إضافة البناء زيادة لا تؤثر في ذاتيتها. والحقيقة أن ليس كل زيادة تؤدي إلى تغير العين فقد تكون هناك زيادة في المقدار المتفق عليه في العقد مع أن العين باقية على حالها لم تتغير، مثل من يبيع قطعة قماش يظن أنها عشرة أمتار ثم يتبين أن فيها زيادة مترين وهو لا يعلم، فالعين لم تتغير إنما المقدار المتفق عليه في العقد قد =تغير، وكذلك قد تكون هناك زيادة في العين ولكنها لا تؤثر في تغير مالك العين، مثل صبغ الثوب التي يعدونه زيادة متصلة غير متولدة فلا تؤثر على تغير مالك العين.

٤٦ - للتفصيل ينظر عارف العارف، مجموعة الأحكام للأموال غير المنقولة، مطبعة المعارف، بغداد، 1948، م، ص 186.

أحداث الابنية والمنشآت في الارض من شأنه تغيير جنس العقار وتغيير اسمه وتغيير الاسم يدل على تغيير العين، اما وصف الفقه والقانون واتجاه في القضاء إلى تسمية البناء على الأرض زيادة فهو رأي لا غبار عليه، فالبناء على الارض المغصوبة زيادة، وكذلك إضافة بعض المواد على الخنطة المغصوبة لتحويلها إلى خبز زيادة، أو إضافة بعض المواد على القماش المغصوب لتحويله إلى قميص زيادة، ولكن هذه الزيادة زيادة عين وليست زيادة صفة^(٤٧)، التغيير من أسم المغصوب إلى أسم آخر وهو ما اشترط لتغيير الذات لتملك الغاصب العين المغصوبة.

ولا يقتصر كسب الملكية بالضمان على حالة الغصب بل يشمل أيضاً الاتلاف، فقد نصت المادة (١٨٧/ف١) من القانون المدني العراقي على أن ((إذا هدم أحد عقار غيره بدون حق فصاحب العقار بالخيار أن شاء ترك أنقاضه للهادم وضمنه قيمته مبنياً مع التعويض عن الاضرار الأخرى وأن شاء حط من قيمته مبنياً قيمة الانقاض وأخذ هو الانقاض وضمنه القيمة الباقية مع التعويض عن الاضرار الأخرى))، فالعين التي تتلف يلتزم المتلف بالضمان ويتملك الانقاض لقاء الضمان الذي يحصل عليه صاحب العقار المهدم، وقد نصت المادة (١٨٨) من القانون المدني العراقي على أن ((إذا قطع احد الاشجار التي في روضة غيره بدون حق فصاحبها مخير أن شاء أخذ قيمة الاشجار قائمة مع التعويض عن الاضرار الأخرى وترك الاشجار المقطوعة للقاطع وأن شاء حط من قيمتها قائمة قيمتها مقطوعة وأخذ المبلغ الباقي والاشجار المقطوعة مع التعويض عن الاضرار الأخرى)). فصاحب الاشجار مخير بين ترك الاشجار المقطوعة على أن يأخذ الضمان من قبل قاطع الاشجار الذي يملكها بالضمان أو أن يأخذ صاحب الاشجار أشجاره المقطوعة ويرجع على قاطع الاشجار بالضمان^(٤٨)، بعد الحط من قيمتها قائمة قيمتها المقطوعة.

المطلب الثاني: شروط كسب الملكية بالضمان

اما شروط كسب الملكية بالضمان فهي أن يكون محل الضمان قابلاً لثبوت الملك فيه ابتداء والشرط الثاني تغيير المال المضمون والشرط الثالث وجود المقابل (الضمان) والشرط الرابع انتفاء قصد الغش لدى الضامن تجاه قاعدة الضمان، وسنبين هذا المطلب في اربعة فروع لكل شرط فرع مستقل.

الفرع الاول: - أن يكون محل الضمان قابلاً لثبوت الملك فيه ابتداء:-

ويشترط الفقه الاسلامي في العين لكي تكون قابلة للتملك أن يكون الشرع قد أباح الانتفاع بها في حالة الظروف الاعتيادية، فان لم تكن العين مباحة الانتفاع فيها في حالة الظروف الاعتيادية فلا يعد مالا فمن أكل لحم الميتة او لحم الخنزير في ظرف استثنائي كالجوع الشديد لا يعد مالا وان أباح الشارع الانتفاع بها في حالة الضرورة وبقدره، وان كان لحم الخنزير والخمر يعدان مالا عند الذميين وكذلك في نظر من يستبيحها من المسلمين الذين لا يلتزمون بأمور الشريعة، وربما يبذل الكثير من المال بازائها فهي ذات مالية

٤٧- عبد الجبار حمد شرارة، أحكام الغصب في الفقه الاسلامي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٧٥، ص ١٧١.

٤٨- د. حسن علي الذنون، ج ٢، المرجع السابق، ص ٢٥٢. سعد حسين، المرجع السابق، ص ٣٨.

فعلية ولكنها غير شرعية، فلذلك فلا تعد مالا في نظر المشرع الاسلامي، لان المالك الحقيقي (سبحانه وتعالى) اسقط ماليته، ومن ثم لا يمكن تصور تملكها بالضمان.^(٤٩)

والايعان التي لا منفعة فيها لا يجوز تملكها مثل الحشرات والذباب، فهذه الايعان لا يصح تملكها، ولا يترتب عليها ضمان، وتلحق بهذه الايعان حبة القمح أو قطرة الماء^(٥٠).

اما وفق نظرة القانون فتوجد أعيان تعد غير قابلة للتملك فقد نصت المادة (61) من القانون المدني العراقي على أن ((١- كل شيء لا يخرج عن التعامل بطبيعته أو بحكم القانون يصح أن يكون محلاً للحقوق المالية. ٢- والأشياء التي تخرج عن التعامل بطبيعتها هي التي لا يستطيع أحد أن يستأثر بجزائها، والأشياء التي تخرج عن التعامل بحكم القانون هي التي لا يجوز القانون أن تكون محلاً للحقوق المالية.)) ويفهم مما تقدم أن المشرع العراقي قد اشترط شرطين في الشيء أو لهما إمكانية الاستئثار بجزائهما وثانيهما ان لا يكون المشرع قد اخرج الشيء من دائرة التعامل سواء كان بنص القانون أو بطبيعته، فالشيء الذي يكون محل للحقوق المالية هي التي يمكن ان ينتفع بها كل الناس دون ان يحول انتفاع بعضهم دون انتفاع البعض الاخر، فالماء الجاري في الأنهار والبحار والهواء المنتشر في الفضاء ليس هناك من يستطيع الاستئثار بجزائهما والانتفاع بهما، وقد يكون التعامل بما ممكنا مثل الهواء الذي يستعمله الكيميائي في أغراضه، اما الأشياء التي تخرج عن التعامل بحكم القانون فهي التي نص القانون على عدم التعامل بها كالمخدرات، فمن يتلف مقدار من المخدرات لا يحكم على المتلف بالضمان لعدم اعتبارها مالا^(٥١).

وقد يكون عدم قابلية العين للتملك يرجع إلى الغرض الذي خصص له، كالجسور والشوارع، أو ان تكون الايعان مباح لا مالك له مثل الطيور في الهواء والسماك في الماء، ولكن أن أحرزت بقصد التملك يجعل منها محلاً للملكية^(٥٢).

الفرع الثاني: -تغير العين المضمونة

ان كانت العين باقية لم يمسها تغير، فيلزم الغاصب ارجاع العين المغصوبة للمغصوب منه، فيستلزم تغير العين حتى نقول بتوافر شروط كسب الملكية بالضمان، ونقص بالتغير ((انتقال العين من مالك الى مالك آخر))^(٥٣)، وتغير المالك يكون إما بتغير العين أو من دونه، وتغير المالك بتغير العين إما يكون بتغير الذات وشرطه تبدل الاسم كما نصت المادة (194/2) المذكورة سابقاً مثل تغير الحنطة إلى دقيق فتغير الاسم يستدل منه تغير الذات، وقد درج الفقهاء على تقييد هذا النوع من التغير بتبديل اسم الشيء^(٥٤)، بل نجدهم

٤٩- ابن عابدين (محمد أمين بن عمر)، رد المختار على الدر المختار، ج 4، دار الكتب العلمية، بدون ذكر سنة الطبع، ص 51. د. عبد السلام داود العبادي، الملكية في الشريعة الاسلامية، القسم الأول، الطبعة الأولى، مكتبة الأقصى، عمان، 1974، ص 205. ٥٠- ابن عابدين، المرجع السابق، ص 53 وما بعدها. د. مصطفى إبراهيم الزلي، نظرية الالتزام برد غير المستحق (دراسة مقارنة)، ط 2، المكتبة القانونية، بغداد، من دون ذكر سنة الطبع، ص 271 وما بعدها. ٥١- د. عبد المجيد الحكيم، الموجز في شرح القانون المدني العراقي، ج 1، مصادر الالتزام في المقارنة والموازنة بين الفقه الغربي والفقه الإسلامي، الطبعة 3، شركة الطبع والنشر الأهلية، بغداد، 1969، ص 171. ٥٢- د. محمد سليمان الاحمد، المرجع السابق، ص 108. ٥٣- علي شاکر عبد القادر، المرجع السابق، ص 14. ٥٤- د. سليمان مرقس، محاضرات في المسؤولية المدنية في تقنينات البلاد العربية، القسم الأول (الأحكام العامة)، معهد الدراسات العربية العالية، 1958، ص 153 حيث يقول ((أما أن يغير الغاصب المغصوب بحيث يتبدل اسمه أي بحيث تتغير ذاتيته...)).

في أحيان أخرى يستعملون مصطلح تبدل اسم الشيء للدلالة على هذا التغير^(٥٥)، وقد نجد في السند التاريخي ضاللتنا، إذ أنّ المشرع العراقي قد اقتبس هذه المادة من مجلة الأحكام العدلية^(٥٦)، وبالرجوع إلى هذه المجلة فإننا نجد أنّ شراحها يستلزمون لحصول هذا التغير تبدل اسم الشيء وبخلافه لا يُعدّ هذا التغير متحققاً^(٥٧)، أو يكون التغير في الصفات، وإن هذه الحالة قد يكون بالزيادة أو بالنقص، أو الخلط^(٥٨)

أو يكون تغير المالك دون تغير العين، ويمكن أن نقسم هذا التغير تقسيماً ثانياً فنقول تغيراً قانونياً أو تغيراً مادياً، والتغير القانوني كأن يغيب الغاصب العين المغصوبة ومن ثم يتصرف بها معاوضة عُدد تصرفه نافذاً ويعد الغاصب مالكا، ولكن أبو حنيفة يشترط فضلاً عن تغيب العين اختيار المغصوب منه الضمان، وهذا مالم يشترطانه محمد الشيباني وأبو يوسف الثقفي^(٥٩)، وكذلك قد يكون التصرف القانوني تبرعاً، مثل لو وهب الغاصب العين المغصوبة وتلفت العين بعد الغصب كلياً أو جزئياً، فإن تلفت العين كلياً بعدان وهب الغاصب للعين المغصوبة فليس للمالك العين إلا بالرجوع بالضمان إما على الغاصب أو من تصرف إليه العين، أما التلف الجزئي فللمالك الخيار بين استرداد العين مع المطالبة بالتعويض أو أن يترك المالك العين التالفة الجزئية مع المطالبة بالضمان وتعبير آخر يعد الغاصب مالكا^(٦٠).

الفرع الثالث: - وجود المقابل

بيننا سابقاً حتى يعد الغاصب مالكا لا بد من وجود الضمان، واستدلوا أصحاب القول أن الضمان يكسب الملكية بعدم جواز الجمع بين الضمان والمضمون، فأن لم يوجد الضمان لا يمكن القول بكسب الملكية بالضمان، بل نقول اما بوجود عقد هبة بين الطرفين أو بوجود ابراء إذا كان العين المغصوبة أصبحت ديناً في ذمة الضامن^(٦١).

وقد ينبري من يقول ما ذا لو رفض الضامن البراء، ومن خلال الرجوع للنصوص القانونية المدنية يمكننا أن نتلمس الاجابة عن هذا التساؤل فقد بينت المادة(422) من القانون المدني العراقي على أن ((لا يتوقف البراء على قبول المدين، ولكن إذا رده قبل القبول أرتد، وأن مات قبل القبول فلا يؤخذ الدين من تركته. -2- ويصح إبراء الميت من دينه))، ويتضح من هذا النص ان قبول الضامن للإبراء لا يعد شرطاً، ولكن أن رد الضامن البراء قبل القبول أرتد^(٦٢).

٥٥- د. حسن علي الذنون، شرح القانون المدني، العقود المسماة، الشركة الرابطة، بغداد، 1954، ص 58. د. محمد كامل مرسي، شرح القانون المدني الجديد، العقود المسماة، ج2، (الهبة والغارة والقرض، الدخل الدائم المترتب مدى الحياة)، ط2، مطبعة لجنة البيان العربي، 1952، ص 187.

٥٦- وهي المادة (899) التي جاء فيها ((إذا غيّر الغاصب المال المغصوب بحيث يتبدل اسمه يكون ضامناً ويبقى المال المغصوب له . مثلاً لو كان المال المغصوب حنطة وجعلها الغاصب بالطحن دقيقاً يضمن مثل الحنطة ويكون الدقيق له كما أن من غصب حنطة وزرعها في أرضه يكون ضامناً ويكون المحصول له)).

٥٧- ينظر علي حيدر، ج2، المرجع السابق، ص 488. وكذلك محمد سعيد المحاسني، شرح مجلة الأحكام العدلية، المجلد الثاني، (الكفالة والحوالة والرهن والأمانات والهبة والغصب والحجر والإكراه والشفعة)، مطبعة التزقي، دمشق، 1346 هـ، 1927 م، ص 283.

٥٨- سلمان بن عمر بن محمد (البجيرمي)، حاشية البجيرمي، ج2، ص 437 حيث يقول (ان الزيادة ثلاثة أقسام، لأنها اما متميزة كالولد والغراس او غير متميزة كخلط الحنطة بأجود منها او السمن او صفة كالطحن والقصرة...).

٥٩- السرخسي، الجزء 11، المرجع السابق، ص 68.

٦٠- د. محمد سليمان الأحمد، المرجع السابق، ص 112.

٦١- المرجع نفسه، ص 186.

٦٢- د. حسن علي ذنون، أحكام الالتزام، المرجع السابق، ص 213.

الفرع الرابع:- انتفاء قصد الغش لدى الضامن نحو قاعدة الضمان

قد يريد الضامن كسب ملكية العين فما عليه الا ان يقوم ويتعمد بغصب العين وتغيرها ودفع المقابل لها، فلذلك جعل هذا الشرط حتى ينتفي القصد السيء لدى الضامن إن وجد، وحرى بنا ان نبين معنى التعمد و التعدي، فالتعمد يقصد به ارادة الفعل والنتيجة المترتبة عليه مع العلم بهما، اما التعدي فهو ارادة الفعل دون نتيجة، وعليه فاذا غصب العين وكان قاصداً تغيرها وأن يكسب الملكية لقاء دفع المقابل لها، يرد قصد السيء للغاصب عليه فلا يكسب الملكية بالضمان بل عليه إعادة العين إلى مالكيها، الا ان للمالك ان يختار بين استرداد العين مع المطالبة بالتعويض عن الاضرار أو التخلي عنها للغاصب لقاء الضمان، وتعبير آخر يعد شرط انتفاء قصد الغش ملزماً للضامن دون المضمون له^(٦٣).

المطلب الثالث: موقع الضمان من أسباب كسب الملكية

صنف القانون المدني العراقي متأثراً بالقانون المدني المصري أسباب كسب الملكية إلى ثلاثة أقسام، القسم الاول يتعلق بكسب الملكية ابتداءً ويشمل هذا الصنف الاستيلاء، والقسم الثاني يتعلق بكسب الملكية بسبب الوفاة ويشمل هذا النوع الميراث والوصية، ويتعلق القسم الثالث بكسب الملكية بين الأحياء ويشمل هذا الصنف الالتصاق والشفعة والحيازة والعقد.

إنَّ القوانين التي أخذت بالضمان كسب لكسب الملكية عدت الضمان ضمن صنف الخلفية والتي تشمل فضلاً عن الضمان الميراث والوصية^(٦٤)، والشرح من القانون المدني العراقي الذين يرون ان الضمان يكسب الملكية في القانون المدني العراقي يتبنوا ان الضمان لا يمكن أن يعد سبباً لكسب الملكية ابتداءً كالاستيلاء، لأن الاستيلاء هو إحراز لعين مباحة لا مالك لها بنية تملكه، ولكن العين في الضمان ثابتة الملك لشخص معين ثم تنتقل بالضمان إلى الضامن، ولذلك لا يعد الضمان سبباً لكسب الملكية ابتداءً^(٦٥).

يفهم مما سبق أن الضمان لا يندرج ضمن الاسباب المنشئة للملكية، بل يعد من الاسباب الناقلة للملكية، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هل يعد الضمان ضمن اسباب كسب الملكية بسبب الوفاة أم بين الاحياء، ليس هناك وفاة حتى نستطيع القول ان الضمان يندرج ضمن كسب الملكية بسبب الوفاة، كذلك لا يمكن الجمع بين الميراث والوصية والضمان بالخلفية، فهذا المصطلح فضلاً عن غرابته لم يلاق استحساناً من شراح القانون المدني^(٦٦)، فلذلك يعد الضمان من الاسباب الناقلة بين الاحياء وذلك لان ملكية الضامن لا تنتقل الا من وقت نشوء سبب الضمان في مقابل التعويض الذي يدفعه، فلذلك يعد الضمان سبباً مضافاً إلى الاسباب الاخرى لنقل الملكية^(٦٧).

٦٣- د. عبد الرزاق السنهوري، المرجع السابق، ج2، ص187.

٦٤- وهذا ما أخذ به القانون المدني الاردني، وقد توسع القانون المدني الاردني بمعنى الخلفية إذ يقصد بها خلافة شيء عن شيء لكي يتسع هذا المعنى للتضمنين. للتفصيل ينظر د. محمد وحيد الدين سوار، المرجع السابق، ص528.

٦٥- د. محمد سليمان الأحمد، المرجع السابق، ص124. د. محمد وحيد الدين سوار، المرجع السابق، ص80. د. سعد حسين، المرجع السابق، ص٣٤.

٦٦- د. محمد سليمان الأحمد، المرجع السابق، ص124. د. سعد حسين، المرجع السابق، ص45.

٦٧- د. سعد حسين، المرجع السابق، ص47 وما بعدها.

ومما تجدر الإشارة إليه يوجد تصنيف فقهي للعلامة السنهاوري لأسباب كسب الملكية، وزد هذا التصنيف اما إلى التصرف القانوني أو للواقعة المادية، فالعقد والوصية يدخلان ضمن التصرف القانوني، والاستيلاء والميراث والاتصاق والشفعة والحيازة يدخلان ضمن الواقعة المادية، والسؤال الذي يطرح نفسه في أي قسم يمكن أن ندرج الضمان، ويتسنى لنا الاجابة على هذا السؤال بالقول ان لا دخل للإرادة في الضمان المترتب على الغصب أو الاتلاف لأن القانون من يحدد الآثار وبمجرد الوقوع المادي للفعل حتى ولو لم تنصرف الإرادة إلى هذا الأثر، فيندرج الضمان ضمن الواقعة المادية، والتسائل السابق يقودنا إلى تساؤل جديد وهو ان الضمان لم يذكر ضمن أسباب كسب الملكية، فهل نحتاج إلى تعديل النص القانوني بإضافة الضمان ضمن أسباب كسب الملكية، ام ان اسباب كسب الملكية لم ترد على سبيل الحصر، ولالإجابة عن ذلك ثمة رأي يذهب إلى ان اسباب كسب الملكية لم ترد على سبيل الحصر، فمن اسباب كسب الملكية النص القانوني، مثل صدور قانون يملك شخص معين قطعة أرض معينة، ومن أسباب كسب الملكية صدور قرار القضائي المنشئي، مثل تملك الدار السكنية للمتعهد له إذا سكن الدار أو إذا أحدث المتعهد له أبنية أو منشآت بدون معارضة تحريرية من قبل المالك (المتعهد)، والارادة المنفردة تعد سببا لكسب الملكية على الرغم من عدم ذكرها ضمن التصنيف الفقهي أو القانوني، فالوصية وهي من صور الارادة المنفردة تعد سبباً لكسب الملكية وكذلك كسب الملكية من قبل الشخص الموعود بالجائزة بعد أن أتم العمل الموجب للوعد، وعليه تعد أسباب كسب الملكية المذكورة في القانون المدني واردة على سبيل المثال^(٦٨)، فهناك أسباب منشئة للملكية مثل الاستيلاء وهناك اسباب ناقلة للملكية أصلاً دون ان تكون تابعة لغيرها وتشمل العقود الناقلة للملكية مثل البيع والهبة وغير ذلك من العقود الناقلة للملكية، وكذلك الحيازة والقرار القضائي المنشئي الذي بموجبه يتم نقل الملكية وغير ذلك من التصرفات والوقائع والنصوص والقرارات الداخلة ضمن هذا النوع، وكذلك أسباب ناقلة للملكية تبعاً وتشمل كل تصرف أو واقعة لم توضع لكسب الملكية أصلاً وإنما وضعت لترتيب آثار قانونية غير نقل الملكية لكن نقل الملكية يتبع ذلك التصرف أو الواقعة تبعاً، مثل الضمان الذي وضع جزاء مدني ضد من وجب عليه كالعاصب ولم يضع كسبب لكسب للملكية أصلاً، وهناك أسباب ناقلة للملكية بطريق الخلافة مثل الميراث والوصية^(٦٩).

المبحث الثالث: عدم كسب الملكية بالضمان

ويذهب هذا الاتجاه الفقهي إلى أن الضمان لا يكون سبباً لكسب الملكية فأن ظهرت العين بعد تغييها من قبل العاصب فالعين ما زالت ملكاً للمغصوب منه لا للعاصب وكذلك تغير العين لا ينشأ للعاصب حقاً، فمن غصب عيناً مثل الحديد وغيرٍ فيها بحيث تبدل الاسم والمنفعة إلى سكين لم يملك العين، وما زالت العين ملكاً للمغصوب منه، وللمغصوب منه مطالبة العاصب أرش النقص حتى لو أضاف العاصب شيئاً على العين المغصوبة في سبيل تغييرها فإنه لا يستحق أي تعويض مقابل ذلك وبصرف النظر عن زيادة قيمة

٦٨- د. محمد سليمان الأحمد، المرجع السابق، ص 130.

٦٩- د. سعد حسين، المرجع السابق، ص 47 وما بعدها.

العين المغصوبة بسبب التغيير لان الغاصب عمل في ملك غيره بدون أذنه لذا لا يستحق التعويض^(٧٠)، وبرروا ذلك بعدة تبريرات منها أن المغصوب لا يصح تملكه بالبيع، فلا يصح تملكه بالتضمين وكذلك أن تملك المغصوب منه للبدل وعدم تملك الغاصب للمغصوب ليس جمعا للبدل والمبدل، بدليل أن المغصوب منه ملك القيمة للحيلولة بينه وبين ما يملك لا على سبيل العوض، ولهذا اذا رد المغصوب إليه رد القيمة إلى الغاصب وكذلك القول بان تغير العين المغصوبة يؤدي لتملكها سيؤدي لتفشي الظلم فان اراد الغاصب تملك العين فما عليه الا تغييرها، وكذلك أن حرمة مال المؤمن تقتضي عدم تملكه بالغصب^(٧١)، ومن شراح القانون المدني من أيد هذا الاتجاه وسبب ذلك باحترام قواعد الملكية التي تقتضي عدم جعل عدوان الغاصب مبرراً للتملك، وكذلك لوان الغاصب قام بالتغيير فيا يملكه لبقيت العين له، فكذلك الحال لو فعل الغاصب بملك الغير^(٧٢).

يذهب فقهاء الجعفرية ان ما قالت به الحنفية من ان تغير الذات يستدل من تغير الاسم ومن ثم أن الملكية تكسب بالضمان لم يركن هذا الرأي إلى ركن ركين، فأن تبدل الاسم لا أثر له في تغير الذات وانما المدار على انقلاب الذات، فمن غصب حنطة وطحنها فإن الدقيق وان اختلف عن الحنطة بالاسم ولكننا في النهاية آزاء حقيقة واحدة وأكثر الخواص فيها متساوية فنحن امام تغير في الصفات لا الذوات، وان صيرورة الحب المغصوب إلى قمح ليس من باب الهلاك مثل ما قالت به الحنفية، فالهلاك يقتضي زوال المادة، والمادة هنا نمت واتسعت، وليس كما يقول به الحنفية من ان المادة عدمت ووجد الزرع من شيء آخر، فالمقام ليس مقام إيجاد وإعدام للمادة، بل تلك المادة أرتقت من حب إلى زرع، اما تغير الذوات فمثاله انقلاب الخل خمرا او انقلاب الخشب فحما، وحتى في هذين المثالين يبقى الخمر والفحم ملكاً للمغصوب منه لأنهما عينا ماله ولا يعد ملكا للغاصب فلو ان الغاصب غير فيما يملكه لم يخرج عن ملكه فكذلك في ملك الغير^(٧٣)، ولو جعلنا الغاصب مالكا للعين المغصوبة المتغيرة فأننا قد فتحنا باباً لكل من يريد عينا ان يملكها رغما عن مالكةا فما عليه الا ان يغصب العين ويغيرها لكي يملكها، وأن تغير العين المغصوبة لا يغير المالك^(٧٤).

ومما تجدر الاشارة إليه إلى أن المغصوب منه عندما يستلم البدل من الغاصب، فلا يكون البدل المستلم لقاء تملك الغاصب العين وانما يكون لقاء حيلولة العين عن المغصوب منه، وقد يرد اشكال مقتضاه ان المغصوب منه يملك البدل لقاء العين المغصوبة ولرفع على هذا الاشكال نقول بأن الغاصب

٧٠- الشيرازي، المذهب، ج١، مطبعة البابي الحلبي، ١٣٤٣ هـ، ص ٣٦٨-٣٧٢. تقي الدين محمد بن أحمد الفتوح الحنبلي (ابن النجار الحلبي)، منتهى الارادات في جمع المقنع، ج١، مكتبة دار العروبة، القاهرة ١٣٥٧ هـ، ص ٥١٢. عبد الجبار شرارة، أحكام الغصب في الفقه الإسلامي، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٧٥، ص ١٥٩.

٧١- أورد هذه التبريرات د. محمد سليمان الأحمد، كسب الملكية بضمان ضرر المال، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٨٠-٨١).

٧٢- د. محمد وحيد الدين سوار، المرجع السابق، ص ٢٩. د. ابراهيم فاضل الدبو، المرجع السابق، ص ٢٧٥. ٧٣- للتفصيل ينظر، الطوسي، المبسوط، ج٣، ص ٧٢. محمد الحسين كاشف الغطاء، ج٣، المرجع السابق، ص ١٤٩ وما بعدها. وكذلك ذهب المذهب الزيدي إلى ما تقدم من القول للتفصيل ينظر احمد بن يحيى بن المرتضى، البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الامصار، ج٤، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، ص ١٨٢. بينما ذهب الشهيد الثاني وهو من فقهاء الامامية إلى أن الخمر والفحم خرجت من ملك المغصوب منه لأنهما أصبح بمنزلة التلف، للتفصيل ينظر زين الدين بن علي (الشهيد الثاني)، مسالك الافهام إلى تنقيح شرائع الاسلام، ج٢، مؤسسة المعارف ص ١٦٣ وما بعدها.

٧٤- ابي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ابن حزم الاندلسي)، المحلى، ج٧، مكتبة الجمهورية، مصر ١٩٦٩ م، ص ١٢٤.

يملك البديل ملكية مؤقتة مادامت العين عند الغاصب فأَن ردت العين نقول بأن المَغْصُوب منه البديل للغاصب^(٧٥).

وذهب الشافعية إلى أن الغاصب لا يكسب ملكية العين بالضمان وذلك لأن العين تعد قائمة ويمكن للمَغْصُوب منه حتى بعد استرداد العين المتغيرة المطالبة بالتعويض (أرش النقص)^(٧٦) وذهب الحنابلة أن من يغصب عَصيراً فينقلب خلاً فعلى الغاصب رد العين المغصوبة وذلك لأن العين المَغْصُوب ملك المَغْصُوب منه لا الغاصب وتعد العين باقية لم تلتف، وعلى الغاصب دفع التعويض لقاء ما فعله^(٧٧)، ولو افترضنا جدلاً أن الملكية تكسب بالضمان لكان ذلك يعد سبباً لكسب الملكية دائماً، فالعين التي تملك أو تلتف يلتزم المهلك أو المتلف بالضمان إذا كانت يده يد ضمان، ولكنه لن يملك العين لقاء ما يدفعه من ضمان لهلاك العين أو تلفها وكل ما عليه أن يدفع قيمة العين أن كانت من القيميات أو مثله أن كانت من المثليات مع التعويض عن الأضرار الأخرى أن وجدت، ولا يقال لمن أهلك العين مالك لعدم وجود العين التي يملكها، ولنفاء المادة، والمقابل الذي يدفعه الضامن لا يجعله مالكا للعين ولا يجعل لمن استلم المقابل إلا مالكا للتعويض، ولكن قد يصدق على من استلم المقابل وصف المالك إذا تملك مثل العين المالكة أو التالفة وما يكسب الملكية هو تغير العين بفعل الغاصب، أما الضمان فيكون أثراً لفقدان المالك ملكية العين أو لأمر آخر أثر على الملكية، فالضمان لم يكن سبباً من أسباب كسب الملكية وفق القانون المدني العراقي وما جعل الغاصب مالكا هو تغير العين وما الضمان إلا تعويضاً عن الملكية أي أن الضمان هو مقابل حرمان المالك السابق (المَغْصُوب منه) ملكيته على العين ومنافعها، و مما يجعل الغاصب يكسب ملكية العين هي تغير العين وذلك لأن العين لم تبق على حالتها السابقة فيلتزم الغاصب بدفع القيمة.

وثمة رأي في الفقه الاسلامي يذهب إلى ما تقدم في أن التغير في المَغْصُوب هو الذي يكسب الملكية ويذهب الى ان الغاصب يملك المَغْصُوب بمجرد تغيره لأنه بمجرد التغير وتبدل الاسم ينقطع حق ملكية المالك ولا يتوقف على اداء الضمان له، وإن العين المغصوبة، بتغيرها، لم تعد ملك المَغْصُوب منه، وإذا كانت العين غير مملوكة للغاصب أو المَغْصُوب منه يقتضي أن تكون العين بلا مالك، وهذا ما لم يقله أحد فلهذا يقتضي أن يملك الغاصب العين، أما الضمان ففائدته في حلية الانتفاع بالمَغْصُوب لا التمليك^(٧٨)، وثمة رأي آخر يبتني الرأي السابق و يذهب إلى أن حلية الانتفاع الغاصب للعين تكون حتى قبل الضمان ولكن الغاصب يلتزم بالضمان بعد الانتفاع^(٧٩).

وقد يُشار سؤال في المنحى نفسه هوان الضمان يكسب الملكية بشرط تصرف الغاصب بالعين المغصوبة فقد نصت المادة(200) من القانون المدني العراقي على أن ((إذا تصرف الغاصب في المال

٧٥- ينظر الفتاوي الهندية - لجنة برئاسة نظام الدين البلخي، دار الفكر، دون ذكر سنة الطبع، ص. الباب الثامن، وعلي حيدر، المجلد الثاني، المرجع السابق، ص 531.

٧٦- أبو اسحاق ابراهيم بن علي بن يوسف (للشيرازي الشافعي)، المذهب، ج1، دار الفكر، بيروت، دون ذكر سنة الطبع، ص 377.

٧٧- د. عبد الجبار شرارة، المرجع السابق، ص 160.

٧٨- د. عبد الجبار شرارة، المرجع السابق، ص 161.

٧٩- جعفر سبحاني، رسائل فقهية، ج1، ط1، مطبعة مؤسسة الصادق، قم، 1429 هـ.ق، ص 395. الشيرازي، المذهب، ج1، المرجع السابق، ص 324.

المغصوب معاوضة او تبرعا وتلف المغصوب كلا او بعضا كان للمغصوب منه الخيار في تضمين من شاء فان ضمن الغاصب صح تصرفه وان ضمن من تصرف له الغاصب رجع هذا على الغاصب بضمان الاستحقاق وفقا لأحكام القانون^(٨٠).

ونجيب على ذلك ان الضمان لا يكسب الملكية بدليل ان للمغصوب منه الخيار ان شاء رجع على من تصرف اليه الغاصب واسترد العين اذا كانت باقية ومن ثم يرجع المتصرف له على الغاصب بضمان الاستحقاق اذا كان التصرف بيعا او هبة^(٨١) أو يرجع المغصوب منه على الغاصب بالضمان فينفذ تصرف الغاصب، والمادة المذكورة سلفاً تبين وبوضوح ان الغاصب لا يكسب الملكية لأنها اشترطت شرطين للضمان اولها تصرف الغاصب بالعين المغصوبة، وثانيها تلف العين بعد الغصب، فاذا توافر الشرطان المتقدمان فلمغصوب منه الخيار بالرجوع بالضمان على الغاصب او على من تصرف اليه الغاصب بالضمان مثل ما ذكرنا سلفاً، ولا يقال هنا ان الغاصب او من تصرف اليه الغاصب مالكان لتلف العين وفنائها.

وقد يثار سؤال يرد في الاتجاه نفسه أن من يتلف بعض العين او يهلك بعض العين يتملك ما بقي من العين مقابل ما دفعه، وللإجابة على هذا السؤال نقول هل بقي العين على حاله ام تغير، ففي حالة الهلاك الجزئي تزول معظم أجزاء العين او بعضه فالعين لا تطلب لذاتها انما تطلب لمنافعها، فان زال بعض او معظم منافع العين لم تعد العين على ما كانت عليه، اي ان العين لم تبق على صورتها السابقة بل تغيرت، وفي التلف الجزئي زالت عن العين معظم او بعض منفعه، ومن ثم لم تبق العين على حالها بل دخلها التغير، ولتقريب الفكرة نضرب المثال الاتي فلو ان دار سكنية قد تهدمت جزئيا فان الغاصب يضمن مقابل تملكه قيمة الانقراض، ولكن هذه الانقراض لم تعد تسمى عقارا بل تسمى منقول، فالتغير واضح حتى في التسمية، ونجد في القانون المدني العراقي ان من يهدم جزءاً من العقار دون وجه حق فالخيار لصاحب العقار، ان شاء ترك الانقراض للهادم مقابل ان يدفع الهادم قيمة العقار مبنيا مع التعويض عن الاضرار الاخرى، وما يدفعه الهادم لم يكن لقاء قيمة ما تملكه من أنقراض بل ما دفعه لقاء قيمة العقار مبنيا مع التعويض عن الاضرار الاخرى، او يختار صاحب العقار أن يرجع على الهادم بالتعويض ويسترد الانقراض مع انقاص قيمتها من التعويض حتى لا يكسب صاحب العقار المهدم قيمة الانقراض من دون سبب و بعبارة اخرى ان هادم العقار في الحالة الاولى قد كسب لا الملكية نفسها بل الملكية المتغيرة عن الحالة السابقة، وما جعله مالكا لبقايا العين هو التغير ايضا وليس الضمان^(٨٢).

وقد يرد تساؤل في المنحى نفسه ان العين التي تكسب بالتغير هل تكون عين مثلية أم عين قيمية، ويمكن الاجابة عن ذلك بأن العين القيمية تكسب بالتغير، اما العين المثلية فكذلك تكسب بالتغير، ولا

٨٠- ويلاحظ ان النص المتقدم تضمن عبارة ان المغصوب منه اذا ضمن الغاصب(صح تصرفه) وكان الاصول مسلکا ايراد عبارة نفذ التصرف بدلا من صح التصرف، وذلك بأن العقد غير النافذ موقوف على اجازة من له حق الاجازة، بينما ايراد عبارة صح التصرف توجد في العقد القابل للأبطال وهذا ما لم يأخذ به القانون المدني العراقي، للمزيد ينظر مصطفى ابراهيم الزلي، نظرية الالتزام برد غير المستحق، المرجع السابق، ص 337 وما بعدها.

٨١- ينظر المادتين (613-614) من القانون المدني العراقي.

٨٢- ينظر نص المادة (187) من القانون المدني العراقي. علي شاكرو، المرجع السابق، ص 72.

يمكن التمسك بالقول طالما ان المثلثات لا تهلك فأثما لا تتغير، فمثلاً لو غصب أحدهم طناً من الحديد وغيره بحيث تبدل اسمه فيلتزم الغاصب بتعويض طن من الحديد آخر لوجود المثلث في السوق، ولكن الحديد المغصوب المتغير مازال عند الغاصب ولا يمكن إرجاعه إلى المغصوب منه لتغير العين ولتبدل الاسم وما على الغاصب ألا إرجاع العين المثلية المشابهة للعين المغصوبة، فالعين المتغيرة أصبحت ملك الغاصب لأنها عين معينة بالنوع بل لأنها أصبحت عين معينة بالذات، فالعين المثلية بمجرد افرازها عدت عيناً معينة بالذات وهذا ما نص عليه القانون المدني العراقي في المادة (248/ف2) إذ جاء فيها ((إذا ورد الالتزام بنقل الملكية أو أي حق عيني على شيء لم يعين إلا بنوعه فلا ينقل الحق إلا بتعيين الشيء بالذات)) (٨٣).

ويبدو ان أصحاب الرأي الذين يقولون ان الملكية تكسب بالتغير أرجح من أصحاب الرأي الذين يقولون بكسب الملكية بالضمان، ففي الوديعة لو اختلطت عين من ملك المودع مع عين من ملك المودع منه بقوة القاهرة بحيث يتعسر تفريق المالكين، يعد كل منهما شريكاً في العين المختلطة فلاختلاط أدى إلى الملكية في العين الاخرى، وما الاختلاط إلا صورة من صور التغير، فقد بينا سلفاً أن التغير هو انتقال من حال إلى حال أخرى، وهو ما حدث في الاختلاط إذ أصبحت العين من حال إلى حال أخرى . ولا يمكن ان نعد الاختلاط هلاكاً أو تلفاً، وذلك لان الهلاك يقتضي زوال العين من الوجود بمقوماته الطبيعية، بينما في الاختلاط العين موجودة، وكذلك لا يمكن ان نعد الاختلاط تلفاً لان التلف يقتضي إخراج العين من المنفعة المطلوبة، بينما الاختلاط لا يخرج العين من منفعتها، فلم يبق القول إلا بأن الاختلاط صورة من صور التغير (٨٤).

فقد نصت المادة (789) من مجلة الاحكام العدلية على أن ((إذا خلط المودع الوديعة بأذن صاحبها على الوجه الذي ذكر في المادة السابقة، أو اختلطت مع مال آخر بدون صنعة بحيث لا يمكن تفريق أحد المالكين عن الآخر، اشتركوا معاً على قدر حصتهما)). فيفهم مما تقدم أن الخلط بين الاعيان بأذن المودع أو حدوث الخلط نتيجة قوة القاهرة، يصبح المودع والمودع عنده العين شريكين في الملك كل بحسب حصته في كليتي الحالتين بشرط ان لا يمكن التفريق بين الحصتين، فلا ضمان أحدهما على الآخر لعدم وجود التعدي من أي طرف، فلو أن العين هلكت حقيقة بقوة القاهرة عند المودع عنده العين فلا يرجع المودع بالضمان لعدم وجود التعدي، وكذلك بالخلط بين الوديعة وملك المودع عنده لا يرجع أحدهما على الآخر بالضمان لعدم حدوث التعدي، وهذا ما ذهبت اليه الحنفية وعد كل من المودع والمودع عنده العين

٨٣- لان العين المعنية بالنوع لا تنتقل فيه الملكية إلا إذا أصبحت عيناً معينة بالذات وذلك بعد افرازها، فقبل الافراز يصح اطلاق أي من اللفظين على الآخر فالعين المعنية بالنوع ماهي العين مثلية، اما بعد الافراز فلا يصح اطلاق أي من اللفظين على الآخر فتعد العين المثلية ما بعد الافراز عيناً معينة بالذات لكنها لا يمكن تسميتها عيناً معينة بالنوع بعد الافراز. للتفصيل ينظر عباس الصراف، المرجع السابق، ص 224. د. عبد المنعم البدر اوي، الوجيز في عقد البيع، مطبعة النسر الذهبي، مصر، 1998، ص 142.

٨٤- ويوجد رأي لدى الحنفية يرى بأن العين تكون للمودع منه ويكون الضمان عليه، ويوجد رأي لأبو يوسف ويرى ان أقل المال المخلوط يتبع أكثر المال، وان صاحب الحصة الأكبر هو المالك ويغرم صاحب قدر الأكبر حصة صاحب القدر الأقل. السرخسي، ج 11، المرجع السابق، ص 110 .

شريكان في الملك جيراً أن تعذر تفريق العين واختلطت العينين من دون صنعة ولا تفريط من أحد^(٨٥)، وذهبت المالكية إلى الرأي نفسه وذلك لانعدام السبب الموجب للضمان^(٨٦).

وذهبت الحنابلة إلى أن خلط الوديعة بأذن صاحبها لا يوجب الضمان لأن المودع فوض المودع عنده فعد المودع منه نائباً عن المودع، وذهب الجعفرية إلى أن اختلاط الوديعة قهراً يصبح المودع والمودع عنده شريكان في الملك وتعد الشركة اجبارية أو اختيارية على رأي ولا ضمان أحدهما الآخر لأن الضمان يدور مدار التعدي فأن لم يوجد تعدي فلا ضمان^(٨٧).

وقد نصت المادة (٩٥٥/٢) من القانون المدني العراقي على أن ((إما إذا خلط الوديعة بملكه بأذن صاحبها أو اختلطت بلا صنعة بحيث يتعسر تفريق المالكين، يصير الوديعة شريكاً للمالك الوديعة. فأن هلك المال بلا تقصير، فلا ضمان على الوديعة الشريك)). يفهم مما تقدم أن الاختلاط وهو من صور التغير هو سبب تملك الوديعة لملك الوديعة وجعله شريكاً بالعين المختلطة والعكس كذلك صحيح لتملك مالك الوديعة لملك المودع وجعله شريكاً بالعين المختلطة نتيجة (التغير) دون أن يكون هناك تعدي من أحدهما على الآخر ودون أن يكون هناك مقابل (الضمان) يدفعه أحدهما للآخر.

الخاتمة

بعد أن بلغنا خاتمة المطاف من هذه الدراسة يلزم أن نسجل أبرز ما توصلنا إليه وما تحصل لدينا من نتائج ومقترحات:

أولاً - النتائج

- ١- للضمان عدة معان وقد رجحنا في بحثنا المعنى المقصود الذي نذهب إلى أنه هو الالتزام بإداء التعويض.
- ٢- يتميز الضمان من أوضاع تتشابه معه مثل المسؤولية العقدية ولكنها يختلفان في أن الضمان يكون في المسؤولية العقدية والتقصيرية وكذلك أن التعويض أثر يترتب بعد قيام المسؤولية.
- ٣- يرى اتجاه في الفقه الإسلامي وهو الفقه الحنفي وجانب من الفقه المالكي وعدد من فقهاء المذاهب الأخرى ويؤيدهم اتجاه من الفقه القانوني وعدد من القوانين المدنية العربية أن الضمان سببا لكسب الملكية.
- ٤- لمن يرى أن الضمان سبب لكسب الملكية يذهب لتوافر عدة شروط أن يكون محل الضمان قابلاً لثبوت الملك فيها ابتداءً وأن تتغير العين المغصوبة وأن يوجد مقابلاً وأن يتنفي قصد الغش لدى الضامن نحو قاعدة الضمان.
- ٥- لمن يعد الضمان سبباً من أسباب كسب الملكية يدرجه ضمن الواقعة المادية ويعده من الأسباب الناقلة للملكية بين الأحياء.

٨٥- الموسوعة الفقهية، ج 43، ط 1، 2005، دون ذكر المطبعة، الكويت، ص 470. السرخسي، ج 11، المرجع السابق، ص 110. و الفتاوى الهندية، ج 4، المرجع السابق، ص 349.
٨٦- المغربي، ج 9، المرجع السابق، ص 259.
٨٧- محمد حسين كاشف الغطاء، ج 2، المرجع السابق، ص 470.

٦- يرى اتجاه في الفقه الإسلامي ان الضمان لا يعد سبباً لكسب الملكية ورجحنا هذا الرأي لعدة تبريرات منها ان الضمان ما هو إلا أثر لقاء ملكية العين وما جعل الغاصب مالكا هو تغير العين وليس التعدي وليس الضمان.

ثانياً - المقترحات

١- ان بقاء النص (194/ف١) من القانون المدني العراقي على ما هو عليه يجعل النص غامضاً في التغيير في الذات أو الوصف، ولعل من يقول ان النص مطلق يجري على إطلاقه، ولكن هذا القول لا يمكن الركون إليه فلو كان التغيير يتعلق بالوصف لكان حكم الفقرة الاولى من المادة (194) يقضي دفع المغصوب منه للغاصب للزيادة وهذا مما لا وجود له في حكم هذه الفقرة، وكذلك ان هذه الفقرة الاولى من هذه المادة تبين ان التغيير يقع دون فعل الغاصب خلاف الفقرة الثانية التي تبين الى ان التغيير من الغاصب، وكذلك ان الفقرة الاولى من هذه المادة لم تبين ان التغيير يحدث بفعل الغير أو بفعل الطبيعة، ويمكن القول ان التغيير يحدث بفعل الطبيعة دون الغير وذلك لو كان التغيير بفعل الغير للزم الخيار للمغصوب منه بالرجوع على الغاصب أو على من قام بالتغيير لان بفعله يعد الغير متعدياً ايضاً، ولذا يبدو من المستحسن تبديل النص إلى ما يأتي ((إذا تغير ذات المغصوب بطبيعته عند الغاصب فالمغصوب منه بالخيار أن شاء أسترده المغصوب عيناً مع التعويض عن الأضرار الاخرى وان شاء ترك المغصوب ورجع على الغاصب بالضمان)).

٢- يلاحظ على نص المادة (200) من القانون المدني العراقي تضمنه عبارة ان المغصوب منه إذا ضمن الغصب صح تصرفه وكان الاصول مسلماً إيراد عبارة نفذ تصرفه بدلاً من صح تصرفه، وذلك بأن العقد غير النافذ موقوف على إجازة من له حق الإجازة بينما إيراد عبارة صح تصرفه توجد في العقد القابل للأبطال وهذا مالم يأخذ به القانون المدني العراقي ولذا يبدو من المستحسن تبديل النص إلى ما يأتي ((إذا تصرف الغاصب في العين المغصوبة معاوضة أو تبرعاً وتلف المغصوب كلاً أو بعضاً كان للمغصوب منه الخيار في تضمين من شاء فأن ضمن الغاصب نفذ تصرفه هوان ضمن من تصرف إليه الغاصب رجع هذا على الغاصب بضمان الاستحقاق وفقاً لأحكام القانون)).

المراجع

بعد القران الكريم

أولاً- كتب اللغة:-

- 1-أ- حمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج 1 المكتبة العلمية.
- 2- جمال الدين ابن الفضل محمد بن مكرم (ابن منظور)، لسان العرب، الجزء السابع عشر، دار الرسالة، الكويت، 1973 .
- 3- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت دون ذكر سنة الطبع.
- 4- محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، الجزء التاسع، ط2، الكويت، دون ذكر سنة الطبع.

5- المعجم الوسيط، قام بإخراجه ابراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار، الجزء الاول، مطبعة مصر، 1960.

ثانياً - كتب الفقه الاسلامي:-

- ١- ابن رشد القرطبي، بداية المجتهد، ج ٢، دار الفكر، من دون ذكر مكان وسنة الطبع.
- ٢- أبو اسحاق ابراهيم بن علي بن يوسف (للشيرازي الشافعي)، المهذب، ج ١، دار الفكر، بيروت، دون ذكر سنة الطبع.
- ٣- أبي حامد بن محمد بن أحمد الغزالي، الوجيز، ج ١، مطبعة الآداب والمؤيد، مصر، دون ذكر سنة الطبع.
- ٤- احمد (الدردير المالكي)، الشرح الصغير، ج ٣، المكتبة الكبرى، دون ذكر سنة ومكان الطبع.
- ٥- احمد بن يحيى بن المرتضى، البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الامصار، ج 4، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، دون ذكر سنة الطبع.
- ٦- تقي الدين محمد بن أحمد الفتوحي الحنبلي (ابن النجار الحلبي)، منتهى الارادات في جمع المقنع، ج 1، مكتبة دار العروبة، القاهرة دون ذكر سنة الطبع.
- ٧- جعفر سبحاني، رسائل فقهية، ج 1، ط 1، مطبعة مؤسسة الصادق، قم، 1429 هـ. ق.
- ٨- زين العابدين بن ابراهيم بن نجيم، شرح الاشباه والنظائر، الجزء الثاني، دار الكتب العالمية بيروت، دون ذكر سنة الطبع.
- ٩- سلمان بن عمر بن محمد (البجيرمي)، حاشية البجيرمي على منهج الطلاب، ج 2، المكتبة الاسلامية، ديار بكر.
- ١٠- سليمان بن خلف (الباجي) المنتقى شرح الموطأ، ج 5، دار الكتاب الاسلامي، دون ذكر سنة ومكان الطبع.
- ١١- شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي (الشافعي الصغير) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، ج 5، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1357 هـ.
- ١٢- شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي سهل (السرخسي)، المبسوط، دار المعرفة بيروت، 1986.
- ١٣- عبد الجبار حمد شرارة، أحكام الغصب في الفقه الاسلامي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1975.
- ١٤- د. عبد السلام داود العبادي، الملكية في الشريعة الاسلامية، القسم الأول، الطبعة الأولى، مكتبة الأقصي، عمان، 1974.
- ١٥- عبد الله محمد الحزني، شرح الخرشي على مختصر خليل، بيروت، دار الصادر، من دون ذكر سنة الطبع.
- ١٦- أبو الحسن علي بن أبي بكر الرشداني المرغيناني، الهداية شرح بداية المبتدئ، ج 4، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990.
- ١٧- ابي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ابن حزم الاندلسي)، المحلى، ج 8، مكتبة الجمهورية، مصر، 1969 م.

- 18- د. علي الخفيف، الضمان في الفقه الاسلامي، القسم الاول، منشورات معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، بلا سنة طبع.
- ١٩- ابي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (الشافعي)، الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي، ج6، ط1، دار الكتب العلمية، 1994.
- ٢٠- الفتاوي الهندية - لجنة برئاسة نظام الدين البخاري، دار الفكر، دون ذكر سنة الطبع.
- ٢١- أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، الخلاف، ج2، دار العالم الاسلامي، بيروت، من دون ذكر سنة الطبع.
- ٢٢- محمد أمين بن عمر (ابن عابدين)، رد المختار على الدر المختار، ج4، دار الكتب العلمية، بدون ذكر سنة الطبع.
- ٢٣- محمد الحسين كاشف الغطاء، تحرير المجلة، الجزء2، الطبعة الثانية، المركز العلمي للتقريب بين المذاهب، 1432هـ.
- ٢٤- محمد بن حسن بن علي (الطوسي) المبسوط في فقه الامامية، ج2، المكتبة الرضوية، 1387 هـ، دون ذكر مكان الطبع.
- ٢٥- محمد حسن النجفي، ج21، جواهر الكلام، من دون ذكر المطبعة ولا مكان الطبع.
- ٢٦- محمد بن علي الشوكاني، نيل الاوطار، الجزء الخامس، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٢٧- الموسوعة الفقهية، ج43، ط1، دون ذكر المطبعة، الكويت، 2005.
- ٢٨- د. مصطفى إبراهيم الزلي، نظرية الالتزام برد غير المستحق (دراسة مقارنة)، ط2، المكتبة القانونية، بغداد، من دون ذكر سنة الطبع.
- ٢٩- موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد (ابن قدامة المقدسي)، المغني، الجزء الخامس، دار الحديث، 2004.
- ٣٠- كمال الدين بن عبد الواحد (ابن الهمام)، البحر الرائق شرح فتح القدير، الجزء6، دار أحياء التراث العربي، 1316 هـ.

ثالثاً - الكتب القانونية:-

- ١- د ابراهيم فاضل الدبو، ضمان المنافع دراسة مقارنة في الفقه الاسلامي والقانون المدني، الطبعة2، دار عمار للمطابع التعاونية، عمان، 2001.
- 2- د. حسن علي الذنون، شرح القانون المدني، أصول الالتزام، مطبعة المعارف بغداد، 1970.
- 3- د. حسن علي الذنون، شرح القانون المدني، العقود المسماة، الشركة الرابطة، بغداد، 1954.
- 4- د. حسن علي الذنون، المبسوط في المسؤولية المدنية، الجزء2، الخطأ، مطبعة العزة بغداد، 2001.
- 5- جبار صبار طه، إقامة المسؤولية المدنية على العمل غير المشروع على عنصر الضرر، مديرية مطبعة جامعة الموصل، 1984.
- 6- د. سعدي اسماعيل البرزنجي، ملاحظات نقدية في القانون المدني دار الكتب القانونية، مصر، 2010 م.
- 7- سليمان مرقس، محاضرات في المسؤولية المدنية في تقنينات البلاد العربية، القسم الأول (الأحكام العامة)، معهد الدراسات العربية العالية، 1958.

- 8- شاكِر ناصر حيدر، الوسيط في شرح الحقوق العينية الاصلية، ج1، مطبعة المعارف بغداد، 1959.
- 9- عارف العارف، مجموعة الأحكام للأموال غير المنقولة، مطبعة المعارف، بغداد، 1948 م.
- 10- د. عباس الصراف، شرح عقد البيع في القانون الكويتي، ط1، دار البحوث العلمية، الكويت، دون ذكر سنة الطبع.
- 11- د. عبد الرزاق أحمد السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، مصادر الالتزام، دار أحياء التراث العربي، دون ذكر سنة الطبع.
- 12- د. عبد المجيد الحكيم، الموجز في شرح القانون المدني العراقي، ج1، مصادر الالتزام في المقارنة والموازنة بين الفقه الغربي والفقه الإسلامي، الطبعة 3، شركة الطبع والنشر الأهلية، بغداد، 1969.
- 13- د. عبد المنعم البدر اوي، الوجيز في عقد البيع، مطبعة النسر الذهبي، مصر، 1998.
- علي حيدر، درر الأحكام شرح مجلة الأحكام، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010.
- 14- د. علي هادي العبيدي، الوجيز في شرح القانون المدني الحقوق العينية، ط10، دار الثقافة، عمان، 2014.
- 15- د. ليلى عبد الله الحاج سعيد، النظرية العامة لضمان اليد، ط1، مطبعة الجمهور الموصل 2001 م.
- 16- محمد سعيد المحاسني، شرح مجلة الأحكام العدلية، المجلد الثاني، (الكفالة والحوالة والرهن والأمانات والهبة والغصب والحجر والإكراه والشفعة)، مطبعة الترقى، دمشق، 1346 هـ، 1927 م.
- 17- د. محمد سليمان الأحمد، كسب الملكية بضمان ضرر المال، دار النهضة العربية، القاهرة، 2005.
- 18- محمد كامل مرسي، شرح القانون المدني الجديد، العقود المسماة، ج2 (الهبة والعارية والقرض، الدخل الدائم المترتب مدى الحياة)، ط2، مطبعة لجنة البيان العربي، 1952.
- 19- د. محمد وحيد الدين سوار، شرح القانون المدني الاردني، الحقوق العينية الاصلية، ج2، مكتبة دار الثقافة، عمان، 1994.
- 20- د. يوسف محمد عبيدات، الحقوق العينية والأصلية والتبعية، ط1، دار المسيرة، 2011.

رابعاً - الرسائل والاطاريح والبحوث:-

- 1- د. سعد حسين عبد الملحم، كسب الملكية بالضمان، بحث منشور في مجلة كلية الحقوق - جامعة النهرين، المجلد 10، العدد 19، كانون الأول 2007.
- 2- علي شاكِر عبد القادر، التغير الجبري لمالك العين وأثره في التصرفات القانونية (دراسة مقارنة)، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية القانون جامعة كربلاء، 2013.
- 3- محمد باقر الصدر، الحوالة حقيقتها وبعض مقوماتها، بحث منشور في قراءات فقهية معاصرة في الاقتصاد الإسلامي، ج2، ط1، مطبعة الغدير، بيروت، 2004.
- 4- محمد عبد الوهاب محمد، تغير الشيء وأثره في التصرفات والوقائع القانونية، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة بغداد لسنة 2006.

خامساً - الدوريات:-

- 1- مجموعة الاحكام العدلية، العدد الثاني، السنة الثالثة عشر، 1982.

سادساً: -القوانين

- 1-القانون المدني العراقي رقم 40 لسنة 1951 المعدل.
- 2-القانون المدني مع مجموعة الأعمال التحضيرية، مجموعة الأعمال التحضيرية للقانون المدني، الجزء الثاني، مطبعة الزمان، بغداد، 2002 .
- 3-القانون المدني المصري رقم 13 لسنة 1948 المعدل.
- 4-القانون المدني الاردني رقم 43 لسنة 1976.

الأساليب الدعائية لتنظيم داعش في شبكات التواصل الإجتماعي

The methods of propaganda to organize Daash in web
Dr. Israa Shakir Hasan م.د. اسراء شاكر حسن^(١)

المستخلص

تنخر شبكة الإنترنت بمناورات كر وفر ما بين الجماعات المتطرفة مثل «داعش» ووحدات مكافحة الإرهاب التابعة لدول عربية و غربية، حيث باتت تلك الجماعات تعتمد على الدعاية الإلكترونية وتستغل «الهاشتاغات» النشطة بمواقع التواصل الاجتماعي، مثل «يوتيوب» و«تويتر» لتنشر لقطات الفيديو بهدف استقطاب وتجنييد مقاتلين أجنب جدد، ويذكر مختصون تقنيون معنيون بشؤون الجماعات المتطرفة، أن فريق «داعش» للدعاية الإلكترونية كبير ومنظم وموزع على جميع وسائل التواصل الاجتماعي الكبرى، مثل «فيسبوك» و«تويتر» و«يوتيوب»، ولكل «ولاية» حسابها الإلكتروني الخاص، مثل حساب «ولاية نينوى» الذي ينشر أخبارها، بالإضافة لحسابات «داعش»، ويجري الاعتماد أيضا على حسابات خاصة أخرى يتابعها عشرات الآلاف.

وبذلك، يغتنم «داعش» وغيره من جماعات متطرفة ذات منهجية حشد للتجنيد فعالية شبكة الإنترنت في الدعاية التي قد تبدأ بـ«تويتر» و«يوتيوب» وغيرهما من المواقع المعروفة، ولكنها قد تمتد إلى مواقع أقل شهرة في حال حذف المواد من قبل مديري الصفحات.

وعلى هذا الأساس بات لازما إخضاع ظاهرة " داعش " للبحث والدراسة والتحليل والتعرف على أبرز الأساليب الدعائية التي تم انتهاجها من قبله والتي أسهمت في انتشار وتوسع رقعة التنظيم على المواقع الإلكترونية

هذا وقد تم تقسيم البحث الى أربعة فصول: الأول، تناول منهجية البحث من حيث عرض مشكلة البحث وأهميته والهدف من البحث وتقديم الفروض والمنهج الذي تم إتباعه في البحث.

١ - جامعة اهل البيت - /البحر/ -/كلية الاداب/ قسم الصحافة.

أما الفصل الثاني فتلخص في عرض أهم الأساليب الدعائية في العصر الحديث، وتقديم تعريف لأبرز تلك الأساليب، أما الفصل الثالث فقد تطرق إلى تنظيم الدولة الإسلامية أو ما يعرف بـ "داعش" وأبرز مراحل نموه وتطوره.

أما الفصل الرابع والأخير فقد تناول عرض أبرز الأساليب الدعائية التي انتهجها تنظيم "داعش" في حربه الإعلامية عبر استخدامه لوسائل التواصل الاجتماعي والتي تم ملاحظتها من خلال البحث والدراسة والتقييم.

وفي نهاية البحث خلصت الباحثة إلى وضع الاستنتاجات بما يخص هذا البحث والخروج بتوصيات قد تسهم في وقف امتداد هذا التنظيم عبر وسائل التواصل الاجتماعي..

Abstract

The internet abounds with maneuvers of attack and retreat, between extremist groups like "ISIS" and counter-terrorism units following Arabic and western states, where these groups depending on net propaganda and used the "Hash tags" in the social media like "YouTube" and "twitter", to publish video scenes to achieve the intention of polarizing and recruitment of new foreigner fighters.

Technical specialists in extremist groups affairs. That "ISIS" team for net propaganda are huge and organized, distributed himself on all the major social networking sites, and every seigniory had her own account Email, like the account of "Nineveh seigniory" which published her news, with the additionally accounts of "ISIS", and depended also on other personal accounts, followed by tens of thousands.

Because of that, "ISIS" and the other extremist groups, had mobilize methodology for recruitment the effectiveness of internet in propaganda, which begin with "Twitter" and "YouTube", and other known sites, but she me exceed to another sites which had lower fame in those sites case that the managers eliminates some materials.

On this ground, it is necessary to subjugate "ISIS" phenomenon for research, study, analyze, and identify the highlighted propaganda styles which used from him, and which participate in dissemination and expanded of organization on the net.

For that the research divided to four semesters, first one, take the research methodology from offering the problematic of the research, his importance, the goal of search, provide hypotheses, and the syllabus which was taken in the search.

The second semester abstract, was the presentation for the importance propaganda methods in the modern history, and introducing a definition for

the highlighted methods, the third semester has touched to " ISIL" or which is known as " ISIS", and the highlighted faces of his growth and development.

the forth- final chapter, was taken the presentation of prominent propaganda methods which used by " ISIS" in his media war from his used to the social networking sites, and which noticed from the research. Study, and evaluation, and in the end of search, the researcher developed the conclusions, related this search, came out with recommendations may contribute in interception of this organization through the social networking sites..

المقدمة

إن ظاهرة (داعش) وانتشارها على شبكة الانترنت ولا سيما شبكات التواصل الاجتماعي، والدور الذي تلعبه الأساليب والوسائل التي ينتهجها (تنظيم الدولة الإسلامية) فرض إخضاع التنظيم إلى البحث والدراسة ولا سيما بعد الانعطافات الكبيرة التي أوجدها التنظيم على إستراتيجية الدول في التسليح وطرق المواجهة والمواثيق والاتفاقيات في سبيل مواجهة ومكافحة الإرهاب بشكل منظم ودولي.

ولعل ابرز ما يمكن ملاحظته، ما حصل في سوريا وما تلاه في بعض محافظات دولة العراق، ولاسيما محافظة الموصل التي احتلها التنظيم في ساعات معدودة بعد تراجع وانسحاب الجيش العراقي مما ولد صدمة كبيرة للأوساط السياسية والعسكرية في العراق والولايات المتحدة الأمريكية التي تولت إعادة بناء الجيش العراقي بعد عام ٢٠٠٣م.

كما إن تلك الأحداث أعطت انطبعا عن هشاشة المنظومة الإعلامية والعراقية والعربية في مواجهة وسائل (تنظيم الدولة الإسلامية) والتي يبتها عبر شبكات التواصل الاجتماعي بأسلوب دعائي معاصر. وسعى البحث للوقوف على أبرز تلك الأساليب والتي أثبتت نجاحها سيما وإنها أسهمت في نمو وتوسع مناطق نفوذه وأعداده بشكل لم يشهد له مثيل مع التنظيمات الإرهابية الأخرى عبر استخدام الدعاية الالكترونية.

عليه ركز البحث على تحديد تلك الأساليب من خلال متابعة الأفلام التي تعكس حركة التنظيم وإدارته للمعارك والمناطق التي يسيطر عليها، فضلا عن اختياره لأسلوب ما والتأكيد عليه من خلال بثه الكترونيا ومدى تأثير ذلك الأسلوب على المتلقين، وكيف أستطاع التنظيم عبر استخدامه لتلك المواقع من كسب تعاطف البعض وتجنيد البعض الآخر وانضمامهم للقتال ضمن صفوفه.

كما حرص البحث على إظهار الوجه الحقيقي لتنظيم (داعش) من خلال كشف الأساليب الدعائية التي ينتهجها وأكد على أبرز طرق مواجهة تلك الأساليب مع التأكيد على ضرورة إيجاد سياسة إعلامية موحدة والعمل وفق إستراتيجية إستباقية وفعالة لرصد المواد الأرهابية التي تبث من خلال محاربة تلك المواقع والحملات المضادة للتنديد بأفعال التنظيم ووحشيته للقضاء على أيديولوجيته المتطرفة، مع الأخذ بنظر الاعتبار الاستفادة من الأخطاء السابقة التي لم يحسن السياسيون والإعلاميون التعامل معها مما

سيسهم في زيادة وعي المتلقين والتعرف على أبرز طرق مواجهة تلك الرسائل والتعاون مع الجهات ذات العلاقة للقضاء على تنظيم الدولة الإسلامية.

هذا وقد تم تقسيم البحث الى أربعة فصول: الأول، تناول منهجية البحث من حيث عرض مشكلة البحث وأهميته والهدف من البحث ومجتمع البحث وعينته والمنهج الذي تم إتباعه في البحث. أما الفصل الثاني فتلخص في عرض أهم الأساليب الدعائية في العصر الحديث، وتقديم تعريف لأبرز تلك الأساليب، أما الفصل الثالث فقد تطرق إلى تنظيم الدولة الإسلامية أو ما يعرف بـ "داعش" وأبرز مراحل نموه وتطوره.

أما الفصل الرابع والأخير فقد تناول عرض أبرز الأساليب الدعائية التي انتهجها تنظيم "داعش" في حربه الإعلامية عبر استخدامه لشبكات التواصل الاجتماعي والتي تم ملاحظتها من خلال البحث والدراسة والتقييم.

وفي نهاية البحث خلصت الباحثة إلى وضع الاستنتاجات بما يخص هذا البحث والخروج بتوصيات قد تسهم في وقف امتداد هذا التنظيم عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

الفصل الاول:

أولاً: مشكلة البحث:

يعد اجتياح تنظيم الدولة الإسلامية في العراق وبلاد الشام أو ما يسمى بتنظيم "داعش" لمحافظة الموصل وسيطرته على مناطق عدة من العراق من أبرز المنعطفات الكبيرة التي مرت وعصفت بالعملية السياسية، حيث ألقت ظاهرة انتشار هذا التنظيم الضوء على ضعف الجيش العراقي الذي أعادت الولايات المتحدة بناءه بعد اجتياح العام ٢٠٠٣. ويرى خبراء إن واشنطن باتت في موقف محرج، كما إنها أعطت انطباعاً عن هشاشة الإعلام العراقي والعربي في مواجهة الرسائل المؤثرة التي بثها التنظيم من خلال استخدامه لأبرز وسائل الدعاية المعاصرة.

لذا فأن مشكلة البحث تتلخص في التساؤل التالي: ما هي الوسائل الدعائية التي استخدمها تنظيم الدولة الإسلامية أو ما يعرف بـ "داعش" في بث رسائله الاعلامية للجمهور في العراق بصورة خاصة والعالم بشكل عام؟.

ثانياً: أهمية البحث:

أهمية كل بحث تأتي من (أهمية المشكلات التي يثيرها والموضوعات التي يتناولها والمجالات التي يمتد إليها)^(١)، كما تبرز أهمية البحث في ما يمكن ان يقدمه من معلومات ومعطيات وفق منهج علمي قد يُسهم في محاربة و استئصال هذا التنظيم من الناحية الاعلامية وكشفه للرأي العام عن طريق محاربته بنفس اساليبه الدعائية التي استخدمها في بث رسائله والتي سيتم عرضها من خلال هذا البحث.

ثالثاً: هدف البحث:

يسعى البحث عن الأساليب الدعائية لتنظيم الدولة الإسلامية أو ما يعرف بـ "داعش" في المواقع الإلكترونية إلى الوقوف على التالي:

١. تحديد أبرز تلك الأساليب التي يتم استخدامها من قبل أفراد التنظيم ولاسيما عبر شبكات التواصل الاجتماعي للدعاية والحشد والتي أثبتت إنها ساهمت في نمو وتوسع هذا التنظيم بطريقة لم تشهد لها مثيل مع التنظيمات الإرهابية التي سبقتها.
٢. إعطاء صورة للحكومات للإستراتيجية التي ينتهجها التنظيم وتقديم أبرز الطرق العلمية التي قد تسهم في كشف ضعف التنظيم وهشاشته. وبذلك قد يستغل مندوه الاعتماد الكبير على الدعاية الإلكترونية لمحاربته من خلالها، والقضاء على وجوده، من خلال استئصاله من شبكات التواصل الاجتماعي.

رابعاً: مجتمع البحث وعينته

يتحدد مجتمع بحثنا هذا في تحديد وسائل الدعاية المستخدمة في مواقع التواصل الاجتماعي، أما العينة التي تم اخضاعها للبحث فهي شبكات التواصل الاجتماعي (الفايس بوك، يوتيوب و تويتر).

خامساً: منهج البحث:

يقصد بمنهج البحث (الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقائق في العلوم المختلفة بوساطة طائفة من القواعد التي تهيمن على العقل وتحدد عملياته من أجل الوصول عن طريق ذلك إلى نتائج معلومة)^(٣)، ويعد هذا البحث من البحوث الوصفية التي تعنى بدراسة واقع الأحداث والظواهر والمواقف والآراء وتحليلها في سبيل الوصول إلى أهدافه عن طريق جمع الافلام التي يبثها التنظيم و توصيفها بشكل علمي دقيق.

وأسلوب تحليل المضمون هو (أحد الأساليب المستخدمة في دراسة وسائل الاتصال المكتوبة و المسموعة والمرئية)^(٤)، ومعنى ذلك إن الباحثة يمكنها أن تقوم بتحليل الرسائل الإعلامية لاختبار خصائص الرسالة او النص، على شرط إن تقوم عملية التحليل بصفة منتظمة وعلى وفق أسس منهجية ومعايير موضوعية للوقوف على مضمون المواد الإعلامية وتناولها بالشرح والتفسير الملائم.^(٥) وعلى وفق متطلبات بحثنا اعتمدنا أسلوب تحليل المضمون النوعي، وتطلبت عملية التحليل بعض الخطوات والإجراءات لتحديد الأساليب الدعائية لتنظيم "داعش" في شبكات التواصل الاجتماعي، وقد تلخصت تلك الخطوات بالاتي:

٣- صالح بن حمد العساف، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، (الرياض: شركة العبيكان للطباعة والنشر، ١٩٨٩م)، ص ١٦٩.

٤- د. عواطف عبد الرحمن وآخرون، تحليل المضمون في الدراسات الإعلامية، (القاهرة: دار ساحة للطباعة، ١٩٨٣م)، ص ١٣.

٥- د. أحمد بدر، اصول البحث العلمي ومنهجه، (ط٨)، (الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٨٦م)، ص ٣٥٩.

١. متابعة وتسجيل عدد كبير من المقاطع والصور والأفلام الواقعية لمعارك التنظيم في سوريا والعراق والتي تم بثها عبر شبكات التواصل الاجتماعي للفترة (٢٠١٤/١/١) ولغاية (٢٠١٤/١٠/٣٠)، ولاسيما موقع "اليوتيوب" و "الفيس بوك".
٢. تبويب المعلومات المتعلقة بعمل ونشاطات التنظيم فيما يخص الأساليب الدعائية الواردة في الافلام والصور.
٣. تصنيف الأفكار والقيم الواردة في تلك الصور والأفلام على وفق عدة محاور وشرحها بشكل علمي، في ضوء مضمون الأفلام من خلال الحوارات اللفظية والمقاطع الصوتية و سيتم التطرق إليها في الفصل الرابع والأخير من هذا البحث.

الفصل الثاني: الأساليب الدعائية في العصر الحديث

تتعدد وسائل الإعلام الممكن استخدامها في الدعاية، و من الممكن أن تبدأ الحملة بوساطة دعائية بسيطة كالمنشورات أو الإعلانات وبصفة عامة ستحمل هذه الوسائط أساليب الحصول على قدر أكبر من المعلومات سواء عن طريق موقع على شبكة إنترنت أو خطوط تليفون أو برنامج إذاعي... إلخ. تهدف الإستراتيجية إلى تحويل الفرد من مستقبل للمعلومات إلى باحث عن المعلومات ومن ثم إلى صاحب رأي عن طريق التلقين.^(٦)

هذا و تعتمد عدد من تقنيات الدعاية على نفس أساليب أبحاث علم النفس الاجتماعي ففي كثير من الأحيان يتم الاعتماد على المغالطات المنطقية حيث يقوم القائم بالدعاية باستخدام عبارات مقنعة وإن كانت غير سليمة أو واقعية، هذا ويعتمد الإعلاميون والمعلنون -على حد سواء- على التطور الملفت في تقنيات الإعلام والتسويق، حيث تستفيد معظم الجامعات المختصة بمهذين الفرعين من دراسات تقنيات التأثير والاتصال، والتي تتركز في معظمها على النفوذ إلى العقل الباطن والتأثير اللاواعي على اهتمامات المتلقي ورغباته، ثم توجيهها وفق مصالح النخبة.^(٧)

وبناء على ذلك يمكن تلخيص أكثر الأساليب الدعائية شيوعاً في النقاط التالية:

١. استغلال الاعلام لتسمية الأشياء بغير مسمياتها

بما أن وسائل الإعلام تمسك اليوم بزمام الرأي العام وتعمل على توجيهه وصياغته على النحو الذي تريد، فإن ذلك يستتبع بالبدهة تحكمها في المفاهيم والمصطلحات التي تتداولها وتسعى لتدويلها بين الناس، إذ تتجنب غالباً التعرض المباشر للقضايا التي ترغب في تغييرها، وإنما تعمل على إعادة صياغتها بلغة جديدة تناسب مع سياساتها وبثها بين الناس الذي يتقبلونها لا شعورياً على المدى الطويل.^(٨)

ومثال على ذلك تسمية الجيش العراقي بجيش المالكي او الهالكي، واطلاق التسميات على افراد الجيش الشعبي بالمليشيات او العصابات في بعض وسائل الاعلام.

٦- أحمد دعدوش، أساليب الدعاية المعاصرة.. الغاية تبرر الوسيلة، مجلة البيان، العدد ٢٣٨.

٧- صبري كريم صبري، الإعلام الإلكتروني ساحة حرب مفتوحة للجماعات الإرهابية، موقع قناة الإتحاد، نشر بتاريخ ٢٠١٤/٧/٧، أطلع عليه بتاريخ ٢٠١٤/١١/٢٥، رابط الموقع: <http://aletejahtv.org/permalink/21627.html>.

٨- أحمد دعدوش، أساليب الدعاية المعاصرة، مصدر سبق ذكره.

٢. التكرار ومحدودية وسائل الاعلام

هو التكرار المستمر لفكرة عادة ما تكون في صورة شعار بسيط أو لفظ جذاب وبالتكرار تتحول إلى ما يمكن اعتباره جزء من الحقيقة. هذا الأسلوب ناجح في حالة محدودية وسائل الإعلام^(٩)، إذ لا يكفي المعلنون عادة بمجرد التنميط والكذب، بل يعمدون كثيراً إلى التكرار المستمر لشعاراتهم وحملاتهم الإعلامية التي تلاحق الناس أينما ذهبوا، وقد يلجأ البعض إلى التكرار في عرض إعلاناتهم غير المباشرة ليحصلوا نتائج أكثر فعالية من الإعلان المباشر عندما يكون التصريح مثيراً للحساسية أو الرفض.

٣. الاعتماد على رجال الدولة والشخصيات اللامعة

ويكون بذكر أشخاص أو مؤسسات بارزة ذات مصداقية عالية لتأييد الفكرة / رأي / قرار والاستفادة من الشخصيات اللامعة، وهو أسلوب شائع وشديد الخطورة، ولا نقصد به هنا الاقتصار على جذب مشاهير الفن والرياضة للإعلان التجاري، مع ما في ذلك من تبعات سيئة على الجيل الناشئ الذي يتخذ من هؤلاء قدوة في السلوك، ولكن الأمر قد يصل إلى حد الخداع بالاستفادة من بعض الانتهازيين من المفكرين والعلماء الذين لا يتورعون عن الممالأة وتقديم بعض الآراء في قوالب فكرية مصطنعة، مع التأكيد على إبرازها تحت أسماء هؤلاء المشاهير بما يحملونه من ألقاب قد تصاغ خصيصاً لإضفاء المزيد من التأثير.^(١٠)

وهنا نشير إلى أسلوب انتهازي يسرف الاعلام في تطبيقه، عبر تمرير الكثير من الأفكار والتوجهات تحت أسماء عربية وإسلامية، يراد لها أن تتبوأ مركز الريادة والتوجيه، ويتم تقديمها تحت مسميات من قبيل: "الباحث الاستراتيجي"، "الخبر في شؤون كذا"، "المفكر الإسلامي المستنير"، وتكمن الخطورة هنا في بث الأفكار المستوردة باللسنة محلية وأسماء مقبولة ومعروفة، بدلاً من الاستعانة بأسماء وألقاب أجنبية قد تثير بعض الحساسية.

٤. التخويف

حشد الرأي العام عن طريق إثارة الفزع أو الذعر مثل كشف جوزيف بول جوبلز لمخطط "ألمانيا يجب أن تفتنى" بقيادة ثيودور كاوفمان.^(١١)

٥. الافضلية في عرض فكرة

استخدام عبارات دالة أو وإشارات تضيف قيمة أو تفضيل أخلاقي لمتبع الرأي مما يشوه متبعي الرأي الآخر مثل "دافع الضرائب الكادح في عمله لا يوافق على رأي رافضي العمل".

٩- مينا غبور، داعش تستخدم تكتيك جنكيزخان في حربها النفسية، موقع دوت مصر، نشر بتاريخ ٢٣ / ٨ / ٢٠١٤، أطلع عليه بتاريخ ٢٠١٤/١١/١٢، رابط الموقع:

<http://www.dotmsr.com/details/%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%81-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A3%D8%B3%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%A8-%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D8%B4-%D9%81%D9%8A-%D8%AD%D8%B1%D8%A8%D9%87%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%81%D8%B3%D9%8A%D8%A9>

١٠- صبري كريم صبري، الإعلام الإلكتروني ساحة حرب مفتوحة للجماعات الإرهابية، مصدر سبق ذكره.

١١- مينا غبور، داعش تستخدم تكتيك جنكيزخان في حربها النفسية، مصدر سبق ذكره.

٦. القطيع

هو إقناع الرأي العام بالاقتناع بالرأي الذي يؤمن به الجميع وينقسم هذا الأسلوب إلى قسمين رئيسيين:

أ - النصر المحتم

إقناع الأفراد خارج التنظيم بالانضمام إلى طريق النصر المحتم والحفاظ على من هم داخل التنظيم بتأكيد حتمية النصر.

ب - الانضمام إلى الحشد

يعتمد على الغريزة البشرية في الانضمام إلى الجانب المنتصر من خلال التأكيد أن الجانب المختار لا يمكن مقاومته ومن الأفضل الانضمام إليه.^(١٢)

٧. الصواب والخطأ

تقديم إختارين فقط لا بديل عنهما. إما معنا (الصواب) أو ضدنا (الخطأ).

٨. توظيف المشاهير

الدعاية عن طريق المشاهير أو تصوير مجموعة من الأشخاص الجذابين السعداء للدعاية للفكرة التي ستجلب سعادة ماثلة و يستخدم هذا عادة في الدعاية التجارية.^(١٣)

٩. اعتماد أسلوب الكذب "نظرية غوبلز"

تكرار ذكر مجموعة من الأحداث المركبة للتدليل على صحة القرار التالي لها. يعتمد هذا الأسلوب على ذكر الأحداث بصورة صادقة مع مزجها بكذبة كبيرة أو تعميم هذه الكذبة بحيث يمكن خداع الرأي العام والتحايل على كيفية تفسيرهم لهذه الأحداث.

١٠. الرأي المنطقي ورأي الشارع

يعتمد على إقناع الرأي العام على أن الرأي المعروض هو رأي رجل الشارع وهو الرأي المنطقي، ويعتمد هذا الأسلوب على استخدام اللغة الدارجة ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية.^(١٤)

١١. التقليل من شأن الآخر

يعتمد هذا الأسلوب على تشويه صاحب الرأي المخالف بجعله من طبقة أدنى / غير ذي قيمة / عديم الأخلاق والقيم عن طريق الإتهامات الباطلة.

١٢ - توماس، تيموثي، القاعدة و شبكة الإنترنت، نشر بتاريخ ٢٠٠٣، أطلع عليه بتاريخ ٢٠١٤/٧/١٥، رابط الموقع: www.army.mil/usawc/Parameters.

١٣ - Crystal Clear app kdect.png مقال مفصلة: الرنجة الحمراء.

١٤ - توماس، تيموثي، المصدر السابق نفسه.

١٢. اتخاذ القرارات من قبل رجل السلطة

يعتمد هذا الأسلوب على تبسيط عملية اتخاذ القرار باستخدام صور أو عبارات توجه الجمهور للفعل المطلوب مباشرة وإلغاء أي خيار أخرى متاحة ويمكن مزجه مع أسلوب "الاعتماد على السلطة" عن طريق توجيه الرسالة بواسطة شخصية سلطوية / ممثلة للسلطة وإن كان هذا غير ضروري.

١٣. نشر السعادة لرفع الروح المعنوية

يعتمد هذا الأسلوب على نشر حالة من السعادة والانتشاء أو افتعال أحداث تؤدي إلى رفع الروح المعنوية ومن أمثلة هذا الأسلوب: العروض العسكرية، الخطابات الحماسية.

١٤. التزوير وإخفاء المعلومات

يعتمد هذا الأسلوب على اختلاق أو إخفاء المعلومات من الوثائق الرسمية عن الرأي العام بهدف نشر معلومة خاطئة عن حدث معين أو مجموعة معينة قد يكون هذا من خلال عدة طرق مثل تزوير / تشويه الصور والمستندات والتسجيلات.^(١٥)

١٥. تبرير الأخطاء

يعتمد هذا الأسلوب على تبرير بعض الأحداث بأن القيام بعمل معين يزيد من الانتماء أو يفيد الجموع أو الفكرة. الإحساس بالانتماء هنا قد يلهي الفرد عن الحكم على القضية بشكل موضوعي.

١٦. التعميمات البراقة

الاعتماد على تعبيرات وألفاظ براقة دون أن يكون لها تحليل أو تفسير موضوعي.

١٧. المزج بين الحقائق والأكاذيب

الاعتماد على نشر خطاب خادع / مغلوطن ممزوج ببعض الحقائق أو يعتمد على التورية وقد يكون الخطاب مزيج بين الحقيقة والأكاذيب أو يحتوي على بعض الحقيقة فقط أو يحتوي على ألفاظ تحمل أكثر من وجه لتفادي اللوم.

١٨. الاعتماد على التعميمات الغامضة

الاعتماد على نشر تعميمات غامضة/ مبهمه من الممكن يؤولها الجمهور حسب ما يرى الهدف هنا هو تحريك الرأي العام عن طريق رسالة غامضة بهدف توجيههم دون استخدام أسلوب فج وصریح.

١٩. التأكيد على الأنكار

يعتمد الأسلوب على إقناع الجمهور باستنكار/ نبذ فكرة لأنها تلقى قبولاً عند جماعات مكروهة/ منبوذة وأن انتشار هذه الفكرة بين الجمهور سيدفعه إلى نفس الدونية.

٢٠. تبسيط المعقد من الأفكار

الاعتماد على تعميمات لمنح إجابات مبسطة لمسائل اجتماعية أو اقتصادية أو عسكرية معقدة.

٢١. توظيف الاقتباسات خارج سياقها

اختيار وتعديل الاقتباسات خارج سياقها لتغيير المعنى وعادة تستخدم في السياسة لتشويه الخصم.^(١٦)

٢٢. الحض على كراهية الطرف الآخر

يعتمد على إطلاق أسماء تحض على الكراهية ونيزد الطرف الآخر نشر أحكام مسبقة عن الطرف الآخر ورسم صورة سلبية عنه ويعتمد هذا على إثارة الاستنتاجات بدون تحليلها.

٢٣. التبشير

يعتمد على استخدام التعميمات البسيطة لتعليل أحداث أو أفعال أو قناعات معينة وعادة ما يتم استخدام ألفاظ غامضة أو جذابة للتبشير.

٢٤. الالتفاف حول الموضوع

عرض بيانات أو موضوعات أو أسباب جاذبة ومشتتة للإنتباه و خارج عن الموضوع لقطع الموضوع الأصلي.^(١٧)

٢٥. الابتعاد عن ذكر سلبيات الفكرة

يستخدم هذا الأسلوب عند محاولة زيادة مصداقية (الترغيب) فكرة والتشدد عند محاولة تشويه فكرة، فعلى سبيل المثال إذا أردت ذكر محاسن فكرة معينة فتساهل في ذكر مساوئها (هون من مساوئها) وأكثر من ذكر الحسنات.^(١٨)

٢٦. الشعارات لأستثارة المشاعر

الشعار هو جملة رمزية قد تتضمن تصنيف أو قولبة أو نشر صورة نمطية وقد يكون هدفها نشر فكرة معينة ولكن في جميع الأحوال تعتمد على استثارة المشاعر.^(١٩)

٢٧. الأحكام المسبقة وقولبة الرأي المخالف

تعتمد على نشر أحكام مسبقة من خلال تصنيف وقولبة الرأي المخالف في صورة مكروهة / مرفوضة من الجمهور قد يتم الاعتماد في نشر الصورة المطلوبة على ذكر أنماط سلوكية مناسبة للصورة المراد نشرها حتى وإن كانت غير دالة على الإطار السلوكي العام أو كانت تصرفات شاذة غير سائدة يعتمد هذا الأسلوب بشدة على ذكر وقائع أو حقائق إستدلالية أو نوادر، ولعل هذا الأسلوب من أكثر أساليب الدعاية شيوعاً ووضوحاً، إذ تقدم لنا وسائل الإعلام وجهات نظر أصحابها الخاصة في كل شيء، كأن يُحرص على تقديم المسلم في صورة رجل طويل اللحية غريب الملبس، أو في صورة امرأة تتشج بالسواد وتجلس في مقعد السيارة الخلفي، حيث يعمل تكرار هذه الصورة على الربط التلقائي لكل ما تستدعيه

١٦- مينا غبور، داعش تستخدم تكتيك جنكيزخان في حربها النفسية، مصدر سبق ذكره.

١٧- احمد دعدوش، اساليب الدعاية المعاصرة، مصدر سبق ذكره.

١٨- صبري كريم صبري، الإعلام الإلكتروني ساحة حرب مفتوحة للجماعات الإرهابية.

١٩- احمد دعدوش، اساليب الدعاية المعاصرة، مصدر سبق ذكره.

من توابع قد لا يُصرح بها، فيغدو الإسلام مرتبطاً في ذهن الغربي بكل الصفات السلبية التي تستطعن بها تلك الصورة دون البحث عما يمكن أن يخفيه المظهر الخارجي من قيم ومبادئ تُقصى عمداً عن الطرح والمناقشة.^(٢٠)

٢٨. الاستشهادات

هو استخدام الاقتباسات اللفظية سواء كان كاملاً أو مقتطعاً أو سواء كان في محله أو غير محله بهدف تعصدي/ نقد فكرة أو هدف أو حدث أو شخص معين ويعتمد هذا على سمعة ومصداقية المنقول عنه للتدليل على قوة الاقتباس وصلاحيته للموقف.

٢٩. الإسقاط وإشارة الرأي العام

هو إسقاط صفات إيجابية أو سلبية على فرد أو مجموعة أو قيمة معين ويهدف إلى استشارة الرأي العام تجاه الهدف من الدعاية سواء بالسلب أو الإيجاب.

٣٠. توظيف الفاظ الوعظ

استخدام ألفاظ ذات مضمون إيجابي في منظومة القيم الخاصة بالجمهور عند الرغبة في نشر صورة إيجابية عن فكرة ما.

٣١. الأرقام والإحصائيات ونتائج الاستفتاء لتأكيد المصداقية

إنَّ هذا الأسلوب يضفي الكثير من المصداقية على الخبر المراد ترويجه، إذ تعتمد وسائل الإعلام — الأمريكية منها على وجه الخصوص — إلى دعم الكثير من الأخبار والإعلانات باستفتاءات وإحصائيات تنسب عادة إلى بعض الجهات المتخصصة ذائعة الصيت، وبالرغم من شيوع القول بأن هذه المؤسسات البحثية والإحصائية قد اكتسبت شهرتها بسبب مصداقيتها ونزاهتها، إلا أنه من غير الممكن أيضاً التأكد من ذلك بأي وسيلة كانت.^(٢١)

٣٢. عدم التعرض للأفكار السائدة

يؤكد الباحثون في مجال الإعلان اليوم على ضرورة تجنب الصدام مع المتلقي، إذ فشلت الكثير من المحاولات السابقة في فرض بعض التوجهات والآراء على الرأي العام عنوة، ومن ذلك مثلاً قرار تحريم الخمر الذي صدر عام ١٩٢ في الولايات المتحدة بمجهود "رابطة مقاومة الحانات"، والتي قامت بحملة إعلانية كبيرة طبعت من خلالها أكثر من ١٥٧ مليون نشرة وملبوني كتاب وخمسة ملايين نسخة من الكتيبات وملبوني ملصق (بوستر) وثمانية عشر مليوناً من البطاقات، تدعو جميعها إلى توعية الناس بأضرار الخمر على جميع الأصعدة، فكانت النتيجة أن نشأت جمعية أخرى مناهضة لهذا القرار. ومع أنها لم تكن تملك من الإمكانيات الإعلانية ما تملكه الجمعية الأولى، فإن الغلبة كانت لهذه الثانية بعد أن تحول تجار الخمر من التجارة المشروعة إلى الاحتكار والابتزاز والتحايل على السلطات،

٢٠- توماس، تيموثي، مصدر سبق ذكره.

٢١- مينا غبور، داعش تستخدم تكتيك جنكيزخان في حربها النفسية، مصدر سبق ذكره.

وربما انتشر تداول الخمر بين العامة بصورة أكبر من ذي قبل، مما أدى بالتالي إلى إلغاء القرار بعد ثلاثة عشر عاماً من صدوره، وعدم التجرؤ على الاصطدام الحاد بالأفكار السائدة في المجتمع.

٣٣. منح حق الرد للأطراف كافة

إنَّ الحرية الفكرية أمر مطلوب في كل المجتمعات، إلا أن هذه الدعوى قد تبدو كلمة حق أريد بها باطل، إذ إنها كثيرٌ ما تؤدي إلى نتيجتين على قدر من الخطورة:

أولهما منح أصحاب الآراء والتوجهات الشاذة فرصة الظهور على مسرح الأحداث وكأنهم أصحاب تيار حقيقي كامل، يملك الحق في الوجود والتعايش مع الآخرين، ويبحث عن موطن قدم مريح وهادئ، تماماً كما يقدم الإعلام الغربي الشاذين جنسياً على أنهم مجرد "مثليين" يتمتعون بحس عاطفي بريء تجاه أمثالهم في الجنس، ويسعون لاكتساب احترام الآخرين وتفهم رغباتهم النفسية والجسدية.

النتيجة الثانية: هي كسب تعاطف المتلقي عبر تقديم هذه التوجهات الشاذة في صورة عاطفية تداعب الأحاسيس، بدلا من طرحها للنقاش العلمي والفكري كأن تجري مداولتها في مناظرات علمية حقيقية تعطي الحق للمخالفين في تنفيذها بالتساوي مع حق أصحابها في الطرح، وقد قدمت هوليوود مؤخراً فيلماً سينمائياً يعرض قصة اثنين من رعاة البقر الشاذين في صورة إيجابية تدفع المشاهد للتعاطف اللاشعوري، وهو الأمر الذي أكدته ردود أفعال الكثيرين ممن شاهدوا الفيلم كما ورد في مجلة النيوزويك، واعترفوا بتغيير نظرهم كلياً تجاه الشذوذ الجنسي! (٢٢)

٣٤. التأكيد على تهميش رأي الآخر

بالرغم من تساهل وسائل الإعلام مع أصحاب الآراء الشاذة في عرض وجهات نظرها، إلا أنها غالباً ما تغفل الآراء التي لا تتفق مع مصالحها بشكل شبه تام، فتقدم وجهات نظرها على أنها من المسلمات التي يتفق عليها الجميع دون نقاش، وتتجنب حتى الرد على الرأي الآخر خشية تسليط الضوء عليه والمساعدة على انتشاره بلفت الأنظار إليه. ومن ذلك تقديم الديمقراطية الليبرالية الغربية على أنها الحل المجمع عليه في الكثير من وسائل الإعلام العربية وكأن المجتمع العربي - الإسلامي بكافة أطيافه قد قال كلمته في ذلك! (٢٣)

٣٥. الابتعاد عن القضايا المثيرة للخلاف

إنَّ الإعلام الموجه يتجنب غالباً التعرض للقضايا المثيرة للخلاف، بل يتجاوزها إلى ما هو أبعد منها ليتعامل مع الواقع من حيث هو، مما يؤدي لا شعورياً إلى ترسيخ هذا الواقع في وجدان المتلقي إلى درجة التعايش معه وتقبله دون التساؤل عن صحته وحقه أصلاً في الوجود فضلاً عن الاستمرار، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى، ومن أهمها إغفال حقيقة دولة الكيان الصهيوني واغتصابها للأرض والمقدسات، والتعامل معها على أنها دولة موجودة على أرض الواقع وتملك كافة مقومات الوجود، دون التعرض لحقيقة قيامها المصطنع، وقد أدى هذا التعامل السيئ للإعلام العربي مع القضية الفلسطينية إلى تقبل

٢٢- صبري كريم صبري، الإعلام الإلكتروني ساحة حرب مفتوحة للجماعات الإرهابية.

٢٣- أحمد دعدوش، أساليب الدعاية المعاصرة، مصدر سبق ذكره.

الرأي العام العربي لوجود دولة صهيونية في قلب العالم العربي - الإسلامي، دون أي تبعات نفسية أو فكرية عميقة.^(٢٤)

٣٦. النظام الليبرالي وإشارة الغرائز

يعد إثارة الغرائز في وسائل الإعلام هي من أكثر الأساليب وضوحاً لدى المتلقي، إذ يستغل المعلن والإعلامي الغربي مساحة الحرية التي يتيحها النظام الليبرالي في العبث بغرائز المتلقي لتلقيه ما يريد. وقد تهدف الدعاية هنا إلى مجرد لفت الانتباه للترويج لسلعة ما كاستخدام الصور الخليعة في الإعلانات المصورة، أو يمتد الأمر لربط الشيء المعلن عنه بغريزة ما كأن يصبح إشباعها متعلقاً بهذا الشيء، ومن ذلك ربط تدخين السجائر بالرجولة، واستخدام بعض العطور بالجاذبية الجنسية، واقتناء أحد الهواتف النقالة بالمكانة الاجتماعية المرموقة.

ولكن الخطورة هنا ليست مقتصرة على الترويج الرخيص لهذه السلعة أو تلك، بل استحلال إثارة غرائز الناس لأهداف فئة معينة في المجتمع، وتنميط صورة المرأة التي لم تعد تعني أكثر من جسد تتحدد قيمته بمدى تقبل الرجل. علماً بأن الكثير من المنظمات والفعاليات الحقوقية في الغرب تسعى لمناهضة هذا الاستغلال غير الإنساني للمرأة في وسائل الإعلام، ومن ذلك احتجاج إحدى المنظمات النسائية الأسبانية مؤخراً بعد تلقيها ٣٤٢ شكوى ضد المعلنين في العام الفائت، إلا أن الثقافة الليبرالية الطاغية التي قامت في البداية على الاعتراف بحقوق المرأة، قد وقعت في مأزق لا يمكن الخروج منه، ويؤكد ذلك مسعى بعض المفكرين الغربيين الحالي لإنقاذ مبادئ الحرية من براثن الانفلات الأخلاقي.^(٢٥)

٣٧. الشفافية الإعلامية لخلق الثقة

إنَّ اتساع رقعة الحرية والليبرالية وتزايد الاستقلال الفردي للمواطن العادي، دفع الإعلاميين إلى التزام المزيد من الموضوعية والشفافية كسباً للإعلان التجاري الذي يبحث عادة عن الصحف ذات القبول الشعبي، وهكذا ارتبطت الشفافية الإعلامية بمدى تقبل المتلقي وإيمانه بموضوعية وسائل الإعلام، مما ألزم الإعلاميين بالبحث عن وسائل جديدة تحتفظ لهم بحق نشر قيمهم وتأمين مصالحهم دون المساس بولاء المتلقي.

وقد كان الاهتمام منصباً في الأساس على المظهر العام الذي يضفي شعوراً بالموضوعية والكفاءة، إذ يميل الناس عادة إلى الثقة بالمذيع الإخباري أنيق الملبس ولبق الحديث، كما تضيفي التجهيزات المبهرة للاستديوهات ومواقع التصوير، أو الطباعة الراقية للصحف والمجلات، شعوراً بالاحتراف.^(٢٦) فإذا أضفنا إلى هذه العوامل الجاذبة ما سبق الحديث عنه من أساليب دعائية كفتح مجال الحوار للرأي المخالف وعدم التعرض للقضايا الحساسة، فإن ذلك سيعطي صورة إيجابية للمتلقي تمنعه من مجرد التشكيك في مصداقية كل ما يرد إليه من هذه الوسائل الإعلامية.

٢٤- توماس، تيموثي، مصدر سبق ذكره.

٢٥- مينا غبور، داعش تستخدم تكتيك جنكيزخان في حربها النفسية، مصدر سبق ذكره.

٢٦- احمد دعدوش، اساليب الدعاية المعاصرة، مصدر سبق ذكره.

أخيراً، تبرز خطورة هذا التأثير الإعلامي - الدعائي "المؤدج" في توجيه الرأي العام مع توسع دائرة اتصالها بالمتلقي الذي بات يعتمد اعتماداً شبه كلي على وسائل الإعلام في اتصاله مع العالم الخارجي، حتى في تلقي أبسط المعلومات التي يحتاجها في حياته اليومية، إذ بات الكثير من المثقفين فضلاً عن غيرهم يضعون ثقتهم في وسائل الإعلام التي ساعدت الثقافة الشعبية على التأثير في النخبة المثقفة بدلاً من العكس، مما أدى إلى انخفاض المستوى الثقافي بشكل عام، وترسيخ قاعدة "هذا ما يريده الجمهور"، كدستور يضطر لمراعاته كل من يطمح إلى الاستمرار في "سوق" الإعلام، وهي النتيجة الحتمية لطغيان سياسة السوق الحر والليبرالية المحتكرة في أيدي القلة، وخدعة كبيرة يشترك الجميع في مسؤولية إحكام سيطرتها على كرامة الإنسان لتبقى الآمال معقودة على دور العلماء وأصحاب الضمير الحي في كسر هذه الحلقة المفرغة، والإفادة الواعية من تقنيات وسائل الإعلام المذكورة في خدمة الإنسان والارتقاء به بدلاً من الدفع إلى المزيد من الانحطاط.

الفصل الثالث: الدولة الإسلامية في العراق والشام

أولاً: تنظيم الدولة الإسلامية في العراق وبلاد الشام "داعش"

تشكل تنظيم داعش أو ما يسمى بـ(الدولة الإسلامية في العراق والشام) في نيسان ٢٠١٣ وعرف نفسه في البدء على أنه اندماج بين ما يسمى بـ(دولة العراق الإسلامية) التابع لتنظيم القاعدة الذي تشكل في تشرين الأول ٢٠٠٦ وجبهة النصرة في سوريا إلا إن هذا الاندماج الذي أعلن عنه أبو بكر البغدادي، رفضته النصرة على الفور^(٢٧). وبعد هذا الإعلان بشهرين أمر زعيم ما يعرف بـ (القاعدة) أيمن الظواهري بإلغاء الاندماج، غير أن البغدادي خالف هذا الرأي وأكمل العملية لتصبح داعش (الدولة الإسلامية في العراق والشام) واحدة من أكبر الجماعات المتطرفة المسلحة التي تقوم بالقتل والدمار في العراق وسوريا^(٢٨).

يتبنى هذا التنظيم الفكر السلفي الجهادي (التكفيري) ويهدف المنظمون إليه إلى إعادة ما يسموه "الخلافة الإسلامية وتطبيق الشريعة". وأثار هذا التنظيم (الإرهابي) جدلاً طويلاً منذ ظهوره في سوريا، حول نشأته، ممارساته، أهدافه وإرتباطاته، الأمر الذي جعله محور حديث الصحف والإعلام، وما بين التحاليل والتقارير، ضاعت هوية هذا التنظيم المتطرف وضاعت أهدافه وإرتباطاته بسبب تضارب المعلومات حوله^(٢٩).

٢٧- بيرغيد سفانسون و ريم نجمي، حقائق مثيرة عن سقوط الموصل في يد "داعش" قبل عام، موقع DW، نشر بتاريخ ٢٠١٥/٦/١٠، أطلع عليه بتاريخ ٢٠١٦/١١/٢٣، رابط الموقع: <http://www.dw.com/ar>.

٢٨- سروه عبد الواحد قادر، ما هي داعش؟ كيف جاءوا للعراق؟ ما هو مصدر تمويلهم؟ (دراسة مقتضبة عن تنظيم داعش)، نشر بتاريخ ٢٠١٤/٥/١١، أطلع عليه بتاريخ ٢٠١٦/١١/٢٧، رابط الموقع: <http://www.nrttv.com/ar/birura-details.aspx?jimar=2291>.

٢٩- هاني فؤاد الفراه، بالخرائط.. كيف سقطت الموصل؟ ومن المسؤول؟، موقع قناة الحرة، نشر بتاريخ ٢٠١٤/١١/٢٠، أطلع عليه بتاريخ ٢٠١٦/١١/٢٢، رابط الموقع: <http://www.alhurra.com/a/how-mosul-fell-iraq-isis/261101.html>.

فئة تنظر إليه كأحد فروع القاعدة في سوريا، وفئة أخرى تراه تنظيم مستقل يسعى لإقامة دولة إسلامية، وفئة ثالثة تراه صنيعة النظام السوري للفتك بالمعارضة وفصائلها، وهناك من يذهب إلى إن هذا التنظيم ما هو إلا صناعة أمريكية وإسرائيلية، وبين هذا وتلك وذاك... من هي داعش؟^(٣٠).

من ينظر إلى هذا التنظيم يراه اسماً جديداً وهو حديث النشأة خصوصاً بعد ظهوره في سوريا، إلا أنَّ الواقع يؤكد عكس ذلك فإنه ليس بتنظيم جديد، بل هو الأقدم بين كل التنظيمات المسلحة البارزة على الساحة السورية والعراقية خاصة والإقليمية عموماً. تعود أصول هذا التنظيم إلى العام ٢٠٠٤، حين شكل الإرهابي أبو مصعب الزرقاوي تنظيمًا أسماه "جماعة التوحيد والجهاد" وأعلن مبايعته لتنظيم القاعدة الإرهابي بزعامة أسامة بن لادن في حينها، ليصبح ممثل تنظيم القاعدة في المنطقة أو ما سمي "تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين". برز التنظيم على الساحة العراقية أبان التواجد الأمريكي في العراق، على أنه تنظيم جهادي ضد القوات الأمريكية، الأمر الذي جعله مركز إستقطاب للشباب العراقي الذي يسعى لمواجهة الاحتلال الأمريكي لبلاده، وسرعان ما توسع نفوذ التنظيم، ليصبح من أقوى الميليشيات المنتشرة والمقاتلة على الساحة العراقية^(٣١).

وفي نهاية عام ٢٠٠٦ تم تشكيل تنظيم عسكري يختصر كل تلك التنظيمات ويجمع كل التشكيلات الأصولية المنتشرة على الأراضي العراقية، إضافة إلى أنه يظهر أهدافها عبر اسمه... "الدولة الإسلامية في العراق" بزعامة أبي عمر البغدادي. ليخرج الزرقاوي على الملأ في شريط مصور معلنا عن تشكيل مجلس شورى المجاهدين، بزعامة عبد الله رشيد البغدادي، بعد مقتل الزرقاوي في نفس الشهر، جرى انتخاب (أبو حمزة) المهاجر زعيماً للتنظيم، وفي نهاية السنة تم تشكيل دولة العراق الإسلامية بزعامة أبي عمر البغدادي وفي يوم الاثنين الموافق ١٩ ابريل ٢٠١٠ شنت القوات الأمريكية والعراقية عملية عسكرية في منطقة الثرثار استهدفت منزلاً كان فيه أبو عمر البغدادي وأبو حمزة المهاجر وبعد اشتباكات عنيفة بين الجانبين واستدعاء الطائرات تم قصف المنزل ليقبلاً معا وتم عرض جثتيهما على وسائل الإعلام وبعد أسبوع واحد اعترف التنظيم في بيان له على شبكة الإنترنت بمقتلهما وبعد حوالي عشرة أيام انعقد مجلس شورى الدولة ليختار أبي بكر البغدادي خليفة له والناصر لدين الله سليمان وزيراً للحرب^(٣٢).

وبعد اندلاع الأزمة السورية، التي اتخذت في بدايتها طابعاً قمعياً، حيث تجلّت في قمع المظاهرات التي كانت تقام ضد نظام الرئيس بشار الأسد، وسرعان ما أصبحت مسلحة بدأ تكوين الفصائل والجماعات لقتال النظام السوري وفي أواخر العام ٢٠١١ تم تكوين جبهة النصرة بقيادة أبي محمد الجولاني حيث أصبح الأمين العام لها واستمرت الجبهة بقتال النظام حتى وردت تقارير استخباراتية عن علاقتها الفكرية والتنظيمية بفرع دولة العراق الإسلامية بعد ذلك أدرجتها الولايات المتحدة الأمريكية على لائحة المنظمات الإرهابية، وبتاريخ ٩ ابريل ظهر تسجيل صوتي منسوب إلى أبي بكر البغدادي

٣٠- الموصل.. عام على السقوط (انفوغرافيك)، موقع قناة RT، نشر بتاريخ ٢٠١٥/٦/١٠، أطلع عليه بتاريخ ٢٠١٦/١١/٢٥، رابط الموقع: <https://arabic.rt.com/news/785454>.

٣١- هاني فؤاد الفراش، مصدر سبق ذكره.

٣٢- الموصل.. عام على السقوط (انفوغرافيك)، مصدر سبق ذكره.

يعلن فيه إن جبهة النصرة هي امتداد لدولة العراق الإسلامية وأعلن فيها إلغاء اسمي جبهة النصرة ودولة العراق الإسلامية تحت مسمى واحد وهو داعش.

بعد ذلك بفترة قصيرة ظهر تسجيل صوتي لأبي محمد الجولاني يعلن فيه عن علاقته مع دولة العراق الإسلامية لكنه نفى شخصياً أو مجلس شورى الجبهة أن يكونوا على علم بهذا الإعلان فرفض فكرة الاندماج وأعلن مبايعة تنظيم القاعدة في أفغانستان، وعلى الرغم من ذلك فإن للدولة الإسلامية و جبهة النصرة العديد من العمليات العسكرية المشتركة^(٣٣).

فبالعودة إلى العراق منذ ذلك الوقت تم العمل جدياً من قبل مؤسسي الحركات المتطرفة لبناء هيكل محكم للعمل تحت رايته، وجمع قوتهم بدل التشتت لينالوا هدفهم في الخلافة والدولة الإسلامية^(٣٤).

ثانياً: مناطق التواجد في العراق وسوريا:

تشمل سيطرة قوات التنظيم على مساحات محدودة في المحافظات العراقية وتغطي الهجمات التي تشنها كل الاراضى العراقية ولكن تعتبر المحافظات السنية الست او ما يعرف بالمثلث السني هي مراكز تواجد الدولة الإسلامية في العراق.

اما في سوريا فتواجد الدولة الإسلامية وتسيطر على مناطق في محافظات الرقة وحلب وريف اللاذقية ودمشق وريفها ودير الزور وحمص وحماة والحسكة وإدلب، ويتفاوت التواجد والسيطرة العسكرية من محافظة لأخرى فمثلاً لديها نفوذ قوي في محافظة الرقة وفي بعض أجزاء محافظة حلب ولديها نفوذ أقل في حمص واللاذقية.^(٣٥)

أما أهم الأحداث في ٢٠١٣، فهي قيام الجيش السوري بتسليم مدينة الرقة بالكامل لجبهة النصرة في ٢٠١٣/٣/٥، وفي وقت لاحق في صيف سنة ٢٠١٣ أصبحت مدينة الرقة تحت سيطرة الدولة الإسلامية في العراق والشام بشكل كامل، في ٢٠١٣/٤/٩ تم إعلان الدولة الإسلامية في العراق والشام مع كلمة صوتية بثتها قناة الجزيرة. وفي ٢٠١٣/٧/٢٧ انسحب الجيش السوري من بلدة خان العسل في ريف حلب من أمام الدولة الإسلامية في العراق والشام وتم قتل العشرات من جنود الجيش السوري أثناء المعارك وتم أيضاً أسر العشرات من الجنود الذين تم اعدامهم لاحقاً.^(٣٦)

٣٣- سروه عبد الواحد قادر، مصدر سبق ذكره.

٣٤- المصدر السابق نفسه.

٣٥- "داعش" تسيطر على دير الزور.. ومقتل ٦٠٠ شخص، صور نشرت بتاريخ ١١ يونيو ٢٠١٤. اطلع عليه بتاريخ ٢١ يونيو ٢٠١٤، رابط الموقع:

https://www.google.iq/search?q=5.+\%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D8%B4%22+\%D8%AA%D8%B3%D9%8A%D8%B7%D8%B1+\%D8%B9%D9%84%D9%89+\%D8%AF%D9%8A%D8%B1+\%D8%A7%D9%84%D8%B2%D9%88%D8%B1..+\%D9%88%D9%85%D9%82%D8%AA%D9%84+600+\%D8%B4%D8%AE%D8%B5&sa=X&rlz=1C1AOHY_enlQ731IQ733&tbm=isch&tbo=u&source=univ&ved=0ah.UKEwi3zorxu47UAhXDuxQKHXR7DyYQsAQIiw&biw=1366&bih=677

٣٦- الجزيرة، كلمة صوتية، إعلان الدولة الإسلامية في العراق والشام، نشر بتاريخ ٢٠١٣/٤/٩، اطلع عليه بتاريخ ٢٠١٤/١١/١٥.

أعلن البغدادي خطة هدم الأسوار قبل عام بالضبط وبتاريخ ٢٠١٢/٧/٢١ حيث حرر جنود الدولة الإسلامية آلاف المقاتلين الأسرى في سجون الحكومة العراقية في سجن التاجي سجن بغداد المركزي بتاريخ ٢٠١٣/٧/٢١، حرر جنود الدولة الإسلامية آلاف المقاتلين الأسرى في سجون الحكومة العراقية في سجن التاجي سجن بغداد المركزي.^(٣٧)

قبل ذلك وبتاريخ ٢٠١٣/٨/٥ تم الاستيلاء على مطار منغ العسكري على يد الدولة الإسلامية في العراق والشام بتدمير المبنى الرئيسي في المطار بعملية انتحارية.^(٣٨)

قامت الدولة الإسلامية في العراق والشام بإستهداف مقر الأمن العام "الأسايش" في مدينة أربيل عاصمة إقليم كردستان في شمال العراق بسيارات مفخخة وانتحاريين يرتدون أحزمة ناسفة في ٢٠١٣/٩/٢٩.

أما أهم الأحداث التي جرت في ٢٠١٤ فهي، السعودية تصنف داعش كجماعة إرهابية في ٧ آذار.^(٣٩) أما في العاشر من شهر حزيران قام مسلحو تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام في العراق يسيطرون على محافظة نينوى^(٤٠)، وفي ١٧ حزيران من الشهر ذاته سيطرت داعش على حقل "الشاعر" للغاز الطبيعي في حمص.^(٤١) وفي ٢٥ من حزيران سيطرت الدولة الإسلامية في العراق والشام على مقر الفرقة ١٧ بعد اشتباكات عنيفة.^(٤٢)

٣٧- "أبو بكر البغدادي... "الجهادي الخفي" الذي يحرك "داعش"، موقع الجريدة، نشر بتاريخ ٢٠١٤/٧/١٢، اطلع عليه بتاريخ ٢٠١٤/١١/٢٧، رابط الموقع:

<https://www.aljarida.com.tn/%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%87%D8%A7%D8%AF%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B0%D9%8A-%D9%8A%D8%AD%D8%B1%D9%83-%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D8%B4-%D8%A8%D9%86-%D9%84%D8%A7%D8%AF%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%AF-%D8%B5%D8%A7%D8%AD%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%86%D8%A7%D8%B9>

٣٨- السعودية: حزب الله والإخوان وداعش جماعات إرهابية، موقع العربية نت، نشر بتاريخ ٢٠١٤/٣/٧، أطلع عليه بتاريخ ٢٠١٤/٩/٦، رابط الموقع:

<http://www.alarabiya.net/ar/saudi-today/2014/03/07/%D8%A8%D9%8A%D8%A7%D9%86-%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%88%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%84%D9%83%D9%8A.html>

٣٩- السعودية تصنف الإخوان المسلمين وحزب الله السعودي وداعش والنصرة جماعات إرهابية، مصدر سبق ذكره.
٤٠- "مسلحو داعش يقتحمون مقر محافظة نينوى بالموصل". نشر بتاريخ ١٠ يونيو ٢٠١٤. اطلع عليه بتاريخ ١٣ يونيو ٢٠١٤.

٤١- "الدولة الإسلامية تسيطر على حقل "الشاعر" للغاز الطبيعي في حمص"، موقع ويكيبيديا، نشر بتاريخ ١٧ يوليو ٢٠١٤. اطلع عليه بتاريخ ٢٠١٤/١٢/١١، رابط الموقع:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D9%86%D8%B8%D9%8A%D9%85_%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%A9_%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D8%B4

٤٢- تنظيم الدولة" يسيطر على الفرقة ١٧ في الرقة". نشر بتاريخ ٢٥ يوليو ٢٠١٤. اطلع عليه بتاريخ ٢٦ يوليو ٢٠١٤.

أما في ٧ آب سيطرت الدولة الإسلامية على اللواء ٩٣ بالكامل بعد مشابكات مع قوات الجيش.^(٤٣) وبعد يوم واحد في ٨ آب سيطرت الدولة الإسلامية على مطار الطبقة العسكري بالكامل بعد مشابكات مع قوات الجيش السوري.^(٤٤)

ثالثاً: القوة العسكرية لتنظيم داعش

تمتلك الدولة الإسلامية في العراق والشام العديد من الدبابات و الصواريخ و السيارات المصفحة و السيارات الرباعية الدفع و الأسلحة المتنوعة التي حصلت عليها من الجيش العراقي و الجيش السوري وغيرهم.^(٤٥)

بدأت العمليات العسكرية الأولى ضد التنظيم في يوم الثلاثاء ٢٣ سبتمبر ٢٠١٤، حين قامت قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة وبدعم من السعودية والإمارات والبحرين وقطر والأردن بأول هجمات جوية في سورية والعراق، واستمر القصف لأيام التالية، وقامت المقاتلات السعودية والإماراتية بتنفيذ ٨٠٪ من القصف.^(٤٦)

وفي يوم الجمعة ٢٦ سبتمبر ٢٠١٤، وافق البرلمان البريطاني على توجيه ضربات جوية ضد تنظيم "الدولة الإسلامية" في العراق.^(٤٧)

الفصل الرابع: الأساليب الدعائية لتنظيم داعش في شبكات التواصل الاجتماعي

أولاً: وسائل التواصل الاجتماعي:

شبكات التواصل الاجتماعي هي (مواقع الكترونية تقدم لمستخدميها مجموعة من الخدمات متعددة الخيارات، كالمحادثة الفورية والرسائل الخاصة والبريد الإلكتروني والفيديو، فضلاً عن التدوين الخطي

٤٣ - "الفرقة ١٧ بيد "داعش" بعد تخلي قوات الأسد عن مواقعها". نشر بتاريخ ٢٥ يوليو ٢٠١٤. اطلع عليه بتاريخ ٢٦ يوليو ٢٠١٤.

٤٤ - "الدولة الإسلامية" تستولي على مقر اللواء ٩٣ السوري بالرقعة". نشر بتاريخ ٨ أغسطس ٢٠١٤. اطلع عليه بتاريخ ٨ أغسطس ٢٠١٤.

٤٥ - "تنظيم الدولة" يعلن الخلافة ويبايع البغدادي". اطلع عليه بتاريخ ٢٩ يونيو ٢٠١٤، رابط الموقع: <http://www.aljazeera.net/news/arabic/2014/6/30/%D8%AA%D9%86%D8%B8%D9%8A%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9-%D9%8A%D8%B9%D9%84%D9%86-%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9-%D9%84%D8%AE%D9%84%D8%A7%D9%81%D8%A9-%D9%88%D9%8A%D8%A8%D8%A7%D9%8A%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%BA%D8%AF%D8%A7%D8%AF%D9%8A-%D8%AE%D9%84%D9%8A%D9%81%D8%A9>

٤٦ - العربي الجديد - أوباما بعد قصف "داعش": الغارات مستمرة وأحبطنا هجوماً وشيكاً
مصرأوي، من هي الدول العربية التي تشارك أمريكا في قصف داعش جويًا؟
لبنان ٢٤ - مشاركة كثيفة لطائرات سعودية وإماراتية وباريس تنقذ ضربات جوية في العراق وواشنطن تركز على تدمير القوى الاستراتيجية لـ "داعش"

الجزيرة نت - قصف جوي لمواقع نفطية تسيطر عليها "الدولة" بسوريا -

٤٧ - فرانس ٢٤، البرلمان البريطاني يوافق على توجيه ضربات جوية ضد تنظيم "الدولة الإسلامية" في العراق، الجمعة ٢٦

سبتمبر ٢٠١٤

والصوتي والمرئي ومشاركتها مع الآخرين)، وهناك من يعرفها على أنها (هي منظومة من الشبكات الإلكترونية التي تسمح للمشارك فيها بأنشاء حساب خاص به يتم ربطه بنظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم نفس الاهتمامات، أو جمعه مع الأصدقاء^(٤٨)).

أما مقولة ديكارت "أنا أفكر أنا موجود" اشعلت الالهام لدى مخترعي التكنولوجيا ليبتكروا للبشرية الوائاً شتى من وسائل الاتصال والتواصل مخلصين بذلك الشطر الثاني من تلك المقولة لتصبح "أنا اتصل إذن أنا موجود" وأصبحت هذه المقولة النتيجة الجديدة لنوع جديد من الإنسان لم يعد من الأساس عنده هو الاستقلال الشخصي، بل تعددية العلاقات وتشابكها وإن كانت افتراضية^(٤٩).

لقد أحدثت الشبكات الاجتماعية تغييراً في كيفية الاتصال والمشاركة بين الأشخاص والجماعات وتبادل المعلومات من بعد، خاصة بعد استقطاب عشرات الملايين من المستخدمين، ومكنتهم من مشاركة الأنشطة في شتى المجالات^(٥٠).

وتعرف شبكات التواصل الاجتماعي على أنها: مواقع الكترونية تسمح للأفراد بالتعريف بأنفسهم والمشاركة في شبكات اجتماعية يقومون من خلالها بأنشاء علاقات اجتماعية، وتتكون هذه الشبكات من مجموعة من الفاعلين الذين يتواصلون مع بعضهم ضمن علاقات محددة مثل صداقات، أعمال مشتركة، تبادل معلومات وغيرها، وتتم المحافظة على وجود هذه الشبكات من خلال استمرار تفاعل الأعضاء فيما بينهم^(٥١). وعند الحديث عن شبكات التواصل الاجتماعي والمجتمعي، والثاني هو التكنولوجي والانترنت ومن جهة نظر (وازرما نوفروست) فإن الشبكة الاجتماعية هي مجموعة العلاقات بين الكيانات الاجتماعية ويمكن ان يقتصر الاتصال بين هؤلاء الأفراد على علاقات تعاونية^(٥٢).

أما مواقع الشبكات الاجتماعية حسب وجهة بويد واليسون: هي خدمات عبر شبكات الانترنت تسمح للأفراد ببناء شخصية عامة أو شبه عامة من خلال نظام محدد، وتوضيح لائحة خطية بالمستخدمين الذين يشاركون الاتصال، بالإضافة إلى عرض واختيار قائمة الاتصالات الخاصة بآخرين خلال نفس النظام^(٥٣).

ثانياً: نشأة وتطور شبكات التواصل الاجتماعي:

بدأت الشبكات الاجتماعية بالظهور في أواخر التسعينات، وكانت لها سبق في ذلك حيث أنشأت عام ١٩٩٥م على يد راندي كوندار للربط بين زملاء الدراسة، وهناك من يرى أنها ظهرت في عام

٤٨- عبد الأمير الفيصل، دراسات في الإعلام الإلكتروني، (الإمارات العربية المتحدة، دار الكتاب الجامعي، ٢٠١٤م)، ص ٦٥.

٤٩- محمود الفطاطة، مستقبل الإعلام الجديد، مركز رام الله لدراسة حقوق الإنسان ((تسامح))، العدد ٣٦، السنة العاشرة، ٢٠١٢م، اذار، ص ٦٥.

٥٠- عبد الأمير الفيصل، مصدر سابق، ص ٦٧.

٥١- عبد الأمير الفيصل، مصدر سبق ذكره، ص ٦٥.

٥٢- مصعب حسام الدين لطفي قتلوني، دور مواقع التواصل الاجتماعي (الفييس بوك) في عملية التغير السياسي، (رسالة ماجستير منشورة)، فلسطين: جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، ٢٠١٢، ص ٨٧.

٥٣- مريم نريمان نومارا، استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية وتأثيره في العلاقات الاجتماعية، (رسالة ماجستير غير منشورة)، الجزائر، جامعة الحاج الحضرمي، ٢٠١٢م، ص ٤٥.

١٩٩٧م، وكان موقع SixDegrees.com أول هذه المواقع من خلال الفرصة يوضع ملفات شخصية للمستخدمين على الموقع، كذلك إمكانية التعليق على الأخبار الموجودة على الموقع وتبادل الرسائل مع باقي المشتركين^(٥٤).

عند الحديث عن نشأة وتطور مواقع الشبكات الاجتماعية يجدر الإشارة إلى مرحلتين أساسيتين، المرحلة الأولى للويب web1.0، والمرحلة الثانية هي الجيل الثاني للأنترنت web2.0، غير أن أكثر مواقع الشبكات الاجتماعية الجماهيرية ظهرت خلال المرحلة الثانية.

المرحلة الأولى: يشير web1.0 إلى شبكة المعلومات الموجهة الأولى التي وفرها عدد قليل من الناس لعدد كبير جداً من المستخدمين، وتتكون أساساً من صفحات ويب ثابتة وتتيح للتفاعل، ومن أبرز الشبكات التي ظهرت في هذه المرحلة هي شبكة موقع سيكس دغريز: الذي منح الأفراد المتفاعلين في إطارهم فرصة طرح لمحات عن حياتهم وإدراج أصدقائهم وقد اخفق هذا الموقع عام ٢٠٠٠م، ومن المواقع الأخرى التي ظهرت في هذه المرحلة (موقع كلايسمايت، موقع كايورولد)^(٥٥).

المرحلة الثانية: منذ عام ٢٠٠٠ شهد الويب الذي نعرفه بصيغة Html تحولات كثيرة سواء من حيث التكنولوجيا أو من حيث الوظيفة، وقد عرف هذا التحول باسم web2.0، حيث اعتبره البعض أنه يضم كل خدمات الويب الجديدة، إضافة إلى خدمات أخرى كالهاتف، كما اعتبر أنه عبارة عن تطور تكنولوجي يستخدم الصوت والفيديو والصورة في وقت حقيقي، في حين اعتبره البعض الآخر حركة خارجية كبيرة للمواقع تستخدم للتسويق الذي تهدف من خلاله الشركات الكبرى الترويج لمبيعاتها^(٥٦).

ثالثاً: مميزات مواقع التواصل الاجتماعي:

تتميز مواقع التواصل الاجتماعي بالعديد من المزايا، والخدمات التي ساعدت في سرعة انتشارها بصورة هائلة بين الناس، وتوفر شركات كبرى هذه الخدمات حيث تتيح لجميع المستخدمين مشاركة الأنشطة والاهتمامات، وتكوين صداقات، وتجمعات ذات اهتمامات متشابهة وتبادل التعليقات والرسائل الفورية، كما تمكن المستخدم من تكوين مجتمع افتراضي خاص به يسمح لمن يشاء بأن يكون جزء منه ويمكن تلخيص أبرز مميزات مواقع وشبكات التواصل الاجتماعي بالآتي^(٥٧):

١. التفاعلية والتشاركية: تتميز مواقع التواصل الاجتماعي بخاصية التفاعلية القائمة على تبادل الآراء والأفكار والمعلومات والتفاعل مع الآخرين بصورة مجانية وغاية في السلاسة والسهولة وضمن هذه الميزة يمكن لكل فرد أن يتبادل مع الآخرين معلوماته الشخصية كرغباته وهواياته في الرياضة والفن.
٢. الحضور الدائم غير المادي: توفر هذه الشبكات إمكانية التواصل بين مستخدم وآخر دون الحاجة لأن يلتقيا في وقت متزامن. وذلك من خلال ترك رسالة نصية أو صورة أو معلومات من مجالات اهتمام الشخص الذي بمقدوره أن يرد عليه بنفس الطريقة.

٥٤- عبد الأمير الفيصل، مصدر سابق، ص ٦٦.

٥٥- مصعب حسام الدين قتلوني، مصدر سابق، ص ١٥٢-١٥٣.

٥٦- مصعب حسام الدين قتلوني، المصدر السابق نفسه، ص ١٥٢-١٥٣.

٥٧- المصدر السابق نفسه، ص ٨٨-٨٩.

٣. الوضوح الهوياتي: في الغالب يحدث ذلك تلقائيا لان هدف الأشخاص أن يتواصلوا ويتعرفوا على الآخرين، وهذا يتطلب أن يفصح الشخص عن معلوماته الشخصية بصراحة ودون تحايل أو كذب كي لا يتناقض مع الغاية من اجلها اشترك بموقع ما^(٥٨). وللتعرف على أبرز شبكات التواصل الاجتماعي والتي تقع ضمن حدود هذه الدراسة سنعرج على تقديم تعريف لها وهي كالتالي:

١. الفيس بوك

من المتعارف عليه أن الفيس بوك هو مكان الكتروني معلن يلتقي الناس فيه للتعارف وإبداء الرأي^(٥٩)، وهذا الموقع تم انشاءه في فبراير عام ٢٠٠٤م بواسطة ابن التاسعة عشر من العمر مارك زوكربغ، وذلك في غرفته بجامعة هارفارد، وكان الموقع في البداية متاحاً فقط لطلاب جامعة هارفارد ثم فتح لطلبة الجامعات، بعدها لطلبة الثانوية، ولعدد محدود من الشركات. ثم أخيراً تم فتحه لأي شخص يرغب في فتح حساب خاص به، والان يملك الموقع حوالي ٨٨٠ مليون مستخدم، بمعنى اخر فان شخصا واحداً من بين ١٣ شخص على الأرض لديه حساب في موقع فيس بوك بحوالي ٧٥ لغة وقضي هؤلاء المستخدمين جميعا أكثر من ٧٠٠ مليون دقيقة على الموقع شهرياً^(٦٠).

ويسمح هذا الموقع للمستخدمين بانضمام إلى عدة شبكات فرعية من نفس الموقع تصب في فئة معينة، مثل منطقة جغرافية معينة، مدرسة معينة وغيرها من الأماكن التي تساعدك على اكتشاف المزيد من الأشخاص الذين يتواجدون في نفس فئة الشبكة، ويشير فيسبوك إلى دفتر ورقي يحمل صوراً ومعلومات لأفراد في جامعة معينة أو مجموعة، ومن هنا جاءت تسمية الموقع، وتعتبر هذه الطريقة شائعة لتعريف الأشخاص خصوصاً في الجامعات الأجنبية ببعضهم، حيث يتصفح المنتسبون في هذه الجامعة هذه الدفاتر لمعرفة المزيد عن الطلبة المتواجدين في نفس الكلية، وبعد الفيس بوك من أكثر الشبكات التي أثّرت حولها العديد من التساؤلات والشبهات والحوارات، وذلك لأنها تعد أكبر موقع يتم التعامل معه من جانب المستفيدين بعد محرك البحث جوجل وهو ما يلفت النظر إليه، والكثير من الناس معها والكثير ضدها، وترجع شهرة هذه الشبكة عن غيرها كونها فتحت للمطورين الدخول إلى الموقع وتطويره وتفعيله وإضافة تطبيقات مختلفة ومتنوعة، وإتاحته بلغات متعددة وكثيرة منها العربية، بل هو الموقع الوحيد لشبكة اجتماعية^(٦١).

٥٨- حمزة اسماعيل أبو شنب، تقنيات مواقع التواصل الاجتماعي، شبكة الالوكه، نشر بتاريخ ٢٠١٣/٨/٣١، اطلع عليه بتاريخ ٢٠١٦/٢/١٢، رابط الموقع: <http://www.alukah.net/culture/0/59302>.

٥٩- كاظم شنون المقدادي، الإعلام الدولي والجديد وتصدّي السلطة الرابعة، (الأردن: دار أسامة النشر والتوزيع، ٢٠١٣)، ص ٢٠٢.

٦٠- علي عبد الفتاح كنعان، الإعلام والمجتمع، (الأردن: دار اليازوردي العلمية، ٢٠١٤)، ص ١٧٢.

٦١- عبد الأمير الفيصل، مصدر سابق، ص ٨٠-٨١.

٢. يوتيوب (بالإنجليزية: YouTube)

موقع ويب يسمح لمستخدميه برفع التسجيلات المرئية مجاناً ومشاهدتها عبر البث الحي (بدل التنزيل) ومشاركتها والتعليق عليها وغير ذلك، أسسه في ١٤ فبراير سنة ٢٠٠٥م ثلاثة موظفين سابقين من شركة باي بال هم تشاد هيرلي وستيف تشين وجاود كريم، في مدينة سان برونو، سان ماتيو، كاليفورنيا، ويستخدم تقنية برنامج أدوبي فلاش لعرض المقاطع المتحركة. ومحتوى الموقع يتنوع بين مقاطع الأفلام، والتلفاز، والموسيقى، والفيديو المنتج من قبل الهواة، وغيرها. وهو حالياً مزود بـ ٦٧ موظف. وفي أكتوبر ٢٠٠٦ أعلنت شركة Google التوصل لاتفاقية لشراء الموقع مقابل ١,٦٥ مليار دولار أمريكي، أي ما يعادل ١,٣١ مليار يورو. ويعتبر الموقع من مواقع ويب ٢,٠ (٦٢).

رابعاً: الأساليب الدعائية في مواقع التواصل الاجتماعي

١. تصفح السريع من خلال استخدام الانترنت عبر الحواسيب أو الهواتف الذكية.
٢. اعتماد ما يتم نشره عبر المواقع الالكترونية من أفلام وصور وبثه من خلال القنوات التلفزيونية الفضائية، أو عبر مواقع التواصل الاجتماعي " الفيس بوك " و "تويتر" مما يزيد من عدد مشاهديها.
٣. الكلفة الاقتصادية لإنشاء موقع إلكتروني مقارنة بوسائل الاعلام، والتي تحتاج الى رؤوس أموال كبيرة لأنشائها.

خامساً: الأساليب الدعائية لتنظيم داعش:

تهدف استراتيجية استخدام الأساليب الدعائية عن طريق موقع على شبكة إنترنت، الحصول على قدر أكبر من المعلومات و تحويل الفرد من مستقبل للمعلومات إلى باحث عن المعلومات ومن ثم إلى صاحب رأي عن طريق التلقين. (٦٣)

إن الإنترنت وفر للجماعات الإرهابية مستوى غير مسبوق من السيطرة المباشرة على مضمون رسالتهم. بل يمتد إلى حد كبير إلى قدرتها على تشكيل الطريقة التي ينظر بها الجمهور المستهدف لهم و التلاعب بأفكاره ليس فقط في صياغة صورتهم في ذهن المتلقين بل ايضاً في صياغة صورة أعدائهم. ان مواقع ويب مصممة تصميمًا جيدًا بمجموعها قد تعطي هالة من الشرعية و تجذب بشكل متزايد اهتمام من وسائل الإعلام المختلفة. لذلك فإنه يمكننا القول أن ظهور الشبكة العالمية (الانترنت) على وجه الخصوص، قد زادت بشكل كبير من فرص الإرهابيين لتأمين الدعاية لبرامجهم وافكارهم وكذلك لاستخدام الحرب النفسية بالتزامن مع عملياتهم الارهابية من خلال نشر المعلومات المضللة، وتقديم التهديدات، ونشر الصور المروعة، هذا وقد سلط العديد من المحللين والمختصين الضوء على تنظيم ما يسمى (دولة العراق الإسلامية في العراق والشام) او (داعش) اختصاراً، كنموذج استطاع خلال فترة

٦٢- موقع ويكيبيديا " الموسوعة الحرة "، أطلع عليه بتاريخ ٢٠١٤/١٢/٢٢، رابط الموقع: <https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%8A%D9%88%D8%AA%D9%8A%D9%88%D8%A8>

٦٣- عماد علو، الاستخدام الارهابي للإنترنت قراءة في التأثير الاستراتيجي، موقع دنيا الوطن، نشر بتاريخ ٢٠١٣/١٢/٢٣، <https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/315392.html>، رابط الموقع: ٢٠١٤/٧/١٢، أطلع عليه بتاريخ

وجيزة تسجيل ماركة (داعش) اقليمياً وعالمياً وسط الحركات الجهادية الكثيرة والمنتشرة في سوريا والعراق وأفغانستان وغيرها من بلدان العالم الأخرى، بفضل الحرب الإعلامية التي سوقت لها ولأفكارها شديدة التطرف، واعتمد على ذلك بأساليب تقليدية، وأساليب أخرى استحدثتها وطبقتها في اغلب الجبهات والمدن التي تقاوت فيها.^(٦٤)

"مواقع التواصل الاجتماعي"، التي استخدمتها التنظيمات الجهادية بعدة طرق وأساليب من اجل التسويق لنفسها، وتعزيز الانتشار لأفكارها وانجازاتها، بطريقة الدعاية الناعمة في أحيان معينة، والخشنة في أحيان كثيرة وقد استطاعت التنظيمات والجماعات المسلحة بالاعتماد على هذا العامل، كسب الكثير من المعارك، والتقدم على مستوى الانتشار وإعادة التنظيم عندما تمر بأزمة ما على المستوى الداخلي او الخارجي.^(٦٥)

واستطاعت، ايضاً، من خلاله استقطاب الكثير من العقول والقلوب الطامحة في بحثها عن العمل الجهادي او البطولي، بغض النظر عن مدى مشروعية هذا العمل والاهداف التي تكمن وراءه هذا واعتمد تنظيم الدولة الاسلامية على جملة من الاساليب الدعائية لإستقطاب اكبر عدد ممكن للقتال بأسم الجهاد ضد من يسميهم (العدو الأقرب)، بعد ان كان معروفاً ان التنظيمات الاسلامية تسعى الى محاربة (العدو الأكبر) والمتمثل بالولايات المتحدة الأمريكية او بعض الدول الأوربية التي تتهم بمعاداتها للإسلام.

أصبحت وسائل الإعلام، ومواقع التواصل الاجتماعي على الانترنت، ميدان الجماعات المتشددة والإرهابية، لإطلاق التهديدات عبر حسابات مجهولة، وقد رفعت بعضها شعارات في حال قيام أية عمليات عسكرية ضد تنظيم الدولة الإسلامية في الشام والعراق المعروف باسم "داعش".

وحسب تقرير المركز الإقليمي للدراسات فإن النشاط الجهادي، على المستويين الإقليمي والدولي، شهد تطوراً في الليات تنفيذه، منذ أحداث سبتمبر ٢٠٠١، إذ تم تصوير اكبر هجوم إرهابي ضد الولايات المتحدة الأمريكية، ومع تطور تقنيات وسائل الإعلام، وظهور وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي، انتقل هذا النشاط من مرحلة العمل السري والتخفي خلف أسماء مستعارة إلى مرحلة العلن من خلال شبكة الإنترنت واللجان الإلكترونية.^(٦٦)

وقال التقرير إن التيارات المسلحة المختلفة لجأت إلى استخدام الإنترنت كوسيلة أساسية للترويج والدعوة لأفكارها، في ظل التضيق الذي بات يمارس عليها من العديد من الأنظمة، التي تتبنى استراتيجية الحرب على الإرهاب، وذلك اعتماداً على سهولة التطبيقات التكنولوجية للشبكة، وانتشار استخدامها عالمياً، وتوفيرها قاعدة واسعة من المتلقين، بعيداً عن تعقيدات الحصول على تراخيص لقنوات تلفزيونية وصحف، أو حتى الوقوع تحت طائلة العمل من دون ترخيص.^(٦٧)

٦٤- باسم حسين الزبيدي، داعش والحرب الإعلامية في العراق، موقع صوت العراق، نشر بتاريخ ٢٠١٤/٥/٣، أطلع عليه بتاريخ ٢٠١٤/١٠/١٧، رابط الموقع: www.sotaliraq.com/mobile-item.php?id=158964.

٦٥- عماد علو، الاستخدام الارهابي للإنترنت قراءة في التأثير الاستراتيجي، مصدر سبق ذكره.

٦٦- باسم حسين الزبيدي، داعش والحرب الإعلامية في العراق، مصدر سبق ذكره.

٦٧- عماد علو، الاستخدام الارهابي للإنترنت -قراءة في التأثير الاستراتيجي، مصدر سبق ذكره.

وفي هذا السياق، حددت دراسة نشرتها سابقاً مؤسسة "أبحاث الدفاع النرويجية" تحت عنوان "جهاديون على الإنترنت"، ثلاث فئات تستهدفهم التيارات الجهادية من خلال مواقع الإنترنت الخاصة بها: أولاً، ما يسمى، وفقاً للدراسة، بـ "المجاهدين القاعدين" المؤيدين والمتعاطفين مع الفكر الجهادي، وغالبية من الشباب، وغالباً ما يكون الهدف هو التواصل معهم، واستمرار الحصول على دعمهم وولائهم. وثانيها، الرأي العام، ويكون الهدف مع هذه الفئة التأكيد على نفوذ التنظيمات الجهادية في المجتمع، إما بغرض حشد التأييد أو التخويف من مواجهتها. وثالثها، جمهور الخصوم، من أجهزة الدولة ومؤسساتها ومؤيديها، بهدف إضعاف موقفها، والتأثير على هيئتها، وإظهارها بمظهر العاجز في مقابل قوتها، وأكدت الدراسة إنهم يحرصون على نشر مقاطع فيديو تظهر قتل الجنود وعناصر القوات الأمنية، من خلال صفحات خاصة على مواقع "فيسبوك" و "تويتر" و "يوتيوب"، ليسهم التداول السريع لهذه المقاطع في إرباك المشهد العام.^(٦٨)

كما لا تقتصر بعض الصفحات على التهديد ونشر مقاطع الفيديو، إذ امتدت مثلاً صفحات داعش وحلفائهم إلى شرح كيفية صنع المتفجرات على غرار شبكة "المجاهدين الإسلامية" التي تقدم وسائل بدائية لصنع قنبلة عالية الاشتعال وزنها لا يزيد عن ٣٠٠ كيلو غرام، تلقى يدوياً دون خطورة على منفذها وتضمن له الهرب السريع خلال عشرين ثانية، وعلى موقع آخر كموقع "ماي سبايس"، وموقع "البراق الإسلامي"، ومنتدى الإخوان في طريق الإيمان وموقع تنظيم القاعدة لصناعة القنبلة، وقد زاد عدد المشتركين في بعض الصفحات لمعرفة كيفية صناعة القنابل اليدوية. "أبو عبدالله البريطاني" يستخدم موقع "ask. fm" لتقديم النصائح للبريطانيين من أجل الانضمام إلى داعش.^(٦٩)

كما تناولت صحيفة الدايلي ميل البريطانية، استغلال المتشدد الممتن إلى جماعة "داعش" الجهادية الإرهابية، لمواقع التواصل الاجتماعي وهم يحاولون تجنيد البريطانيين في قواتهم، وأوضحت الصحيفة أن "داعش" تستخدم مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة، لحث الشباب البريطاني للانضمام إلى الجماعة، مثلما فعل البريطانيون الآخرون الذين وصلوا إلى الشرق الأوسط منذ فترة، وأشارت إلى أنهم نصحو البريطانيين الراغبين في الانضمام إلى الجماعة، بالسفر الخفيف، وجلب الهواتف الذكية معهم لتمكينهم من استخدام الإنترنت، إضافة إلى ترك الكتب الدينية في منازلهم، حتى لا يثيروا شك العاملين في المطار. كما أوضح الجهاديون الطريقة التي يمكن أن يشحن بها المنضمون إليهم أجهزتهم الإلكترونية.^(٧٠)

وقد أكدت مصادر مقربة من التنظيم (ان التركيز على العمل الإعلامي يتم على أعلى المستويات، حيث يشرف زعيم التنظيم (أبو بكر البغدادي) بنفسه على إدارة العمل الإعلامي، كما أن أي خطأ أو

٦٨- "داعش" يلتجئ للمواقع الإلكترونية لإرهاب المواطنين، موقع قناة الإتحاد، نشر بتاريخ ٢٠١٤/٧/٦، أطلع عليه بتاريخ ٢٠١٤/١٢/١٤، رابط الموقع: <http://aletejahtv.org/permalink/21627.html>.

٦٩- مات تريورن، التسجيلات الدعائية "قد تضر" خطط تنظيم "الدولة الإسلامية" للتجنيد في بريطانيا، موقع (بي بي سي): نشر بتاريخ الإثنين، ٢٩ / ٩ / ٢٠١٤، أطلع عليه بتاريخ ٢٠١٤/١١/١٢، رابط الموقع: http://www.bbc.com/arabic/worldnews/2014/09/140929_is_britons_jihad

٧٠- مات تريورن، التسجيلات الدعائية، مصدر سبق ذكره.

تقصير في هذا الجانب لا يتم التساهل فيه، سيما وإن الحديث جرى مؤخراً عن اقالة أعضاء المكتب الإعلامي للتنظيم بعد إظهارهم وجوه بعض الشخصيات بصورة علنية مما اثار حفيظة زعيمهم الذي يتابع بصورة مباشرة طريقة عملهم).^(٧١)

ويبدو ان طريقة ادارتهم للمواقع الإعلامية التابعة لهم بصورة مباشرة (الفرقان، الفجر) او المواقع الصديقة (انا مسلم، حينئذ... الخ) والتي يعتمد اغلبها على الشبكة العنكبوتية كمواقع الكترونية يسهل التعامل معها والتواصل من خلالها، لسرية العمل فيها ومحدودية الإمكانيات التي تحتاجها، ويسر بث المعلومة فيها، إضافة الى قنوات التواصل الاجتماعي (وبالأخص تويتر) والاذاعات والفضائيات والاقراص والكتب والمنشورات، والتي تدار من قبل اختصاصات وكفاءات مختلفة تابعة للتنظيم، سيما من قبل الجهاديين الغربيين القادمين من اوربا، والذين هم على تماس بالتطور التقني والمعلومة الحديثة، إضافة الى الجهاديين من الثقافات الأخرى، حيث تجد السعودي والعراقي والافغاني والمغربي وغيرهم، مما أضاف تنوع ملحوظ في طريقة النقل والعرض.^(٧٢)

هذا وقد اعتمد التنظيم في اساليبه الدعائية على مبدأ الترغيب والترهيب بصورة كبيرة للوصول الى نتائجه التي يرجو تحقيقها، ولعل أبرز اساليب الترغيب التي إعتدتها تلخص بما يلي:

١. الاستعانة بالخبراء في تصوير وبث الأفلام التي يتم عرضها عبر المواقع الإلكترونية التي يقيمها التنظيم من مخرجين ومصورين ذات حرفة عالية، لتظهر صور افراد التنظيم او المعارك التي يخوضها على إنها عمليات يديرها عناصر ذات خبرة لها هدف وإستراتيجية محددة ولا تقوم بعمل عشوائي بما في ذلك عمليات القتل الجماعي او التهجير القسري للعوائل في المناطق التي يتم السيطرة عليها من قبل التنظيم.

وفي هذا الخصوص قال مارشال كوري، المخرج الأمريكي المحترف للأفلام الوثائقية، إن الأفلام الدعائية التي ينتجها تنظيم "الدولة الإسلامية" المعروف إعلامياً بـ"داعش" تتمتع بتقنيات عالية، ولكنها في الواقع زهيدة التكلفة، ويمكن إنتاجها بما لا يزيد عن ألف دولار، مضيفاً أن الهدف الأساسي للتسجيلات هو بث الذعر في صفوف الأمريكيين.^(٧٣)

وقال كوري، إن الأساليب الدعائية التي تستخدمها داعش وتسجيلات الفيديو لعملياتها وما تحتويه من مؤثرات بصرية وصوتية: "من المهم مراقبة الأدوات التي يمتلكها التنظيم ويعمل من خلالها، هم ينتجون الأفلام التي تشبه ما يظهر بأفلام هوليوود مثل الحركة البطيئة أو تكرار المشهد أو عكسه، وكأننا أمام مشاهد من فيلم "ماتريكس".

وسخر كوري من المبالغة في الحديث عن تكلفة تلك الفيديوهات قائلاً: "يمكن القيام بكل هذه الأعمال بتكلفة لا تزيد عن ألف دولار. يمكن لأي كاميرا من نوع SLR لا يزيد سعرها عن ألف دولار

٧١- "أبو بكر البغدادي... "الجهادي الخفي" الذي يحرك "داعش"، مصدر سبق ذكره.

٧٢- مات تريورن، التسجيلات الدعائية، مصدر سبق ذكره.

٧٣- مخرج محترف "داعش يقلد هوليوود بألف دولار فقط.. هدف أفلامه بث الرعب وتجنيد الشباب عبر "الأكشن"، موقع عكس السير، نشر بتاريخ ٢٣/٩/٢٠١٤، أطلع عليه بتاريخ ١٣/١١/٢٠١٤، رابط الموقع:

http://aksalser.com/?page=view_articles&id=7ccc9a58e484e7626f8633530a187faa

تصوير كل هذه اللقطات ومن ثم باستخدام التطبيقات التكنولوجية الحديثة التي يمكن وضعها على أجهزة كمبيوتر محمولة يصبح من الممكن إنتاج لقطات كهذه.

وأضاف كوري: "هذه التكنولوجيا وضعت في الأصل من أجل تسهيل عمل المخرجين المستقلين الذين يحاولون إنتاج أفلام زهيدة التكلفة، ولكن للأسف فإنها تقع أيضا بين يدي جماعات مثل داعش." وعن الأسباب التي تدفع داعش للقيام بتلك الأعمال الدعائية قال كوري: "أظن أنهم يحاولون إخافة الناس عبر التسجيلات التي تظهر فيها عمليات قطع الرؤوس والفضاعات الأخرى، هذه المقاطع الترويجية تهدف إلى لفت انتباه الشباب بأنه يمكنهم لدى الانضمام للتنظيم أن يكونوا جزءا من فيلم المغامرات الذي يشاهدونه أمامهم، كأهم يقولون لهم: ألا تعتبرون هذا الأمر مشوقا ومدعشا؟ إذا لماذا لا تشاركون فيه؟".

٢. الإستعانة بشخصيات مشهورة انضمت الى التنظيم من دول عربية إسلامية أو من الدول الأوروبية مثل المصارعين الاستراليين "محمد العمر" وشقيقه "أحمد العمر"، وصديقهما "خالد شروف"، وهم نجوم في رياضي الملاكمة والمصارعة في أستراليا، وعلى الرغم من نجاحهم الكبير، إلا أنهم قرروا ترك كل ذلك خلفهم، والتوجه إلى بلاد الشام للانضمام إلى تنظيم "داعش"، والذين تم بث صورهم في مناطق من سوريا والعراق وهم يقومون بقطع رؤوس أو المشاركة في معارك التنظيم.^(٧٤) كما ويتم التركيز على عرض "بطل" يقود التنظيم و يعتبر شاكر وهيب أحد أكثر دلائل استخدام الدعاية لدى "داعش" فالرجل الذي لم يلامس وهج الشمس بشرته البيضاء، ولم تبث أجواء الصحراء الرملية شعره الأملس المهذب طوال الوقت، ويرتدي ساعة في يده اليمنى، تحسبه ممثلا شهيرا يقوم بدور في مسلسل تاريخي ذي ميزانية إنتاجية ضخمة. تتعدد الروايات بشأن منصب و دور "شاكر" في التنظيم، إلا أن اهتمام التنظيم بـ"أبو وهيب" واضح من خلال التركيز على إظهاره كل مرة بزي مختلف، لكنه مهندس ونظيف وبألوان غير تقليدية مختلفة عن أقرانه. ويبدو أن إظهار وجهه للعلن بصورة معدة بعناية، كان قرارا بهدف إظهار شكل آخر من التأثير في الشباب تحديدا، عبر اختراع "البطل الأسطوري الوسيم والغامض" على الطريقة الهوليوودية.^(٧٥)

٣. عرض صور وأحصائيات لأعداد التنظيم التي وصلت الى الآلاف بعد أحداث العراق مما زاد من شعبية التنظيم (٤٠٠) عنصر من المانيا و (٨٠٠) عنصر من روسيا، ف "إسلام يكن" لم يكن أول مصري ينضم إلى "داعش" ولكنه استطاع أن يسلط الضوء على مدى انتشار التنظيم على شبكات التواصل الاجتماعي، فقد رصد الباحث في قضايا الإرهاب، جي إم بيرجر، زيادة ملحوظة في نشاط أنصار "داعش" على مواقع التواصل الاجتماعي وبخاصة "تويتر"، بما يصل إلى ٤٠ ألف تغريدة، وذلك بحسب ما ذكرت صحيفة "سيدني مورنينج هيرالد" الأسترالية. وتعقب بيرجر نحو ٣ ملايين تغريدة من ٧٥٠٠ حساب لـ "شبكات جهادية" على "تويتر" استخدمت ٤ "هاشتاجات"

٧٤- "داعش" يلتجئ للمواقع الالكترونية لإرهاب المواطنين، مصدر سبق ذكره.

٧٥- "داعش" يعلن إقامة "الخلافة الإسلامية" ويسارع زعيمه خليفة للمسلمين، موقع BBC عربي، نشر بتاريخ ٣٠/٦/٢٠١٤، أطلع عليه بتاريخ ٢٢/٩/٢٠١٤، رابط: http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2014/06/140629_iraq_isis_caliphate

جهادية معروفة وهي #داعش #جبهة النصرة #الجبهة الإسلامية daash# ، ليخلص إلى نتيجة مفادها أن ثمة ارتفاعا كبيرا في النشاط المؤيد لتنظيم "داعش" على الإنترنت^(٧٦). هذا وأكد مسؤولو الأمن في بريطانيا أن أكثر من ٥٠٠ بريطاني غادروا المملكة المتحدة للقتال في سوريا، لكن منسق جهود مكافحة الإرهاب في الاتحاد الأوروبي، غيل دي كيرشوف، قال إن عدد الأوروبيين الذين انضموا إلى المقاتلين الإسلاميين في سوريا والعراق ارتفع لأكثر من ثلاثة آلاف. ولقي العديد من المسلمين البريطانيين حتفهم خلال المشاركة في القتال من بينهم أنيل خليل رؤوفي من ديدزيري في مانشستر، ويسود اعتقاد بأن رؤوفي، الذي كان طالبا يبلغ من العمر ٢٠ عاما، غادر بريطانيا في خريف عام ٢٠١٣ مع أشخاص آخرين من مانشستر. وكتب تعليقات على موقع تويتر في أغسطس/ آب من أفغانستان حيث توجد جذور عائلته. ويُعتقد أنه قتل في اشتباكات مع قوات الحكومة السورية.

وفي يونيو/ حزيران ٢٠١٤، غادرت الشقيقتان زهرة وسلمى حلني منزلهما في مانشستر للانضمام لمقاتلي تنظيم "الدولة الإسلامية"، وأعربت شرطة مانشستر عن اعتقادها بأن الفتاتين موجودتان مع مسلحي التنظيم في سوريا.

من جهة أخرى، تبذل الشرطة وأجهزة الأمن جهودها للتعرف على جهادي بريطاني مشتبه به ظهر في العديد من التسجيلات المصورة التي نشرها تنظيم "الدولة الإسلامية" من بينها إعدام موظف إغاثة بريطاني يدعى ديفيد هاينز، وهدد الرجل أيضا بقتل بريطاني آخر محتجز لدى التنظيم يدعى آلان هينغ. ٤. استخدام الوجوه النسائية الجميلة والتي اعلن عن إنضمامها الى التنظيم، لإستقطاب الشباب من كلا الجنسين، مثل صور الشابة (اقصى محمود) من اسكتلندا والتي اعلن ذوبها عبر وسائل الإعلام انضمامها الى تنظيم الدولة الاسلامية، وعرض احصائيات للنساء المنضويات للتنظيم وعلى سبيل المثال، إنضمام (١٥٠) امرأة فرنسية الى تنظيم داعش في محافظة الرقة* في سوريا واللواتي انضمن للتنظيم دون إكراه وقدمن لسوريا لأسباب منها البحث عن زوج وتأسيس عائلة مع احد أفراد التنظيم أو لرعاية الايتام الذين تم قتل ذويهم اثناء الاجتياح او خلال المواجهة مع التنظيم.^(٧٧) وفي هذا السياق، ولاستردار العطف مع ما تسوّقه من أفكار، نشرت "داعش" عبر وسائل الاعلام ومواقع التواصل الاجتماعي، في ٢٧ كانون الثاني /يناير، العام الجاري، شريط فيديو لنساء يجندن للتنظيم الارهابي، حيث أعلن تشكيل "مجلس عسكري نسوي" في محافظة صلاح الدين. لكن الشريط، بدلا من يخدم، اجندة "داعش" الاعلامية، انقلب الى سخرية من سذاجة الطرح، وضعف الجانب التعبوي، وفجاجة التعبير، وغياب البعد الاخلاقي.

ويعبّر علي احمد، في تعليق له على حسابه الشخصي في "فيسبوك" حول شريط الفيديو، بالقول، ان "داعش اختارت نساء لا يمتن الى المرأة العراقية بصلة، في الشكل، و الزى او حتى المنطق"، ما يفقد

٧٦- المخابرات الأمريكية: عدد مقاتلي تنظيم داعش يتراوح بين ٢٠ و ٣١ ألفاً. موقع قناة الحرية. اطلع عليه بتاريخ ٢٣ /٩/ ٢٠١٤.

٧٧- فرانس برس ٢٤، تقرير بث بتاريخ ١٠/٦/٢٠١٤، اطلع عليه بتاريخ ٢٣/١٢/٢٠١٤، رابط الموقع: <http://www.france24.com/ar/timeline/global>

شريط الفيديو وظيفته، ليتمخض عن نتائج، على عكس ما كان يسعى اليه التنظيم الارهابي بعدما تحوّل من كونه وسيلة اقناع، الى دليل على ظلامية الفكر الارهابي وافلاسه.

ويُظهر الشريط نساء عراقيات ملثمتات يرتدين ملابس غريبة، و يحملن البنادق وعلم النظام العراقي السابق.^(٧٨)

و بإلقاء القبض على مسؤولة نساء "داعش"، رجاء الأنصاري، في محافظة نينوى، شمالي العراق، والتي عثر بحوزتها على رسائل خطية من (ابو بكر البغدادي) يدعوها إلى استنفار جهودها لتجنيد النساء في الموصل كـ(انتحاريات) ويؤكد لها أن هناك ضعفاً في مجاميع (داعش) في ما يتعلق بالانتحاريات واعدادهن". تتكشف الكثير من تفاصيل تجنيد النساء في العمليات الارهابية لاسيما في مجال الاعلام والتواصل بين افراد الجماعات التكفيرية، عبر نقل الرسائل والاسلحة والسلع لدعم زخم عملياتها. وفي الفلوجة، غربي العراق، توظّف جماعة "داعش"، النساء لأغراض الحرب النفسية، عبر استغلال العاطفة الخاصة التي يبدوها المجتمع العراقي لشرف المرأة، والحرص على حمايتها ورعايتها.

وارتبطت اشربة الفيديو التي يبنها داعش، ضمن فعاليات الدعائية المسلحة، بفتاوى جهاد النكاح، ما اثار جملة من من التعليقات الساخرة حول دور النساء المريب في التنظيمات الارهابية.^(٧٩)

٥. عرض إنتصارات التنظيم في المناطق التي تم السيطرة عليها في سوريا والعراق، وهذه كانت لها الأثر الأكبر في استقطاب اعداد كبيرة للتنظيم ولا سيما بعد انسحاب الجيش العراقي من محافظة الموصل في ٩/٦/٢٠١٤م، وما تلتها من احداث اظهرت قوة التنظيم وضعف القوات العسكرية العراقية التي تركت مواقعها وتجهيزاتها العسكرية، لافراد التنظيم دون قتال رغم قلة اعداده التي لم تكن تتجاوز المئات مقارنة بأعداد الجيش التي تمثلت بإنسحاب ست فرق عسكرية من الموصل.

ويؤكد الباحث بمركز "بروكينجز" الدوحة، تشارلز ليستر، لصحيفة "جارديان" البريطانية أن "داعش يدفع بمعلومات كما ونوعا بشكل مؤثر"، مشيراً إلى أن "التدفق المستمر لمواد جودتها عالية تروج للتنظيم، تعطي صورة لمتابعي هذه المواقع بأن داعش على درجة عالية من التنظيم والتسليح، ويستحق الانضمام إليه"، واعتبر أن مواجهة هذه المواد الدعائية لا تقل أهمية عن وقف الصراع على الأرض.^(٨٠)

٦. التركيز على بث افلام للإستعراضات العسكرية للتنظيم و للترسانة العسكرية للتنظيم والتي تم الحصول عليها من خلال انتصاراته في المعارك والتي تمثلت بالمعدات والالات العسكرية والسيارات، فضلاً عن المقاطع التي تظهر سيطرة التنظيم على مبالغ نقدية كبيرة والتي تم الحصول عليها من خلال السطو على المصارف الحكومية والأهلية في المناطق التي تم السيطرة عليها وظهور افراد التنظيم وهم يتقاسمون تلك المبالغ.^(٨١)

٧٨- نساء "داعش" لـ "تجميل" الارهاب، موقع (IMN)، نشر بتاريخ ٢٠١٤/٢/٤ أطلع عليه بتاريخ، ٣/ ١٠/٢٠١٤، رابط الموقع: <http://www.akhbaar.org/home/2014/2/162333.html>

٧٩- «تويت» و«يوتيوب».. سلاحا «داعش» في تجنيد المتطرفين، موقع صحيفة الشرق الأوسط، نشر بتاريخ ٢٠١٤/١٠/٦، أطلع عليه بتاريخ ٢٠١٤/١٢/٢٥، رابط الموقع: <http://aawsat.com/home/article/195361>

٨٠- مينا غبور، داعش تستخدم تكنيك جنكيزخان في حربها النفسية، مصدر سبق ذكره.

٨١- لماذا يلجأ تنظيم القاعدة الى "الاستعراضات العسكرية" في اليمن والعراق وسوريا؟، موقع مراقبون برس، نشر بتاريخ ٨ يونيو ٢٠١٤م، أطلع عليه بتاريخ ٢٥/١٠/٢٠١٤، رابط الموقع: <http://moragboonpress.net/news3233.html>.

والمتابع للمقاطع التي ينشرها "داعش" على الإنترنت سيكتشف بسهولة توافر معدات كاملة وعالية الجودة لدى التنظيم، إضافة إلى أيدٍ ماهرة ومؤهلة للتعامل معها، فلدى التنظيم مكتب إعلامي كبير، وهو الأمر الذي بدا جلياً عندما ظهر أمير التنظيم أبو بكر البغدادي للمرة الأولى وهو يلقي خطبة في الجامع الكبير بالموصل، إذ تم تصويره باستخدام أكثر من كاميرا، ومن ثم انتاج فيديو عالي الجودة، خضع لعملية مونتاج وتقطيع دقيقة وماهرة قبل نشره على الإنترنت.

٧. بث مقاطع تظهر انسانية افراد تنظيم الدولة الاسلامية من خلال توزيع المساعدات الانسانية للمناطق التي تم السيطرة عليها وقيام افراد التنظيم بتوزيع بعض المبالغ النقدية للعوائل، فضلاً عن توزيع الوقود كالبزوين والنفط في محطات التعبئة أو إيصالها الى البيوت، ويؤكد عرض مثل هذه الافلام ان التنظيم يمتلك اموالاً طائلة في محاولة لدحض الانباء التي تؤكد سطو افراد التنظيم على المؤسسات والمصارف الحكومية.

وهنا، وفي هذه النقطة بالذات يطرح سؤال نفسه: من اين يأتي افراد التنظيم بكل تلك الاموال؟ وكيف يتم تمويل عملياتهم؟ ومن اين يستطيعون الحصول على التمويل للتوغل في العراق وسوريا؟، لتأتي الاجابة على لسان صحيفة "تايمز" البريطانية التي أكدت في تقرير لها "إن مانحين من القطاع الخاص في الخليج يتوافدون لدعم "داعش"، متعهدين بملايين الدولارات لتأجيج الأزمة"، ولفنت إلى أنّ الأموال خفّت قليلاً حين انتشرت أنباء عن أعمال وحشية، لكنها تندفق من جديد. فالتبرعات بمئات الملايين من الخليج، جعلت من "داعش" إحدى أكثر المنظمات الإرهابية ثراءً على الأرض.^(٨٢)

وكشفت الصحيفة، أن "داعش" لديه أصول بقيمة مليار ومئتي مليون جنيه استرليني، ويكاد يكون مكثفياً ذاتياً. وللتنظيم بضعة آلاف المقاتلين فقط في العراق وسوريا، لكن ثروته تحوله دفع أجور للقبائل المحلية ولبعض المسؤولين".

التايمز" اضافت أن المانحين في الخليج بدأوا صب الأموال لدعم المتمردين في سوريا منذ أواخر ألفين وأحد عشر، وأن حكوماتهم غضت الطرف، وتحدثت عن وصول الأموال إلى "داعش" عبر تحويلات مصرفية وأكياس من النقود توضع في نقاط تجميع في الكويت وقطر قبل تحويلها إلى تركيا، حيث يتم نقلها عبر الحدود العراقية.

٨. التركيز على بث افلام تظهر احتفالات المواطنين في بعض المناطق التي وقعت تحت سيطرة التنظيم والتأكيد على مشاركة افراد التنظيم فرحة الناس بقدمهم، لتقديم دليل على وجود حاضنة لهم في تلك المناطق والتأكيد على ان قدمهم ونصرهم جاء بمساعدة الأهالي او من كان ينتمي للتنظيم بصورة سرية وبتلك الصور يتم توجيه رسالة الى المدن الأخرى، مفادها ان من يرضى بوجود التنظيم او من يقدم له المساعدة سيكون في مأمن من القتل او التهجير. ان ما يعزز نجاح التنظيم في هذه النقطة هو التصريحات التي تعقب أي عملية إرهابية تحدث، لا تستطيع الخروج معها بفهم حقيقي لمجريات الاحداث، ويمكن القياس على ذلك في مسالة قطع المياه عن نهر الفرات لمرتين من خلال سد الثرثار، واغراق مناطق واسعة من الانبار، فضلاً عن انخفاض كبير في مناسيب المياه عن

محافظات الوسط والجنوب، وما ولدته من توقف المحطات الكهربائية، وقلة ماء الشرب وسقي المحاصيل الزراعية.

٩. عرض إنتصارات التنظيم اللوجستية، والتي تمثل ثقلًا في هيكلية الدولة، مثل إسقاط طائرة والسيطرة على محافظة الرقة في سوريا والسيطرة على محافظة الموصل، سد الموصل، مصفى بيجي، قاعدة سبايكر في محافظة صلاح الدين.^(٨٣)

وتشير المعلومات الصحفية إلى أن الجيش العراقي ترك كمية كبيرة من العتاد في أرض المعركة وعشرات الآليات العسكرية وحُكي عن وجود مبلغ نقدي كبير في فرع المصرف العراقي المركزي في الموصل، هذا إلى جانب إخراج المسلحين أكثر من ألفي سجين ما يذكر بفضيحة تهريب المعتقلين من سجنين عراقيين لإرسالهم للقتال في سوريا في أغسطس (آب) من العام الماضي. وتبدو الموصل ومحافظة نينوى ناهيك عن الأنبار وعن صلاح الدين التي توجه إليها مسلحو "داعش" "ليتمددوا" فيها على ما يوحي شعارهم، لقمة أكبر بكثير من معدة تنظيم أياً يكن حجمه وعديده. وتعزز السيطرة على محطات البث الفضائية والمباني العامة وفرار قوات الجيش بعد معارك متقطعة بوجود تواصلٍ ضمني على تسليم المدينة إلى "داعش" لأهداف عدة.

هذا وأوضح شوان طه (عضو لجنة الامن والدفاع النيابية في البرلمان العراقي)، عندما انتشرت شائعات تناقلتها وسائل اعلام مختلفة عن إمكانية استخدام التنظيم لمواد كيميائية في هجوم محتمل داخل الفلوجة قائلاً "إن خطورة ترويح الدعايات حول تنظيم داعش الارهابي ستؤثر بشكل سلبي على المجتمع العراقي"، وأضاف ان "امكانيات تنظيم داعش ليست بالحجم الذي تنقله بعض وسائل الاعلام".

١٠. عرض افلام وصور لقتلى التنظيم وإظهارهم على إنهم أبطال مبتسمين حتى عندما يموتون، وكدليل على صدق هؤلاء في تحقيق اهداف التنظيم المتمثلة بـ (النصر او الشهادة)، على عكس الصور البشعة التي تظهرها بعض المواقع الاخرى او القنوات التلفزيونية الفضائية. وفي السياق ذاته قال المتحدث باسم وزارة الداخلية العراقية العميد سعد معن "بدا تنظيم داعش يجتاز أفلاما قديمة تعود للأعوام ٢٠٠٦ و ٢٠٠٧ ويعيد إنتاجها بتغيير قليل ليوهم الآخرين بانتصاره، وهو ما اعترف به أحد عناصر داعش المعتقلين الذي قال إنهم باتوا يركزون على مخاطبة الإسلاميين المتطرفين والشباب المتدينين في الدول العربية بتلك الأفلام بل ويعتبرونها أحد أهم أساليب التجنيد".

١١. إن تنظيم القاعدة اعتمد ومنذ لحظة الإعلان عن وجوده على "البروباغندا الإعلامية" الممزوجة بالفتاوى والدعاوى الدينية هذه العمليات كأداة ترويجية للجهاد لتجنيد المزيد من المقاتلين العرب والأجانب.

٨٣- "الدولة الإسلامية تسيطر على حقل "الشاعر" للغاز الطبيعي في حمص"، موقع ويكيبيديا، نشر بتاريخ ١٧ يوليو ٢٠١٤. اطلع عليه بتاريخ ٢٠١٤/١٢/١١، رابط الموقع: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D9%86%D8%B8%D9%8A%D9%85_%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%88%D9%84%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85_%D8%A7%D9%84%D8%A9_%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D8%B4

١٢. العمل على تضليل الرأي العام المحلي والعربي والعالمي من خلال افتعال جرائم ونسبها الى الجيش ووفقا لقائد شرطة محافظة الأنبار اللواء اسماعيل الدليمي أن تنظيم "داعش" أقدم مؤخرا على نشر تصوير لضحايا انفجار سيارة مفخخة في الرمادي بينهم نساء وأطفال ثم ادعى أن من قام بهذه الجريمة هو الجيش العراقي "في محاولة لخداع الرأي العام وتشويه صورة قوات الأمن العراقية".

١٣. صناعة الحروب الوهمية، والاخبار التي لها وقع الصدمة على المواطنين، سيما البسطاء منهم، اتخذت التنظيمات الإرهابية، والآلة الإعلامية التي تدعمها، توجهات ذات شهرة إعلامية، أكثر منها عسكرية او لوجستية، فحرب المياه، وحرب احتلال المدن ثم الانسحاب منها، والتفجيرات النوعية، والاعتقالات، وتحرير السجون، والغزوات، كلها ذات دلالة إعلامية مكنت داعش من إرهاب المواطنين والضغط على الدولة، وسلب إرادة المبادرة الإعلامية، واقتصارها على الدفاع او التبرير، وهذا الامر خطراً للغاية بطبيعته، لإعتبارات سياسية ونفسية، قد تنعكس سلباً على القوات العسكرية والأمنية وصناع القرار، وقبلهم المواطنين الداعمين لجهد الدولة في القضاء على المجرمين المسلحة.

١٤. اللجوء الى عرض المحتوى الصادم، اذ يعتمد "داعش" على إستراتيجية معروفة للحرب النفسية من خلال تصدير محتوى صادم وحشي للإنساني، من أجل التأثير في آراء ومشاعر وسلوكيات العدو بطريقة تسهل الوصول للأهداف، و لم يكن فيديو قطع رأس الصحفي الأمريكي جيمس فولي على أيدي عناصر "داعش" هو الأول ويبدو أنه لن يكون الأخير، حيث يتجه تنظيم "الدولة الإسلامية في العراق والشام" بحسب ما يرى مراقبون، إلى خوض حرب نفسية ودعائية تعتمد على وسائل التكنولوجيا الحديثة والمحتوى الصادم. و على سبيل المثال "داعش يعدمون ١٥٠٠ جندي عراقي في قاعدة سبايكر"، وعرض افلام الاعدام على مواقع التواصل الاجتماعي، لتقوم بعدها العديد من قنوات الاعلام الفضائية ببث صور تلك الاعدامات مما اسهم بشكل كبير في بث الرعب في نفوس كل من شاهدها. ويبدو أن هذه الإستراتيجية تمكّن وحدات "داعش" من أن تكسب الحرب قبل حتى أن تصل إلى ميدان المعركة، فالدعاية المرعبة عبر مقاطع الفيديو التي يظهر فيها "المجاهدون" وهم يقتلون "أعداء الخلافة الإسلامية" ويعلقون الرؤوس المقطوعة في الميادين، تعطي "داعش" ميزة إضافية، إلا أنها في الوقت نفسه تشير إلى أن انتصارات التنظيم لا تأتي من قدراته، ولكن من مخاوف الناس مما يمكن أن يتعرضوا له، بل إن الجنود أنفسهم ربما يتركون الخدمة كما حدث في الموصل.

١٥. إستخدام اساليب التهيب العنيفة فالتسجيلات المصورة الدعائية "العنيفة" كـ "قطع رؤوس" الرهائن، تعد من ابرز الوسائل التي يعتمد عليها التنظيم عبر مواقع التواصل الاجتماعي على الرغم من ان البعض يرى ان "هذه التسجيلات المصورة المثيرة للغاية والعنيفة للغاية قد تلحق ضررا بالمناخ العام، ويمكنها أن تسبب الإسلاموفوبيا".

وأعرب السير بيتر فاي، رئيس شرطة مانشستر ومدير قسم مكافحة الإرهاب في اتحاد كبار ضباط الشرطة في بريطانيا، عن اعتقاده "أن رهاب الإسلام (الإسلاموفوبيا) قد يزيد، معتبرا أن "هذا النوع من المواد (الدعائية) قد يحدث زيادة كبيرة في جرائم الكراهية".

وأوضح أن "الأنشطة العنيفة للغاية لتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام ووحشيتهم المطلقة وتجاهلهم المطلق لأي مفهوم عن حقوق الإنسان أيا كان يثبط الناس عن الانضمام إليهم". وأضاف أن "هذه التسجيلات المصورة أظهرت المخاطر التي يواجهها الناس جراء الانخراط في هذا بأي شكل من الأشكال".

وتابع "لكن هذه التسجيلات تنشر الخوف والقلق في هذا المجتمع. كل شيء يوضح أنه مكان عنيف للغاية وخطير ولا يجب على أي شخص حتى التفكير في الذهاب إلى هناك". ويتفق هاراس رفيق عضو مؤسسة "كويليام" البحثية في مانشستر، والمعنية بقضايا التطرف، مع التحليل الذي ذهب إليه فاي. وقال رفيق إن "تسجيلات الإعدام (بقطع الرأس) لاقت تنديدا واسع النطاق من المسلمين على المستوى الأوسع حول العالم".

واعتبر أنه "نتيجة لذلك، فإن تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام غير من أسلوبه في محاولة للحصول على التعاطف من المسلمين الذين يرفضون تسجيلات الإعدام المصورة". إلا أنه يعود ليؤكد: "والآن بعد أن تأسست (الخلافة)، فإن البعض يشعر بأنه يريد أن يكون جزءا منها. وكان هناك توجه مفاده أن هؤلاء ينجزون الأمر بالفعل في حين أن آخرين من بينهم القاعدة والإخوان المسلمون يتحدثون عنها فقط".

الاستنتاجات:

١. يتبع تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" وغيره من الجماعات المتطرفة ذات منهجية حشد للتجنيد فعالية شبكة الإنترنت في الدعاية التي قد تبدأ بـ "الفيس بوك" و "يوتيوب" وغيرها من المواقع المعروفة، ولكنها قد تمتد إلى مواقع أقل شهرة في حال حذف المواد من قبل مديري الصفحات، وشبكات التواصل الاجتماعي منبر مهم لتلك الجماعات المتطرفة لتجنيد وحشد المقاتلين أجنب، بل إنها ضرورة قصوى، وذلك لطبيعتها المفتوحة ووصولها الواسع لشرائح الجمهور المستهدفة».
٢. إنَّ تنظيم الدولة الإسلامية يعتمد على الدعاية الإلكترونية وتستغل "الهاشتاغات" النشطة في شبكات التواصل الاجتماعي، مثل "يوتيوب" و "تويتر" لتنشر لقطات الفيديو، بهدف استقطاب وتجنيد مقاتلين أجنب جدد، والتركيز على أكثر المواضيع تداولاً وأهم المشاهير متابعة لاستخدامها، واختراق تلك السجلات لترويج دعايتهم ودعوة لتجنيد الأجنب ونشر لقطات فيديو الدعوة والإعدامات. ومن الملاحظ أن لدى التنظيم دراية واسعة بهذا المجال ولعل ما يؤكد ذلك إلى جانب هذا البحث، كلام الرئيس الأمريكي باراك أوباما وذلك في مقابلة أجرتها شبكة "سي بي اس" الأمريكية في ٢٨ سبتمبر ٢٠١٣، إذ قال "إن مسؤولي الدعاية في تنظيم "داعش" أصبحوا "ماهرين للغاية" في التعامل مع وسائل التواصل الاجتماعي، واستقطبوا مجندين جددًا من أوروبا وأميركا وأستراليا وغيرها".

٣. الدعاية الإلكترونية التي يمارسها "داعش" كونها تستهدف وبشكل مباشر شرائح محددة من الشباب المقيم في هذه البلدان، وبالطرق وأساليب الدعاية التي يفهمون ويتفاعلون معها بسهولة، كان واضحاً منذ بدايات انطلاق "داعش" خصوصاً ليس فقط انخراط العديد من الشباب القادم من الغرب بوصفهم مقاتلين في صفوف "داعش"، بل أيضاً وجود كثير من المؤيدين ونشطاء شبكات التواصل الاجتماعي

الذين يعملون على ترويج (داعش) وأهدافها، مما جعل هذه الدعاية الإلكترونية خطراً مباشراً على هذه البلدان، وليس فقط بلدان الشرق الأوسط، مثل سوريا والعراق.

٤. هناك أكثر من ١٥ ألف مقاتل أجنبي من نحو ٨١ دولة توجهوا للقتال في صفوف الجماعات المتطرفة في العراق وسوريا، ومنهم ٣ آلاف مقاتل من الغرب، وألف منهم على الأقل من القارة الأوروبية (نحو ٥٠٠ منهم من المملكة المتحدة و ٢٥٠ من بلجيكا). وتحتوي صفوفهم نحو مائة مواطن أميركي، وهذا بحسب الاحصائيات الواردة في تقرير منظمة الشرطة الجنائية الدولية (الإنتربول).

٥. استطاع تنظيم "داعش" توسيع حضوره على شبكة الإنترنت، ومن خلال شبكات التواصل الاجتماعي، وذلك من خلال نشر تدوينات ولقطات فيديو تولد الذعر في قلوب الناس. ويتبين تبعاً لذلك أن استراتيجية «داعش» مبنية على تخويف «أعدائه» واستفزازهم وإحياء فطرة العقيدة في قلوب المسلمين لتجنيدهم. فـ "المسألة مسألة عقيدة، فالذي يحرك هؤلاء الشباب رؤية إخوانهم في العقيدة يُقتلون، ولذلك يتوافدون للقتال هناك تعاطفاً وتضامناً معهم".

٦. اهتم تنظيم "داعش" بالإعلام بقوة قبل أن تتضاعف إمكانياته المادية، ومع زيادة إمكانياته، يستطيع تخصيص عناصر للدعاية الإلكترونية فقط، وتبين من خلال هذا البحث أن فريق "داعش" للدعاية الإلكترونية كبير ومنظم وموزع على جميع وسائل التواصل الاجتماعي الكبرى، مثل "فيسبوك" و"تويتر" و"يوتيوب"، ولكل "ولاية" حسابها الإلكتروني الخاص، مثل حساب "ولاية نينوى" الذي ينشر أخبارها، بالإضافة لحسابات "داعش" ويجري الاعتماد أيضاً على حسابات خاصة أخرى يتابعها عشرات الآلاف.

٧. إنَّ تنظيم "داعش" ليست الجماعة المتطرفة الوحيدة ولا الأولى التي تستغل شبكات التواصل الاجتماعي، إلا أنها تتميز بكثافة استعمالها لشبكات التواصل الاجتماعي واعتمادها على استراتيجيات إعلامية متطورة جداً وخطط ترويجية أكثر تقدماً من غيرها، في حين أن أغلب الجماعات المتطرفة في السابق كانت تستخدم المنتديات المغلقة لنشر رسائلها الإعلامية ولاستقطاب الأعضاء الجدد، إلا إن "داعش" تعتمد أكثر على الشبكات المفتوحة للجميع، مثل "فيسبوك" و"تويتر" و"يوتيوب"، وبالتالي تصل لعدد أكبر من الناس وشرائح متنوعة من الجمهور.

٨. تتركز الاستراتيجية الأساسية لـ "داعش" على توظيف الحشود واستقطابهم بشكل مباشر أو غير مباشر ليكونوا ناقلين وناشرين للفيديوهات والتغريدات والرسائل الإعلامية، وحسبما أشارت صحيفة "غارديان" البريطانية في تحقيق نشرته، فإن تمعن ودراسة آليات نشر لأحدث فيديو بثته "داعش"

- يوضح شتى الطرق التي يتبعها التنظيم إلكترونيا لنشر مواده، وأهمها استنزاف التغريدات النشطة في البلدان الأجنبية لزيادة توزيع المواد المتطرفة عبر "تويتر" و"يوتيوب".
٩. ان نجاح التنظيم في بث رسائله نابع من علمه ان الاعلام الرسمي وشبه الرسمي في أضعف حالاته بسبب تسارع الاحداث، كما انه يعاني من العشوائية والتكرار وعدم الاستعداد الإعلامي لإدارة المعركة اعلامياً، سيما وان الخبرات والوسائل الفنية والدعم اللوجستي، يعاني فقراً شديداً لا يتناسب وحجم التغطية الإعلامية المفترضة لواقع الحال، وعدم وجود أي استبيانات او مراكز استقصائية، لدراسة رغبة الجمهور، ومدى رضاه عن إدارة الاعلام الرسمي ضد الجماعات المتطرفة. مما أدى الى استغلال هذه التنظيمات لهذا الضعف، ليضاعف نشر تنفيذ عملياته الانتحارية ونشر الرعب في كل مكان.
١٠. التنظيم يستخدم أساليب غير شائعة في قلب الثغرات الأمنية للمواقع لتحميل مواده على شبكات التواصل الاجتماعي، مثل خدمات تتيح لمستخدميها نشر مدونات من حسابات سرية. ويعتمد التنظيم أيضاً على فتح حسابات احتياطية في حال إغلاق حسابهم من مديري الصفحات، وبهذا استطاع التنظيم نشر لقطات قطع الرؤوس حول العالم في غضون ساعات قليلة. ويُذكر أن التنظيم يقوم بتحميل لقطاته على "يوتيوب". وعلى خدمة "جست بيس إت" التي يديرها شاب بولندي (٢٦ عاماً)، ومن ذلك الموقع يستطيع الناس أخذ رابط الفيديو ومشاهدته على مواقع أخرى غير "يوتيوب" مبنية على رموز سرية يوفرها التنظيم بتدويناته المتناثرة على شتى المواقع والمتدييات، ليستطيع الناس مشاهدة ما حمّله التنظيم من مقاطع، وكذا الحال بالنسبة للجهادي البريطاني الذي يسمي نفسه "أبو عبدالله البريطاني" يستخدم موقع "ask.fm" - موقع إلكتروني يسأل فيه الناس أسئلة لصاحب الحساب - لتقديم النصائح لمن يرغب في الانضمام إلى داعش من البريطانيين.
- وهذا الموقع يمكن مستخدميه من طرح الأسئلة المختلفة، مع خيار عدم الكشف عن هويتهم، ويستخدمه أكثر من ٤٠ مليون فرد في جميع أنحاء العالم، ومعظمهم من المراهقين.
- واستخدام أبي عبدالله لهذا الموقع بالتحديد، لأنه يختلف عن باقي المواقع الإلكترونية الأخرى، لأنه يصعب فيه تحديد مواقع مستخدميه، أو هويتهم الحقيقية.

التوصيات:

١. إن اعتماد "داعش" على شبكات التواصل الاجتماعي للدعاية والحشد قد يكون من صالحه حالياً، ولكنه أيضاً مع صحوة الحكومات لتلك الاستراتيجيات والظاهرة المقلقة، قد يكشف ضعف التنظيم وهشاشته، وبذلك قد يستغل مندوه الاعتماد الكبير على الدعاية الإلكترونية لمحاربته من خلالها، والقضاء على وجوده، من خلال استئصاله من شبكات التواصل الاجتماعي، عن طريق التواصل مع اصحاب القرار في الحكومة والقائمين على ملكية وإدارة تلك الشبكات الاجتماعية.
٢. يتوجب إنشاء وحدة لمكافحة الإرهاب معنية بشبكة الإنترنت، لرصد المواد "الإرهابية" والمتطرفة على الشبكة. ولا بد ان تتبع الوحدة منهجاً استباقياً وفعالاً في رصد المواد الإرهابية، يديرها خبراء تقنيون ومحملون قادرون على حذفها من الشبكة، من خلال التنسيق مع وسيط التواصل الاجتماعي المعني.

وحدة مكافحة الإرهاب التي ترصد شبكة الإنترنت مسؤولة أيضا عن إبلاغ الجهات المعنية في الداخلية والجيش عن أي إساءات إرهابية (مثل تعظيم أفعال إرهابيين، أو ترويج حملاتهم، أو حشد للقتال) على الشبكة، وذلك من أجل اتخاذ إجراءات لمحكمة الجناة، ولكن لا بد من وجود آلية لا تقتصر على شراكة بين الأجهزة المعنية ومديري ومراقبي شبكات التواصل الاجتماعي، بل يجب أن يكون هناك إشراك للجمهور وتوظيف الحشود، في كل مراحل مكافحة الدعايات المتطرفة، للحد من قدرتها على استقطاب أعضاء جدد، ومن جمع الأموال ونشر الذعر بين صفوف الناس.

٣. ينبغي البدء بمحاملات مضادة لـ "داعش" على المواقع الالكترونية بصورة عامة وشبكات التواصل الاجتماعي بخاصة، للتنبيد بأفعال «داعش» ووحشيته بقطع الرؤوس والإعدامات، ولا بد لتلك المواقع من استخدام استراتيجيه بعيدة المدى للقضاء على أيديولوجيات التطرف موضحه للعالم معنى الإسلام الحقيقي الذي تم تشويه صورته بمقاطع وفديوهات تنظيم الدولة الاسلامية التي تم بثها على المواقع الالكترونية.

٤. الابتعاد عن التضارب في تصريحات المسؤولين، لإعتبارات سياسية ونفسية، قد تنعكس سلباً على القوات العسكرية والأمنية وصناع القرار، وقبلهم المواطنين الداعمين لجهد الدولة في القضاء على المجمع المسلحة، اذ ان التصريحات التي تعقب أي عملية إرهابية تحدث، لا تستطيع الخروج معها بفهم حقيقي لمجريات الاحداث فهذا الامر سيسهم في زيادة الاستعداد الإعلامي لهجمات التنظيم، التي غالباً ما تكون مباغتة وسريعة وفي أكثر من مكان، لكن بزمان واحد، فنحن اليوم نحتاج، الى التعلم من اخطائنا، فبعض الأخطاء ان لم نحسن التعامل معها والتعلم منها، قد تكون قاتلة.

٥. العمل على تطوير العمل الاعلامي وتقديم دعم لوجستي وخبرات إضافية، لتغيير الإطار التقليدي الذي طبع فيه، كما وينبغي الاستعانة بخبرات ومراكز إعلامية ذات طابع عالمي، والعمل على التنسيق مع المجتمع الإعلامي الدولي، وتبادل الخبرات، والاستضافة، والاستفادة من الفرصة الذهبية في اتحاد جميع المواقف العالمية لدعمها الحكومة العراقية في حربها مع التنظيمات الإرهابية.

٦. العمل على خلق إعلام يستطيع ان يؤثر في الرأي العام بصورة "وطنية"، والابتعاد عن الاعلام الذي يعمل على تأجيج المشاعر الدينية او المناطقية، او الانتماءات ذات الصبغة الطائفية، في احداث التأثير المباشر والتلاعب بعواطف الناس، فهو بطبيعته تأثير محدود، كما يمكن بسهولة تغيير دفته ليتحول الى الجهة المعاكسة، من دون سابق انذار، كما وينبغي الابتعاد عن عرض قضية التصدي للإرهاب الى واجهة سياسية لإفراد او كتل بعينها.

٧. التأكيد على ضرورة إنشاء مراكز بحوث تعنى بدراسة التنظيمات الارهابية والتعرف على استراتيجياتها في العمل السياسي والعسكري والاعلامي، فضلا عن انشاء مراكز لدراسة الرأي العام والعمل على وضع استبيانات للتعرف على رأي الجمهور بتلك التنظيمات وايجاد آلية مشتركة بين القائمين بتلك الدراسات والجمهور للقضاء عليها بشكل نهائي.

المصادر:

أولاً: الكتب العربية

١. أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، (ط ٨)، (الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٨٦م).
٢. صالح بن حمد العساف، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، (الرياض: شركة العبيكان للطباعة والنشر، ١٩٨٩م).
٣. عبد الأمير الفيصل، دراسات في الإعلام الإلكتروني، (الإمارات العربية المتحدة، دار الكتاب الجامعي، ٢٠١٤م).
٤. علي عبد الفتاح كنعان، الإعلام والمجتمع، (الأردن: دار اليازوري العلمية، ٢٠١٤م).
٥. عواطف عبد الرحمن وآخرون، تحليل المضمون في الدراسات الإعلامية، (القاهرة، دار ساحة للطباعة، ١٩٨٣م).
٦. غازي حسين عناية، إعداد البحث العلمي، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٦م).
٧. كاظم شنون المقدادي، الإعلام الدولي والجديد وتصدّي السلطة الرابعة، (الأردن: دار أسامة النشر والتوزيع، ٢٠١٣م).

ثانياً: الرسائل والأطاريح والبحوث:

١. مريم نريمان نومارا، استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية وتأثيره في العلاقات الاجتماعية، (رسالة ماجستير غير منشورة)، الجزائر، جامعة الحاج الخضر، ٢٠١٢م.
٢. مصعب حسام الدين لطفي قتلوني، دور مواقع التواصل الاجتماعي (الفييس بوك) في عملية التغيير السياسي، (رسالة ماجستير منشورة)، فلسطين: جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، ٢٠١٢م.

ثالثاً: الدوريات والمجلات والصحف:

١. أحمد دعدوش، أساليب الدعاية المعاصرة.. الغاية تبرر الوسيلة، مجلة البيان، العدد ٢٣٨.
٢. محمود الفطافطة، مستقبل الإعلام الجديد، مركز رام الله لدراسة حقوق الإنسان ((تسامح))، العدد ٣٦، السنة العاشرة، ٢٠١٢م، اذار.

رابعاً: المواقع الإلكترونية:

١. أبو بكر البغدادي... "الجهادي الخفي" الذي يحرك "داعش"، موقع الجريدة، نشر بتاريخ ٢٠١٤/٧/١٢، اطلع عليه بتاريخ ٢٠١٤/١١/٢٧، رابط الموقع:
<https://www.aljarida.com.tn/%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%87%D8%A7%D8%AF%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B0%D9%8A-%D9%8A%D8%AD%D8%B1%D9%83-%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D8%B4-%D8%A8%D9%86-%D9%84%D8%A7%D8%AF%D9%86->

- %D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%AF-%D8%B5%D8%A7%D8%AD%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%86%D8%A7%D8%B9
٢. الجزيرة، كلمة صوتية، إعلان الدولة الإسلامية في العراق والشام، نشر بتاريخ ٢٠١٣/٤/٩، أطلع عليه بتاريخ ٢٠١٤/١١/١٥.
 ٣. "الدولة الإسلامية" تستولي على مقر اللواء ٩٣ السوري بالرقعة". نشر بتاريخ ٨ أغسطس ٢٠١٤. اطلع عليه بتاريخ ٨ أغسطس ٢٠١٤.
 ٤. "الدولة الإسلامية تسيطر على حقل "الشاعر" للغاز الطبيعي في حمص"، موقع ويكيبيديا، نشر بتاريخ ١٧ يوليو ٢٠١٤. اطلع عليه بتاريخ ١١/١٢/٢٠١٤، رابط الموقع: [https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D9%86%D8%B8%D9%8A%D9%85_%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%A9_\(%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D8%B4](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D9%86%D8%B8%D9%8A%D9%85_%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%A9_(%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D8%B4)
 ٥. السعودية: حزب الله والإخوان وداعش جماعات إرهابية، موقع العربية نت، نشر بتاريخ ٢٠١٤/٣/٧، أطلع عليه بتاريخ ٢٠١٤/٩/٦، رابط الموقع: <http://www.alarabiya.net/ar/saudi-today/2014/03/07/%D8%A8%D9%8A%D8%A7%D9%86-%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%88%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%84%D9%83%D9%8A.html>
 ٦. "الفرقة ١٧ بيد "داعش" بعد تخلي قوات الأسد عن مواقعها". نشر بتاريخ ٢٥ يوليو ٢٠١٤. اطلع عليه بتاريخ ٢٦ يوليو ٢٠١٤.
 ٧. المخابرات الأمريكية: عدد مقاتلي تنظيم داعش يتراوح بين ٢٠ و٣١ ألفاً. موقع قناة الحرية. اطلع عليه بتاريخ ٢٣ /٩/ ٢٠١٤.
 ٨. الموصل.. عام على السقوط (انفوغرافيك)، موقع قناة RT، نشر بتاريخ ٢٠١٥/٦/١٠، أطلع عليه بتاريخ ٢٥/١١/٢٠١٦، رابط الموقع: <https://arabic.rt.com/news/785454>.
 ٩. باسم حسين الزبيدي، داعش والحرب الإعلامية في العراق، موقع صوت العراق، نشر بتاريخ ٢٠١٤/٥/٣، أطلع عليه بتاريخ ١٧/١٠/٢٠١٤، رابط الموقع: www.sotaliraq.com/mobile-item.php?id=158964
 ١٠. بيرغيد سفانسون و ريم نجمي، حقائق مثيرة عن سقوط الموصل في يد "داعش" قبل عام، موقع DW، نشر بتاريخ ٢٠١٥/٦/١٠، أطلع عليه بتاريخ ٢٣/١١/٢٠١٦، رابط الموقع: <http://www.dw.com/ar>

١١. تنظيم الدولة "يسيطر على الفرقة ١٧ في الرقة". نشر بتاريخ ٢٥ يوليو ٢٠١٤. اطلع عليه بتاريخ ٢٦ يوليو ٢٠١٤.

١٢. "تنظيم الدولة" يعلن الخلافة ويبايع البغدادي". اطلع عليه بتاريخ ٢٩ يونيو ٢٠١٤، رابط الموقع: <http://www.aljazeera.net/news/arabic/2014/6/30/%D8%AA%D9%86%D8%B8%D9%8A%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9-%D9%8A%D8%B9%D9%84%D9%86-%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%84%D8%A7%D9%81%D8%A9-%D9%88%D9%8A%D8%A8%D8%A7%D9%8A%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%BA%D8%AF%D8%A7%D8%AF%D9%8A-%D8%AE%D9%84%D9%8A%D9%81%D8%A9>

١٣. توماس، تيموثي، القاعدة و شبكة الإنترنت، نشر بتاريخ ٢٠٠٣، أطلع عليه بتاريخ ١٥/٧/٢٠١٤، رابط الموقع: [www.army.mil/usawc/Parameters Crystal Clear app kdict.png](http://www.army.mil/usawc/Parameters%20Crystal%20Clear%20app%20dict.png) مقال: مفصلة: الرنجة الحمراء.

١٤. «تويتر» و «يوتيوب».. سلاحا «داعش» في تجنيد المتطرفين، موقع صحيفة الشرق الأوسط، نشر بتاريخ ٦/١٠/٢٠١٤، أطلع عليه بتاريخ ٢٥/١٢/٢٠١٤، رابط الموقع: <http://aawsat.com/home/article/195361>

١٥. حمزة اسماعيل أبو شنب، تقنيات مواقع التواصل الاجتماعي، شبكة الالوكه، نشر بتاريخ ٣١/٨/٢٠١٣، اطلع عليه بتاريخ ١٢/٢/٢٠١٦، رابط الموقع: <http://www.alukah.net/culture/0/59302>

١٦. داعش "تسيطر على دير الزور.. ومقتل ٦٠٠ شخص"، صور نشرت بتاريخ ١١ يونيو ٢٠١٤. اطلع عليه بتاريخ ٢١ يونيو ٢٠١٤، رابط الموقع:

https://www.google.iq/search?q=5.+%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D8%B4%22+%D8%AA%D8%B3%D9%8A%D8%B7%D8%B1+%D8%B9%D9%84%D9%89+%D8%AF%D9%8A%D8%B1+%D8%A7%D9%84%D8%B2%D9%88%D8%B1..+%D9%88%D9%85%D9%82%D8%AA%D9%84+600+%D8%B4%D8%AE%D8%B5&sa=X&rlz=1C1AOHY_enIQ731IQ733&tbm=isch&tbo=u&source=univ&ved=0ahUKEwi3z.orxu47UAhXDuxQKHXR7DyYQsAQIIw&biw=1366&bih=677

١٧. "داعش" يعلن إقامة "الخلافة الإسلامية" ويبايع زعيمه خليفة للمسلمين"، موقع BBC عربي، نشر بتاريخ ٣٠/٦/٢٠١٤، أطلع عليه بتاريخ ٢٢/٩/٢٠١٤، رابط الموقع: http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2014/06/140629_iraq_isis_caliphate

١٨. "داعش" يلتجئ للمواقع الالكترونية لإرهاب المواطنين، موقع قناة الإتحاد، نشر بتاريخ ٦/٧/٢٠١٤، أطلع عليه بتاريخ ١٤/١٢/٢٠١٤، رابط الموقع:

<http://aletejahtv.org/permalink/21627.html>

١٩. سروه عبد الواحد قادر، ما هي داعش؟ كيف جاءوا للعراق؟ ما هو مصدر تمويلهم؟ (دراسة مقتضبة عن تنظيم داعش)، نشر بتاريخ ١١/٥/٢٠١٤، أطلع عليه بتاريخ ٢٧/١١/٢٠١٦، رابط الموقع: <http://www.nrttv.com/ar/birura-details.aspx?Jimare=2291>

٢٠. صبري كريم صبري، الإعلام الإلكتروني ساحة حرب مفتوحة للجماعات الإرهابية، موقع قناة الإتحاد، نشر بتاريخ ٧/٧/٢٠١٤، أطلع عليه بتاريخ ٢٥/١١/٢٠١٤، رابط الموقع: <http://aletejahtv.org/permalink/21627.html>

٢١. عماد علو، الاستخدام الارهابي للأترنت قراءة في التأثير الاستراتيجي، موقع دنيا الوطن، نشر بتاريخ ٢٣/١٢/٢٠١٣، أطلع عليه بتاريخ ١٢/٧/٢٠١٤، رابط الموقع: <https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/315392.html>

٢٢. فرانس ٢٤، البرلمان البريطاني يوافق على توجيه ضربات جوية ضد تنظيم "الدولة الإسلامية" في العراق، الجمعة ٢٦ سبتمبر ٢٠١٤.

٢٣. فرانس برس ٢٤، تقرير بث بتاريخ ٦/١٠/٢٠١٤، أطلع عليه بتاريخ ٢٣/١٢/٢٠١٤، رابط الموقع: <http://www.france24.com/ar/timeline/global>

٢٤. مينا غبور، داعش تستخدم تكتيك جنكيزخان في حربها النفسية، موقع دوت مصر، نشر بتاريخ ٢٣ / ٨ / ٢٠١٤، أطلع عليه بتاريخ ١٢/١١/٢٠١٤، رابط الموقع: <http://www.dotmsr.com/details/%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%81-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A3%D8%B3%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%A8-%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D8%B4-%D9%81%D9%8A-%D8%AD%D8%B1%D8%A8%D9%87%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%81%D8%B3%D9%8A%D8%A9>

٢٥. هاني فؤاد الفراش، بالخرائط.. كيف سقطت الموصل؟ ومن المسؤول؟، موقع قناة الحرية، نشر بتاريخ ٢٠/١١/٢٠١٤، أطلع عليه بتاريخ ٢٢/١١/٢٠١٦، رابط الموقع: <http://www.alhurra.com/a/how-mosul-fell-iraq-isis/261101.html>

٢٦. لماذا يلجأ تنظيم القاعدة الى "الاستعراضات العسكرية" في اليمن والعراق وسوريا؟، موقع مراقبون برس، نشر بتاريخ ٨ يونيو ٢٠١٤ م، أطلع عليه بتاريخ ٢٥/١٠/٢٠١٤، رابط الموقع: <http://moragboonpress.net/news3233.html>

٢٧. مات تريويرن، التسجيلات الدعائية "قد تضر" خطط تنظيم "الدولة الإسلامية" للتجنيد في بريطانيا، موقع (بي بي سي): نشر بتاريخ الإثنين، ٢٩ / ٩ / ٢٠١٤، أطلع عليه بتاريخ ١٢/١١/٢٠١٤، رابط الموقع:

http://www.bbc.com/arabic/worldnews/2014/09/140929_is_britons_jihad

٢٨. مخرج محترف "داعش يقلد هوليوود بألف دولار فقط.. هدف أفلامه بث الرعب وتجنيد الشباب عبر "الأكشن"، "موقع عكس السير، نشر بتاريخ ٢٣/٩/٢٠١٤، أطلع عليه بتاريخ ١٣/١١/٢٠١٤، رابط الموقع:

http://aksalser.com/?page=view_articles&id=7ccc9a58e484e7626f8633530a187faa
٢٩. "مسلحو داعش يقتحمون مقر محافظة نينوى بالموصل". نشر بتاريخ ١٠ يونيو ٢٠١٤. اطلع عليه بتاريخ ١٣ يونيو ٢٠١٤.

٣٠. موقع ويكيبيديا "الموسوعة الحرة"، أطلع عليه بتاريخ ٢٢/١٢/٢٠١٤، رابط الموقع:
<https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%8A%D9%88%D8%AA%D9%8A%D9%88%D8%A8>

نساء "داعش" لـ "تحميل" الارهاب، موقع (IMN)، نشر بتاريخ ٢/٤/٢٠١٤ أطلع عليه بتاريخ ٣،
١٠/٢٠١٤، رابط الموقع: <http://www.akhbaar.org/home/2014/2/162333.html>

الفساد الإداري ودور المؤسسات الدستورية في مكافحته

Administrative Corruption and the role of constitutional institution in its fighting

Dr.Samir Muayed Abdul-latif

أ.م.د. سامر مؤيد عبد اللطيف^(١)

Asst.Inst. Hayder Sami Gharib

م.م. حيدر سامي غريب^(٢)

المستخلص

الفساد الإداري آفة مجتمعية عرفتھا المجتمعات الإنسانية وعانت منها منذ ظهور الإنسان على وجه البسيطة وحتى يومنا هذا. ولما كان الفساد ظاهرة مستشرية في كل مفاصل المجتمع ولها كل ذلك الأثر التدميري، لزم أن يكون في مواجهتها سلطة لها الأمر والقدرة على مكافحتها واستئصال شأفتها من المجتمع، على أن تتلقى مثل هذه السلطة شرعيتها وصلاحياتها من الدستور بوصفه أعلى قانون ينظم حياة الدولة.

ومن هذا كله، تتولد الحاجة لتوصيف ماهية الفساد واثاره المدمرة، ليتسنى فيما تحري دور المؤسسات الدستورية في مواجهته.

وقد توصل البحث الى نتيجة مفادها أن مظاهر الفساد، تتنوع بتنوع مظاهر النشاط الإنساني ونزعاته المنحرفة وميله الدائم لتغليب مصلحته الخاصة على مصلحة المجتمع. وان مواجهة هذا الخطر تتم بتظافر جهود جميع السلطات والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية في المجتمع.

وفي هذا المجال يمكن التوصية ببناء دولة القانون والمؤسسات، وتعزيز مبدأ تكافؤ الفرص وتكريس العدالة والمساواة امام القانون ومحاسبة المفسدين الكبار قبل الصغار وعدم منح حصانة لمثل هؤلاء على

١- جامعة كربلاء/ كلية القانون.

٢- جامعة كربلاء/ كلية القانون.

حساب المجتمع. مع ضرورة التركيز على معيار الشفافية في الأداء مع تبسيط وسائل العمل وترشيق حلقاته، وتحديد مهل أنجاز المعاملات اعتماد معايير النزاهة والكفاءة والعدالة عند التعيين والترقية والأداء

Abstract

Administrative corruption is considered as a societal scourge, that human societies have known and suffered from it since the appearance of man on earth and even to this day. As the corruption phenomenon rampant in all the joints of the community and have all this destructive effect, required to be in the face of authority of her command and the ability to control and eradicate them from society, that receive such authority legitimacy and authority of the Constitution as the highest law regulating the life of the state

It is all of this, generated the need to characterize the nature of corruption and its devastating effect, in order to investigate the role of the constitutional institutions in the face.

The researcher has come to the conclusion that the manifestations of corruption, ranging diversity of aspects of human activity and deviant tendencies and his penchant for giving priority to the Permanent his own advantage to the benefit of society.

And thus is not fair in something inflict corruption political system without the other in spite of the prevalence of the belief that the public sector is associated with socialist system is often a breeding ground for deviations administrative and thefts financial, because the individual motivation is absent and the self-interest of those in charge of economic activity are not available.

In this area can be recommended building a state of law and institutions, and promote the principle of equal opportunities and devote justice and equality before the law and accountability of the corrupt and young adults by not granting immunity to such as these at the expense of the community. With the need to focus on the standard of transparency in performance while simplifying and reducing its working methods and its rings, and determine the leisurely completion of the transactions to adopt standards of integrity, efficiency and justice on appointment, promotion and performance.

المقدمة

الفساد الإداري آفة مجتمعية عرفتتها المجتمعات الإنسانية وعانت منها منذ ظهور الإنسان على وجه البسيطة وحتى يومنا هذا. وهي اليوم موجودة في كافة المجتمعات الغنية والفقيرة، المتعلمة والأمية، القوية

والضعيفة. فظهورها واستمرارها مرتبط برغبة الإنسان في الحصول على مكاسب مادية أو معنوية يعتقد في قرارة نفسه أنه ليس له حق فيها ومع ذلك يسعى إليها. ولذا فهو يلجأ إلى وسائل غير سوية للحصول لها، منها إقصاء من له أحقية فيها، ومنها أيضاً الحصول عليها عن طريق رشوة من بيده الأمر أو عن طريق آخر هو المحسوبية أو الوساطة عند ذوي الشأن.

لقد جاهدت الكثير من المجتمعات الحديثة للتخلص من آفة الفساد الإداري وعقاب المتسبب فيها، لأنها عقبة كداء في سبيل التطور السليم والصحيح لتلك المجتمعات. لذا اعتبر ارتفاع مؤشر الفساد الإداري في أي مجتمع كدليل على تأخر البلد وتدني فعالية الرقابة الحكومية وضعف القانون وغياب التشريعات الفعالة فيه، في الوقت الذي اعتبر فيه انخفاض مؤشر الفساد كدليل على تقدم البلد وقوة القانون وهيبته وفعالية التشريعات ووجود رقابة فاعلة ومؤثرة فيه.

وكان بلدنا العراق من بين الدول التي استشرى بها الفساد بكل أنواعه، حتى غدا آفة تهدد بنيان الدولة ومستقبلها، فتجاوز في تأثيره خطر الإرهاب ودماره.

ومن هنا تتولد الحاجة لأدراك ماهية الفساد الإداري وبيان أسبابه، وصوره، فضلاً عن تحديد أهم آثاره المدمرة، والتحرري بعد ذلك عن الدور المفترض لمؤسسات الدولة الدستورية في مكافحته.

تأسيساً على ما تقدم، جرى تقسيم الدراسة على ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: التعريف بمفهوم الفساد الإداري.

المبحث الثاني: مظاهر الفساد الإداري واثاره.

المبحث الثالث: دور المؤسسات الدستورية في مكافحة الفساد الاداري.

المبحث الأول: التعريف بمفهوم الفساد الإداري

للقوف على ماهية الفساد الاداري، ينبغي استجلاء دلالاته اللغوية والاصطلاحية. وانطلاقاً من هذا جرى تقسيم هذا المبحث على مطلبين

المطلب الأول: معنى الفساد في اللغة

تُشير كلمة "فساد" في اللغة العربية إلى (العطب، البطلان، التلف، والاضطراب، والخلل والحاق الضرر) وتأتي من الفعل (فَسَدَ) ضد صَلَحَ، فيقال فسد الشيء أي بطلَ واضمحَل، وتفاسد القوم أي (تدابروا وقطعوا الأرحام).

ويأتي تعبير الفساد على معانٍ عدة بحسب موقعه. فهو (الجذب أو القحط) كما في قوله تعالى ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليزيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾^(٣) أو (الطغيان والتجبر) كما في قوله تعالى ﴿لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا﴾^(٤) أو (عصيان لطاعة الله) كما في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتْلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ عَذَابٌ

٣- (سورة الروم الآية ٤١)

٤- (سورة القصص الآية ٨٣)

عظيم^(٥). ونرى في الآية الكريمة السابقة تشديد القرآن الكريم على تحريم الفساد على نحو كلي، وإن لمرتكبيه الخزي في الحياة الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة. وهكذا تُشير كلمة "فساد" في اللغة العربية إلى كل سلوك يتضمن معاني (الضرر والخلل والتلف وتقطيع أوصال المجتمع).^(٦)

أما الفساد في اللغة الإنجليزية فيعني (corruption) التلف والتدهور الأخلاقي، وأيضاً الرشوة. وهكذا يتضح أن مفهوم الفساد في اللغة الإنجليزية يشير إلى السلوك الفعلي الذي ينطوي على التلف والتدهور الأخلاقي.^(٧)

وتأسيساً على ما سبق، يمكن القول إن الدلالة اللغوية لكلمة الفساد تعني: (الإتلاف وإلحاق الضرر والأذى بالآخرين).

المطلب الثاني: معنى الفساد في الاصطلاح

تناولت مفهوم الفساد العديد من التعريفات المتنوعة، والتي اختلفت من باحث إلى آخر. وربما يرجع هذا التعدد إلى أن الفساد مفهوم مركب ومطاط وينطوي على أكثر من بعد، علاوة على أن هذا المفهوم يختلف من عصر إلى آخر، ومن مكان إلى آخر. كذلك يمكن أن تختلف النظرة إلى السلوك الذي تنطبق عليه خاصية الفساد طبقاً لدلالته؛ فالحسوبة والمحابة، على سبيل المثال، ربما يُنظر إليها على نحو مختلف تماماً في المجتمعات التي بها التزامات قرائية، فضلاً عن صعوبة وضع معايير عامة تنطبق على ظاهرة الفساد في كل المجتمعات؛ لأن المعايير الاجتماعية والقانونية إذا انطبقت في بعض الجوانب، فإنها قد تكون متعارضة تماماً في جوانب أخرى في عديد من الدول والأمم المختلفة.^(٨) في هذا الإطار يمكن تحديد أهم الاتجاهات الأساسية في تعريف الفساد على النحو الآتي:

١. الاتجاه الأول: الفساد هو إساءة الوظيفة العامة، من أجل تحقيق مكاسب خاصة

يؤكد أنصار هذا الاتجاه أن الفساد هو وسيلة لاستخدام الوظيفة العامة، من أجل تحقيق منفعة ذاتية. سواء في شكل عائد مادي أو معنوي. وذلك من خلال انتهاك القواعد الرسمية والإجراءات المعمول بها. ومن هذه التعريفات على سبيل المثال، تعريف (كريستوفر كلافان) الذي عرّف الفساد بأنه "استخدام السلطة العامة من أجل تحقيق أهداف خاصة"، وأن تحديد هذا المفهوم ينشأ من خلال التمييز بين ما هو عام وما هو خاص.

ويأتي في هذا الإطار، أيضاً، تعريف (كوبر Kuper) بأن الفساد الإداري هو "سوء استخدام الوظيفة العامة أو السلطة للحصول على مكاسب شخصية أو منفعة ذاتية، بطريقة غير شرعية".

وقد سار على المنوال نفسه كثير من الباحثين في ربط الفساد الإداري بإساءة استخدام الوظيفة العامة؛ فيرى (روبرت بروكس Brooks) أن الفساد الإداري هو "سلوك يجيد عن المهام الرسمية لوظيفة

٥- (سورة المائدة الآية ٣٣)

٦- ياسر خالد بركات الوائلي، الفساد الإداري.. مفهومه ومظاهره وأسبابه: مع إشارة إلى تجربة العراق في الفساد، مركز المستقبل للدراسات والبحوث، <http://www.annabaa.org/nbahome/nba80/010.htm>

٧- الفساد الإداري، دراسة منشورة على موقع المقاتل الإلكتروني، http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Mnfisia15/AdmCorrupt/sec01.doc_cvt.htm

٨- نجيت عبد القادر، الفساد الإداري وسبل مكافحته، مقال منشور على موقع منهل الثقافة التربوية، <http://www.manhal.net/articles.php?action=show&id=1526>

عامة بمهدف الحصول على منافع خاصة؛ أو أنه الأداء السيئ المقصود، أو تجاهل واجب محدد معروف، أو الممارسة غير المسموح بها للسلطة، وذلك بدافع الحصول على مصلحة شخصية مباشرة بشكل أو بآخر. وهكذا يتبين أن هذا الاتجاه يوضح أن السلوك المنطوي على الفساد ليس بالضرورة مخالفاً لنصوص القانون، وإنما يعني استغلال الموظف العام سلطته ونفوذه لتحقيق مكاسب خاصة، وذلك من خلال تعطيل نصوص القانون، أو من طريق زيادة التعقيدات البيروقراطية في تنفيذ الإجراءات، أو انتهاك القواعد الرسمية.

٢. الاتجاه الثاني: الفساد هو انتهاك المعايير الرسمية والخروج على المصلحة العامة

يركّز هذا الاتجاه على أن السلوك المنطوي على الفساد هو ذلك السلوك الذي ينتهك القواعد القانونية الرسمية، التي يفرضها النظام السياسي القائم على مواظبه. ويُعد (جارولد مانهايم Manhiem) من أهم العلماء المعبرين عن هذا الاتجاه القانوني. عرف (مانهايم) الفساد بأنه "سلوك منحرف عن الواجبات والقواعد الرسمية للدور العام، نتيجة للمكاسب ذات الاعتبار الخاص (سواء شخصية أو عائلية أو الجماعات الخصوصية)، والتي تتعلق بالثروة أو المكانة. أو السلوك الذي ينتهك الأحكام والقواعد المانعة لممارسة أنماط معينة من التأثير والنفوذ ذوي الطابع الشخصي الخاص". وكذلك تعريف (هينجتون) للفساد الإداري بأنه "سلوك الموظف العام الذي ينحرف عن القواعد القانونية السائدة، بمهدف تحقيق منفعة ذاتية".

وعلى الرغم من أهمية هذا النوع من التعريفات للفساد، إلا أنها لا تعبر بالضرورة عن كل أشكال الفساد عن الخروج على القانون؛ إضافة إلى أن التعريفات القانونية للفساد غير كافية؛ لأن المميزات المحددة غالباً ما تحدد من خلال العرف الاجتماعي والعكس بالعكس؛ فضلاً عن ذلك فإنه من الصعب وضع معايير عامة للسلوك المقبول، خاصة في الدول الأكثر عرضة للتغير السياسي والاجتماعي.

٣. الاتجاه الثالث: الفساد كأوضاع بنائية هيكلية

ينظر هذا الاتجاه إلى الفساد بوصفه نتيجة مجموعة من الاختلالات الكامنة في الهياكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع. وعلى هذا الأساس فلكي يتم الكشف عن أسباب الفساد ومظاهره داخل المجتمع، يجب تحديدها داخل البناء الاجتماعي الشامل. ومن أهم التعريفات التي تمثل هذا الاتجاه تعريف (عبد الباسط عبد المعطي) الذي يرى أن الفساد "أسلوب من أساليب الاستغلال الاجتماعي المصاحب لحياة القوة الرسمية داخل التنظيمات الإدارية، وهو نتاج لسياق بنائي قائم على العلاقات الاستغلالية التي تؤثر في صور هذا الفساد ومضموناته وموضوعاته وأطرافه، التي يُستغل فيها دوماً من لا يحوزون القوة والسلطة بجوانبها المختلفة، خاصة الاقتصادية والسياسية".

وعلى هذا يُلاحظ وجود علاقة جوهريّة بين الفساد البنائي والفساد السلوكي؛ فوجود النمط الأول يزيد من احتمالات حدوث النمط الثاني بالضرورة، حيث إن السعي إلى تغيير البناء الاجتماعي يرتبط — غالباً — بمجموعة من التوترات والاختلالات، التي تتضمن ألواناً عديدة من الفساد السلوكي داخل المجتمع.

بعد عرض الاتجاهات الثلاثة السابقة في تعريف الفساد بشكل عام، يمكن تحديد مفهوم الفساد الإداري بوصفه "استغلال رجال الإدارة، العاملين في كافة أجهزة الدولة ومؤسساتها، للسلطات الرسمية المخولة لهم والانحراف بها عن المصالح العامة، تحقيقاً لمصالح ذاتية وشخصية بطريقة غير مشروعة".^(٩)

المبحث الثاني: مظاهر الفساد الإداري واثاره

تتنوع مظاهر الفساد بتنوع اسبابه والظروف والتركيبية المرضية الذاتية لكل مجتمع، ولكل فرد ضمن المجتمع ذاته. ومع اختلاف مظاهر الفساد، تتباين اثاره من حيث الطبيعة ودرجة التأثير لاسيما اذا ما اقحمنا عنصر الزمن في معادلة وعمق التأثير.

وتبعاً لما تقدم جرى تقسيم هذا المبحث على مطلبين:

المطلب الاول: مظاهر الفساد الاداري

المطلب الثاني: اثار الفساد الاداري

المطلب الاول: مظاهر الفساد الاداري

إن مظاهر الفساد الإداري متعددة ومتداخلة بحيث يصعب حصرها باتجاه واحد او إخضاعها لمعيار منفرد. وغالباً ما يكون انتشار احد أنماط الفساد سبباً مساعداً على انتشار المظاهر الأخرى. ويمكن إجمالها بالآتي:

الفرع الاول: الفساد من حيث القصد

١ - الفساد العرضي:

هو الفساد الذي يحدث عند قاعدة الهرم الإداري من قبل صغار الموظفين ويعبر غالباً عن سلوك شخصي أكثر منه تعبيراً عن نظام عام كحالات الاختلاس على نطاق محدود او تلقي الرشوة الخفيفة او سرقة أدوات مكتنية وما الى ذلك.

٢ - الفساد المنتظم او النظامي systematic corruption:

وهو الذي يحدث حين تتحول إدارة المنظمة الى إدارة فاسدة بمعنى أن يدير العمل برمته شبكة مترابطة للفساد يستفيد ويعتمد كل عنصر منها على الآخر مثال ذلك شبكة الفساد التي تضم مدير الدائرة ومدراء المشاريع والمدير المالي والتجاري.^(١٠)

الفرع الثاني: الفساد من حيث الحجم

١. الفساد الصغير (Minor Corruption)

(فساد الدرجات الوظيفية الدنيا) وهو الفساد الذي يمارس من فرد واحد دون تنسيق مع الآخرين لذا نراه ينتشر بين صغار الموظفين عن طريق استلام رشاوى من الآخرين.

٩- الفساد الاداري، موقع المقاتل، مصدر سابق.

١٠- علي احمد فارس، حل الازمات: الفساد الاداري نموذجاً، مركز المستقبل للدراسات والبحوث، <http://mcsr.net/activities/032.html>

٢. الفساد الكبير (Gross Corruption)

(فساد الدرجات الوظيفية العليا من الموظفين) والذي يقوم به كبار المسؤولين والموظفين لتحقيق مصالح مادية أو اجتماعية كبيرة؛ وهو أهم واشمل وخطر لتكليفه الدولة بمبالغ ضخمة وغالبا ما يرتبط بالمقاومات أي المشاريع الكبرى، لأن القائمين عليها لا تدخل عليهم إلا بجواز مرور، هذا الجواز هو انك تملك النفوذ المادي والسياسي..... أشخاص يدجون الهيمنة السياسية بالسيطرة الاقتصادية فيسيطرون على الأمور ويسخرونها لخدمة أغراضهم الخاصة.^(١١)

الفرع الثالث: الفساد من حيث النطاق

١. الفساد الدولي:-

وهذا النوع من الفساد يأخذ مدى واسعاً عالمياً يعبر حدود الدول وحتى القارات ضمن ما يطلق عليها (بالعولمة) بفتح الحدود والمعايير بين البلاد وتحت مظلة ونظام الاقتصاد الحر. ترتبط المؤسسات الاقتصادية للدولة داخل وخارج البلد بالكيان السياسي أو قيادته لتمير منافع اقتصادية نفعية يصعب الفصل بينهما لهذا يكون هذا الفساد أخطبوطياً يلف كيانات واقتصادات على مدى واسع ويعتبر الأخطر نوعاً.^(١٢)

٢. الفساد المحلي:-

وهو الذي ينتشر داخل البلد الواحد في منشأته الاقتصادية وضمن المناصب الصغيرة ومن الذين لا ارتباط لهم خارج الحدود (مع شركات أو كيانات كبرى أو عالمية).^(١٣)

الفرع الرابع: الفساد من حيث الممارسة والأداء

١- الانحرافات التنظيمية:-

ويقصد بها تلك المخالفات التي تصدر عن الموظف في أثناء تأديته لمهام وظيفته والتي تتعلق بصفة أساسية بالعمل، ومن أهمها:

- عدم احترام العمل، ومن صور ذلك: (التأخر في الحضور صباحاً - الخروج في وقت مبكر عن وقت الدوام الرسمي - النظر إلى الزمن المتبقي من العمل بدون النظر إلى مقدار إنتاجيته - قراءة الجرائد واستقبال الزوار - التنقل من مكتب إلى آخر.....).^(١٤)

١١- سعاد عبد الفتاح محمد، الفساد الاداري والمالي، بحث منشور ضمن وقائع المؤتمر العلمي الاول لهيئة النزاهة في بغداد، للفترة ٥-٦ تموز سنة ٢٠٠٨، ص ٢٤٩.

١٢- بذل المجتمع الدولي جهوداً كبيرة لمواجهة خطر هذا النوع من الفساد، وكانت اتفاقية الامم المتحدة لمكافحة الفساد التي وقع عليها ١٣٧ دولة و دخلت حيز النفاذ في كانون الاول من عام ٢٠٠٥ من ابرز هذه الجهود، اذ ألزمت الدول الموقعة على تبني تدابير لمنع وقمع الفساد فيها. للتفاصيل حول هذا الموضوع، ينظر: يارا اسكوفيل، اتفاقية الامم المتحدة لمكافحة الفساد واسترداد الاصول: الطريق الى الترحيل، بحث منشور في كتيب اقتفاء اثر الاصول المسروقة، المركز الدولي لاسترداد الاصول، بازل / سويسرا، ٢٠٠٩، ص ١٤٦.

١٣- المصدر السابق، ص ٢٤٩.

١٤- شددت المادة (٤/ ثانياً) من قانون انضباط موظفي الدولة والقطاع العام العراقي رقم ١٤ لسنة ١٩٩١ على ضرورة (الالتزام مواعيد العمل الرسمية وعدم التغيب عنه الا باذن، وتخصيص اوقات العمل لاداء واجبات الوظيفة. كما جاء في البند السادس من القانون ذاته جواز قيام الموظف باي اعباء وظيفية يكلف بها ولو في غير مواعيد العمل الرسمية متى اقتضت مصلحة العمل ذلك.

- امتناع الموظف عن أداء العمل المطلوب منه، ومن صور ذلك: (رفض الموظف أداء العمل المكلف به - عدم القيام بالعمل على الوجه الصحيح - التأخير في أداء العمل....)
- التراخي، ومن صور ذلك: (الكسل - الرغبة في الحصول على أكبر اجر مقابل أقل جهد - تنفيذ الحد الأدنى من العمل....).
- عدم الالتزام بأوامر وتعليمات الرؤساء، ومن صور ذلك: (العدوانية نحو الرئيس - عدم إطاعة أوامر الرئيس - البحث عن المنافذ والأعذار لعدم تنفيذ أوامر الرئيس....^(١٥)).
- السلبية، ومن صور ذلك: (اللامبالاة - عدم إبداء الرأي - عدم الميل إلى التجديد والتطوير والابتكار - العزوف عن المشاركة في اتخاذ القرارات - الانعزالية - عدم الرغبة في التعاون - عدم تشجيع العمل الجماعي - تجنب الاتصال بالأفراد.....)
- عدم تحمل المسؤولية، ومن صور ذلك: (تحويل الأوراق من مستوى إداري إلى آخر - التهرب من الإماءات والتوقيعات لعدم تحمل المسؤولية....^(١٦)).
- عدم الامانة والدقة في أداء واجبات العمل.^(١٧)
- عدم الأخذ بمبدأ التخصص في العمل ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب.
- إفشاء أسرار العمل.^(١٨)

٢- الانحرافات السلوكية:-

ويقصد بها تلك المخالفات الإدارية التي يرتكبها الموظف وتعلق بمسلكه الشخصي وتصرفه، ومن أهمها:

- عدم المحافظة على كرامة الوظيفة، ومن صور ذلك: (ارتكاب الموظف لفعل محل بالحياء في العمل كاستعمال المخدرات أو التورط في جرائم أخلاقية).
- سوء استعمال السلطة أو الانحراف بها، ويقصد بذلك الاستخدام العمدي من الإدارة لسلطتها لتحقيق هدف خاص أو مغاير لذلك الذي من اجله منحت تلك السلطة.^(١٩) ومن صور ذلك: (كتقديم الخدمات الشخصية وتسهيل الأمور وتجاوز اعتبارات العدالة الموضوعية في منح أقارب أو معارف المسؤولين ما يطلب منهم).

١٥- نص قانون انضباط موظفي الدولة العراقي رقم ١٤ لسنة ١٩٩١ على قيام الموظف باحترام رؤساءه والتزام الادب واللياقة في مخاطبتهم واطاعة اوامره المتعلقة باداء واجباته)

١٦- جاء في المادة (٤/أولاً) من قانون انضباط موظفي الدولة العراقي رقم ١٤ لسنة ١٩٩٤ النص على: (وجوب اداء الموظف لاعمال وظيفته بنفسه بامانة وشعور بالمسؤولية) ومن مقتضيات ذلك كما جاء في تفسير المحاكم الاداري قيام الموظف باداء العمل المنوط به من رؤسائه دون تعقيب منه على مدى ملائمة هذا العمل لامكانياته وقدراته. ينظر للتفاصيل: د. عثمان سلمان غيلان، اخلاقيات الوظيفة العامة، ط١، بغداد، ٢٠١١، ص ١٧٨.

١٧- اوجبت المادة (٧٨/١) من قانون نظام العاملين بالقطاع العام المصري رقم ٤٨ لسنة ١٩٧٨ على العامل نزاعة اداء واجباته بدقة وامانة. نقلا عن: د. عبد الحميد الشواربي، تاديب العاملين في قانون شركات قطاع الاعمال، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٩٥، ص ٦٢.

١٨- هناء يماني، الفساد الاداري وعلاجه من منظور اسلامي، <http://www.saaaid.net/book/7/1291.doc>

١٩- د. عبد العزيز عبد المنعم خليفة، الانحراف بالسلطة كسبب لالغاء القرار الاداري، منشأة المعارف، الاسكندرية، ٢٠٠٩،

- المحاباة (Favoritism) أي تفضيل جهة على أخرى بغير وجه حق كما في منح المقاولات والعطاءات أو عقود الاستئجار والاستثمار.
- الوساطة، فيستعمل بعض الموظفين الوساطة شكلاً من أشكال تبادل المصالح. والوساطة هي حالة استجابة الموظف لرجاء أو توصية يؤديه الغير إلى صاحب الحاجة للقيام بالعمل أو الامتناع عنه أو حتى الإخلال.^(٢٠)

٣- الانحرافات المالية والجنائية:-

- ويقصد بها المخالفات المالية والإدارية التي تتصل بسير العمل المنوط بالموظف، وتتمثل هذه المخالفات فيما يلي^(٢١):
- مخالفة القواعد والأحكام المالية المنصوص عليها داخل المنظمة.
- فرض المغارم (الابتزاز) Black Mailing وتعني قيام الموظف بتسخير سلطة وظيفته للانتفاع من الأعمال الموكلة إليه في فرض الإتاوة على بعض الأشخاص أو استخدام القوة البشرية الحكومية من العمال والموظفين في الأمور الشخصية في غير الأعمال الرسمية المخصصة لهم لغرض الحصول على المال من الأشخاص مستغلاً موقعه الوظيفي بتبريرات قانونية أو إدارية أو إخفاء التعليمات النافذة على الأشخاص المعنيين كما يحدث في دوائر الضريبة أو تزوير الشهادة الدراسية أو تزوير النقود.^(٢٢)
- إتلاف وتبديد الأموال العامة، ويقصد بذلك إساءة استخدام واستعمال أموال وممتلكات الإدارة عن عمد أو إهمال بقصد تحريضها أو إتلافها أو انتقاصها أو تضييع وتفويت ربح محقق للإدارة من ورائها أو بقصد تعطيلها عن أداء ما خصصت له من مهام.^(٢٣)
- الرشوة (Bribe) وتعني حصول الشخص على منفعة تكون مالية في الغالب لتمرير أو تنفيذ أعمال خلاف التشريع أو أصول المهنة.^(٢٤)
- اختلاس المال العام (Misappropriation) باستخدام الصلاحيات الممنوحة للشخص أو الاحتيال أو استغلال الموقع الوظيفي للتصرف بأموال الدولة بشكل سري من غير وجه حق.^(٢٥)
- التزوير.
- العمولات Commission.
- التهرب من الضرائب
- بيع المناصب العامة نظير مقابل مالي.

٢٠- د. صباح كرم شعبان، جرائم استغلال النفوذ، دار الحكمة ن جامعة البصرة، ١٩٨٣، ص ٣٩.

٢١- الفساد الإداري.. مفهومه ومظاهره وأسبابه: مع إشارة إلى تجربة العراق في الفساد، دراسة منشورة على موقع مدونة فقه السياسة الإلكتروني، بتاريخ ٢٠٠٩/٩/٣، <http://almalafnews.com/feqhalsea/index.php?aa=news&id22=151>

٢٢- د. سمير عبود وصباح نوري عباس، الفساد الإداري والمالي في العراق، بحث منشور ضمن وقائع المؤتمر العلمي الأول لهيئة النزاهة في بغداد، للفترة ٥-٦ تموز سنة ٢٠٠٨، ص ٤٧٧.

٢٣- د. السيد احمد محمد مرجان، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ١٥٠.

٢٤- د. صباح كرم شعبان، مصدر سابق، ص ٣٧.

٢٥- للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع يمكن الرجوع الى: د. السيد احمد محمد مرجان، ص ١٤٣-١٤٤.

ولا يخفى فان اخطر انواع الفساد هو ذلك النوع المنظم والمدار من السلطة وان كانت جميع الأنواع المتقدمة تحدث اثارا ضارة وانعكاسات سلبية على المجتمع. وإجمالاً فان القاسم المشترك بين هذه التقسيمات هو (وحدة الهدف المتمثل بتحقيق أقصى المنافع الخاصة من الوظيفة العامة وبطرق غير مشروعة).

المطلب الثاني: آثار الفساد الإداري

لما كان الفساد الاداري ظاهرة مرضية تصيب المجتمعات بأعراضها، فإنها ستترك بالضرورة اثارا ضارة على كل الاصعدة (السياسية والاقتصادية والاجتماعية). وللقوف على طبيعة هذه الاثار جرى تقسيم المطلب على الفروع الاتية:

الفرع الاول: الآثار السياسية:

إن استغلال أصحاب النفوذ لمواقعهم المميزة في المجتمع وفي النظام السياسي يتيح لهم الاستئثار بالجانب الأكبر من المنافع الاقتصادية بالإضافة الى قدرتهم على مراكمة الأصول بصفة مستمرة مما يؤدي الى توسيع الفجوة بين هذه النخبة وبقية أفراد المجتمع. وهذه الفئة المتنفة؛ تنجح من خلال نفوذها في الدولة باستصدار قوانين او أنظمة تخلق او تحمي احتكارا تجاريا او صناعيا او خديما كي تجني بواسطته ربحا ربحيا على حساب المستهلك. وقد يصل الفساد الى مستوى ما اصطلاح عليه في العلوم الاجتماعية والسياسية (اقتناص الدولة) او (أسرها)؛ وقد يصل بالدولة الى مستوى (الدولة الفاشلة) او إبقائها في مستوى (الدولة الرخوة). ان انتشار الفساد الاداري يؤثر سلباً في أمن واستقرار البلد وهو يقوض العمل المؤسسي، والديمقراطية، واسس العدالة. كما يضرب مصداقية الدولة ومؤسساتها وبالتالي سيزعزع ثقة افراد المجتمع بها ويخلق فجوة كبيرة مابين طرفي المعادلة المجتمع والدولة.

وحين يتفشى الفساد وتزداد الفجوة بين الأقلية المترفة والأغلبية الفقيرة والمسحوقة، فان ذلك يؤدي الى ظهور احتجاجات واسعة من قبل المحرومين والمهمشين، قد يصل الحال الى حد استعمال العنف كآلية لمواجهة الحرمان والتهميش؛ الأمر الذي يعني انتشار الفوضى وانعدام الاستقرار السياسي.^(٢٦)

الفرع الثاني: الآثار الاقتصادية:-

١. هناك اتفاق عام على ان التنمية والنمو الاقتصادي يصيبها الضرر من جراء ممارسات الفساد من حيث انخفاض معدل العائد الاستثماري؛ اذ ان المبالغ التي يدفعها المستثمر كعمولات ورشاوى على كلفة المشروع ستجد ما يعوضها من خلال ذلك الانخفاض. وهكذا سوف يساهم الفساد في تدني كفاءة الاستثمار العام، وأضعاف مستوى الجودة في البنية التحتية العامة، وذلك بسبب الرشاوى التي تحد من الموارد المخصصة للاستثمار وتسيء توجيهها أو تزيد من كلفتها.^(٢٧)

٢٦- سعاد عبد الفتاح محمد، الفساد الاداري والمالي: مظاهره وسبل معالجته، بحث منشور ضمن وقائع المؤتمر العلمي الاول لهيئة النزاهة في بغداد، للفترة ٦-٥ تموز سنة ٢٠٠٨، ص ٢٥٠.
٢٧- د. مجي غني النجار، الاثار الاقتصادية للفساد الاقتصادي، بحث منشور ضمن وقائع المؤتمر العلمي الاول لهيئة النزاهة في بغداد، للفترة ٦-٥ تموز سنة ٢٠٠٨، ص ١٥٥.

٢. للفساد أثر مباشر في حجم ونوعية موارد الاستثمار الأجنبي، ففي الوقت الذي تسعى فيه البلدان النامية إلى استقطاب موارد الاستثمار الأجنبي لما تنطوي عليه هذه الاستثمارات من إمكانيات نقل المهارات والتكنولوجيا، فقد أثبتت الدراسات أن الفساد يضعف هذه التدفقات الاستثمارية وقد يعطلها مما يمكن أن يسهم في تدني إنتاجية الضرائب وبالتالي تراجع مؤشرات التنمية البشرية خاصة فيما يتعلق بمؤشرات التعليم والصحة.^(٢٨)

٣. يرتبط الفساد بتردي حالة توزيع الدخل والثروة، من خلال استغلال أصحاب النفوذ لمواقعهم المميزة في المجتمع وفي النظام السياسي، مما يتيح لهم الاستئثار بالجانب الأكبر من المنافع الاقتصادية التي يقدمها النظام بالإضافة إلى قدرتهم على مراكمة الأصول بصفة مستمرة مما يؤدي إلى توسيع الفجوة بين هذه النخبة وبقية أفراد المجتمع الأمر الذي سيؤدي بالنتيجة إلى حصول تمايز طبقي وفجوة كبيرة بين من يملكون وبين من لا يملكون.^(٢٩)

٤. الخلل الكبير الذي يصيب أخلاقيات العمل من خلال سيادة حالة ذهنية لدى الأفراد والجماعات تبرر الفساد وتجد له من الذرائع ما يبرر استمراره؛ الأمر الذي يقود إلى فقدان الثقة لدى الفرد بأهمية العمل الفردي وقيمه وتراجع الاهتمام بالحقوق العام طالما أن الدخول المكتسبة عن الممارسات الفاسدة تفوق في قيمتها المادية الدخول المكتسبة عن العمل الشريف، مما يتولد عنه شعور بعدم المبالاة والإهمال وعدم الإخلاص والحرص على المصلحة العامة.^(٣٠)

الفرع الثالث: الآثار القانونية والإدارية:

يفقد القانون هيئته في المجتمع لأن المفسدين يملكون تعطيل القانون وقتل القرارات التنظيمية ويصبح واضح للعيان أن القانون في سبات عميق وأن الجزاءات واللوائح لا تطبق ضد المخالفات الصريحة والمدمرة لأمن البلد والمجتمع فلا بد للفرد أن يفقد ثقته في هيئة القانون في المجتمع وتصبح مخالفته هي الأصل واحترام القانون هو الاستثناء. ويعمل الفساد على خلق ثقافة يفلت فيها المفسدون من المسألة عن تصرفاتهم. وكذلك يعمل على تكريس نظام يغفل فيه سيادة القانون بشكل كبير فيسهم في ارتفاع معدلات الجريمة نتيجة سهولة الهروب من العقاب

على الصعيد الإداري، سيعمل المفسدون على إكثار الحلقات الروتينية وتعقيدها وستؤدي إلى زيادة إجراء الأعمال لغرض ابتزاز المواطن أو يتحملها من خلال زيادة الأسعار، أو أنها تصبح بمثابة العائق أمام دخول المؤسسات إلى السوق. كما يتسبب الفساد الإداري بإهدار جزء كبير من موارد المؤسسات التي تشكل روافد أساسية لتغذية ميزانية الدولة المتحققة من الضرائب والكمارك والمصادر الإيرادية الأخرى لتغطية متطلبات الفساد بدلاً من إنفاقها على أنشطة تعزيز النمو والتقدم. ويسهم الفساد أيضاً في تراجع الاحساس بمسؤولية الوظيفة العامة وروح الابداع والابتكار في الأعمال لضعف القانون في حماية حقوق

٢٨- المصدر ذاته، ص ١٥٦.

٢٩- د.هادي حسن علوي، الفساد وانعكاساته الاقتصادية والاجتماعية، جريدة الصباح البغدادية، الموقع: <http://www.alsabaah.com/paper.php?source=akbar&mlf=interpage&sid=34782>

٣٠- ساهر عبد الكاظم مهدي، الفساد الإداري: اسبابه وآثاره وأهم اساليب معالجته، بحث منشور ضمن وقائع المؤتمر العلمي الأول لهيئة النزاهة في بغداد للفترة ٥-٦ تموز سنة ٢٠٠٨، ص ٣٦٩.

الملكية الفكرية.. من ناحية أخرى سيولد الفساد الإداري ثقافة لاتقل في شدة الدمار عن ثقافة السلاح الا وهي ثقافة ترسيخ الفساد من خلال حرص المسؤولين المفسدين في المؤسسات عموماً على عدم تغيير القوانين واللوائح والقواعد التي اغتوتوا بسببها، بل سيعملون على التمسك بها وتعميقها وتوليد المزيد منها من اجل المزيد من الإثراء الفاسد.^(٢١)

المبحث الثالث: دور المؤسسات الدستورية في مكافحة الفساد

يتحقق الاتفاق في الفقه الدستوري على تقسيم المؤسسات الدستورية الرئيسة في أي نظام سياسي على ثلاثة اقسام هي السلطة التشريعية، والسلطة التنفيذية، والسلطة القضائية. وإذا كانت اهمية السلطتين الاولى من اقتراحهما بالطبقة السياسية، ومصدر القرار الاستراتيجي في البلاد، فأنهما يتقدمان على السلطة الثالثة بان دورهما وقائي وتعقبى فضلاً عن دورهما اللاحق في معاقبة الفاسدين، في حين تقبع السلطة الثالثة في محيط التنفيذ لأحكام العدالة والقانون بحق المفسدين. ومن هنا جرى تقسيم هذا المبحث على مطلبين.

المطلب الاول: دور السلطة التشريعية في مكافحة الفساد

تحتل الوسائل الرقابية مكانة خاصة في العمل البرلماني، نظراً لما تمثله من تعبير عن فكرة الرقابة الشعبية على الحكومات، وهي كذلك من أقدم وظائف البرلمان تاريخياً، وأشهرها سياسياً، إذ يعتبر هذا الأخير سلطة رقابة سياسية على السلطة التنفيذية، ووسيلة لحماية مصلحة الشعب، فهو المسؤول عن متابعة وتقييم أعمال الحكومة ومحاسبتها ومراقبة تصرفاتها وأعمالها وقراراتها. ويستطيع البرلمان من خلالها التحقق من مشروعية تصرفات السلطة التنفيذية وأعمالها ومدى استهدافها الصالح العام، ومنع الانحراف، والالتزام بالميزانية التي أقرها، حفاظاً على الأموال العامة من الإهدار. ولكن عملية رقابة البرلمان على السلطة التنفيذية لا تتم بدون توازن في القوة السياسية بينهما، حتى لا تنقلب الى سيطرة، وتصبح السلطة التنفيذية خاضعة تماماً للبرلمان، وبالتالي ينهار مبدأ الفصل بين السلطات، الذي هو أساس الحكومات الديمقراطية وشرط الاستقرار السياسي. ولهذا، فإن عملية الرقابة تكون متبادلة ومتوازنة بين السلطتين التشريعية والتنفيذية..^(٢٢)

ومن مطالعة دساتير الدول العربية واللوائح الداخلية لمجالسها نجد أن للبرلمان دوراً كبيراً في مواجهة فساد الحاكم أو رئيس الدولة، على الأقل من الناحية القانونية، بداية من طريقة اتهامه ونهاية بسحب الثقة منه أو عزله، وكذا الوزراء، وذلك من خلال تشريعات خاصة بمحاسبة كبار مسؤولي الدولة. وبالإضافة الى هذا الدور المقرر دستورياً للبرلمان في مواجهة مختلف أشكال الفساد، فهناك دور النواب في متابعة تنفيذ هذه التشريعات، ومكافحة إفسادها، وكما يأتي:

٣١- د. التدايعات الاجتماعية للفساد الاداري والمالي على الدولة والمجتمع: رؤية تحليلية لحالة العراق، بحث منشور ضمن وقائع المؤتمر العلمي الاول لهيئة النزاهة في بغداد للفترة ٥-٦ تموز سنة ٢٠٠٨، ص ٤٦٢.

٣٢- د.أ. محمد حسين، أدوات الرقابة البرلمانية في النظم السياسية

الفرع الاول: السؤال

هو حق شخصي لعضو البرلمان يوجهه الى احد اعضاء الوزارة بقصد الاستيضاح منه عن قضية معينة. وللأسئلة فقط ولمرة واحدة ان يعقب على جواب الوزير وله ايضا ان يطلب الغاء السؤال قبل الاجابة عنه وليس لاعضاء البرلمان الاخرين التدخل في الموضوع.^(٣٣) تهدف الأسئلة كما جاء في اللوائح الداخلية لعدد من الدساتير العربية إلى استفهام عضو البرلمان عما يجهل أو التحقق من واقعة. وهي وسيلة تؤكد حق موجه السؤال في الاطلاع على مشاريع السلطة التنفيذية وتسمح له بالتوسع في مناقشة هذه المشاريع.

وتسمح أنظمة داخلية لبعض البرلمانات العربية لصاحب السؤال بالتعليق على جواب الحكومة مرة واحدة، إلا أن البعض منها يسمح له بالتدخل مرة ثانية شفهيًا إذا لم يقتنع بجواب الحكومة مثل دولة الإمارات العربية المتحدة، أو أن يتقدم بسؤال خطي إذا اعتبر أن جواب الحكومة على سؤاله الشفوي لم يكن مرضيًا. كما تجيز الأنظمة الداخلية لبعض البرلمانات العربية للنواب توجيه أسئلة شفاهية أو خطية إلى الوزراء، فإذا كان السؤال شفويًا يمكن للوزير أن يجيب عليه فورًا وله أيضًا أن يطلب تأجيل الاجابة إلى الجلسة التالية أو يطلب توجيه السؤال مكتوبًا.^(٣٤)

ويعتبر السؤال من أكثر وسائل الرقابة التي يمارسها الأعضاء، وذلك من ناحيتين، الأولى هي الكثافة العددية والتنوع الكبير في موضوعات الأسئلة وبالتالي الوزراء الذين توجه إليهم، والثانية التنوع الحزبي لمقدمي كل منهما، سواء بين حزب الحكومة أو المعارضة والمستقلين، بل إنه يلاحظ أن أعضاء حزب الحكومة أكثر ميلًا للأسئلة مقارنة بغيرها من الوسائل مثل تقصى الحقائق والاستطلاع والمواجهة، فضلًا عن غياب الاستجوابات تقريبًا، على خلاف الوضع تمامًا بالنسبة لأعضاء المعارضة والمستقلين، وهو ما يرمز في أحد دلالاته لظاهرة الالتزام الحزبي التي تمنع من توجيه اتهام لوزير في حكومة الحزب الحاكم، وقد يمكن التغلب على هذا من خلال التصويت الإلكتروني الذي يساعد في رفع الحرج عن الأعضاء.^(٣٥)

ولم يخرج الدستور العراقي النافذ منذ سنة ٢٠٠٥ عن قاعدة تأكيد دور البرلمان في مراقبة اعمال السلطة التنفيذية وفق ما جاء في الفقرة الثانية من المادة (٦١) تجسيداً لمبدأ المشروعية، وذلك من خلال وسائل عدة كان من ايسرها ما جاء في الفقرة السابعة من المادة نفسها من اجازة الحق لعضو مجلس النواب بتوجيه الاسئلة في أي موضوع الى رئيس مجلس الوزراء والوزراء شريطة ان يدخل ذلك السؤال في اختصاصه، وقد حصر الدستور حق التعقيب على الاجابة للسائل وحده.^(٣٦)

الفرع الثاني: طلب الإحاطة

طلب الإحاطة معناه أن العضو يطلب إحاطة الحكومة علماً بأمر قد تجهله أو يطلب منها إحاطته علماً بأمر يجمله. ولذا فهذه الوسيلة بمثابة مبادرة من العضو ذاته لكشف مواطن الخلل والفساد أينما

٣٣- د. صالح جواد الكاظم و د. علي غالب العاني، الأنظمة السياسية، العاتك لصناعة الكتب، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٧١.

٣٤- د. حسين عثمان محمد، النظم السياسية، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية، ٢٠٠٥، ص ٢٧٨.

٣٥- د. علي الصاوي، دور المجالس العربية في محاربة الفساد، مؤتمر تأسيس الفرع العربي للمنظمة العالمية للبرلمانيين بيروت في ١٨

نوفمبر / تشرين الثاني ٢٠٠٤، ص ٢٩-٣٠

٣٦- المادة (٦١) من دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥.

كان. وتضفي طلبات الإحاطة قدراً من الفاعلية على الوظيفة الرقابية لمواجهة قضايا الفساد، فهي تعكس في واقع الأمر تجاوباً فورياً مع نبض الشارع، فقضايا الفساد من القضايا الساخنة التي تتطلب تصدى سريع من قبل الأعضاء، ولذا فهذه الأداة تحتل موقعاً متميزاً بين آليات الرقابة البرلمانية. وقد يكون طلب الإحاطة مجرد جس نبض الحكومة للتجاوب مع العضو الذي وضع يده على قضية من قضايا الفساد، مثل إهدار المال العام في أحد المشروعات لضعف الرقابة مثلاً، وبالتالي يستطيع العضو من خلال هذه الوسيلة إدراك مدى تحمس الحكومة في مناقشة هذا الموضوع وبيان أسبابه ووضع الحلول لهذه التجاوزات.

وعلى الرغم من أن طلبات الإحاطة من الوسائل التي لا ينتج عنها أثراً قوياً، كالاتهام مثلاً، إلا أنها تعد بمثابة الترمومتر الذي يقيس به العضو درجة تحمس الحكومة للتجاوب مع الموضوع محل النقاش، بل أن العضو من خلال هذه الوسيلة البسيطة قد يستعملها بذكاء لاكتشاف حقيقة الأمر وذلك من خلال رد الحكومة، وما إذا كان الموضوع يقف عند ما أثاره العضو أم يتعداه. (٣٧)

وفي العراق ظهر هذا الشكل من الرقابة عبر اقرار الية طرح موضوع عام للمناقشة من قبل خمسة وعشرين نائباً مقدماً الى رئيس مجلس النواب لاستيضاح سياسة واداء مجلس الوزراء او احدى الوزارات، على ان يترك للاخيرين تحديد موعد الحضور للمناقشة وفق ما اقرته الفقرة (السابعة / ب من المادة ٦١)

الفرع الثالث: الاستجواب

يعد الاستجواب اعم واشمل من السؤال ويحمل بين ثناياه اتهاماً بالتقصير، لذا فان المناقشة حول الاستجواب لا تقتصر على المستجوب وانما يحق لجميع اعضاء المجلس الاشتراك في المناقشة بعد سماع جواب الوزير. (٣٨) يمثل الاستجواب أداة للمحاسبة يلجأ إليها البرلمان للحصول على تبرير حول سياسة معينة من عضو في الحكومة أو، في بعض البلدان، من كافة أعضاء الحكومة. وقد ينتج عن هذه العملية نقاش موسع حول السياسة المحددة، أو تصويت مع أو ضد المسألة المطروحة. ومن الممكن أيضاً أن يلي الاستجواب اقتراحاً بتوجيه اللوم، ذلك لأنها تتضمن تقييماً للعمل والنشاط وتقرر مدى نهوض المسؤول عن أعمال وظيفته، والاستجواب بهذا المعنى المحاسبي يؤكد علو سلطة البرلمان في مواجهة الحكومة. (٣٩)

ويقيد الاستجواب بشروط وآليات، ففي بعض الدول مثل (الكويت مصر، ولبنان، والأردن) يحق لأي عضو من أعضاء البرلمان، تقديم استجواب إلى الحكومة. وتحدد الدساتير والأنظمة الداخلية للبرلمانات العربية مهلة قصيرة عادة بين تاريخ تقديم طلب الاستجواب أو سحب الثقة، وبين تاريخ انعقاد جلسة مناقشة الاستجواب أو الثقة. وتعتبر الحكومة مستقبلة مثل الجمهورية اللبنانية، أو أنها مضطرة إلى الاستقالة مثل المملكة الأردنية الهاشمية إذا انتهت مناقشة الاستجواب إلى الموافقة على اقتراح سحب الثقة من الحكومة، وهذا ينطبق على الوزير الذي تسحب الثقة منه أيضاً. وقد اشترطت بعض التشريعات ان

٣٧- د. علي الصاوي، مصدر سابق، ص ٣٠-٣١.

٣٨- د. صالح جواد الكاظم ود. علي غالب العاني، مصدر سابق، ص ٧١

٣٩- وظيفة البرلمان الرقابية المقدمة من AGORA administrator 2 October 2012

يكون الاستجواب كتابيا، وبالمقابل يكون جواب الحكومة مكتوبا ايضا مثال ذلك النظام الداخلي لمجلس النواب اللبناني في المادتين (٧٢-٧٣) منه.^(٤٠)

ونظرا لتزايد عدد الاستجوابات وتنوعها أبحاث بعض اللوائح الداخلية ضم المتشابه منها في استجواب واحد كما الحال في جمهورية مصر العربية. وتأكيدا على أهمية الاستجوابات، تقرر في بعض البلدان العربية تخصيص جلسة استجواب بعد كل ٤ جلسات عمل عادية كما جاء، على سبيل المثال، في النظام الداخلي لمجلس النواب الأردني، وقد ادخل هذا التقليد مؤخرا في مجلس النواب اللبناني. وفي الواقع يمارس الاستجواب في معظم الدول العربية، كوسيلة لمناقشة وربما مراقبة الحكومة في أمور يراها مقدم الاستجواب مشوبة بالخلل، ولكنه لا يحمل في جوهره مطلب توقيع العقاب، بقدر ما يرمى الى التنبيه الى اختلال، إن ثبت وتم الإقرار به، يستوجب التصحيح^(٤١). وقد سار دستور العراق على خطى النظم البرلمانية حين اتاح لاعضاء البرلمان وبعد موافقة خمسة وعشرين منهم حق توجيه استجواب الى رئيس مجلس الوزراء او الوزراء لمحاسبتهم في الشؤون التي تدخل في اختصاصهم.^(٤٢)

الفرع الرابع: لجان تقصى الحقائق (التحقيق البرلماني)

تعتبر لجان تقصى الحقائق آلية من آليات الرقابة التي عن طريقها يمكن الوقوف على حقيقة ما يثار من موضوعات ومشاكل مالية وإدارية، أو بيان مواطن الفساد في نشاط إحدى المصالح العامة، أو وحدات الإدارة المحلية، أو أى جهاز تنفيذى أو إدارى أو أى مشروع من المشروعات العامة التي قد تكون عرضه لأعمال فساد أو اختراق القانون.^(٤٣) وتأخذ هذه اللجان برلمانية صورة اللجان المؤقتة أو لجان للقيام بتحقيقات دقيقة حول مواضيع محددة ذات أهمية عامة، وتحظى بقدرة الوصول إلى المعلومات أكثر من اللجان الأخرى، اذ تتضمن صلاحياتها استدعاء الشهود للإدلاء بشهاداتهم مع أداء القسم، ومواجهة شاهد مع الآخر، وطلب أو أخذ مستندات، إلى جانب الأمر بالقيام بالأبحاث، وتنظيم زيارات ميدانية وغيرها من الصلاحيات. ولا بد من الإشارة إلى أن بعض الدول قد تعطي هذه اللجان الصلاحيات عينها التي يحظى بها القاضي الذي يقوم بتحقيقات قضائية. وتعتبر لجان التحقيق من الأدوات الرقابية الشائعة في البرلمانات حول العالم، وقد تستخدم للتحقيق في قضايا كبرى كالفساد وسوء استخدام السلطة.^(٤٤)

وعلى العضو الذى يلجأ الى تفعيل آلية لجان تقصى الحقائق، أن يأخذ في اعتباره التأكيد والمناداة بحيادية تشكيل اللجنة، حيث أنه من النادر أن تراقب الحكومة ذاتها بحيدة ونزاهة، وأن يطالب دوماً بأن

٤٠- د. حسين عثمان، مصدر سابق، ص ٢٧٩.

٤١- د. علي الصاوي، مصدر سابق، ص ٣١ - ٣٣.

٤٢- دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥، المادة ٦١ / الفقرة السابعة / ج.

٤٣- د. عاصم احمد عجيله ود. محمد رفعت عبد الوهاب، النظم السياسية، ط ٥، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٢، ص

٢٨٧.

يكون تشكيل اللجنة باعثاً على كشف كافة جوانب الموضوع. كذلك على العضو أن يفند مدى دقة تقرير اللجنة، وهل رصدت السبلبيات فقط أم وضعت خطة للإصلاح وعلاج الفساد.

وتشكل لجنة تقصى الحقائق كما هو الأمر في أكثر الحالات بناء على اقتراح من عدد من النواب، وبقرار من المجلس أو باقتراح من أحد لجانه، أو بمبادرة ملكية مثل المملكة المغربية. وتعمل اللجنة على بلوغ غايتها، أي تجميع الحقائق عبر زيارات ميدانية وتحقيقات تشمل الأفراد والمؤسسات ومراجعة بيانات ووثائق رسمية. ويراعى في تشكيل اللجان عادة التخصص وتمثيل الأحزاب المعارضة والنواب المستقلين. وتنتهي لجان تقصى الحقائق إلى وضع تقرير يناقشه المجلس لاتخاذ الموقف المناسب في ضوءه.

إنَّ تمكين اللجان البرلمانية من الاضطلاع بالمهام المكلفة بها يتطلب إفساح المجال لها لكي تعمل بجرية ولكي تحصل على معلومات كافية، هذا فضلاً عن توفير بعض الحاجات المادية. إذ ان للجنة سلطة كاملة في استدعاء الموظفين والبحث في الملفات والمستندات للوصول الى الحقيقة، إلا انه بمقدار أهمية اللجان في معيار العمل البرلماني، وكوسيلة من وسائل مراقبة الحكومة، فإنها قد تصطدم بصعوبات ناشئة عن رغبة أصحاب القرار في الدولة في الحد من نشاط اللجان، وبالتالي من حيوية المجلس ومن دوره الرقابي. وبعد انتهاء اعمال اللجان تقوم بعرض تقريرها على البرلمان بكامل هيئته لاتخاذ القرار الذي يراه في ضوء التقرير المعروض والمناقشات.^(٤٥)

وقد حققت بعض البرلمانات العربية خطوات مهمة، عندما قامت بتشكيل لجان تحقيق في قضايا حساسة ودقيقة. ففي الأردن شكل المجلس لجنة خاصة في صيف ١٩٩٠ للنظر في قضايا فساد أتهم بها وزراء سابقون؛ إضافة إلى نشاط لجان تقصى الحقائق وأعمالها، فإن التقارير التي تتقدم بها اللجان العادية تساهم أيضاً في تعزيز دور البرلمانات الرقابي في بعض الدول العربية، وفي قضايا حساسة أيضاً مثل دور المؤسسات الأمنية وعلاقتها بالمواطنين. ففي صيف عام ١٩٩٣ تبني مجلس الأمة الكويتي تقرير لجنة الدفاع عن حقوق الإنسان البرلمانية الذي تضمن انتقاداً لأجهزة أمن الدولة بسبب تجاوزاتها في بعض الحالات.^(٤٦)

ولا يمكن مجانبة الرأي الذي وجد في لجان مجلس النواب العراقي الدائمة الأدوات الرئيسة له في ممارسته لاختصاصاته التشريعية والرقابية والتوجيهية وأعماله جميعاً التي يمارسها على نشاط مختلف أجهزة الهيئة التنفيذية ومؤسساتها في المجالات المختلفة، بدلالة الدور الكبير الذي تضطلع به ولاسيما في الجانب الرقابي المتمثل بـ:

١- متابعة تنفيذ السياسة العامة للدولة والخطة العامة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية المقررة من قبل المجلس.

٢- متابعة تنفيذ ما ورد في الموازنة العامة للدولة وموازنة الوحدات الاقتصادية والموازنات المستقلة والملمحة، وبيانها المالي والبرنامج الاستثماري لكل سنة مالية ومتابعة تقديم الحساب الختامي للموازنة في موعده المحدد.

٤٥- د.عاصم احمد عجيله ود.محمد رفعت عبد الوهاب، مصدر سابق، ص ٢٨٧

٤٦- د. علي الصاوي، مصدر سابق، ص ٣٣-٣٥.

- ٣- متابعة تنفيذ الحكومة لما ورد في برنامجها العام المقدم إلى مجلس النواب وتعقيب المجلس عليه وما التزمت به إزاء المجلس.
- ٤- متابعة قيام الحكومة بنشر القوانين والتعليمات في الجريدة الرسمية، وإذاعتها عبر وسائل الإعلام، والتأكد من قيام الحكومة بنشر وتعميق الوعي القانوني بين المواطنين.
- ٥- متابعة الحكومة وأجهزتها المختلفة للتحقق من الالتزام بتنفيذ القوانين والقرارات والتأكد من إصدار التعليمات وعدم تعارضها مع نصوص القوانين الخاصة بها.
- ٦- تقصي الحقائق للوقوف على أيّ وقائع أو تصرفات مخالفة للدستور والقوانين النافذة.
- ٧- متابعة الحكومة لتنفيذ توجيهات المجلس وتوصياته بشأن المجالات المختلفة.
- ٨- دراسة المعلومات والبيانات والوثائق وتحليلها التي تطلبها اللجان من أجهزة السلطة التنفيذية بمناسبة دراستها لأي مشروع قانون أو اتفاقية أو أي موضوع من المواضيع التي تُكَلَّف بدراستها من قبل المجلس أو هيئة الرئاسة، أو يقع من ضمن اختصاصاتها، وإن الحق المذكور يُستمد من الحق الدستوري للبرلمان ولجانه في ممارسة الرقابة على أعمال السلطة التنفيذية.

المطلب الثاني: دور السلطة التنفيذية في مكافحة الفساد الإداري

تحولت قضية الفساد في الدول النامية من مجرد قضية تحظى باهتمام الحكومات المحلية إلى قضية تحظى باهتمام الدوائر السياسية والحكومية والهيئات والمؤسسات الدولية، وأخذت هذه القضية تشغل حيزاً مهماً في سلم الأولويات الحكومية وفي برامج الأحزاب السياسية، نظراً لما يترتب على تفشي هذه الظاهرة من آثار سلبية بالغة الضرر بالمجتمع ككل.

وقد وجدت الحكومات والمؤسسات والهيئات الاجتماعية المحلية والمنظمات والمؤسسات الدولية أن علاج هذه الظاهرة والقضاء عليها أو محاصرتها على الأقل لا يمكن أن يحدث بدون إرادة سياسية تعتمد على السلطة السياسية مشفوعة بإستراتيجية فاعلة متعددة الجوانب، تنطلق ابتداء من قاعدة التركيز على اعتماد مبدأ الشفافية في العمل والإدارة، إلى جانب وضع الأنظمة الرقابية والقوانين والتشريعات التي تحارب الفساد بجميع أنواعه. وبتركيز الضوء على مفاصل هذه الإستراتيجية الحكومية، تتضح الجوانب الآتية:

الفرع الأول: اعتماد مبدأ الشفافية^(٤٧)

الشفافية بمفهومها البسيط عبارة عن: "ظاهرة تقاسم المعلومات والتصرف بطريقة مكشوفة، وهي تضع سلسلة واسعة من المعلومات في متناول الجميع".^(٤٨) وتعرف هيئة الأمم المتحدة الشفافية بأنها: "

٤٧- يعد مفهوم الشفافية من المفاهيم أو المصطلحات التي دخلت اللغة العربية حديثاً جداً، فلم يكن مصطلح الشفافية وما له من دلالات لغوية حديثة معروفاً أو متداولاً في الأدبيات العربية حتى وقت قريب، إلا حديثاً مع تأسيس منظمة "الشفافية الدولية" أو ما يعرف ب: (Transparency International) عند بداية تسعينيات القرن الماضي، عندما أسس الألماني (Peter Eigen) مع تسعة آخرين من خمس دول مختلفة هذه المنظمة التي تهدف إلى محاربة الفساد الإداري والمالي الذي كان السيد إيجن ملماً بالكثير من تفاصيلها بحكم طبيعة عمله في البنك الدولي. ومن هنا فإن الشفافية تدعو إلى طرح القضايا العامة أو التي تهم جماعة بعينها أو تخص المجتمع بكامله على الرأي العام للنقاش الحر، وتبادل الرأي حولها وتداول المعلومات بشأنها، الأمر الذي يؤدي إلى إدراك ما يحدث في المجال العام بموضوعية، ويساعد ذلك على تحقيق مساءلة أفضل.

حرية تدفق المعلومات معرفة بأوسع مفاهيمها، أي توفير المعلومات والعمل بطريقة منفتحة تسمح لأصحاب الشأن بالحصول على المعلومات الضرورية للحفاظ على مصالحهم واتخاذ القرارات المناسبة، واكتشاف الأخطاء". فهي بالحصلة أداة هامة جدا لمحاربة الفساد الإداري.^(٤٩)

وتمتلك الأنظمة ذات الشفافية إجراءات واضحة لكيفية صنع القرار على الصعيد العام، كما تمتلك قنوات اتصال مفتوحة بين أصحاب المصلحة والمسؤولين، فتضع سلسلة واسعة العمليات والمؤسسات والمعلومات المرتبطة بهذه المصالح في متناول الجمهور، وتوفر لهم معلومات كافية تساعدهم على فهمها ومراقبتها. وتزيد سهولة الوصول الى المعلومات درجة الشفافية. ولكي تكون المؤسسات المستجيبة لحاجات الناس ولمشاغلهم منصفة، عليها أن تكون شفافة وأن تعمل وفقا لسيادة القانون. فإصلاح مؤسسات الدولة وجعلها أكثر كفاءة ومساءلة وشفافية ركن أساسي من أركان الحكم الصالح.^(٥٠)

ونستخلص مما سبق أن الشفافية هي نقيض الغموض أو السرية في العمل، وهي تنطوي على جانبين، يتعلق الأول بوضوح الإجراءات وصحة مصداقية عرض المعلومات والبيانات الخاصة بالوحدات والمؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الخاصة والعامة ووضوح العلاقات فيما بينها من حيث (التخطيط - والتمويل - والتنفيذ للوصول للغايات والأهداف المعلنة مسبقاً، في حين يتعلق الجانب الثاني بعلاقة ذوي العلاقة من الخدمات التي يقدمها الجانب الأول وحقهم في الحصول والوصول للمعلومات الصحيحة والحقيقة في الوقت المناسب).

الفرع الثاني: الرقابة والمساءلة

يقصد بالرقابة: (عملية تمارسها هيئة الرقابة على تصرفات أجهزة السلطة التنفيذية بالأموال العامة من خلال التدقيق والفحص والمراجعة والمتابعة والبحوث التقويمية لضمان صحة هذه التصرفات وتحسين كفاءتها سواء في مجال استخدام القوى البشرية أو الموارد المادية ومطابقة الانجازات المتحققة مع الأهداف المجتمعة المرسومة أو المرغوبة وبما يؤدي إلى صيانة هذه الأموال).^(٥١)

ومن التعريف أعلاه يمكن القول إن الرقابة لا تخرج عن كونها نشاط تقييمي يهدف إلى التأكيد من مشروعية وسلامة التصرفات المالية بالدولة، واستخدام الأموال بطريق تحقق الغايات المحددة سلفاً، وعدم إساءة استعمال هذه الأموال والتقييد بالقوانين والنظم النافذة، شريطة أن تكون هيئة الرقابة مستقلة لتتمكن من تكوين رأي محايد ونزيه. وعلى ذلك يعتبر مفهوم الرقابة ذات عمومية وشمول بحيث أن التدقيق بأنواعه المختلفة جزء من هذه العملية ورقابة الأداء كذلك، وتساهم جميعها لتعطي وحدة كلية وهي الرقابة الشاملة لتهدف في النهاية إلى تحسين وإصلاح الاقتصاد القومي من خلال خط الأموال العامة.

٤٨ - www.almorabbi.com/vb/f-89/9068/

٤٩ - www.startimes.com/f.aspx?t=24371522

٥٠ - مهدي زاير جاسم، الشفافية ودورها في الحد من الفساد، مقال منشور في صحيفة المؤتمر، العدد ٢٩١٧، بتاريخ ١٩

٢٠١٤/٢/

٥١ - مفهوم الشفافية و المساءلة و دور الأجهزة العليا للرقابة http://zaiou.weebly.com/

لقد تطورت الرقابة كنتيجة حتمية لاتساع دور الدولة، ودور القطاع العام. وهذا يعني أن تطورات الرقابة من حيث الأصل لاحقة على الدور الذي قامت به الدولة إذ أنها ضمان صحة المسار المالي والاقتصادي، والأصل كذلك أن الدولة تدير مواردها وأموالها وأعمالها وبرامجها بغض النظر عن وجود رقابة أو مساءلة لأنها وجدت لتقديم خدمة ستظهر محسوسة على أرض الواقع من خلال مشاريعها وتصرفاتها، وسيحكم الجمهور ما إذا أدت الدولة دورها أم لا، وهو المعنى الأول بمساءلة الدولة عن ذلك، مع ملاحظة وجود فوارق نتيجة ظروف متعددة في مدى فعالية أو عدم فاعلية هذه المساءلة^(٥٢). ومعنى ذلك أن المساءلة موجودة سواء وجدت الرقابة أم لا توجد، إلا أن الربط بين المساءلة والرقابة جاء لإضفاء الفاعلية على مضمون المساءلة من خلال الرقابة وحتى يصبح المسؤولين عرضة للاستجواب بشأن قيامهم بالمسؤوليات المخولة لهم.

وفي هذا السياق تعد المساءلة قيمة عظيمة من قيم الديمقراطية سواء كانت المساءلة على المستوى العام للمجتمع أو على المستوى الداخلي للمؤسسة. وقد عرفها برنامج الأمم المتحدة الإنمائي على أنها: "الطلب من المسؤولين تقديم التوضيحات اللازمة لأصحاب المصلحة حول كيفية استخدام صلاحياتهم وتعريف واجباتهم والأخذ بالانتقادات التي توجه لهم وتلبية المتطلبات المطلوبة منهم وقبول (بعض) المسؤولية عن الفشل وعدم الكفاءة أو عن الخداع والغش".^(٥٣) فهي من هذا المنطلق آلية سياسية مهمة تنتهجها الحكومات الرشيدة لمحاسبة المسؤولين على أعمالهم وفحص وتدقيق قراراتهم وإتاحة الفرصة أمامهم لإيضاح اية نقاط غامضة أو تهم توجه إليهم سواء كانوا منتخبتين أو معينين، وينطبق الأمر ذاته على المؤسسات العامة، فهي ملزمة أيضا بتقديم حساب عن طبيعة ممارساتها للواجبات المنوطة بها بهدف رفع كفاءة وفعالية هذه المؤسسات. ولهذا السبب تعد المساءلة آلية مهمة من آليات مكافحة الفساد الإداري، وهي في الوقت عينه معيار ضابط لأداء المؤسسات وتقويم هذا الأداء من خلال المحاسبة التي تخضع لها على يد السلطات التشريعية أو القضائية أو الجهات المختصة لمكافحة الفساد كهيئة النزاهة مثلا.

الخاتمة

أولا: النتائج

مما تقدم يتضح أن مظاهر الفساد بشكل عام والفساد الإداري بشكل خاص تتنوع بتنوع مظاهر النشاط الإنساني ونزعاته المنحرفة وميله الدائم لتغليب مصلحته الخاصة على مصلحة المجتمع. ومع تعدد مظاهر الفساد الإداري تزداد مخاطره وتتعدد معه سبل المواجهة خاصة إذا ما علمنا أن التنوع في تلك الأنماط من الفساد يرافقه في العادة تداخل وتمرس في أساليب التحايل على القانون والضوابط الوظيفية، فضلا عن تنامي شبكة العلاقات المafiوية بين تلك الحفنة الفاسدة من الموظفين.

٥٢- اعداد جهاز المراجعة المالية، مفهوم المساءلة ودور الاجهزة العليا

للرقابة، <http://www.shaffaflibya.com/index.php>

٥٣- برنامج ادارة الحكم في الدول العربية (الشفافية والمساءلة)، <ftp://pogar.org/LocalUser/pogar/arabic/themes/transparency.html>

والواقع ليس من الإنصاف في شيء إلحاق الفساد بنظام سياسي دون غيره على الرغم من شيوع الاعتقاد أن القطاع العام المقترن بالنظام الاشتراكي يكون في اغلب الاحيان مرتعاً خصباً للانحرافات الإدارية والسرقات المالية، لأن الحافز الفردي غائب والمصلحة الشخصية للقائمين على النشاط الاقتصادي غير متوفرة. فيكون التعويض دائماً هو ذلك النمط من توظيف العام لصالح الخاص من أجل أهداف لا علاقة لها بأن تربح الشركات أو تخسر ما دامت الدولة هي المالك الوحيد القادر على تعويض الخسائر وتغطية السرقات؛ اذ اتضح للمعنيين بالشأن الاقتصادي من حيث علاقته بالنظام السياسي، أن مسألة الفساد الاداري تتجاوز كثيراً نوعية النظام السياسي القائم؛ فحتى في ظل الاقتصاد الحر ومع إعمال قوانين السوق، يبقى شبح الفساد مهيمنا على هذه القطاعات مع اختلاف نسبته وتأثيره بين نظام وآخر وربما بين قطاع وآخر داخل الدولة الواحدة تبعا للظروف السائدة. لذلك ظهرت مفردات جديدة مثل (حوكمة الشركات) والتي تعني مزيداً من التدخل والإشراف من جانب المساهمين وجمعياتهم العمومية على مجالس الإدارة وأجهزتها التنفيذية.

ثانياً: التوصيات

١. بناء دولة القانون والمؤسسات والاجهاز على التوجهات الشخصية والحزبية في ادارة مؤسسات من خلال تغيير طرق اتخاذ القرار و إتباع الطرق الشورية والديمقراطية في اتخاذ القرار.
٢. تعزيز مبدأ تكافؤ الفرص وتكريس العدالة والمساواة امام القانون ومحاسبة المفسدين الكبار قبل الصغار وعدم منح حصانة لمثل هؤلاء على حساب المجتمع.
٣. التركيز على معيار الشفافية في الأداء مع تبسيط وسائل العمل وترشيق حلقاته، وتحديد مهل أنجاز المعاملات اعتماد معايير النزاهة والكفاءة والعدالة عند التعيين والترقية والأداء
٤. اعتماد آلية الانتخابات الدورية لاختيار القيادات الإدارية وفق ضوابط من أهمها النزاهة والكفاءة والخبرة والإخلاص، وتحت إشراف لجان تشكل بصورة شفافة ومحيدة لضمان نزاهة نتائج الانتخابات.
٥. إتباع آلية دقيقة جدا عند اختيار الموظفين لغرض التعيين وإخضاعهم لسلسلة من الاختبارات الأخلاقية للتحقق من أخلاقياتهم وقدرتهم على مقاومة المغريات المختلفة قبل تثبيتهم في الوظيفة العامة.
٦. تشكيل لجان خاصة لوضع نظام متكامل لأداء الموظفين تقوم بإجراء تفتيش دوري بين الدوائر والوزارات وأعداد التقارير الخاصة بذلك.
٧. التركيز على تحصين الموظف العام ضد أنماط الفساد من خلال التوعية الأخلاقية والدينية، وحتى القانونية، المخصصات المالية والمكافآت. تنظيم دورات عدة و دورية للتنبيه من مخاطر الفساد الإداري والتحذير من مغبة الوقوع به، وبيان موقف الشرع والقانون منه.
٨. أجراء تنقلات دورية بين الموظفين (كلما أمكن ذلك) بغية تخفيض حالات الرشوة السائدة.
٩. الاهتمام بوسائل المراقبة السرية والالكترونية ومحاولة انجاز مشروع الحكومة الالكترونية

١٠. إعادة النظر بالقوانين والمؤسسات والآليات المختصة بمعالجة أمور الفساد بكل أنماطه في الدولة على نحو يجعلها أكثر فاعلية واستجابة للمتغيرات والتطورات التي يعتمدها المفسدون في تغطية أنشطتهم الإجرامية ومن ذلك:
١١. تعديل الدستور العراقي النافذ وجعل اختيار رئيس هيئة النزاهة بالانتخاب لمدة (٤) سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة فقط، من بين أفضل القضاة أو المختصين بالقانون والمشهود لهم بالنزاهة والخبرة والكفاءة والاستقلالية من قبل هيئة موسعة من القضاة والمحامين المتمرسين والمنتخبين بدورهم من قبل أعضاء مجلس القضاء ونقابة المحامين. على أن يتابع مجلس النواب عمل رئيس هيئة النزاهة ومسانئلته حسب الضوابط المرعية في مراقبة الوزير.
١٢. فك ارتباط دائرة المفتش العام ضمن كل وزارة عن الوزارة المعنية، وجعله مرتبطاً بهيئة النزاهة. على أن يتم اختياره وفق سياقات تتوخى أعلى درجات النزاهة والاستقلالية والكفاءة ويخضع بدوره لمتابعة دقيقة ودورية من قبل هيئة النزاهة نفسها لضمان قيامه بالمسؤوليات المناطة على عاتقه على أكمل وجه.
١٣. انتهاز أسلوب اختراق الشبكات والتركيز على العمل الاستخباري من خلال استزاع مصدر معلومات موثوق ضمن كل قسم في الدوائر الحكومية سواء أكان مجنّداً من داخل الدائرة نفسها أو يتم تعيينه ويتبع بالارتباط مع هيئة النزاهة.
١٤. تخصيص مكافئة مالية لمن يساعد في تشخيص حالات الفساد داخل الدوائر الحكومية سواء من قبل الموظفين أو المراجعين العاديين. والله ولي التوفيق.

المصادر

أولاً: الكتب

– القرآن الكريم

١. بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، ط٣، بيروت، ١٩٩٨.
٢. د. حسين عثمان محمد، النظم السياسية، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية، ٢٠٠٥.
٣. د. صالح جواد الكاظم ود. علي غالب العاني، الانظمة السياسية، العاتك لصناعة الكتب، القاهرة، ١٩٩٠.
٤. د. صباح كرم شعبان، جرائم استغلال النفوذ، دار الحكمة ن جامعة البصرة، ١٩٨٣.
٥. د. طارق المجذوب، الادارة العامة: العملية والوظيفة العامة والاصلاح الاداري، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٥.
٦. د.عاصم احمد عجيلة ود.محمد رفعت عبد الوهاب، النظم السياسية، ط٥، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٢.
٧. د. عبد الحميد الشواربي، تاديب العاملين في قانون شركات قطاع الاعمال، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٩٥.

٨. د. عبد العزيز عبد المنعم خليفة، الانحراف بالسلطة كسبب لالغاء القرار الاداري، منشأة المعارف، الاسكندرية، ٢٠٠٩.
٩. عبد الله البستان، الوافي، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٠.
١٠. د. عثمان سلمان غيلان، اخلاقيات الوظيفة العامة، ط١، بغداد، ٢٠١١.

ثانياً: المجلات والدوريات

١. ساهر عبد الكاظم مهدي، الفساد الاداري: اسبابه واثاره واهم اساليب معالجته، بحث منشور ضمن وقائع المؤتمر العلمي الاول لهيئة النزاهة في بغداد للفترة ٥-٦ تموز سنة ٢٠٠٨.
٢. سعاد عبد الفتاح محمد، الفساد الاداري والمالي، بحث منشور ضمن وقائع المؤتمر العلمي الاول لهيئة النزاهة في بغداد، للفترة ٥-٦ تموز سنة ٢٠٠٨.
٣. د. سمير عبود وصباح نوري عباس، الفساد الاداري والمالي في العراق، بحث منشور ضمن وقائع المؤتمر العلمي الاول لهيئة النزاهة في بغداد، للفترة ٥-٦ تموز سنة ٢٠٠٨.
٤. يارا اسكويفل، اتفاقية الامم المتحدة لمكافحة الفساد واسترداد الاصول: الطريق الى الترحيل، بحث منشور في كتيب اقتفاء اثر الاصول المسروقة، المركز الدولي لاسترداد الاصول، بازل / سويسرا، ٢٠٠٩.
٥. د. يحيى غني النجار، الاثار الاقتصادية للفساد الاقتصادي، بحث منشور ضمن وقائع المؤتمر العلمي الاول لهيئة النزاهة في بغداد، للفترة ٥-٦ تموز سنة ٢٠٠٨.

ثالثاً: النصوص القانونية

١. دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥.
٢. قانون العاملين بالقطاع العام المصري رقم ٤٨ لسنة ١٩٧٨.
٣. قانون انضباط موظفي الدولة والقطاع العام العراقي رقم ١٤ لسنة ١٩٩١.

رابعاً: مصادر الشبكة الدولية للمعلومات

١. الفساد الاداري، دراسة منشورة على موقع المقاتل الالكتروني،
http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Mnfsia15/AdmCorrupt/sec01.doc_cvt.htm
٢. الفساد الإداري.. مفهومه ومظاهره وأسبابه: مع إشارة إلى تجربة العراق في الفساد، دراسة منشورة على موقع مدونة فقه السياسة الالكترونية، بتاريخ ٢٠٠٩/٩/٣،
<http://almalafnews.com/feqhalseasa/index.php?aa=news&id22=151>
٣. بحيت عبد القادر، الفساد الاداري وسبل مكافحته، مقال منشور على موقع منهل الثقافة التربوية،
<http://www.manhal.net/articles.php?action=show&id=1526>
٤. علي احمد فارس، حل الازمات: الفساد الاداري نموذجاً، مركز المستقبل للدراسات والبحوث
<http://mcsr.net/activities/032.html>
٥. مفهوم الشفافية والمساءلة ودور الأجهزة العليا للرقابة،

- <http://www.libyansai.gov.ly/modules/publisher/item.php?itemid=9>
٦. د. هادي حسن علوي، الفساد وانعكاساته الاقتصادية والاجتماعية، جريدة الصباح البغدادية، الموقع:
٧. <http://www.alsabaah.com/paper.php?source=akbar&mlf=interpage&sid=34782>
- هناء يماني، الفساد الاداري وعلاجه من منظور اسلامي، <http://www.saaaid.net/book/7/1291.doc>
- ياسر خالد بركات الوائلي، الفساد الإداري.. مفهومه ومظاهره وأسبابه: مع إشارة إلى تجربة العراق في الفساد، مركز المستقبل للدراسات والبحوث،
- <http://www.annabaa.org/nbahome/nba80/010.htm>

دور شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية في تشكيل الرأي العام لطلبة

جامعات محافظة كربلاء

The role of the digital social media in forming the public opinion of the students of Kerbala University

Dr. Nusaif Jassim

م.د. نصيف جاسم^(١)

الخلاصة

اتاح التطور التقني في اساليب الاتصال فرصة كبيرة لان يكون الاعلام متاحاً وعند متناول اليد ليصبح العالم بين يديك. من خلال شبكات التواصل الاجتماعي التي حققت ثورة اعلامية على مستوى العالم.

واصبح استخدام وسائل التواصل الاجتماعي بنطاق جماهيري واسع لكل الشرائح. المثقفة وغير المثقفة الذي يقرأ او لا يقرأ.

وهذا ادى الى اسهام تلك الشبكات في اضافة او تغير اتجاهات وعادات وسلوكيات الى المتلقي دون رقابة، واصبح هناك حركة ديناميكية بين صفوف الشباب بالمشاركة الفعالة من خلال تطبيقات (الفيس بوك، تويتر....).

أكدت دراستنا ان الطلبة هم الشريحة الاوسع في المجتمع التي تاثرت باستخدام المواقع الاجتماعية لحد كبير، حيث اظهرت نتائج الدراسة ان نسبة ٩٧% من طلبة الجامعات في محافظة كربلاء المقدسة يستخدمون شبكة الانترنت، واحتل موقع (الفيس بوك) المرتبة الاولى بنسبة ٨٣%، يليه موقع (الفاير) في المرتبة الثانية نسبة ٤٢%، و(اليوتيوب) في المرتبة الثالثة نسبة ٢٥%، ووضحت الدراسة ان الطالب الذي يستخدم شبكة الانترنت يكون اكثر متعة وتواصلاً مع الآخرين عبر جهاز الحاسوب لاسباب عديدة، وان موقع (الفيس بوك) اصبح ينافس المواقع الاعلامية الاخرى في حصول الطلبة على الاخبار

١ - جامعة اهل البيت - كربلاء - /كلية الاداب/ قسم الصحافة.

والمعلومات بشكل مباشر بالصوت والصورة والتفاعل السريع والمباشر دون رقيب وابداء الراي بكل حرية، وجاء موقع (واتساب) في المرتبة الرابعة بنسبة ١٠%، وحازت المواقع الاخرى على شبكة الانترنت بنسبة ٩%.

وللخصوصية الدينية لمحافظة كربلاء المقدسة، اصبح موقع (فيس بوك) عاملاً مساعداً في نشر التعاليم والتوجيهات الدينية التي في شأنها نشر الوعي الديني والثقافة العامة للمجتمع والطلبة خصوصاً..

Abstract

The technical development in communication means has afforded a grand opportunity for enabling the media to be available under hand and to have become the world between your hands. This could be done through the social medias that have fulfilled a big informational revolution in the world. The social medias means have become used hugely by all the society sectors, the cultured and uncultured. This actually lead to these medias ' contribution into adding and changing habits, trends and behaviors to the receivers without censorship and it has become dynamic movement among the youths as to participate into applications just like (Facebook and twitter)

Our study has confirmed that the students who are the huge sector in the society have been effected by the social medias largely, where results have indicated that about 97% OF the university students in karbala use Internet, where they remain mainly focus on Facebook that occupied first rank, with ratio 83%, followed by Viber with ratio 42% then YouTube that occupied 3rd rank with ratio 25%. The study has explained that the student using internet enjoys to communicate others via computer for many reasons ; besides, Facebook competes other informational means as to get news and information directly (in visual and audio), along with quick interaction without censorship and to adduce his opinion freely. What's up site comes in 4th rank with ratio 10% and other webs sites have been with ratio 9%.

For the religious aspect of Karbala, Facebook site has become as an assistant factor in publishing instructions and religious directions that undertake responsibility to publish the culture and religious awareness for the society and the students.

المقدمة

أوضحت شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية مثل (الفيس بوك، تويتر،...) تعرف بالإعلام الاجتماعي الجديد، أو الإعلام الجديد، أو البديل، الذي يشهد حركة ديناميكية من التطور والانتشار والمشاركة والتواصل.

حيث كان في بدايته يستخدم على نطاق ضيق ومحدود، ثم ما لبث أن ازداد مع الوقت ليتحول من أداة إعلامية نصية مكتوبة إلى أداة إعلامية سمعية وبصرية تؤثر في قرارات المتأثرين واستجاباتهم، أسهمت تلك الشبكات في تفعيل المشاركة لتحقيق رغبة كل فئة مشتركة في الاهتمامات والأنشطة نفسها، أصبح لها تأثير في التفاعل وتشكيل الرأي العام، والضغط على أصحاب القرار، والجماعات الضاغطة.

تعد شبكات التواصل الاجتماعي اليوم من المؤسسات المهمة التي تقوم بدور مهم في تربية النشئ وإكسابهم عادات وسلوكيات مختلفة، وأداة من أدوات التغيير الاجتماعي، فالشباب من خلالها يستفيد من الأنشطة والبرامج المتاحة له، ويتفاعل مع غيره من الناس من خلال هذه الأنشطة المتاحة، وبذلك يتبادل أنواعاً من السلوك الإنساني مع غيره ليفيد ويستفيد من غيره، وبالتالي ينعكس على تشكيل رأي عام تجاه حادثة أو ظاهرة اجتماعية، تهم المجتمع.

تناولنا في هذه الدراسة، خطوات البحث العلمي، لترتقي بدراستنا إلى مستوى علمي جيد، تناولنا فيها ثلاثة فصول الأول، شرحنا فيه منهجية الدراسة بكل تفاصيلها المتبعة في أسلوب البحث العلمي، وجاء الفصل الثاني بإطار نظري للدراسة، ركزنا فيه على النقاط المهمة التي ركزت عليها الدراسة، دون إطالة أو إسهاب في الإطار النظري، وجاء الفصل الثالث ليغطي الفصل الميداني للدراسة مع الملاحق.

الفصل الاول: منهجية البحث

أولاً: مشكلة الدراسة.

لا تمثل شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية العامل الأساسي للتغيير في المجتمع، لكنها أصبحت عاملاً مهماً في تهيئة متطلبات التغيير عن طريق تكوين الوعي والرأي العام، فالمضمون الذي تتوجه به عبر رسائل إخبارية أو ثقافية أو ترفيهية أو غيرها، لا يؤدي بالضرورة إلى إدراك الحقيقة فقط، بل أنه يسهم في تكوين الحقيقة وتشكيل الرأي ازاءها.

يشكل الشباب فئة متميزة في أي مجتمع ومنهم الطلبة، الأكثر فئة في المجتمع حركة ونشاطاً ومصدراً من مصادر التغيير الاجتماعي، كما أن فئة الطلبة تمتاز بالعطاء والإبداع وقادة للمستقبل في أي مجتمع، وبما أن شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية أصبحت تشكل رافداً أساسياً للطلبة والشباب بوجه عام في تعزيز الديمقراطية، أو زعزعة الأمن والاستقرار نتيجة قدرتها على التأثير في تشكيل الرأي العام، وهذا مافتح المجال أمام الباحثين لدراسة ظاهرة شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية ومدى تأثيرها في تشكيل الآراء في الجامعات بين صفوف الطلبة.

ثانياً: أهمية الدراسة.

تكمن أهمية الدراسة في ضوء الاعتبارات التالية:

١. يستمد هذا الموضوع أهميته من طبيعة فئة الطلبة داخل المجتمع ودورهم الحيوي فيه، باعتبارهم طاقة بشرية مهمة ومؤثرة في كيان المجتمع.
٢. أمّا وتعنى بدراسة شبكات التواصل الاجتماعي في تشكيل الرأي العام لدى طلبة الكليات بمحافظة كربلاء.

ثالثاً: أهداف الدراسة

- يتحدد الهدف الرئيسي للدراسة في التعرف على دور شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية في تشكيل الرأي العام لدى طلبة كليات محافظة كربلاء، وينبثق من الهدف الرئيسي الأهداف الفرعية التالية:
١. رصد وتحليل طبيعة علاقة الطلبة بشبكات التواصل الاجتماعي الرقمية من خلال تحديد (كثافة الاستخدام للشبكة، نوع المشاركة، دوافع المشاركة، نوع المضامين التي تحظى باهتمام الطلبة).
 ٢. الكشف عن مدى منافسة شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية لوسائل الإعلام التقليدية باعتمادها مصادر الأخبار والمعلومات وفي متابعة مجريات الأحداث الوطنية والعربية والدولية.
 ٣. معرفة مدى ثقة الطلبة بما تنشره شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية.

رابعاً: منهج الدراسة وأداتها:

استخدم الباحث الخطوات التالية:

١. اعتمد الباحث المنهج الوصفي عن طريق القيام بمسح الرأي العام في الكليات بمحافظة كربلاء، بهدف الوقوف على الآراء والافكار لدى الطلبة.
٢. سعى الباحث من خلال المنهج الوصفي، إلى جمع حقائق ومعلومات عن موضوع الدراسة، وثم تحليلها للوصول إلى تعميمات، وهذا المنهج يصور الظروف والاتجاهات الراهنة، وهو ملائم لطبيعة مشكلة الدراسة، فضلاً عن أنه من أكثر المناهج المستخدمة في البحوث الاعلامية.
٣. استخدم الباحث الاستبانة كأداة للحصول على المعلومات المتعلقة بموضوع الدراسة، واشتملت على محاور رئيسية تتناول الجوانب المتعلقة بدور شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية في تشكيل الرأي العام وهي:

- أ. طبيعة الاستخدام.
- ب. حرية الاستخدام.
- ت. نسبة الاهتمام.
- ث. المصادقية.
- ج. العوامل المؤثرة في تشكيل الرأي العام.

خامساً: عينة الدراسة

أ- المجال المكاني:

اعتمد الباحث الجامعات والكليات بمحافظة كربلاء مجالاً مكانياً لتنفيذ الدراسة، وقد اختارنا ثلاث جامعات وكليات حكومية وخاصة مسجلة لدى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي العراقية، مستخدماً

العينة العشوائية البسيطة (أسلوب القرعة) في اختيار عينة الدراسة، لإفساح المجال لكل الجامعات والكليات الكربلائية أن يكون لها فرص الظهور في العينة التي تتكون من الجامعات والكليات الآتية: جامعة كربلاء، جامعة أهل البيت-عليه السلام-، كلية الصفوة وتم اختيار جامعة أهل البيت-عليه السلام- - نموذجاً لدراستنا.

ب- المجال البشري:

اختار الباحث عينة مجتمع الدراسة عددها ٣٠٠ طالب وطالبة من جامعات وكليات محافظة كربلاء، تم اختيارهم باستخدام أسلوب التوزيع المتساوي، أي تم سحب عينة مقدارها ١٠٠ طالب وطالبة من كل جامعة وكلية، والتي تنوع على محافظة كربلاء، وأستبعد الباحث (٩) استمارات لأنها غير مستوفية لشروط البحث، وبذلك يكون حجم العينة ٢٩١ مبحوث وبناءً على نتائج الاستبانة تم تقدير خطأ المعاينة بنسبة تساوي ٥% وبالتالي كانت درجة الثقة بالعينة تساوي ٩٥%.

ج- المجال الزمني:

أجريت الدراسة من قبل الباحث خلال شهر كانون الأول من عام ٢٠١٤ وكانون الثاني عام ٢٠١٥.

سادساً: صدق وثبات الأداة

لتحقيق أكبر قدر ممكن من الصدق، عرض الباحث استبانة الدراسة على ثلاثة من الاساتذة المتخصصين في مجال الإعلام وعلم النفس^(٢)، لتكون الاستبانة^(٣) أكثر شمولية وواقعية، واختبار عبارات وكلمات

أكثر دلالة، وبعد الأخذ بملاحظاتهم تم إعداد الاستبانة بشكلها النهائي. وحدد ثبات الأداة بأسلوب إعادة الاختبار، حيث تم توزيع الاستبانة على عينة عشوائية مكونة من (٢٠) طالب وطالبة، وبعد تدقيق الاجابات، ولتحقيق الثبات في الاستبانة.

تم اختيار عينة عشوائية أخرى مكونة من (٢٠) طالب وطالبة للمقارنة بين العينتين والإجابة فكانت النتائج إيجابية حيث سهولة فهم معنى العبارات والكلمات الواردة في أسئلة الاستبانة وكانت الإجابات جيدة، لنكون بذلك قد حققنا صدق وثبات الاستبانة، لتكون بعدها جاهزة للتوزيع على العينة الأكبر.

سابعاً: تحديد المصطلحات والتعريف الإجرائي

يقصد الباحث بالمصطلحات الواردة في دراسته ما يلي:

١. شبكة التواصل الاجتماعي الرقمية:

هي المواقع الالكترونية على شبكة الانترنت والتي توفر فرص الحوار وتبادل المعلومات والآراء والافكار، ومن الأمثلة على هذه الشبكات مواقع (Facebook, whatsApp, viber, You Tube).

٢- وأ.د. عبد اللطيف العاني أستاذ علم النفس الاجتماعي جامعة بغداد، و أ.د. كمال الخيكاني قسم علم النفس جامعة بغداد، وأ.م.د. قيس الياسري جامعة أهل البيت (ع) قسم الصحافة،.

٣- انظر: صورة الاستبانة في الملحق

٢. الرأي العام:

الرأي العام، أو الاعتقاد السائد، أو أجماع الآراء، أو الاتفاق الجماعي لدى غالبية فئات الشعب، تجاه أمر ما أو ظاهرة أو موضوع أو قضية من القضايا الجدلية الخلافية وقد تكون سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية أو تربوية أو أية قضية أخرى تهم المجتمع بشكل عام. وقد يكون هذا الرأي ذات طابع محلي أو عربي أو دولي.

٣. جامعات محافظة كربلاء:

هي الجامعات والكليات الحكومية والخاصة ضمن الحدود الإدارية لمحافظة كربلاء والمعترف بها رسميًا من قبل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

ثامناً: الدراسات السابقة:

نستطيع القول إنَّ الدراسات التي تناولت دور شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية في تشكيل الرأي العام بمحافظة كربلاء تحديداً كانت قليلة وما تزال محدودة، ولم ترتقِ إلى مستوى الدراسات التي يمكن تعميمها واعتمادها على مستوى القطر، وذلك لعدت أسباب منها: قلة المراكز البحثية التي تتناول هذه الظاهرة، حداثة شبكات التواصل الاجتماعي مقارنة بالإعلام القديم التقليدي.

تاسعاً: صعوبة الدراسة:

١. واجهت الباحث صعوبات عدة، لإجراء دراسته، ويمكن أجمال تلك الصعوبات بالآتي:
١. عدم وجود مركز بحثي متخصص في الرأي العام ليس على مستوى محافظة كربلاء بل على مستوى العراق.
٢. حداثة ظاهرة شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية قياساً بالإعلام التقليدي.
٣. لم يعثر الباحث على أي بحث أو دراسة تهتم بتشكيل الرأي العام في محافظة كربلاء.
٤. ابتعاد المؤسسات الأكاديمية في المحافظة عن أسلوب الدراسات الميدانية لدراسة الظواهر التي تظهر في المجتمع الكربلائي.
٥. تردد بعض الطلبة والطالبات من الاطلاع على الاستبانة، لكن عند التوضيح لهم بأنها لا تحمل أسم أو توقيع أو أي ملاحظة شخصية، يبدأ بملئ محتوى الاستبانة.

الفصل الثاني: الإطار النظري: شبكات التواصل الاجتماعي والعملية

الاتصالية لتشكيل الرأي العام.

أدى التطور المتسارع والهائل في تكنولوجيا الاتصال في نهاية القرن الآفل، إلى إنتاج وسائل حديثة في التواصل الاجتماعي، عملت على تغيير أنماط حياة الأفراد اليومية، وعلاقاتهم الاجتماعية، وطرق تفاعلاتهم التقليدية المألوفة، حتى تمكنت شبكات التواصل الاجتماعي من أن ترسم لها مجالاً واسعاً في خريطة اهتمام الجمهور من المستويات والتخصصات كافة لما وفرته، وتوفره من برامج مختلفة في مجالات المعرفة المتعددة.

وسارعت شبكات التواصل الاجتماعي على ربط التواصل والتقارب بين الشعوب بمختلف توجهاتها متجاوزة كل الحدود السياسية والجغرافية، والعزلة الحضارية التي كانت تعيشها معظم المجتمعات البشرية، مما أثر في العلاقات الدولية السياسية والثقافية والاقتصادية بشكل بالغ، حتى شكل الفضاء الافتراضي أهم إنجازات ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات التي شهدتها العالم، ومع تنامي وازدياد الأفراد على شبكات التواصل الاجتماعي واستقطاب العديد من الفئات العمرية وخاصة الشباب دونما اعتبار للفوارق الجغرافية والدينية والعرقية والسياسية والاقتصادية، ليمتزج الاتصال الذاتي والشخصي والجمعي والجهادي في بيئة واحدة أعادت تشكيل الحياة الاجتماعية والاتصالية للأفراد وساهمت في تشكيل الرأي العام.

المبحث الأول: نشأة وتطور شبكات التواصل الاجتماعي

شهد القرن التاسع عشر معالم ثورة الاتصالات الجماهيري والتي اكتمل نموها في القرن العشرين، وكان من أسبابه الثورة الصناعية في العالم المتقدم والتي صاحبها التوسع في فتح أسواق جديدة، كانت الحاجة إلى الاتصال غير المباشر خارج الحدود ما بين المنتجين والموزعين والمستهلكين، وواكب ذلك ظهور الاختراعات الحديثة مثل التلغراف عام ١٨١٠م، وهو أن لم يكن وسيلة اتصال جماهيرية، لكنه كان عنصرًا أساسيًا في تكنولوجيا الاتصال، و اكتشف المخترع الإيطالي (ماركوني) اللاسلكي وكانت المرة الأولى التي يتم فيها انتقال الصوت إلى مسافات بعيدة دون الحاجة إلى أسلاك أدت إلى ظهور الخدمة الإذاعية الصوتية لأول مرة في كندا وألمانيا عام ١٩١٩م ثم في أمريكا عام ١٩٢٠، ثم ظهر أول بث تلفزيوني أمريكي ١٩٤١م وفي عام ١٩٢٧م ولدت السينما الناطقة، وبذلك دخل العالم معادلة الاتصال الجماهيري.

كان القرن العشرين بحق هو قرن المعجزات الإعلامية الجماهيرية، وكان أول ظهور لعملية بناء المواقع الالكترونية في سبعينات القرن في الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت في بداية النشوء والتطور مقتصرًا على بعض المؤسسات كالجامعات ووزارة الدفاع، حيث كلفت الإدارة الأمريكية مؤسسة (رائد) للأبحاث بدراسة وسائل لضمان استمرار الاتصال بين السلطات الأمريكية في حال نشوب حرب نووية، وانتهت الدراسات إلى ضرورة وجود شبكة غير مركزية للقوات الأمريكية، ونفذ المشروع تحت مسمى (أربانت) عام ١٩٦٩م، ويعتمد هذا المشروع على الربط بين جهات بحثية تابعة لوزارة الدفاع الأمريكية. بما فيها الجامعات وبين وزارة الدفاع لتبادل المعلومات، ومع بداية عام ١٩٩٣ انتشر الانترنت ليغطي رقعة واسعة من العالم وانضمت إليه آلاف الشبكات في أكثر من ٣٦ دولة وتم وضع مقاييس رسمية لقواعد استخدام الانترنت، وتحديد رموز للدول المضيفة للشبكة مثل العراق (IQ)، ليبيا (LY) ... الخ^(٤).

كان أول ظهور لمواقع التواصل الاجتماعي في الولايات المتحدة على شبكة الانترنت في شكل تجمعات هو موقع (Theglobe.com) عام ١٩٤٤ تلاه موقع (Geocities) في العام نفسه، وتلاهها موقع (Tripod) بعام بعد ذلك، حيث ركزت هذه التجمعات على ربط لقاءات بين الأفراد للسماح لهم بالتفاعل من خلال غرف الدردشة، وتشارك المعلومات والأفكار الشخصية حول مواضيع مختلفة باستخدام وسائل شخصية للنشر عبر صفحاتها، وهو الأساس الذي قامت عليه المدونات، في حين

قامت بعض التجمعات بربط الأفراد من خلال بريدهم الإلكتروني، وأهمها موقع (classmates.com) عام ١٩٩٥، الذي يهتم بربط الاتصال بين زملاء الدراسة السابقين وموقع ((sixDegress.com)) عام ١٩٩٧، كما ظهرت عام ١٩٩٩، نماذج مختلفة من شبكات التواصل الاجتماعي تقوم أساساً على الثقة والصداقة، حيث شملت التحديثات منح المستخدمين سلطة التحكم في المضمون والاتصال^(٥).

وخلال الفترة ما بين ٢٠٠٢ و ٢٠٠٤ بلغت شعبية شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية عبر العالم ذروتها من خلال ظهور ثلاثة مواقع اجتماعية تواصلية، فكان أولها موقع (Friendster) عام ٢٠٠٣، ثم تلاه موقع (My space) وموقع (Bebo) عام ٢٠٠٥، حيث برز موقع (Face book) عام ٢٠٠٤، ليجمع الأصدقاء في جامعة هارفارد الأمريكية، وأصبح بسرعة أهم هذه المواقع الاجتماعية لاسيما بعد انفتاحه على الأفراد خارج الولايات المتحدة، ليشهد بذلك قطاع الاتصالات وتقنية المعلومات تطوراً كبيراً، وليتحول أعداد من الناس إلى البيئة الإلكترونية للحصول على المعلومات والاتصال، وليكون القرن العشرين عصر المعلومات والانفتاح، وأصبح الانترنت يقف على قمة الهرم بالنسبة لوسائل الاتصال الأخرى، أن هذه الثورة أدت إلى تحويله من حقل للمعلومات يتيح حرية التعبير عن الرأي إلى وسيلة للتفاعل والتواصل والمشاركة^(٦).

هذه المواقع هي عبارة عن صفحات ويب على شبكة الانترنت، يخصص بعضها للإعلان عن السلع والخدمات أو لبيع المنتجات، والبعض الآخر عبارة عن صحيفة إلكترونية تتوفر فيها لكتاب إمكانية للنشر، وللزوار كتابة الردود على المواضيع المنشورة فيها، وفرص للنقاش بين المتصفحين، وكذلك مواقع للمحادثة (الدردشة) وهناك المدونات الشخصية التي يجعلها أصحابها كمحفظة خاصة يدونون فيها يومياتهم ويضعون صورهم ويسجلون فيها خواطرهم واهتماماتهم.

ومن هذه المواقع محركات البحث وبوابات ويب ومراجع حرة والمدونات ومواقع الصحف والمجلات ومواقع الصحف الإلكترونية ومواقع القنوات الفضائية ومواقع اليوتوب.

المبحث الثاني: خصائص شبكات التواصل الاجتماعي

إنَّ التطورات المتسارعة في مجال تكنولوجيا الإعلام والاتصال والتغيرات الجذرية التي صاحبت البنية التحتية لهذه التكنولوجيا تفرض علينا تقسيم هذه الوسائل إلى نوعين هما^(٧):

الأول: وسائل الاتصال الإلكترونية تقليدية مثل (التلفزيون والصحافة والإذاعة والهاتف).

الثاني: وسائل اتصال إلكترونية غير تقليدية وهي التي جاءت بعد الثورة المعلوماتية التي شهدتها العالم باختراع الحاسوب، والذي كان سبباً في ظهور الانترنت وملحقاته، ومن جانب آخر كان لتطور التقنية الرقمية، الانترنت وملحقاته، ومن جانب آخر كان التطور التقني الرقمية والتي أفرزت بدورها الاتصال التفاعلي في دمج التلفزيون بالانترنت والهاتف الخليوي.

٥- مرسي مشري، شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية نظرة في الوظائف، مجلة المستقبل العربي، العدد ٣٩٥ السنة الرابعة والثلاثون، ٢٠١٢، ص ١٥٠-١٥٧.

٦- د. فيصل أبو عيشة، الإعلام الإلكتروني، الاردن، دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠١٠، ص ٤٨-٤٩.

٧- حسين محمد نصر، مقدمة في الاتصال الجماهيري، الكويت، مطبعة دار الفلاح، ٢٠٠٨، ص ١٦٥.

حيث أن هناك علاقة ترابطية بين الانترنت والهاتف الخليوي، فكلاهما يحرر المستخدم من ضرورة التنقل، فبواسطة الانترنت يمكننا أن نجوب العالم ونحن في غرفنا الصغيرة، وكذلك الحال بالنسبة للهاتف الخليوي^(٨).

إن هذه التغييرات أحدثتها تطور الاتصال الالكتروني وخصائصه، التي تميز بها والتي أصبحت أداة الربط الفكري والذهني والمعنوي بين مستخدمي هذه الشبكة والمواقع الالكترونية، لتحقيق أهداف متعددة على المستويات الفكرية والعلمية والاجتماعية.

خصائص تكنولوجيا الاتصال الحديثة

على الرغم من أن الوسائل الاتصالية التي أفرزتها التكنولوجيا الاتصالية الراهنة تكاد تتشابه في العديد من الخصائص مع الوسائل التقليدية، إلا أن هناك سمات للتكنولوجيا الاتصالية بأشكالها المختلفة مما تلقي بظلالها وتفرض تأثيراتها على الاتصال الإنساني وبوسائلها الحديثة مثل (الفايس بوك، تويتر، الخ). ومن بين تلك الخصائص هي:

١. التفاعلية:

وتطلق على درجة المشاركة في عملية الاتصال وتأثيرها على أدوار الآخرين حيث باستطاعتهم تبادل الآراء والأفكار، ويطلق على ممارستهم الممارسة المتبادلة أو التفاعلية حيث يستطيع المرسل استقبال وإرسال الرسائل في الوقت نفسه، وتدخل في هذه العملية مصطلحات جديدة مثل تبادل وتحكم ومشاركين^(٩).

٢. اللامجاهيرية:-

وتعني أن الرسالة يمكن أن تتوجه إلى فرد أو إلى جماعة معينة وليس إلى جماهير ضخمة، ويعني كذلك درجة التحكم في نظام الاتصال بحيث تصل الرسالة من المصدر إلى المتلقي مباشرة^(١٠).

٣. اللاتزامنية:-

وهي إمكانية إرسال الرسالة واستقبالها في وقت مناسب للفرد المستخدم، ولا تتطلب من كل المشاركين أن يستخدموا النظام في الوقت نفسه، مثل البريد الالكتروني عندما ترسل الرسالة مباشرة من نتج الرسالة إلى مستقبلها في أي وقت دونما حاجة لتواجد المستقبل للرسالة^(١١).

٤. قابلية التحرك أو الحركة:

مثل التلفزيون النقال وتليفون السيارة، والهاتف الخليوي، وفيديو الجيب والحاسب الشخصي.

٥. قابلية التحويل:-

وهي قدرة الفرد على نقل المعلومات من وسط لآخر، كالتقنيات التي يمكنها تحويل الرسالة المسموعة إلى مطبوعة وبالعكس.

٨- د. نبيل علي، د. نادية حجازي، الفجوة الرقمية، الكويت، سلسلة علوم المعرفة ت ٣١٨، ٢٠١١، ص ١٨١.

٩- أ.د. حسن عماد مكاوي، محمود سليمان، تكنولوجيا المعلومات والاتصال، التعليم المفتوح، القاهرة ٢٠٠٩، ص ٣٢٠-٣٢١.

١٠- المصدر نفسه.

١١- د. عبد الأمير الفيصل، الصحافة الالكترونية في الوطن العربي، الاردن، دار الشرق الأوسط، ٢٠٠٦، ص ٢٥.

٦. قابلية التوصيل:

وتعني إمكانية توصيل الأجهزة الاتصالية بتنويعه كبرى من أجهزة أخرى بغض النظر عن الشركة المصنعة لها أو البلد الذي تم فيه الصنع.

٧. الشبوع والانتشار:-

ونقصد به الانتشار المنهجي لنظام وسائل الإعلام والاتصال حول العالم وفي داخل كل طبقة من طبقات المجتمع، وكل وسيلة تظهر تبدو على أنها تترف ثم تتحول إلى ضرورة مثل التلفزيون، وأن من مصلحة أصحاب السلطة أن يجدو طرقاً لتوسيع النظام الجديد للاتصال ليشمل من هم أقل شراء ودعمهم بصورة غير مباشرة.

٨. الكونية:-

البيئة الأساسية الجديدة لوسائل الاتصال أن تتبع المسارات المعقدة والتي يتدفق إليها رأس المال الإلكتروني عبر الحدود الدولية في أي مكان في العالم^(١٢).

ومن الخصائص العامة المميزة لهذه الوسائل الجديدة من وسائل الإعلام أن المتلقي لن يكتفي بدور المشاهد السلبي، بل سيتفاعل مع هذه الوسائل تفاعلاً إيجابياً ويصبح قادراً على تحديد محتوى الرسالة الإعلامية، وتوقيت تلقيها، كما أن تكنولوجيا الاتصالات الحديثة قضت على مركزية وسائل الإعلام والاتصال، إذ تعمل الأقمار الاصطناعية على لا مركزية محطات البث التلفزيوني، ويتم أعداد بيئة وسائل إعلام المستقبل وفقاً لاهتمامات الجماهير ورغباتهم، ولن يرتبط الناس بوسائل الإعلام من خلال المساهمات الجغرافية فقط إذ دائماً ما سيرتبطون معاً من خلال اهتماماتهم المشتركة وما يحتاجونه من معلومات^(١٣).

بالإضافة إلى انتشار شبكات التوصل الاجتماعي بين الناس دون استثناء وخصوصاً فئة الشباب التي تعتبر هي الفئة الأهم بالمجتمع، ووجود الإعلام الحر وتعدد وجهات النظر مما يجعل المتابع للإعلام الإلكتروني يبحث عن وجهات نظر مختلفة ويختار أقربها إلى ذهنه ويقوم باعتمادها مباشرة بعد أن يطلع على مصادر الأخبار المختلفة في التوجهات والرؤى، وسهولة تلقي المعلومات من مختلف أنحاء العالم بالصوت والصورة والكتابة إلى أنحاء العالم فهي تختصر الزمن والمكان ولا تعرف الحدود الجغرافية، إمكانية توظيف المعلومات القديمة وبها مرة ثانية عبر الشبكة، إمكانية التواصل مع الآخرين بسهولة وبساطة، وإمكانية إيصال الرسالة لأي مكان في العالم دون رقابة ومباشرة^(١٤). وتميزت شبكات التواصل الاجتماعي أيضاً، بأن اعلامها إعلام متعدد الوسائط فالمعلومات يتم عرضها في شكل مزيج من النص والصورة والفيديو، مما جعل المعلومة أكثر قوة وتأثيراً، هذه المعلومات هي معلومات رقمية يتم أعدادها وتخزينها وتعديلها ونقلها بشكل الكتروني، كما وتتميز أيضاً بتنوع وسائلها وسهولة استخدامها^(١٥).

١٢- أ.د. حسن عماد مكاي، مصدر سابق، ص ٣٢١.

١٣- د. عبد الأمير فيصل، مصدر سابق، ص ٢٩.

١٤- د. فيصل أبو عيشة، مصدر سابق، ص ١٣٦-١٣٧.

١٥- سميرة شيخاني، الاعلام الجديد في عصر المعلومات، مجلة دمشق، المجلد (٢٦) العدد الأول، ٢٠١٠، ص ٤٤٣.

المبحث الثالث: شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية وتشكيل الرأي العام

في ظل الدور الذي لعبته شبكات التواصل الاجتماعي في حشد الرأي العام وتأجيج الجماهير خلال ثورات الربيع العربي، وبالتالي إشعال الشارع بالاحتجاجات والاضطرابات والعصيان، أزدت الأهمية بدراسة دور شبكات التواصل الاجتماعي في التأثير السياسي وتشكيل الرأي العام. وقد أثبتت شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية خلال السنوات القليلة الماضية على أنها ليست بمعزل عن الواقع، كما كان يعتقد كونها عالمك الافتراضي تحكمه أطر وقوانين بعيدة عن الواقع المعاش، فعملت بشكل فاعل في تشكيل وتكوين الرأي العام وتحريك الشارع من خلال عملها على كسر حاجز الخوف والتركيز على أخطاء وإخفاقات النظم السياسية.

يمثل الرأي العام غالبية آراء أفراد أو جمهور ما، ويتأثر الرأي العام بمجموعة من العناصر والعوامل والمحددات التي تسهم في تكوينه، ويؤكد العديد من الباحثين أن هذه العوامل كثيرة ومتشابهة، كما أنها تتفاعل مع بعضها بعضاً ديناميكياً، بمعنى أن كل عنصر منها يؤثر في الآخر فالإنسان في المجتمع يتأثر بالأسرة، والدين، والعادات، والتقاليد، والقيم، والمؤسسات التعليمية، والنظام السياسي السائد في الدولة، والأصدقاء، والأقران، ووسائل الاتصال، والجماعات كالنقابات والأحزاب والهيئات، فمن خلال هذه القنوات المتشعبة تمر التأثيرات المختلفة كل يوم، لكي تتكون اتجاهات الرأي العام ومن الصعب فهم الرأي العام في أمة من الأمم، ما لم ندخل في اعتبارنا تلك القوى المادية والاجتماعية التي تشكل شخصية الأمة وتسهم في تكوين الفرد لمعتقداته وتشكيل اتجاهاته^(١٦). فكانت شبكات التواصل الاجتماعي أداة تغيير وتأثير في الوعي السياسي وتشكيل الرأي العام للأفراد، فقد أسهمت في خلق بيئة أكثر ثراء من المعلومات بشكل فاق بكثير تلك التي تقدمها وسائل الإعلام التقليدية، بل على العكس فقد باتت الأخيرة تعتمد في تحديث أخبارها على وفق ما تقدمه شبكات التواصل الاجتماعي من محتوى خبري.

فما المجتمع إلا عدد من الجماعات مهما اختلفت مسمياتها، فالأسرة وهي الخلية الأولى للمجتمع وما هي إلا جماعة أولية والمدارس ودور العبادة والمؤسسات المختلفة، إنما هي نتاج لجهود الجماعات والحركات الاجتماعية التي تسعى نحو تحقيق التعبير الاجتماعي حتى تبرز قضية مهمة أو كارثة أو حرب ذات أهمية بالنسبة لها حينذاك تبدأ مرحلة تشكيل الرأي للجماعة^(١٧). وتتداخل العديد من العوامل فيما بينها لتكوين أو تشكيل الرأي العام منها عوامل مجتمعة مثل: الحرية والديمقراطية، أساليب الاتصال المعتمدة في المجتمع، جماعات الضغط والأحزاب، الموروث الفكري والعقائدي، إضافة إلى العوامل الخارجية أو الدولية والإقليمية وعوامل شخصية مثل: مستوى الفرد التعليمي والثقافي والاقتصادي وطريقة التنشئة الاجتماعية، وتشير الدراسات إلى أن هناك عدة نظريات أو مناهج لتكوين الرأي العام منها، الأول: منهج العامل الواحد، الذي يعتبر أحد العوامل محتلاً مكانة بارزة في عملية تكوين الرأي، فيرى البعض مثلاً أهمية العامل الاقتصادي في تكوين الرأي العام، بينما ركز (فرويد) على الدوافع الجنسية وأهتم آخرون بدور العرق أو الغرائز أو غيرها من العوامل. والثاني منهج المراحل المحدودة، إذ يحاول بعض الباحثين بين حين وآخر، أن يقدموا عملية تشكيل الرأي العام بصفة كلية شاملة، دون التركيز على بعض العوامل المحدودة،

١٦- د. عبد الكريم الدبيس، الرأي العام عوامل تكوينه وطرق قياسه، عمان، دار المسيرة، ٢٠١١، ص ١٢٧.

١٧- جيندز انتوني، مقدمة نقدية في علم الاجتماع، ترجمة أحمد زيد وآخرين، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٣.

وبيان دورها مجتمعة أو منفردة، وهؤلاء الباحثون أبرزوا عملية تكوين الرأي العام بالنسبة لقضية معينة كالحقوق المدنية أو التأمين الاجتماعي، تمر خلال مراحل متعددة عادة، وهذه يمكن أن نطلق عليها منهج المراحل المحدودة، ويرى العالم (كلايد) أن هناك أربع مراحل في تكوين الرأي العام، وتتمثل المرحلة الأولى في الاستياء الذي تشعر به الجماعة حيال إحدى القضايا، وحيث يعتقد أن بالإمكان علاج المشكلة الناجمة عن طريق الجماعة، أما في المرحلة الثانية فيعم الاستياء ويظهر وعي لدى الجماهير وحاجة عامة للعلاج والعمل، والمرحلة الثالثة تتميز ببلورة القضايا وذلك بناءً على المناقشة وعرض أوجه النظر المختلفة في الإعلام، وأخيراً مرحلة الحكم واتخاذ القرار. ومن شروط تكوين الرأي العام، بروز قضية أخلاقية عامة تمم الجمهور والمناقشة والحوار حول القضية، وبعدها يتم تبني وجهة نظر الأغلبية والتعبير عن الرأي العام الذي يمارس تأثيراً أما على سلوك الأفراد والجماعات، وأما على السياسة العامة للدولة، وصانعي القرار للانسجام جميعاً أو التوافق إلى أكبر الحدود^(١٨). والمنهج الثالث هو العوامل المتعددة، الذي يركز على أن هناك عوامل متعددة تساهم في تشكيل الرأي العام وليس عامل واحد فقط، ويعتبر منهج العوامل المتعددة من أكثر المناهج استخداماً في دراسات عملية تكوين الرأي العام^(١٩). وهذا يفسر لنا الإقبال وانتشار واتساع استخدام شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية في المجتمع رغم حداثة هذه الوسيلة في الوطن العربي، حتى أصبحت أداة للتعبئة الاجتماعية والسياسية في عدد من بلدان الدول العربية، فأصبحت شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية من ضرورات الحياة اليومية، وهي بمثابة حلقة وصل بين كل مؤسسات ومقومات ومكونات البناء الاجتماعي، وعلى عاتقها تقوم بشرح وتقديم ما لدى كل مؤسسة اجتماعية للآخرى، إذ تؤدي وسائل التواصل الاجتماعي دوراً بالغاً في تشكيل الرأي العام، وفي تعبئة الجماعات وحشدها حول أفكار واتجاهات معينة، مهما كانت هذه الجماهير متباعدة جغرافياً، أو غير متجانسة ديموغرافياً، بل زادت من أهميتها تلك الشبكات في تحقيق المزيد من التأثير على الجماهير من خلال توجيهها نحو آراء وأفكار معينة. حتى أصبح (الفيس بوك) بطل الثورات في الربيع العربي في مرحلته الأولى، في تونس وليبيا، وربما يكون (التويتر) بطل الربيع العربي في مرحلته الثانية، واليوتوب بطل الربيع الآسيوي مستقبلاً، وكنتيجة مباشرة وطبيعية لانتشار استخدام شبكات التواصل الاجتماعي ظهر مصطلح جديد باسم ((أعلام المواطن)) أو (صحافة المواطن) أو (الأعلام الجديد)، والذي يعني وجود أعلام منافس وقوة (من المواطن مباشرة) لهذا يمكننا القول أن أعلام المواطن قد يسرع أي محاولة لتهديد الاستقرار أو نشر الفوضى والغوغائية في بلد ما^(٢٠). وبذلك أصبح (الفيس بوك) مؤسسة إعلامية تجمع النص والصورة والفيديو وبدون دفع أي أموال كبيرة للحصول على المعلومة ولا حاجة لمقر ولا أدوات ومعدات كبيرة هائلة ولا موظفين وأدوات واسعة، بل أصبحت مؤسسة كبيرة في ربيع الثورات العربية، وتنقل منها المؤسسات الكبيرة وهو منعرج في أسلوب التعاطي الإعلامي^(٢١).

١٨- د. حميدة سميسم، نظرية الرأي العام مدخل، بغداد، دار الشؤون الثقافية، ١٩٩٢، ص ٢٢٢.

١٩- أحمد بدر، الرأي العام طبيعته وتكوينه وقياسه، مصر، دار قباء، ١٩٩٧، ص ٩٥.

٢٠- سفران المقاطي، اعلام المواطن وتداعيات الربيع العربي، موقع يونيم، رابط الموضوع:

<http://www.uniem.org/index.php?action=show-pagelD=7098lang=ar>.

٢١- عصام محمد الزبير، الاعلام في ربيع الثورات العربية، الملتقى الدولي للصحفيين، رابط الموضوع:

لذا تعتبر شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية ساحة لممارسة نوع جديد من التنشئة السياسية وتكوين الرأي العام، باعتبارها تنشئة ذاتية وتشكيل رأي غير موجه، إذ لا تقود هذه العملية جهة أو مؤسسة ما سواء رسمية أو غير رسمية، فعلى الرغم من وجود مواقع للمؤسسات الرسمية والأحزاب السياسية بأنواعها على شبكة الانترنت ووجود صفحات لها على الشبكات الاجتماعية، إلا أن تأثيرها يبدو محدودًا لاسيما في ضوء حقيقة أن مستخدم الانترنت يملك في هذه الحالة مطلق الحرية في التعويض للمحتوى الذي تعرضه هذه الصفحات والمواقع.

يختلف تأثير وسائل الإعلام التقليدية في تشكيل الرأي العام، تبعًا للبيئات الاتصالية التي تتم من خلالها عمليات التلقي، إذ تختلف باختلاف وسائل الاتصال المقروءة والمسموعة والمرئية، فكل وسيلة إعلامية عدد من المزايا التي تجعلها تختلف من حيث التأثير عن الوسيلة الأخرى، تكرر التعرض لوسائل الاتصال يزيد من قوة تأثيرها في تشكيل اتجاهات الرأي العام، وقد تميزت شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية بقوة التأثير لأنها جمعت كل مزايا الاتصال التقليدية (المقروءة والمسموعة والمرئية) في الرسالة التي تقدمها.

الفصل الثالث: الدراسة الميدانية

بعد أن استكمل الباحث الإجراءات النظرية وتفرغ المعلومات التي احتوتها الاستبانة، استخراج النتائج التي أظهرت ما يلي:

١. خصائص عينة الدراسة:

تظهر نتائج الدراسة بشأن بعض خصائص العينة ما يأتي:

بالنسبة لمتغير الجنس فقد بلغ عدد الذكور ١٢٧ ونسبة ٤٢,٣٤% من مجموع العينة الكلية، وبلغ عدد الإناث ١٧٣ ونسبة ٥٧,٦٦%.

أما بالنسبة لمتغير العمر فقد أظهرت النتائج بأن الفئة العمرية من ١٧ - ٢٠ سنة احتلت المرتبة الثانية، إذ بلغ عددها ٨٩ وشكلت نسبة ٢٩,٦٦%، وجاءت الفئة العمرية من ٢١ - ٢٥ سنة بالمرتبة الأولى إذ بلغ عددها ١٧٠ ونسبة ٥٦,٦٠%، بينما احتلت الفئة العمرية ٢٦ سنة فأكثر المرتبة الثالثة، وبلغ عددهم ٤١ ونسبة ١٣,٣٨%. أما بالنسبة لمتغير استخدام الانترنت فقد بلغ عدد الذين يستخدمون الانترنت ٢٩١ بنسبة ٩٧% من مجموع العينة، واحتلوا المرتبة الأولى، بلغ عدد الذين لا يستخدمون الانترنت ٩ واحتلوا المرتبة الثانية ونسبة ٣% (٢٢).

الجدول رقم (١) الخصائص الأساسية للعينة

الخصائص الأساسية العمر	ذكور		إناث		المجموع
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	
	١٢٧	٤٢,٣٤	١٧٣	٥٧,٦٦	٣٠٠

المرتبة					
الثالثة	٨٩	١٨	٥٤	١١,٦٦	٣٥
الأولى	١٧٠	٣٠,٣٣	٩١	٢٦,٣٤	٧٩
الثانية	٤١	٩,٣٣	٢٨	٤,٣٤	١٣
المجموع	٣٠٠	٥٧,٦٦	١٧٣	٤٢,٣٤	١٢٧

٢. محور طبيعة الاستخدام:-

أظهرت نتائج الدراسة أن ٦٤,٩٥٪، من طلبة الجامعات في محافظة كربلاء يستخدمون الحاسوب وسيلة اتصال بشبكات التواصل الاجتماعي، ونسبة ٣١,٢٧٪، منهم يستخدمون جهاز الموبايل، ونسبة ٣,٧٨٪، يستخدمون وسائل أخرى وأظهرت النتائج أن المتوسط اليومي لساعات استخدام طلبة الجامعات بمحافظة كربلاء لشبكات التواصل الاجتماعي، على النحو الآتي:

نسبة الاستخدام من ١ - ٢ ساعتين ٣٦,٠٨٪، ونسبة الاستخدام من ٣ - ٥ ساعات ٢٧,١٤٪، ونسبة الاستخدام أقل من ساعة ٢٣,٧١٪، ونسبة الاستخدام أكثر من ساعتين ١٣,٠٧٪^(٢٣).

الجدول (٢) محور طبيعة استخدام شبكات التواصل الاجتماعي

الجهاز المستخدم		حاسوب	موبايل	وسائل أخرى
		٦٤,٩٥٪	٣١,٢٧٪	٣,٧٨٪
ساعات الاستخدام		أقل من ساعة	١-٢ ساعة	٣-٥ ساعة
		٢٣,٧١٪	٣٦,٠٨٪	٢٧,١٤٪
		١٣,٠٧٪		

ويبين جدول رقم (٣) نسبة اشتراك طلبة الجامعات في مواقع شبكات التواصل الاجتماعي حيث احتل face book المرتبة الأولى بنسبة ٨٣,٥٠٪، وجاء viber بالمرتبة الثانية بنسبة ٤٢,٦١٪، واحتل You Tube المرتبة الثالثة whatsapp والمرتبة الرابعة بنسبة ١٠,٦٥٪، واحتلت المواقع الأخرى المرتبة الخامسة بنسبة ٩,٦٢٪.

جدول رقم (٣) نسبة الاشتراك في مواقع التواصل الاجتماعي

الاشتراك في شبكات التواصل الاجتماعي	العدد	النسبة %	المرتبة

face book	٢٤٣	٨٣,٥٠	الأولى
Viber	١٢٤	٤٢,٦١	الثانية
You Tube	٧٤	٢٥,٤٢	الثالثة
whatsApp	٣١	١٠,٦٥	الرابعة
غير ذلك	٢٨	٩,٦٢	الخامسة

٣. محور المصادقية:

تفيد النتائج حول مدى موثوقية ما تنشره شبكات التواصل الاجتماعي من أخبار ومعلومات وصور وأفلام، بأن نسبة ٤٦,٠٦% يثقون فيما تنشره الشبكات، وكان رأي ٢٩,٥٥% محايداً، بينما أشار ٢٤,٣٩% إلى أنهم لا يثقون بها.

وحول تقييم اتجاهات ما نشرته شبكات التواصل الاجتماعي من أخبار ومعلومات كشفت الدراسة عن أن ٤٣,٢٩% يرون أن ما نشرته كان إيجابياً، ويرى ٣٤,٧٢% أن ما نشرته كان سلبياً. أما عن تقييم اتجاهات ما نشرته شبكات التواصل الاجتماعي من أخبار ومعلومات وأنها جعلت الناس أكثر اتصالاً بعضهم البعض فقد كشفت النتائج أن ٣٩,١٨% يرى أن ما نشرته كان إيجابياً حقق اتصال الناس بعضهم البعض الآخر، ويرى ٣٠,٥٨% أن شبكات التواصل الاجتماعي سلبية في التواصل بين الناس، ونسبة ٣٠,٢٤% كان محايداً. وأظهرت النتائج أيضاً، أن معظم المبحوثين اتفقوا أن شبكات التواصل الاجتماعي أصبحت حاجة يومية ملحة لا يمكن للفرد الاستغناء عنها بنسبة ١٠٠%.

٤. محور إيجابيات شبكات التواصل الاجتماعي:

أظهرت نتائج الدراسة أن استخدام شبكة التواصل الاجتماعي من قبل طلاب الجامعات في محافظة كربلاء، له عدة فوائد وإيجابيات، فقد احتلت فائدة التواصل مع الأصدقاء والأقرباء وتبادل الآراء معهم المرتبة الأولى، إذ بلغ عدد تكراراتها ١٨٤ ونسبة ٦٣,٢٣%، أما فائدة التسلية والترفيه فقد احتلت المرتبة الثانية، إذ بلغ عدد تكراراتها ١٦٠ ونسبة ٥٤,٩٨، بينما احتلت متابعة الأحداث الجارية والحصول على المعلومات المرتبة الثالثة، إذ بلغ عدد تكراراتها ١٣٥ ونسبة ٤٦,٣٩%، وبين الجدول رقم (٤) إيجابيات وفوائد استخدام شبكات التواصل الاجتماعي.

جدول رقم (٤)

المرتبة	الإيجابيات	التكرار	النسبة
١	التواصل مع الأصدقاء والأقرباء وتبادل الآراء معهم	١٨٤	٦٣,٢٣%
٢	التسلية والترفيه	١٦٠	٥٤,٩٨%
٣	متابعة الأحداث الجارية والحصول على المعلومات	١٣٥	٤٦,٣٩%
٤	الإطلاع على ما يدور من حولنا	١٢٨	٤٣,٩٨%
٥	نشر ما نرغب بنشره دون أية رقابة	١٠٥	٣٦,٠٨%
٦	التعرف على أشخاص جدد بكل حرية	٩٧	٣٣,٣٣%

٧	حرية التعبير عن الرأي بدون رقابة	٤٥	١٥,٤٦%
٨	غير ذلك	٩	٣,٠٩%

تفسير ومناقشة النتائج بين نتائج الدراسة الميدانية ما يلي:-

أ- أظهرت النتائج أن نسبة ٩٧% من طلبة الجامعات في محافظة كربلاء المقدسة يستخدمون شبكة الانترنت، وهي نسبة عالية واحتل (الفييس بوك) المرتبة الأولى بنسبة ٨٣% يليه موقع (الفابير) في المرتبة الثانية بنسبة ٤٢%، ثم في المرتبة الثالثة (يوتوب) بنسبة ٢٥%، وجاء موقع (واتساب) في المرتبة الرابعة بنسبة ١٠%، وجاءت المواقع الأخرى على شبكة الانترنت بنسبة ٩%.

نستنتج منه أن استخدام شبكة الانترنت أصبح ضرورة حياتية يومية للطلبة، وخاصة استخدام مواقع التواصل الاجتماعي من قبل طلبة الجامعات في محافظة كربلاء المقدسة.

ب- أشارت نتائج الدراسة إلى استخدام جهاز الحاسوب جاء في المرتبة الأولى بنسبة ٦٤%، بينما جاء استخدام جهاز الموبايل بنسبة ٣١% في المرتبة الثانية.

وهذا يفسر لنا أن الطالب الذي يستخدم شبكة الانترنت يكون أكثر متعة وتواصلًا مع الآخرين عبر جهاز الحاسوب، لأسباب عديدة، منها حسب ما نعتقد، وجود وقت فراغ للطالب مما يؤدي إلى التوجه لاستخدام جهاز الحاسوب، سرعة تصفح المواقع الإلكترونية والإطلاع عليها، وجود شبكة انترنت (اتصال) قوية في شبكته أو في المواقع الإلكترونية الخاصة، وهذا ما يسهل على الطالب استخدام الحاسوب، بينما جاء استخدام جهاز الموبايل بالمرتبة الثانية، يرى الباحث أن سبب ذلك يعود إلى عدة أسباب منها: عدم توفر الاتصال بشبكة الانترنت بشكل جيد، قلة الوقت المخصص للتصفح داخل شبكة الانترنت داخل الحرم الجامعي بسبب الالتزام بمواعيد المحاضرات، عدم توفر الخصوصية الكافية في عملية التصفح.

ج- أوضحت الدراسة، أن شبكات التواصل الاجتماعي أصبحت تشكل بالنسبة لطلبة الجامعات في محافظة كربلاء المقدسة مصدرًا من مصادر الحصول على الأخبار والمعلومات تنافس وسائل الاتصال التقليدية والصحافة الإلكترونية وخلال مدة زمنية قصيرة، نرى أنها أصبحت وسيلة أعلام اجتماعي جديدة تسهم في تكوين الرأي العام لطلبة المحافظة وبشكل كبير.

حتى أصبحت مصدر ثقة للمشاركين في مواقع التواصل الاجتماعي، ويعول عليها في متابعة الأحداث والقضايا الجارية، والإسهام في الفعاليات والأنشطة المختلفة التي تشهدها المحافظة، من خلال التواصل عبر مواقع التواصل الاجتماعي وتحفيز الطلبة باتخاذ القرارات تجاه الأحداث الوطنية والمحلية بشكل أوسع، وتشكيل رأي عام تجاه تلك الأحداث عبر التواصل بين المشاركين عن طريق موقع (الفييس بوك) وبذلك شكل ذلك عاملاً لتحفيز الطلبة للتعبير عن آرائهم في الظاهر أو الاعتصام أو تعزيز الروح الوطنية أو الإسهام في بناء محافظتهم أو تشكيل منظمات مختلفة أو جمعيات خيرية تقدم العون والمساعدة

دور شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية في تشكيل الرأي العام لطلبة جامعات محافظة كربلاء
للمحتاجين أو الدفاع عن الوطن ومقدساته الدينية من خلال التطوع لجهات القتال ضد تنظيم داعش
الإرهابي.

وللخصوصية الدينية لمحافظة كربلاء المقدسة، أصبح موقع (الفيس بوك) عاملاً مساعداً في نشر
التعاليم والتوجيهات الدينية التي يلقيها سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي في خطبة الجمعة بنشرها فيما
بين الطلبة المشتركين في الموقع أعلاه، وأبرز الأحداث الدينية التي تشهدها المحافظة المقدسة، بالصور
والفعاليات، والحملات الخيرية لإعانة النازحين والفقراء، وحملات تنظيف شوارع المحافظة بعد كل مناسبة
دينية، وبذلك أسهم الطلبة بشكل مباشر في الحياة اليومية بكل صورها، من خلال التواصل عبر موقع
الفيس بوك.

مصادر والراجع

١. أحمد بدر، الرأي العام طبيعته وتكوينه وقياسه، مصر، دارقباء، ١٩٩٧.
٢. جیدنزاتوني، مقدمة نقدية في علم الاجتماع، ترجمة أحمد زيد وآخرين، القاهرة، ٢٠٠٢.
٣. حسين محمد نصر، مقدمة في الاتصال الجماهيري، الكويت، مطبعة دارالفلاح، ٢٠٠٨.
٤. د. حميدة سميسم، نظرية الرأي العام مدخل، بغداد، دارالشؤون الثقافية، ١٩٩٢.
٥. أ.د. حسن عماد مكاي، محمود سليمان، تكنولوجيا المعلومات والاتصال، التعليم المفتوح، القاهرة
٢٠٠٩.
٦. سميرة شيخاني، الاعلام الجديد في عصر المعلومات، مجلة دمشق، المجلد (٢٦) العدد الأول، ٢٠١٠.
٧. سفران المقاطي، اعلام المواطن وتداعيات الربيع العربي، موقع يونيم، رابط الموضوع:
<http://www.uniem.org/index.php?action=show-pageID=7098lang=ar>.
٨. د. عبدالأمير الفيصل، الصحافة الالكترونية في الوطن العربي، الاردن، دارالشرق الأوسط، ٢٠٠٦.
٩. د. عبد الكريم الدبيس، الرأي العام عوامل تكوينه وطرق قياسه، عمان، دارالمسيرة، ٢٠١١.
١٠. عصام محمد الزبير، الاعلام في ربيع الثورات العربية، الملتقى الدولي للصحفيين، رابط الموضوع:
<http://ifja.net/1415.pfp>
١١. د. فيصل أبوعيشة، الاعلام الالكتروني، الأردن، دارأسامة للنشر والتوزيع، ٢٠١٠.
١٢. د. كاظم المقدادي، تصدع السلطة الرابع، بغداد، مطبعة البحر الأبيض، ٢٠٠٩.
١٣. مرسي مشري، شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية نظرة في الوظائف، مجلة المستقبل العربي، العدد
٣٩٥ السنة الرابعة والثلاثون، ٢٠١٢.
١٤. د. نبيل علي، د. نادية حجازي، الفجوة الرقمية، الكويت، سلسلة علوم المعرفة ت ٣١٨، ٢٠١١.

بسم الله الرحمن الرحيم

عزيز المستجيب:

عزيزتي المستجيبة:

يمثل البحث العلمي واحداً من اهم المجالات التي تساعد الأمم والشعوب على الرقي والتقدم، وعليه يروم الباحث القيام بدراسة تتعلق بمواقع التواصل الاجتماعي الشائعة ودورها في نقل الاخبار والاحداث ومدى اهميتها في تشكيل الرأي العام لطلبة الجامعات في كربلاء لذا أرجو ان تكون اجابتك معبرة عن الصراحة والصدق التي تتسم بها شخصيتك، علماً أن اجابتك لم يطلع احد سوى الباحث ولن يستخدم الا لأغراض البحث العلمي، ولاداعي لذكر الأسم، كما بينه الباحث على انه ليس هناك اجابة صحيحة واخرى خاطئة، ونرجو عدم ترك اي فقرة من غير اجابة.

يرجى التأشير بعلامة () امام الفقرات التي تتطلب ذلك.

وشكراً لتعاونكم

الباحث

د. نصيف جاسم

الجنس	ذكر	انثى	بالسنوات	العمل
التحصيل الدراسي	ابتدائية	اعدادية	بكلوريوس	شهادة عليا

هل تستعمل مواقع التواصل الاجتماعي؟

اذا كانت اجابت بنعم استمر بالاجابة

اي موقع من المواقع الانية هو الاكثر استعمالاً لك؟ بإمكانك اختيار أكثر من موقع

Facebook	
Twitter	
YoyTube	
weChat	
WhatsApp	
Viber	
Tango	
Skybe	

كم من الوقت تقضيه يومياً في استعمالك للإنترنت؟

نصف ساعة الى ساعة ساعة الى اكثر من ساعتين

هل تستعمل الكمبيوتر او جهازالموبايل للتواصل عبر شبكات التواصل الاجتماعي
استعمل الكمبيوتر استعمل جهاز الموبايل

هل تعتقد ان مواقع التواصل الاجتماعي جعلت الناس اكثر اتصالاً بعضهم ببعض الاخر؟
نعم احياناً الى حد ما

كم من الوقت تقضيه يومياً في التواصل مع الاخرين عبر شبكات التواصل الاجتماعي؟
نصف ساعة الى ساعة ساعة الى اكثر من ساعتين

ماهو تقييمك لمواقع شبكات التواصل الاجتماعي كوسيلة اتصال؟
جيدة متوسطة ضعيفة

ما مدى ثقتك بالمعلومات التي تحصل عليها عن طريق شبكات التواصل الاجتماعي؟
نعم احياناً الى حدما

هل تعتقد ان شبكات التواصل الاجتماعي تعد مصدراً يعتمد عليه في نقل الاخبار والاحداث؟
نعم احياناً الى حد ما

هل توافق الرأي القائل ان شبكات التواصل الاجتماعي اصبحت حاجة يومية ملحة ولايمكن
للفرد الاستغناء عنها؟
نعم احياناً الى حد ما

هل ترى ان شبكات التواصل الاجتماعي تعد مصدراً يتيح فرصة التعبير بحرية تامة وبدون
رقابة؟
نعم احياناً الى حدما

هل توافق الرأي القائل ان شبكات التواصل الاجتماعي اكثر مصداقية بنقل الاخبار من وسائل
الاعلام الاخرى؟
نعم احياناً الى حدما

هل تعتقد ان شبكات التواصل الاجتماعى تلبي ما يأتي؟ يمكنك اختيار اكثر من حقل.

للاطلاع على مايدور حولنا

معالجة احداث وقضايا لايعلجها الاعلام.

التسلية والترفيه

معرفة اخبار الاصدقاء والاقارب

نشر ما نرغب بنشره دون اية رقابة

التعرف على السلع والبضائع

المشاركة بالاحداث السياسية بدون رقابة

اكتساب معلومات جديدة

التعرف على اشخاص جدد بكل حرية

حرية التعبير عن الرأي بدون رقابة

التنوع بتناول مختلف المواضيع

هل لديك اية اراء اخرى؟ تذكر

الأحكام العامة للوقف

The general provisions of endowment

Inst. Hasan Khalid Debis

Inst. Shaheed Abdul-Zahra

م. حسن خالد ديبس^(١)

م. شهيد عبد الزهرة^(٢)

الملخص

لقد عرف علماء المسلمين الوقف: هو تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة. ثم بينوا بأن للوقف أنواع منها الوقف الخيري والوقف الأهلي أو الذري، والمقصود بالوقف الذري وهو الذي يوقف على شخص أو اشخاص معينين. ومن التقسيمات العامة للوقف الوقف الخاص والوقف العام، واراادوا بالوقف العام وهو ما يوقف على مصلحة عامة كالمسجد والقناطر. ومن اوقف شيئاً في سبيل الله: فينصرف الى كل قرية. ومن الشرائط العامة للوقف (التنجيز، الدوام، والاخراج عن النفس) فلو وقف على نفسه لم يصح.

Abstract

The wagf moratorium when the muslim scholars is ovis the original and the types of wagf wagf charitable organizations go.

Divided wagf own stand which awakens the interest of public such as mosques archways.

Standing in the way of allah finishes to all near..

١ - جامعة اهل البيت - (عليه السلام) / كلية العلوم الإسلامية.

٢ - جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية.

المقدمة

بحثنا هذا تناول الاحكام العامة للوقف، وما لهذا الحكم من ثواب عند الله سبحانه وتعالى، وسبب اختيارنا لهذا البحث هو الوقوف على الاحكام العامة للوقف وتوضيح الجائز وما هو الجائز منه وغير الجائز.

ولعل الدراسات السابقة لم تتناول هذا البحث كدراسة مستقلة لبيان الاحكام العامة للوقف. وقد قسمنا هذا البحث الى ثلاثة مباحث وكل مبحث له عدة مطالب:

فكان المبحث الاول هو البحث في معنى الوقف لغة واصطلاحاً، وتعريف الوقف عند المذاهب الاسلامية. اما المبحث الثاني فكان تحت عنوان انواع الوقف، وللوقف عدة أقسام لا بد من التعرف عليها. اما المبحث الثالث فكان تحت عنوان شرائط الوقف فهناك شرائط خاصة للوقف حتى يصح الوقف من قبيل التنجيز والدوام... وغيرها.

ومن أهم المصادر التي اعتمدتها عليها في بحثنا هذا (شرائع الاسلام) للمحقق الحلي، و (وسائل الشيعة) لمحمد حسن حر العاملي.

وكانت منهجيتنا في البحث هو التعريف بصورة عامة، والتعريف على حسب القدم الزمني مع بيان آراء الفقهاء في المسألة من دون بيان المخالف لها او الموافق، وانما البيان على نحو الامر الكلي.

التمهيد:

الوقف هو: (اخراج المالك العين عن ملكه وحبسها من اجل انتفاع الناس بها دون ان تكون للموقوف عليه سلطة نقلها عن ملكه). وهو ما يختصره الفقهاء بقولهم: (الوقف هو تحبيس الاصل وتسجيل الثمرة)^(٣). أي المنفعة و يترتب على الوقف عند حصوله نوع من الملكية ليست في قوة الملكية التي تترتب عن غيره من النواقل، كالبيع و الهبة والوصية وغيرها فإن قصر الانتفاع بالعين فيه على الموقوف عليه أشبه بالتخصيص منه بالتملك.

لكن رغم ذلك فاننا سوف نعبر عنه بالتملك جريا على ما هو المألوف من عبارة الفقهاء في هذا الباب ولان بعض اثار الملكية تترتب على بعض انواعه. وكما لا يخفى فان الوقف نوع من الهبة لتلك العين ومنافعها وهو من اجل ذلك يندرج في ابواب هذا المقصد ولما كانت معظم الوقوف مما يقصد بها التقرب الى الله تعالى فانها بذلك تصير قسما من الصدقات، بل ان الغالب في الاخبار التعبير عن الوقف بالصدقة.

و هو (الصدقة) الجارية التي ورد الحث عليها في الاخبار، والتي شاع منها عن النبي - ﷺ - انه قال: (اذا مات المؤمن انقطع عمله الا من ثلاثة، ولد صالح يدعو له، وعلم ينتفع به بعد موته، وصدقة جارية)^(٤)

٣- المبسوط، الشيخ الطوسي، ج ٣ ص ٢٧٦.

٤- وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ١٢ ص ٢٩٢.

المبحث الأول: الوقف لغة واصطلاحاً

المطلب الأول: الوقف لغة

الوقف: هو الحبس

يقال: وقفت الدار وقفا حبستها في سبيل الله
ويقال: وقفت الرجل عن الشيء وقفا منعه عنه ومنها: السكون
ويقال: وقفت الدابة تقف وقفا ووقوفاً سكنت^(٥).

ويجمع على وقوف وأوقاف والفعل منه وقف.

أما أوقف فشاذ، ومعناه لغة الحبس والمنع.

تقول: وقفت عن السير أي أمتنعت عنه.

ويظهر من بعض أهل اللغة أنهم يجعلون كلا من الوقف والحبس بمعنى واحد، فالحبس عندهم هو ما وقف^(٦).

قال تعالى: ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾^(٧).

قال تعالى: ﴿وَاَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٨).

قال تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾^(٩).

قال تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾^(١٠).

قال تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾^(١١).

فإن الوقف يدخل في عموم هذه الآيات الكريمة؛ لأن الصدقات مندوب إليها.

والوقف في حقيقته صدقة وبر وخير واحسان، فهو مندوب إليه.

المطلب الثاني: الوقف اصطلاحاً عند الفرق الإسلامية

الوقف في اصطلاح الإمامية:

١. عرّف الشيخ الطوسي الوقف بأنه: (تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة، وجمعه وقوف وأوقاف)^(١٢).

٢. وقال المحقق الحلي: (الوقف: عقد، ثمرته تحبيس الأصل وإطلاق المنفعة، واللفظ الصريح فيه: وقفت لاغير، أما حرّمت و تصدقت فلا يحمل على الوقف إلا مع القرينة، لاحتمالها مع الأفراد غير الوقف..^(١٣)

٥- لسان العرب، ابن منظور (ت ٧١١)، ج ٩ ص ٣٥٩، نشر دار صادر - بيروت - لبنان.

٦- تاج العروس، الزبيدي (ت ١٢٠٤)، ج ٦ ص ١٩٥، نشر دار الفكر - بيروت - لبنان.

٧- سورة البقرة، الآية ٢٨٠.

٨- سورة الحج، الآية ٧٧.

٩- سورة آل عمران، الآية ٩٢.

١٠- سورة آل عمران، الآية ١١٥.

١١- سورة الأحزاب، الآية ٦.

١٢- المبسوط في فقه الامامية، الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، الطبعة الاولى، مؤسسة الغري للمطبوعات بيروت - لبنان، ج ٣

ص ٢٨٦.

٣. وعرفه شمس الدين العاملي: (هي الصدقة الجارية والصريح من الوقف، أما وقفت وحبس وسبلت وحرمت وتصرفت فيفتقر إلى القرينة كالتأييد ونفي البيع والهبة والارث)^(١٤).
٤. وعرفه الشهيد الثاني: (أي جعله على حالة لا يجوز التصرف فيه شرعاً على وجه ناقل له عن الملك إلا ما استثنى)^(١٥).
٥. وعرفه المحقق علي بن الحسين الكركي: (الوقف: عقد يفيد تحبیس الأصل وإطلاق المنفعة، ولفظه الصريح، وقفت وحبس وسبلت على رأي، وغيره: حرمت وتصدقت وأبدت، فإن قرن أحد هذه الثلاثة، بأحدى الثلاثة السابقة، أو بما يدل على المعنى صار كالصريح، وإلا لم يحمل على الوقف ويدين بنيته لو ادعاه أو ادعى ضده ويحكم عليه بظاهر إقراره بقصده)^(١٦).
٦. وعرفه المحقق الأردبيلي: (إن شئت حبست أصله وسبلت ثمرتها. ومما ورد في وصية الامام-عليه السلام-: انه شرط على الذي يجعله إليه أن يترك المال علي أصوله وينفق الثمرة، حيث أمره به سبيل الله ووجوهه وذوي الرحم من بني هاشم وبني المطلب والقريب والبعيد. والمراد بـ (تحبیس الأصل) المنع من التصرف فيه كالتصرف في الاملاك بالبيع والهبة والصدقة ونحوها، بحيث يكون ناقلاً للملك. و(تسبيل الثمرة) إباحتها للموقوف عليه، بحيث يتصرف فيها كتصرفه في املاكه)^(١٧).
٧. وعرفه الشيخ جعفر كاشف الغطاء: (ومأخذه من الوقوف بمعنى القيام بلا حركة في مقابلة المشي لانه يحبس المال عن تصرف صاحبه، أو صاحبه عن التصرف فيه)^(١٨).
٨. وكذلك عرفه الشيخ يوسف البحراني: (كالتصرف في الاملاك بالبيع والهبة والصدقة ونحوها بحيث يكون ناقلاً للملك وتسبيل الثمرة إباحتها للموقوف عليه بحيث يتصرف فيها كتصرفه في املاكه وجملة من الاصحاب عبروا بإطلاق المنفعة عوض لفظ التسبيل وهو اظهار في مقابلة التحبیس)^(١٩).
٩. وعرفه ميرزا حسين النوري: (أما أن الوقف فهو ما تقدم من واضحات الفقه ويقتضية ارتكاز المشرعة الذي لا تأمل فيه)^(٢٠).
١٠. وعرفه الشيخ باقر الإيرواني بأنه: (يتضمن تحبیس العين وتسبيل الثمرة، وقد يعبر عنه بالصدقة، وهو مشروع بلا اشكال)^(٢١).

١٣- شرائع الاسلام. المحقق الحلي (ت ٦٧٦هـ)، تحقيق وتعليق السيد صادق الشيرازي، الطبعة الثانية، مطبعة امير - قم ايران، ج ٢ ص ٤٤٢.

١٤- الدروس الشرعية في فقه الامامية، محمد بن مكي العاملي (ت ٩٣٨ هـ)، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، ص ٢٦٤.

١٥- الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، زين الدين العاملي (ت ١٠٨١ هـ)، ص ١٤١. السرائر، ابن اديس الحلي (ت ٥٩٨ هـ)، ج ٣ ص ١٦٢.

١٦- جامع المقاصد في شرح القواعد، الشيخ علي بن الحسين الكركي (ت ٩٤٠ هـ)، نشر مؤسسة آل البيت -عليه السلام- ط ٢ سنة ١٤١٥ هـ، ج ٩ ص ١٠.

١٧- الحدائق الناضرة، للمحقق البحراني (ت ١١٨٦ هـ) مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم - ج ٢٢ ص ١٢٧.

١٨- كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة، للشيخ جعفر كاشف الغطاء، مكتب الاعلام الاسلامي ط ١، ج ١٤، ص ٢٢١.

١٩- الحدائق الناضرة، للشيخ يوسف البحراني (ت ١١٨٦ هـ)، ايران ج ٢٢ ص ١٢٧.

٢٠- مستدرک الوسائل. ميرزا حسين النوري (ت ١٣٢٠ هـ)، مؤسسة آل البيت -عليه السلام- - لاحياء التراث.

الوقف عند الحنفية:

الوقف: بانه حبس العين على حكم ملك الواقف والتصدق بالمنفعة عند الامام^(٢٢).

الوقف عند الشافعية:

هو حبس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينة بقطع التصرف في منفعة على مصرف مباح موجود^(٢٣).

وعند ملاحظة التعاريف عند المذاهب الاسلامية، لا نجد أختلافا جوهريا في أصل التعريف، وان أختلفت بعض مصاديق الوقف.

فإن الأمر الكلي في التعريف هو حبس الأصل أى العين الموقوفة والأستفادة من منفعتها، فإن هذه المنفعة تختلف من احد الى آخر.

وهذا لا يضر في التعريف وهو غير قاذح لأنه أختلاف في المصاديق وليس في العنوان.

المبحث الثاني: أنواع الوقف وأقسامه وعلى من يصح الوقف

المطلب الأول: أنواع الوقف

١. الوقف الخيري:

وهو الذي يوقف ابتداءً على جهة من جهات البر، ولو لمدة معينة ويصبح الوقف بعدها على أشخاص عينهم الوقف، كأن يقف الرجل أرضه على مدرسة أو مستشفى، ثم بعدها على أولاده^(٢٤). أي أنه في أول الأمر على جهة خيرية . ولو لمدة معينة . يكون بعدها وقفاً على شخص معين أو أشخاص معينين^(٢٥).

٢. الوقف الأهلي والذري:

وهو الذي يوقف ابتداءً الأمر على نفس الواقف، أي شخص أو أشخاص معينين ولو جعل آخره لجهة خيرية، كأن يقف على نفسه ثم على أولاده ثم من بعدهم على جهة خيرية^(٢٦). حيث يوقف الإنسان ابتداءً على نفسه أو على أولاده وذريته أو أشخاص معينين من ذوي قرابته أو غيرهم حتى ولو جعله بعد ذلك وقفاً على جهات البر^(٢٧).

٢١- دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي، سماحة الشيخ باقر الايرواني، مطبعة توحيد قم، ط ٢ ١٣٢٨، ص ٢٠١

٢٢- معجم المصطلحات والالفاظ، محمود عبد الرحمن، ج ٣ ص ٤٩٤.

٢٣- مغني المحتاج، محمد بن احمد محمد الشربيني ٩٧٧، ناشر دار احياء التراث العربي . بيروت لبنان، ج ٣ ص ١٦٥.

٢٤- نظام الارث والوصايا في الفقه الاسلامي، د. احمد فراج حسن، ناشر منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت ٢٠٠٢م،

ص ٢٢١.

٢٥- الفقه الاسلامي وادلته، د. وهبة الزحيلي، الناشر دار الفكر محل النشر دمشق ١٤١٨ هـ، مج ١٠ ص ٣٢١.

٢٦- الفقه الاسلامي وادلته، د. وهبة الزحيلي مج ١٠، ص ٣٢٢.

٢٧- نظام الارث والوصايا في الفقه الاسلامي، د. احمد فراج حسن، ص ٢٢٢.

كوقف الدار على أولاده ليسكنوها ووقف البستان عليهم ليأكلوا ثمرتها ولا تصح المعاوضة وفي ذلك على المنفعة أو الثمرة من قبل الموقوف عليهم ولا من قبل الولي كما انهما لا يكونان مضمونين على الغير بالقص أو الاستيفاء أو الاتلاف^(٢٨).

حيث يبتني على ملكية المنفعة أو الثمرة لهم كما لو قال الدار وقف على اولادي على ان تكون منفعتها لهم أو البستان وقف على اولادي على أن تكون ثمرتها لهم وحينئذ يترتب اثر ملكهم لها وان لم يقبضوها وتجب الزكاة والخمس^(٢٩).

المطلب الثاني: أقسام الوقف

١. الوقف الخاص

هو ما كان ملكاً للموقوف عليهم اي الذي يستحقون استثماره والاتفاع به ومنه الوقف الذري ووقف العلماء أو الفقهاء وقف العقار لمصلحة المسجد والمدرسة وما إليها وهذا النوع من الوقف هو الذي وقع الخلاف بينهم في انه يجوز بيعه مع الاسباب الموجبة اولا يجوز اطلاقاً حتى ولو وجد سبب وسبب^(٣٠). وما يوقف علي شخص معين أو اشخاص معينين بشكل خاص مثل الوقف على الاولاد والذرية^(٣١).

حيث يكون وقفاً خاصاً وأما على انسان كوقف داره أو سيارته على شخص محدد واحد كان أو متعدداً كزيد وحده أو مع ذريته وأما على شيء كوقف بستان لهذا المسجد أو لهذا الميتم أو غيرها مما يوقف على شيء معين^(٣٢). وقفاً على شخص أو اشخاص كالوقف على اولاده وذريته أو على زيد وذريته^(٣٣).

وما قصد عود منفعته الى شخص أو اشخاص معينين وان تجعل منفعة الوقف ملكاً للموقوف عليه كما إذا قال هذا الدار وقف على اولاده ان تكون منفعتها ملكاً لهم فمنفعتهم كسائر املاكهم تجوز المفاوضة عليها ويجب عليهم فيها الخمس والزكاة بشرائطها وراثتها وارثهم، وتضمن لهم بالمثل أو القيمة^(٣٤).

وأن تجعل المنفعة مصرفاً عليهم لا ملكاً لهم، فلا يجب فيها الخمس والزكاة ولا يرثها وارثهم. نعم يضمنها لهم من اتلفها عليهم وان صرف شخص النفعة على الموقوف عليهم فلا تجوز المفاوضة عليها كما إذا كانت شجرة لم تجر بيع ثمرتها بل لهم أكلها فقط^(٣٥).

٢٨- منهاج الصالحين، السيد محمد سعيد الحكيم، دار الصفوة، بيروت لبنان، سنة ١٩٩٦م، ط ١، ج ٢، ص ٢٦١

٢٩- المصدر نفسه

٣٠- فقه الامام جعفر الصادق - عليه السلام - عرض واستدلال، محمد جواد مغنية، مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر ايران. قم، ج ٥

ص ٨٠.

٣١- احكام الولايات، السيد محمد تقي المدرسي، ج ٣ ص ٧٩-٨٨.

٣٢- فقه الشريعة، السيد محمد حسين فضل الله، ج ٢ ص ٣٥٨.

٣٣- المعاملات، السيد محمد الغروي، ص ٢٥١-٢٥٢.

٣٤- وسيلة المتقين في الاحكام في المعاملات، الشيخ محمد جميل حمود العاملي، نشر مركز العترة الطاهرة للدراسات والبحوث، لبنان بيروت، ٢٠١٢م، ص ٢٥١-٢٥٢.

٣٥- المصدر نفسه.

٢. الوقف العام

هو ما يوقف على مصلحة عامة كالمسجد والمقابر والقناطر والمشاهد والحسينيات والمدارس والمكتبات والمراكز الثقافية والتربوية^(٣٦). وما اريد منه انتفاع الناس كل الناس لا فئة خاصة ولا صنف معين ومنه المدارس والمساجد والمشاهد والخانات التي كانت منذ زمان وعيون الماء والاشجار المظلة للمارة وفي حكمها المساجد والمقابر والمشاهد لانها لا تختص بمسلم دون مسلم ولا فئة من المسلمين دون فئة^(٣٧). وان هذه الاوقاف العامة لا يجوز بيعها ولا استبدالها بحال حتى لو خربت و اوشكت على الهلاك والضياع لانها عندهم او عند اكثرهم فك ملك اي اخراج لها عن ملك مالكها الاول الى غير مالك فاصبحت بعد الوقف تماما كالمباحات العامة وبديهة انه لا بيع الا في ملك بخلاف الاوقاف الخاصة فانها تحويل من ملك الواقف الى ملك الموقوف عليهم بنحو من الانحاء^(٣٨).

وما يكون وقفا عاما وذلك اما على عنوان انساني له افراد على مدى زمن كالوقف على المرجع الاعلى او على العلماء او المسافرين او الفقراء او العاجزين او نحو ذلك واما على عنوان لا ينطبق على الاعيان بل يراد منه احداث فعل من افعال الخير وهو ما يصطلح عليه هنا الجهة مثل وقف بستان لصرف نمائة في عزاء الامام الحسين -عليه السلام- او لصرف نمائة في معالجة المرض او اطعام شخص معين او الفقراء عامة او نحو ذلك من المصالح العامة ووجود الخير^(٣٩).

ومن حيث مالم يقصد عود منفعته الى معين كالمساجد والقناطر حيث منها حفظ عنوان المسجد كالفقراء او العلماء كما في وقف المدارس والربط مسألة لو وقف مكانا للعبادة والصلاة صار مصلى ومعبد لا مسجد الا ان يقصد عنوان المسجدية^(٤٠).

المطلب الثالث: على من يصح الوقف

١. الوقف على أهل البيت -عليهم السلام-

إذا وقف شيئاً على الامام الحسين -عليه السلام- وجب صرف او صرف نمائة فيما هو المتعارف من شؤونه -عليه السلام- وذلك كصرفه في اقامة مجالس عزائه وذكر مناقبه وسيرته بكل وسيلة مناسبة مع بذل الطعام في ذلك المجلس.

وبدونه الاحوط وجوبا اهداء ثواب ذلك المجلس والطعام اليه -عليه السلام- ولا يجب تخصيص مجلس على نية الواقف وبذل الموقوف فيه بل يكفي اعطاء شيء منه لمن يقرأ العزاء في اي مكان كالمسجد او الحسينية او غيرها فان لم يكن عرف بهذا النحو من الصرف وجب حينئذ التصديق به عنه^(٤١). وصرف في اقامة عزائه مع بذل الطعام فيه وبدونه والاحوط اهداء ثواب ذلك اليه -عليه السلام-.

٣٦- احكام الايات، السيد محمد تقي المدرسي، ج ٣، ص ٧٨.

٣٧- فقه الامام جعفر الصادق -عليه السلام- عرض واستدلال، محمد جواد مغنية ج ٥ ص ٨٠.

٣٨- فقه الامام جعفر الصادق -عليه السلام- عرض واستدلال، محمد جواد مغنية ج ٥ ص ٨٠.

٣٩- المصدر السابق

٤٠- وسيلة المتقين، الشيخ محمد جميل العاملي، ص ٢٥٢.

٤١- فقه الشريعة، السيد محمد حسين فضل الله، ج ٢، ص ٣٨٣.

ولا فرق بين اقامة مجلس للعزاء وان يعطي الذاکر لعزائه ع في المسجد او الحرم او الصحن او غير ذلك^(٤٢).

وكذا لو وقف على النبي - ﷺ - أو على سائر أهل بيت العصمة - ﷺ - بمن فيهم إمام العصر - ﷺ -، فإنه أيضاً يصرف في بيان مناقبهم وذكر مواعظهم وتعاليمهم بكل وسيلة نافعة كإقامة المجالس أو تأليف الكتب أو غير وذلك ان كان ذلك هو المتعارف من وجوه الصرف والا فحيث لا يكون عرف ويحدد نوع الصرف يجب التصديق به^(٤٣).

٢. الوقف على الفقراء:

إذا وقف على الفقراء أو على نوع من انواع بني ادم أو على انواع منهم لا يتخصص بلد الواقف ولا يجب التوزيع على كل فرد منهم بل يكفي على جماعة منهم^(٤٤).
والمسلم اذا وقف على الفقراء انصرف عرفا الى ارادة فقراء المسلمين دون غيرهم ولو وقف الكافر كذلك انصرف الى فقراء نحلته بلا خلاف اجد فيهما بل الظاهر قيام القرينة على ارادة خلاف قرينة الاطلاق.

وكذا لو جعل العنوان فقراء بلد او بلد مخصوص نعم لو لم يكن في البلد الا فقراء غير مذهبة وكان علما بذلك اتجه حينئذ الصرف اليهم اما اذا لم يكن علما فلا يبعد بطلان الوقف خلافا لما في المسالك من ان الأولى الصحة وفيه ما لا يخفى^(٤٥).

٣. الوقف على المسجد أو المشهد:

ان المسجدية من العناوين الاعتبارية العقلائية الممضاة شرعا، ومورد الاعتبار نفس الارض فقوام المسجدية بارض المسجد لا بالاثار ومقتضى المسجدية استعداد كل مكان منه للصلاة فيه^(٤٦). فوقف المسجد وقف مؤبد لا يكون ملكا لاحد بل يكون فك ملك نظير التحرير بمنزلة عتق العبد ومن هنا يقال: ان المسجدية تحرير لا وقف فلا يجوز بيعه؛ لعدم الملك وتلف ماليته شرعا باعتبار رجوعه الى الله تعالى فعدم جواز بيعه بلحاظ هذه الحيثية لا حيثية عدم تمامية الملك وبذلك قال بعض اهل السنة^(٤٧).
وحيث نتعرض هنا لحكم الوقوف على المساجد. فقد روى الصدوق: انه سئل الصادق - ﷺ - عن الوقوف على المساجد فقال (لا يجوز فان المجوس اوقفوا على بيوت النار) وهذا بظاهرة يتعارض مع عموم الأدلة على صحة الوقف على المصالح الراجعة الى كافة الناس او بعضهم كالمساجد والقناطر^(٤٨).

٤٢- منهاج الصالحين المعاملات، السيد الخوئي (ت١٤١٣)، نشر مدينة العلم قم، ج ٢ ص ٢٣٦. منهاج الصالحين قسم المعاملات، محمد باقر الصدر (ت١٤١٩هـ)، ج ٢ ص ٢٥٤.
٤٣- فقه الشريعة، السيد محمد حسين فضل الله، ج ٢، ص ٣٨٣.
٤٤- احكام الشيعة في المعاملات، الميرز الحائري الاحقائي، ج ٤ ص ٥٠٥.
٤٥- شرائع الاسلام المحقق الحلي (ت١٢٧٦هـ)، ج ٢ ص ٢٥٣.
٤٦- جواهر الكلام، الشيخ الجواهري ت١٢٦٦هـ، ج ٤ ص ٢٥١.
٤٧- مغني المحتاج، محمد ابن احمد الشيريني، ت٩٧٧هـ، ناشر الاحياء والتراث العربي بيروت لبنان، مج ٣ ص ١٦٥.
٤٨- كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة، الشيخ جعفر كاشف الغطاء، ج ٤ ص ٢٦٦.

وصرف نمائه في مصالحه من تعمير وفرش وسراج وكنس ونحو ذلك من مصالحه وفي جواز اعطاء شيء من النماء لامام الجماعة اشكال الا ان تكون هناك قرينة على ارادة ما يشمل ذلك فيعطي منه حينئذ^(٤٩).

ويمكن اطلاق المسجد او المصلى على المكان الذي يتخذ في الدار الادلة مثل: خبر حريز عن ابي عبدالله -عليه السلام- قال (اتخذ مسجدا في بيتك)^(٥٠).

٤. الوقف في سبيل الله:

والوقف في سبيل الله ينصرف الى كل قرية وكذا سبيل الخير وسبيل الثواب^(٥١). وما يتقرب الى الله كالجهاد والحج والعمرة وبناء القناطر وعمارة المساجد وكذا لو قال في سبيل الله وسبيل الخير وسبيل الثواب^(٥٢). فسبيل الله هو الغزو والجهاد في سبيل الله فيصرف ثلث الوقف الى من يصرف اليهم السهم من الزكاة وهم الغزاة الذين لا حق لهم في الديوان وان كانوا اغنياء وسائر الوقف يصرف الى كل ما فيه أجر ومثوبة وخير لان اللفظ علم في ذلك^(٥٣).

ويحتمل أن يحجز الوقف ثلاثة اجزاء فجزة يصرف الى الغزاة وجزة يصرف الى اقرب الناس اليه من الفقراء لانهم اكثر الجهات ثوبا فان النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- قال (صدقتك على ذي القرابة صدقة وصلة) والثالث يصرف الى من ياخذ الزكاة لحاجته وهم خمسة اضعاف الفقراء والمساكين والرقاب والغارمون لمصلحتهم وابن السبيل^(٥٤).

٥. الوقف على الأولاد:

اذا وقف على اولاده اشترك اولاد البنين والبنات بالسوية إلا أن يفضل ولو قال على من انتسب إلي لم يدخل اولاد البنات^(٥٥). لقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾^(٥٦). حيث لا تدخل الحفدة علي راي لا مع قرينة الارادة مثل يقول والاعلى يفضل على الاسفل او قال الاعلى فالاعلى او قال وقفت علي اولاد فلان وليس له ولد الصلب كما لو قال وقفت علي اولاد هاشم ولو قال وقفت علي اولادي واولاد اولادي اختص بالبنين الاوليين علي راي ولو على اولاد اولادي اشترك اولاد البنين واولاد البنات بالسوية^(٥٧).

-
- ٤٩- منهاج الصالحين، السيد الخوئي (ت ١٤١٣هـ)، نشر مدينة العلم ط ٢٨، ص ٢٤٣-٢٤٤.
 ٥٠- وسائل الشريعة، محمد حسن حر العاملي (ت ١١٠٤هـ)، نشر دار احياء التراث العربي بيروت لبنان ١٤٠٣ ط ٥ ج ٣٢١.
 ٥١- الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، الشهيد الثاني (ت ١٠٨١هـ)، ص ١٤٣.
 ٥٢- السرائر، ابن ادريس الحلبي (ت ٥٩٨هـ)، ج ٣ ص ١٦٥.
 ٥٣- المغني، ابن قدامة المقدسي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت لبنان مج ٦ ص ٢١٣.
 ٥٤- المجموع، للنووي (٦٧٦)- دار الفكر للطباعة والنشر، ج ١ ص ٣٣٧.
 ٥٥- المبسوط، الشيخ الطوسي، ج ٣ ص ٢٧٦، اللمعة الدمشقية، الشهيد الاول، قم- منشورات دار الفكر، ص ٨٩.
 ٥٦- سورة النساء، الآية ١٢.
 ٥٧- ايضاح الفوائد في شرح اشكالات القواعد، محمد بن الحسن بن المطهر الحلبي، ص ٤٦٤.

وحيث يقتض التسويه بين الكل وكذا لو زاد ما تناسلوا او بطنا بعد بطن ولو قال على اولادي ثم اولاد اولادي ثم اولادهم ما تناسلوا او على اولادي الاول فالاول فهو للترتيب ولا يدخل اولاد البنات في الوقف علي الذرية أو النسب أو العقب واولاد الاولاد الا ان يقول على من ينتسب الي منهم^(٥٨).

المبحث الثالث: شرائط الوقف

المطلب الأول: التنجيز

لا بد أن ننبه هنا على ان المراد بالتنجيز في اصطلاح الفقهاء هو عدم تعليق الوقف كغيره من العقود والايقاعات على شرط غير متحقق فعلا ومشكوك التحقق في المستقبل. ونص فقهاء الامامية بشكل عام على انه لو علق الوقف على امر حالي معلوم الحصول كما لو قال زيد وقفت داري ان كنت زيدا او ان كانت لي و كان هو زيدا حقيقي وكانت الدار ملكه فعلا صح الوقف^(٥٩).

(اما لو علق على شرط او صفة بطل)^(٦٠).

(وجوب التنجيز و عدم جواز التعليق في الوقف فان قال: ان مت فهذا وقف لم يصير وقفا بعد الموت اما ان قال اذا مت فاجعلوا هذا وقفا يكون وصية بالوقف و على الوصي ان ينفذ وينشئ الوقف فان امتنع اجبره الحاكم فان لم يمكن اجبار الوصي تولي الحاكم عنه)^(٦١).

وقال السيد علي الطباطبائي: ويشترط فيه التنجيز فلو علقه على شرط متوقع او صفة متربة او جعل له الخيار في فسخه متى اراده من دون حاجة بطل بلا خلاف فيه وفي الصحة لو كان المعلق عليه واقفا والواقف عالم بوقوعه كقوله وقفت ان كان اليوم الجمعة وكذا في غيره من العقود وبعدم الخلاف صرح جماعة ولعله كاف في الحجية مضافا الى الاصل واختصاص النصوص مطلق بحكم التبادر بغير مفروض المسالة مع ان في المسالك الاجماع عليه^(٦٢).

أما صاحب الجواهر فقد قال: اعتبار لتنجيز في كل سبب شرعي الا ما خرج وانه يبطل لو علق شيئا بصفة متوقعة الحصول فيما يأتي بل او متيقنه بلا خلاف ولا اشكال^(٦٣).

أي يعتبر في صحة الوقف التنجيز حيث يجعل العين في معرض الانتفاع الفعلي، فيحصل لو علقه على أمر مستقبل معلوم الحصول كأنه يقول داري هذه وقف إذا هل هلال من الشهر الفلاني، وكذا علقه على أمر حالي محتمل الحصول كأن يقول: داري وقف إن كان هذا الجنين ذكراً. نعم، إذا كان ذلك الأمر

٥٨- منهاج الطالبين وعمدة المغنين، ابو زكريا النوري، الناشر دار المعرفة، بيروت مج ١، ص ٥٢٤.
٥٩- الوقف واحكامه، للشيخ محمد جعفر شمس الدين، دار الهادي للطباعة والنشر، الطبع ٢٠٠٥ م ط ١ ص ١٢٦.
٦٠- شرح الروضة البهية، الميرزا أحمد الدشتي، نشر مجمع الذخائر الاسلامية. قم. تاريخ ٢٠٠٨ م ط ١.
٦١- فقه الامام جعفر الصادق - (عليه السلام)، محمد جواد مغنیه ج ٥ ص ٥٩.
٦٢- رياض المسائل، السيد علي الطباطبائي (ت ١٣٣١ هـ)، مؤسسة النشر الاسلامي - قم، ص ٢٢٣.
٦٣- جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام، الشيخ محمد حسن النجفي، ناشر دار الكتب الاسلامي، تاريخ النشر ١٣٦٧ هـ، ج ٢٨ ص ٥٤.

الحالي مما تتوقف عليه صحة الوقف فإن الظاهر الصحة، كأنه يقول: داري وقف إن كانت ملكاً لي، ونحو ذلك^(٦٤).

وعلى الأحوط فلو علقه على شرط متوقع الحصول كمجيء زيد أو شيء غير حاصل يقيني الحصول فيما بعد بطل. نعم لا بأس بالتعليق على شيء حاصل سواء علم بمحصله أم لا^(٦٥).

والتنجيز عند الحنفية:

قال لا يجوز تعليقه، كقوله: إذا جاء زيد فقد وقفت كذا على كذا؛ لأنه عقد يقتضي نقل الملك في الحال لم يبن على التغليب والراية فلا يصح تعليقه على شرط كالبيع والهبة^(٦٦).

والتنجيز عند الشافعية والحنابلة:

بأن يكون منجزاً في الحال غير معلق بشرط ولا مضاف إلى وقت في المستقبل لأنه عقد التزام يقتضي نقل الملك في الحال فلم يصح تعليقه على شرط كالبيع والهبة^(٦٧).

والتنجيز عند المالكية:

أن المالكية لا يشترطون التنجيز فيجوز مع التعليق كان يقول هو حبس على كذا بعد شهر أو سنة أو يقول: إن ملكت دار فلان فهي وقف^(٦٨).

المطلب الثاني: الدوام

بمعنى عدم توقيته بمدة فلو قال (وقفت هذا البستان على الفقراء) إلى سنة بطل وفقاً وفي صحته حبساً أو بطلانه كذلك وجهان أو جهها الثاني إلا إذا علم أنه قصد كونه حبساً^(٦٩).

فلو قرنه بمدة أو جعله على من ينقرض غالباً لم يكن وقفاً والاقوى صحته حبساً يبطل بانقضائها وانقراضه فيرجع إلى الواقف أو وارثه حين انقراض الموقوف عليه كالولاء ويحتمل إلى وراثته عند موته ويستترسل فيه إلى أن يصادف الانقراض وسمى هذا منقطع الآخر ولو انقطع أوله أو وسطه أو طرفه فالاقوى بطلان ما بعد القطع فيبطل الأول والآخر ويصح الآخر^(٧٠).

حيث ادعى الإجماع على اعتبار هذا الشرط وتمسكوا أيضاً بوجوه أخرى: منها الروايات الواردة في كيفية وقف الأئمة -عليهم السلام- ومن تعبيرهم -عليهم السلام- في تلك الروايات عن أوقافهم بالصدقة التي لا تباع ولا توهب ولا تورث ولا شك أن نفي هذه الأمور الثلاثة معاً ملازمة للدوام بل نفي خصوص الإرث يكفي

٦٤- المبسوط في فقه الإمامية الشيخ الطوسي ت ٤٦٠ هـ ج ٣ ص ٢٧٧.

٦٥- تعليقه الاستدلالية على تحرير الوسيله، الشيخ علي المشكيني. الناشر دار الحديث للطباعة والنشر، مج ٤ ص ٤٥٥.

٦٦- مغني المختار، الحصفكي، ناشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، ج ٤ ص ١٤٥.

٦٧- الدر المختار، الحصفكي، ناشر دار الفكر، بيروت، لبنان، ج ٤ ص ١٤٥.

٦٨- الذخيرة، ج ٦ ص ٢٢٦، الفقه الاسلامي وأدلته، ج ١٠ ص ٧٧.

٦٩- الفقه الاسلامي تعليقات على العروة الوثقى مهذب الأحكام، لسماحة السيد محمد تقي الحسيني المدرسي، ج ٣ ص ٤٣٤.

٧٠- الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، الشيخ زين الدين العاملي الشهيد الثاني ت ١٠٨١ هـ، ج ٢ ص ١٤١.

اثبات شرطية الدوام لتحقيق حقيقة الوقف^(٧١). في رواية عن امير المؤمنين -عليه السلام- (الصدقة لا تباع ولا توهب حتى يرثها الله الذي يرث السماوات والارض)^(٧٢).

اما اذا علق الوقف بما لا ينقرض غالبا صح الوقف ايضا مثل ان يقفه على اولاده او اولاد الاولاد ما تعاقبوا^(٧٣).

(لذا يكون الوقف هو الدوام بلا خلاف اجده فيه بمعنى عدم توقيته بمدة)^(٧٤).

(ولا يجوز ان يكون مؤقتا فان جعله مؤقتا لن يصح)^(٧٥).

(ولا يجوز الانتقال الى المالك الاصلي او قطع السلسلة بشيء منها ولو وقف على بعض فلا انقطاع ويجوز جعل تمام السلسلة مبغضين وليس من القطع ان يقف زيد سنة ثم من بعدها على عمرو)^(٧٦). (ولو عتق الدوام على شرط او صفة لم يكن مؤكدا ما بطل)^(٧٧).

(والوقف الدوام بمعنى عدم توقيته بمدة فلو قال (وقفت هذه البستان على الفقراء الى سنة، بطل وقفا وفي صحته حبسا او بطلانه كذلك وجهان او وجههما الثاني الا اذا علم انه قصد كونه حبساً)^(٧٨).

المطلب الثالث: إخراج عن نفسه

أي أنه لو وقف على نفسه لم يصح ولو وقف على نفسه وعلى غيره؛ فان كان بنحو التشريك بطل بالنسبة الى نفسه دون غيره^(٧٩).

وان كان بالعكس فنقطع الآخر وان كان على غيره ثم على نفسه ثم غيره فنقطع الوسط^(٨٠).

ولو وقف على نفسه بطل وان عقبه بما يصح الوقف عليه لأنه حينئذ منقطع الأول، وكذا لو شرط لنفسه الخيار في نقضه متى شاء أو في مدة معينة^(٨١).

ولو وقف على قبيلة هو منهم ابتداء أو صار منهم شارك أو شرط عودة إليه عند الحاجة^(٨٢).

حتى لو عقبها بالفقراء فهو منقطع الابتداء ولو وقف علي نفسه والفقراء احتمل صحة النصف وثلاثة الارباع والبطلان راساً لو شرط قضاء ديونه منه او ادار نفقته بطل^(٨٣). حتى ولو شرط عودة اليه عند حاجته، والمروي اتباع شرطه فيحتمل تفسيرها قبلة ورث عنه^(٨٤).

٧١- القواعد الفقهية، محمد حسن البجنوردي، ص ٢٥٨.

٧٢- القواعد الفقهية، المصدر السابق، ص ٢٥٨.

٧٣- تحرير الاحكام العلامة الحلي ت ٦٧٦ هـ، ج ٣ ص ٢٩١.

٧٤- معجم فقه الجواهر، محمد حسن بن عبد الرحيم، ج ٦ ص ٣٨٦.

٧٥- المبسوط في فقه الامامية، الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) ج ٣ ص ٢٧٦.

٧٦- كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، الشيخ جعفر كاشف الغطاء ج ٤ ص ٢٤٩.

٧٧- كشف الغطاء، المصدر السابق.

٧٨- مهذب الاحكام، السيد عبد الاعلى الموسوي السبزواري، ص ٢٤١.

٧٩- تحرير الوسيلة، السيد الخميني (ت ١٩٨٩ هـ)، ج ٢ ص ٦٤.

٨٠- التعليقة الاستدلالية على تحرير الوسيلة، اية الله علي المشكيني، مج ٢ ص ٤٥٧.

٨١- الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، الشيخ زين الدين العاملي (ت ١٠٨١ هـ)، ج ٢ ص ١٤١.

٨٢- الجواهر الفخرية في شرح الروضة البهية، وجداني فخر، ناشر سماء قلم، ج ٦ ص ٢٩.

٨٣- الدروس الشرعية في فقه الامامية، محمد بن مكي العاملي (ت ٩٣٨ هـ) ص ٢٦٩.

٨٤- المصدر السابق.

وهو بمعنى ان لا يكون هو الموقوف عليه ولا داخلاً فيه او شريكاً معه فبناءً على هذا لا يصح الوقف على نفسه^(٨٥).

وقد ادعى الاجماع على اعتبار هذا الشرط تارة وعدم امكان الوقف على النفس الاخرى؛ لان حقيقة الوقف هو اما تملك المنافع للموقوف عليه وحده واما مع العين ولا يمكن ان يملك الانسان نفسه لانه تحصيل الحال هو الحال^(٨٦).

حيث يكون المعنى المعتبر في الموقوف عليه أولاً والقبض معتبر في الموقوف عليه، وهو يسقط اعتبار ذلك في بقية الطبقات.

ولو وقف على الفقراء او علي الفقهاء فلا بد من نصب قيم لقبض الوقف ولو كان الوقف على مصلحة كفني ايقاع الوقف على اشتراط القبول وكان القبض إلى الناطر في تلك المصلحة^(٨٧).

وكذا في غيره ولو ادخلها مع غيره خرجت فيدخل مع الانصاف فاذا ازلت خرجت واذا رجعت دخل ولو شرط عودة اليه في وقت او عند الحاجة او وفاء ديونه او الانتفاع به مدة او اعطاء نفقة زوجيه او مملوكه بطل ويقوى عدم اليأس في العمودين ولو شرط اكل اهله ولو شرط اجارة عبارة تجوز عن الاحياء وكان حيا كزيرة ونحوهما قوي البطلان^(٨٨).

فلو وقف على نفسه لم يصح ولو وقف على نفسه وغيره فان كان نحو التشريك بطل بالنسبة الى نفسه دون غيره وان كان بنحو الترتيب فان وقف على نفسه ثم على غيره فمقطع الاول وان كان بالعكس فمقطع الآخر وان على غيره ثم نفسه ثم غيره فمقطع الوسط^(٨٩).

وان لا يكون هو الموقوف عليه ولا داخلاً فيه او شريكاً معه فبناءً على هذا لا يصح الوقف على نفسه وقد ادى الاجماع على اعتبار هذا الشرط تارة وعدم امكان^(٩٠). والوقف على النفس الاخرى لان حقيقة الوقف هو اما تملك الانسان نفسه لان تحصيل المصلحة هو مال اجيب عن هذا الدليل المنفعة بل حقيقته تبسبب الاصل عن التقلبات الاعتبارية الواردة على المال كبيعته وهبته وتلفه والصلح عليه وغيرهما . وتسبيل ثمرته وايضا ليس التسبيل ايضاً تملك الثمرة والمنفعة بل اباحتها طلب لمرضاة الله وفي سبيل فلا مانع عقلاً من جعل نفسه موقوفاً عليه او شريكاً معه^(٩١).

الخلاصة:

لقد عرف علماء المسلمين الوقف: هو تحببب الأصل وتسبيل المنفعة.

ثم بينوا بان للوقف أنواع منها الوقف الخيري والوقف الأهلي أو الذري، والمقصود بالوقف الذري وهو الذي يوقف على شخص أو أشخاص معينين. ومن التقسيمات العامة للوقف الوقف الخاص والوقف العام، وارادوا بالوقف العام وهو مايوقف على مصلحة عامة كالمسجد والقنطرة.

٨٥- القواعد الفقهية، محمد حسن البجنودري (ت ١٣١٩هـ)، ج ٤ ص ٢٥٨.

٨٦- المصدر السابق.

٨٧- شرائع الاسلام في مسائل الحلال والحرام، نجم الدين جعفر بن الحسن المحقق الحلي، ج ٢ ص ٢٥٩.

٨٨- كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، الشيخ جعفر كاشف الغطاء ج ٤ ص ٢٥١.

٨٩- تحرير الوسيلة، السيد الحميني (ت ١٩٨٩ هـ)، ج ٢ ص ٦٤.

٩٠- القواعد الفقهية، محمد حسن البجنودري (ت ١٣١٩)، ج ٤ ص ٢٥٨.

٩١- القواعد الفقهية، المصدر السابق.

ومن اوقف شيئاً في سبيل الله: فينصرف الى كل قربة. ومن الشرائط العامة الوقف (التنجز، والدوام، والاخراج عن النفس) فلو وقف على نفسه لم يصح.

المصادر

القرآن الكريم

- ١- احكام الولايات، السيد محمد تقى المدرسي، الطبعة الاولى، الناشر مركز العصر للثقافة والنشر، دار المحجة للنشر والتوزيع بيروت - لبنان، سنة الطبع ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
- ٢- احكام الشيعة في المعاملات، الميرزا الحائري الاحقائي، الطبعة الخامسة لبنان - بيروت، تاريخ النشر ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- ٣- ايضاح الفوائد في شرح اشكالات القواعد، محمد بن الحسن بن يوسف بن المطهر الحلبي (المتوفى ٧٧١-٦٨٢)، الطبعة الاولى، المطبعة اسماعيليان ايران - قم، تاريخ النشر ١٣٧٨ هـ.
- ٤- التعليقة الاستدلالية على تحرير الوسيلة، الشيخ علي المشكيني، الطبعة الاولى الناشر دار الحديث للطباعة و النشر ايران - قم، سنة الطبع ١٤٢٨ هـ.
- ٥- تاج العروس، محمد بن محمد الزبيدي، الطبعة الثانية، دار الفكر بيروت لبنان، سنة الطبع ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م.
- ٦- تحرير الاحكام، العلامة الحلبي (الوفاة ٧٢٦) تحقيق الشيخ ابراهيم البهادري، اشرف الشيخ جعفر السبحاني، الطبعة الاولى، المطبعة اعتماد ايران - قم، مؤسسة الامام الصادق - عليه السلام - ايران - قم، سنة الطبع ١٤٢٠ هـ.
- ٧- تحرير الوسيلة، السيد الخميني، الطبعة الاولى، مطبعة الاداب النجف الاشرف، سنة الطبع ١٩٩٨ م.
- ٨- الحقائق الناضرة، الشيخ يوسف البحراني، حققه وعلق عليه محمد تقى الايرواني، الطبعة الثانية، دار الاضواء بيروت - لبنان، سنة الطبع ١٩٨٥ م.
- ٩- جواهر الكلام، الشيخ الجواهري، الطبعة الاولى، نشر دار الكتاب العربي بيروت لبنان، تاريخ النشر ١٤١٥ هـ.
- ١٠- جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام، الشيخ محمد حسن بن باقر بن عبد الرحيم النجفي، الطبعة الثالثة، ناشر دار الكتب الاسلامية طهران - ايران، تاريخ النشر ١٣٦٧ هـ.
- ١١- جواهر الفخرية في شرح الروضة البهية، د وجداني فخر، الطبعة الاولى، ناشر سماء قلم ايران - قم، تاريخ النشر ٢٠١٠.
- ١٢- جامع المقاصد في شرح القواعد، الشيخ علي بن الحسين الكركي، الطبعة الثانية، نشر مؤسسة ال بيت - عليه السلام - لبنان - بيروت، سنة الطبع ١٤١٥ هـ.
- ١٣- الدروس الشرعية في فقه الامامية، محمد بن مكي العاملي، الطبعة الثانية، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة - ايران، سنة الطبع ١٤١٧ هـ.

- ١٤- الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، الشهيد الثاني زين العاملي، الطبعة الاولى، الناشر منشورات الاعلمي للمطبوعات بيروت لبنان، سنة الطبع ١٩٩٤م.
- ١٥- دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي، سماحة الشيخ باقر الايرواني، الطبعة الثانية، مطبعة توحيد قم- ايران، سنة الطبع ١٤٢٧هـ.
- ١٦- الدر المختار، محمد بن علي الحصكفي، المحقق عبد المنعم خليل ابراهيم، الطبعة الاولى، نشر دار الكتب العلمية للطباعة و النشر بيروت لبنان، سنة النشر ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ١٧- رياض المسائل في بيان الاحكام بالدلائل، السيد علي بن محمد علي الطباطبائي، ناشر مؤسسة النشر الاسلامي، محل النشر قم - ايران، تاريخ النشر ١٣٥٩هـ.
١٨. السرائر، محمد بن ادريس الحلبي، الطبعة الاولى، الناشر دليل ما ايران - قم، سنة الطبع ١٣٨٦هـ.
- ١٩- شرائع الاسلام، المحقق الحلبي (المتوفى ٦٧٦هـ) تحقيق وتعليق صادق الشيرازي، الطبعة الثانية مطبعة امير - ايران قم، سنة الطبع ١٤٠٩هـ.
- ٢٠- شرح الروضة البهية، الحاج الميرزا أحمد الدشتي النجفي، الطبعة الاولى، نشر مجمع الذخائر الاسلامية قم ايران المطبعة الكوثر، سنة الطبع ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.
- ٢١- العروة الوثقى، السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي، الطبعة الثانية، الناشر مكتب السيد السيستاني، ايران - قم، سنة الطبع ١٤٢٥هـ.
- ٢٢- القواعد الفقهية، السيد محمد حسن البجنوردي (الوفاة ١٣٩٥)، الطبعة الاولى، الناشر نشر الهادي ايران - قم المطبعة الهادي، سنة الطبع ١٤١٩هـ.
- ٢٣- فقه الإمام جعفر الصادق - عليه السلام - عرض واستدلال، محمد جواد مغنية، الطبعة الثانية، مؤسسة انصاريات للطباعة و النشر ايران قم، سنة الطبع ١٤٢١هـ.
- ٢٤- فقه الشريعة، السيد محمد حسين فضل الله، الطبعة التاسعة، النشر دار الملاك للطباعة والنشر بيروت - لبنان، سنة الطبع ٢٠٠٩م.
- ٢٥- كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، الشيخ جعفر كاشف الغطاء، الطبعة الاولى، الناشر دفتر تبليغات اسلامي الحوزة العلمية ايران - قم، مطبعة مكتب الاسلام الاسلامي، سنة الطبع ١٤٢٢هـ.
- ٢٦- لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور (الوفاة ٧١١هـ)، الطبعة الثالثة، نشر دار صادر بيروت لبنان، سنة الطبع ١٤١٤هـ.
- ٢٧- المبسوط في فقه الامامية، ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (الوفاة ٤٦٠هـ)، الطبعة الاولى، مؤسسة الغري للمطبوعات بيروت لبنان، سنة الطبع ١٩٩٢هـ.
- ٢٨- مغني المحتاج، محمد بن احمد الشربيني (الوفاة ٩٧٧هـ)، الطبعة الاولى، الناشر احياء التراث العربي بيروت - لبنان، سنة الطبع ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

- ٢٩- مستدرک الوسائل، الميرزا حسين النوري، الطبعة الاولى، تحقيق مؤسسة آل البيت - (عليه السلام) -
 لاحياء التراث، الناشر مؤسسة آل البيت - (عليه السلام) - لاحياء التراث بيروت لبنان، سنة الطبع ١٤٠٨هـ -
 ١٩٨٧م.
- ٣٠- مجمع الفائدة والبرهان، المحقق الاردبيلي، الطبعة الاولى، الناشر منشورات جماعة المدرسين في
 الحوزة العلمية ايران - قم، سنة الطبع ١٤٠٣هـ.
- ٣١- منهاج الصالحين، السيد محمد سعيد الحكيم الطباطبائي، الطبعة الاولى، دار الصفوة بيروت -
 لبنان، سنة الطبع ١٩٩٦م.
- ٣٢- منهاج الصالحين المعاملات، السيد الخوئي (الوفاة ١٤١٣هـ)، الطبعة ٢٨، نشر مدينة العلم قم
 ايران المطبعة مهر - قم، سنة الطبع ذي الحجة ١٤١٠هـ.
- ٣٣- منهاج الصالحين قسم المعاملات، السيد محمد باقر الصدر، الطبعة الاولى، الناشر مركز
 الابحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، سنة الطبع ١٤٢٥هـ.
- ٣٤- منهاج الطالبين وعمدة المتقين في المعاملات، ابو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النوري
 (الوفاة ٦٧٦هـ)، الطبعة الاولى، دار المعرفة محل النشر بيروت - لبنان، سنة الطبع ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
- ٣٥- مهذب الأحكام، السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري، الطبعة الاولى، المطبعة مؤسسة النشر
 الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين قم - ايران، سنة الطبع ١٤٢٣هـ.
- ٣٦- الوقف واحكامه، للشيخ محمد جعفر شمس الدين، الطبعة الاولى، دار الهادي للطباعة والنشر
 ايران - قم، سنة الطبع ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
- ٣٧- وسائل الشيعة، محمد حسن الحر العاملي (الوفاة ١١٠٤هـ)، الطبعة الخامسة، الناشر: دار
 احياء التراث العربي، بيروت - لبنان، سنة الطبع ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

المصادر الإسلامية المفقودة، المذكورة في كتاب "البدء و التاريخ" لـ:

مطهر بن طاهر المقدسي (٣٥٥ هـ)

*The lost Islamic sources mentioned in the book
"Inception and History" by Muttaher bn Taher AL-
Maqdisi*

Dr. Khudder P. Ebbadi
Prof. Hadi A. Zadeh

م.د. خضر بورعبادي^(١)
أ.د. هادي عالم زاده^(٢)

المستخلص

يعد كتاب «البدء و التاريخ» لـ: المطهر بن طاهر المقدسي (٣٥٥ هـ) أحد المصادر التاريخية و الكلامية الهامة من القرن الرابع الهجري، و أول من اقتبس منه الثعالبي (٤١٢ هـ) في «غرر السير» و الجوزجاني (٦٦٠ هـ) في «الطبقات»، و أول من قام بتحقيقه و نشره هو المستشرق الفرنسي كلمان هوار (١٩٢٧م)، الذي طبعه في ستة مجلدات في الأعوام ١٨٩٩-١٩٠١م. و قد اعتمد المقدسي على موارد عديدة كانت بحوزته، او شاهدها في رحلاته الواسعة في العالم الإسلامي. بعد اعداد بحث عن كتاب البدء و التاريخ استطعنا اكتشاف أكثر من خمسين مصدراً ذكرها المقدسي في كتابه و لكنها اليوم من مفقودات التراث الإسلامي المصنفة في القرنين الثاني و الثالث الهجريين. يصرح المقدسي عن ثلاثة كتب باسم «المبتدأ» لـ وهب بن منبه، و اسحاق بن بشر، و عبد المنعم بن ادريس، و هي اليوم مفقودة، او ينقل عن كتاب «سير العجم» لـ ابن المقفع و هي اليوم غير موجودة. حتى ان بعض المصادر التي ذكرها المقدسي، التي تعتبر لحد الان من المفقودات لم تذكرها المصادر الاخرى، و ان كتاب البدء

١- طالب دكتوراه متخرج من جامعة آزاد الإسلامية، قسم العلوم و التحقيقات، كلية التاريخ و حضارة الشعوب الإسلامية، طهران.

٢- استاذ في جامعة آزاد الإسلامية، قسم العلوم و التحقيقات، كلية التاريخ و حضارة الشعوب الإسلامية، طهران.

هو المصدر الوحيد الذي ذكرها و اعتمد عليها، مما يعطى لهذا الكتاب و مصادره اهمية تستحق المراجعة مثل كتاب « اخبار بابك » ل واعد بن عمرو التميمي، و كتاب « الإحاطة و الفرقان » ل الحسين بن منصور الحلاج، و كتاب فى علم الكلام ل الناشيء الاكبر. و قد تم فى هذه البحث استقصاء و عرض اثنين و عشرين كتاباً مفقودا فى علم التاريخ و الكلام من اصل خمسين كتابا تم التوصل اليها فى دراستنا الموسعة، و قد عرضناها فى مجموعتين:.

المجموعة الأولى الكتب التاريخية المفقودة

١. كتاب المبتدأ لـ «وهب بن منبه»

وهب بن منبه (١١٤هـ) من أوائل الاخباريين و رواة الأخبار الإسرائيلية و تاريخ اليمن^(٣). من كتبه التاريخية: المغازي، و كتاب التيجان او الملوك المتوجة، و كتاب المبتدأ، الذي نحن بصدد. و هذا الكتاب من اوائل الكتب عن تاريخ الأنبياء و خلق الإنسان و آدم، حيث كان مصدراً لمؤرخين مسلمين مثل ابن اسحاق (١٥١هـ) و ابن قتيبة (٢٧٦هـ) و الطبري (٣١٠هـ) و المسعودي (٣٤٥هـ)، والمؤلف المقدسي فى كتاب البدء. يرى عبد العزيز الدوري ان وهب لم يكن دقيقاً فى نقله، و أنه هو الذي ادخل الأخبار و القصص و الاساطير الإسرائيلية عند ذكره تاريخ ما قبل الإسلام، و انتقده السخاوي (٩٠٢هـ)^(٤). نقل المقدسي عن وهب سبع و عشرين رواية فى موضوع بداية الخلق و قصص الأنبياء تحت عبارة «حكى وهب»^(٥)، «زعم»^(٦)، «روى»^(٧) و «قال»^(٨)، و جاءت عبارة «و فى كتاب وهب»^(٩) و لكنه لم يذكر اسم الكتاب، و اغلب الظن ان يكون ما نقل عنه من اخبار حول خلق العالم هو من كتاب المبتدأ، و هذا الكتاب يعتبر اليوم من الكتب المفقود حالياً، و ان نقولات المقدسي الكثيرة تعتبر مصدرا لهذا الكتاب.

٢. كتاب سير العجم لـ ابن المقفع

يذكر المقدسي كتاباً باسم «سير العجم» فى ثلاثة موارد من نقولاته^(١٠) و لكنه لم يذكر اسم المؤلف. ذكرت المصادر الأدبية أن ل ابن المقفع (١٤٤هـ) الأديب المشهور كتاباً مفقوداً باسم «سير ملوك العجم» او «خدائى نامه»، و يرى بروكلمان ان سير ملوك العجم هو ترجمة كتاب «خدائى نامه» الذي نقل عنه المسعودى (٣٤٦هـ) فى «مروج الذهب»^(١١)، و يحتمل ان يكون هو نفس الكتاب الذي نقل عنه ابن

٣- سجادي، تاريخ نگارى، ص ٥٤.

٤- الدورى، نشأة علم التاريخ، ص ٢٣-٢٤.

٥- المقدسي، البدء، ٣٦/٢، ٣٩، ٤٩. يفرق المقدسي فى وثوق الراوي او الرواية عندما يعبر عن مصطلحات «حكى» و «

زعم» و «قال» و «روى».

٦- م. ن، ٢٤/٢، ٩٩، ٤٩٩، ٢٠/٣، ٢٤.

٧- م. ن، ١٠٠/٢، ١٥٤.

٨- م. ن، ٣/٣، ١٦.

٩- م. ن، ١٠٨/١، ٢٠٥.

١٠- م. ن، ٩٣/٣، ١١٤/٣، ١٤٤/٤.

١١- بروكلمان، ٩٦/٣.

المصادر الإسلامية المفقودة، المذكورة في كتاب "البدء والتاريخ" ل: مطهر بن طاهر المقدسي (٣٥٥ هـ) قتيبة الدينوري (٢٧٦ هـ) في عيون الأخبار.^(١٢) فبعد الفتوحات واستقرار دولة العرب في إيران قام ابن المقفع (المقتول عام ١٤٢ هـ) بترجمة كتاب عن تاريخ ملوك إيران من اللغة الفهلوية الى العربية اسمه «خدای نامه»، و ان هذه الترجمة فقدت ضمن ما فقد من التراث، و قد اشتهر هذا الكتاب بين المؤلفين العرب باسماء مختلفة منها «خدای نامه» او «سير الملوك»، و قد جاءت نقولات منه في تاريخ الطبري، وكذلك في البدء و التاريخ ل المقدسي من كتاب سير الملوك.^(١٣)

٣. كتاب المغازي ل ابن اسحاق

يعتبر محمد بن اسحاق بن يسار (١٥١ هـ) الذي درس على ابن شهاب الزهري (١٢٤ هـ) احد أشهر رواة السيرة و المغازي^(١٤)، و حسب بروكلمان ان موسى بن عقبة (١٤١ هـ) هو اول من كتب في تاريخ الغزوات و لكن ابن اسحاق غلبه في الشهرة.^(١٥) و كتابا بن اسحاق موسوم بـ «كتاب المغازي» و الكتاب الاصيلي كان يشتمل على ثلاثة اقسام هي المبتدأ و المبعث و المغازي، و ما رويت عنه عبر البكائي (١٨٣ هـ) و يونس بن بكير (١٩١ هـ) و ابن هشام (٢١٨ هـ)، اقتصر على اخبار الرسول ﷺ - و اخذت موقعها في مصادر السيرة النبوية.^(١٦)

ان الكتاب الكامل لسيرة ابن اسحاق خصوصا الذي يشتمل على اخبار المبتدأ و اخبار ما قبل الاسلام غير موجود الان، و ان كتاب السيرة النبوية ل ابن هشام، الذي هو في الحقيقة القسم الخاص بـ السيرة النبوية ل ابن اسحاق، تعتبر نسخة غير كاملة قام ابن هشام بتهدئتها و حذف بعض موضوعاتها مثل اخبار ما قبل الاسلام، حسب ما يصرح هو في المقدمة.^(١٧) و في الفترة الأخيرة تم طباعة النسخة الفارسية من رواية يونس بن بكير في السيرة و هي ايضا خاصة بالسيرة.^(١٨) و نظراً لأهمية ابن اسحاق، فان المقدسي نقل عنه في سبعين موضعاً من اخبار بدء الخلق،^(١٩) و قصص الأنبياء^(٢٠)، و الأنساب^(٢١) اضافة الى تاريخ الصحابة^(٢٢) و سيرة النبي ﷺ -^(٢٣)، و يمكن ان تكون اخباره في موضوعات البدء و الخلق مصدرا للتطبيق بين مرويات المقدسي و ما نقله الاخرون لمعرفة النص الأولى لكتاب ابن اسحاق.

١٢- ابن قتيبة، عيون الأخبار، ص ١٥١؛ شفيعى، ١٠٢/١-١٠٣.

١٣- م. ن، ٩٣/٣، ١١٤/٣، ١٤٤/٤.

١٤- هوروفتس، ٧٥.

١٥- بروكلمان، ١٠/٣.

١٦- انظر ابن اسحاق، السيرة النبوية، كتاب المبتدأ و المبعث و المغازي، تحقيق محمد حميد الله، المغرب، معهد الدراسات و الابحاث ١٩٧٦، و هناك طبعة اخرى تحقيق سهيل زكار.

١٧- ابن هشام، السيرة ص ٨.

١٨- القاضي ابرقه، سيرت رسول الله (الترجمة الفارسية ل سيرة ابن اسحاق)، طهران: الخوارزمي، ١٣٦٦ ش، ١٩٨٧ م.

١٩- المقدسي، البدء، ١٤٩/١، ١٦٩، ١٧٢، ٢/٢، ٥، ١١.

٢٠- م. ن، ٨٠/٢، ٨١، ٨٤، ١٧/٣، ٢٠.

٢١- م. ن، ١٠٥/٤، ١٠٦، ١٠٧.

٢٢- م. ن، ٧١/٥، ٧٣، ٧٩.

٢٣- م. ن، ١١٣/٤، ١٣١، ١٣٢.

٤. كتاب المبتدأ لـ اسحاق بن بشر البخاري

ابو حذيفة اسحاق بن بشر البخاري (٢٠٦ هـ) إخباري و راوي تاريخ و قصص انبياء، تلميذ الإمام جعفر الصادق -عليه السلام- (١٤٨ هـ) و ابن اسحاق (١٥١ هـ)، و قد اشتهر بأنه «صاحب كتاب المبتدأ». اغلب فقهاء اهل السنة جرحوا رواياته و اعتبروه من الضعفاء ك الدارقطني (٣٨٥ هـ)، وابن حجر (٨٥٢ هـ) في كتابه «لسان الميزان»، اما ياقوت الحموي (٦٢٦ هـ) في «معجم الادباء» فقد ضعفه و قال انه ينقل الأخبار التي لا اصل لها.^(٢٤) و لكن فقهاء الشيعة الإمامية ك النجاشي (٤٥٠ هـ) و المفيد (٤١٣ هـ) فإنهم وثقوا رواياته التاريخية.^(٢٥)

و يعتبر كتابه «المبتدأ» في تاريخ خلق العالم و الإنسان و قصص الأنبياء مصدراً مهماً ل الطبري (٢٧٦ هـ) و مؤلفنا المقدسي (٣٥٥ هـ). و الظاهر ان أصل هذا الكتاب مفقود، و لم يكتشف منه إلا بعض الأوراق.^(٢٦) و قد ذكر المقدسي هذا المؤلف في كتابه البدء بكتيبته «ابو حذيفة» و نقل عنه اربع عشرة رواية تاريخية في خلق العالم^(٢٧) و قصص الأنبياء^(٢٨) قائلاً «و في كتاب ابوحذيفة» من دون ان يذكر اسم الكتاب لشهرته، مما يمكن ان يكون مصدراً لجمع منقولاته المتناثرة في المصادر الاخرى، و الوصول الى ما كان يحويه هذا الكتاب. نذكر هنا روايتين ل المقدسي الاولى: و في كتاب ابى حذيفة عن حبيب عن الضحّاك عن ابن عباس -عليه السلام- «أَنَّ اللَّهَ لما أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ الْمَاءَ خَلَقَ مِنَ النُّورِ يَاقُوتَةَ خَضِرَاءَ وَ صَفَ فِي طَوْلِهَا وَ عَرْضِهَا وَ سَمَكِهَا مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ قَالَ فَلَحَظَهَا الْجَبَّارُ لِحَظَةً فَصَارَتْ مَاءً يَتَرَقَّقُ لَا يَثْبِتُ فِي ضَحْضَاحٍ وَ لَا غَيْرِ ضَحْضَاحٍ يَرْتَعِدُ مِنْ مَخَافَةِ اللَّهِ ثُمَّ خَلَقَ الرِّيحَ فَوَضَعَ الْمَاءَ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ ثُمَّ خَلَقَ الْعَرْشَ فَوَضَعَهُ عَلَى مَتْنِ الْمَاءِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ (١١: ٧)^(٢٩)، و الرواية الثانية: و في كتاب أبى حذيفة أَنَّ ادرياسين كان نبيّ المجوس.^(٣٠)

٥. كتاب تاريخ اليمن لـ هشام بن محمد الكلبي

يذكر المقدسي اسم كتاب «تاريخ اليمن» في موضعين، الأول عند ذكر قوم ثمود فقال: «و أصيب في كتاب تأريخ ملوك اليمن أَنَّ الله بعث هودا إلى عاد و صالحا إلى ثمود في زمن جم شاذ الملك بأرض بابل و الله أعلم»^(٣١)، و الثاني عندما يقول: «و قرأت في تأريخ اليمن أَنَّهُ كان عاملاً للضحّاك على مصر».^(٣٢) و يحتمل ان يكون هذا الكتاب من كتب ابن هشام المفقودة^(٣٣)، لأن ابن النديم (٣٨٠ هـ) ذكر في الفهرست عن كتاب «ملوك اليمن من التبابعة» بأنها من آثار ابن هشام الكلبي (٢٠٦ هـ).

^{٢٤} - الحموي، معجم الادباء، ج ٢/٦٦٢.

^{٢٥} - ياكنتجي، مقالة ابوحذيفة، دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، ج ٥/ص ٣٢٦.

^{٢٦} - قره بلوط، معجم، ج ١/٦٢٩.

^{٢٧} - المقدسي، البدء ١/١٤٨، ١٧٤/٢، ١١٧.

^{٢٨} - م. ن، ٦/٣، ١٢، ٣٦.

^{٢٩} - م. ن، ١/١٤٨.

^{٣٠} - م. ن، ٦/٣.

^{٣١} - م. ن، ٤١/٣.

^{٣٢} - م. ن، ٨١/٣.

^{٣٣} - شفيعى، ١/١١١.

المصادر الإسلامية المفقودة، المذكورة في كتاب "البداء والتاريخ" ل: مطهر بن طاهر المقدسي (٣٥٥ هـ) (٣٤). أو ربما من كتب الجرهمي، فقد جاء في المصادر التاريخية كتاب موسوم بـ «أخبار ملوك اليمن» أو «كتاب الملوك و أخبار الماضين» (٣٥) منسوب الى عبيد بن شربة الجرهمي (٦٧ هـ) و هو الذي نقل عنه المسعودي في مروج الذهب (٣٦) و الدينوري في الاخبار الطوال، و لكن لم يرد ذكر الراوي شربة الجرهمي في كتاب البداء ل المقدسي، لذلك رجحنا انتسابه الى الكلبي.

٦. التاريخ الكبير ل محمد بن عمر الواقدي

محمد بن عمر بن واقد الأسلمي المشهور ب الواقدي (٢٠٧ هـ)، محدث و قاضي و مورخ من اهل المدينة، ارتبط بالخليفة هارون الرشيد (١٩٣ هـ) و الوزير يحيى البرمكي (١٩٠ هـ) عندما هاجر من المدينة الى بغداد و عين قاضياً. (٣٧) نقل المقدسي عن الواقدي في أكثر من خمسين موضعاً بعبارة «روى» (٣٨) أو «ذكر» (٣٩) أو «قال» (٤٠) في اخبار خلق العالم (٤١) و قصص الأنبياء (٤٢) و السيرة النبوية (٤٣) و تاريخ الصحابة و الخلفاء (٤٤) و لكنه لم يذكر اسم كتاب خاص. مثلاً عند ذكر صفات الملائكة قال روى ابن إسحاق الواقدي أنّ النبي ﷺ - قال ألا أحدثكم عن ملك من ملائكة الله أذن لي ربي في الحديث عنه، قالوا بلى يا رسول الله، قال إنّ لله ملكاً قد نفذ بقدمه الأرض السفلى، ثم خرج من هواء ما بين ذلك، حتى أنّ هامته لتحت العرش، و الذي نفس محمد بيده لو سحرت الطير فيما بين عنقه الى شحمة أذنه لحففت فيه سبعمائة عام قبل أن يقطعه» (٤٥).

ذكر ابن النديم في الفهرست آثاراً عديدة ل الواقدي، منها كتابه «التاريخ الكبير» او «التاريخ و المغازي و المبعث» (٤٦) و الأشهر منها هو كتابه «المغازي» (٤٧) الذي هو جزء من التاريخ الكبير، و الظاهر ان قسم الاخبار ما قبل الاسلام مفقودة، من هنا يأتي أهمية دراسة منقولات المقدسي من القسم المفقود لتاريخ الواقدي. و حسب المستشرق هوروفتس لم يبق من الواقدي الا هذا الكتاب و الذي اعتمد فيه الواقدي على سيرة ابن اسحاق. (٤٨)

-
- ٣٤- ابن النديم، ١٠٩.
 - ٣٥- طبع كتاب باسم «أخبار عبيد بن شربة الجرهمي في أخبار اليمن و اشعارها، حيدرآباد، ١٣٤٧ق؛ و انظر مرزوق المعايطة، مقال: عبيد بن شربة الجرهمي و منهجه الأخباري، كرك، جامعة مؤته، مجلة التاريخ العربي، العدد ١٩.
 - ٣٦- المسعودي، مروج الذهب، ج ٢/ ٦٠.
 - ٣٧- هوروفتس، ١٠١.
 - ٣٨- المقدسي، البداء ٢/ ٢٥٤؛ ٤/ ١٤٥.
 - ٣٩- م. ن، ٤/ ١٣٧.
 - ٤٠- م. ن، ٤/ ١٣٩؛ ١٦٦.
 - ٤١- م. ن، ١/ ١٧٢.
 - ٤٢- م. ن، ٢/ ١٥٤؛ ٣/ ٥٦، ٦٣.
 - ٤٣- م. ن، ٤/ ١٣٥، ١٣٧، ١٣٨.
 - ٤٤- م. ن، ٥/ ٦٧، ١٦٠.
 - ٤٥- م. ن، ١/ ١٧٢.
 - ٤٦- ابن النديم، ١١١.
 - ٤٧- طبع كتاب المغازي ل الواقدي عام ١٩٦٦م بتحقيق مارسدن جونز، و اعادت طبعة اوفست، بيروت: دار الاعلمي، ١٩٨٩م.
 - ٤٨- هوروفتس ١١٩-١٢١.

٧. كتاب المبتدأ لـ عبد المنعم بن ادريس

ذكر المقدسي رواية واحدة عن ابن ادريس حول فناء العالم و لم يذكر اسم الكتاب.^(٤٩) فقد قال: ذكر ما بقي من العالم و كم مدّة أمة محمد. في ما رواه أهل الأخبار، روى عبد المنعم بن إدريس عن ابن عباس -رضي الله عنه-، أنّ النبي -صلى الله عليه وآله- قال: إنّما عمر هذه الأمة عمر بنى إسرائيل، ثلاثمائة سنة، قال الراوي: قبل أن يصيبهم الفتى و البلايا. و عبد المنعم غير ثقة، و مع ما فيه من الهمة لم يلق ابن عباس، و يشبه إن كانت الرواية عن ابن عباس أن يكون ذكر ثلاثمائة سنة زيادة ليس من نفس الرواية، لإحاطة العلم بأنّ عمر بنى إسرائيل زاد على ثلاثمائة بأضعافها.^(٥٠)

و الظاهر انه عبد المنعم بن ادريس بن سنان (٢٢٨ هـ) حفيد الروائي المشهور وهب بن منبه (١١٤ هـ)، ينقل رواياته عن ابيه ادريس بن سنان عن وهب بن منبه. ابن حبان (٣٥٤ ق) يتهمة بجعل الحديث على لسان الثقات، و لا يصح عنده الإحتجاج بروايته^(٥١)، اما الذهبي (٧٤٨ هـ) فيقول عنه انه قصاص و لا يوثق لأن احمد بن حنبل (٢٤١ هـ) قال عنه: «كان عبد المنعم يكذب على وهب».^(٥٢) و يذكر ابن النديم ان لـ عبد المنعم «كتاب المبتدأ».^(٥٣) و حسب استطلاعنا فان كتابه مفقود الآن، و لكن المقدسي كان قد رآه و نقل عنه، و الظاهر لعدم الوثوق به لم ينقل عنه إلا هذه الرواية الواحدة التي رواها عن «ابن عباس» من دون اسناد، ثم يقول عنه «و عبد المنعم غير ثقة و مع ما فيه من الهمة، لم يلق ابن عباس [٤٨ هـ]».^(٥٤)

٨. تاريخ ابن خرداذبه لـ عبيد الله ابن خرداذبه

ورد اسم هذا المصدر بعدة عبارات هي «تاريخ خورزاذ»^(٥٥) و «تاريخ خرزاذ»^(٥٦) و «تاريخ ابن خرداذ»^(٥٧) و الاسم الأخير تم تصحيحه بواسطة المستشرق كلمان هوار على الشكل التالي «تاريخ ابن خرداذ [به]»^(٥٨). يرى شفيعى، محقق و مترجم كتاب البدء الى الفارسية أنّ هذا المصدر كتاب تاريخي اسمه «تاريخ خورزاذ» لكتاب ايراني باسم «خورزاذ»^(٥٩)، و لكن شفيعى لم يذكر اي دليل على دعواه هذا، و يضيف ان ما قام به هوار من تبديل عبارة «تاريخ ابن خرداذ» الى «تاريخ ابن خرداذ [به]» لا يستند الى دليل.^(٦٠)

٤٩- المقدسي، البدء، ١٥٥/٢.

٥٠- م. ن، ١٥٥/٢.

٥١- ابن حبان، المجروحين، ١٤٣/٢، باب العين.

٥٢- الذهبي، ميزان الاعتدال، ٦٦٨/٢.

٥٣- ابن النديم، ١٠٦.

٥٤- المقدسي، البدء ١٥٥/٢.

٥٥- م. ن، ٥١/٦.

٥٦- م. ن، ٨٩/٦.

٥٧- م. ن، ١٥١/٢.

٥٨- م. ن، ١٥١/٢.

٥٩- شفيعى، ١٠٧/١.

٦٠- م. ن، ١٠٧/١.

المصادر الإسلامية المفقودة، المذكورة في كتاب "البداء والتاريخ" ل: مطهر بن طاهر المقدسي (٣٥٥ هـ)

ان ادعاء شفيعى بوجود كتاب باسم «تاريخ خورزاد» لم يذكر في المصادر العربية، خصوصاً الفهرست ل ابن النديم، و ان شفيعى لم يذكر اي اشارة او مصدر لهذا الكتاب و مؤلفه، و لذلك فان تصحيح هوار اقرب الى الصحة، لأن المصادر تذكر بوجود «كتاب الكبير في التاريخ» او «تاريخ ابن خرداذبه»^(٦١)، و هو من المصادر المفقودة ل المورخ ابو القاسم عبيد الله بن عبدالله بن خرداذبه (خرداذبه) (حدود ٣٠٠ هـ). مع العلم بأن ابن النديم لم يذكر هذا الكتاب في الفهرست^(٦٢)، وفواد سرگین لم يذكره في تحقيقاته^(٦٣)، و لكن المسعودي في مروج الذهب^(٦٤) ذكره، و حاجي خليفة اشار الى الكتاب^(٦٥)، و حتى ان الثعالبي (٢٢١ هـ) نقل عنه بعض الأخبار، و اكّد ذلك زوتنبرغ محقق كتاب «غرر السير» ل الثعالبي في مقدمته.^(٦٦) و يعتبر كتاب تاريخ ابن خرداذبه من الكتب المفقودة التي تحتاج الى استقصاء للكشف عن محتواه.

و لم يبق من آثار ابن خرداذبه الاكتابين هما «المسالك و الممالك»^(٦٧) و «مختار في كتاب اللهو و الملاهي»^(٦٨) و المؤلف كان مجوسياً ثم اسلم، واصبح من ندماء الخليفة المعتمد العباسي (٢٧٩ هـ)، و كان عارفاً بالموسيقى واصبح صاحب البريد و الخبز في منطقة جبال ايران و فيها كتب كتابه المسالك و الممالك.

٩. تاريخ خورزاد (خرزاد) لـ مؤلف مجهول

قلنا في الفقرة السابقة، ان المقدسي ذكر مصدرا جديدا في مكانين، ورد اسم هذا الكتاب مرّة على شكل «تاريخ خورزاد» حيث ذكر: «و رأيت في كتاب تأريخ خورزاد أنّ شريكا قال: رأيت سفیان الثوري متأبطاً يحرس جذع زيد، و رزقه ثلاثة دراهم في كلّ يوم، و كان من أعوان الشرط».^(٦٩) و في موضع آخر «تاريخ خرزاد»، ويقول: «و في تأريخ خَرَزَاد انه [اي ابو العباس] بلغ من السنّ ثلاث و ثلاثين سنة»^(٧٠).

٦١- انظر بروكلمان، ٢٣٤/٣.

٦٢- ابن النديم، ١٦٥.

٦٣- سرگین، ج ١.

٦٤- المسعودی، مروج الذهب، ٢٢/١.

٦٥- حاجي خليفة ٢٧٨/١، ذكر حاجي خليفة في كشف الظنون بأن «تاريخ ابن خرداذبه» هو «المسالك و الممالك» و يبدو انه خلط بين الكتاتين، وفقا لما رواه المسعودی في مقدمة مروج الذهب ان الكتاتين مختلفين، المسعودی، مروج الذهب، ٢٢/١.

٦٦- الثعالبي، غرر السير ٩١، تحقيق زوتنبرغ، طبعة ١٩٦٣.

٦٧- تم طبعه ضمن مجموعة المكتبة الجغرافية العربية: ابن خرداذبه، المسالك و الممالك، تحقيق دي غوية، ليدن ١٨٨٩م.

٦٨- رضا، مقال ابن خرداذبه، دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، ج ٣، ص ٤١٠. الموجود من هذا الكتاب الان قطعة صغيرة، تقع مخطوطتها في (٢٩) ورقة، هيكل ماوصلنا من كتاب ابن خرداذبه (اللهو و الملاهي)

طبع لأول مرة في بيروت سنة ١٩٦٩ بعناية الأب أغناطيوس عبده، مدير مجلة المشرق. معتمد أنسخة المرحوم حبيب الزيات، صاحب (الخزانة الشرقية)، وكتاب (اللهو و الملاهي) كتاب مشهور، سماه الصفدي بهذا الاسم، وهو من مصادر أبي الفرج في الأغاني، نقل منه (٣٧) مرة، روى معظما عن علي بن عبد العزيز الكاتب عن ابن خرداذبه.

٦٩- المقدسي، البداء، ٥١/٦.

٧٠- م. ن، ٨٩/٦.

يرى شفيعى ان هناك كاتباً ايرانياً موسوماً بـ «خورزاد»^(٧١) هو مؤلف كتاب «تاريخ خورزاد»^(٧٢)، هو غير خورزاديه، ولكن لم يذكر مصادر دعواه الا في فصل مصادر المقدسي، و يذكر في مقدمة ترجمة البدء و التاريخ بالفارسية: انه [تاريخ خورزاد] كتاب جامع و كبير يشتمل على تاريخ العالم من بداية الخلق حتى القرن الرابع، و في الكتاب اخبار عن العباسيين و عن سفيان الثوري^(٧٣). و حسب بحثنا لم يرد اسم هذا الكتاب في المصادر الاسلامية الاخرى و قد انفرد به شفيعى، ربما معتمدا على ما ذكره المقدسي، و بذلك يكون هذا الكتاب من المصادر المفقودة.

١٠. اخبار بابك لـ واقد بن عمرو التميمي

ذكر المقدسي في كتابه «البدء» عن عقائد الفرقة الخزمية^(٧٤) في بلاد فارس، ثم ذكر اخباراً مفصلة عن حركة بابك الخرمي (المقتول ٢٢٣ هـ) على يد العباسيين^(٧٥)، و لكن لم يذكر مصدريه ولا الكاتب الذي نقل عنه و انما قال «ذكروا» ونصه: «قصة بابك الخرمي، ذكروا أنه كان لغير رشده، و أنّ أمّه كانت امرأة عوراء فقيرة من قرى آذربيجان، فشغف بها رجل من نبط السواد يقال له عبد الله، فحملت منه، و قتل الرجل و بابك حمل، فوضعت أمّه و جعلت تكتسب عليه، الى أن بلغ مبلغ السعي و صار غلاماً حذورا، و استأجره أهل قريته على سرحهم بطعام بطنه و كسوة ظهره، فزعموا أنّه أخته ذات يوم بطعامه و هو قائل في ظلّ حائط، فرأت شعر بدنه قد اقصع، يقطر من رأس كلّ شعرة قطرة دم، فقالت: إنّ لابني هذا شأننا عظيماً»^(٧٦) و قد ذكر ابن النديم (٣٨٠ هـ) المعاصر لـ المقدسي (٣٥٥ هـ) خبراً مفصلاً عن حركة بابك الخرمي، و نص ابن النديم كثير الشبه بنص المقدسي، و لكن اضاف ابن النديم اسم المصدر و المؤلف قائلا: «قال واقد بن عمرو التميمي، و عمل (اخبار بابك)، و كان ابوه رجلاً من اهل المدائن، دهانا، نزع إلى ثغر آذربيجان، فسكن قرية تدعى بلال اباذ و كان يحمل دهنه في وعاء على ظهره ويطوف في قرى الرستاق، فهوى امرأة عوراء وهى ام بابك، وكان يفجر بها برهة من دهره، إذ خرج من القرية نسوة يسقين الماء من عين في الغيضة، فسمعن صوتاً نبطياً يترنم به، فقصدن إليه فهجمن عليهما، فهرب عبد الله، واخذن بشعر ام بابك، وجئن بها إلى القرية وفضحنها فيها»^(٧٧) و لدى تطبيق النصين، نص المقدسي و نص ابن النديم، يمكن ملاحظة ان هناك تشابهاً كبيراً بينهما، مما يوحي ان مصدر الخبرين واحد، ومنه يمكن استنتاج ان مصدر المقدسي هو كتاب مفقود موسوم بـ «

٧١- يطلق اسم خورزاد على عدة ملوك في ايران ما قبل الاسلام، و لكن لم يذكر في المصادر اسم مؤلف او كتاب بهذا العبارة، انظر مقال خورزاد، في لغتنامه دهخدا، ج٧. و هناك قائد عسكري فارسي اشترك في معركة جلولاء في الفتوحات الإسلامية بهذا الاسم ذكره المقدسي (البدء ١٧٨/٥).

٧٢- شفيعى، ١٠٧/١.

٧٣- م. ن، ١٠٧/١.

٧٤- المقدسي، البدء، ٣٠/٤.

٧٥- لـ المزيد عن بابك الخرمي انظر: زرياب خويي، عباس، مقال بابك خرمدين، موسوعة دانشنامه جهان اسلام، ج١، طهران: بنياد دائرة المعارف الإسلامية، ١٣٧٥ ش؛ على بهراميان، مقال بابك خرمدين، موسوعة دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، طهران: نشر دائرة المعارف، ج١١، ص٢٣.

٧٦- م. ن، ١١٤/٦-١١٨.

٧٧- ابن النديم، ٤٠٦.

المصادر الإسلامية المفقودة، المذكورة في كتاب "البداء و التاريخ" ل: مطهر بن طاهر المقدسي (٣٥٥ هـ) اخبار بابك» ل واقد بن عمرو التميمي، وفقاً ل ابن النديم المعاصر ل المقدسي، و هو مورخ مجهول من القرن الرابع، لم اعثر على ترجمة حياته.

اما المجموعة الثانية من الكتب المفقودة المذكورة في البدء و التاريخ فهي:

المجموعة الثانية: المصادر الكلامية

١. كتاب المقالات ل زُرْقَان

المتكلم المعتزلي ابو يعلى محمد بن شداد المشهور ب زرقان (٢٧٩ هـ) تلميذ ابن سيار النظام (٢٣١ ق) و ابو الهذيل العلاف (٢٢٦ هـ) له كتاب ذكره ابن النديم يسمى «المقالات».^(٧٨) نقل عنه ابو الحسن الاشعري (٣٣٠ هـ) في كتابه «مقالات الاسلايين» في موارد عديدة^(٧٩)، اما مؤلفنا المقدسي فانه نقل كثيراً عن زرقان خصوصاً آراء فلاسفة مثل ارسطو^(٨٠)، و هرمس^(٨١)، و اصحاب الاضطراب^(٨٢)، و اصحاب الجوهره و اصحاب الجثة^(٨٣)، و اخبار بلعم بن باعور^(٨٤) و عبارته: «حكي زرقان في كتاب المقالات...»^(٨٥) و يعتبر المقالات من المصادر الأولية و المهمة لمعرفة عقائد الفرق و الملل و النحل في القرون الاولى، و لكنه من الكتب المفقودة، و عبر نقولات المقدسي يمكن معرفة بعض موضوعات هذا الكتاب.

٢. رسالة في مذاهب الصابئين ل: السرخسي

يقول المقدسي: «و اما الحرائية، زعم احمد ابن الطيب في (رسالة) له يذكر فيها مذاهبهم، و أنّ القوم مجمعون على أنّ للعالم علة لم يزل، و يقولون المدبرات سبع، و اثنا عشر، و يقولون في الهوى و العدم و الصورة و الزمان و المكان و الحركة و القوة بقول أرسطاطاليس في كتاب سمع الكيان».^(٨٦)، ولكن المقدسي لم ينص على الاسم الكامل لهذه الرسالة.^(٨٧)

و عند مراجعة الفهرست ل ابن النديم يقول: «في وصف مذاهب الحرائية الكلدانين المعروفين ب الصابئة و مذاهب الثنوية الكلدانين، حكاية من خط احمد بن الطيب في امرهم حكاها عن الكندي، اجتماع القوم على ان ل العالم علة لم يزل واحد لا يتكثر».^(٨٨) نرى هنا ما يشابه النص الذي نقله المقدسي ايضاً، و لكن اكثر تفصيلاً مما يدل على احتمال ان هذه الرسالة كانت مصدراً للكاتبين. ثم

٧٨- ابن النديم، ٢٠٥.

٧٩- الأشعري، ابو الحسن، مقالات الاسلاميين و اختلاف المسلمين، محمد محيي الدين، بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٠.

٨٠- المقدسي، البدء، ١٤٠/١.

٨١- م. ن، ١٤١/١.

٨٢- م. ن، ١٤١/١.

٨٣- م. ن، ١٤١/١.

٨٤- م. ن، ١٤٥/١؛ ٥٠/٣، ٥١، ٧٥؛ ٨٨/٣.

٨٥- م. ن، ١٤٠/١.

٨٦- م. ن، ١٤٣/١.

٨٧- م. ن، ١٤٣/١.

٨٨- ابن النديم، ٣٨٣.

يذكر ابن النديم في سرد كتب أحمد بن الطيب السرخسي قائلاً: و رسالته في وصف مذهب الصابئين.^(٨٩)

و الظاهر ان هذه الرسالة من الكتب المفقودة اليوم و لا نرى لها وجوداً. يضيف ابن النديم أن اخبار أحمد بن الطيب حول الحرائين نقلها عن استاذة الكندي (٢٥٦ هـ) و تشمل الفلسفة و الأحكام و الشعائر.^(٩٠) و يذكر دانش يثوه ان اسم الرسالة الكامل هو «وصف مذاهب الصابئين و الثنوية الكلدانية و مقالات الثنوية و الحرانبة».^(٩١) و مؤلف هذه الرسالة المفقودة هو ابو العباس أحمد بن الطيب السرخسي (٢١٦ هـ)، الحكيم و المترجم من اليونانية الى العربية، و هو تلميذ ابن اسحاق الكندي (٢٥٦ هـ)، و مع الأسف فان جميع كتب السرخسي و رسائله تعتبر من المفقودات.^(٩٢)

٣. كتاب في كتاب في علم الكلام لـ الناشئ الأكبر

يذكر المقدسي ثلاثة مقاطع شعرية ذات مضامين كلامية و فلسفية من المتكلم و الشاعر الشيعي عبد الله الناشئ الأكبر^(٩٣) (٢٩٣ هـ)، ثم يذكر تحليلاً عن اراء اصحاب الجوهره و يقول « و قد جمع الناشئ مذاهب هؤلاء بلفظة واحدة فقال هم اربع طبقات»^(٩٤)،

يقول المقدسي في بحث الخالق: « و إلى هذا المعنى ذهب الناشئ في قوله:

لو كان لله شبه من خليقته	كانت دلائله من خلقه فيه
قد كان مقتضياً من نشو صانعه	ما يقتضي النشو من آثار ناشيه
لكنه جلّ عن أوهام واصفه	فالحس يعدمه و العقل ييديه

ولكن لم يذكر اسم مصدر الشعر و كتاب الناشئ، والظاهر ان هذا الكتاب ضمن التراث الاسلامي المفقود لـ الناشئ حيث ينسب اليه بعض الكتب المفقودة.^(٩٥) ويعتبر الناشئ من الشعراء المهمين في القرن الثالث الهجري، و كان الى جانب ادبه من اهل المنطق و الفلسفة و الكلام، يقول عنه ابن النديم (٣٨٠ هـ) وكان متكلماً شاعراً مترسلاً حسن الادب، وله قصيدة سلك فيها طريقة الفلسفة».^(٩٦)

٤. فضائح المعتزلة لـ ابن الراوندي

نقل المقدسي موضوعاً عن كتاب موسوم بـ «كتاب فضائح المعتزلة»^(٩٧) لـ أحمد بن يحيى المشهور بـ ابن الراوندي^(٩٨)، او ابن الريوندي (حدود ٣٠٠ هـ)^(٩٩)، و زعم ابن الروندي في كتاب فضائح المعتزلة أنّ

٨٩- م. ن، ٣٢٠.

٩٠- م. ن، ٣٨٣.

٩١- محمدتقي دانش يثوه، كتاب شناسي فرق و اديان، انظر نص الكتاب على موقع www.tahooranesh.com.

٩٢- ابن حجر، لسان الميزان، ٣/٣٣٤.

٩٣- المقدسي، البدء، ٩٤/١، ١٢٧/٥، ١٤١/٥.

٩٤- م. ن، ١/١٤٢.

٩٥- انظر ايضاً: الناشئ الأكبر، مسائل الإمامة و مقتطفات من الكتاب الأوسط في المقالات، تحقيق المستشرق يوسف فان

اس، بيروت: دارالنشر، فرائس شتاينر، ١٩٧١.

٩٦- ابن النديم، ٢١٧.

٩٧- المقدسي، البدء، ١٤٣/٥.

المصادر الإسلامية المفقودة، المذكورة في كتاب "البدء والتاريخ" ل: مطهر بن طاهر المقدسي (٣٥٥ هـ) جعفر العتيبي [الصحيح: الثقيفي] منهم [المعتزلة] يحلّ الخنضخضة، و ان عفار [الصحيح: ابن غفار] منهم يحلّ شحم الخنزير و تفخيذ الصبيان». (١٠٠) و هذا الكتاب الذي كان مصدرا ل المقدسي، يعتبر اليوم من التراث المفقود (١٠١).

و بالرغم من ان ابن الراوندي كان من المغضوب عليهم من طرف اهل الحديث و السنة و كذلك من طرف المعتزلة و لكن كان اهل الحديث يوظفون نصوصه لنقد المعتزلة، فمثلا نرى ردود البغدادي ضد المعتزلة في كتابه الفرق بين الفرق، حين يستند و يرجع الى اراء ابن الراوندي، و كذلك فان الشهرستاني في كتابه الملل و النحل يستند الى ابن الراوندي و لكن بشكل اقل من البغدادي، اما الخياط في كتابه الانتصار فاعتماده عليه واضح و مصرحا به. (١٠٢)

لقد مرَّ ابن الراوندي في مسيرة فكرية مضطربة، كان معتزلياً، ثم طرد منهم، فقام يذمهم و يفضحهم، و كتاب فضيحة المعتزلة من نتائج تلك المرحلة (حدود ٢٤٣ هـ). فبعد أن كتب « كتاب التاج » في خلق العالم، و « كتاب الفرند » في نقد النبي محمد - ﷺ -، و « كتاب الزمرد » في نقد الأسلام، و كتاب «الدامغ » في ردّ القرآن، ممّا سبب تكفيره و اتهامه بالإلحاد، كتب كتابه «فضيحة المعتزلة» او «فضائح المعتزلة». (١٠٣) و يبدو من النصوص المنقولة عنه والموجودة في كتب الردود عليه، انه كتاب في نقد مدرسة المعتزلة، و بالذات في ردّ كتاب «فضيلة المعتزلة» ل الجاحظ (٢٥٢ هـ)، و قد تلمص ابن الراوندي في كتابه هذا موقع الناقد الشيعي، مع أنه ليس شيعياً، ضد شخصية الجاحظ باعتبار عثمانياً. (١٠٤)

و اصل هذا الكتاب من التراث المفقود الى الآن، و لكن وردت نصوص كثيرة منه في كتب الردود عليه يمكن من خلالها معرفة نص الكتاب. المصدر الأول، كتاب الانتصار على ابن الراوندي الملحد، ل عبد الرحيم بن عثمان الخياط المعتزلي (٣١١ هـ) (١٠٥)، و المصدر الثاني ما جمعه الباحث العراقي المعاصر عبد الأمير الأعسم من النصوص الماثورة لهذا الكتاب في المصادر المختلفة على مختلف القرون و الذي يعتبر جهداً علمياً جيداً. (١٠٦)

٩٨- حول ابن الراوندي، حياته و سنة وفاته انظر: زرياب خوي، مقالة ابن الراوندي، دائرة المعارف، ج٣، ص ٥٣١-٥٣٩.

٩٩- المقدسي، البدء، ١٢/٣، ١٢٣.

١٠٠- المقدسي، البدء، ١٤٣/٥.

١٠١- الأعسم، عبد الأمير، تاريخ ابن الريوندي الملحد، نصوص و وثائق من المصادر العربية خلال الف عام، بيروت: دار الأفاق، ١٩٧٥ م.

١٠٢- الخياط، كتاب الانتصار، تحقيق نيرج، بيروت: الدار العربية، ١٩٩٣ م.

١٠٣- حسب الخياط في الانتصار، اما حاجي خليفة في كشف الظنون فإنه ذكر اسم الكتاب «فضائح المعتزلة».

١٠٤- زرياب خوي، عباس، مقال بابك خرمدين، موسوعة دانشنامه جهان اسلام، ج١، طهران: بنياد دائرة المعارف الإسلامية، ١٣٧٥ ش.

١٠٥- الخياط، كتاب الانتصار، تحقيق نيرج، بيروت: الدار العربية، ١٩٩٣ م.

١٠٦- الأعسم، عبد الأمير، تاريخ ابن الريوندي الملحد، نصوص و وثائق من المصادر العربية خلال الف عام، بيروت: دار الأفاق، ١٩٧٥ م.

٥. الإحاطة والفرقان ل: الحلاج

قبل ان يعرف المقدسي الفرفة الحلاجية^(١٠٧)، يذكر اسم الحلاج في مكانين من كتابه البدء، الأول عند تعريف مذهب الحلولية فإنه ينقل شعراً على لسان الحلاج^(١٠٨)، ويقول: أنشدني ابن عبد الله ل الحسين بن منصور المعروف بـ الحلاج ما يدل على هذا القول

يا سَرَّ سَرَّ يَدُقْ حَتَّى	يُخْفَى عَلَى وَهْمِ كُلِّ حَيٍّ
و ظَاهِرًا بَاطِنًا تَجَلَّى	لِكُلِّ شَيْءٍ بِكُلِّ شَيْءٍ
إِنَّ اعْتَذَارِي إِلَيْكَ جَهْلٌ	و عَظَمُ شُكِّي وَ فَرَطُ عَيْي
يَا جَمْلَةَ الْكُلِّ لَسْتُ غَيْرِي	فَمَا اعْتَذَارِي إِذَا إِلَيَّ. ^(١٠٩)

و الموضوع الثاني عندما يعدد فرق التشيع ينقل نصاً عن افكار الحلاج الشيعية و عن فكرة المهدوية في كتاب أسماه بـ «الإحاطة و الفرقان» و ينسب لـ الحلاج^(١١٠) و الغريب أنه، عند تفسير الآية «ان عدة الشهود عند الله إثنا عشر شهراً»، ينقل نصاً حول الأئمة الإثنا عشر، و هذا النص لم يرد في النصوص التاريخية إلا عند المقدسي^(١١١).

و الحلاج هو الحسين بن منصور (٣٠٩ هـ) الصوفي المشهور و الذي ما زال يعتبر شخصية غامضة، بسبب نصوصه المرموزة و سيرة حياته، و قد انقسم المسلمون حول شخصيته الثنائية، فهو من جانب يدعي الإلهية و الحلولية و من جانب آخر أصبح شهيراً في طريق الحب الإلهي^(١١٢). لقد ترك الحلاج كتباً مثل «الطواسين و الشطحيات» و بعض الأشعار، و لكن كتاب «الإحاطة و الفرقان» هذا و الذي جاء ذكره فقط في كتاب البدء لـ المقدسي، لم يصلنا نصه بعد، و يعتبر من الكتب المفقودة. لم يرد ذكراً لهذا الكتاب في الفهرست لـ ابن النديم^(١١٣) و لا في كتاب بروكلمان^(١١٤) الذي ذكر كتب الحلاج، و لكن المصدر الوحيد الذي اشار الى هذا الكتاب هو ماسينيون و الظاهر انه اعتمد على نص المقدسي ايضاً لأنه لم يذكر مصدراً لكلامه^(١١٥).

٦. اوائل الأدلة ل: الكعبي البلخي

يصرح المقدسي أن موضوعات الفصل الخاص بـ حدوث العالم^(١١٦) و الأدلة المطروحة فيها منقولة من كتاب «اوائل الأدلة» لـ أبي القاسم الكعبي و يقول: «و هذه [أي ان العالم حادث] مسألة جارية منذ قديم الزمان، و لقد رأيت اهل النظر يفتحون أمرها، و يرفعون من شأنها، و وجدتها في عدة كتب

١٠٧- المقدسي، البدء، ١٢٩/٥.

١٠٨- م. ن، ٩١/٢.

١٠٩- م. ن، ٩١/٢.

١١٠- م. ن، ١٢٦/٥، شفيعي ٩٣/١، ١٠١.

١١١- م. ن، ١٢٦/٥.

١١٢- انظر حول الحلاج، ملازاده، مقال الحلاج، دائرة المعارف الاسلامية الكبرى، ج ١٣، ص ٨٣١-٨٥١.

١١٣- بروكلمان، ج ٦٩-٦٦/٤.

١١٤- نقلاً عن: آمنه بلعلي، الحركة التواصلية في الخطاب الصوفي، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ص ٢٣٤، ٢٠٠١ م.

١١٥- Massighon, L, La passion de Husayn ibn Mansur Hallaj, Paris, 1975.

١١٦- المقدسي، البدء، ١١٥-١٣٥.

المصادر الإسلامية المفقودة، المذكورة في كتاب "البداء والتاريخ" ل: مطهر بن طاهر المقدسي (٣٥٥ هـ) بألفاظ مختلفة، فلم اجدها أكمل و أتم من قول ابي القاسم الكعبي في كتاب اوائل الأدلة فأثبتها على وجهها» (١١٧).

و يعتبر هذا الكتاب من المفقودات المهمة في علم الكلام الإسلامي، و يرى شفيعى اننا نستطيع معرفة موضوعات هذا الكتاب المفقود و تحليل نصه من خلال النصوص الكثيرة التي نقلها المقدسي في كتابه البداء^(١١٨)، لأنها جاءت في اكثر من عشرين صفحة، و يختلف اسلوب النص بين قلم المقدسي و الكعبي.

و المؤلف هو ابو القاسم عبد الله بن احمد الكعبي البلخي (٣١٩ هـ) من مشاهير متكلمي بغداد المعتزلة، درس على ابي الحسين الخياط (٣١١ هـ) و عاصر أبا زيد احمد بن سهل البلخي (٣٢٢ هـ)، و حسب رواية ابن النديم، فإن أبا القاسم البلخي الكعبي دافع عن زميله ابي زيد البلخي عندما اتهموه بالإلحاد و قال: «و ابو زيد هذا رجل مظلوم، و هو موحد، انا اعرف به من غيري، فإننا نشأنا معاً و إنما أتى من المنطق، و قد قرأنا المنطق [اي مثله] و ما ألدنا بحمد الله»^(١١٩) و كان ابو القاسم البلخي من اصحاب القلم و الرأي و ترك آثاراً في الكلام و التفسير و الحديث و المنطق و رد الفرق و الملل، ومنها هذه الرسالة المفقودة الموسومة بـ «أوائل الأدلة في اصول الدين»^(١٢٠). اما المتريدي (٣٣٣ هـ) فإنه كتب نقضاً عليه و سماه «رد أوائل الادلة للكعبي»^(١٢١) و ابن فورك (٤٠٦ هـ) قام بنقل الكتاب املاءً و شرحه في كتابه «الشرح على أوائل الأدلة»^(١٢٢) و ينقل ابن عساكر ان الاشعري (٣٢٤ هـ) كتب «نقض تأويل الأدلة» و يتضمن ان يكون الاسم غلبه التصحيح و الصحيح هو «نقض أوائل الأدلة»^(١٢٣).

٧. مخاريق الأنبياء ل: بن زكريا الرازي

كتب المقدسي فصلاً كاملاً عن النبوة و الدفاع عنها في كتابه البداء^(١٢٤)، و في نهاية الفصل ذكر اسم كتاب و حذر القارئ من مطالعته قائلاً: «و اعلم أن ل محمد بن زكريا كتاباً زعم أنه [مخاريق الأنبياء]^(١٢٥) لا يستجيز ذكر مافيه، و لا يرخص لذي دين و لا مروءة الإصغاء إليه، فإنه [اي هذا الكتاب] المفسد للقلب، المذهب بالدين، الهادم للمرؤة، المورث البغضة للأنبياء - ﷺ - و لأتباعهم، و

١١٧- م. ن، ١/١٣٥.

١١٨- شفيعى، ١/٦٦.

١١٩- ابن النديم، ١٥٣.

١٢٠- حاجي خليفة، ١/٢٠٠، طبعة ١٩٤١.

١٢١- بروكلمان، ٤/٤٣.

١٢٢- حاجي خليفة، ١/٢٠٠.

١٢٣- للمزيد انظر: زرياب خوي، ابوالقاسم البلخي، دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، طهران: ج ٦، ص ١٥١-١٥٦.

١٢٤- المقدسي، البداء، ٣/١١٠.

١٢٥- يقول شفيعى في مقدمته: المخاريق: جمع مخراق او مخزقة به معنى الكذب و الأدعاء الكاذب و لا يعرف اصل الكلمة، وكانت تسمى بعض ألعاب الاطفال المصنوعة من خرق القماش (مخراق)، و قد اشتقت منها الفاظ مخرق و تمخرق و ممخرق به معنى التمويه و الخداع (شفيعى، ١/١١٠) و جاء في لسان العرب: التخرق لغة في التخلق في الكذب، و خرق الكذب و تخزقة و خرقة اي اختلقه. قال الفراء: معنى خرقوا، افعلوا ذلك كذباً و كذباً. و قال ابوالهيثم: الاختراق و الاختلاق و الإختراض و الافتراء واحد و يقال: خلق الكلمة و خرقها و اخترقها إذا ابتدعها كذباً (لسان العرب، مادة خرق)، و في رأي كاتب البحث يحتمل ان تكون قد نحتت من عبارة «خوارق العادات» المنسوب الى معاجز الأنبياء، اي النسبة الى الأمور الخارقة للعادة وغير الطبيعية.

نحن لاختمّل على عقولنا ما ليس في وسعها، لأنها عندنا مُبدعة متناهية».^(١٢٦) و يعتبر «مخاريق الأنبياء» ل: محمد بن زكريا الرازي (٣٢٠ هـ) من الكتب المفقودة اليوم، و لكنها كانت بيد مؤلفنا المقدسي في القرن الرابع و قد قرأها و حدّث القارى منها.

و قد اشار ابوالحاتم الرازي (٣٢٢ هـ) في «أعلام النبوة» الى هذا الكتاب و نقل نصوصاً منه في مناظراته الكلامية.^(١٢٧) و يبدو من نص المناظرات ان زكريا الرازي كان يؤمن بأصل التوحيد و الخالق في كتابه، ألا أنه يفند دعوى الأنبياء و معاجزهم و يسرد أدلة عقلية لنفيها.^(١٢٨)

٨. كتاب شرائع اليهود ل: سعيد أو سعديا الفيومي

ذكر المقدسي في مورد واحد «قرأت في كتاب موسوم بـ (شرائع اليهود)»^(١٢٩)، و نقل فيها عن عقيدة اليهود في خلق العالم، و لكنه لم يذكر لغة هذا الكتاب هل هو بالعربية ام العبرية ام لغة اخرى و من هو مؤلف الكتاب، و لكنه في فصل فرق اليهود يقول: «و أما الفيومية فصاحبهم أبو [يعقوب^(١٣٠)] سعيد الفيومي، يفسرون التوراة على الحروف المقطعة كما يفعله الباطنية في الاسلام».^(١٣١) ذكر ابن النديم في فصل كتب اليهود اسم «كتاب الشرائع» لكن لم يذكر اسم مؤلفه.^(١٣٢) و يرى شفيعى مترجم البدء، ان كتاب شرائع اليهود لشخص اسمه سعيد أو سعديا الفيومي و هو من علماء اليهود، و من معاصري المقدسي.^(١٣٣) و قد ورد اسم «شرائع اليهود» في كتاب «الفصل في الملل و الأهواء و النحل» ل ابن حزم الاندلسي (٤٥٦ هـ)، و لكن لم يوضح اي شي عن الكتاب و المؤلف. و اذا كان هذا الاحتمال صحيحاً فإن المؤلف هو ابو يعقوب سعيد بن يوسف الفيومي المشهور بـ سعديا الفيومي جاؤون (٣٣٠ هـ) و هو عالم يهودى مصري، مفسر و مترجم العهد القديم^(١٣٤) سكن العراق و كان متأثراً بالمعتزلة و من كتبه «كتاب الأمانات و الاعتقادات»^(١٣٥) و «كتاب جامع الصلوات و التساييح» و الذي يحوى على احكام و شرايع اليهود، و له ايضاً «تفاسير السيدور»^(١٣٦)، و لم يذكر في كتب الفيومي اسم «شرائع

١٢٦- المقدسي، البدء، ١١٠/٣.

١٢٧- ابوبكر الرازي، اعلام النبوة، الردّ على الملحد ابي بكر الرازي، تحقيق جورج طرايشي، بيروت: دار الساقى، ٢٠٠٣ م؛ و ايضاً انظر: ابوبكر الرازي، رسائل فلسفية و قطعاً من كتبه المفقودة، تحقيق لجنة احياء التراث، بيروت: دارالآفاق، ١٩٨٢ م، فصل المناظرات بين الرازيين ص ٢٩١-٣١٦، و انظر: عبدالرحمان البدوي، من تاريخ الإلحاد، القاهرة: مكتبة النهضة، ١٩٤٥ م، ص ١٩٨-٢٢٧.

١٢٨- انظر ابو حاتم الرازي، اعلام النبوة، الرد على الملحد ابو بكر الرازي تحقيق جورج طرايشي، بيروت دار الساقى ٢٠٠٣ م؛ و قد قام ابوالقاسم الكعي (٣١٩ هـ) و الفارابي (٣٣٩ هـ) في ردّ كتاب آخر ل ابن زكريا الرازي هو «العلم الالهي».

١٢٩- المقدسي، البدء، ١٤٥/١.

١٣٠- اسم يعقوب من اضافة الباحث، لانه هو الاسم الصحيح.

١٣١- المقدسي، البدء، ٣٤/٤.

١٣٢- ابن النديم، ٢٥.

١٣٣- شفيعى، ١٠٦/١.

١٣٤- قام الفيومي بترجمة العهد العتيق الى العربية باسم: تفسير السيدور، او تفاسير السيدور.

١٣٥- سعديا الفيومي، سعيد بن يوسف، الأمانات و الاعتقادات، تحقيق لانداور، طبعة ١٨٨١، اليان سركيس، معجم المطبوعات العربية و المعربة، قم: مكتبة المرعشي النجفي، ج ١، ص ٩٣٢.

المصادر الإسلامية المفقودة، المذكورة في كتاب "البدء والتاريخ" ل: مطهر بن طاهر المقدسي (٣٥٥ هـ) اليهود» و لاندري الى اي كتاب يشير المقدسي منها، و قد قمنا بتطبيق نص من «البدء»^(١٣٦) مع نص من «كتاب الأمانات» ل الفيومي^(١٣٧) فكان بين النصين المتطابقين تشابه و اقتراب.

٩. النقض على الباطنية ل: ابن رزام

ذكر المقدسي اسم ابن رزام، و هو ابو عبد الله محمد بن علي الطائي الكوفي (٣٤٥ هـ)، في مكانين، الأول في مبحث الخلق^(١٣٨)، و الثاني في الردّ على فرقة الباطنية حيث قال: « و ما بلغ احد منهم ما بلغ ابن رزام، فإنه أظهر عورتهم و ملأ جلودهم مساءة و عيبا». ^(١٣٩) ول المقدسي موقف متشدد ضد الباطنية في كتابه البدء، و كانت الفرقة الإسماعيلية مصداقها في تلك المرحلة.

يذكر ايضا ابن النديم أن ل ابن رزام كتابا في ردّ الإسماعيلية^(١٤٠)، و يبدو أن هذا الكتاب مفقود، وكان مصدراً مهماً للمؤرخين حول بداية نشأة فرقة الإسماعيلية أو الذين كتبوا الردّ عليهم. و ابن النديم استفاد من هذا الكتاب و لكنه حمل صحة المعلومات فيه على عهده ابن رزام وقال: « قال أبو عبد الله بن رزام في كتابه الذي رد فيه على الاسماعيلية و كشف مذاهبهم، ما قد اوردته بلفظ ابى عبد الله، وانا أبرأ من العهدة في الصدق عنه أو الكذب فيه». ^(١٤١) و ذكر هذا الكتاب المسعودي^(١٤٢) (٣٤٥ هـ) ايضا. و الظاهر أن اصل الكتاب مفقود، و اخيرا نشر خبر عن اكتشاف نسخة منه في سوريا و لم يثبت صحة الخبر بعد. ^(١٤٣) و كذلك ثم تسجيل رسالة جامعية في هذا الموضوع. ^(١٤٤)

١٠. كتاب الخرمية، ل مؤلف مجهول

المقدسي في معرض تعريفه و نقده لمذهب الخرمية^(١٤٥)، الذين يؤمنون ب «ثنوية النور و الظلام» في العالم، ذكرهم في مواضع عديدة من البدء^(١٤٦)، حتى انه زار مدّتهم غرب ايران و التقى بعلمائهم^(١٤٧)، و مصادره بعضها شفاهية من لقاءه بهم، و لكنه يصرح عن مصدر موسوم ب «كتاب الخرمية» و ينقل عنه و يقول: « و قرأت في كتاب الخرمية ». ^(١٤٨) و لم يتم العثور على هذا الكتاب و عن مؤلفه في الفهارس الاسلامية، و الظاهر أنه من الكتب المفقودة في التراث الإسلامي.

١٣٦- المقدسي، البدء، ٤٥/١.

١٣٧- الفيومي، الأمانات، ٢١.

١٣٨- المقدسي، البدء، ١٣٧/١.

١٣٩- م.ن، ١٣٤/٥.

١٤٠- ابن النديم، ٢٣٨.

١٤١- م.ن، ٢٣٨.

١٤٢- المسعودي، التنبيه و الاشراف، ج ١، ٣٤٣.

١٤٣- نقل ذلك الباحث فرهاد دفتری المتخصص في تاريخ الإسماعيلية، مجلة كلّك، طهران، العدد ٤٩-٥٠، ١٣٧٣ شمسي،

١٩٩٤ م، ص ١٩١-٢٠٥.

١٤٤- ابن رزام الكوفي الطائي، الردّ على الإسماعيلية القرامطة و شرح مذاهبهم، تحقيق فواز بن عبد الله الشيبتي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

١٤٥- فرقة الخرمية من الفرق المشهورة التي كان لها حضور في القرون الإسلامية الاولى، و جاء ذكرها في كتب الملل و النحل.

١٤٦- المقدسي، البدء، ١/١٧١؛ ٢/٢١؛ ٣/١٢٢؛ ٤/٣١.

١٤٧- م.ن، ١/١٧١؛ ٢/٢١؛ ٣/١٢٢.

١٤٨- م.ن، ٢/٢٠.

١١. شرائع الحرائية، لـ مؤلف مجهول

يذكر المقدسي عن مصدر من مصادر الحرائية مرتين، الأولى قوله: «قرأت في شرائع الحرائية»^(١٤٩)، و ثم «قرأت في شرائع الحرائيين»^(١٥٠)، و لا نعلم هل هذا اسم كتاب خاص ام انها عبارة عامة عن مصادر دينية لمذهب الحرائية، التي كانت موجودة في القرن الرابع في العراق، و يظهر من تكرار قرأت عند المقدسي انه كتاب خاص بهم. فابن النديم يذكر في الفهرست الحرائية و الصابئة الكلدان، و يشرح عقائدهم، و لكنه لم يذكر لهم كتاباً بهذا الاسم، و لم يذكر مصدره و لكنه قال ان المسلمين يعتبرونهم من أهل الكتاب.^(١٥١)

١٢. تفسير الاسكندر الأفروديسي على ارسطوطاليس

جاء في البدء «و فسرّه الإسكندر فقال»^(١٥٢)، و الظاهر ان مقصود المقدسي من كلمة «فسره» هو «كتاب تفسير الإسكندر الأفروديسي على ارسطوطاليس»^(١٥٣)، و هو كتاب مشهور من الكتب المفقودة من تراث المسلمين الفلسفي المعرب عن اليونانية. و يعتقد الباحث الخراساني أن اغلب الفلاسفة المسلمين قد تأثروا بآراء و الفاظ الأفروديسي الفلسفية في مباحثهم عن انواع العقل، وان الاسكندر الأفروديسي مفسر و شارح ارسطو، ولكن اغلب كتبه مفقودة و منها هذا الكتاب الذي ذكره المقدسي.^(١٥٤)

و ايضاً فإن المقدسي نقل موضوعاً عن بحر و خليج فارس من رسالة ارسطوطاليس^(١٥٥)، و هي من اوائل المصادر الاسلامية التي تصرح بعبارة «بحر فارس»، و يرى شفيعى ان المقصود من هذه الرسالة هي «تفسير الإسكندر على ارسطوطاليس» ايضاً.^(١٥٦)

١٣. كتاب مايرضاه الفلاسفة في الآراء الطبيعية، المنسوب لـ: فلوطرخس

الظاهر في كتاب البدء، الذي يحتوي على فصل كامل عن آراء الفلاسفة اليونان، ان المقدسي اعتمد على كتب اليونان المعربة، و ان اكثر نقولاته هي عن كتاب «ما يرضاه الفلاسفة من الآراء الطبيعية» المنسوب الى الفيلسوف اليوناني فلوطرخس (Plutarch). يقول المقدسي: «قرأت في كتاب منسوب الى رجل من القدماء يقال له (افلوطرخس) ذكر فيه اختلاف مقالات الفلاسفة، و وسماه بـ (كتاب مايرضاه الفلاسفة من الآراء الطبيعية)»^(١٥٧)، ثم ينقل المقدسي مقاطع عديدة بعد ان يقول «حكى»^(١٥٨) و

١٤٩- ن.م، ١/١٨٦.

١٥٠- ن.م، ١/١٩٧.

١٥١- ن.م، ٣٨٣-٣٩٠.

١٥٢- ن.م، ١/٢٤.

١٥٣- نص العبارة (و فسرّه للإسكندر) (المقدسي، البدء، ١/٢٤)، لكن يقول شفيعى محقق كتاب البدء: يبدو ان المقصود هو الإسكندر الافروديسي، فيلسوف القرن الثاني. الثالث الميلادي، و من شراح كتب ارسطو، و لكن هوار [محقق كتاب البدء و ناشره في فرنسا] كتب خطأ عبارة «فسره للإسكندر» بدلا من «و فسرّه الإسكندر» في طبعة باريس (شفيعى، ١/١٤١).

١٥٤- الخراساني، مقالة الاسكندر الأفروديسي، دائرة المعارف الاسلامية الكبرى، ج٨، ص ٣٥٨-٣٥٩.

١٥٥- المقدسي، البدء، ٤/٥٥.

١٥٦- شفيعى، ١/١٠٦.

١٥٧- م.ن، ١/١٣٥-١٣٦.

المصادر الإسلامية المفقودة، المذكورة في كتاب "البداء و التاريخ" ل: مطهر بن طاهر المقدسي (٣٥٥ هـ) «قال»^(١٥٩)، و « روى عنه [عن ارسطوطاليس] أفلوطرخس أنه قال: جوهر الزمان هو حركة السماء هذا»^(١٦٠) و هذا الكتاب من الكتب المفقودة من التراث الاسلامي و قد ذكر ابن النديم اسم هذا الكتاب في الفهرست.^(١٦١) و قد قام الباحث المصري عبدالرحمان البدوي بنشر بعض اوراقه ضمن كتاب اخر للفيلسوف.^{(١٦٢) (١٦٣)}

و هناك نسخة من بعض اوراقها في المكتبة الظاهرية بدمشق، ترجع الى سنة (٥٥٧ هـ)، و هناك معلومات اخرى عن الكتاب نقلها شفيعى في مقدمته على ترجمة البداء.^(١٦٤)

النتيجة

نستنتج مما ذكر، ان كتاب «البداء و التاريخ» ل المقدسي يعتبر مصدرا تاريخيا مهما وصلنا من القرن الرابع الهجري، و هذا المصدر يحتوي على مصادر تاريخية و اسلامية كانت بحوزة المؤلف فى تلك المرحلة و لكنها الان تعد من مفقودات التراث الاسلامي، حتى ان بعض المصادر التى ذكرها المقدسي و التى تعتبر لحد الان من المفقودات لم تذكرها المصادر الاخرى، مثل كتاب «اخبار بابك» ل واقد بن عمرو التميمي، و كتاب « الإحاطة و الفرقان » ل الحسين بن منصور الحلاج، و كتاب في علم الكلام ل الناشئ الأكبر، و ان كتاب البداء هو المصدر الوحيد الذي ذكرها و اعتمد عليها، مما يعطى لهذا الكتاب و مصادره اهمية تستحق المراجعة. ان هذه المعلومات يمكن ان تفتح مدخلا لدراسة اقتباسات المقدسي من الكتب الضائعة و المفقودة.^(١٦٥) ذلك ان هناك جهودا من بعض الباحثين في جمع اقتباسات كتاب معين او راو خاص من اجل احياء مصدر مفقود من كتب التراث الاسلامي.

المصادر

- ابن حبان البستي، ابوحاتم، المجروحين من المحدثين، تحقيق حمدي السلفي، الرياض: دار الصميعي، ٢٠٠٠م.
- ابن قتيبة الدينوري، المعارف، تحقيق ثروت عكانه، القاهرة: دارالمعارف، ١٩٦٠م.

١٥٨- يبدو ان المحقق الفرنسي هوار اخطأ عندما كتب «حكي» بصيغة المجهول بدلاً عن «حكي» فعل ماضي في هذا الفصل، لعدم انتباهه بأن نقولات المقدسي جاءت على لسان فلوطرخس و كتابه.

١٥٩- المقدسي، البداء، ٤١/١، ١٣٧/١، ١٨/٢، ٢٦، ٢٨، ٤٦، ١٢٨، ١٤١.

١٦٠- م. ن، ٤١/١.

١٦١- ابن النديم، ٣١٤.

١٦٢- في الآراء الطبيعية التى ترضى بها الفلاسفة، المنسوب الى فلوطرخس، قد نشره ضمن كتاب «ارسطوطاليس، في النفس» ترجمة قسطنطين بنلقا، تحقيق عبد الرحمان البدوي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٤، صص ١٨٨-١٨٩.

١٦٣- و قد تم نشر فصول، مكتوبة فى القرن السادس، على موقع الكتروني، و قام كاتب هذا البحث بتطبيق نقولات المقدسي مع هذا النص، فكانت متطابقة تماماً، مما يدل على صحة الاوراق المكتشفة و العثور عليها. منشور على موقع (<http://repos1.alpheios.net>)

١٦٤- شفيعى، ٦٦/١.

١٦٥- قام الباحث (خضر العبادي) المشارك في اعداد هذا البحث، بدراسة موسعة من متطلبات رسالة دكتوراه تحت عنوان « كتابة التاريخ و الرؤية التاريخية ل المقدسي فى كتابه البداء و التاريخ» و التى حازت على درجة ممتاز، من جامعة آزاد الإسلامية، قسم العلوم و التحقيقات، كلية التاريخ و حضارة الشعوب الإسلامية، طهران، عام ٢٠١٣م، باشراف الاستاذ الدكتور هادى عالم زادة. و كذلك قام الباحث بتصحيح الاجزاء الستة من نص كتاب البداء و التاريخ، على أمل طباعته بعد الانتهاء منه.

- ابن قتيبة الدينوري، عيون الاخبار، تحقيق منذر ابوشعر، بيروت: المكتب الإسلامي، ٢٠٠٨م.
- ابن النديم، محمد بن اسحاق، كتاب الفهرست، تحقيق تجدد، طهران: ١٣٥١ شمسي، ١٩٧٣م.
- ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق عمر تدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٠.
- الأشعري، ابو الحسن، مقالات الأسلاميين و اختلاف المسلمين، محمد محيي الدين، بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٠.
- بروكلمان، كارل، تاريخ الادب العربي، قم: دار الكتاب الإسلامي، طبعة افست على طبعة جامعة الدول العربية، دون تاريخ.
- حاجي خليفة، مصطفى، كشف الظنون عن اسامي الكتب و الفنون، بيروت: دار احياء التراث، بدون تاريخ.
- الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، بيروت: دار صادر، ١٩٧٧م.
- دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، اشرف بجنوردی، طهران: نشر دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، ١٩٩٤-٢٠١٠م.
- دانشنامه جهان اسلام، [دائرة المعارف الإسلامية]، طهران: نشر دائرة المعارف الإسلامية، ١٩٩٤-٢٠١٠م.
- الدوري، عبدالعزيز، نشأة علم التاريخ عند العرب، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٥م.
- الذهبي، شمس الدين محمد، ميزان الاعتدال، تحقيق علي البجاوي، بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٣م.
- سجادی، سيدصادق، عالم زاده، هادی، تاريخ نگاری در اسلام، طهران: نشر سمت، ١٣٧٥ ش (١٩٩٦م).
- سزگين، فؤاد، تاريخ نگارش های عربی، تحقيق رحيمي، طهران: سازمان چاپ كتاب، ١٣٨٦ شمسي، ج ١.
- شفيعي كدكني، محمدرضا، (المترجم)، آفرينش و تاريخ، المقدسي، مطهر بن طاهر (المولف)، طهران: نشر آگه، ١٣٨٦ شمسي، ٢٠٠٧م.
- الفيومي، سعديا او سعيد بن يوسف، الأمانات و الاعتقادات، تحقيق لاندآور، طبعة ١٨٨١، اليان سركيس، معجم المطبوعات العربية و المعربة، قم: مكتبة المرعشي النجفي، ج ١.
- قره بلوط، علي رضا؛ أحمد طوران قره بلوط، معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم، قيصري: تركيا، دار العقبة، ٢٠٠٥.
- المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب و معادن الجواهر، بيروت: دار الاندلس، ١٩٦٥م.
- -----، التنبيه و الاشراف، ج ١، ٣٤٣.
- المقدسي، مطهر بن طاهر، كتاب البدء و التاريخ، تحقيق كلمات هوار، باريس، ١٨٩٩-١٩٠١.
- -----، كتاب البدء و التاريخ، تحقيق كلمات هوار، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، دون تاريخ، افست على طبعة باريس، ١٩٠١م.

-
- المصادر الإسلامية المفقودة، المذكورة في كتاب "البدء و التاريخ" ل: مطهر بن طاهر المقدسي (٣٥٥ هـ)
- هوروفتس، يوسف، المغازى الاولى و موءلفوها، ترجمة حسين نصار، القاهرة: مطبعة حلي، ١٩٤٩ م.
 - ياقوت الحموى، معجم الادباء، تحقيق احسان عباس، بيروت دار الغرب الاسلامى، ١٩٩٣.
 - Massighon, L, La passion de Husayn ibn Mansur Hallaj, Paris, 1975.

إمكانية تطبيق استراتيجية العناقيد الصناعية في العراق

The possible application of the strategy of Industrial Clusters

Asst.Inst. Ihab A. Al-Mussawi

Prof. Kadhim A. AL-Batat

Prof. Rahim K. AL-Sharaa

م.م. إيهاب علي الموسوي^(١)

أ.د. كاظم احمد البطاط^(٢)

أ.د. رحيم كاظم الشرع^(٣)

المستخلص

تمثل التنمية الصناعية أساس تطور الاقتصاد، ولذلك تسعى جميع الدول لتطوير قطاعها الصناعية، معتمدة في ذلك أحدث الآليات الموجودة، والتي من ضمنها العناقيد الصناعية، وفي العراق يعاني القطاع الصناعي من الإهمال والتخلف، إذ لم تتطور نسبة مساهمة هذا القطاع كثيراً في الناتج المحلي الإجمالي، وحتى بعد تغيير النظام وتحوله من اقتصاد ذو نزعة شمولية إلى اقتصاد السوق الحر، فإن هذا القطاع وعلى الرغم من الاستراتيجيات المختلفة التي أعدت للنهوض به، فإن الحال لم يتغير كثيراً، وذلك لافتقارها في اعتماد أحدث الطرق والأساليب في تطوير هذا القطاع، مثل استراتيجية العناقيد الصناعية، التي تعد من الآليات المهمة في تطوير القطاع الصناعي وتنميته بالشكل الذي يجعله مؤهلاً للارتقاء به في الانتاج والمنافسة..

Abstract

Industrial development is the core of the development of the economy, and therefore all countries seeking to develop their industrial sectors, relying on the latest existing mechanisms, which include the industrial

١ - كلية العلوم الاسلامية / جامعة أهل البيت (عليهم السلام).

٢ - جامعة كربلاء - كلية الادارة والاقتصاد.

٣ - جامعة كربلاء - كلية الادارة والاقتصاد.

clusters, and in Iraq, the industrial sector is suffering from neglect and underdevelopment, as the percentage contribution of this sector has not developed much in the gross domestic product, even after the regime change and transformation of the economy with a tendency totalitarian to a free market economy, the sector and despite the various strategies that have been prepared for the advancement of him, the situation has not changed much, so as to lack in the latest methods and techniques in the development of this sector, such as industrial clusters strategy to adopt, one of the important mechanisms in the development of the industrial sector and development a way that makes him eligible for production and competition.

تمهيد

تمثل العناقيد الصناعية احدث الاليات التي تسعى الى تطوير منظومة عمل القطاع الصناعي، وفي العراق فأن القطاع الصناعي بضمنه الصناعات الصغيرة والمتوسطة مازال يعاني الانحسار والاهمال ولأسباب عديدة، وسنحاول في هذا البحث اختبار مدى التشابك والترابط الصناعي لمجموعة من الصناعات الصغيرة والمتوسطة لمعرفة أي الصناعات الأكثر ارتباطاً كمحاولة لبناء عناقيد صناعية اعتماداً على هذه الترابطات فيما بين تلك الصناعات.

مشكلة البحث

لقد أدى تخلف القطاع الصناعي في العراق الى ضعف مساهمته في تكوين الناتج المحلي الاجمالي، فضلاً عن إخفاقه في اداء المهام المناطة به من معالجة مشكلة البطالة واشباع الطلب المحلي، وقد طرحت عدة استراتيجيات للمعالجة، من بينها آلية العناقيد الصناعية.

فرضية البحث

تنطلق فرضية البحث من ان اعتماد استراتيجيات العناقيد الصناعية يمكن من خلالها تنمية الصناعات الصغيرة والمتوسطة ورفع قدراتها التنافسية وطاقاتها الانتاجية، فضلاً عن تعظيم دور القطاع الصناعي في التنمية الاقتصادية.

هدف البحث

يرمي البحث الى تحقيق الاتي:

- ١- التعرف على مفهوم العناقيد الصناعية وأهميتها وخصائصها .
- ٢- بيان فرص تطبيق العناقيد الصناعية في العراق .

هيكلة البحث

لغرض التحقق من صحة الفرضية من عدمها، جرى تقسيم البحث الى فقرتين، تناولت الاولى مفهوم وخصائص واهمية العناقيد الصناعية، بينما جاء الثاني ليناقد سياسة العناقيد الصناعية التي يمكن اتباعها،

والجانب التطبيقي للبحث والمتمثل بمعرفة أي الصناعات المؤهلة لأن تشكل عنقود صناعي، وانتهى البحث بمجموعة من الاستنتاجات والتوصيات.

أولاً: الإطار المفاهيمي للعناقيد الصناعية

بذل الجغرافيون والاقتصاديون جهوداً مضيئة في سبيل شرح آلية توزيع الأنشطة الاقتصادية على مستوى جغرافية الدول والأقاليم، من أجل وضع نظرية تتضمن العناصر الأساسية لفهم عملية التراكم الاقتصادي كمفهوم عام، وسنحاول في هذا المبحث بيان نشأة هذه العملية من خلال فكرة العناقيد الصناعية ومفهومها .

مفهوم العناقيد الصناعية (The Concept of Industrial Clusters)

العناقيد الصناعية ليست ظاهرة اقتصادية جديدة، ولكن البداية الفعلية لها كانت في نهاية القرن التاسع عشر، عندما أخذت العملة وتحرير التجارة تنتشر في العديد من الدول النامية، وفي الوقت الحاضر كل الدول المتقدمة والنامية اتخذت من العناقيد إحدى الآليات للتنمية الاقتصادية والإقليمية، وهي تختلف من دولة لأخرى ومن منطقة لمنطقة أخرى، وعليه وكنيجة لهذا الاختلاف فأن هناك ثمة مجموعة من المفاهيم والتعاريف للعناقيد الصناعية من خلال امتداد جذورها في أدبيات اقتصاديات الأعمال، والدراسات والبحوث والابتكار واقتصاديات التنمية^(٤). ومن جملة التعاريف هذه تعريف اليونيدو اذ ترى ان العناقيد الصناعية هي ((تركز قطاعي جغرافي لمؤسسات تنتج وتبيع مجموعة واسعة من المنتجات المرتبطة او المكملة لبعض))^(٥). كما تعرف ايضا على كونها ((تجمعات جغرافية قد تكون محلية او اقليمية او عالمية لمجموعة من المؤسسات المتقاربة جغرافيا والتي ترتبط ببعضها الآخر بعلاقات تكاملية ومصالح مشتركة في مجال معين بما يمثل منظومة من الأنشطة من أجل تقوية وتشجيع التنافسية))^(٦).

ويرى فيها بورتر على أنها ((تجمعات جغرافية للمنشآت والمؤسسات المترابطة في مجال معين، وتمثل العناقيد مجموعات من الصناعات والكيانات الاخرى الهامة للمنافسة وتشمل على سبيل المثال موردي المدخلات المتخصصة مثل المكونات، الآلات والخدمات، ومقدمي البنى التحتية المتخصصة، كما تمتد العناقيد ايضا من المصب الى القنوات والعملاء وافقيا لمصنعي المنتجات التكميلية والمؤسسات ذات الصلة من خلال المهارات والتقنيات المشتركة، واخيرا تشمل العناقيد المؤسسات الحكومية وباقي المؤسسات مثل الجامعات والوكالات ومنشآت التدريب والتطوير التي تقدم المعلومات والخبرات والتدريب المتخصص والبحوث والدعم التقني))^(٧). وبهذا فأن العناصر الرئيسية التي يستخدمها بورتر في تعريفه هي (التركيز الجغرافي، الربط بين الشركات والمؤسسات، وجود كل من المنافسة والتعاون والتخصص). وما يثار على

Guru raj: Entrepreneurship & Industrial Clusters, Global Journal of Multidisciplinary Studies, -٤

Volume 4, Issue 03, 2015, p.52.

The UNIDO Programmers: Development of Clusters & Networks of SMEs, Vienna, 2001, p.9.-^٥

^٦- خبابة صهيب: دور المناطق الصناعية في تحقيق التنمية المستدامة في المنطقة الاورو مغاربية، دراسة مقارنة بين فرنسا والجزائر، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير، جامعة فرحات عباس سطيف ١، الجزائر، ص ٣٣، ٢٠١٢.

^٧- Michael E. Porter: Clusters & the New Economics of Competition, Harvard Business Review, -٧

1998, p.81.

ذلك هو ان حدود العنقود غالباً لا يتم اخذها في الاعتبار عند تحديد هذا المصطلح اي عبارة (التركيز الجغرافي) والذي يستخدمه بورتر بشكل واسع ان ينطلق من مدينة او دولة الى باقي الدول المجاورة، في حين يرى بعض الاقتصاديين ضرورة استبعاد الموقع الجغرافي كعنصر من التعريف، بينما يرى آخرون بأنه ضروري لأنه يدعم امكانية الحصول على الموارد بشكل اسرع ويمثل فرصة لمراقبة اداء المؤسسات ويشكل ميزة تنافسية تخدم العنقود من خلال الموقع المشترك^(٨). ولأجل تحديد مفهوم العناقيد الصناعية بشكل أكثر وضوحاً، يتحتم علينا توضيح مفهوم كل من الصناعة ومفهوم قطاع الصناعة والذي يتمثل في انحاء (مجموعة من المؤسسات تنتج منتجات مماثلة او تقوم بتقديم خدمات مماثلة)^(٩). اما القطاع الصناعي فهو ((تجمع لمؤسسات مختلفة التي تتقاسم بعض الخصائص المشتركة كالمنتجات والمدخلات او العاملين))^(١٠).

اما العناقيد الصناعية فهي ((مجموعة من الصناعات التي تهدف لتحقيق مزايا معينة من خلال الخصائص المشتركة))^(١١). وعليه فإن العناقيد الصناعية تختلف عن الصناعة والقطاع الصناعي في المفهوم في كون العناقيد الصناعية تمثل سلسلة القيمة الكاملة من الصناعة المحددة ابتداءً من الموردين وانتهاءً بالمنتجات النهائية بما في ذلك دعم الخدمات والبنية التحتية المتخصصة، وبذلك فالعناقيد الصناعية تمثل تركيزاً جغرافياً مترابطاً من خلال تدفق السلع والخدمات مما يجعلها أقوى من ربطها ببقية قطاعات الاقتصاد، كما انها تشمل العمالة المنخفضة والعالية القيمة على حد سواء^(١٢). ويظهر مما تقدم أعلاه أن التعاريف السابقة تشترك بعدة خصائص تتمثل في الحدود الجغرافية والميزة التنافسية مع ضرورة وجود شبكة من الترابط ما بين المؤسسات والشركات، اي وجود حالة من التعاون المشترك بين مؤسسات العنقود. ان اي نمو وتطور العنقود الصناعي مقيد بالحدود الجغرافية اذ ان بورتر عندما قام بتطبيق مبادئ العنقود على العناقيد المحلية والعالمية، سرعان ملاحظ تأثير الاقليم والمدينة (المحلية) على تطور العناقيد، اذ ان المدى الجغرافي للعنقود يؤثر على القدرة في مشاركة المعلومات، الموارد والمعرفة، كما أن النظم الاجتماعية والثقافية قد تؤثر أيضاً في حدود وحجم العنقود وهذا القيد يتمثل في المسافة والوقت الذي سيبدله الافراد من اجل التوظيف، ومن ربط هذه الفعاليات عبر شبكات العنقود، كما أن أبعاد العنقود مقيدة بالمراكز السكانية والحاجات الخاصة بالعنقود^(١٣).

اذن يظهر أن مفهوم العناقيد الصناعية مازال اطاره غير كامل وان صياغته غير واضحة بالشكل المطلوب وذلك بسبب بعض القيود التي تم ذكرها سابقاً كالقيد الجغرافي، اذ ثمة الكثير من الاقتصاديين يعترضون كما اشرنا على المفهوم الجغرافي وما شابه. وما تقدم يرى الباحث بأنه يمكن وضع تعريف

^٨ Brown & Others: Towards a New Conceptualization of Clusters, Please consult authors, -
Sydney, Australia, 2007, p.3

^٩ Rachel V. Smith: Industry Cluster Analysis: Inspiring a Common Strategy for Development, -
Central Pennsylvania Workforce Development Corporation Lewisburg, PA, 2009, p.2.

^{١٠} Manuel Portugal Ferreira & others: Impact of Cluster on the Innovation Output & the
Appropriation of Rents from Innovation, Journal of Technology Management & Innovation, volume
7, Issue 4, 2012, p.72

^{١١} Rachel V. Smith: Op, cit, p2.

^{١٢} Association Of Government: What are Industrial Clusters, San Diego, 2011, p2

^{١٣} Rachel V. Smith: Op, cit, pp2-3.

للعناقيد تنفادي به ما تم توضيحه سلفا ويكون أكثر شمولاً ووضوحاً إذ يمكن تعريف العناقيد الصناعية على أنها ((تجمع أو تكتل صناعي محلي أو إقليمي أو عالمي يهدف إلى خلق حالة من التكامل الاقتصادي ما بين مؤسسات ومنشآت العنقود وعلى كافة

المستويات بدءاً من مدخلات العملية الإنتاجية وانتهاءً بالمنتجات النهائية وما تشمله عمليات إنتاجها من حلقات فرعية داخل مؤسسات العنقود من أجل دعم وتطوير القدرة الانتاجية والتنافسية لمؤسسات ومنتجات العنقود الصناعي))، وبهذا نرى في هذا التعريف شموله وتفاديه لمشكلة المفهوم الجغرافي وذلك لأنه في ظل التطورات الحاصلة في مجال انتقال رؤوس الأموال والتكنولوجيا ماعدات مشكلة المفهوم أو البعد الجغرافي تشكل عائقاً كبيراً أمام تكوين وتطوير وامتداد العناقيد الصناعية كما هو الحال عليه في كثير من الصناعات ومنها مثلاً صناعة الطائرات، إذ يمر انتاج الطائرة الواحدة بعدة دول حتى تصل إلى شكلها ووضعها النهائي .

ثانياً: خصائص وأهمية العناقيد الصناعية

تتميز العناقيد الصناعية بجملة من الخصائص التي تميزها عن غيرها من الخيارات، كما أن للعناقيد أهمية اقتصادية سنحاول إبرازها في هذه الفقرة .

١- خصائص العناقيد الصناعية:

هناك جملة من الخصائص تتسم بها العناقيد الصناعية وهي:

(أ) قدرتها على إيجاد موردين محليين لمدخلات الإنتاج وتكاليف أقل نسبياً من استيرادها، مما ينعكس إيجاباً على القدرة التنافسية للصناعة على مستوى الأسواق المحلية والعالمية، وكلما كان اتجاه الصناعات المدعمة والمرتبطة نحو إنتاج بعض الأجزاء المحددة والمتخصصة من مدخلات الإنتاج، كلما كان لها دور أكبر في مساعدة الصناعة الرئيسية على التطور والمنافسة عالمياً، فنجد مثلاً، بأن هناك الكثير من الصناعات التي تدعم صناعة الأحذية الإيطالية وترتبط بها مباشرة مما ساعد على خلق عنقود صناعي قادر على المنافسة والتميز عالمياً، مع ملاحظة أهمية دور الطلب في دفع الصناعة لتشكيل على هيئة عناقيد.

(ب) الترابط الحاصل في العناقيد الصناعية يمكن تقسيمه إلى ترابطات رأسية أفقية، وهي عبارة عن علاقات تتم ما بين مؤسسات تكون في نفس المرحلة الانتاجية . والترابطات الأخرى هي ترابطات رأسية (أمامية وخلفية)، وتتمثل في كونها علاقات تتم بين مؤسسات تكون في مراحل مختلفة من العملية الانتاجية^(١٤).

(ج) يتحدد تركيز العنقود الصناعي وترابطاته سواء كانت أفقية أو رأسية من خلال طبيعة الموقع الجغرافي والتركيز الجغرافي لمؤسسات العنقود الصناعي .

١٤- زايري بلقاسم: العناقيد الصناعية كإستراتيجية لتطوير المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في الجزائر، مجلة العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، ٧٤، ٢٠٠٧، ص ١٧٣- ١٧٤.

(د) وجود قنوات نشطة وفعالة للمعاملات والاتصالات بين مؤسسات العناقيد الصناعية في ظل بنية تشاركية وتخصصية متينة سواء لأسواق العمل او الخدمات تقوم على التشارك في الفرص والمخاطر التي قد تواجه العنقود الصناعي^(١٥).

٢- أهمية العناقيد الصناعية:

تظهر أهمية العناقيد الصناعية من خلال ماتقدمه من فوائد ومزايا مهمة يمكن توضيحها بالآتي^(١٦):

أ- العناقيد تدعم وتخفف أقلمة الأقتصادات او مايسمى (اقتصاديات الموقع):

اذ ان التركيز الصناعي يؤدي الى تحقيق وفورات كبيرة في تكاليف الشركات الموجودة داخل العنقود، ويشار الى هذه الوفورات في التكاليف على انها (اقتصاديات الموقع)، وتمثل مصادر هذه الوفورات في وجود أكبر قدر ممكن من موردي المدخلات المتخصصة وخدمات الاعمال ومجموعات من المدربين بحكم التعاون المشترك بين مؤسسات العنقود، مع وفرة من العمالة المتخصصة، إضافة الى إمكانية نقل ونشر المعلومات بين الأسواق المالية والمؤسسات العنقودية .

ب- العناقيد تساهم في إعادة التنظيم الصناعي:

ان الانتقال من المؤسسات الكبيرة العاملة في مجال الانتاج الشامل الى المؤسسات الصغيرة يساعد على التخصص الانتاجي، التحول في الهيكل الصناعي يعمل على زيادة المنافسة العالمية ونشوء تكنولوجيا انتاجية جديدة ومثال على ذلك التصنيع بواسطة الحاسوب، فالعناقيد تمثل مواقع جذابة للمؤسسات الصغيرة المتخصصة القائمة على التصنيع بالحاسوب، التخصص في المنتجات واعتماد تكنولوجيات الانتاج الجديدة

هي اكثر وضوحا وممكنة التحقيق مقارنة بباقي العناقيد الصناعية، كما أن التقارب بين المؤسسات المتخصصة وبين موردي المدخلات واسواق المنتجات يعزز تدفق السلع من خلال نظام الانتاج .

ج- العناقيد تشجع التواصل بين المؤسسات:

ويقصد بالتواصل التعاون بين المؤسسات للاستفادة من أوجه التكامل، أستغلال اسواق جديدة، دمج الأنشطة، او تجميع الموارد او المعرفة، والمؤسسات المترابطة شبكياً هي أكثر حظاً من تلك غير المرتبطة شبكياً في الاستفادة من الانخراط في التعاون وتبادل المعلومات في مجال التسويق وتطوير المنتجات ورفع المستوى التكنولوجي لمؤسسات العنقود، إضافة الى ان المؤسسات الشبكية والمترابطة تكون ذات قدرات تنافسية ورجحية عالية .

د- العناقيد تقلل من هدر الموارد العامة:

ان هدف التنمية الصناعية هو ان يسمح للمناطق او الاقاليم باستخدام موارد التنمية الاقتصادية المحدودة بشكل أكثر كفاءة، وان آلية العناقيد تتيح للمناطق او الاقاليم التركيز على الموارد والاحتفاظ بها

١٥ - Timothy F. Slaper: Clustering Occupations, Indiana Business Review, 2014, p.8

١٦ - أنظر : David L. Barkley, Mark S. Henry: Advantages & Disadvantages of Targeting Industry Clusters, Clemson University, Clemson, South Carolina, 2001, pp.6-7.

- Mohammad Hosein Tavassoli: Exploring The Critical Success Factors of Industrial Clustering, Linkopings University, Department of management & Engineering, 2009, pp.17-19.

والتوسع، وتطوير برامج الاعمال الصغيرة بدلا من دعم تقديم المساعدة للعديد من أنواع العمل المختلفة وبالتالي هدر في الجهود وضياع الموارد بسبب عدم التخصص، وبسبب الروابط بين مؤسسات العنقود وبرامج دعم المؤسسات الخاصة فإن اثارها ستكون مضاعفة على الاقتصاد، إذ أن أجمالي فرص العمل والدخل لأعضاء العنقود من المرجح أن يتجاوز فرص العمل والدخل لتلك المؤسسات بدون عنقود والمشاكلة لها من حيث الحجم .

هـ - العناقيد تزيد من إنتاجية المؤسسات الصناعية:

يرى بورتر ان العناقيد يمكن ان تزيد من انتاجية المؤسسات العاملة من خلال، السماح للمؤسسات الموجودة في العناقيد ان تعمل بشكل اكثر انتاجية في تحديد مصادر المدخلات كالموظفين والموردين، فالمؤسسات المتقاربة جغرافياً يتيح لها تطوير مجموعة العمل المتخصصة التي هي من ذوي المهارات العالية لتلبية احتياجات محددة للصناعة، بالإضافة لذلك، فإنه يمكن للمؤسسات في العناقيد من الوصول الى الموردين والمشتريين والعملاء في فترات زمنية اقصر، ومن خلال هذا التوطن الصناعي والقرب الجغرافي يمكن للمؤسسات الاستفادة من وفورات الحجم وبطرق مختلفة مثل تطوير استخدام تقنيات مشتركة والوصول الى معلومات مشتركة.

بالإضافة الى التنسيق بين المؤسسات ذات الصلة والمكملة لبعضها البعض، فإن تكاليف كثيرة ستوفرها هذه المؤسسات، والتي منها تخفيض تكاليف التنسيق، كما ان التكتل داخل العناقيد سيحفز المؤسسات المكونة للعنقود لتحسين ادائها بسبب انها ستكون خاضعة للمراقبة والضغط على باقي المؤسسات والرغبة في ان يكون العنقود ناجحاً من أجل ضمان استمراريته.

و - العناقيد تزيد من وتيرة الابتكار:

العناقيد تشجع على انواع مختلفة من الابتكار في المنتجات والخدمات وباقي عمليات الابتكار، وهذا يتم من خلال تحسين التعاون بين قطاع الاعمال والبحوث/ القطاع الجامعي من اجل تسويق البحوث الاكاديمية، ومن خلال تحسين التعاون والتواصل بين المؤسسات، وذلك عن طريق مستوى المنتجات والاداء بشكل مستمر .

ز - العناقيد تساعد في ايجاد مؤسسات جديدة:

اذ ان الاعمال الجديدة تتجه بشكل اكبر نحو العناقيد، لان المؤسسات تعتمد على التفاعل الوثيق مع الموردين والمشتريين، بسبب ان تكلفة الفشل هي اقل عادة ضمن العنقود حيث توجد العديد من الفرص البديلة، وبما ان الصناعات الجديدة دائماً تعاني من نقص الخبرات والقدرات فأنها ستجد ضالتها في التجمع ضمن عناقيد صناعية، من أجل تقليل المخاطر وضمان توفر المعلومات اللازمة لأنشطتها.

ح - العناقيد تساعد في بناء الثقة بين المؤسسات:

تساعد العناقيد في بناء الثقة بين مؤسسات العناقيد والتي تعد من الامور الاساسية في آلية عمل هذه المؤسسات ونجاحها، ويمكن تحقيق ذلك من خلال وضع لغة مشتركة في ما بينها ومواجهة التحديات من خلال التحالفات وانشاء الشبكات الاجتماعية والتعاون المشترك.

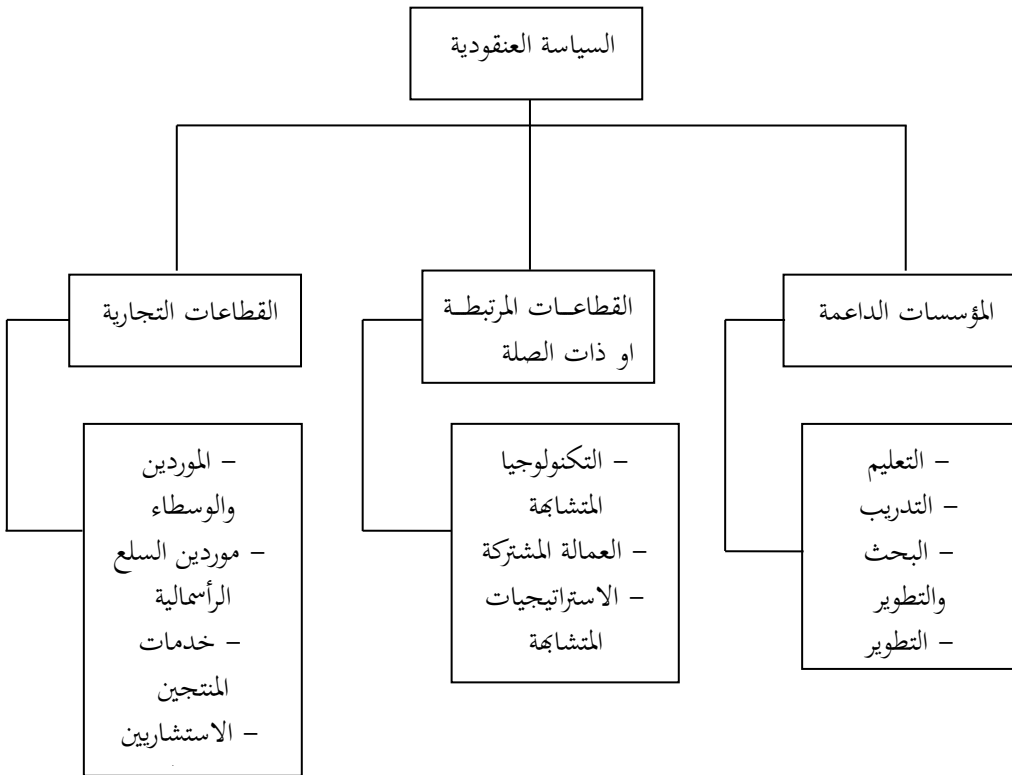
ثالثاً: الإستراتيجية المقترحة لإنشاء العناقيد الصناعية في العراق

ان التدهور الحاصل في القطاع الصناعي وقطاع المشروعات الصغيرة والمتوسطة، يدفعنا الى اعتماد اساليب واستراتيجيات من شأنها الارتقاء بهذا الواقع وعبر العناقيد الصناعية.

١- السياسة الخاصة بالعناقيد الصناعية

قبل البدء بالجانب العملي يتحتم علينا وضع تصور عن طبيعة السياسة المعتمدة لأي عنقود صناعي في البلد، والتي تمثل الاطار العام لاستراتيجية العناقيد، من اجل تحقيق وضمان نجاح تجربة العناقيد الصناعية، لأبد من ان تكون هناك سياسة تعمل على نجاح آلية العناقيد الصناعية في البلد، منطلقة من رؤيا حقيقية واهداف مرسومة بشكل واضح، وكما في الشكل الآتي:

شكل (١) السياسة الخاصة بالعناقيد الصناعية^(١٧)



يظهر من الشكل المذكور آنفاً آلية سياسة العناقيد الممكن اتباعها لضمان نجاح تجربة العناقيد، اذ يجب في البداية وضع تصور حول طبيعة القطاعات التي يقع على عاتقها تحقيق ذلك، وتحديد المؤسسات الداعمة للعنقود الصناعي وماتتضمنه من أنشطة، وكما هو وارد في الشكل ضرورة ان يكون هناك ثلاثة مراكز للسياسة تتمثل في القطاعات التجارية والتي تتمثل بموردي السلع والخدمات وايضاً موردي

السلع الرأسمالية بالإضافة الى مايقدمه المنتجين من خدمات (قطاع السلع والخدمات)، كما تشمل ايضاً الخدمات الاستشارية والخبرات الفنية بالإضافة الى جميع عقود البحث والتطوير المبرمة والتي تم تنفيذها هي قيد التنفيذ والعمل، ويمكن عد هذا القطاع بأنه المادة الخام او الأولية لسياسة العناقيد، وفي المقابل يوجد القطاعات المرتبطة او ذات الصلة والتي تشترك في السياسات والتكنولوجيا وفي المهارات واليد العاملة، ومن ثم تأتي المؤسسات الداعمة لكل هذا والتي تتمثل في الجامعات والمعاهد ومراكز البحث والتطوير والمختبرات الميدانية وتأهيل المتدربين وتطوير المهارات والقدرات البشرية. بمعنى ان سياسة العناقيد تحوي جميع هذه المجالات والقطاعات وان تضع في ذهنها تصوراً في كيفية ربط كل هذه القطاعات ضمن دائرة عمل واحدة حتى يتسنى لهذه السياسة تحقيق الاهداف المطلوبة .

٢- الجانب التطبيقي

أ- توصيف النموذج الرياضي:

سيتم في هذه الفقرة استخدام نموذج جدول المستخدم - المنتج (Input-Output Model)، الذي يهتم بدراسة مدى التشابك الحاصل بين القطاعات الاقتصادية للبلد، وان هذا التشابك ليس بالظاهرة الجديدة فقد صورها الاقتصادي (كيناي) في العام (١٧٠٨)، وقد تم تطوير هذه الصورة فيما بعد من خلال الدراسات التطبيقية المتعلقة بالترابط بين الظواهر والمتغيرات الاقتصادية والاستفادة منها^(١٨). اما انتشار هذه الجداول فيرجع الى الاقتصادي (ليونتييف) عندما نشر بحثاً عن هيكل الاقتصاد الأمريكي للمدة (١٩١٩ - ١٩٣٩)، ولأهمية هذا الموضوع فقد تم تأسيس جمعية دولية للمدخلات - المخرجات في النمسا عام (١٩٨٨)، تضم في عضويتها (١٥) مؤسسة دولية ومئات الاعضاء بصفتهم الشخصية، وتعتقد الجمعية مؤتمراً سنوياً في أحد البلدان المتقدمة او النامية، يتناول اخر المستجدات والمساهمات النظرية والتطبيقية في اساليب هذه الجداول^(١٩).

ب- فرضيات النموذج:

ان تحليل نموذج المستخدم المنتج، يستند الى عدة افتراضات مبسطة هي^(٢٠):

- ١- عدم وجود منتجات مشتركة، اي ان كل صناعة تنتج فقط سلعة واحدة متجانسة (Homogenous Commodity).
- ٢- كل صناعة تستخدم معدلاً ثابتاً للمنتج (تشتمل على عدة سلع تنتج بنسب ثابتة) لأنتاج منتجاتها.

١٨- مجيد علي حسين، عفاف عبد الجبار سعيد: الاقتصاد الرياضي، دار وائل للنشر، عمان، الاردن، ط١، ٢٠٠٠،

ص١٣٧.

١٩- Miller, R. and Blair, P: Input-Output Analysis - Foundations and Extensions, Prentice-Hall,

Inc., New Jersey, 1985, p.75

٢٠- مجيد علي حسين، عفاف عبد الجبار سعيد: مصدر سابق، ص١٣٩.

٣- ثبات نسب عناصر الانتاج، وهذا ينص على ان كل عملية انتاجية تستخدم مستلزمات انتاج بنسب ثابتة، وتزداد هذه النسب بمعدل اقل من نسب زيادة الانتاج، اذ يتضمن هذا الافتراض بأن عوامل الانتاج مكتملة لبعضها البعض، بحيث لا يمكن احلال احدهم محل الاخر ولو في مجال ضيق.

٤- يفترض بناء النموذج معرفة الطلب النهائي وثبات مستوى الاسعار.

٥- زيادة الطاقة الانتاجية في احدى القطاعات بنسب معينة تؤدي بالنتيجة الى زيادة مشترياته من القطاعات الأخرى بنفس النسبة.

ج- بناء النموذج:

ان الفكرة الاساسية في بناء هذه النماذج تعتمد على حالة التوازن بين عرض السلع والطلب عليها، ويتكون الطلب الكلي من الطلب الوسيط على منتجات قطاع معين زائداً الطلب النهائي، كما وان الطلب الوسيط ينقسم بدوره الى طلب القطاع نفسه وطلب القطاعات الاخرى^(٢١). ويشير الشكل الأتي الى شكل نموذج المستخدم- المنتج، والذي يسمى ايضاً بمصفوفة التحويلات.

شكل (٢) نموذج المستخدم- المنتج (Input- Output Model)^(٢٢)

المخرجات Output Input المداخلات	الطلب الوسيط Intermediate Demand X1 X2.....Xn	مجموع الطلب الوسيط $\sum Idi$	الطلب النهائي Final Demand Di	الطلب الكلي Total Output Xi
X1	X11 X12...X1n	Id1	D1	X1
X2	X21 X22...X2n	Id2	D2	X2
Xn	Xn1 Xn2..Xnn	Idn	Dn	Xn
الاستهلاك الوسيط Uj	U1 U2....Un	$\sum_{j=1}^n Uj$ $= \sum Idi$	$\sum_{i=1}^n Di$	$\sum_{i=1}^n Xi$
القيمة المضافة Surplus Value	V1 V2..... Vn	$\sum_{j=1}^n Vj$	$\sum_{i=1}^n Di$ $= \sum_{j=1}^n Vi$	

٢١- عدنان كريم نجم الدين: الاقتصاد الرياضي، دار وائل، عمان، الاردن، ط٣، ٢٠٠٩، ص١١١.

٢٢- المصدر: عدنان كريم نجم الدين: الاقتصاد الرياضي، دار وائل، عمان، الاردن، ط٣، ٢٠٠٩، ص١١١.

اجمالي الانتاج X_1	$X_1 X_2 \dots X_n$	$\sum_{j=1}^n X_j$	$\sum_{i=1}^n X_i$

والجدول اعلاه يبين ان المخرجات او الناتج الكلي يساوي المدخلات او الطلب الكلي والذي ينقسم الى قسمين هما الطلب الوسيط الذي يمثل طلب القطاعات الاقتصادية بالاضافة الى الطلب النهائي، اما المدخلات في العملية الانتاجية فتتمثل بمساهمة كل من القطاعات الاقتصادية المختلفة في تكوين الناتج الكلي بالاضافة الى قيمة قوة العمل الداخلة في العمليات الإنتاجية والتي تندمج مع القيمة المضافة لاغراض التبسيط^(٢٣).

ويلاحظ ايضاً من الجدول مايلي:

١- ان X_{11} تمثل مايقدمه القطاع X_1 لنفسه وتمثل X_{12} مايقدمه القطاع X_1 الى القطاع X_2 وهكذا، اي الصف الأفقي للقطاع X_1 يمثل مايقدمه هذا القطاع لبقية القطاعات والعكس عمودياً يمثل مايتجناه القطاع X_1 من بقية القطاعات، اذ X_{21} تمثل مايتجناه القطاع X_1 من القطاع X_2 لإنتاج X_1 وهكذا لبقية القطاعات.

٢- الطلب الوسيط = الاستهلاك الوسيط أي إن:

$$\sum_{i=1}^n I_{di} = \sum_{j=1}^n U_j$$

٣- القيمة المضافة = الطلب النهائي أي إن:

$$\sum_{j=1}^n V_j = \sum_{i=1}^n F_{Di}$$

٤- العرض الكلي = الاستهلاك الوسيط + القيمة المضافة أي إن:

$$\sum X_j = \sum_{j=1}^n U_j + \sum_{j=1}^n V_j$$

ما تجدر الاشارة اليه ان هناك استخدامات عديدة ومهمة لجداول المستخدم- المنتج غير معرفة درجة وقوة الترابط القطاعي والعلاقات الاقتصادية بين القطاعات، اذ يستخدم في مجالات اخرى كالتنبؤ وتحليل

وتخطيط الهيكل الاقتصادي فيما يتعلق بتقدير الانتاج الكلي اللازم لاشباع طلب نهائي معين وفي تقويم المشروعات وتقدير الاسعار وغيرها^(٢٤).

وفي العراق فأن أول جدول مستخدم منتج تم اعداده كان للسنوات (١٩٦٠ - ١٩٦٢)، من قبل الدكتور (طه الكنعان)، بعدها قام الجهاز المركزي للاحصاء باعداد سلسلة جداول اولها كان (١٩٦٨)، ثم بدأت سلسلة مجموعة (١٩٧٦ - ١٩٧٨ - ١٩٨٦ - ١٩٨٨)، واصدر الجهاز المركزي للاحصاء بعد توقف طويل لجداول المستخدم المنتج، جدولاً في العام (٢٠١٠)، كانت ابرز نتائجه، هو ان قيمة الإنتاج المحلي حسب الأنشطة الاقتصادية للطلب الوسيط بسعر المشتري بلغت (١٩٩٥٥٦,١) مليار دينار، وقد بلغت القيمة المضافة حسب الأنشطة الاقتصادية للطلب الوسيط بسعر المنتج (١٣٣٣١٣,٨) مليار دينار، وبلغ الناتج المحلي الإجمالي بسعر المنتج (١٥٨٩١٧,٨) مليار دينار والتي تساوي القيمة المضافة للطلب الوسيط مضافاً إليه القيمة المضافة للإنفاق العائلي والحكومي، كما بلغ مجموع الطلب الوسيط (٦٦٢٤٢,٣) مليار دينار في حين بلغ الطلب النهائي (١٧٧١٩٤,١) مليار دينار والذي يشمل كلاً من (الإنفاق العائلي، الإنفاق الحكومي، الصادرات، إجمالي تكوين رأس الثابت، التغير في الخزين). بلغت نسبة الطلب الوسيط إلى الطلب الكلي (٢٧,٢%) في حين بلغت نسبة الطلب النهائي إلى الطلب الكلي (٧٢,٨%) وبالرجوع إلى مصفوفة المعاملات الفنية للجدول نجد أن الجدول يظهر حالة التشابك العشوائي بين الأنشطة الاقتصادية وهو احد أنواع التشابك المختلفة لكون هناك خلايا كثيرة في الجدول خالية من القيم، وعند احتساب درجة التشابك في مصفوفة المعاملات الفنية نجد أنها بلغت (٥٦,٤%) وهي قريبة من درجة التشابك في مصفوفات المعاملات الفنية للجداول السابقة، في حين اظهر الجدول لسنة (٢٠١٠)، ان هناك ثلاثة أنشطة لها ترابطات خلفية قوية مع كل الأنشطة الاقتصادية وهذا يعني أنها تباع إنتاجها إلى كل الأنشطة الأخرى وهذه الأنشطة هي (تصفية النفط، الكهرباء والغاز والمياه، النقل والتخزين والاتصال)، أما عن الترابطات الأمامية للأنشطة الاقتصادية فالجدول بين أن نشاطي صناعة منتجات طحن الحبوب والنشا ونشاط صناعة منتجات المعادن اللافلزية احتلا المرتبة الأولى من حيث ارتباطهما بأكبر عدد من الأنشطة الاقتصادية أي أنها تشتري مستلزماتها من تلك الأنشطة يليهما نشاط صناعة المنتجات الكيماوية بالمرتبة الثانية أما المرتبة الثالثة فكانت من نصيب صناعة المشروبات والتبغ والسكاير^(٢٥).

ومن بيانات جدول المستخدم - المنتج للعام (٢٠١٠)، سنجد الارتباطات الامامية والخلفية المباشرة وغير المباشرة وباستخدام نموذج المستخدم - المنتج ولعينة من الصناعات للعام (٢٠١٠)، من اجل معرفة أي الصناعات مؤهلة لأن تشكل عنقوداً صناعياً، وشملت العينة جميع عدد من الصناعات المتشابهة في صناعة واحدة ليشمل ثلاث صناعات مختلفة صغيرة ومتوسطة وهي كالآتي:

١ - صناعة المواد الغذائية والمشروبات.

٢٤- باسل احمد خلف: استخدام نموذج المستخدم- المنتج في بناء الخطة الاقتصادية باستخدام الحاسوب، مجلة المخطط والتنمية، ع ١٦٦، ٢٠٠٧، ص ٧٢.

٢٥- الجهاز المركزي للاحصاء: إحتفالية إطلاق جدول المستخدم ٢٠١٠، على الموقع الالكتروني: <http://www.cosit.gov.iq/ar/national-accounts-news>

٢- صناعة المنسوجات، خياطة الملابس، تهئية وصبغ الفراء، دبغ وتهئية الجلود، صناعة حقائب الأمتعة وحقائب اليد والسروج والأحذية.

٣- صناعة المواد والمنتجات الكيماوية، صناعة منتجات المطاط واللدائن، صناعة منتجات المعادن اللافلزية الأخرى، صناعة الفلزات القاعدية، صناعة منتجات المعادن المركبة باستثناء المكائن والمعدات وصناعة الآلات والمعدات غير المصنفة بمحل آخر، وسيتم التعويض عن الصناعات بالمعاملات (X1,X2,X3) وعلى التوالي للتبسيط. ومن خلال بيانات قيمة الإنتاج وبيانات مستلزمات الإنتاج الخاص بالصناعات الثلاث للعام (٢٠١٠)، فأن شكل نموذج المستخدم - المنتج سيكون كالآتي:

جدول (١) نموذج المستخدم - المنتج لعينة من الصناعات الصغيرة والمتوسطة في العراق للعام ٢٠١٠. (٢٦)

الطلب الكلي Xi	الطلب النهائي Fd	مجموع الطلب الوسيط Id	X3	X2	X1	Out put/ Inpu t
10240336 58	1020162811	3870847.2 3	1761337 .89	122884. 039	1986625 .3	X1
15276992 0	82822378.8 89	69947541. 111	78218.1 9904	4143578 5.402	2843353 7.51	X2
20437433 63	502065994. 5	154167736 8.5	1024344 611	3517486 70.21	1655840 87.27	X3

٢٦- المصدر:

- المجموعة الاحصائية للعام ٢٠١٠.
- الجهاز المركزي للإحصاء: جدول المستخدم - المنتج في العراق للعام ٢٠١٠.

الاسته لاك الوسيط Uا	1960042 50.08	3933073 39.65	1026184 167.1	161549575 6.8	$\sum Fd$ = 1605051	$\sum Xi$ = 3220546
القيمة المضا فة Vj	8280294 07.92	- 2405374 19.6	1017559 195.9		$\sum Vj$ = 160505118	
العر ض الكلي Xj	1024033 658	1527699 20	2043743 363	$\sum Xj$ = 3220546		

ومن أجل حساب المعاملات الفنية ومعرفة الارتباطات الأمامية والخلفية المباشرة وغير المباشرة، نستخرج مصفوفة المعاملات الفنية (A) من الجدول (١٩)، ومن خلال قسمة إنتاج كل صناعة على الطلب الكلي وكمثال لذلك، $a_{11} = X_{11}/X_1$ أي $1986625.3/1024033658$ ، لنحصل على مصفوفة المعاملات الفنية (A) وكالاتي:

$$A = \begin{bmatrix} 0.00194 & 0.00012 & 0.00172 \\ 0.18612 & 0.27123 & 0.000512 \\ 0.08102 & 0.17211 & 0.50121 \end{bmatrix}$$

وبعد استخراج مصفوفة المعاملات الفنية (A)، نحسب الارتباطات، وكالاتي:

أولاً: الارتباطات المباشرة (Direct Links): وتنقسم الى:

١- الارتباطات الخلفية المباشرة (Direct Back Links): والتي يقصد بها مقدار ما يحتاجه القطاع او الصناعة X1 من باقي القطاعات او الصناعات الاخرى، وتستخرج وفقاً للصيغة الآتية:

$$DBL = \sum_j^n a_{ij}$$

حيث أن:

$$a_{ij} = X_{ij}/X_j$$

$$1- DBL1 = \sum_1^3 a_{i1} = 0.00194 + 0.1812 + 0.08102 = 0.26908$$

$$2- DBL2 = \sum_2^3 a_{i2} = 0.00012 + 0.27123 + 0.17211 = 0.44346$$

$$3- DBL3 = \sum_3^3 a_{i3} = 0.00172 + 0.000512 + 0.50121 = 0.503442$$

وعليه يكون ترتيب الصناعات من حيث الارتباطات الخلفية المباشرة كالاتي:

جدول (٢) الارتباطات الخلفية المباشرة لعينة من الصناعات الصغيرة والمتوسطة في العراق للعام (٢٠١٠)

Industries	DBL	Rank
X1	0.26908	3
X2	0.44346	2
X3	0.503442	1

٢- الارتباطات الأمامية المباشرة (Direct Forward Links): ويقصد بها مقدار مايقدمه القطاع او الصناعة X1 الى باقي القطاعات او الصناعات الاخرى، وتستخرج وفقاً للصيغة الآتية:

$$DFL = \sum_i^n b_{ij}$$

حيث ان:

$$b_{ij} = X_{ij}/X_i$$

ومن خلال مصفوفة المعاملات الفنية (A)، نحصل على الارتباطات الأمامية المباشرة، وكالاتي:

$$1- DFL1 = \sum_{j=1}^3 b_{1j} = 0.00194 + 0.00012 + 0.00172 = 0.00378$$

$$2- DFL2 = \sum_{j=1}^3 b_{2j} = 0.18612 + 0.27123 + 0.000512 = 0.457862$$

$$3- DFL3 = \sum_{j=1}^3 b_{3j} = 0.08102 + 0.17211 + 0.50121 = 0.75434$$

وعليه يكون ترتيب الصناعات وفقاً للارتباطات الأمامية المباشرة، كالاتي:

جدول (٣) الارتباطات الأمامية المباشرة لعينة من الصناعات الصغيرة والمتوسطة في العراق للعام (٢٠١٠)

Industries	DFL	Rank
X1	0.00378	3
X2	0.457862	2
X3	0.75434	1

مما تقدم أعلاه، يبدو واضحاً أن صناعة المواد والمنتجات الكيماوية، صناعة منتجات المطاط واللدائن، صناعة منتجات المعادن اللافلزية الأخرى، صناعة الفلزات القاعدية، صناعة منتجات المعادن المركبة باستثناء المكائن والمعدات وصناعة الآلات والمعدات غير المصنفة بمحل آخر والمعبر عنها بـ (X3)، حصلت على أكبر ارتباط خلفي وأمامي مباشر.

ثانياً: الارتباطات غير المباشرة (Indirect Links): وتنقسم الى:

١- الارتباطات الخلفية غير المباشرة (Indirect Back Links): وتستخرج وفقاً للصيغة الآتية:

$$IDBL = \sum_{i=1}^n c_{ij}$$

حيث ان:

$$cij = (I-A)^{-1}$$

$$= adj(I-A)/|I-A|$$

$$A = \begin{bmatrix} 0.00194 & 0.00012 & 0.00172 \\ 0.18612 & 0.27123 & 0.000512 \\ 0.08102 & 0.17211 & 0.50121 \end{bmatrix}$$

$$(I-A) = \begin{bmatrix} 1 & 0 & 0 \\ 0 & 1 & 0 \\ 0 & 0 & 1 \end{bmatrix} - \begin{bmatrix} 0.00194 & 0.00012 & 0.00172 \\ 0.18612 & 0.27123 & 0.000512 \\ 0.08102 & 0.17211 & 0.50121 \end{bmatrix}$$

$$= \begin{bmatrix} 0.99806 & -0.00012 & -0.00172 \\ -0.018612 & 0.72877 & -0.000512 \\ -0.08102 & -0.17211 & 0.49879 \end{bmatrix}$$

$$\alpha_{ij}(I-A) = \begin{bmatrix} 0.363 & 0.0928 & 0.09107 \\ 0.000355 & 0.4976 & 0.17177 \\ 0.00125 & 0.000831 & 0.7273 \end{bmatrix}$$

$$(I-A)^{-1} \text{ adj} = \alpha_{ij}(I-A) = \begin{bmatrix} 0.363 & 0.000355 & 0.00125 \\ 0.0928 & 0.4976 & 0.000831 \\ 0.09107 & 0.17177 & 0.7273 \end{bmatrix}$$

$$(I-A)^{-1} = \frac{adj(I-A)}{|I-A|} = \frac{\begin{bmatrix} 0.363 & 0.000355 & 0.00125 \\ 0.0928 & 0.4976 & 0.000831 \\ 0.09107 & 0.17177 & 0.7273 \end{bmatrix}}{0.362}$$

$$cij = (I-A)^{-1} = \begin{bmatrix} 1.0027 & 0.00098 & 0.0034 \\ 0.2563 & 1.3745 & 0.0022 \\ 0.2515 & 0.4745 & 2.0091 \end{bmatrix}$$

ومن خلال مصفوفة cij، نستخرج الارتباطات الخلفية غير المباشرة وكالاتي:

$$1- IDBL1 = \sum_{i=1}^3 ci1 = 1.0027 + 0.2563 + 0.2515 = 1.5105$$

$$2- IDBL2 = \sum_{i=1}^3 ci2 = 0.00098 + 1.3745 + 0.4745 = 1.84998$$

$$3- IDBL3 = \sum_{i=1}^3 ci3 = 0.0034 + 0.0022 + 2.0091 = 2.0147$$

وعليه يكون ترتيب الصناعات وفقاً للارتباطات الخلفية غير المباشرة كالاتي:

جدول (٤) الارتباطات الخلفية غير المباشرة لعينة من الصناعات الصغيرة والمتوسطة في العراق للعام

(٢٠١٠)

Industries	IDBL	Rank
X1	1.5105	3
X2	1.84998	2
X3	2.0147	1

٢- الارتباطات الأمامية غير المباشرة (Indirect Forward Links): وتستخرج وفقاً للصيغة الآتية:

$$IDFL = \sum_{j=1}^n oij$$

حيث ان:

$$oij = (I-A)^{-1}$$

$$= adj(I-A)/|I - A|$$

ومن خلال مصفوفة $(I-A)^{-1}$ ، نستخرج الارتباطات الأمامية غير المباشرة وكالاتي:

$$1- IDFL1 = \sum_{j=1}^3 o1j = 1.0027 + 0.00098 + 0.0034 = 1.00708$$

$$2- IDFL2 = \sum_{j=1}^3 o2j = 0.2563 + 1.3745 + 0.0022 = 1.633$$

$$3- IDFL3 = \sum_{j=1}^3 o3j = 0.2515 + 0.4745 + 2.0091 = 2.7351$$

وبهذا يكون ترتيب الصناعات وفقاً للارتباطات الأمامية غير المباشرة كالاتي:

جدول (٥) الارتباطات الأمامية غير المباشرة لعينة من الصناعات الصغيرة والمتوسطة في العراق للعام

(٢٠١٠)

Industries	IDFL	Rank
X1	1.00708	3
X2	1.633	2
X3	2.7351	1

مما سبق يظهر لنا وبعد معرفة الارتباطات الخلفية والأمامية غير المباشرة لكل صناعة، يظهر لنا صناعة المواد والمنتجات الكيماوية، صناعة منتجات المطاط واللدائن، صناعة منتجات المعادن اللافلزية الأخرى، صناعة الفلزات القاعدية، صناعة منتجات المعادن المركبة باستثناء المكائن والمعدات وصناعة الآلات والمعدات غير المصنفة بمحل آخر والمعبر عنها بـ (X3)، حصلت أيضاً على أكبر ارتباط خلفي وأمامي غير مباشر.

وعليه نقترح تشكيل عناقيد صناعية للصناعات المذكورة، كما نرى إمكانية إقامة عناقيد صناعية لهذه الصناعات في كل من محافظات بغداد، النجف، الموصل، البصرة وكربلاء، كونها تملك أكثر عدد من المشروعات الصناعية في هذا المجال وكما هو مبين في الجدول الآتي:

جدول (٦) المشروعات الصناعية الكيماوية والمعدنية في مجموعة من المحافظات العراقية للعام (٢٠١٦) (٢٧)

المحافظة	المشروعات الصناعية الكيماوية	المشروعات الصناعية المعدنية
بغداد	١٤١٤	١٧٣٩
الموصل	١١٣	٢٠٦
النجف	١٠٤	٤٥٥
البصرة	٩٤	٣٨٨
كربلاء	٩١	١٥٣

الاستنتاجات والتوصيات

أولاً - الاستنتاجات:

لقد تمخض لنا من البحث الاستنتاجات التالية:

١- تعد العناقيد الصناعية من المفاهيم الحديثة في التنمية الصناعية وفي نظريات التوطن الصناعي، والتي أخذت أبعادها ومفهومها من خلال كتابات (مايكل بورتر) في الميزة التنافسية، والتي بين من خلالها بأنها مجموعة صناعات متقاربة جغرافياً تعمل مع بعضها البعض على اساس التعاون المشترك فيما بينها وبين مجموعة من المؤسسات الداعمة العامة والخاصة وتقوم على اساس التخصص والابتكار من اجل تطوير قدرات منتجاتها التنافسية .

٢- على الرغم من توضيح (بورتر) لماهية العناقيد ومن جاء بعده، الا انه دائماً ما لا يتم التمييز بينها وبين ما يعرف بالمجمعات او المناطق الصناعية، وهذا يعود الى عدم التعمق في هذا المفاهيم والرجوع الى جذورها ونشأتها

٣- توصل البحث الى نموذج مستخدم - منتج لعينة من الصناعات الصغيرة والمتوسطة في العراق للعام (٢٠١٠)، من خلال تجميع عدد من الصناعات المتشابهة وتنظيمها في ثلاث صناعات، هي صناعة المواد الغذائية والمشروبات وصناعة المنسوجات وصناعة خياطة الملابس، تهيئة وصبغ الفراء، دبغ وتهيئة الجلود، صناعة حقائب الأمتعة وحقائب اليد والسروج والأحذية، بالإضافة الى صناعة المواد والمنتجات الكيماوية، صناعة منتجات المطاط واللدائن، صناعة منتجات المعادن اللافلزية الأخرى، صناعة الفلزات القاعدية، صناعة منتجات المعادن المركبة باستثناء المكائن والمعدات وصناعة الآلات والمعدات غير المصنفة بمحل آخر.

٤- تم حساب قيم الارتباطات الخلفية والامامية المباشرة وغير المباشرة، للتوصل الى أي الصناعات أكثر ارتباطاً بباقي الصناعات، وحصلت صناعة المواد والمنتجات الكيماوية، صناعة منتجات المطاط واللدائن، صناعة منتجات المعادن اللافلزية الأخرى، صناعة الفلزات القاعدية، صناعة منتجات المعادن

المركبة باستثناء المكائن والمعدات وصناعة الآلات والمعدات غير المصنفة بمحل آخر، على اكبر الارتباطات مقارنة بباقي الصناعات .

ثانياً - التوصيات:

يوصي الباحث بالآتي:

١- ضرورة ان يكون هناك اهتمام من قبل الاقتصاديين بمفاهيم واستراتيجيات التوطن الصناعي وان تدخل ضمن مفردات التنمية الاقتصادية ومناهجها، مع التأكيد على أهمية التنمية الصناعية التي اغلب الجهود الأخيرة سواء على مستوى البحوث او الدراسات في مستوى الماجستير والدكتوراه باتت بعيدة عنها.

٢- من أجل ضمان نجاح تجربة العناقيد الصناعية في العراق، لذا نقترح انه يجب عقد المزيد من الندوات والمؤتمرات والاطلاع على تجارب الدول واساليبها المتبعة في هذا الجانب .

٣- ان فكرة العناقيد الصناعية تعمل ضمن اطار فكرة الاقتصاد المعرفي او الرقمي، وبالتالي هي جزء من منظومة الاقتصاد المعرفي لأن اساس نجاح العناقيد الصناعية واستمراريتها قائم على فكرة الابتكار وهذا الأخير لايمكن له النجاح ولا ان يولد الا في ظروف بيئية تُعنى بالمعرفة والتكنولوجيا .

٤- من الضروري أن تفكر وزارة الصناعة والمعادن بأن يكون لها أرشيف من الدراسات البحثية او مكتبة خاصة او ان تقوم بتشكيل قسم بحثي خاص يعمل على اعداد الأبحاث النظرية واقامة الدراسات البحثية، اذ لا توجد في الوزارة اي دراسات او ابحاث او ترجمة لأبحاث حول مفاهيم واستراتيجيات التوطن الصناعي، علماً انه حتى المجلة الخاصة بالوزارة قد توقفت، ناهيك عن صعوبة الحصول على أي بيانات او معلومات الا بعد موافقة الجهات العليا في الوزارة، اذ تفتقر الوزارة الى مثل هكذا دراسات او ابحاث نظرية بهذا الجانب .

٥- كما نقترح تشكيل مجلس او هيئة خبراء ومستشارين صناعيين مستقلة في البلد ولها فروع في جميع المحافظات، مع ضرورة ان تحتوي على اقسام خاصة بالأبحاث والابتكارات والبحوث وتطوير الانتاج والقدرة التنافسية للمنتجات والتشابك والترايط الصناعي والقطاعي، وان يكون لها تمويل مستقل ومفتوح تأخذ على عاتقها ايضا الاشراف والمتابعة والتقييم لكافة المشروعات الصناعية حتى فيما يتعلق بالبت والموافقة على هذه المشروعات وعلى نوعية الاستثمارات الصناعية المطلوبة.

المصادر

- ١- باسل احمد خلف: استخدام نموذج المستخدم- المنتج في بناء الخطة الاقتصادية باستخدام الحاسوب، مجلة المخطط والتنمية، ١٦٤، ٢٠٠٧.
- ٢- الجهاز المركزي للإحصاء: إحتفالية إطلاق جدول المستخدم ٢٠١٠.
- ٣- حباينة محمد: دور الرأسمال الهيكلي في تدعيم الميزة التنافسية للمؤسسة الجزائرية، اطروحة دكتوراة منشورة على الانترنت، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير، جامعة الجزائر، ٢٠١٢.

- ٤ - خبابة صهيب: دور المناطق الصناعية في تحقيق التنمية المستدامة في المنطقة الاورو مغربية، دراسة مقارنة بين فرنسا والجزائر، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير، جامعة فرحات عباس سطيف ١، الجزائر، ٢٠١٢.
- ٥ - رضا بهجت امين: تأثير العناقيد الصناعية على التنمية الصناعية في مصر (دراسة تطبيقية على صناعة الاثاث في مصر)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة حلوان، كلية التجارة وادارة الاعمال، ٢٠١٠.
- ٦ - زايري بلقاسم: العناقيد الصناعية كاستراتيجية لتطوير المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في الجزائر، مجلة العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، ٧٤، ٢٠٠٧.
- ٧ - عبود رزق، تواتية الطاهر: العناقيد الصناعية كاستراتيجية لتعزيز القدرة التنافسية للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة في الجزائر، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة، ٤١٤، ٢٠١٤.
- ٨ - عدنان كريم نجم الدين: الاقتصاد الرياضي، دار وائل، عمان، الاردن، ٣، ١٩٩٩.
- ٩ - مجيد علي حسين، عفاف عبد الجبار سعيد: الاقتصاد الرياضي، دار وائل للنشر، عمان، الاردن، ١، ٢٠٠٠.
- ١٠ - المديرية العامة للتنمية الصناعية في العراق:
<http://www.gdid.gov.iq/index.php?name=map>
- ١١ - down.cenet.org.cn
- ١٢ - المجموعة الاحصائية للعام ٢٠١٠.
- ١٣ - Association Of Government: What are Industrial Clusters, San Diego, 2011.
- ١٤ - Brown & Others: Towards a New Conceptualization of Clusters, Please consult authors, Sydney, Australia, 2007.
- ١٥ - David L. Barkley, Mark S. Henry: Advantages & Disadvantages of Targeting Industry Clusters, Clemson University, Clemson, South Carolina, 2001.
- ١٦ - Guru raj: Entrepreneurship & Industrial Clusters, Global Journal of Multidisciplinary Studies, Volume 4, Issue 03, 2015.
- ١٧ - Manuel Portugal Ferreira & others: Impact of Cluster on the Innovation Output & the Appropriation of Rents from Innovation, Journal of Technology Management & Innovation, volume 7, Issue 4, 2012.
- ١٨ - Mary jo waits: The Added Value Of The Industry Cluster, Approach To Economic Analysis, strategy development, and service Delivery, economic development Quarterly, vol. sage publications, no1, 2000.

- Michael E. Porter: Clusters & the New Economics of Competition, -١٩
Harvard Business Review, 1998.
- Miller, R. and Blair, P: Input-Output Analysis - Foundations and -٢٠
Extensions, Prentice-Hall, Inc., New Jersey, 1985.
- Mohammad Hosein Tavassoli: Exploring The Critical Success Factors of -٢١
Industrial Clustering, Linkopings University, Department of management &
Engineering, 2009, p17-19.
- Rachel V. Smith: Industry Cluster Analysis: Inspiring a Common Strategy -٢٢
for Development, Central Pennsylvania Workforce Development Corporation
Lewisburg, PA, 2009.
- The UNIDO Programmers: Development of Clusters & Networks of -٢٣
SMEs, Vienna, 2001.
- Timothy F. Slaper: Clustering Occupations, Indiana Business Review, -٢٤
2014.

صورة المكان الروائي عند سهيل إدريس باريس في رواية الحي اللاتيني

أنموذجاً

Picture of story place in Suhail Idris Novel Tripl The case of Paris image in "Al Hay Allatini "novel

Dr.Abdullah Hosseini

أ.م.د.د.عبدالله حسيني^(١)

Dr.Hooman Nazemian

أ.م.د.هومن ناظميان^(٢)

الملخص

اصطبغت الحياة الباريسية في روايات سهيل إدريس بالأخص في الحي اللاتيني حياة المجون والفرح والمقاهي الباريسية العريقة والنساء العاريات التي تشكل منعطفاً خطيراً في حياة العرب المهاجرين الى باريس للدراسة. وكان الأولى بالروائي اللبناني العريق أن ينتقد تلك الحياة الماجنة التي لا تتلاءم وحياة الانسان العربي المحافظ.

كما وتأثرت روايات سهيل إدريس بمناخ باريس الممطر والكئيب في فصل الخريف والذي يملئ قلوب اشخاصه كآبة وتبعث فيهم الغربة فيرتقبون يوم عودتهم الى بلادهم ويحسدون من يعود الى بلاده بلاد الشمس والرييح والخريف الدافئ. ويمكننا أن نقول أن وصف جمال باريس ونساء باريس و بيئتها على أساس رؤية البطل الإدريسي وصف يغلب عليه نوع من عقدة النقص أمام الغرب ولاسيما باريس.

١ - ايران / جامعة الخوارزمي / كلية الاداب والعلوم الانسانية

٢ - ايران / جامعة الخوارزمي / كلية الاداب والعلوم الانسانية.

Abstract

The purpose of this paper is to examine the image of the city in a novel triple Suhail Idris, contemporary Lebanese author who wrote novels and stories of his term because he has a special place among contemporary scholars and fiction. Tale of a romantic life and the Al Hay Allatini that traces the events during the Suhail Idris Al Hay Allatini in Paris tells and has significant impact on the lives of this lebananese literary scholar and the novel of Al Hay Allatini which represents the return of Arab intellectual life of Paris in the heart of the political, social, Lebanon. This paper examines the effects of images of Paris in the famous story Suhail Idris, the Al Hay Allatini explains. Also we study the world Al Hay Allatini hero to Paris as the city of light and beauty and one of the manifestations of Western Civilization in contemporary Arabic literature and we study thematic and semiotic story trying to study the evolutionary the criticism of the approach.

المقدمة

اتجهت تلك الدراسة للتأمل في جزئية من جزئيات النقد الأدبي الحديث في دراسة (صورة المكان الروائي في ثلاثية سهيل إدريس، صورة باريس في رواية الحي اللاتيني إنموذجا). تعدّ الرواية العربية المعاصرة بحراكها على العناصر العديدة من الأماكن الجديدة وصورها و شخصياتها و وجهات نظر مختلفة من الأبطال العديدة تتبلور في الأمكنة القصصية، فكل هذه العناصر تستحق أن تكون موضوعاً خاصاً ومتفرداً بذاته للدراسة بسبب أهميته بين عناصر الرواية، ولقد حصل المكان الروائي على أهمية خاصة عند النقاد والباحثين وكثرت البحوث في موضوعاته وصوره وكيفية تقديمه إلى القارئ وإلقاء الأفكار المتعددة الشخصية إليه. اتخذت دراستنا سبيلاً للتحقيق وهو: التحليل المضموني وفي كل البحث كان التركيز على صورة باريس في رواية الحي اللاتيني.

ولعل أهم أسباب إختيار المكان الباريسي لتلك الرواية يتمحور في الآتي:

١. يبدو أن أهم خصائص المكان الروائي في رواية الحي اللاتيني هي أن باريس مكان روائي واسع و مفتوح وفيها شخصيات و أماكن كبيرة و صغيرة تشتمل على المسارح والمطاعم والسينما والجامعات و مراكز العلم والأسواق والشوارع و هذا المكان ليس مكان خيالي بل مكان واقعي وصفه سهيل إدريس واقعياً كما يكون، وبما أن هذه الرواية، رواية رومانتيكية يظهر المكان الباريسي فيها معبراً عن نفسية الشخصيات الشرقية والغربية فيها.

٢. يبدو أن باريس انفردت ببعض الأوصاف من أمثال الحضارة وتعدد الحضارات والعلم والمعرفة والأبنية المرتفعة الكبرى والسماء الداكنة والطقس الحزين والمطاعم والساحات الجميلة والنساء العاريات

الغربية والمتاحف الثقافية ومملوءة بالمسارح الغربية وقصور الملوك المدهشة. وهذه تبدو حتى في العنوان الروائي لسهيل إدريس "الحي اللاتيني" الذي يدلّ كمجاز جزء على الكل على مكان إقامة الطلبة الأجانب في باريس الذين يعجبون خلال صفحات الرواية بمظاهر باريس الجميلة والمخالعية والعلمية مثل جامعة السوربون.

٣. يبدو أن البطل الإدريسي شديد التأثر ببيئة باريس وصور الحياة الغربية فيها لذلك يصور البطل باريس كمدينة التحرير من القيود الشرقية ومدينة الجمال والعلم والتقدم. ويمكننا أن نقول أن وصف جمال و تقدم ونساء باريس و بيئتها على أساس رؤية البطل الإدريسي وصف يغلب عليه نوع من عقدة النقص أمام الغرب ولاسيما باريس.

من هنا يتجسّد مسوّغ علمي للتأمل في هذا الموضوع على وفق دراسة وصفية تحليليّة تضمّنت الاجابة على الاسئلة الاتية:

١. ماهي أهم خصائص المكان الروائي(قصدا باريس) في رواية الحي اللاتيني لسهيل إدريس؟
 ٢. ما هي أهم أوصاف انفردت بها باريس وأماكنها الحضرية في رواية الحي اللاتيني لسهيل إدريس؟
 ٣. كيف يصور البطل الإدريسي تجليات المكان الروائي(باريس) في رواية الحي اللاتيني؟
- كل هذه الأسئلة تشغلنا لكي نسعى هذا البحث للإجابة عنها لنقدم إسهاما في الدراسات الأدبية المعاصرة.

وأسلمنا تحقيق هدف الدراسة إلى اتباع عدة مناهج لمناسبتها لنوع البحث واستعنا بالاستقراء والاستنتاج لطبيعة المادة العلمية منها التزاوج بين منهج التحليل المضموني ومنهج التحليل البنوي التكويني الذي يهتم بدراسة أثر البيئة على النص و دراسة رؤية الشخصية الروائية إلى العالم وهو الكاتب نفسه. كما استخدمنا المنهج السيميائي في تحليل عنوان الرواية كأحد رموز النص الروائي الإدريسي وعن طريقه استطعنا تفكيك رمز العنوان الروائي للحي اللاتيني ولذلك بمزج هذه المناهج النقدية نقرب في هذا البحث المنهج التكاملي.

وقد حددنا عينات البحث في هذه المقالة على عينة واحدة وهي رواية الحي اللاتيني لسهيل إدريس الكاتب اللبناني. إن الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع تتوزع على نوعين: ذاتية وموضوعية. فالذاتي منها هو حبنا الشديد للدراسة والبحث في الروايات المعاصرة العربية وعناصرها وصور الأماكن والشخصيات والأزمنة فيها، والدوافع الموضوعية هي: الاشتياق لقراءة الروايات العربية المعاصرة باعتبارها نوع أدبي جديد وممتاز والمحاولة على فهم خصائصها وعناصرها الروائية ومضامينها.

ويجدر بنا أن نصرح أنها قليلة تلك الأقلام التي تناولت صورة باريس في الرواية العربية المعاصرة و تناولت الكاتب بالدراسة، والتحليل النقدي الجديد في المقالات والكتب، إلا أن هذه الدراسات في معظمها موجزة، إما أن أصحابها كانوا يركزون على دراسة سيرته الشخصية، وعلاقاته الاجتماعية، ومسيرة حياته الأدبية، وإما أنهم يركزون على بعض الجوانب النقدية الاجتماعية. منهم د.عبدالله حسيني مشتركاً مع د.حامد صدقي الذي تناول في مقالته: "مشكلة الاغتراب الروائي في المكان الضد؛ قراءة في

رواية الحي اللاتيني أنموذجاً^(٣)، الجوانب الاغترابية الاجتماعية التي حدثت للبطل الإدريسي خلال حضوره في باريس في رواية الحي اللاتيني ومنهم: خليل الشيخ: "باريس في الأدب العربي الحديث دراسة نقدية في اشكالية العلاقة بين المركز

والأطراف" في القسم الأكبر من بحثه إلى باريس وأثرها على الأدب العربي الحديث على جميع المستويات، السياسية منها والاجتماعية والثقافية والحضارية. وحامد التّسّاج الذي تناول في إحدى فصول دراسته "بانوراما الرواية العربية الحديثة" أبعاد الفكر الوجودي في روايات سهيل إدريس وإبراهيم السعافين الذي تناول في فصل من دراسته "تطور الرواية العربية في بلاد الشام" روايات سهيل إدريس بصفتها نمط من الروايات الفردية، المعرفة في الذاتية والمعزولة عن الظروف الاجتماعية والمعطيات التاريخية. ولعل هذه العناوين استعنت بقراءتها ودراساتها بما شجعتني للمحاولة والاستمرار في بحثي الجديد. لذلك بعد متابعتنا للاهتمام النقدي والفكري بفكرة باريس في الروايات العربية اللبنانية المعاصرة لم نعتز على موضوع يتناول صورة باريس في رواية الحي اللاتيني موضوعياً وفكرياً ومضمونياً.

وقد إقتضت ضرورة البحث تقسيمه على ثلاثة مباحث تضمن المبحث الأول سهيل إدريس حياته وأدبه، أما المبحث الآخر فتضمّن ملخص رواية الحي اللاتيني ونقد العنوان والغلاف وتجسّد المبحث الثالث خلال صورة باريس في رواية الحي اللاتيني ولعلّ في ذاك البحث فيه ما ينفع الباحثين.

المبحث الأول: أسمه وولادته:

ولد سهيل إدريس في بيروت (حي الخندق الغميق) سنة ١٩٢٣ من أب تاجر يرتدي الزي الديني كما يقول نفسه: ولدت في بيروت يوم السابع والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٢٣، ولكن تذكرة هويتي الحالية تقول إني كنت من مواليد ١٩٢٣». ^(٤) ثم يقول: «اسم أبي: شريف إدريس، كان أبي، على ما يروي الأقرباء، من أغنياء التجار في منطقة المرفأ بالعاصمة، حيث كان يدير مع عمّي تجارة "مال قبان" ولكنه كان يتجاوز الكرم والأرحية إلى الإسراف والتبذير... وكان أبي يرتدي ثياباً تجمع بين الديني والمدني: فهي تتألف من بنطال كالبناطيل المدنية، وإن كان أوسع، وسترة كجيب المشايخ، وإن كان أقصر». ^(٥)

دراسته وثقافته:

سهيل إدريس هو أديب في الدرجة الأولى، روائي، وكاتب قصة، وناقد أدبي. وهو واحد من الذين ترجموا عن الفرنسية روايات ومسرحيات وسير ذاتية وكتب نقد لكبار الكتاب، وفي مقدمتهم جان بول سارتر. لكن الذين يعرفون سهيل إدريس معرفة كاملة وشاملة ينظرون إليه أكثر من روائي وكاتب قصة. إذ «هو توقف عن الكتابة في هذا الجنس الأدبي منذ زمن طويل، وتفرغ للعمل الثقافي نشاطاً متعددًا،

٣- ينظر: مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، فصلية محكمة، العدد ٤، شتاء ٢٠١١/١٣٨٩، ص ٣٥-٥٨

٤- ذكريات الأدب والحب، سهيل إدريس الجزء الأول، ص ٥.

٥- المرجع نفسه: ص ١٧ و ٨.

ومناير متعددة، وموقعا في هيئات ثقافية متعددة. ولذلك فإن أهل الثقافة ينظرون إليه - قبل صفته التي يجلبها كمبدع رواية وقصة وكمترجم لأعمال كبيرة - كمنشئ لواحدة من أهم المجلات الأدبية العربية (مجلة الآداب)، وكمؤسس لدار نشر هي واحدة من أهم دور النشر العربية (دار الآداب)، وكصاحب معجم (المنهل الفرنسي - العربي) هو من أهم القواميس»^(٦).

نتاجه الادبي والفكري:

وقد كتب الدكتور سهيل إدريس عديد البحوث والمقالات في الأدب والسياسة والفكر كما كتب في القصة والمسرحية وترجم الكثير من الكتب والمقالات. في الرواية: (أ) الروايات والقصص:

- «سراب» نشرت «مسلسلة سنة ١٩٤٨ في صحيفة بيروت المساء».^(٧)

ثلاثيته الروائية و هي من أشهر رواياته:

- «الحيّ اللاتيني» صدرت سنة ١٩٥٣ عن دار العلم للملايين. - «الخندق الغميق» صدرت سنة ١٩٥٨ عن دار العلم للملايين. - «أصابعنا التي تخرق» صدرت سنة ١٩٦٢ عن دار الآداب.

في القصة: يقول سهيل إدريس: «لقد بدأت كتابة القصة وأنا لم أجتاوز الخامسة عشرة، ونشرت لي المجلات والصحف بعض الأقاصيص في الأربعينات».^(٨) وله ست مجموعات قصصية هي:

«أشواق» (١٩٤٧)، «نيران وثلوج» (١٩٤٨)، «كلهق نساء» (١٩٤٩)، «الدمع المر» (١٩٥٦)، «رحماك يا دمشق» (١٩٦٥)، «العراء» (١٩٧٣).

وقد طبعت هذه المجموعات القصصية في كتابين «أقاصيص أولى» و «أقاصيص ثانية» سنة ١٩٧٧ ويحتويان على ٤٨ أقصوصة. (ب) دراسات ومسرحيات: القصة في لبنان، ١٩٥٣، زهرة من دم، القاهرة، دار الكاتب العربي، ١٩٦٩، مسرحية في ثلاثة فصول في الأدب: «محاضرات عن القصة في لبنان» (١٩٥٧)، «مواقف وقضايا أدبية» (١٩٧٧). مقالات: «في معترك القومية والحرية» (١٩٧٧) وفي هذا الكتاب يشير سهيل إدريس إلى «مواقفه من الحوادث المصيرية التي واجهها العالم العربي ولبنان خلال العقود الحاسمة بين بداية الخمسينات حتى الربع الأول من السبعينات، والتي نشرها في مجلته الآداب. وجمعها لاحقا في كتابه في معترك القومية والحرية إلى مقدار حماسه آنذاك».^(٩)

ج) ترجمات وقواميس: أقبل الدكتور سهيل إدريس بطاقات الآخرين، ومن التأثر بها والاقتراس عنها واستيلاء قدرات كامنة في ذواتنا تتيح لنا خلق إبداع شخصي جديد لا يقل غنى، وأهمية عن إبداع الذين نتأثر بهم».^(١٠) وترجماته هي: سارتر والوجودية لألبريس، ١٩٥٣، الطاعون لأبير كامو، بيروت، المنشورات العربية، ١٩٥٩، مذكرات برجوازي صغير بين نارين وأربعة جدران، ١٩٧١، الثلج يشتعل لريجيس دوبرية، ١٩٧٨، من أكن في اعتقادك؟ لروجيه غارودي، ١٩٧٨، كامو والثمر، لروجيه دولوباوي.

٦- ذكرى سهيل إدريس، كريم مروة، ص ١١٥.

٧- محاضرات عن القصة في لبنان، سهيل إدريس، ص ٩٨.

٨- أقاصيص أولى، سهيل إدريس، ص ١.

٩- ادبنا والترجمه، ضمن مجلة الآداب، سهيل إدريس، ص ١.

١٠- ابن الخندق الغميق ذهب لبحث نفسه الضائعة، رفيف رضا صيداوي، ص ٤.

ومن نتاجه الادبي والفكري ماتركه المنهل (قاموس فرنسي-عربي) بالاشتراك مع الدكتور جبّور عبد النور في ثلاثة أجزاء وقد صورت طبعته الأولى سنة ١٩٧٠. يعتبر المنهل معجماً شاملاً يضم آلاف الكلمات التي أمعن المؤلف في تدقيقها مستنداً بذلك إلى عدد لا يحصى من المصادر (باللغتين الفرنسية والعربية) التي قام بدراساتها عن كتب. والحق أن تثبيت المعنى الدقيق واختيار المرادف ليس بالأمر الهين في العمل المعجمي وقد تحدّث عن ظروف تأليفه قائلاً: «وفي عام ١٩٦٧ بدأت بتأليف قاموس «المنهل» الفرنسي- العربي مع زميلي جبّور عبد النور بعد كارثة ١٩٦٧ التي زرعت في نفسي مأساة كبيرة حسبت أنني أضعف حدّتها بالانصراف إلى عمل معجمي يستغرقني بكل حواسي».^(١١)

المبحث الثاني: الحي اللاتيني الدلالات الاساسية:

أ- سيميائية العنوان في رواية الحي اللاتيني:

تمتعت عناوين الكتب بإهتمام الباحثين في الأبحاث التي تعني بالمواد والمكونات. فعلى سبيل المثال وظائف العنوان عند جيرار جينت^(١٢). التعرف على العمل الأدبي وتحديد مضمونه ثم إبرازه. فبعض عناوين الكتب والتأليفات تهدينا إلى مضامينها وبعضها على وجهات النظر الموجودة فيها وبعضها تدلنا على مكان الرواية وأهميته للكتاب واستخدام الشخصيات والأحداث عليه وفي عنوان رواية "الحي اللاتيني" لسهيل إدريس كلمتان تدلان على مكان الرواية وأحداثها فيها، أو ربما الحي اللاتيني بمثابة مجاز الجزء بالكل يعني أنه نص أصغر يدل على مضمون و مكان أكبر للرواية وهو باريس. إن الحي اللاتيني في الواقع عنوان يدل على حي الطلبة الأجانب الذين يسافرون إلى باريس لاستمرار الدراسة في المراحل العليا الجامعية ويشتمل هذا الحي على جامعة السوربون بباريس، وهي قرية من الأماكن الحضارية والمتعة والعلوم في باريس إذا كان عنوان الكتاب كما يعتقد الباحثون والنقاد المعاصرون عادة ما «يكون أول ملامسة تصافح عين المتلقي وتساهم في تحديد توقعاته و رؤيته»^(١٣)، فإن عنوان كتاب سهيل إدريس (الحي اللاتيني) ليرشدنا لانتفاء محتوى أثره الروائي الأدبي والثقافي والحضاري إلى الغرب وخاصة باريس وفي الواقع هذا العنوان كبنية سطحية تحيلنا على أبنية عميقة، باعتباره النص الأصغر يدل بطريقة على مضمون "النص الأكبر".

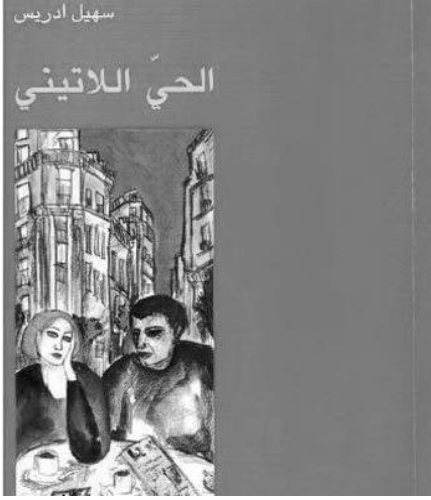
ب - سيميائية الغلاف في رواية الحي اللاتيني:

بعد أن قرأنا سيميائية العنوان، سوف نقرأ في هذه الفقرة غلاف الرواية قراءة سيميائية ومن الجدير بالذكر أن الغلاف يعد عتبة ثانية للنص بعد عتبة العنوان، وعن طريقه يعبر الناقد السيميائي عن أعماق النص، ويدخل النص الموازي، والنص الموازي عند جيرار جينت هو «ما يصنع بالنص من نفسه كتاباً، ويقترح ذاته بهذه الصفة على قرائه، وعموماً على الجمهور، أي ما يحيط بالكاتب من سياج أولي وعتبات

١١- البطل في ثلاثية سهيل إدريس: سهيل الشملبي، ص ١٣٣.

١٢- Genette, Gerard, palimpsests, p72.

١٣- الرواية والمكان، ياسين نصير، ص ٩٧، نقلاً عن نجيب الكيلاني و بلقاسم دفة: التحليل السيميائي للبنى السردية في رواية



بصرية و لغوية».^(١٤) يطلق جيرار جينت على الغلاف اسم النص المحيط والنص الفوقي. ويشمل النص المحيط أو الفوقي كل ما يتعلق بالشكل الخارجي للكتاب كالصورة المصاحبة للغلاف^(١٥) أو الألوان التي يتشكل منها الغلاف. إن الطبعة التي نعتمد عليها في دراستنا هي الطبعة الرابعة عشر "٢٠٠٦" الصادرة عن دار الآداب البيروتية التي أسسها سهيل إدريس نفسه مع نزار قباني. والصورة الخارجية لغلاف رواية الحي اللاتيني هي صورة باريس وبنائها وسماتها الداكنة وعدم ظهور الشمس ولونها الذهبي في السماء ولوحة رجل يبدو هو نفس البطل الروائي الشرقي جالس على طاولة عليها أكواب القهوة والصحيفة الباريسية و في جانبها امرأة

باريسية شقراء جميلة جالسة على الطاولة. هذه اللوحة تشير إلى الحب والجمال والمغامرات بين البطل الإدريسي وجانين صديقتها الباريسية والفضاء الباريسي في بنياته وإمرأة باريسية كاشفة الرأس ولون شعر الإمرأة الباريسية أشقر ويحمل اللون الأشقر سيميائياً دلالة القوة والبريق والفرح والفوز وأيضاً دلالات الضيق والوحدة والفراغ كما توجد قصة حياة جانين صديقة البطل الروائي الباريسية التي تبقى وحيدة في نهاية الرواية بعد تركها من جانب البطل و ترك باريس للرجوع إلى بيروت. أما لتحليل سيميائية استخدام اللون الأحمر على الغلاف علينا أن نقول أن هذا اللون «يرمز في الديانات الغربية للماء أو للخمر أو للحبيب أو للحب أو للعاطفة والنشاط الجنسي أو لكل أنواع الشهوة»^(١٦). لذلك نستنتج أن الأحمر لون الإغراء والحب بين شخصيات الرواية وخاصة البطل وجانين، الإمرأة الباريسية ويرمز لإثارة الهيجانات والمشاعر والحب والحارة والشوق بين الشخصيات الروائية خلال النص الروائي.

تبدأ رواية "الحي اللاتيني" بالكلمات التالية المترعة بالدلالات: «لا ما أنت بالحالم، وقد آن الأوان لك أن تصدق عينيك. أو ما تشعر باهتزاز الباخرة، وهي تشق هذه الأمواج، مبتعدة لك عن الشاطئ، متجهة صوب تلك المدينة التي ما فتئت تمر في خيالك، خيالا غامضاً كأنه المستحيل؟ لا، ليس هو بالحالم».^(١٧)

يغادر بطل الرواية بيروت مدينة الكبت والحرمان كما يرى، ويقصد باريس لتحرّر من عقدة الحرمان والخوف من المرأة، وهناك يكابد نزعتين متناقضتين: النكوص إلى الماضي والتشبث بصورة الأمومة التقليدية، ثم الانفتاح على الحاضر والمستقبل والإقبال على الأنوثة بوصفها سبيلاً للتخلص من التبعية والجمود. وأما بطل الحي اللاتيني الغفل، فشاب لبناني في بداية العقد الثاني من العمر، يغادر بيروت عام

١٤ - Gerrare, genete, seuil, p6.

١٥ - التحليل السيميائي للبنى السردية في رواية حمادة السلام: نجيب الكيلاني: ٨٥

١٦ - اللغة و اللون، أحمد مختار عمر: ١٦٤.

١٧ - الحي اللاتيني، سهيل إدريس: ٥.

١٩٤٩ ليدرس في السوربون... أو هو، بالأحرى، لا يعرف تماماً سبب مغادرته. ولكنه حين يصل إلى الحي اللاتيني يتمكن من معرفة السبب: إنّه المرأة. غير أن بحثه عنها لا يحالفه النجاح خلال الشهور القليلة الأولى، تعاملت الشخصية المحورية (البطل) مع بطلات مختلفة في باريس، هنّ فتاة السينما، وفتاة الرصيف، وليليان، ومارغريت تعاملًا فاشلاً تنم عن تجربة وعلاقة ناقصة، ويعيش العزلة داخل نفسه ويواري الفشل الذريع الذي أصابه من المرأة بينما ينجح معها كل من صبحي وعدنان.

ثمّ أنّه يتعد عن صديقه ويقترب من «فؤاد»، وهو شاب سوري تعرف عليه البطل في مطعم «لوي لوغران» وقدم إلى باريس سنة ١٩٧٤، وههّ الأول هو المرأة فصارت في ما بعد أحد همومه.

وجد البطل في «فؤاد» بعضاً من قلقه ولاحظ عنده هدوء أو عمقا في التفكير، وشعورا بأهم القضايا القومية. وفؤاد في الحي اللاتيني «أكثر من مجرد صديق. إنه المناضل، بل رمز النضال وروحه. المثال الذي على مثله يجب أن ينحت كل شاب عربي». ^(١٨) ويطرح فؤاد في قوله فكرة استعمار مخيف، هو الاستعمار الاقتصادي الصهيوني واليهودي، ومدى سيطرته على الفكر العربي بقوله: «ولكننا سنظل مقصرين في هذا السبيل، ولو بذلنا ملايين الفرنكات، مادام اليهود هم الذين يستولون، برؤوس أموالهم على أهم المرافق الفرنسية». ^(١٩) فمازال البطل يندم على ترك بلاده ويقضي أيامه مع أصدقائه: صبحي، عدنان وفؤاد وهو يبحث عن المرأة، إلى أن يلتقي جانين. وهكذا أصاب مع جانين غير المعاني اللذة وارتقت التجربة الجسدية إلى تجربة تمتزج فيها الروح مع الجسد وفيها المرأة بجانين الواقع. مضت خمسة أشهر على تعرّف البطل إلى جانين، عرف فيها التوازن الفردي واكتسبت حياته معنىً جديداً، «بل حتّى صداقاته اتخذت طابعاً مختلفاً فصار يلقي اصدقاءه متجزّداً من كل شعور بالصغار والتفاهة، وعلاقته بفؤاد صارت أكثر متانةً منذ تعرّف إلى جانين». ^(٢٠)

في الواقع لقد وجد البطل في جانين «الحبيبة المنشودة» التي «أحبّها وهو لا يزال في شرقه بصورها في حلمه ويعاشرها في خياله ويناجيها في وحدته. أحبّها - جانين.. قبل أن يلتقي بها بأعوام طوال» ^(٢١). ثم تنقطع علاقته السعيدة ولكن ناقصة بها حيث يعود إلى بيروت بسبب حبّه لأُمّه وشرقه ووطنه لقضاء عطلة فصل الصيف وفي بيروت، في أحضان عائلته القوية الأواصر، يتلقّى رسالة من جانين تعلمه فيها بحملها، فيصدم، لكنه يذعن لضغط والدته؛ «أن هذا الأم - الماضي - الشرق، تطبق على عقل البطل وضميره، وتجعله يكتب إلى جانين الرسالة الخيانة التي أشعرته فيما بعد، بالذل والجبانة وشاركت "ناهدة" الأم في تمثيل الماضي» ^(٢٢) وهي «الحل الذي تقدمه التقاليد أو المجتمع [الشرقي] أو الأنا الأعلى ليصرف البطل عن خروجه عليه. هي الرشوة التي يقدمها، لكن يندمج من جديد في مجتمعه، وينسى فرديته». ^(٢٣) وتحت ضغوطات أمه وأخته، اضطر البطل أن ينكر أن يكون الجنين منه أمام حبيبته المنشودة

١٨- شرق وغرب رجولة وأنوثة، جورج طرايشي: ١٠٤.

١٩- م. ن: ١٠٤

٢٠- البطل في ثلاثية سهيل ادريس: سهيل الشملي: ٧٣

٢١- نرجس في الحي اللاتيني، ضمن مجلة الاداب: يوسف الشاروني: ٥٨

٢٢- سهيل ادريس في قصصه ومواقفه: جورج ازوط: ٩٧

٢٣- الحي اللاتيني، عرض وتحليل، مجلة الاداب: يوسف الشاروني: ٥٨

«جانين»، غير أنه لا يلبث أن يندم على كذبه، ويتمرد على إذعانه، ويعود إلى باريس سريعاً ليقترح على جانين الزواج. ولكنها لم تعد حيث كانت، وليس ثمة من يساعده في العثور عليها. فيقرّر أن يكرس حياته لدراساته في الأدب، ولرفع الوعي السياسي لدى زملائه الطلاب العرب. وقبيل عودته النهائية إلى بيروت يعثر على جانين، وقد غدت "إمرأة ضائعة" وهي قد أجرت عملية جراحية لإسقاط الجنين، وعانت في ذلك المرارة والألم الشديد وتغيّرت صحتها وأصبحت بعد ذلك فقيرة معدمة ليس لها من يعيّلها ولا عمل يساعدها على مواجهة أعباء الحياة مادامت لم تستطع الحصول على شهادة في معهد الصحافة الذي كانت تدرس فيه. فيطلب البطل الزواج منها بعد أن عاتبه ضميره الحي، ولكنها ترفض طلبه، قائلة له: «لا يا حبيبي لسنا على صعيد واحد. لقد وجدت أنت نفسك بينما أضفت نفسي. فكيف تريدني أن أستطيع السير إلى جانبك، قدماً واحدة، في الطريق الشاق الذي ستسلك؟ إنني لأأنتمي إلى جيلكم، جيلك وجيل فؤاد وريبع وأحمد وصبحي وعدنان».^(٢٤) لأن جانين تعرف أنّ البطل لا يستطيع أن ينسلخ عن شرقه وجذوره وما نشأ عليه من أعراف وتقاليد، وقد استوعبت جانين هذا الاختلاف الحضاري جيداً. لذلك تطلب من البطل الرجوع إلى جميع أجياله السابقة وإلى شرقه وماضيه ومجتمعه وتقاليده لكي يتناول قضايا الإنسان العربي في إحياء القضايا والعناصر القومية لدى الشبان العرب الضائعين، الذين يفتشون عن ذواتهم بأنفسهم على مقاعد الجامعات، في المقاهي والمتنزهات العامة وبين ذراع النساء: «عد أنت يا حبيبي العربي إلى شرقك البعيد الذي ينتظرك، ويحتاج إلى شبابك ونضالك... جانين».^(٢٥) فإذا افترضنا أن المؤلف لم يتدخل قسراً في وضع هذه النهاية المفتعلة المشؤومة، فلا شك في أن «جانين في قبولها الشقاء والعذاب تعاني الدونية وربما المازوشية التي تزين لها هذا الوضع المأساوي».^(٢٦) ويرى إبراهيم سعايفن أنه «من الصعب تفسير انفصال بطل الرواية عن جانين وهي المتحمسة للقضية العربية، الغارقة في سحر الشرق وعوالمه الأثيرية. ويضيف أن المؤلف جعل جانين ترفض البطل دون مسوّغ معقول».^(٢٧) على أي حال في الأخير نرى أن البطل يعود إلى بيروت حاملاً شهادة الدكتوراه في الأدب العربي... والتزاماً راسخاً بقضية القومية العربية.

المبحث الثالث: تمثيلات الصورة الباريسية في الرواية:

حين نقرأ وندرس رواية الحي اللاتيني لسهيل إدريس، نجد أنه في روايته الحي اللاتيني يشير إلى سفر بطله الروائي إلى باريس للحصول على درجة الدكتوراه في الأدب. لذلك كان في رؤية سهيل إدريس الروائية فرنسا ولاسيما باريس هي في المركز الأول من الأهمية، لأنها مركز الحرية؛ ومنبع العلوم والفنون و رمز التقدّم ومدنيتها الفاضلة ومكان تحقيق ذاته.

أمّا باريس فالتحتل مكانة مهمّة في الأدب العربي فحسب، فهذه المدينة أهيّة كبرى على صعيد الأدب الأوروبي. «فباريس من العواصم القليلة في العالم التي ظلّت موضوعاً^(٢٨) وموتيفاً^(٢٩) على الصعيد

٢٤- الحي اللاتيني، سهيل إدريس: ٢٦٢.

٢٥- م. ن: ٢٦٢.

٢٦- صورة الغرب في الأدب العربي المعاصر، جان نعيم طنوس: ٢٢٢.

٢٧- تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام ١٨٧٠-١٩٦٧، إبراهيم سعايفن، ٤٥٤ و ٤٤٩.

٢٨- Stoff

الأدبي، لما تمثله من قيم جمالية وحضارية. فقد تعامل الأدب معها، بغض النظر عن تقييمها سلباً أو إيجاباً، على أنها مدينة علمية.^(٣٠) قادرة على استيعاب شتى الحضارات. لتصبح مصدر إشعاع حضاري.^(٣١)

وتتبدى بنية نصّ رواية الحي اللاتيني، بنية متحركة أو قلقة وإنّما قبل أي شيء آخر بنية تحوّل وتغيّر، هذه واحدة من أهم السمات المميزة لهذا العمل الروائي. وصنّف تلك الدّراسة على وفق التالي:

أ- رؤية البطل الروائي إلى العالم:

أما في موضوع رؤية البطل الإدريسي إلى العالم ممكن أن نقارن رواية "عصفور من الشرق" لتوفيق الحكيم واختلافها مع رواية "الحي اللاتيني" في قضية رؤية بطلهما إلى العالم (باريس) فمن الممكن أن نشير إلى قول الناقد السوري الشهير، جورج طرايشي، حيث يقول: «صحيح أن كلا من محسن [بطل عصفور من الشرق] لتوفيق الحكيم و[بطل "الحي اللاتيني"] قدم إلى باريس طلباً -من حيث المبدأ- للدراسة الجامعية والعليا، بيد أن هذه كعلة ظاهرية ليس إلّا. فبطل "عصفور من الشرق" لم يأت إلى "عاصمة النور" إلّا ليغرق زاده الروحي من متاحفها ومعارضها ومكتباتها، وعلى الأخص من قاعاتها الموسيقية. وبالمقابل، فإن بطل "الحي اللاتيني" لم يقصد باريس بصفتها عاصمة النور، وإنّما بصفتها عاصمة المرأة»^(٣٢) يقول البطل مخاطباً نفسه: «تبحث عنها.. عن المرأة.. تلك هي الحقيقة التي تنساها.. بل تتجاهلها. لقد أتيت إلى باريس من أجلها»^(٣٣) ثم يقول مخاطباً نفسه في مكان آخر: «أسبوع طويل ينقضي، مُنذُ قَدِمْتُ إلى باريس، لم تَلَقَ فيها إلّا الإخفاق إزاء المرأة. أية امرأة... لا، لا تحاول أن تحتج أو تنكر. أجل شرقت ذلك، لم يُغرك بالهرب منه سوى خيال المرأة الغربية، سوى اختفاء المرأة الشرقية في حياتك، إلّا أن تُطلَّ في بسمة لاتزيد الحرمان إلّا حرماناً...»^(٣٤) ثم نرى أن البطل الشرقيّ العربي لا يستطيع أن يذوق الأبعاد الجمالية لباريس، قبل أن يصل إليها ويراهها، إلّا عبر ربطها بمثيالاتها في بيروت أو بلد عربي آخر. فحين وصلت سيارته إلى "الحي اللاتيني" في باريس يقول مخاطباً نفسه: «أنحن حقاً في الحي؟ حين كان يُذكر أمامه اسم "الحي اللاتيني" كانت تنفر إلى مخيلته صور حي من أحياء بيروت القديمة، تقوم فيه بيوت متواضعة، أغلب الظن أنها من الخشب...»^(٣٥) ومادام رؤية سهيل إدريس في هذه الرواية إلى باريس (العالم الغربي) تعتمد على جمال باريس ومستمدة من طبيعتها الموضوعية التي تنشأ من الذاكرة الأدبية للمؤلف.

وفي الأخير نذكر قول سهيل إدريس في رؤيته للعالم إلى الإنسان والبطل الشرقي في الغرب وأعماله التي يرتكب بها إذ يقول:

Motif.-٢٩

. Wettstadt:-٣٠

٣١- باريس في الأدب العربي الحديث: خليل الشيخ ص ١٧.

٣٢- شرق وغرب، رجولة وأنوثة: جورج طرايشي: ٧٣-٧٢.

٣٣- الحي اللاتيني: سهيل إدريس: ٢٣

٣٤- المرجع نفسه: ص ٢٥.

٣٥- المرجع نفسه: ٩

«وبعد، فإن إنسان روايتنا الحديثة، وبطلها في آن واحد، هو كائن يبحث عن ذاته الحقيقية عبر تجارب كثيرة، يبدو فيها تائها قلقاً غير مستقر، يسافر طويلاً في الماضي [كما نرى البطل في الحي اللاتيني] ويشطح إلى المستقبل، ويبلو كثيراً من النساء، ويأثم ويخون ويتعثر، ويحب الحب العاطفي، والحب الشهواني ويخيب فيهما كليهما، [إمّا في الغرب وباريس وتجربة فتيات باريس وجمالهن، إمّا في الشرق وبيروت وتجربة فتيات الشرق]. ولكنه يبدأ من جديد، ويحاول مرّة أخرى...»^(٣٦)

ب-باريس لدى الشخصية الرئيسية للرواية (تفوق باريس على الشرق):

يتحدث سهيل إدريس عن الفترة التي قضاها في باريس كفترة الثقافة والعلوم الأدبية العظيمة وهي التي شكلت أساس فكره وأدبه فيما بعد في الوطن العربي: «إنني ذهبت إلى باريس بمنحة من وزارة التربية... ولكنني في تلك الفترة التحقت بالسوربون وعشت ذلك الجو العلمي العظيم في مكتبة السوربون الكبرى وعقدت صلاتي الأدبية والثقافية مع الشباب العرب الذين كانوا في تلك الفترة في العاصمة الفرنسية، والذين شكّلوا فيما بعد نواة لجيل ثقافي مهم سيّر دفعة الفكرة والأدب في الوطن العربي كله...»^(٣٧) تتبدى بنية النصّ في ذلك المسعى الذي تنغمس فيه الشخصية الرئيسية (الطالب البيروتي المسافر إلى باريس للدراسة ونيل شهادة الدكتوراه) لتحقيق ولادة جديدة انطلاقةً من التعارض الحادّ الذي تقيمه بين ماضٍ ترفضه، وحسب رأي الكاتب يتجسّد في حياة قديمة جامدة وخانقة تجعلها شيئاً تافهاً لا قيمة له، وبين مستقبل تحفو إليه آملة أن يفتح لها أفقاً جديداً يخلصها من الغفلة والعمية ويعطي لكيانها وجوداً ذا معنى أما في هذه الرواية فالبطل وعدنان وصبحي الذين غادروا لبنان متجهين إلى فرنسا من أجل استكمال الدراسات العليا وتحضير الدكتوراه، وكل هذا على نفقة وزارة المعارف اللبنانية. بيد أن الشخصية الدينامية هي شخصية البطل التي استقرّ بها المقام بعد وصولها إلى باريس في الحي اللاتيني لتكون قريبة من جامعة السوربون.

كان البطل (سهيل إدريس) منذ بداية وصوله إلى باريس يحاول مقارنة جماليات هذه المدينة بجماليات التراث الشرقي، ليؤكد تفوق باريس. فالبطل يعترف بأنّ هذا الذي يراه في باريس كأنه ما رآه في الأحلام. فتمثّل باريس له، المدينة الفاضلة بأبنيتها المرتفعة الفخمة، ونظافتها، وجمالها، وانتظامها، فيحاول أن ينظّم مخيلته الخاطئة من باريس، من جديد، وأن يطبع الصور الواقعية لهذه المدينة على ذهنه وبما أن «الذهاب إلى باريس كان غاية عند الكثيرين من مفكرين وأدباء مرحلة ما قبل الحرب العالمية الأولى»،^(٣٨) فإننا نرى أن الوصول إلى هذه المدينة تبدّلت إلى حلم للأدباء والمفكرين العرب مثل سهيل إدريس (بطل الرواية) وأصبح نقطة تحول مهمة في حياتهم الأدبية، والفكرية، والاجتماعية: «عمّا قليل، سيكون في الحي اللاتيني. سيتحقّق الحلم المستحيل. بعد روح قصير، ستبدأ الحياة التي ما انفكّ يعيشها في الخيال، منذ أن تحيأت له أسباب السفر إلى باريس... حين كان يُذكر أمامه اسم "الحي اللاتيني" كانت تنفر إلى مخيلته صور حي من أحياء بيروت القديمة، يقوم فيه بيوت متواضعة، أغلب الظنّ أنّها من

٣٦- مواقف وقضايا أدبية: سهيل إدريس، دار الاداب، بيروت، ٢٠٠٠م): ١١٤

٣٧- قطع من حوار في مجلة المقاصد: سهيل إدريس: ٨١-٨٧

٣٨- المرجع نفسه: ١٢٨

الخشب، مادام ساكنوها طلاباً فقراء قديموا إلى العاصمة الفرنسية من مختلف أنحاء الدنيا طلباً للعلم والمعرفة. أما الآن، فليس هو شعور الاطمئنان الذي يغمره إذ تمر بمخيلته هذه الصور التي اخترعها خياله. شوارع فسيحة ليس في بلاده، ولا في الشرق كله، مثلها جمالاً، ونظافة وانتظاماً، وأبنية فخمة مرتفعة كأحداث الأبنية الكبرى التي بدأت منذ حين تنتصب في الشوارع الرئيسية من عاصمة وطنه.

أما من جهة أخرى من الممكن أن نقول أن لحظة ركوب السفينة من أجل الذهاب إلى باريس في رواية الحي اللاتيني، كانت تعني بداية تحقيق الحلم الذي كان غاية عند الكثيرين من مفكرّي وأدباء العرب في مرحلة الحرب العالمية الأولى وفقد جسدت باريس في نظر أولئك المفكرين المنارة التي تضيء للعالم. وهذه ما نراه ماثلاً في العبارات الأولى من أقوال بطل الحي اللاتيني، حيث يقول: «لا، ما أنت بالحالم، وقد آن لك أن تصدق عينيك، أو ما تشعر بهتزاز الباخرة، وهي تشقّ هذه الأمواج، مبتعدة بك عن الشاطئ، متجهة صوب تلك المدينة التي ما فتئت تمرّ في خيالك، خيالا غامضاً كأنه مستحيل؟»^(٣٩) أما سهيل إدريس كانت في هذه القضية (ركوب السفينة من أجل الذهاب إلى باريس) مشتركة ومتشابهة مع طريقة تعرّف ووصول طه حسين بباريس: «فلم يكده طه حسين يصعد إلى السفينة حتى خلع الجبة والقفطان وارتدى الثياب الأوروبية، فكان تغيير الزي بهذه السرعة إعلاناً عن استعداده لقبول ما سيُقدم عليه من تحولات فيما بعد.»^(٤٠)

١. باريس مدينة الإعجاب و الجمال والتمتع:

أما يجب أن نذكر أن البطل الإدريسي ينهر ويعجب ببعض معالم الحضارة الباريسية ويمدحها ويستلذ منها، ويكره بعضها الآخر، فكثيراً ما نرى أنه يرسم ملامح باريس على ضوء عالم حضاري جذاب وما فيها من جماليات والأماكن يخلو منها الشرق وهذا البطل بسبب أنه يواجه التناقض بينه والعالم الخارجي (باريس)، يحاول أن يخفي كل أسباب التناقض وبسبب اصطدام ذاته بهذا العالم الخارجي، يرغب إلى الاغتراب والعزلة، وسوء الظن بالآخرين. فمن الميزات الحضارية الباريسية التي يعجب بها البطل الإدريسي من الممكن أن نشير إلى الأماكن الآتية: مقهى "ديون" عند ملتقى "رودزيكول" و "بولفارسان ميشال"، حيث يحب ويشيد البطل بهذه المقهى في الرواية ويقول: «"ديون" هذا الذي سمع عنه الكثير من رفاق لهم مكثوا في باريس رداً من الزمن: ملتقى المتحررين أبعد حدود من فتيان الحي اللاتيني وقتباته...»^(٤١)

ثم نرى البطل أنه أخذ العجب من الساعات الثلاث التي يراها في الحي اللاتيني ومن مظاهر جمال باريس، هي: ساعة «الدائرة الخامسة تجاه "البانتيون"، وساعة السوربون، وساعة كنيسة "نوتردام"،»^(٤٢) وهذه الساعات تدقّ دقات أقوى وأشدّ وحين تنتهي و «تلاشت الأصداء، أخذه [البطل] العجب من

٣٩- الحي اللاتيني: سهيل إدريس: ٥

٤٠- في الصيف: طه حسين (١٩٨١): ٣٩

٤١- الحي اللاتيني: سهيل إدريس: ١٣

٤٢- المرجع نفسه: ٢٣

أنّه لم يتنبّه قبل الآن إلى هذه الساعات الثلاث. أفكانت معطّلة أم أنّ نفسه كانت: قبل هذه الليلة، مكتنظة بالأصوات؟»^(٤٣)

وكثيراً ما يعجبه الذهاب إلى سينما "البانتيون" في الحي اللاتيني، فحين غادر فندقه، بعد أسبوع كامل من قدمه إلى باريس، ليشاهد فيلماً سينمائياً - وكان أول خروج ثقافي له - «لم تكن الرغبة الملحة في رؤية الفيلم هي التي تدفعه»،^(٤٤) وإتّما ليلتمس «العزاء والتفريح»^(٤٥) ولينس «الخيبة التي تملأ نفسه الفارغة بالمرارة»^(٤٦) وفي الواقع يهرب من أفكاره التي يلسعن جسده ومن جراحاته التي توجد في دنياه الشرقية، وناره التي تلهب في جسده ويريد أن يرى نساء باريسية عاريات، ويتمتع ويتلذّد بهن. وتوكيداً على «رجحان كفة باريس - المرأة رجحاناً مطلقاً على كفة باريس - الثقافة، لا بأس أن نتوقّف ملياً عند بعض ما حدث في داخل دار سينما. فقد كان الفيلم المعروض ليلتذّد فيلماً ثقافياً رفيعاً، وقد أثارت قراءة أسماء مثليه في نفس بطلنا الإعجاب والعجب: جان بول سارتر، أندريه جيد، بيكاسو، جان روستان، لوكوربوزيه، وغيرهم من الأعلام من "أدباء فرنسا وعلمائها وفنانيها". وفي البداية، أخذ بطلنا بالفيلم بكل ما في الكلمة من معنى، وأمضى دقائق مسحورة مع سارتر وروستان وغيرهما... حتى انقطعت دائرة الاهتمام والسحر الثقافي لدى بطلنا بالفيلم، وإتّما بكل البساطة لأن المقعد الفارغ إلى يساره قد امتلأ لحظتئذ بحضور امرأة. فقد شغلت فتاة المقعد اليساري "فكره ووجوده"، وأنساه حضورها كل شيء آخر، بما فيه الفيلم وممثلو الفيلم.»^(٤٧)

٢- باريس مدينة المسارح الغربية الحضرية:

ومن العوامل الأخرى التي جعلت باريس مهمة على الصعيد الثقافي للبطل، وجود المتاحف والمسارح الكثيرة فيها وقد ظلّ مؤمناً بأن المسارح كانت توفّر له من متعته الفكرية، وهنا يشعر بأن حبّ باريس يتغلغل في دمه، وإضافة إلى هذا كانت حبيبته الفرنسية جانين، فتاة ذات ثقافة فنية، وتحبّ الشرق وقالت له «أن ما كتبه فلورب خاصة قد أثار حنينها يوماً إلى زيارة الشرق ورؤية الجمل والنخيل والصحراء.»^(٤٨) فالمتاحف والمسارح والفتاة الباريسية المثقفة مثل جانين يملأ صدره من حب باريس، وإن كان في غياب حبيبته المنشودة: حبيبته الفرنسية تحبّ المسارح مثله، يحسن البطل كلّ السعادة التي تبحث عنها في باريس وفي غياب حبيبته المنشودة:

«وقد اقترحت عليه جانين يوماً أن يزور بعد ظهر يوم الأحد متحف "رودان" وهناك اكتشف أنّها فتاة ذات ثقافة فنية، وأنّها تتذوّق الأثر تذوّقاً مرهفاً... وظلّ مؤمناً بأنّ المسرح كان يوفّر له من المتعة الفكرية حظاً لا تبلغه في نفسه سائر الفنون، وهو لا يذكر يوماً في أن يؤثره على سواه، أو في أن يظنّ عليه

٤٣- م. ن: ٢٤

٤٤- م. ن: ٢٥

٤٥- م. ن: ٢٦

٤٦- م. ن: ٢٧

٤٧- شرق وغرب، رجوله وانوته: جورج طرابيشي: ٧٥

٤٨- م. ن: ٩٤

بماله، على قلّة ماله. والحق أنّه بدأ يشعر بأن حبّ باريس يتغلغل في دمه وهو قابع على إحدى هذه الكراسي غير المريحة غالباً، متّجه الأنظار إلى خشبة المسرح...»^(٤٩)

يمدح ويقارن البطل في رواية الحي اللاتيني، المسارح الباريسية التي يحب رؤيتها كثيراً مع بلاده الشرقية التي المحرومة منها وهي نعمة عظيمة ينعم بها الغرب وتشير إلى أن باريس هي منبع الفنون ورمزٌ للجمال والحضارة الجديدة.

فنقرأ في الرواية لتوكيد على حديثنا: «تبَيَّنَ لهما (البطل وصبحي) أن بوسعهما أن يخصّصا ليوم الأحد من كل أسبوع نفقة استثنائية يصرفان بعضها في مشاهدة مسرحية من هذه المسرحيات الكثيرة التي تعرضها المسارح الباريسية، والتي أشعرتهما بأن بلادهما، بل الشرق كلّهُ، محرومٌ من نعمة عظيمة ينعم بها الناس في الغرب وينشدونها ويحرضون عليها، حتى لقد غدت حاجة حيويّة من حاجات معيشتهم».^(٥٠)

٣- صورة الغربة والكتابة في المكان الروائي الباريسي:

أما البطل الإدريسي حين يودّع صديقه سامي ويحاول مدّ ذراعيه لكي يعانقه يشعر بالغربة والوحشة والاضطراب في باريس ويتمنّى لو كان مكان سامي في الطائرة ويعود إلى وطنه، لأنّه طوال الأسابيع الثلاثة الأولى في باريس لم تظهر في ذهنه إلا صورة جدران كئيبة سوداء وطقس باريس الخريفي وسماءها الغائمة الممطرة، لذلك لم يُعجب بطقس باريس الخريفي، لأن المدينة في هذا الطقس تبدو حزينة ووحشة وكلّما ينظر إلى جدران باريس، «يستشعر الوحشة من هذه الجدران المسوّدة التي تطلّ على الشوارع».^(٥١) وحين يودّع سامي خلف نافذة الطائرة، يشعر بالأحاسيس الغامضة الحزينة تملأ صدره في الفرار، أو في الابتعاد عن جوّها الغربي، فيقول مخاطباً نفسه: «وأنت.. هذه أسابيع ثلاثة.. وليس في ذهنك إلا صورة جدران كئيبة سوداء، وسماء غائمة ممطرة، وليس في صدرك إلا رغبة في الفرار، في الابتعاد. إنّك تكاد الآن تحسده، سامي هذا الذي يعود، وتتمنّى لو أنّك كنت أنت في الطائرة..»^(٥٢)

وحينما تضيق به باريس، في غياب جانين، حبيبته الفرنسية، ولما يحض على غيبتها يومان، وهي غادرت باريس إلى مقاطعة "الهوت سافوي" لقضاء أسبوع الميلاد لدى خالة لها هناك، فيقترح البطل على صديقه صبحي وعدنان أن يقوموا برحلة إلى قصور "الوار" الأثرية. وحسب رأي الكاتب فهذه الأثوية الحاملة لباريس وطقسها الجميل والمدهش، تكشف عن مشاعر له لم تكن موجودة قبل التعرّف بجانين وطوال إقامته في الأسابيع الثلاثة الأولى بباريس. لهذا بدأ يعجب ببعض عادات أهل باريس وابتهاجاتهم غاية الابتهاج ويتذوّق طبيعة التيسير والتبسيط والترّف عندهم، لأنهم يتجنبون الإطناب والتعقيد فيقول البطل: «وكان الطقس جميلاً يعدّ بأيّام صَحْوٍ ممتعة، وكان ذلك غريباً في تلك الفترة من العام، ولكنهم رأوا الباريسيّين مبتهجين غاية الابتهاج بذلك الجو، خارجين إلى الغابات والحقول، مستقلّين القطارات إلى الضواحي والأقاليم».^(٥٣)

٤٩- الحي اللاتيني: سهيل ادريس: ١١٠

٥٠- م. ن: ٦٣

٥١- م. ن: ١١

٥٢- م. ن: ٤٨

٥٣- م. ن: ١٢٥

وليس كل أماكن باريس يعجبها البطل، وإن كان يعجبها صديقيهما صبحي وعدنان، في زيارتهما قصرين أو ثلاثة من قصور "اللوّار" في باريس، لم تكن تَهْتَرّ وتعجب بأي شعور أمام تلك القصور، وتشبهها بالصخور التي صامتة ولا تعي. فيقول مخاطباً نفسه ويصف حالته من رؤية قصور باريس: «أحسّ هو بأنّ نفسه لم تكن لتهتّر بأي شعور أمام تلك القصور، فكأنّما هي صخرة من صخورها لا تعي. ولكنّه لم يشأ أن يعبر عن ذلك، خوف إفساد الجو على رفيقيه، وقد سحرتهما بعض هذه القصور.»^(٥٤)

٤- باريس مدينة التحرر والخلاص من الحرمان:

يمكننا القول إنّ بطل «الحي اللاتيني» يحاول في سفره إلى باريس التحرر منعقدة الذنب القديمة، و على هذا تؤدي المدينة الجميلة دور المخلصة والمساعدة في حين أن بيروت تبدو مكان الحرمان والكبت.^(٥٥) لذلك يقول البطل في الرواية: «تبحث عنها... عن المرأة تلك هي الحقيقة التي تنساها... بل تتجاهلها.. لقد أتيت إلى باريس من أجلها.»^(٥٦)

٥- باريس مدينة العلوم والجامعات الرصينة:

ولقد تبلورت مجموعة من العوامل جعلت باريس مهمة على الصعيد العلمي والثقافي والأدبي للبطل الإدريسي. ولو بعض هذه العوامل، كانت النتاج الفكرية، والنقدية التي تولّد من محاضرات جامعة السوربون التي كثيراً ما يستمع إليها البطل وتحمله انبهاراً وإعجاباً بها: «وشغل ساعات ما بعد الظهر كلّها بالعمل.. فاستمع إلى محاضرة في (السوربون) عن جمالية الفنّ، وزار قريباً له شاعراً ينظم بالفرنسية فتغّم بالإصغاء إلى بعض قصائد كان جوّها الشعري الغامض أجمل ما فيها.»^(٥٧) وفي مكان أخرى نراه يقصد في التوجه والاستماع إلى محاضرة أخرى في جامعة السوربون: «وهبط إلى باحة الفندق باكراً في صباح اليوم التالي، وكان عليه أن يتوجّه إلى السوربون لسماع محاضرة عن الشعر الفرنسي الحديث.»^(٥٨)

٦- باريس مدينة الساحات والمطاعم الجميلة

ومن الجماليات الأخرى لهذه المدينة التي يعجب بها البطل طوال إقامته في باريس، هي ساحة "الأوبرا" وجادة "الشانزليزه" فتخلق ساحة الأوبرا وواجهات المخازن فيها والاجتياز من جادة "الشانزليزه" في نفسه لذة غريبة وجذلة: «فغادر غرفتها عند الغروب إلى ساحة "الأوبرا" وفي نيتّه أن يشاهد واجهات المخازن المزدانة لمناسبة الميلاد، بكل رائع فتّان من المعروضات. وقد ظلّ ساعة ينتقل أمام الحوانيت المضاءة، حتّى أسلمته قدماه إلى جادة "الشانزليزه"، وكان قد اجتازه مرّة من أدناها إلى أقصاها، فاستشعر لذلك لذة غريبة.»^(٥٩)

هكذا ترتبط باريس في وجدان البطل (سهيل إدريس) بأماكن في باريس أسهمت في صياغة رؤيته الفكرية للعالم الغربي وتشكيل منظاره السيكلوجي للأشياء، وهذه الأمكنة هي: الوحدة التي توجد بين

٥٤- م.ن: ١٢٥

٥٥- صورة الغرب في الادب العربي المعاصر: ٢٠٣

٥٦- الحي اللاتيني: سهيل إدريس: ٢٦

٥٧- م.ن: ٣٤

٥٨- م.ن: ٨٦

٥٩- م.ن: ١٢٦

شبان العرب والشبان الباريسيين والحي اللاتيني وجامعة السوربون. والوحدة التي كانت في أحد مطاعم الطلاب تدعى، مطعم "لوي لوگران" والتقاء البطل بطائفة من مواطنيها السوريين واللبنانيين، ومن العراقيين والمصريين والتونسيين. والبطل وصديقه فؤاد كانا يعضيان إلى "الكابولاد" ليحتسبا فنجاناً من القهوة. وهناك كانا يلتقيان طائفة من مواطنيها السوريين واللبنانيين»^(٦٠) وقد كان البطل الإدريسي في ينفر من لقاء هؤلاء المواطنين، ويتجنبهم، ويعتقد أنّ «من الخير أن يعيش في غير أجوائهم، فإن في أحاديثهم هذراً كثيراً، وفي وقتهم ساعات كثيرة مهدورة.»^(٦١)

وحين تحدّث مع فؤاد عن بعض المظاهر المؤذية التي يظهر بها مواطنوها في بعض المقاهي والمجتمعات، وجد خطؤه في رؤيته إلى مواطنيه المنتشرين على الطاولات في "الكابولاد" وغيرها من المقاهي في باريس. وحين وضّح البطل إحساسه في التجنّب عنهم، حاول فؤاد تصحيح رؤيته الخاطئة إلى مواطنيه وأعمالهم في البحث عن هويّاتهم وذواتهم في باريس:

«فأجاب فؤاد بهدوء، وهو ينظر في عينيه:

– لا يا عزيزي. فأنا أحسب أنّك على خطأ. إنهم لا يوحون بالنفور، وأنت لن تنفر منهم إذا أدركت أنّهم شبّان قلقون، يبحثون عن أنفسهم. إنّنا جميعاً، نحن الشبان العرب، ضائعون يفتشون عن ذواتهم بأنفسهم. ولا بدّ أن نرتكب كثيراً من الحماقات قبل أن نجد أنفسنا...»^(٦٢)

٧- باريس صورة النقص والاستعلاء عند زائريها

في الواقع «إن صورة باريس لدى زائريها المختلفين تكاد تتكرّر مع فروق بسيطة بين رؤية زائر وآخر، وهذا يرجع إلى أن أكثر أولئك الزائرين كانوا يحملون في نفوسهم "عقدة النقص" تجاه الحضارة الأوروبية، و"عقدة استعلاء" تجاه من ورائهم من جماهير لم تنل حظاً من ثقافة قديمة أو حديثة.»^(٦٣) فعقدة النقص والشعور به لم يفارق البطل الإدريسي في معظم فصول رواية "الحي اللاتيني" كأنّه رجل منعزل في باريس، لا يخرج من انعزاله، ونقصه وقلقه الشرقي وخوفه واضطرابه إلّا إذا اجتمع البطل بفتاة غريبة ما أصابها الانحراف.

فمن مشاعر نقصه في الرواية، هو «شعره بأنّه يتضاءل، حتى يصبح حشرة، ذبابة، قذرة.»^(٦٤) ومنها ما يستشعر ويقول مخاطباً نفسه في عقدة نقص وخوف وحرمان الرجال والنساء في الشرق:

«فتيات بلدك اللواتي جعلت منهنّ التقاليد أرواحاً مدعورة بشبح الرجل، ثمّ نشأت في نفس الرجل عقدة بأنّه يخيف المرأة، فلم يكن لديه بدّ من أن يتواري. ثم أصبح بدوره يخاف المرأة. وانشقت الهوة بينهما، وعمقت وعمقت وكانت تمتلئ كل يوم بركام جديد من أحاسيس الكبت والحرمان والخوف.»^(٦٥)

٦٠- م.ن: ٨٠.

٦١- م.ن: ٨٠.

٦٢- م.ن: ٨١.

٦٣- باريس في الادب العربي الحديث: خليل الشيوخ: ٨

٦٤- الحي اللاتيني: ١٦٠

٦٥- م.ن: ٤٩

ولكن لا التعالي يكفي، ولا الأزدياء والنقص. فصفعة الذل لا تمحي بالفكر، وإنما بالفعل. ومن هنا كان التصميم على الانتقام، وعلى طريقته، أي طريقة الرجل الذي يستهلك المرأة كموضوع جنسي ثم يلفظها، أو بالأحرى يلفظ البقية الباقية منها أما في روايتي الخندق العميق وأصابعنا التي تحترق لانرى ذكراً لباريس وأوروبا إلا أقوال محدودة قليلة. منها ما جاء في أصابعنا التي تحترق وسامي، بطل هذه الرواية، يسعى أن يرتبط برفيقة شاكر، وهي فتاة سورية جميلة تعمل مدرّسة في مدرسة صغيرة في شمال سوريا، علاقة الحب الفانية السريعة. فهي، من فرط حبّها لبطل "على ضفاف السين" أو "الحي اللاتيني" كانت ترغب أن تعيش معه تجربة على منوال تجاربه مع فتيات باريس من أمثال سوزان وليليان ومرغريت، وكانت تريد رفيقة شاكر تعرف هل هي تحسن صنع الحب، أو بالأحرى صنع الجنس «مثل سوزان وليليان ومرغريت»،^(٦٦) وهذا ما أرادت معرفته من سامي ولكنه لم يجبها لأنه شعر بالانخيار والتلاشي وكانت تجربته مع رفيقة شاكر وفتيات باريس، تجربة باردة، مَرّة هي أيضاً طالبة لذة مثلها ولا تبحث عن تجربة الحب الحقيقي. فيقول سامي مخاطباً نفسه أن فتيات باريس يشبهن بشياطين في خيالها ورفيقة شاكر هي فتاة شرقية من أمثالهنّ تلتحق بقائمة النساء اللاتي قد تجرّهنّ البطل في باريس:

«سوزان وليليان ومرغريت.. أشباح في عينيها. خيالات في ضميرها. شياطين في جسدها... سوزان باريس، ليليان باريس، مارغريت باريس، وأنت أيضاً؟ تعيشين في باريس، تموتين في باريس، سوزان وليليان ومرغريت... ورفيقة [شاكر تموتين في باريس وفي جسد البطل]». ^(٦٧) من هنا نخلص الى القول ان تلك الرواية اسهمت في صياغة الرؤية الفكرية للعالم الغربي على وفق تشكيل مناظره السيكلوجية للأشياء

الخاتمة:

توصّل البحث للنتائج الآتية:

أولاً: أن باريس تعدّ مكاناً ربيعاً للحضارة الغربية، ولذلك تحولت رؤية صورتها إلى حنة تجذب البطل الروائي الإدريسي في الحي اللاتيني، أو كأنها قطب استعماري تجذب الشخصيات الروائية في هذه الرواية، وهذه تبدو في قراءة النص وتحليلاته كما أشرنا إليها في صلب المقالة.

ثانياً: ترتبط صورة باريس في وجدان (سهيل إدريس) بأماكن معينة أسهمت في صياغة رؤيته الفكرية للعالم الغربي وتشكيل منظاره السيكلوجي للأشياء، وهذه الأمكنة هي: الوحدة التي توجد بين شبّان العرب والشبان الباريسيين والحي اللاتيني وجامعة السوربون. والوحدة التي كانت في أحد مطاعم الطلاب تدعى، مطعم "لوي لوغران" والتقاء البطل بطائفة من مواطنيها السوريين واللبنانيين، ومن العراقيين والمصريين والتونسيين.

ثالثاً: لقد تكونت مجموعة من العوامل انفردت بمظاهر وصور باريس مهمة على الصعيد العلمي والثقافي والأدبي للبطل الإدريسي في رواية الحي اللاتينية وبعض أدباء العرب المعاصرين الذين سافروا إليها و بعض هذه العوامل، كانت النتاج الفكرية، والنقدية التي تولّد من محاضرات جامعة السوربون التي كثيراً ما يستمع إليها البطل وتحمله انبهاراً وإعجاباً بها والسينما والمسرحيات والباريسية والنساء العاريات فيها

٦٦ - أصابعنا التي تحترق، سهيل إدريس: ٥٨

٦٧ - ن: ٥٨-٥٩

في الفضاء الغربي والمقاهي والساحات الباريسية مثل "الأوبرا" وجادة "الشانزليزه" فتخلق ساحة الأوبرا وواجهات المخازن فيها والاجتياز من جادة "الشانزليزه" في نفس البطل و الشخصيات الروائية اللاتينية لذة غريبة.

رابعا: تكونت نوع من مشاعر الغربة و الوحشة عند البطل الروائي في رواية الحي اللاتيني بسبب رؤية الطقس الباريسي الكئيب والمطر وصورة بنايات باريس الداكنة والسماء الغائمة فيها كما يشعر البطل بالغربة والوحشة والاضطراب في باريس ويتمنى لو كان مكان صديقه سامي في الطائرة ويعود إلى وطنه، لأنه طوال الأسابيع الثلاثة الأولى في باريس لم تظهر في ذهنه إلا صورة جدران كنيسة سوداء وطقس باريس الخريفي وسمائها الغائمة الممطرة، لذلك لم يُعجب بطقس باريس الخريفي، لأن المدينة في هذا الجو تبدو حزينة وموحشة وكلما ينظر إلى جدران باريس، «يستشعر الوحشة من هذه الجدران المسودة التي تطل على الشوارع».

المصادر و المراجع

أولاً. الكتب والمقالات العربية:

١. ، أدبنا والترجمة، ضمن مجلة الآداب، العدد ٣. بيروت، إدريس، سهيل، ١٩٥٦.
٢. ، أصابعنا التي تحترق، ط ٨، بيروت، دارالآداب، إدريس، سهيل ١٩٩٨.
٣. ، أقاصيص أولى، ط ٢، بيروت، دار الآداب، إدريس، سهيل نيسان ١٩٨١.
٤. ، الحي اللاتيني، ط ١٤، بيروت، دارالآداب، إدريس، سهيل ٢٠٠٦.
٥. ، مواقف وقضايا أدبية، ط ٢، بيروت، دارالآداب، إدريس، سهيل ٢٠٠٠.
٦. ، ذكريات الأدب والحب، الجزء الأول، ط ١، بيروت، دار الآداب، إدريس، سهيل ٢٠٠٢.
٧. ، قطع من حوار في مجلة المقاصد، مجلة المقاصد، السنة ٤، العدد ٤٢ بيروت، إدريس، سهيل (تشرين الأول ١٩٨٥).
٨. ، محاضرات عن القصة في لبنان، بلا طبع، بيروت، معهد الدراسات العربية العالمية، إدريس، سهيل ١٩٥٤.
٩. في قصصه ومواقفه، ط ١، بيروت، دار الآداب، أزوط، جورج: سهيل إدريس ١٩٨٩.
١٠. : صورة الغرب في الأدب العربي المعاصر، الطبعة الأولى، بيروت، دارالمنهل اللبناني، ٢٠٠٩ جان نعوم طنوس.
١١. ، في الصيف، ط ١، بيروت، دارالكتاب اللبناني، حسين، طه، ١٩٨١.
١٢. : باريس في الأدب العربي الحديث، ط ١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، خليل الشيخ ١٩٩٨.
١٣. : نرجس في الحي اللاتيني، ضمن مجلة الآداب، بيروت، العدد ٢، سرور، نجيب، ١٩٥٥.
١٤. : تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد شام ١٨٧٠-١٩٦٧، ط ٢، بيروت، دار المناهل، سعافين، إبراهيم، ١٩٨٧.
١٥. : الحي اللاتيني عرض وتحليل، مجلة الآداب، مجلد ٢، العدد ٤، بيروت، الشاروني، يوسف ١٩٥٤.

١٦. ، البطل في ثلاثية سهيل إدريس، ط١، بيروت، دار الآداب، الشملي، سهيل، ١٩٩٨.
١٧. ، ابن الخندق العميق ذهب لبحث عن نفسه الضائعة، بيروت، جريدة النهار، صيداوي، رفيف رضا ٢٠٠٨/٢/٢٠.
١٨. ، شرق وغرب، رجولة وأنوثة، ط٤، بيروت، دارالطلعة للنشر، طرايشي، جرج ١٩٩٧.
١٩. : صورة الغرب في الأدب العربي المعاصر، ط١، بيروت، دار المنهل اللبناني، طنوس، جان نعيم ٢٠٠٩.
٢٠. ، اللغة واللون، ط٢، القاهرة، عالم الكتب للنشر والتوزيع، عمر، أحمد مختار ١٩٩٧.
٢١. ، أدب الرحلات، ط١، الكويت، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، فهم، محمد حسين يونيو ١٩٨٩.
٢٢. ، ودفعه، بلقاسم، التحليل السيميائي للبنى السردية في رواية (حمامة السلام)، دمشق، مجلة الموقف الأدبي، الكيلاني، نجيب العدد ٣٨٥، آيار ٢٠٠٣.
٢٣. ، ذكرى سهيل إدريس، مجلة الآداب، بيروت، العدد ١٢، مروءة، كريم السنة ٢٠٠٨.
٢٤. ، الرواية والمكان، ط١، بغداد، سلسلة الموسوعة الصغيرة، رقم ٥٧، منشورات وزارة أعلام عراقية، نصير، ياسين ١٩٨٠.

ثانياً. الكتب اللاتينية:

٢٥. Genette, Gerard, palimpsests, Sorbonne University Press, Paris, 1982.
٢٦. Genete, gerarre, seuil, edseuil, coll, poetique, paris, 1987.

مفهوم الاستطاعة في مدرسة أهل البيت عليه السلام

Human capacity in the school of Ahl al-Bayt

Dr. Mohammed Idan Mohammed

م.د. محمد عيدان محمد^(١)

الخلاصة

الاستطاعة هي القدرة على الفعل وقت الفعل مع الفعل أي انما مقدمة للفعل بمعنى عزيمة على احداث الفعل وهو التوفيق الالهي فلا بد أن تتقدم الاستطاعة على الفعل، إذ أن العبد لا يكون مكلفاً للفعل إلا بالاستطاعة التي جعلها الله فيه. فقضية الاستطاعة من الامور التي تخص أفعال الانسان واستطاعته أي قدرته على الفعل وهو متعلق بعده تعالى وهذا ما سنبحثه في ضوء مدرسة أهل البيت، وقد جاء البحث مقسماً على أربعة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الاول: الاستطاعة: لغة واصطلاحاً:

المبحث الثاني: الاستطاعة عند ائمة اهل البيت:

المبحث الثالث: الاستطاعة عند الفرق الاسلامية:

المبحث الرابع: الاستطاعة في كتب التفسير:

Abstract

Ability is the ability to act as a verb with the verb to be submitted to the determination of an act in the sense of causing a divine act of conciliation must be possible to apply the act, since the slave is not expensive to do, but make it possible to that of God in it. The issue of possible things that pertain to the actions of man and he could no ability to act and is related to his justice and this is what the Almighty Senbgesh in light of the school household, came Search divided on four topics as follows:

١ - المديرية العامة لتربية محافظة ذي قار.

First topic: possible: the language and idiomatically

The second topic: possible when Ahlulbait

The third topic: possible when the Islamic Teams

Section IV: Ability wrote in explanation.

المقدمة

الله عز وجل عدل كريم، خلق الخلق لعبادته وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته وعمهم بمداينته، بدأهم بالنعم وتفضل عليهم بالإحسان، لم يكلف أحدا دون طاقة، ولم يأمره إلا بما جعل له عليه الاستطاعة، فقضية الاستطاعة من الأمور التي تخص أفعال الإنسان واستطاعته أي قدرته على الفعل وهو متعلق بعدله تعالى، وتكمن أهمية البحث في إبراز الجهد الفكري والعقائدي الذي يتمتع به أهل البيت واتباعهم في مسألة الاستطاعة، وهذا ما سنبحثه في ضوء مدرسة أهل البيت، وقد جاء البحث مقسماً على أربعة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: الاستطاعة: لغة واصطلاحاً

المبحث الثاني: الاستطاعة عند أئمة أهل البيت:

المبحث الثالث: الاستطاعة عند الفرق الإسلامية:

المبحث الرابع: الاستطاعة في كتب التفسير:

المبحث الأول: الاستطاعة: لغة واصطلاحاً

عُرِّفت الاستطاعة لغة بأنها: هي الطاقة، كما ذكر ذلك ابن منظور، إلا أن الاستطاعة للإنسان خاصة، والاطاقة عامة، تقول: الجمل مطيق لحمله، ولا تقل مستطيع، فهذا الفرق بينهما^(٢)، وأراد بها الطريحي في مجمعه بـ(الإطاقة والقدرة)^(٣)

وقال الراغب الاصفهاني: هي اسم للمعاني التي بها يتمكن الإنسان مما يريد من أحداث الفعل^(٤) أما اصطلاحاً: فالاستطاعة: هي تمكين المكلف من الفعل ورفع الموانع وتقوية دواعيه التي على وجه لا يبقى له محذور في أن يفعله^(٥)، وفي ذلك يقول الإمام الصادق -عليه السلام-: (يكون العبد مستطيعاً بعد أربع خصال: أن يكون مخلص السرب، صحيح الجسم، سليم الجوارح، له سبب وارد من الله عز وجل).^(٦)

الإستطاعة هي قدرة الإنسان على الفعل مع صحة الفعل منه ومن غيرها، فإنه غير قادر على الإتيان به مع مساواتهما في جميع الصفات^(٧).

وعرفها الجرجاني (ت: ٨١٦ هـ): هي القدرة التامة التي يجب عندها صدور الفعل^(٨).

٢- لسان العرب: ابن منظور ٨ / ٢٤٢.

٣- مجمع البحرين: الطريحي ٣ / ٧١.

٤- مفردات غريب القرآن: الراغب الاصفهاني: ٣١٠.

٥- رسائل المرتضى: الشريف المرتضى ٢ / ٢٦٤.

٦- بحار الأنوار: المجلسي ٨ / ٥.

٧- الاقتصاد: الطوسي: ١٠٣.

وبهذا يتبين أن الإستطاعة هي: القدرة على الفعل، التي يجب توافرها قبل إحداث الفعل وهو ما ذهب الكراچكي بقوله: «إن القدرة على الفعل توجد قبله وإن الفعل يوجد بعدها»^(٩)، وهو ما عليه متكلمو الإمامية^(١٠). ووافقهم بعض الزيدية^(١١). والمعتزلة^(١٢). أما الأشعري فيقول: إن الإنسان يستطيع باستطاعة هي غيره، وذلك يكون تارة مستطيعاً وتارة عاجزاً، ويكون مستطيعاً بمعنى هو غيره^(١٣).

المبحث الثاني: الاستطاعة عند أئمة اهل البيت: (عليه السلام)

الاستطاعة من المباحث المهمة في الفكر الاسلامي ولاسيما في فكر اهل البيت - (عليه السلام) - وستناول في هذا المبحث أهم ما قال به أهل البيت - (عليه السلام) - وعلى النحو الآتي:

١- حين سئل أبو عبد الله - (عليه السلام) -: هل للعباد من الاستطاعة شيء؟ فقال - (عليه السلام) -: ((إذا فعلوا الفعل كانوا مستطيعين بالاستطاعة التي جعلها الله فيهم)) فقلت: وما هي؟ قال - (عليه السلام) -: ((الآلة، مثل الزاني إذا زنى كان مستطيعاً للزنا حين زنى، ولو أنه ترك الزنا ولم يزن كان مستطيعاً لتركه إذا ترك))، ثم قال - (عليه السلام) -: ((ليس له من الاستطاعة قبل الفعل قليل ولا كثير، ولكن مع الفعل والترك كان مستطيعاً)) قلت: فعلى ما يعذبه؟ قال - (عليه السلام) -: ((بالحجة البالغة والآلة التي ركبها فيهم))^(١٤).

وبناء على ذلك أن فعل العبد لا يتم إلا من خلال ما أودعه الله فيه من القوة والقدرة على القيام به وهي الآلة، أي أن لكل فعل يقوم به الإنسان سواء كان قولاً أو عملاً لا يكون إلا بواسطة.

٢- أما ما ذهب إليه الإمام الرضا - (عليه السلام) - في معنى الاستطاعة يتبين عبر حديثه حين سئل عنها قال: ((يستطيع العبد بأربع خصال: أن يكون مُحلى السرب، صحيح الجسم، سليم الجوارح، له سبب وإرادة من الله)) قال: قلت: جعلت فداك، فسر لي هذا. قال - (عليه السلام) -: ((أن يكون العبد مُحلى السرب، صحيح الجسم، سليم الجوارح، يريد يزي فلا يجد امرأة ثم يجدها، فأما أن يعصم نفسه فيمتنع كما امتنع يوسف - (عليه السلام) -، أو يُحلى بينه وبين إرادته فيزني فيسمى زانيا ولم يطع الله بإكراه ولم يعصه بغلبة))^(١٥).

يتبين لدى الباحث أن معنى الاستطاعة عند الإمام الرضا - (عليه السلام) - عبر الرواية هي آلة مقرونة بالفعل فالعبد يوصف بالاستطاعة وقت فعل الفعل إن فعل ذلك الفعل، فإن لم يفعل في ملكه لم يستطع أن يفعل فعلاً لم يفعله، أي أن الفعل مقدر في ملك الله قبل فعله، وهو متوقف على إرادة العبد ((لم يطع الله بإكراه ولم يعصه بغلبة)) وقول الإمام الرضا - (عليه السلام) - الذي سبق ذكره دليل على ذلك.

٨- التعريفات: الجرجاني: ١٦.

٩- كنز الفوائد: الكراچكي ١ / ١٠٦.

١٠- ينظر: أوائل المقالات: المفيد: ١١٣، جمل العلم والعمل: الشريف المرتضى: ٣٣، الاقتصاد: الطوسي: ١٠٣.

الإلهيات: السبحاني ١ / ٣١٣

١١- ينظر: مقالات الإسلاميين: الأشعري: ٧٢.

١٢- ينظر: شرح الأصول الخمسة: القاضي عبد الجبار: ٣٦٣، مذاهب الإسلاميين: بدوي عبد الرحمن: ٤٦٢.

١٣- اللمع: الأشعرية: ٥٨، ينظر: المواقف: الأبي: ١٥١.

١٤- الكافي: الكليني ١ / ١٦٢ كتاب التوحيد، باب الاستطاعة، ح ٣.

١٥- الأصول من الكافي الكليني ١ / ١٦٠ كتاب التوحيد، باب الاستطاعة، ح ١.

٣- سئل الإمام أبو عبد الله الحسين - (عليه السلام) - عن الاستطاعة من أحد أصحابه فقال له: ((أستطيع أن تعمل ما لم يكن؟)) قال: لا. قال - (عليه السلام) -: ((فتستطيع أن تنتهي عما قد يكون؟)) قال: لا. قال: فقال له أبو عبد الله - (عليه السلام) -: ((فمتى أنت مستطيع؟)) قال: لا أدري. قال: فقال له أبو عبد الله - (عليه السلام) -: ((إن الله خلق خلقاً فجعل فيه آلة الاستطاعة، ثم لم يُفوض إليهم، فهم مستطيعون للفعل وقت الفعل مع الفعل إذا فعلوا ذلك الفعل، فإن لم يفعلوه في ملكه لم يكونوا مستطيعين أن يفعلوا فعلاً لم يفعلوه؛ لأن الله اعز من أن يضاد في ملكه أحداً)).^(١٦)

٤- يقول الإمام علي الهادي - (عليه السلام) -: ((ولسنا ندين بجزء ولا تفويض لكننا نقول بمنزلة بين المنزلتين، وهو الامتحان والاختبار بالاستطاعة التي ملكنا الله، وتعبداً بها، على ما شهد به الكتاب ودان به الأئمة الأبرار من آل الرسول. فأما شواهد القرآن على الاختبار والبلوى بالاستطاعة التي تجمع القول بين القولين فكثيرة، ومن ذلك قوله: «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ»^(١٧)، وقال: «سَنَسْأَلُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ»^(١٨)، وقال: «لَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ»^(١٩).

وقال في الفتن التي معناها الاختبار: «وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ»^(٢٠) وقال في موسى: «قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ»^(٢١) وقال موسى: «إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ»^(٢٢) أي اختبارك، فهذه الآيات يقاس بعضها ببعض، ويشهد بعضها لبعض. وأما آيات البلوى بمعنى الاختبار فقولته: «لَيَبْلُوَنَّكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ»^(٢٣) وقوله: «ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ»^(٢٤) وقوله: «إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ»^(٢٥) وقوله: «الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا»^(٢٦) وكل ما في القرآن من بلوى هذه الآيات التي شرح أولها فهي اختبار، وأمثالها في القرآن كثيرة، فهي إثبات الاختبار والبلوى: إن الله جل وعز لم يخلق الخلق عبثاً ولا أهملهم سدى ولا أظهر حكمته لعباء، وبذلك أخبر في قوله: «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا»^(٢٧) فالاختبار من الله بالاستطاعة التي ملكها عبده وهو القول بين الجبر والتفويض، وبهذا نطق القرآن وجرت الأخبار عن الأئمة من آل الرسول^(٢٨).

يتبين لنا أن معنى الاستطاعة التي يملكها الفرد، والتي هي المحور الرئيس في الاختبار الإلهي للعباد والأساس الذي بُني عليه نظرية (الأمر بين الأمرين).

١٦- المصدر نفسه ١/ ١٦١، ح ٢.

١٧- محمد: ٣١.

١٨- الأعراف: ١٨٢.

١٩- العنكبوت: ١-٢.

٢٠- ص: ٣٤.

٢١- طه: ٨٥.

٢٢- الأعراف: ١٥٥.

٢٣- المائدة: ٤٨.

٢٤- آل عمران: ١٥٢.

٢٥- القلم: ١٧.

٢٦- الملك: ٢.

٢٧- المؤمنون: ١١٥.

٢٨- تحف العقول: ابن شعبة الحراني: ٤٧٣- ٤٧٥.

٥- حين سُئل الإمام الكاظم (عليه السلام) - (العالم) - من قِيلَ رجل: أليس أنا مستطيع لما كُلفت؟، فقال الإمام - (عليه السلام) -: ((ما الاستطاعة عندك؟)) قال: القوة على العمل، فقال - (عليه السلام) -: ((قد أعطيت القوة إن أعطيت المعونة)) قال الرجل: فما المعونة؟ قال - (عليه السلام) -: ((التوفيق)) قال له الرجل: فلم إعطاء التوفيق؟ قال - (عليه السلام) -: ((فلو كنت موفقاً كنت عاملاً، وقد يكون الكافر أقوى منك ولا يُعطي التوفيق فلا يكون عاملاً)) ثم قال - (عليه السلام) -: ((إخبرني عنك، من خلق فيك القوة؟)) قال الرجل: الله تبارك وتعالى، قال العالم: ((هل تستطيع بتلك القوة دفع الضرر عن نفسك واخذ النفع إليها بغير العون من الله تبارك وتعالى؟)) قال: لا، قال - (عليه السلام) -: ((فلم تتحل ما لا تقدر عليه؟))، ثم قال - (عليه السلام) -: ((أين أنت عن قول العبد الصالح: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾))^(٣٠)

وعلى هذا أن الاستطاعة الممنوحة للعبد لا يكون لها أي دور وفاعلية إلا اذا تكللت بالتوفيق الإلهي؛ لأن (التوفيق عناية الرحمن)^(٣١)؛ ولهذا فقد ربط الائمة - (عليهم السلام) - الاستطاعة بالتوفيق الإلهي، فالأمر واضح في أن الإمام يقصد أن الذي يكون في إرادة الإنسان بالاستطاعة التي من خلالها يدير أموره ويوائم بين الأسباب التي تعود عليه بالنفع إنما هي بتوفيق وعون من الله عزوجل.

المبحث الثالث: الاستطاعة عند الفرق الإسلامية:

اتفق المتكلمون على معنى الاستطاعة وهو القدرة وهذا ما عليه الشيخ المفيد^(٣٢) والطوسي^(٣٣) وبعض الزيدية بخلاف الأشعرية^(٣٤) الذين قالوا بمقارنة الاستطاعة بالفعل^(٣٥).

وقد اختلف في الاستطاعة التي في الإنسان، هل هي متقدمة على الفعل أو مع الفعل ومقارنة له؟ فالامامية يشترطون القدرة على الفعل - من حيث التوقيت - قبل أحداث المقدور^(٣٦)، أي أن الاستطاعة والقدرة في الإنسان متقدمتان على الفعل، ووافقهم على هذا المعتزلة والزيدية^(٣٧) وروى الكراچي حديثاً عن شيخه المفيد أثبت فيه إمكان تقدم القدرة على الفعل، والرد على مزاعم الجبرية بقوله: «إن متكلمي أحدهما عدلي، والآخر جبري كانا كثيراً ما يتكلمان في هذه المسألة وإن الجبري أتى منزل العدلي، فصدق الباب عليه، فقال العدلي: من ذا؟ قال الجبري: أنا فلان. فقال العدلي: أدخل، قال له الجبري: افتح لي الباب حتى أدخل. قال العدلي: أدخل حتى أفتح فأنكر هذا عليه وقال له: لا يصح دخولي حتى يتقدم الفتح، فوافقه على قوله في القدرة والفعل، وأعلمه بذلك وجوب تقدمها عليه فانتقل

٢٩- هود: ٨٨ وهو قول النبي شعيب - (عليه السلام) -: «إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ»

٣٠- بحار الأنوار: المجلسي ٥/ ٤٢.

٣١- عيون الحكم والمواعظ: كافي الدين الليثي: ٤١.

٣٢- أوائل المقالات: المفيد، ص ٢١٣.

٣٣- الاقتصاد: الطوسي، ص ١٠٤.

٣٤- مقالات الإسلاميين: الأشعري ١/ ١٤.

٣٥- اللمع: الأشعري: ٥٥.

٣٦- ينظر: أوائل المقالات: المفيد: ١١٣، الاقتصاد: الطوسي: ١٠٣.

٣٧- مقالات الإسلاميين: الأشعري ١/ ١٤٠.

الجبري عن مذهبه وصار إلى الحق»^(٣٨). أما الاشاعرة فقالوا بمقارنة الاستطاعة للفعل^(٣٩). وهم على أقوال: (٤٠)

١- إن الله تعالى خلق فعل العبد وليس للعبد في ذلك فعل ولا صنع وإنما يضاف إليه أنه فعله كما يضاف إليه لونه وحياته.

٢- إن الله تعالى خلق فعل العبد وأن العبد فعله باستطاعة حدث له في حال الفعل لا يجوز أن تتقدم الفعل.

فعلى على هذا الأساس يرى الاشاعرة إن الاستطاعة مع الفعل وأن العبد يكتسب فعله أي إن الإنسان يستطيع باستطاعة غيره^(٤١)

ورد قول الاشاعرة أنها لو كانت مع الفعل كان الكافر غير قادر على الإيمان لمكان الإيمان موجودا منه على هذا المذهب، ولو لم يكن قادرا على الإيمان لما حسن أن يؤمر به، ويعاقب على تركه، كما لا يعاقب العاجز عن الإيمان بتركه ولا يؤمر به ولا فرق بين العاجز والكافر على مذاهبهم لأنهما جميعا غير قادرين على الإيمان ولا متمكنين منه. شرط توجه الأمر بالاستطاعة له، فلو لا أنها متقدمة للفعل وأنه يكون مستطيعا للحج وإن لم يفعله لوجب أن يكون الأمر بالحج إنما توجه إلى من فعله ووجد منه وهذا محال^(٤٢).

فالاستطاعة في الإنسان على فعل من الأفعال تقارنه تارة، وتتقدم عليه أخرى، خلافا للأشاعرة فقد قالوا بالتقارن مطلقا^(٤٣)

ونقل عنه بدوي عبد الرحمن قوله: استحالة تقدم الإستطاعة على الفعل^(٤٤). وقد رد على مزاعم المجبرة التي ترى: أن القدرة على الفعل توجد هي والفعل معاً ولا يتأخر الفعل عنها بالأدلة الآتية:

١- إن القدرة متقدمة في الوجود على الفعل لحاجة الفعل إليها ويخرج بها من العدم إلى الوجود. فمتى وجدت والفعل موجود فلا حاجة لوجودها.

٢- القدرة لو كانت مع الفعل لكان الكافر غير قادر على الإيمان، لأنه لو قدر عليه لكان موجوداً منه على هذا المذهب، ويكون مؤمناً في حالة كفره، وهذا فاسد.

٣- من كان في يده شيء فألقاه، إن استطاع الإلقاء لا تخلو من حالتين: أما أن تأتبه والشيء في يده، أو تأتبه وهو خارج عن يده، فإن كانت تأتبه والشيء في يده فقد صح تقدم القدرة على الإلقاء وهو المطلوب.

وإن كانت تأتبه والشيء خارج عن يده، ملقى عنها فقد أتت في حال الغنى عنها^(٤٥).

٣٨- كنز الفوائد: الكراجكي ١ / ١١١.

٣٩- اللمع: الأشعري: ٥٥.

٤٠- رسائل الشريف المرتضى: الشريف المرتضى ١٨٢/٢.

٤١- ينظر: مقالات الإسلاميين: الأشعري، ٧٢-٧٣، وينظر: المواقف، الإيجي ٧١١/٣.

٤٢- رسائل الشريف المرتضى: الشريف المرتضى ١٤٦/١.

٤٣- ينظر: أضواء على عقائد الشيعة الإمامية: الشيخ السبحاني، ٣٨١.

٤٤- مذاهب الإسلاميين: ٤٦٣.

وعلى هذا رد على المجبرة أن القدرة التي أعطاها الله ﷻ لا تصلح إلا لشيء واحد أما الإيمان أو الكفر والدليل على ذلك: «إن القدرة التي أعطاها الله تعالى للعبد هي قدرة على الإيمان والكفر وأنه يفعل بما أيهما شاء باختياره، ولا يصح أن يفعلها معاً في حالة واحدة لتضادها. فحصل من هذا أن الذي أمره الله بالإيمان ونهاه عن الكفر قادر على أمره به ونهاه عنه، وصح أنه سبحانه لا يكلف العبد إلا بما يستطيعه»^(٤٦)

فيتين لنا أن القدرة التي أعطاها الله تعالى للإنسان قدرة واحدة، قدرة على الإيمان والكفر. نذكر دليلين ذكرهما الكراچي على ما تقدم:

الاول: إن الكفر مأمور بالإيمان، فلو كانت قدرة الإيمان ليست معه، كان قد كلف ما لا يطيقه. وهذا لا يجوز.

والثاني: إذا كانت القدرة معه فلا يجوز أن تكون غير قدرة الكفر الحاصلة له لما في ذلك من اجتماع الضدين. فعلم أنها قدرة واحدة تصلح للضدين، على أن يفعل بها ما يتعلق به اختيار المكلف منها، حيث أعطاه الله سبحانه وتعالى قدرة تصلح للكفر وتصلح للطاعة، مثل السيف الذي يعطيه السيد لعبده ليقتل به أعدائه، وهو يصلح أن يقتل به أوليائه^(٤٧).

ومما تقدم يظهر أن القدرة على الفعل هي الاستطاعة توسعاً ومجازاً^(٤٨). يقال للمريض الذي يجهد الصوم: إنك لا تستطيع الصيام، وهو في الحقيقة يستطيعه، ولكن بمشقة تدخل عليه، وثقل يناله فهذا يدل لمن لا يفعل شيئاً ثقله على قلبه ونفور طبعه منه أنك لا تستطيعه. وإن كان في الحقيقة مستطيعاً له.

المبحث الرابع: الاستطاعة في كتب التفسير

أشار المفسرون الى عقيدة الاستطاعة في كثير من الآيات التي تعرضت لها:

فقد ذكر صاحب مقتنيات الدرر: أن الاستطاعة التي هي شرط لوجوب الفعل فهي بهذا المعنى لا الاستطاعة التي هي شرط حصول الفعل فهي لا تكون إلا مع الفعل؛ لأنها علّة وجود الفعل فلا يكون إلا معه ولا تتحقق إلا بتحقيق الفعل فالاستطاعة الأولى شرط الوجوب والثانية شرط حصول الفعل^(٤٩) كما في قوله تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(٥٠) لأن الله تعالى أوجب الحج على المستطيع ومن لا يستطيع، فلا يجب عليه وذلك لا يكون إلا قبل فعل الحج، كذلك الصوم والصلاة^(٥١) فكأنه اراد

٤٥- كنز الفوائد: الكراچي ١ / ١١٠.

٤٦- كنز الفوائد: الكراچي ١ / ١٠٦.

٤٧- المصدر نفسه ١ / ١٠٩ - ١١٠.

٤٨- المصدر نفسه ١ / ١١٧.

٤٩- ينظر: تفسير مقتنيات الدرر: علي الحائري ٢ / ٢٤١.

٥٠- آل عمران / ٩٧.

٥١- التبيان في تفسير القرآن: الشيخ الطوسي ٢ / ٥٣٨، ينظر: تفسير مقتنيات الدرر: علي الحائري ٢ / ٢٤٢.

ان يقول أن هنالك استطاعتان مرة مقدمة على الفعل ومع الفعل توجب وقوع الفعل فاذا تحققت تحقق معها الفعل، لان الوجوب قبل الفعل قادر، واذا كان غير قادر لا يجب عليه الفعل.

وفي تفسير قوله تعالى فيما حكاه عن العالم الذي يتبعه موسى، حيث قال له موسى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٥٢﴾.

والمراد من الآية إنك لا تصبر ولا يخف عليك، وإنه ينقل على طبيعتك فعبر عن نفي الصبر بنفي الاستطاعة (٥٣)، وإلا فهو قادر مستطيع فيدل على ذلك قول موسى في جوابه له: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ (٥٤).

ولم يقل: إن شاء الله مستطيعاً، فدل جوابه على أن الإستطاعة المذكورة في الابتداء هي عبارة عن الفعل نفسه مجازاً وعلى هذا المعنى (٥٥) قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ (٥٦).

فهم لاستثقالهم استماع آيات الله تعالى وكرهتهم تأملها وتدبرها اجروه مجرى من لا يستطيع السمع، كما يقال لمن عهد منه العناد، واستثقال استماع الحجج والبيّنات، ما يستطيع استماع الحق، وما يطيق أن يذكر له (٥٧).

كقول الأعشى:

ودّع هربة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

وقد علمنا أنّ الأعشى كان يقدر على الوداع، وإنّما نفى الطاقة عن نفسه من حيث الكراهة. (٥٨)

وذكر مغنية في تفسيره وقال: هذا تعليل لمضاعفة العذاب، وان الله انما يضاعفه لهم؛ لأنهم كانوا في الحياة الدنيا لا يطبقون سماع الحق، مع انهم قادرون على سماع الحق ولا النظر إليه لإغراقهم في الكفر والعناد. (٥٩)

وعلل الطباطبائي ذلك بقوله: إنهم لم يكفروا ولم يعصوا لظهور إرادتهم على إرادة الله ولا لان لهم أولياء من دون الله يستظهرون بهم على الله بل لأنهم ما كانوا يستطيعون ان يسمعو ما يأتيهم من الانذار والتبشير من ناحيته أو يذكر لهم من البعث والزجر من قبله وما كانوا يبصرون آياته حتى يؤمنوا بها كما وصفهم. (٦٠) في قوله: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (٦١).

٥٢- الكهف/٦٦-٦٧.

٥٣- ينظر: الميزان: الطباطبائي ٣٤٢/١٣.

٥٤- الكهف/٦٩.

٥٥- ينظر: كنز الفوائد: الكراجكي ١ / ١١٨.

٥٦- هود/ ٢٠.

٥٧- ينظر: كنز الفوائد: الكراجكي ١ / ١١٨.

٥٨- ينظر: مقتنيات الدرر: علي الحائري ٣٠٥/٥.

٥٩- ينظر: الكاشف: محمد جواد مغنية ٢٢١/٤.

٦٠- ينظر: الميزان: الطباطبائي ١٠ / ١٩١.

٦١- الأعراف / ١٧٩.

وأشار الشيرازي الى انهم ما كانوا يستطيعون السمع، أي استماع الحق، فهذا التعبير يشير إلى الحالة الواقعية التي هم فيها، وهي أن استماع الحق كان عليهم صعباً وثقيلاً إلى درجة يتصور فيها أنهم فقدوا حاسة السمع، فلا قدرة لهم على السمع، وهذا التعبير ينسجم تماماً مع قولنا مثلاً: إن الشخص العاشق لا يستطيع أن يسمع كلاماً عن عيوب معشوقه، وبديهي أن عدم استطاعة دركهم الحقائق كانت نتيجة لاجتهدهم الشديدة وعدائهم للحق والحقيقة، وهذا لا يسلب عنهم المسؤولية؛ لأنهم هم السبب في ذلك، وهم الذي مهدوا له، وكان بإمكانهم أن يبعدوا عنهم هذه الحالة، لأن القدرة على السبب قدرة على المسبب. (٦٢)

الخاتمة

بعد الوصول إلى آخر المطاف في هذا البحث المتواضع، أرجو من الله أن أكون قد وفقت فيها لإبراز أهم النقاط التي تخص مفهوم الاستطاعة في مدرسة أهل البيت، أخلص أهم النتائج التي توصل إليها البحث وهي على النحو الآتي:

١. ان الاستطاعة هي القدرة على الفعل وقت الفعل مع الفعل وهو ما تضمنه قول الامام الحسين -عليه السلام- أي انما مقدمة للفعل بمعنى عزيمة على احداث الفعل وهو التوفيق الالهي هذا من جهة، في حين أن الاشاعة يرون أن الاستطاعة والفعل شيء واحد فان استطاع فعل، وفساد قول من قال: إنَّ الاستطاعة مع الفعل لأنَّ الله أوجب الحجَّ على المستطيع ولم يوجب على غير المستطيع وذلك لا يمكن إلاَّ قبل فعل الحجَّ. (٦٣) فلا بد أن تتقدم الاستطاعة على الفعل، إذ أن العبد لا يكون مكلفاً للفعل إلاَّ بالاستطاعة التي جعلها الله فيه.
٢. إنَّ المفسرين قالو ان الاستطاعة الواردة في النص القرآني هي عدم قدرة الكافرين على استماع الحق لان القدرة موجودة عند الكافر قبل استماع الحق ولكنه رفض استماع الحق بغيّة وعناده من جهة اخرى، فوجود الاستطاعة والقدرة على الفعل يتحقق التكليف ووجه الاستدلال في ذلك قول الإمام الصادق -عليه السلام-: ((لا يكون العبد فاعلاً ولا متحرراً إلاَّ والاستطاعة معه من الله عزَّ وجلَّ، وإتّما وقع التكليف من الله عزَّ وجلَّ بعد الاستطاعة، فلا يكون مكلفاً للفعل إلاَّ مستطيعاً)) (٦٤).

المصادر والمراجع

القران الكريم

- ١- الأصول في الكافي:، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسماعيل الكليني (ت: ٣٢٨ هـ)، تح: محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات/بيروت، ط ٢، ١٤١٩ هـ.
- ٢- الأصول والفروع من الكافي، أبو جعفر، محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، (ت: ٣٢٨ هـ)، تح: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٣، ١٣٨٨ هـ.

٦٢- ينظر: الامثل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ٥٠٧/٦.

٦٣- ينظر: مقتنيات الدرر: علي الحائري ٢٤٢/٢.

٦٤- لتوحيد: الصدوق، باب بيانه في الاستطاعة: ٣٤٧، ح ٢.

- ٣- أضواء على عقائد الشيعة الإمامية: الشيخ السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، قم، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.
- ٤- الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد: أبو جعفر، محمد بن الحسن الطوسي، (ت: ٤٦٠هـ)، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- ٥- الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل، جعفر السبحاني، المركز العلمي للدراسات الإسلامية/قم، ط١، ١٤٢٠هـ.
- ٦- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، د.ط، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- ٧- أوائل المقالات: أبو عبد الله، محمد بن النعمان العكبري المفيد (ت: ٤١٣هـ)، تح: إبراهيم الأنصاري، دار المفيد للطباعة والنشر، ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- ٨- بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهار، محمد باقر بن محمد تقى المجلسي، (ت: ١١١١هـ): مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- ٩- التبيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، (ت: ٤٦٠هـ)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العامل، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.
- ١٠- تحف العقول عن آل الرسول:، أبو محمد حسن بن علي الحسين بن شعبة الحراني (ت: ٣٨١هـ)، تح: علي أكبر الغفاري.
- ١١- التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ): دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- ١٢- التفسير الكاشف: محمد جواد مغنية (ت: ١٤٠٠هـ)، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٩٨١م.
- ١٣- تفسير الميزان: السيد محمد حسين الطباطبائي، (ت: ١٤٠٢هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- ١٤- التوحيد: محمد بن علي بن بابويه القمي الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١هـ)، تح: السيد هاشم الحسيني الطهراني: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- ١٥- جمل العلم والعمل:، أبو القاسم علي بن الحسين الشريف المرتضى (ت: ٤٣٦هـ)، تح: رشيد الصفار، مطبعة النعمان / النجف الأشرف، ط١، ١٣٨٧هـ.
- ١٦- رسائل الشريف المرتضى: الشريف المرتضى (ت: ٤٣٦هـ) تح: السيد أحمد الحسيني / إعداد: السيد مهدي الرجائي، دار القرآن الكريم - قم، ١٤٠٤هـ.
- ١٧- رسائل المرتضى، ابو القاسم، علي بن الحسين، الشريف المرتضى (ت: ٤٣٦هـ)، تح: احمد الحسين، دار القرآن الكريم، قم، ١٤٠٥هـ.
- ١٨- شرح الأصول الخمسة: القاضي عبد الجبار بن أحمد الاستربادي المعتزلي (ت: ٤١٥هـ)، تح: أحمد بن الحسين بن بني هاشم، دار إحياء التراث العربي/ بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

- ١٩- عيون الحكم والمواعظ كافي الدين، أبو الحسن، علي بن محمد الواسطي الليثي، (من أعلام ق٦هـ):، تح: حسين الحسيني البيرجندي، دار الحديث، قم، ١٣٧٦هـ.
- ٢٠- كنز الفوائد:، محمد بن علي بن عثمان الكراجكي (ت: ٤٤٩هـ)، الناشر: مكتبة المصطفوي، قم، مطبعة غدیر، ط ٢، ١٣٢٢هـ.
- ٢١- لسان العرب: أبو الفضل، جمال الدين، محمد بن مكرم الأفريقي ابن منظور، (ت: ٧١١هـ):، الناشر: مؤسسة أدب الحوزة، قم، ١٤٠٥ هـ.
- ٢٢- اللّمع في الرد على أهل الزيغ والبدع: أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت: ٣٢٤ هـ)، دار الكتب العلمية / بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ.
- ٢٣- مجمع البحرين: فخر الدين الطريحي (ت: ١٠٨٥هـ) تح: أحمد الحسيني، الثقافة الإسلامية، إيران، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ.
- ٢٤- مذاهب الإسلاميين، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين / بيروت، ط ٢، ١٤٢٦ هـ.
- ٢٥- مفردات غريب القرآن:، أبو القاسم، الحسين بن محمد الراغب الاصفهاني، (ت: ٥٠٢هـ)، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ط ٤، ١٤٠٤هـ.
- ٢٦- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين:، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت: ٣٢٤ هـ)، مطبعة دار النشر فرانز شتايز، ط ٣، ١٤٠٠ هـ.
- ٢٧- مقتنيات الدرر: علي الحائري الطهراني (ت: ١٣٥٣هـ)، تح: الشيخ محمد الآخوندي، دار الكتب الإسلامية، إيران.
- ٢٨- المواقف في علم الكلام، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الايجي (ت: ٧٥٦ هـ)، مكتبة المتنبي / القاهرة (د، ت).

وسائل تطور النصوص القانونية

Means of developing the legal texts

Dr. Jamal A. K. AL-Haj Yassin
Inst. Ali Sh. H. AL-Shimmery

م. د. جمال عبد كاظم الحاج ياسين^(١)
م. علي شمران حميد الشمري^(٢)

الملخص

لقد عرفت المجتمعات الانسانية عبر تاريخها الطويل الكثير من الشرائع والقوانين، حيث استطاع البعض منها مواكبه ركب تقدم الحضارة والحياة الاجتماعية والانسانية المتغيرة، فيتطور بتطورها ويقودها الى التطور، ومن أسباب تطور هذه القوانين والشرائع هو انتقالها الى مراحل التقنين وتحليلها عن بعض التقاليد العرفية جعل لها من الاهمية القانونية في حياة المجتمعات، وضرورة ايجاد بعض الوسائل التي من شأنها أن يصل النص القانوني الى مراحل متطورة ليستعين به القاضي في حل المنازعات التي يستعين حلها من غير تفسير أو تعديل أو تحوير في النص القانوني.

Abstract

Throughout the long history of mankind, human societies have known many laws and laws. Some of them have been able to follow the progress of civilization, social life,

and humanism. The evolution of these laws and their development leads to the evolution of these laws and laws. In the life of societies, and the need to find some means that would bring the legal text to advanced stages to be used by the judge in the resolution of disputes that seek to solve them without interpretation, modification or modification in the legal text.

١ - جامعة أهل البيت - /كلية القانون.

٢ - جامعة أهل البيت - /كلية القانون.

المقدمة

أولاً: تحديد موضوع البحث:

لقد كان الانسان منذ القدم ولحد يومنا هذا يبحث جاهداً عن العدل، حيث يعتبره جوهر شرائعه وسياس أمنه واستقراره في معيشتة داخل المجتمع ويبقى هذا الأمل من أهم الغايات والوسائل التي يبحث ويفتش عنها مادام هو حياً، لا شك ان فكرة القانون قد تأثرت بالعوامل الاجتماعية والاقتصادية وبما يتيح لها من وسائل التطور خلال العصور المتعاقبة، وعليه لا يوجد هناك معيار دقيق لبيان وتوضيح ماهية وانواع هذه الوسائل الكفيلة بتطور النصوص القانونية على مر العصور.

ومن الجدير بالذكر ان القانون في تنظيمه لسلوك الافراد وعلاقاتهم في المجتمع انما يفعل ذلك ببيان حقوقهم وواجباتهم فالقانون والحق والواجب اذا ما أحسن تطبيقها على الوجه السليم سوف تساهم في الحفاظ على أمن المجتمع واستقرار المعاملات والحفاظ على النظام العام، والتي جاءت جميعها من خلال حسن تطبيق النصوص القانونية وإيجاد وسائل تطور وتفسر وتعديل هذه النصوص لتكون أداة فاعلة بيد القاضي عند حله للنزاع المعروض أمامه.

ثانياً: أهمية البحث وسبب اختياره:

تكمن أهمية البحث في موضوع وسائل تطور النصوص القانونية في أنه من الموضوعات المهمة والفعالة وذات الصلة بحياة المجتمعات، وانه يتناول مفصلاً مهماً من مفاصل الحياة القانونية المتنوعة سواء في نطاقها الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي، ويعتبر من الموضوعات التي تشغل بال الكثير من الكتاب والباحثين والمؤرخين لأن هدفهم الاسمي هو تحقيق العدل والعدالة والانصاف وإيجاد الحلول المناسبة لتكون عوناً للقاضي لمواجهة قسوة النصوص القانونية وضيق استيعابها للحاجات المتطورة.

ويكمن السبب في اختيارنا لهذا الموضوع هو كثرة الحالات التي تحتاج من القاضي أو المتصدر في تطبيق النصوص القانونية الى إيجاد وسيلة ثانوية غير تطبيق النص القانوني حرفياً وتطويعه من خلال افتراض قانوني معين أو إيجاد حيلة قانونية معينة وتطبيقها على النزاع المعروض امامه بما يخدم الطرفين المتنازعين دون المساس بجوهر النص القانوني بحيث يحقق العدالة والمساواة بين الطرفين المتخاصمين.

ثالثاً: إشكالية البحث:

يعالج الحالات التي تعرض على القاضي والتي يصعب أحياناً تطبيق النص القانوني حرفياً على المنازعة ولكثرة الحالات والدعاوى المعروضة على المحاكم مما حث المشرعون على اعطاء سلطة تقديرية للقاضي بحل النزاعات المعروضة عليه من خلال إيجاد حيل أو افتراضات قانونية وبالتالي حتى لا يكون منكراً للعدالة أو الاستعانة ببعض الوسائل التشريعية والتطبيقية القضائية لحل المنازعات.

رابعاً: منهجية وخطة البحث:

تم البحث في هذا الموضوع بمنهجية استقرائية مقارنة مع ترجيح ما هو مرجح ونقد ما عدا ذلك. من خلال بيان آراء الفقه والتشريع والقضاء في ذلك. ولأجل توضيح هذا الموضوع سوف نقسمه على ثلاثه مباحث كان المبحث الأول بعنوان الافتراض القانوني ودوره في تطور النصوص القانونية، والمبحث الثاني

بعنوان الوسائل التشريعية ودورها في تطور النصوص القانونية، أما الاجتهادات القضائية فكانت عنواناً للمبحث الثالث وسننهى هذا الموضوع بخاتمة تتضمن عدداً من النتائج والمقترحات، وعلى النحو الآتي:

المبحث الأول: الافتراض القانوني ودوره في تطور النصوص القانونية

في كثير من الأحيان يلجأ المشرع الى ايجاد الوسائل المشروعة في إطار القوانين الإجرائية المختلفة لغرض تحقيق أكبر قدر ممكن من فعالية الإجراءات القضائية في اطار الخصومة المدنية وهو ما يسمى بفكرة الافتراض القانوني نتيجة الصعوبات التي يواجهها القاضي في تطبيق النص القانوني حرفياً على المنازعة، أو الصعوبات الواقعية التي تتعلق بتطبيق احكام هذه القواعد على المنازعات لمواجهة أي تصرف أو سلوك سلبى ينحرف بالخصومة واجراءاتها عن الغاية المنشودة لها.

ولبيان هذا المبحث بشكل أكثر دقة وافادةً للمعنى سوف نقسمه على ثلاثة مطالب تناول في الأول تعريف الافتراض القانوني وفي المطلب الثاني تمييز الافتراض القانوني عما يشبهه به والمطلب الثالث كان بعنوان دور الافتراض القانوني في تطور النصوص القانونية، وعلى النحو الآتي.

المطلب الأول: تعريف الافتراض القانوني

بشكل عام هناك افتراضات قامت الشريعة الاسلامية على الغائها كالتبني والظهار، وهناك افتراضات تم اعتبارها والأخذ بها كالشخصية المعنوية، وهناك افتراضات اختلقها البعض احتيالياً كالحيلة الشرعية.^(٣) فالتشريعات المدنية لم تعرف الافتراض القانوني وحسناً فعلت لأن ليس من مهمة المشرع اعطاء تعريفات وانما من مهمة وعمل الفقه وعليه فقد تم تعريف الافتراض القانوني من الفقه على إنه ((وسيلة عقلية لازمة لتطور القانون، يقوم على أساس افتراض أمر مخالف للواقع يترتب عليه تغيير حكم القانون دون تغيير نصوصه))^(٤) أو الاستناد الى واقعة كاذبة باعتبارها واقعة حقيقية حتى ينطبق القانون على حالة لا ينطبق عليها من قبل، بحيث يترتب عليها إخفاء أمر واقعي، أي افتراض ان حكم قاعدة قانونية معينة ينطبق على حالة معروضة أمام القاضي، على الرغم ان هذه القاعدة القانونية في حقيقتها لا تشمل حلاً للمنازعة المعروضة امام القضاء لولا هذا الافتراض من قبل المشرع والتي سمح به للقاضي استخدام هذه القاعدة دون تغيير في البناء اللفظي لها^(٥).

ومن الجدير بالذكر أن الافتراض القانوني هو وسيلة من وسائل الصياغة التشريعية والتي يؤدي بالتالي الى تطور النصوص القانونية وتطوريعها وجعلها تنطبق على حالات لا تنطبق عليها من قبل لا شك أن هذه الوسيلة متجسدة في كثير من المسائل الواردة في القانون المدني وغيره من فروع القانون الخاص، والتي لازال هناك خلافات فقهية حول اعتبار بعض المسائل هل هي من تطبيقات الافتراضات القانونية أم لا مثل فكرة الأثر الرجعي للفسخ، وقاعدة الجهل بالقانون لا يعتبر عذراً، وفكرة العقار بالتخصيص والمنقول بحسب المال وغيرها؟

٣- د: توفيق حسن فرج، دروس في القانون الروماني، مطبعة كريدية، بيروت، ١٩٦٥، ص ١٠٦.

٤- د: أبو زيد عبد الباقي مصطفى، الافتراض ودوره في تطور القانون، مطبعة دار التأليف الاسكندرية، ١٩٨٠، ص ٧. و د: عباس العبودي، تاريخ القانون، مطبعة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨٩، ص ٥٩.

٥- د: علي بدوي، أبحاث في التاريخ العام للقانون، تاريخ الشرائع، مطبعة نوري، مصر، ١٩٣٦، ص ٥٤.

وكذلك عرف الفقيه الألماني أهرنج (IHering) الافتراض القانوني ((بأنه كذب في اقتضسته (الضرورة))^(٦) وعرفه أيضاً الاستاذ (Maine) بأنه افتراض يخفي أو يسعى الى إخفاء حقيقة ان اي قاعدة قانونية معينة قد عدلت وغير حكمها دون ان يحس نصها^(٧).

فمن كل ما تقدم يظهر لنا ان الافتراض القانوني عبارة عن وضع من صنع المشرع وصياغته وهو مخالف للحقيقة الهدف منه هو ترتيب آثار قانونية معينة يتعذر الوصول اليها الا من خلاله، ويتبين كذلك واضحاً ان الافتراض قائم على أساس فكرة الكذب لأنه ينطوي على مخالفة للحقيقة، ولكن في أحياناً أخرى يقوم على أساس فكرة المجاز أي استخدام اللفظ في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لوجود العلاقة بين المعنيين الحقيقي والمجازي، وهذا واضحاً في القانون المدني العراقي رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١ المعدل في المادة (١٥٥ / ٢) والتي تنص على إنه ((الاصل في الكلام الحقيقة أما اذا تعذرت الحقيقة فيصير الى المجاز)).

وأخيراً يمكننا أن نعطي تعريفاً متوازناً للافتراض القانوني وعلى النحو الآتي ((الافتراض القانوني هو خلق حالة قانونية مستنبطة من النص القانوني وجعلها تنطبق على واقعة مادية معروضة أمام القضاء لم ينطبق عليها النص القانوني من قبل لتحقيق العدالة بين الأطراف)).

إذن يتبين لنا ان الافتراض هو أحد وسائل تطور النصوص القانونية من خلال إيجاد حلول على واقعة معينة لم تحل إلا بالافتراض القانوني وبهذا يكون توسيع وتطويع لنطاق النص بما ينسجم والحالة المعروضة أمام القضاء.

وفي النهاية هناك تساؤل يطرح بخصوص هذا الموضوع وهو ((ماهي طبيعة الحقيقة التي يقوم الافتراض القانوني على مخالفتها))؟ بالتأكيد ان هناك ثلاثة آراء في الفقه بصدد هذا الموضوع وهي الرأي الأول / يرى ان الافتراض القانوني يقوم على مخالفة الحقيقة الطبيعية وهي تتمثل في مجموعة الحقائق سابقة في وجودها على الحقائق القانونية.

الرأي الثاني / يرى ان الافتراض القانوني يقوم على مخالفة الحقيقة القانونية وليست الطبيعية.^(٨) الرأي الرابع / وهو ما نؤيده في ان الافتراض يقوم دائماً على مخالفة الحقيقة الطبيعية، ومتى ما تم ذلك يؤدي بالنهاية الى مخالفة الحقيقة القانونية ولكن مخالفة الحقيقة القانونية لا يؤدي بالنتيجة النهائية الى مخالفة الحقيقة الطبيعية.^(٩)

المطلب الثاني: تمييز الافتراض القانوني عما يشته به

كثيرة هي الافكار القانونية التي تقترب وتتشابه الى نوع ما مع الافتراض القانوني ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، تمييز الافتراض القانوني عن التغيرير مع الغبن، والصورية، والقرائن، والغش نحو القانون وغيرها. فنبين هذه الافكار تباعاً وعلى النحو الآتي: -

٦- د: عبد السلام الترماني، تاريخ النظم والشرائع، جامعة الكويت، المطبعة العصرية، الكويت، ١٩٧٥، ص ٣٨٠.

٧- د: حسن علي الذنون، فلسفة القانون، مطبعة العاني، ط ١، بغداد، ١٩٧٥، ص ٧٥.

٨- د: أبو زيد عبد الباقي مصطفى، مصدر سابق، ص ٩.

٩- د: منصور مصطفى منصور، نظرية الحلول العيني وتطبيقها في القانون المدني المصري، مطبعة جامعة القاهرة مصر، ١٩٥٦، ص ٩٦.

أولاً / تمييز الافتراض القانوني عن التغيرير مع الغبن: -

من المعلوم أن جوهر التغيرير يكمن في استخدام طرق احتيالية تدفع أحد المتعاقدين وهو المتعاقد المغرر به الى التعاقد، وتتكون هذه الطرق الاحتيالية من أعمال مادية تؤثر على ارادة المتعاقد الآخر فتصور له الامر على غير حقيقته، ومن ثم تدفعه الى التعاقد، لا شك ان التغيرير وحده ليس سبباً من أسباب توقف العقد وكذلك الغبن حتى لو كان فاحشاً لا يكفي لتوقف العقد وعدم نفاذه الا في حالات خاصة، وهو ما أشارت اليه المادة (١٢٤ / ١) من القانون المدني العراقي رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١ المعدل بقولها ((مجرد الغبن لا يمنع من نفاذ العقد ما دام الغبن لم يصحبه تغيرير)).

فإذا اجتمع التغيرير مع الغبن كان مانعاً من نفاذ العقد واعتبر عيباً من عيوب الارادة يفسد الرضا كما يفسده الغلط والاكراه^(١٠). فمن خلال عرض فكرة التغيرير يتبين انها تتفق مع فكرة الافتراض القانوني لان كل منهما يؤدي الى مخالفة الحقيقة ومع ذلك يبقى الفرق قائماً بينهما من حيث المصدر والأثر. فمن حيث المصدر، فالافتراض القانوني مصدره المشرع أما التغيرير يكون مصدره المتعاقد الآخر، ومن حيث الاثر الافتراض القانوني في حالة تحققه لا يؤدي الى تعطيل حكم القاعدة القانونية، في حين ان العقد المعيب بعيب التغيرير يكون موقوفاً على اجازة المتعاقد الذي وقع بهذا العيب إن شاء أجازته وإن شاء أبطله خلال ثلاثة أشهر من تاريخ اكتشاف العيب وهذا ما أشارت اليه م (١٣٥، ١٣٦) من القانون المدني العراقي سابق الذكر.

ثانياً / تمييز الافتراض القانوني عن الصورية: -

ابتداءً يقصد بالصورية هو اصطناع مظهر كاذب عند اجراء تصرف قانوني، ويلجأ اليها المتعاقدان عندما يريدان اخفاء حقيقة ما تعاقد عليه، والصورية لا تقتصر على العقود وحدها وانما يمتد نطاقها ليشمل التصرفات القانونية الصادرة من جانب واحد.^(١١) اذن من هنا يتبين ان الصورية تتفق مع الافتراض القانوني في انهما يخالفان الحقيقة ولكن مع ذلك هناك اختلافاً بينهما يكمن في النقاط التالية: -

١- من حيث الغرض: من الافتراض القانوني عندما يلجأ اليه المشرع هو أما تفسير أو تطوير أو تبرير القانون وتوسيع نطاق تطبيقه وبهذا يكون وسيلة لتطور النصوص القانونية التي يستعين بها القاضي في حل المنازعة المعروضة أمامه لغرض احقاق الحق، في حين الغرض من الصورية هو خديعة الغير، أي باصطناع مظهر كاذب يخفي تصرفاً حقيقياً آخر لتحقيق غاية معينة.

٢- من حيث المصدر: فالافتراض القانوني والذي يعتبر من طرق الصياغة المعنوية المستخدمة في صياغة النصوص يكون مصدره المشرع دائماً بمعنى إن المشرع يعطي المساحة الواسعة والضوء الأخضر للقاضي بأن يطور ويوسع ويفسر النص القانوني على ضوء ما موجود تحت يديه من منازعة معروضة عليه لأجل حلها واعطاء كل ذي حق حقه فهذا يعتبر من نوع توسيع الصلاحيات المنوطة للقضاء وبهذا

١٠- د: عبد المجيد الحكيم، وعبد الباقي البكري، ومحمد طه البشير، القانون المدني، مصادر الالتزام، الدار الجامعية للطباعة والنشر والترجمة، ج ١، ١٩٨٠، ص ٨٦.

١١- عبد المجيد الحكيم وآخرون، القانون المدني، أحكام الالتزام، الدار الجامعية للطباعة والنشر والترجمة، ج ٢، ١٩٨٠، ص

يكون وسيلة ايجابية في تطور النصوص القانونية، هذا فيما يخص الافتراض القانوني أما الصورية فمصدرها ليس المشرع وإنما مصدرها هو اتفاق المتعاقدين.^(١٢)

ثالثاً / تمييز الافتراض القانوني عن القرينة: -

ان القرينة هي ما يستنبطه المشرع أو القاضي من أمر معلوم على أمر مجهول، أو بمعنى آخر هو افتراض قيام أمر معين لا يمكن العلم به علماً يقينياً إستناداً الى توافر أمر آخر يمكن العلم به علماً يقينياً على اساس غلبة الارتباط بينهما وجوداً وعدمًا.^(١٣)

والقرينة تعتبر من قبيل الصياغة التشريعية شأنها في ذلك شأن الافتراض القانوني أي تؤدي الى مخالفة الحقيقة الطبيعية وبالتالي فهما من اهم وسائل تطور النصوص القانونية وتحويرها وتفسيرها بما يؤمن بإعطاء الحل المناسب للقضية المعروضة أمام قاضي الموضوع.

ولكن بالرغم من هذا التشابه الا ان هناك فروقاً بينهما تتلخص بالشكل التالي: -

١ - من حيث مجال الأعمال: فالافتراض القانوني يكون دائماً متعلقاً بالقانون أي بالقواعد القانونية حصراً، أما القرائن فتتعلق بالقانون وبالواقع على حد سواء.

٢ - من حيث الصياغة التشريعية: يعتبر الافتراض القانوني من طرق الصياغة التشريعية يلجأ اليها المشرع عندما يعوزه السند المنطقي، في حين ان القرائن تدخل في مجال الاثبات بنوعيه الجنائي والمدني.

رابعاً / تمييز الافتراض القانوني عن الغش نحو القانون: -

يعني مصطلح الغش نحو القانون بأنه ((التدابير الارادية لوسائل مشروعة في ذاتها للوصول بها الى أغراض تخالف أوامر القانون ونواحيه).^(١٤) أو هو عبارة عن طريقة يلجأ اليها الافراد لاستبعاد تطبيق القانون عليهم في الوقت الذي يكون هو واجب التطبيق أو العكس تطبيق القانون في الوقت الذي يكون هو غير واجب التطبيق عليهم، اذن كلاهما يخالفان الحقيقة ويؤديان الى ايجاد حل للمنازعة المعروضة أمام القاضي التي لا ينطبق عليها حكم النص من خلال توسيع وتحوير في النص القانوني وبهذا سوف تكون هذه العملية إحدى وسائل تطور النصوص القانونية.

ولكن رغم هذا التشابه بينهما الا أن هناك فروقاً بينهما وهي على النحو الآتي: -

١ - من حيث النطاق، الغش نحو القانون يقع من الأفراد المخاطبين بحكم القاعدة القانونية، بينما الافتراض القانوني يشكل عنصر العلة أو الباعث في القاعدة القانونية.

١٢- د: ياسر باسم ذنون، الافتراض القانوني في قانون المرافعات المدنية، رسالة ماجستير، جامعة صلاح الدين، ٢٠٠٨، ص

١٨.

١٣- د: محمود عبد الرحيم الدبيب، الحيل في القانون المدني، دراسة مقارنة بالفقه الاسلامي، دار الجامعة الجديدة للنشر، الاسكندرية، بلا سنة طبع، ص ٦٤، و د: محمد حسين منصور، المدخل الى القانون، الكتاب الأول، القاعدة القانونية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٥، ص ١٤٨.

١٤- د: عز الدين عبد الله، القانون الدولي الخاص، تنازع القوانين، ج ٢، ط ٧، ١٩٧٢، ص ٤٥٧.

٢- من حيث المصدر، فالافتراض القانوني يتعلق بصياغة القاعدة القانونية وبذلك يكون مصدره المشرع وحده، أما الغش نحو القانون فلا يتصل بمضمون القاعدة القانونية وإنما يتعلق بالوسائل أو الطرق التي يتبعها الأفراد لمخالفة حكم القاعدة.^(١٥)

المطلب الثالث: دور الافتراض القانوني في تطور النصوص القانونية

بالتأكيد ان للافتراض القانوني دوره الفعال والمهم في مجال تطور النصوص القانونية من خلال إنشاء قواعد قانونية جديدة أو توسيع نطاق القواعد القانونية الموجودة ذات الصلة بموضوع المنازعة المعروضة أمام القاضي أو في تبرير القواعد القانونية التي يستعين بها القاضي في حله للمنازعة، وهذا كله يؤدي بالتالي الى تطور النصوص القانونية لكي تنطبق على حالة لم تنطبق عليها من قبل.

فدور الافتراض القانوني في انشاء قواعد قانونية جديدة بالتأكيد ان هناك قواعد قانونية موضوعية تقوم في مضمونها على مخالفة الواقع، حيث تنطوي على الافتراض من ناحية الشكل والموضوع، مثال على ذلك القاعدة المقررة في بعض القوانين والتي تقرر تصحيح نسب الابن غير الشرعي كما في حالة زواج والديه زوجاً لاحقاً على ولادته، فهذه القاعدة تخالف في مضمونها الواقع، من حيث انها تجعل ابن غير شرعي ابناً شرعياً ((فالافتراض هنا داخل في مضمون أو فحوى القاعدة القانونية، فهو يمثل عنصر العلة، أو الباعث فيها، بحيث أدى ذلك الأمر الى انشاء حالة قانونية واقعية ساعدت القاضي الى إيجاد حلاً مناسباً وبهذا يكون قد طور ووسع من نطاق النص القانوني))^(١٦).

أما دور الافتراض القانوني في توسيع نطاق تطبيق القواعد القانونية، فقد لعب دوراً مهماً في توسيع نطاق تطبيق النصوص والقواعد القانونية القائمة وبالتالي يعتبر وسيلة مهمة وفعالة في تطور هذه النصوص ومثال على ذلك الافتراض الذي يؤدي الى اعتبار المنقول عقاراً بالتخصيص فهو لا ينشئ قواعد قانونية جديدة، وإنما يؤدي الى توسيع نطاق القواعد القانونية الخاصة بالعقارات وجعلها تشمل ليس فقط الاشياء الثابتة والتي لا يمكن نقلها دون تلف بل تشمل كذلك المنقولات المرصودة لخدمة هذا العقار.^(١٧) ومثال آخر على الافتراض القانوني هو توريث الجنين وهو ما يصطلح عليه بالشخصية القانونية، لأن الشخصية الطبيعية تبدأ بتمام ولادة الانسان حياً وتنتهي بموته.^(١٨)

فالافتراض هنا يكون قائماً على فكرة مجاز نظراً لوجود علاقة ما بين المفترض والواقع، فهو هنا لا يلعب دوراً في انشاء قواعد قانونية جديدة، وإنما يؤدي الى إيجاد حلول قانونية جديدة من خلال القواعد القانونية القائمة فالافتراض هنا يعد مجرد وسيلة من وسائل الصياغة القانونية وهو في هذه الحالة يؤدي الى تعديل في فرض القاعدة القانونية. بحيث يتسع هذا الفرض لوقائع جديدة، أو مختلفة مع الوقائع التي وضع هذا الفرض لها أساساً، مما يؤدي الى التقليل من عدد القواعد القانونية.^(١٩)

١٥- د: زهدي يكن، محاضرات في تاريخ القانون، مطبعة كريدية، بيروت، ١٩٦٤، ص ٦٣.

١٦- د: محمود عبد الرحيم الديب، مصدر سابق، ص ٢٤٤.

١٧- د: عبد الحميد فودة، جوهر القانون بين المثالية والواقعية، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ٢٠٠٥، ص ٢٨١.

١٨- انظر نص المادة (١/٣٤) من القانون المدني العراقي رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١ المعدل، ونص المادة (١/٢٩) من القانون المدني المصري رقم (١٣١) لسنة ١٩٤٨ المعدل، وأشار الى ذلك الموضوع أيضاً القانون المدني الفرنسي الصادر عام ١٨٠٤ والمعدل بالمرسوم ٣٤٦ لسنة ٢٠٠٦.

١٩- د: سمير عبد السيد تناغو، النظرية العامة للقانون، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٩٩، ص ٤٠٧.

وأخيراً دور الافتراض القانوني في تبرير القواعد القانونية القائمة، ففي هذه الحالة الأخيرة لا يدخل هذا الافتراض في مضمون القاعدة القانونية الموضوعية من حيث الموضوع ولا يؤدي الى توسيع نطاق تطبيقها وانما يقتصر دوره فقط على شرح وتبرير القاعدة، وغالباً ما يكون الافتراض في هذه الحالة هو من صنع الفقهاء، ومثال على ذلك دية الجنين اذ يفترض وجوده حياً لانتقال الدية اليه ثم الى ورثته فهو من باب افتراض وجود المسبب قبل سببه.^(٢٠)

وهناك مفاهيم أخرى للافتراض ومنها الحيلة القانونية والتي هي افتراض أمر مخالف للواقع، يترتب عليه تغيير حكم القانون دون تغيير نصوصه.^(٢١)

وتعد الحيلة وسيلة شائعة في الشرائع القديمة، استعان بها الحكام والقضاة لمواجهة قسوة النصوص وضيق نطاق استيعابها للحاجات المتطورة، ومع ذلك فإن التشريع الحديث لم يخل من بعض معالم الحيلة غير ان أثرها يكاد ينحصر في تبرير بعض النظم القانونية سواء في نطاق القانون الخاص أو في نطاق القانون العام.^(٢٢)

ومن كل ما تقدم يتضح لنا إن الافتراض القانوني هو وسيلة هامة ودقيقة لتطور النصوص القانونية سواء في انشائها أو توسيع نطاقها، أو في تبريرها وتفسيرها بما يتلاءم والحالة المعروضة أمام القاضي والتي لا تحل الا بالافتراض القانوني.

المبحث الثاني: الوسائل التشريعية ودورها في تطور النصوص القانونية

إن المشرع عند اصداره الى نصوص قانونية يسمح بوضع واستخدام وسائل تشريعية لكي يوسع من نطاق صلاحية سلطة القاضي التقديرية في استخدامه للنصوص سواء بالتفسير أو بالتعديل، أو بأي وسيلة أخرى الهدف منها هو تفعيل دور النصوص القانونية وتوسيع نطاق تطبيقها على حالات لا تنطبق عليها من قبل لولا استخدام هذه السلطة التقديرية من قبل القضاء، والفائدة بالدرجة الأساس هو لفض المنازعات وإيجاد نوع من العدالة والمساواة بين الخصوم ولاستقرار المعاملات وحفاظاً على النظام العام، وتوسيع نطاق حل المنازعات المعروضة أمام القاضي التي لا تحل الا بتفسير نص قانوني أو بتعديله أو بأي وسيلة قانونية أخرى.

ولأجل بيان هذا المبحث بشكل دقيق سوف نقسمه على ثلاثة مطالب. نتناول في الأول، التفسير ودوره في تطور النصوص القانونية، ونخصص المطلب الثاني الى تعديل التشريع، أما التطبيقات والامثلة التشريعية للافتراض القانوني فقد كانت عنواناً للمطلب الثالث: وهي على النحو الآتي: -

٢٠- د: محمود عبد الرحيم الديب، مصدر سابق، ص ٢٤٦.

٢١- Sir Henry Maine: Ancient Law , London , 1920 , p. 26

٢٢- د: عباس العبودي، تاريخ القانون، المكتبة القانونية، بغداد، ط ٢، ٢٠٠٧، ص ٥٩، و د: صوفي حسن أبو طالب، تاريخ النظم القانونية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٧٨، ص ١٩٩.

المطلب الأول: التفسير ودوره في تطور النصوص القانونية

ابتداءً يعني التفسير لغةً هو البيان والتوضيح لكشف المراد من النص، أما معناه اصطلاحاً فقد كان هناك خلاف في تحديد مفهومه، فذهب الفقه في هذا الشأن الى اتجاهين أحدهما يضيق في مفهومه، والثاني يوسع من مفهومه، والتفسير يكون في حالة غموض النص أو النقص في الحكم أو التعارض بين احكام النصوص.

فالتفسير الضيق يعني إزالة غموض النص وتوضيح مبهمه للقضاء فهذا التفسير لا شأن له بنقص أحكام النص أو يتعارض مع أجزاء القانون، أما التفسير الواسع يعني توضيح ما غمض من الفاظه وتقويم عيوبه واستكمال ما نقص من احكامه والتوفيق بين أجزائه المتعارضة وتكييفه على نحو يجاري متطلبات المجتمع، والتفسير بهذا المعنى يلزم تطبيق القانون، ويقتضي تفهم معناه لإيجاد الحل المناسب للحكم، فإذا شاب النص غموضاً أو نقصاً أو عيباً مادياً أو تعارضاً بين النصوص وجب على القاضي أن يعتمد الى التفسير كي يتوصل الى الحكم المراد تطبيقه لحل النزاع لاشك ان هذه العملية هي وسيلة ايجابية لتطور النصوص القانونية وبالتالي سيجد القاضي حلاً للمنازعة المعروضة أمامه والتي لم يجد لها حلاً مناسباً قبل تفسيره للنصوص القانونية.^(٢٣)

ومن الجدير بالذكر ان التفسير هو التعرف من الفاظ أو فحواه على حقيقة الحكم الذي تتضمنه القاعدة القانونية، وهو يتناول القواعد التشريعية المكتوبة، ويقسم هذا التفسير بحسب الجهة التي تقوم به الى ثلاثة أنواع هما التفسير التشريعي والقضائي والفقهية، وان التشريع يجد ذاته في الوقت الحاضر هو وسيلة مهمة من وسائل تطوير القوانين، لا بل هو أهم هذه الوسائل.^(٢٤)

فالتفسير التشريعي هو الذي يتولاه المشرع، فقد يثور خلاف حول حقيقة الحكم الذي يتضمنه تشريع معين أو تقتضي المحاكم بما يخالف المعنى الذي قصده الشارع من هذا الحكم، هنا يتدخل الشارع لبيان وتفسير المعنى المقصود من التشريع، وهذا التفسير يعتبر جزءاً متمماً للتشريع المراد تفسيره لأنه يعطي المساحة والنطاق الواسع للقضاء لكي ينطبق نص قانوني على واقعة معينة لم ينطبق عليها من قبل وبهذا نكون أمام حالة متطورة لنص قانوني تختلف ماهيته وطبيعته ونمط حله للمنازعة عما كان عليه قبل التفسير وعليه يكون التفسير هو وسيلة لتطور النصوص القانونية القائمة.^(٢٥)

أما التفسير القضائي وهو الذي يقوم به القضاء بحكم طبيعة وظيفته لأنه هو الذي يتولى تطبيق القانون على القضايا المنظورة من قبله، وهو الذي يواجه عملياً غموض التشريع ونقصه وعيوبه، وهو الذي يعمل على استنباط الاحكام للوقائع التي لا يحصل على حكم لها في النصوص حيث يتميز بالطابع العملي لأنه يتأثر بالظروف المحيطة ويسعى الى جعل أحكام القانون تتماشى مع حاجيات المجتمع وتطور أوضاعه، وعليه فالقضاء في قيامه بمهمة التفسير يلعب دوراً هاماً في تطور القانون.^(٢٦)

٢٣- د: عبد الباقي البكري، و د: زهير البشير، المدخل لدراسة القانون، القاهرة، ط ٣، ٢٠١١، ص ١١٧، و د: مصطفى العوجي، القاعدة القانونية في القانون المدني، بيروت، ط ١، ١٩٩٢، ص ٥٥.

٢٤- د: آدم وهيب النداوي، د: هاشم الحافظ، تاريخ القانون، العاتك القاهرة، ط ٢، ٢٠٠٧، ص ٨٢.

٢٥- د: عبد المنعم فرج الصده، اصول القانون، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت " بلا سنة طبع " ص ٢٧٤، و د: رياض القيسي، علم اصول القانون، بيت الحكمة / بغداد، ط ١، ٢٠٠٢، ص ٣١٣.

٢٦- د: عبد الباقي البكري، و د: زهير البشير، مصدر سابق، ص ١٢١.

ومن الجدير بالذكر ان التفسير القضائي لا يلزم المحاكم الا في الحالات التي نص عليها القانون، أو الدستور، ومن قبيل ذلك ما نص عليه قانون المرافعات العراقي.^(٢٧) والتي قضى بوجوب اتباع قرار محكمة التمييز في حالات ثلاث منها صدور قرار النقض من قبل الهيئة العامة لمحكمة التمييز، وبالنظر الى ان القضاء يتمتع بالاستقلال في احكامه وهو ما نص عليه دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥، والتفسير قد يقوم به الفقهاء في شرحهم للقانون حيث يتميز بالطابع النظري.

من هذا كله يتبين ان للتفسير بأنواعه المختلفة دوراً أساسياً في تطور القانون لأنه ينير الطريق للقاضي بإيجاد حلول مناسبة لحل المنازعة المعروضة امامه واعطائه مساحة اكبر في سلطته التقديرية.

المطلب الثاني: تعديل التشريع

ابتداءً إن للتشريع معنيين، أولهما عام ويقصد به وضع القواعد القانونية واستنباطها من مصادرها المختلفة كالدين والعرف والقضاء ومبادئ العدالة، وثانيهما يقصد به التعبير عن إرادة السلطة العامة المختصة في الدولة بإصدار قاعدة قانونية والزام الناس باحترامها وهذا المعنى الأخير هو المقصود هنا باعتبار التشريع هو وسيلة لتطور النصوص القانونية.^(٢٨)

وان اسباب هذا التطور في النصوص القانونية يعود الى حالة الجمود وعدم مواكبة التطور الحاصل في المجتمعات القديمة مما جعل من المشرعين والكتاب والفقهاء الى ايجاد وسائل لتطور هذه النصوص لتكون متلائمة مع متطلبات العصر الحديث لحل كافة المنازعات المطروحة أمام القضاء والتي يستعصي حلها إلا بهذه النصوص المعدلة، والتي تكون أفضل وسيلة بيد القاضي لكي لا يكون منكراً للعدالة، والهدف واضح هنا هو لإحقاق الحق بين المتخاصمين.^(٢٩)

ومن الجدير بالذكر ان دور التشريع كان محدوداً في تطوير القواعد القانونية في المجتمعات القديمة، لأن نشأة القواعد القانونية كانت لصيقة بالعنصر الديني، وهذا ما منحها نوعاً من القدسية في النفوس حيث كان من الصعب تعديلها أو الغائها بشكل صريح.^(٣٠)

ولكن على العكس مما ذكر فقد ازداد دور التشريع أهمية في العصور الحديثة حيث أصبح المصدر الأساسي للقواعد القانونية وتطويرها، في حين تراجع دور الحيلة القانونية سابقة الذكر لتحتل مرتبة ثانوية في هذا المجال، لذلك يكاد يكون التشريع من خلال تعديله الوسيلة الوحيدة لتطوير القوانين في العصر الحديث، بسبب سهولة استعماله ومواكبته للتطورات واتصافه بالدقة والوضوح والثبات والسرعة في الانشاء والتعديل.^(٣١)

٢٧- انظر أكثر تفصيلاً نص المادة (٢١٥) من قانون المرافعات المدنية العراقي رقم / ٨٣ لسنة ١٩٦٩ المعدل.
٢٨- د: عبد الباقي البكري، المدخل لدراسة القانون والشرعية الإسلامية، بغداد، ١٩٧٢، ص ٢٦٥، د: عمر ممدوح مصطفى، اصول تاريخ القانون، ١٩٦٣، ص ١٢٢، و د: آدم وهيب الندوي، د: هاشم الحافظ، تاريخ القانون، مصدر سابق، ص ٨٢.

٢٩- الاستاذ علي بدوي، أبحاث التاريخ العام للقانون، تاريخ الشرائع، ج ١، بلا سنة طبع، ص ٥٢.

٣٠- د: زهدي يكن، تاريخ القانون، ط ١، ١٩٦٦، ص ٢٢٩.

٣١- د عبد الباقي البكري، مصدر سابق، ص ٢٤١.

وكذلك فالحيلة القانونية لا تستمد قوتها من سلطة عليا أو هيئة تشريعية بل من الضرورات العملية التي أملت طبيعة التطور في حياة ومعاملات الافراد مع علمهم بأنه ليس لها سند من النصوص القانونية، اما التشريع فيستمد قوته من كونه يصدر عن سلطة عليا تشريعية أو سلطة حاكمية لها فرض القوانين. فالحيلة تقوم على تعديل القانون بصورة غير مباشرة أما التشريع فيعدل القانون بصورة مباشرة، فيعمد المشرع صراحةً الى تعديل قواعد القانون بدون الالتجاء الى هذه الطريقة المتوتية، وخاصةً فقد زالت النظرة الى النصوص القانونية بأنها مقدسة وغير قابلة للتعديل، فالقاعدة القانونية هي من صنع العقل البشري فلا مانع من تعديلها كلما ظهر قصورها أو عدم الفائدة منها.^(٣٢)

المطلب الثالث: التطبيقات والامثلة التشريعية للافتراض القانوني

إن للافتراض القانوني تطبيقات وامثلة تشريعية كثيرة المهدف منها هو توسيع دائرة تطبيق النصوص القانونية على حالات لا تنطبق عليها قبل وجود مثل هذا الافتراض، ومنها على سبيل المثال، ما نصت عليه المادة (١٣٧٤ / ١) من القانون المدني العراقي سابق الذكر.^(٣٣) والتي تعطي امتيازاً للمؤجر العقار على المنقولات التي يضعها المستأجر في العين المؤجرة، وبالتأكيد فان هذا التصرف يخالف الحقيقة التي تقضي بجعل امتياز مؤجر العقار على هذه المنقولات المملوكة للمستأجر، وبالتالي يؤدي الافتراض القانوني هنا دوراً مهماً في تبرير هذه المخالفة، وذلك على أساس (فكرة الرهن الضمني) كما لو كان هناك عقد رهن متفق عليه ضمناً بين المؤجر والمستأجر يضمن حقوق الاول في مواجهة الثاني.

ومن الامثلة التشريعية التي يدخل فيها الافتراض القانوني في تكوين القاعدة القانونية هو حالة التجنس.^(٣٤) وكذلك حالة الضم.^(٣٥) والحلول العيني والوفاء مع الحلول.^(٣٦)

وهناك تطبيقات اخرى للافتراض القانوني ومثالها فكرة الشخصية المعنوية أو الشخصية الافتراضية (Theorie de La personnalite fictive) والتي تسمى بالنظرية الرومانية لانتشارها بين شراح القانون الروماني، ومن ابرز انصار هذه النظرية هو الفقيه سافيني (Savigny) وترى هذه النظرية ان الشخص المعنوي ما هو الا افتراض قانوني، والقانون بهذه الحالة يمنحها الحقوق وتحمل الالتزامات.^(٣٧)

وبخصوص الشخصية المعنوية فقد حددتها المادة (٤٧) من القانون المدني العراقي ونظمت أحكامها المادتين (٤٨، ٤٩) من القانون ذاته، وكذلك فكرة الاثر الرجعي هي من التطبيقات المهمة للافتراض القانوني، فقد تضمن القانون المدني العراقي العديد من التطبيقات التشريعية لفكرة الاثر الرجعي والتي يبدو فيها بشكل واضح تبرير وتوسيع نطاق الكثير من القواعد القانونية وهذا بالتالي يؤدي الى اتساع مساحة

٣٢- د: محمود عبد المجيد مغربي، الوجيز في تاريخ القوانين، بيروت، ١٩٧٩، ص ٢٤٧.

٣٣- نصت المادة (١٣٧٤ / ١) على إنه ((اجرة المباني والاراضي الزراعية لثلاث سنوات، او لمدة الاجار ان قلت عن ذلك، وكل حق آخر للمؤجر بمقتضى عقد الاجار، لها جميعاً حق امتياز على ما يكون موجوداً في العين المؤجرة مملوكاً للمستأجر من منقول قابل للحجز ومن محصول زراعي)).

٣٤- انظر على سبيل المثال نص المادة (٨) من قانون الجنسية العراقية رقم ٤٣ لسنة ١٩٦٣ المعدل، ونص المادة ١ / من قانون منح الجنسية العراقية للعرب رقم ٥ لسنة ١٩٧٥ المعدل.

٣٥- انظر على سبيل المثال نصوص المواد (٤٠ - ٤٦) الخاصة بحالة الضم من قانون رعاية الأحداث رقم (٧٦) لسنة ١٩٨٣ المعدل.

٣٦- انظر على سبيل المثال نصوص المواد (٣٧٩ - ٣٨١) من القانون المدني العراقي المعدل.

٣٧- د: رمضان أبو السعود، النظرية العامة للحق، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية، ٢٠٠٥، ص ٢٣٤.

حل المنازعات المعروضة على القضاء وبالتأكيد هذا لم يأتِ الا من خلال تطور النصوص القانونية وانطباقها على حالات لم تنطبق عليها لولا وجود مثل هذه الافتراضات، وهناك نصوص قانونية تجسد ما ذكرناه وهو نص المادة (١٣٨ / ٢) ونص المادة (١٧٧) والمادة (٢٩٠) والمادة (١٣٩ - ١٤٠) من القانون المدني العراقي كل هذه النصوص تعبر عن افتراضات قانونية.

ومن كل ما تقدم يتضح ان فكرة الاثر الرجعي تعد من اكثر الافكار القانونية انتشاراً، اذ يقوم الاثر الرجعي على فكرة الافتراض القانوني، وذلك عن طريق اعتبار ان تصرفاً من التصرفات أو واقعة من الوقائع قد وقعت في وقت سابق على الوقت الحقيقي الذي حدثت أو وقعت فيه.

المبحث الثالث: الاجتهادات القضائية ودورها في تطور النصوص القانونية

كما ذكرنا سابقاً ان من أهم وسائل تطور النصوص القانونية هو على سبيل المثال الافتراضات القانونية والوسائل التشريعية والاجتهادات القضائية فالسؤال الذي يمكن أن يثار هو، هل يمكن ان نعتبر اجتهاد المحاكم مصدراً للقاعدة القانونية من حيث نشؤها أو تطورها؟ وهل هناك سلطة تقديرية للقاضي في ايجاد حل للمنازعة المعروضة أمامه؟ وهل هناك قيود على حرية القاضي، ثم ماهي التطبيقات القضائية بهذا الخصوص؟

ولأجل بيان هذا المبحث بشكل دقيق والاجابة على كل التساؤلات المطروحة سوف نقسم هذا المبحث على ثلاثة مطالب، نتناول في المطلب الأول، سلطة القاضي التقديرية، وفي المطلب الثاني نتكلم عن القيود على حرية القاضي، أما أساس وطبيعة القناعة القضائية فقد كانت عنواناً للمطلب الثالث، وهي على النحو الآتي: -

المطلب الأول: سلطة القاضي التقديرية

ابتداءً ان القاعدة القانونية هي مجموعة مبادئ عامة تنظم وترعى موضوعاً معيناً متصلاً بحياة الانسان القانونية وهي بالتالي تتصف بالموضوعية والعمومية من حيث انها تضع المبدأ القانوني بصورة مجردة فيصبح منطلقاً لحل المسائل القانونية التي تقع ضمن نطاقه، وبهذا تختلف القاعدة القانونية عن الحلول التي تعطيها المحاكم للمسائل القانونية المطروحة أمامها، لأن هذه الحلول تبقى خاصة بالنزاع الذي تنهيه ولا تتعداه لغيره من النزاعات، لأن المحاكم غير مخولة بوضع أحكامها في صيغة الأنظمة، فتبقى فقراتها واحكامها ذات مفعول نسبي وملزم فقط ضمن اطار المنازعة التي أعطتها هذه القرارات الحل القانوني المناسب.^(٣٨)

ومن الجدير بالذكر ان القاضي لا يقف مكتوف الأيدي أمام التطورات الهائلة في الحياة الاجتماعية، لأن ما يدونه التاريخ لا يكتب له البقاء فسرعان ما يمتد اليه الفناء من خلال اتحاد القاضي سلطته التقديرية في تحوير وتعديل النص القانوني بما يتلاءم والحلول المناسبة للقضية المعروضة أمامه، فيستبطن حكماً من الحقائق والمثل العليا، أي من المصدر المادي أو الموضوعي للقانون، فالمصادر المادية أو

الموضوعية إذن هي التي تقدم جوهر القاعدة القانونية، والمصادر الرسمية هي التي تسبغ على هذا الجوهر صيغة الوضعية أو الشرعية بما تعطي له شكلاً ملزماً للناس.^(٣٩)

وبعض الفقه يذكر انه تتلخص ماهية السلطة التقديرية الممنوحة للقاضي من خلال ما يتوصل اليه في تكوين عقيدته من الوقائع والأدلة وكافة الأوراق الثبوتية بعد ان يزن حقيقتها وقيمتها في سير الدعوى أو في الاثبات بشرط صحة كافة الإجراءات التي طرحت عليه، وسلطة القاضي في النهاية هي مجرد نشاط يرمي الى التوصل لإيجاد حدث معين وهو تطبيق القانون سواء في تعديل نص قانوني أو تحويره بما يتلاءم مع القضية المعروضة أمامه، وبهذا يكون قد طوع ووسع من نطاق القاعدة القانونية، لأن هذه السلطة هي نشاط ذهني عقلاني، والمشرع هنا لا يتدخل فيما يتعلق بكيفية ممارسة القاضي لنشاطه العقلي اي بكيفية ترجمة السلطة التقديرية الى واقع منتج، ولا يرسم له كيف يفكر وكيف يشكل معادلاته الذهنية ليحصل على الحل المناسب للمنازعة المعروضة أمامه.^(٤٠)

فالقاضي لا يخلق مبدئياً القاعدة القانونية لأن ذلك يعود للمشرع بينما مهمته هي تفسير وتطبيق القاعدة القانونية الموجودة باستخدام سلطته التقديرية في حالة عدم وضوحها، فكيف يمكن للقاضي إذاً ان يوجد الحل عند غياب النص أو عند وجود نقص أو غموض فيه سوى من خلال إيجاد قاعدة قانونية معينة تصلح كأساس للحل القانوني.^(٤١)

ومن الكتاب من قال ان سلطة القاضي التقديرية لم توجد الا لتحقيق أسمى وأنبيل الأهداف المتوخاة من إيجاد حل للنزاع المعروض أمام القاضي بإنشائه أو توسيعه أو تحويره لنص قانوني معين وبالتالي سيحقق نوعاً من العدالة والمساواة بين الاطراف المتنازعة.^(٤٢)

وبخصوص سلطة القاضي التقديرية وإيجاده حلاً للمنازعة المعروضة أمامه فقد أشارت الى هذا الموضوع الكثير من القوانين العربية والاجنبية.^(٤٣)

إذن يتضح من كل ما تقدم بان سلطة القاضي واجتهاد المحاكم يعملان على بلورة القواعد القانونية القائمة بأن تعطي البعد القانوني ويظهر بوضوح معناها ومضمونها مما يقوده الى اظهار قواعد متممة لتلك القواعد الأساسية ويساهم في ارتقاء هذه القواعد القانونية التشريعية من خلال الدور المهم للقاضي والذي فرض عليه بموجب القانون بإيجاد القاعدة القانونية المناسبة لحل المسائل المعروضة عليه أما استخراجاً من النصوص القائمة أو باستخدام سلطته التقديرية في حالة غموض أو نقص التشريع.

٣٩- د: عبد الحميد فودة، مصدر سابق، ص ١٦.

٤٠- د: عبد الحميد الشواربي، رسالة القضاء دراسة في نفسية القاضي، وتفسيره، وسلطته التقديرية، منشأة المعارف، الاسكندرية، بلا سنة طبع، ص ٢٠٩.

٤١- ٨٦- 86 - Lecsot - Les tribunaux en face de La Carence du Legislateur - 2007. p.

٤٢- د: عبد العلي حفيظ، صلاحيات قاضي تطبيق العقوبات في القانون المغربي، ط ١، ٢٠٠٥، ص ١٠٨، و د: فاضل زيدان محمد، سلطة القاضي الجنائي في تقدير الأدلة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط ١، الاصدار الثاني، ٢٠٠٦، ص ٤٣، و د: مويرس نخلة، الكامل في شرح القانون المدني، دراسة مقارنة، منشورات الحلبي الحقوقية، ج ١، بيروت، ٢٠٠٧، ص ٥٠، و د: لطيفة المهدي، حدود سلطة القاضي التقديرية في تفريد الجزاء، الرباط، ط ١، ٢٠٠٧، ص ٤٩.

٤٣- انظر نص المادة (٢١٣) من قانون اصول المحاكمات الجزائية العراقي رقم ١٢٣ لسنة ١٩٧١ المعدل و م (٣٠٢) من قانون الاجراءات المصري رقم ١٥٠ لسنة ١٩٥٠، ونص المادة (١٥٠) من قانون الاجراءات الجزائي رقم ٦٦ لسنة ١٩٦٦، ونص المادة (٤٢٧) من قانون الاجراءات الفرنسي رقم ٤٦٦ لسنة ١٩٨٣ ونص المادة ٢١٦ من قانون الاجراءات الالماني الاتحادي لسنة ١٩٧٥ وغيرها.

المطلب الثاني: القيود على حرية القاضي

بما أن السلطة التقديرية للقاضي في إيجاد الحل المناسب هي نشاط عقلي يرمي إلى الكشف عن مدى تطابق المقدمات الكامنة في عناصر النزاع، مع المقدمات النموذجية المنصوص عليها في القانون، فلا بد إذن من وجود قيود معينة على سلطة أو حرية القاضي حتى لا يكون متعسفاً في استعمال هذه السلطة تجاه الآخرين ومن هذه القيود هو أن تتولد قناعة القاضي في إيجاد حل معين للمنازعة المعروضة أمام القضاء من أدلة تطرح عليه بالجلسة أثناء نظر الدعوى، بمعنى أن يستند في فهمه وتحليله وإيجاده للحل المناسب إلى وقائع وأوراق ثبوتية وأدلة مقنعة وبراهين مؤثرة وبالتالي يكون من السهل على القاضي حل المنازعة وإحقاق الحق، ويجب أيضاً أن تكون كافة الأدلة المطروحة أمام القاضي مستمدة من إجراءات صحيحة غير مزورة ويتجسد ذلك من خلال الدور الرقابي الذي يجب أن تقوم به المؤسسات القضائية على عمل القاضي، وكذلك يجب أن يكون اقتناع القاضي مبنياً على أدلة مستساغة عقلاً بمعنى أن تكون مما يدركها العقل والمنطق والفكر السليم حتى لا تكون عرضة للنقض أو البطلان ومن القيود الأخرى هو أن يكون اقتناع القاضي مبنياً على اليقين وعلى قرائن واستدلالات متعددة، حتى يكون للحلول القضائية قوة التنفيذ. (٤٤)

ومن الأمور المهمة الأخرى والتي بالإمكان أن نعتبرها قيوداً على حرية القاضي هو أن على المحكمة التي اعتمدت حلاً قانونياً معيناً بالاستناد لقاعدة قانونية استنبطها من مجمل القانون الوضعي أن تتخلى عن مثل هذا الحل في قضية أخرى مماثلة إذا تكونت لديها القناعة الكافية، بأن الحل السابق غير جدير بالمشاورة والبقاء عليه لأسباب مستجدة، أو لتطور حاصل في المفاهيم أو لأن أوضاعاً اجتماعية أو اقتصادية استجدت ففضت تجاوباً مع الشعور العام بالعدل والانصاف بالرجوع عن اجتهاد سابق واعتماد حلول جديدة وإن كانت مناقضة لتلك التي اعتمدها الاجتهاد السابق. (٤٥)

المطلب الثالث: أساس وطبيعة القناعة القضائية

اختلف الفقه بصدد الأساس الذي تقوم عليه قناعة القاضي، وفيما إذا كانت تقوم على مجرد انطباعات عابرة صادرة عن الاحساس والشعور الذاتي، أم أنها مجرد حدس فطري، أو أنها تقوم على ضمير القاضي فالفقيه الفرنسي (جارو) يذكر بأن ترك إصدار الأحكام لقناعة القاضي تتأثر بانطباعاتهم الشخصية العابرة سواء أكانت عاطفية أم شخصية بحتة، حيث لا يجد نفسه بحاجة إلى التحليل والتروي والدقة بمعناها العميق وإنما مجرد انطباعات سطحية. (٤٦)

ويذهب البعض الآخر إلى أن القناعة القضائية أساسها هو اتجاه نفسي يرمي إلى التوصل لإيجاد حدث معين هذا الحدث هو تطبيق القانون. (٤٧)

٤٤- د عبد الحميد الشواربي، مصدر سابق، ص ٢١٣.

٤٥- د: مصطفى العوجي، مصدر سابق، ص ٧٦.

٤٦- Gtraud traitetheorique et pratique dinstruction crmmninlle et de procedure penale. 1951 - p. 517

٤٧- د: نبيل اسماعيل عمر، سلطة القاضي التقديرية في المواد المدنية والتجارية، منشأة المعارف، الاسكندرية، ط ١، ١٩٨٤، ص ١٢١.

وآخرون أقاموا أساسها على ضمير القاضي ووجدانه وعرفوا الضمير بأنه ضوء داخلي ينعكس على كل وقائع الحياة وما القاضي الا مستودع للقانون والقواعد الاخلاقية والتي بمقتضاها تتم التفرقة بين العدل والظلم ، والصدق والكذب. (٤٨)

وبرأينا المتواضع ان الاساس الذي تقوم عليه القناعة القضائية يكمن في قواعد عقلية خلقية منطقية تستمد عناصرها والزاميتها من التكوين الشخصي والعلمي للقاضي وهي تعتمد في بعض مبرراتها على جانب المعقولة والمنطقية في تقديرها للأدلة.

أما طبيعة القناعة القضائية فالبعض اعتبرها مجرد رأي قضائي يبيده القاضي في قيمة الدليل المعروض أمامه ومدى انطباقه على الواقعة محل النزاع من عدمه. (٤٩)

والبعض الآخر اعتبرها مجرد اعتقاد يقوم في ذهن القاضي عند تقديره للأدلة ليحصل على التوازن المنطقي في إيجاد الحل القانوني المطلوب للمنازعة القضائية. (٥٠)

ورأي أخير قال انها تشكل منطقة وسط بين الاعتقاد واليقين (٥١) والرأي الأخير أقرب الى الصواب على اعتبار ان شك القاضي من خلال قناعته محل معين يفسر على إنه يقين من القاضي يضعف قيمة الدليل وبالتالي عليه ان يبني اعتقاده على هذا اليقين وإيجاده حلاً مناسباً للقضية المعروضة أمامه وبهذا يكون قد ساهم في تطوير النص القانوني وجعله ينطبق على حالة لم ينطبق عليها وهذا ما يسمى بالتالي الاجتهادات القضائية والتي تساهم الى حد ما في تطور النصوص القانونية وتطويرها واستخدامها في الحلول القانونية للمنازعات القضائية.

الخاتمة

بعد أن تناولنا موضوع وسائل تطور النصوص القانونية سواء أكانت افتراضات قانونية أم وسائل تشريعية ام اجتهادات قضائية فقد توصلنا في نهاية هذا البحث على عددٍ من النتائج والمقترحات، وهي على النحو الآتي:

أولاً / النتائج: -

١- تبين ان الافتراض القانوني هو رخصة من قبل المشرع منحها للقضاء لإيجاد حلول مناسبة على القضايا المعروضة أمام القاضي لا تحل الا بتحويل النص القانوني بما يخدم المصلحة العامة والخاصة على السواء.

٢- تبين ان جوهر الافتراض القانوني هو مخالفة الحقيقة الطبيعية والتي تنتهي بالتالي الى مخالفة الحقيقة القانونية حكماً والعكس غير صحيح.

٤٨- Faustin Helie – preactique criminelle des courset teiburnux – scasseurs paris – 1995 – p. 343

٤٩- د: وجدي راغب فهمي، النظرية العامة القضائي، رسالة دكتوراه، مطبعة أطلس، منشأة المعارف الاسكندرية، ١٩٧٤،

ص ٥٦٧.

٥٠- د: محمد مصطفى القللي، أسباب الحكم الجنائي، مجلة القانون والاقتصاد، العدد الخامس، السنة الخامسة، ١٩٣٥، ص

٣٥١.

٥١- د: زكي ابو عامر، الاثبات في المواد الجنائية، بلا سنة طبع، ص ١٦١.

٣- تبين أيضاً ان كل من الافتراض القانوني والوسائل التشريعية والاجتهادات القضائية يعملان على تطور النصوص القانونية من خلال إيجاد الحلول المناسبة للقضايا المعروضة امام القاضي وهذه الوسائل قد ذكرت على سبيل المثال وليست على سبيل الحصر.

٤- في كل الأحوال يجب ان لا يقف القاضي مكتوف الايدي عند طرح نزاع معين أمامه فهو جزء من واجبه الشرعي والقانوني أن يبحث ويدفع من خلال انشاء أو توسيع أو تبرير النصوص القانونية لانطباقها على وقائع لم تنطبق عليها من قبل.

٥- تبين ان الراجح في طبيعة القناعة القضائية يقوم على مبدأ الاعتقاد واليقين بضعف الحلول الموجودة والمستندة على النصوص القائمة لأنها لا تفي بالغرض واعتماد القاضي على حلول مبتكرة من خلال استخدام سلطته التقديرية وقناعته بإيجاد الحلول المناسبة للمنازعات المعروضة عليه.

ثانياً / المقترحات

١- نقترح بتوسيع صلاحيات القاضي لكي يتمكن من إيجاد الحلول المناسبة للمنازعات المعروضة عليه والتي لا ينطبق عليها حكم النص القانوني القائم وذلك بإنشاء أو توسيع أو تبرير أو بتحويل النص القانوني بما ينسجم وطبيعة النزاع.

٢- ضرورة مواكبة التشريعات للتطورات الحاصلة في المجتمعات سواء على الصعيد السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو غير ذلك لكي يكون جوهر النص القانوني الحديث متلائماً مع تطور الواقعة القانونية إيجاباً أم سلباً.

٣- ضرورة اعطاء كل الجهات التنفيذية ذات الصلاحية الممنوحة للقضاء بالتصرف في الوقائع القانونية لتحقيق أكبر عدالة ممكنة واستقرار المعاملات والحفاظ على النظام العام وإحقاق الحق والعدالة والمساواة بين الاطراف المتنازعة.

٤- ضرورة تفعيل الدور الرقابي على عمل المؤسسات القضائية ومنع أي تدخلات خارجية من شأنها اضعاف دور وعمل القضاء ونزاهته، وتوفير حماية أكبر وضمانة أكيدة لكل المؤسسات القضائية لتحقيق أكبر قدر ممكن في حل النزاعات باستخدام الحكمة والمنطق القانوني.

المراجع

أولاً / الكتب القانونية

- ١- د: آدم وهيب النداوي، د: هاشم الحافظ، تاريخ القانون، العاتك القاهرة، ط ٢، ٢٠٠٧.
- ٢- د: أبو زيد عبد الباقي مصطفى، الافتراض ودوره في تطور القانون، مطبعة دار التأليف الاسكندرية، ١٩٨٠.
- ٣- د: توفيق حسن فرج، دروس في القانون الروماني، مطبعة كريدية، بيروت، ١٩٦٥.
- ٤- د: حسن علي الذنون، فلسفة القانون، مطبعة العاني، ط ١، بغداد، ١٩٧٥.
- ٥- د: رياض القيسي، علم اصول القانون، بيت الحكمة بغداد، ط ١، ٢٠٠٢.
- ٦- د: رمضان أبو السعود، النظرية العامة للحق، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية، ٢٠٠٥.

- ٧- د: زهدي يكن، محاضرات في تاريخ القانون، مطبعة كريدية، بيروت، ١٩٦٤.
- ٨- د: زهدي يكن، تاريخ القانون، ط ١، ١٩٦٦.
- ٩- د: زكي ابو عامر، الاثبات في المواد الجنائية، بلا سنة طبع.
- ١٠- د: سمير عبد السيد تناغو، النظرية العامة للقانون، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٩٩.
- ١١- د: صوفي حسن أبو طالب، تاريخ النظم القانونية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٧٨.
- ١٢- د: علي بدوي، أبحاث في التاريخ العام للقانون، تاريخ الشرائع، مطبعة نوري، مصر، ١٩٣٦.
- ١٣- د: عباس العبودي، تاريخ القانون، مطبعة دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل، ١٩٨٩.
- ١٤- د: عباس العبودي، تاريخ القانون، المكتبة القانونية، بغداد، ط ٢، ٢٠٠٧.
- ١٥- د: عبد المجيد الحكيم، وعبد الباقي البكري، ومحمد طه البشير، القانون المدني، مصادر الالتزام، الدار الجامعية للطباعة والنشر والترجمة، ج ١، ١٩٨٠.
- ١٦- د: عبد المجيد الحكيم، وآخرون، القانون المدني، أحكام الالتزام الدار الجامعية للطباعة والنشر والترجمة، ج ٢، ١٩٨٠.
- ١٧- د: عبد الحميد فودة، جوهر القانون بين المثالية والواقعية، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ٢٠٠٥.
- ١٨- د: عبد الحميد الشواربي، رسالة القضاء دراسة في نفسية القاضي، وتفسيره، وسلطته التقديرية، منشأة المعارف، الاسكندرية، بلا سنة طبع.
- ١٩- د: عبد الباقي البكري، ود: زهير البشير، المدخل لدراسة القانون، القاهرة، ط ٣، ٢٠١١.
- ٢٠- د: عبد الباقي البكري، المدخل لدراسة القانون والشرعية الاسلامية، بغداد، ١٩٧٠.
- ٢١- د: عبد السلام الترماني، تاريخ النظم والشرائع، مطبعة جامعة الكويت، ١٩٧٥.
- ٢٢- د: عز الدين عبد الله، القانون الدولي الخاص، تنازع القوانين، ج ٢، ط ٧، ١٩٧٢.
- ٢٣- د: عبد المنعم فرج الصده، اصول القانون، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت " بلا سنة طبع".
- ٢٤- د: عمر ممدوح مصطفى، اصول تاريخ القانون، ١٩٦٣.
- ٢٥- د: عبد العلي حفيظ، صلاحيات قاضي تطبيق العقوبات في القانون المغربي، ط ١، ٢٠٠٥.
- ٢٦- د: فاضل زيدان محمد، سلطة القاضي الجنائي في تقدير الادلة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط ١، الاصدار الثاني، ٢٠٠٦.
- ٢٧- د: لطيفة المهدي، حدود سلطة القاضي التقديرية في تفريد الجزاء، الرباط، ط ١، ٢٠٠٧.
- ٢٨- د: محمد حسين منصور، المدخل الى القانون، الكتاب الأول، القاعدة القانونية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٥.
- ٢٩- د: محمد مصطفى القللي، أسباب الحكم الجنائي، مجلة القانون والاقتصاد، العدد الخامس، السنة الخامسة، ١٩٣٥.

- ٣٠- د: محمود عبد الرحيم الديب، الحيل في القانون المدني، دراسة مقارنة بالفقه الاسلامي، دار الجامعة الجديدة للنشر، الاسكندرية، بلا سنة طبع.
- ٣١- د: محمود عبد المجيد مغربي، الوجيز في تاريخ القوانين، بيروت، ١٩٧٩.
- ٣٢- د: منصور مصطفى منصور، نظرية الحلول العيني وتطبيقاتها في القانون المدني المصري، مطبعة جامعة القاهرة، مصر، ١٩٥٦.
- ٣٣- د: مصطفى العوجي، القاعدة القانونية في القانون المدني، بيروت، ط ١، ١٩٩٢.
- ٣٤- د: موريس نخلة، الكامل في شرح القانون المدني، دراسة مقارنة، منشورات الحلبي الحقوقية، ج ١، بيروت، ٢٠٠٧.
- ٣٥- د: نبيل اسماعيل عمر، سلطة القاضي التقديرية في المواد المدنية والتجارية، منشأة المعارف، الاسكندرية، ط ١، ١٩٨٤.
- ٣٦- د: وجدي راغب فهمي، النظرية العامة القضائي، رسالة دكتوراه، مطبعة أطلس، منشأة المعارف الاسكندرية، ١٩٧٤.
- ٣٧- د: ياسر باسم دنون، الافتراض القانوني في قانون المرافعات المدنية، رسالة ماجستير، جامعة صلاح الدين، ٢٠٠٨.

ثانياً / المصادر الأجنبية: -

- 1- Sir Henry Maine: Ancient Law , London , 1920.
- 2- Lecsot – Les – tribunaux , en face de La Carence du Legislatuer , 2007.
- 3- Grraud traitetheorique – et pratique dinstruction crmmnille – et – de procedure penale – 1951.
- 4- Faustin Helie – preactique Criminelle des – Courset teiburnux – Sclasseures paris 1995.

ثالثاً / القوانين والدساتير.

- ١- القانون المدني العراقي رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١ المعدل.
- ٢- القانون المدني المصري رقم ١٣١ لسنة ١٩٤٨ المعدل.
- ٣- القانون المدني الفرنسي الصادر عام ١٨٠٤ والمعدل بالمرسوم ٣٤٦ لسنة ٢٠٠٦.
- ٤- قانون الجنسية العراقية رقم ٤٣ لسنة ١٩٦٣ المعدل.
- ٥- قانون منح الجنسية العراقية للعرب رقم ٥ لسنة ١٩٧٥ المعدل.
- ٦- قانون رعاية الأحداث رقم ٧٦ لسنة ١٩٨٣ المعدل.
- ٧- قانون اصول المحاكمات الجزائية العراقي رقم ١٢٣ لسنة ١٩٧١ المعدل.
- ٨- قانون الاجراءات المصري رقم ١٥٠ لسنة ١٩٥٠.
- ٩- قانون الاجراءات الجزائي رقم ٦٦ لسنة ١٩٦٦.
- ١٠- قانون الاجراءات الفرنسي رقم ٤٦٦ لسنة ١٩٨٣.

- ١١- قانون الاجراءات الالماني الاتحادي لسنة ١٩٧٥.
- ١٢- قانون المرافعات المدنية العراقي رقم ٨٣ لسنة ١٩٦٩ المعدل.
- ١٣- دستور جمهورية العراق لعام / ٢٠٠٥.

الجوانب الحضارية للأمم السابقة في القرآن الكريم

The cultural aspects of the previous People in the glorious Quran

رزاق مهدي حمادي السعدي^(١) Razzak Mahdi Hamadi AL-Saadi

مستخلص البحث

الانسان خليفة الله سبحانه وتعالى على الارض، استعمره فيها ومكنه من اقامة الحضارات قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشٌ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ الأعراف: ١٠، وانعم عليه النعم المادية والمعنوية.

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ لقمان: ٢٠، وامده بقوة ومال وبنين

قَالَ تَعَالَى: ﴿كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءِثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ غافر: ٨٢، ووفر له اسباب التقدم والرفي، و سخر الله سبحانه للإنسان كل شيء، فانتفع من ذلك، وشيد الحضارات، وتقدم العلم، ثم بعث سبحانه من يسلك به المعتقد والطريق الصحيح؛ ليقوم انحرافه السلوكي، والاعتقادي، فبعث سبحانه الانبياء مرشدين، ومعلمين، ومنذرين

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ص: ٦٥، لكنهم تناسوا نعم الله عليهم، ولم ينفعهم ما وصلوا اليه من حضارة وتقدم، فدمرهم الله، ولم يبق منهم الا الآثار شاخصة
قَالَ تَعَالَى: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِمِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٥١)
فَتِلْكَ بَيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ النمل: ٥١ - ٥٢ ليكونوا عبرة لغيرهم.

Summary of the research

Human Khalifa Almighty God on earth, Astamrh which enabled him to establish civilizations custom: 10, and blessed him moral and material blessings Luqman: 20, and-running power and money and Benin Hawash] [Hawash 'forgiving: 82, and provided him with the reasons for progress and prosperity, and God mocked the man everything, Vantf them and built civilizations, and the progress of science, and then sent the Almighty of exhibits by the belief and the right way; for the deviation behavioral and belief, he sent Almighty prophets mentors and teachers and admonishing p: 65, but they have forgotten God's blessings on them, and did not benefit them as they reached him of civilization and progress, Vdmarham God, leaving them only relics Hawash ants: 51-52 to be an example to others.

مقدمة

امتاز القرآن الكريم عن سائر الكتب السماوية بكونه كتاباً معطاء شاملاً لكل نواحي الحياة، فكلما توغل الباحث في استخراج اسراره، وقطف ثماره، لم يصل الى نهاية قراره، والقرآن الكريم منهل عذب، ينهل منه كل الباحثين، وفي كل مجالات الحياة، الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، و الفقهية، والعلمية، والادبية، والتاريخية... فجماله في تنوع علومه، ولا يستطيع احد ان يخصصه او يحصره في علم معين، فلا يمكننا ان نقول انه كتاب ادب وبلاغة، او نقول انه كتاب فقه، او كتاب اقتصاد او اجتماع..... فكم من كُتب الفت في القرآن الكريم، فهل استوعبته تلك المؤلفات التي ملأت المكتبات، وكيف يستوعب المحدود كلام الاله اللامحدود، ولهذا كان القرآن الثقل الاول الذي خلفه النبي -ﷺ- بعده، فلو نفذ العلم الذي فيه لما بقي هذا الثقل ملازماً للثقل الثاني العترة حتى يردا على النبي الحوض، كما اخبر المصطفى. لقد توغل القرآن الكريم في غمار الامم السابقة واخبرنا عن قصص الانبياء وما جرى بينهم اقوامهم، واغلب من الف في تلك القصص التي وردت فيه بين الفائدة من ذكر تلك القصص للنبي -ﷺ- وما ينفع المجتمع الاسلامي منها، ومع الاسف اغفل العديد من اولئك المؤلفين الجوانب الحضارية التي كانت تعيشها تلك الامم فاغلب من كتب والف نظر الى تلك الامم العاصية لأنبيائها على انهم اناس منحرفون، جهلة اعداء للأنبياء، والقرآن وبصريح العبارة بين لنا ان لتلك الامم حضارة عظيمة، كانت نعمة من الله من بها عليهم، فقد اعطاهم سبحانه القوة والمال فبنوا القصور وزرعوا الارض وعمروها وازدهرت لديهم الصناعة والتجارة، وظهرت الممالك القوية التي كان يسودها النظام والامن والامان وتعيش الرخاء والرفاهية، فلا يمكننا اغفال تلك الجوانب الحضارية بدعوى انهم كانوا ملحدين، فالله سبحانه ثبت تلك الحقائق الحضارية في القرآن، وعدها نعمة انعم بها عليهم ليكون هلاكهم عقوبة على بطرهم وتجبرهم وكفرانهم لنعمة الله سبحانه، ويكونوا عبرة لغيرهم، ولكي لا نبخس الناس حقهم على الرغم من انحرافهم العقائدي، وتكذيبهم الانبياء، فقد سلطت الضوء في هذا البحث المتواضع على تلك الجوانب الحضارية لتلك الامم ما استطعت مقتنصا الادلة والاشارات من الآيات المباركة، مختصرا في

شرحها لضيق البحث، معتمدا على مجموعة مهمة من كتب التفسير؛ لكون البحث قرآنياً، معتمدا المنهج التحليلي للآيات المباركة، وقد قسمت البحث على مبحثين، الاول خصصته في الجوانب الادارية التي انمازت بها تلك الامم، والثاني خصصته في الجوانب الاقتصادية التي تدل على ان الامم التي ذكرها القرآن لها تطوراً اقتصادياً ملفتاً للنظر، فقد من الله عليهم بنعمه الظاهرة والباطنة، كي تكون تلك النعم حجة عليهم.

المبحث الاول/الجوانب الادارية

من المظاهر الحضارية التقدم في المجال الاداري لشؤون الحياة وعلى مختلف الصعد، وسواء أكانت تلك الجوانب الادارية في دولة ام قبيلة، ونلمس تلك الجوانب الادارية في التشاور وادارة الدولة من اعلى منصب الى ادناه ومن اهم الجوانب الادارية:

الاستشارة

اشار القرآن الكريم الى التشاور في الراي، ويمكننا ان نلاحظ ان التشاور اخذ شكلاً نظامياً في الدول، تمثل بطبقة المستشارين الذين يحيطون بالملوك لتقديم الراي، وبطبقة الاشراف والاغنياء وكبار العشيرة في بعض الاقوام التي لم تصل الى شكل الدولة، وهذا واضح عند العرب في الجاهلية فدار التدو تجسّد للشورى، وقد استخدم القرآن الكريم كلمة الملا لتشير الى هذه الطبقة

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنِكَ فِي صُكُلِي مُبِينٍ﴾ الأعراف: ٦٠

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾ أي: الرؤساء الأغنياء المتبوعون الذين قد جرت العادة باستكبارهم على الحق، وعدم انقيادهم للرسل،^(٢). وفي هذا الصدد يتحدث القرآن الكريم عن جلوس فرعون للتشاور في معالجة الموقف، إذ نقرأ في أول آية من هذا المقطع: ﴿وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري﴾. غافر: ٣٦. فأنا إلهكم في الأرض.. أمّا إله السماء فلا دليل على وجوده، ولكنني سأتحقق في الأمر ولا أترك الاحتياط .^(٣) ويمكننا ان نستنتج من هذا ان فرعون رغم طغيانه لم يكن ليتجاوز هذه الطبقة من المستشارين وفي هذا دلالة على دهائه فهو يوهم الكل ان القرار كان بإجماع الطبقة السياسية، وفي اية اخرى

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ الأعراف: ١٠٩

قوله: إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ حكاه الله تعالى في سورة الشعراء أَنَّهُ قَالَهُ فِرْعَوْنُ لقومه وحكى هاهنا أَنَّ قَوْمَ فِرْعَوْنَ قَالُوهُ فَكَيْفَ الْجُمُعَ بَيْنَهُمَا؟ وَجَوَابُهُ مِنْ وَجْهَيْنِ: الْأَوَّلُ: لَا يَمْتَنِعُ أَنَّهُ قَدْ قَالَهُ هُوَ وَقَالُوهُ هُمْ، فَحَكَّى اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ ثُمَّ وَقَوْلَهُمْ هَاهُنَا وَالثَّانِي: لَعَلَّ فِرْعَوْنَ قَالَهُ ابْتِدَاءً فَتَلَقَّنَهُ الْمَلَأُ مِنْهُ فَقَالُوهُ لِعَبِيدِهِ، أَوْ قَالُوهُ عَنْهُ لِسَائِرِ النَّاسِ عَلَى طَرِيقِ التَّبْلِغِ فَإِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا رَأَوْا رَأْيًا ذَكَرُوهُ لِلْخَاصَّةِ وَهُمْ يَذْكُرُونَهُ لِلْعَامَةِ

٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق:

مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م ٢٩٢: ٢٩٢.

٣- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ناصر مكارم الشيرازي مؤسسة الاعلمي الطبعة الاولى، ٢٠٠٧ م: ٣ / ١٦٣.

فكذا هاهنا،^(٤) ومن هنا نستطيع القول ان طبقة المستشارين كانت تردد اراء الحاكمين لان بقائهم منوط

ببقاء الحاكم، علي ان هذا لا يمنع من وجود بعض الصالحين منهم، وهذا يظهر في الآية المباركة

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ

الْكَاذِبِينَ ﴾ [الأعراف: ٦٦، وَالْفَرْقُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي قِصَّةِ نُوحٍ: (قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ) [الأعراف:

٦٠] وَفِي قِصَّةِ هُودٍ: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ أَنَّهُ كَانَ فِي أَشْرَافٍ قَوْمِ هُودٍ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنْهُمْ

مُرْتَدُّ بْنُ سَعْدٍ أَسْلَمَ وَكَانَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ فَأُرِيدَتِ التَّفْرِقَةُ بِالْوَصْفِ وَلَمْ يَكُنْ فِي أَشْرَافٍ قَوْمِ نُوحٍ مُؤْمِنٌ. ^(٥)

ويمكننا القول أنَّ الملاك كانت لهم صفة رسمية في الدول، كمصر ومملكة سبأ التي أكدت أنها لا تتخذ أي

قرار الا بموافقة هذه الهيئة من المستشارين، ويدل هذا ايضا على المستوى الاداري العالي في قيادة الدولة

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَتْ يَتَايَأُ الْمَلَأُ الْغَنَاءُ أُفْتُونِي فِي أَمْرٍ مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون ﴾ [النمل: ٣٢،

تَعْنِي مَا كُنْتُ لَأُبْتَ أَمْرًا إِلَّا وَأَنْتُمْ حَاضِرُونَ] قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ] يَعْثُونَ لَنَا قُوَّةً وَقُدْرَةً

عَلَى الْجِلَادِ وَالْقِتَالِ وَمَقَامُ الْأَبْطَالِ فَإِنْ أَرَدْتَ مِمَّا ذَلِكَ فَإِنَّا عَلَيْكَ مِنَ الْقَادِرِينَ، مع هذا ﴿ الْأَمْرُ لِلْيَكِّ

فَأَنْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ] فَبَدَّلُوا لَهَا السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ وَأَخْبَرُوهَا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْإِسْطِطَاعَةِ وَقَوَّضُوا إِلَيْهَا فِي ذَلِكَ

الْأَمْرَ لَتَرَى فِيهِ مَا هُوَ الْأَرْشَدُ لَهَا وَلَهُمْ، فَكَانَ رَأْيُهَا أَمْرٌ وَأَسَدٌ مِنْ رَأْيِهِمْ، ^(٦) كما وصف القرآن هذه الطبقة

بالتكبر

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ

اتَّعَلُمُوا أَنِّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِءٌ مُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٧٥، أَنَّ

الْمَلَأَ عِبَارَةً عَنِ الْقَوْمِ الَّذِينَ تَمَلَّطُوا الْقُلُوبُ مِنْ هَيْبَتِهِمْ، وَمَعْنَى الْآيَةِ قَالَ الْمَلَأُ وَهُمْ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ

قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا، يُرِيدُ الْمَسَاكِينَ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِسْطِطَاعَةَ إِنَّمَا يَتَوَلَّدُ مِنْ كَثْرَةِ الْمَالِ

. وإذا تتبعنا آيات القرآن نجد أنَّ الطبقة التي كانت تشير بآرائها للمجتمع آنذاك فاسدة الراي وامثلة ذلك

كثيرة ^(٧)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا

أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَؤُكَ كَرِهِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٨، وقال تعالى

﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ ﴾ [المؤمنون:

- ٢٥، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِفَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتَرَفْتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ ^(٨) وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِثْلَكُمْ

إِنَّكُمْ إِذَا لَخِيسِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٣٣-٣٤] إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ

فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴾ [المؤمنون: ٤٦-٤٨

. ٤٨

٤- مفاتيح الغيب أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين فخر الدين الرازي: دار إحياء التراث العربي - بيروت،

الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠: ٣٣٠/١٤.

٥- المصدر نفسه: ٣٠٠/١٤.

٦- البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي دار الفكر، د. ط: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م: ٢٢/٢.

٧- تفسير الرازي: ١٧٥/٧.

توزيع المناصب: النظام الملكي

عرف التاريخ ملوك لُقِبَ بعضهم بالفراعنة، وبعضهم بالتبابعة وغيرهم، ومن ابرزهم: النمرود
﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ البقرة: ٢٥٨، هَذَا الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ هُوَ مَلِكٌ نَابِلٌ:
نُمرُودُ بْنُ كَنْعَانَ بْنِ كُوشِ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ. وَيُقَالُ: نُمرُودُ بْنُ فَالِخِ بْنِ عَابِرِ بْنِ شَالِخِ بْنِ أَزْفَحَشَدَ بْنِ سَامِ
بْنِ نُوحٍ وَالْأَوَّلُ قَوْلُ مُجَاهِدٍ وَغَيْرِهِ. قَالَ مُجَاهِدٌ: وَمَلِكُ الدُّنْيَا مَشَارِقُهَا وَمَغَارِبُهَا أَرْبَعَةٌ: مُؤْمِنَانِ وَكَافِرَانِ
قَالَهُمُ مَنَانِ: سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ وَدُو الْقُرَيْنِ. وَالْكَافِرَانِ: نُمرُودُ بْنُ كَنْعَانَ وَخُتَنَصَّرُ. ^(٨) كما اشار القرآن
الكريم الى ملوك بني اسرائيل، وقد عد موسى هذه السلطة نعمة تفضل الله بها عليهم بان جعلهم منهم
ملوكا

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُوا أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ
مُلُوكًا وَعَاقَبْتُمْ مَا لَمْ يَأْتِ أَحَدًا مِنْ﴾ المائدة: ٢٠، اي كَانَ فِي أَسْلَافِهِمْ وَأَخْلَافِهِمْ مُلُوكٌ وَعُظَمَاءُ،
^(٩)، وبدا القرآن يذكر ملوكهم فأبتدأ بذكر طالوت

﴿قَالَ تَعَالَى:﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ
لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ
عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ
عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٤٧، والمعنى: كيف يتملك علينا والحال أنه لا يستحق التملك لوجود من هو أحق
بالملك، وأنه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به. وإنما قالوا ذلك لأن النبوة كانت في سبط لاوي بن
يعقوب والملك في سبط يهوذا ولم يكن طالوت من أحد السبطين، ولأنه كان رجلا سقاء أو دباغا فقيراً..
فذكر مصلحتين أنفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة. ^(١٠) ثم ذكر القرآن ان الله
قد جمع لهم النبوة والملك في داود وسليمان

﴿قَالَ تَعَالَى:﴾ فَهَرَمُوهُمْ يَازِيبُ اللَّهُ وَقَتْلَ دَاوُدَ دَجَالُوتَ وَعَاقَبَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ
وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مَكَائِشَ كَأَنَّ﴾ البقرة: ٢٥١، آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ
ومغاربها، وما اجتمعت بنو إسرائيل على ملك قط قبل داود والحكمة والنبوة. ^(١١) وورث سليمان ملك
داود، وطلب ان يكون سلطانه عظيماً، فكان سلطانه على الجن والانس والحيوانات
﴿قَالَ تَعَالَى:﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ص: ٣٥،
وذكر القرآن ملكة عظيمة اقترن اسمها باسم سليمان، بلقيس التي ازدهرت حضارة سبأ في وقتها

٨- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر

والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ / ٦٨٦/١

٩- مفاتيح الغيب: ٣٣١/١١

١٠- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو، الزمخشري جاز الله، دار الكتاب العربي - بيروت-
لبنان الطبعة: الثالثة ١٤٠٧ هـ / ٢٩٢/١

١١- المصدر نفسه: ٢٩٦/١

﴿إِنِّي وَجَدْتُ أُمَّرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ النمل: ٢٣، وكان من قوة النظام الملكي ما تحدثت به الآية

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجُنُودُ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ سبأ: ١٤ ﴿وَقَوْمٌ يُبْعِ كُلُّ كَذِبٍ أُرْسِلَ حَقٌّ وَعِيدٌ﴾ ق: ١٤، {وَقَوْمٌ تَبِعَ} وتبع كان رجلاً من ملوك العرب من حمير، وكل واحدٍ مِنْهُمْ يُسَمَّى: "تُبَعًا" ويسمى تبعاً لكثرة من تبعه، قال وهب: إن تبعاً أسلم وكفر قومه، فلذلك ذكر قومه، ولم يذكر تبع. قال قتادة وهو الذي حير الحيرة وفتح سمرقند حتى أخرجها، وكان يكتب إذا كتب: بسم الله الذي تسمى وملك برأً وبحراً.^(١٢) أما عن قوتهم فقال تعالى

﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ الدخان: ٣٧.

الفراعنة (ملوك مصر)

ذكر القرآن الكريم الفرعون الذي عاصر موسى، ثم ذكر سبحانه الفرعون الذي أصبح يوسف عزيز في حكمه، وتطرق سبحانه الى التقدم العلمي والحضاري في تلك الحقبة الزمنية ضمن الآيات الكريمة، من زراعة وتقدم في البناء،

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَفْقَهُمُ الْيَسَّ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ الزخرف: ٥١، فِرْعَوْنُ: لقب لكل مَنْ كان يحكم مصر، مثل كِسْرَى في الفرس، وقبصر في الروم، اما معناها البيت الكبير، وكانت له هيبه وتصرف وثروات، وفي الآية دلالة على الرقي الحضاري، فقد قال فرعون: يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ^(١٣)، ومدينة فرعون التي كان ينزلها، كان لها سبعون باباً، وجعل حيطانها بالحديد، والصفير مبنية، وأجرى فيها الأنهار، ونصب سريره في وسط الأنهار، فكان الماء يجري تحت سريره بمقدار يستحسن ولا يضر.^(١٤)، واستخدم القرآن كلمة (ملك) للتعبير عن

حاكم مصر

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ يوسف: ٤٣ ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتُونِي بِهِ﴾ يوسف: ٥٠، وقال تعالى ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتُونِي بِهِ﴾ يوسف: ٥٤، ومن الملوك العظام الذين

اشار اليهم القرآن ذو القرنين الذي تمكن من السيطرة على اراضي شاسعة، مثلما بينت الآيات ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَذَا الْقَرْيَيْنِ إِمَّا أَنْ نُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ نُنْخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ الكهف: ٨٦ ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾ ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾

١٢- ينظر: النكت والعيون: ٣٤٥/٥ وتفسير معالم التنزيل في تفسير القرآن ٢٢٧/٧

١٣- تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ: ٩٣/٥

١٤- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م: ١٣٥/١

الكهف: ٩٣، ٩٠، وظهر في مصر منصب، العزيز ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتَنْهَى عَنْ نَفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

يوسف: ٣٠، والعزيز: الملك بلسان العرب، والعزيز الذي كان على خزائن مصر وكان اسمه قطفير أو اظفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي، وقد امن بيوسف ومات في حياته،^(١٥) إِنَّ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِ يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ وَالْمَسِيرِ بِهِ إِلَى مِصْرَ، وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ عَشْرَةَ سَنَةً يُؤْمِنُ، وَإِنَّهُ أَقَامَ فِي مَنْزِلِ الْعَزِيزِ الَّذِي اشْتَرَاهُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَإِنَّهُ لَمَّا تَمَّتْ لَهُ ثَلَاثُونَ سَنَةً اسْتَوْرَزَهُ فِرْعَوْنُ مِصْرَ^(١٦). والظاهر من القرآن الكريم ان منصب العزيز كان المنصب الثاني في ادارة الدولة، لذا عبر يوسف بقوله (الملك) قَالَ تَعَالَى: رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ ۖ يُوْسُفُ: ١٠١، أراد مُلْكُ الأرض وهو الأشهر. وإنما قال من الملك لأنه كان على مصر من قبل فرعون.^(١٧)

السجون

القرآن عندما نتبعه فإننا نجد قد أخبر عن السجن فقد أخبر سبحانه وتعالى عن سجن بعض الأنبياء وتهديد البعض الآخر بالسجن فقد سجن يوسف -عليه السلام- وذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجُنَّهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (يوسف: ٣٥) وكان يضم السجن مع يوسف غيره ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ﴾ يوسف: ٣٦،

كما ذكر سبحانه وتعالى تهديد موسى بالسجن في قوله تعالى:

﴿قَالَ لَنْ أَخَذَتْ إِلَٰهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ الشعراء: ٢٩

وهذا يدل على سوء حالة السجن في ذلك العهد. أن سجنه كان أشد من القتل، فإنه كان يحبس الرجل وحده في موضع لا يسمع شيئاً ولا يبصر شيئاً، ويهوى في الأرض،^(١٨) كما سجن به سليمان عليه السلام الجن وذلك في قوله تعالى:

﴿وَأَخْرَجَ مُقْرَنَيْنِ فِي الْأَصْفَادِ﴾ ص: ٣٨،

فكان عليه الصلاة والسلام يجعل هذه الصفاد لمن تورد وعصى وأساء في صنعه.^(١٩)

صراع الممالك

اثبت القرآن الكريم علو شأن اليهود وزيادة اموالهم وطغيانهم في الارض، ونسيانهم نعم الله عليهم، وارتبط هذا العلو والطغيان بتوعد الله لهم فكلما طغوا سلط الله عليهم من ينتقم منهم، ويخرب ديارهم

١٥- الكشف: ٤٦٢/٢ وتفسير الصافي: ١٣ و تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر الطبري: دار التراث - بيروت الطبعة: الثانية - ١٣٨٧ هـ: ٣٣٧/١
١٦- تاريخ الرسل والملوك: ٣٣٦/١
١٧- النكت والعيون أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ط: ٨٥/٣
١٨- تفسير القرآن العظيم: ٣٨/٤ وتفسير السمعاني تفسير القرآن: ١: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المحقق: ياسر بن إبراهيم: دار الوطن، الرياض - السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ- ١٩٩٧ م: ٤٣/٤.
١٩- تفسير القرآن العظيم: ٣٨/٤.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَفَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتُفْسِدُنَا فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلِتَعْلَنَ أُولُو كِبَرًا ۖ﴾ (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْفُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرُوا مَا عَلِمُوا ﴿الإسراء: ٤ - ٧،

إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَعَظَّمُوا وَتَكَبَّرُوا وَاسْتَحْلُوا الْمَحَارِمَ وَقَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ وَسَفَكُوا الدِّمَاءَ، وَذَلِكَ أَوَّلُ الْفَسَادَيْنِ، فَسَطَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مُجْتَنَصَرٌ فَقَتَلَ مِنْهُمْ أَرْبَعِينَ أَلْفًا مِنْ يَفْرَأَ التَّوْرَةِ، وَذَهَبَ بِالْبَقِيَّةِ إِلَى أَرْضِ بَابِلَ فَبَقُوا هُنَاكَ فِي الدَّلِّ إِلَى أَنْ قَبِضَ اللَّهُ مَلِكًا آخَرَ غَزَا أَهْلَ بَابِلَ، وَاتَّفَقَ أَنْ تَرْجِعَ بِأَمْرٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَطَلَبْتَ تِلْكَ الْمَرْءَ مِنْ ذَلِكَ الْمَلِكِ أَنْ يَرُدَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَفَعَلَ، وَبَعْدَ مُدَّةٍ قَامَتْ فِيهِمُ الْأَنْبِيَاءُ وَرَجَعُوا إِلَى أَحْسَنَ مَا كَانُوا، فَهُوَ قَوْلُهُ: ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ، وَقِيلَ: إِنَّ الْمُرَادَ مِنْ قَوْلِهِ: (بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا) أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَلَّطَ عَلَيْهِمْ جَالُوتَ حَتَّى أَهْلَكَهُمْ وَأَبَادَهُمْ وَقَوْلُهُ: ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ هُوَ أَنَّهُ تَعَالَى قَوَّى طَالُوتَ حَتَّى حَارَبَ جَالُوتَ وَنَصَرَ دَاوُدَ حَتَّى قَتَلَ جَالُوتَ فَذَلِكَ هُوَ عَوْدُ الْكَرَّةِ. (٢٠) وذكر القرآن صراع الفرس والروم

قَالَ تَعَالَى: ﴿غَلَبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (الروم: ٢ - ٤، يعني قهرت الروم في أدنى الأرض مما يلي فارس يعني أرض الأردن وفلسطين وهم يعني أهل الروم من بعد غلبتهم سَيَغْلِبُونَ أهل فارس. (٢١)

القضاء

تتحدث الآيات المباركة عن دور القضاء في حل المشاكل التي كانت تواجه الناس آنذاك، وبينت الآيات ان للقضاء دور مهم في المجتمع لذا كان النبي الملك يباشر القضاء بنفسه ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّأْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴿الأنبياء: ٧٨ - ٧٩﴾ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٦١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿ص: ٢١ - ٢٢﴾

اي انه لم يشعر إلا وهما بين يديه جالسان، ففزع منهم لأنهم نزلوا عليه من فوق على خلاف العادة والمحترس حوله في غير يوم الحكومة والقضاء قال ابن عباس رضي الله عنهما أن داود - عليه السلام - جزاً زمانه أربعة أجزاء، يوماً للعبادة، ويوماً للقضاء، ويوماً للاشتغال بخاصته نفسه، ويوماً للوعظ والتذكير. (٢٢)

٢٠ - مفاتيح الغيب: ٢٠٩/٢٠.

٢١ - بحر العلوم السمرقندي أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر - بيروت، ب. ط: ٣/٣.

٢٢ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي - بيروت: ٢٢٠/٧.

الجيش

ومن مظاهر ازدهار الامم وحضاراتها سيادة الامن فيها، فكانت تلك الامم تنفق الاموال لأعداد الجيوش، وكانت تلك الجيوش تقف ايضا في وجه الانبياء

قَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ أُنْتُكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ۚ﴾ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿ البروج: ١٧ - ١٨،

اي تلك الكتاب الجارة التي وقفت بوجه أنبياء الله - ﷺ - بتصورها الساذج بأنها ستقف أمام قدرة الله عز وجل. وتشير إلى نموذجين واضحين، أحدهما من غابر الزمان، والآخر في زمن قريب من صدر دعوة الاسلام (فرعون وثمود). فأحدهما ملك الشرق والغرب، والآخر وصلت مدنيته لأن يحفر الجبال لبناء البيوت والقصور الفخمة، ولهما من الجبروت ما لم يستطع أحد من الوقوف بوجههم، وإنما اختير قوم «فرعون» و«ثمود» دون بقية الأقوام السالفة كنموذجين للعصاة والضالين، باعتبارهما كانا يمتلكان قدرة وقوة مميزة على بقية الأقوام، وأهل مكة على معرفة بتاريخهما إجمالاً. (٢٣) وفي آية أخرى وصف سبحانه جيش فرعون

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ الفجر: ١٠،

والمراد بفرعون هنا: هو وقومه، والمراد بالأوتاد: الجنود والعساكر الذين يشدون ملكه ويقومونه، كما تشد الخيام وتقوى بالأوتاد. وقيل وصف فرعون بذلك لكثرة جنوده وخيامهم، التي يضربون أوتادها في منازلهم (٢٤) ويظهر مدى اهتمام الملوك بالجيش بجلب كل ما من شأنه قوة الجيش كاستخدام الفيلة لتقوية الجيش وادخال الرعب في قلوب الخصوم

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ الفيل: ١،

ارسل أبرهة الوفود والدعاة إلى قبائل العرب في أرض الحجاز، يدعوهم إلى حج كنيسة اليمن، فاحس العرب بالخطر لارتباطهم الوثيق بمكة والكعبة ونظرهم إلى الكعبة على أنها من آثار إبراهيم الخليل - ﷺ -، وجّهز ابرمه جيشاً عظيماً كان بعض أفراده يمتطي الفيل، واتجه نحو مكة. (٢٥) اما سليمان فكان جيشه اغرب من ذلك

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَحِشْرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ النمل: ١٧

ونقل لنا القرآن الكريم احداث تاريخية تتعلق بالاختبارات الالهية لجيش الحق، فكيف سيواجه الجيش مشكلة العطش التي اعترته، ثم يستمر القرآن بسرد الاحداث التاريخية لهذا الجيش فكان الاختبار الثاني للبقية الصابرة مواجهة جيش جرار، ولم يخل القرآن علينا بذكر مواقف الثلة المؤمنة والاخرى التي اصابها الرعب

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّكَ اللَّهُ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ

٢٣- الامثل: ١٥/٣٠٢.

٢٤- تفسير الآلوسی: ٣٠ / ١٢٤.

٢٥- الامثل: ١٥/٣٥٤.

الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ يَأْذَنُ اللَّهُ
وَاللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا
وَتَسَبَّحْتَ أَقْدَامَنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ البقرة: ٢٤٩-٢٥٠

ووثق القرآن الكريم حقيقة تاريخية هي غرق جيوش الكفر التي وقفت بوجه الانبياء

﴿وَأَتْرَكَ الْأَبْحَرُ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُعْرِفُونَ﴾ الدخان: ٢٤.

المبحث الثاني الجوانب الاقتصادية

سعى الانسان دائما للحصول على الاكتفاء الذاتي في معيشته، واستغل كل ما وفره له سبحانه من مائدته العظيمة (الارض)، فسعى في الكسب والصراع مع الطبيعة لتذليلها لصالحه، ونجح الانسان في استغلال كل شيء امكنه ليحيى، ان اهم الجوانب الاقتصادية هي:

الصناعة

من اهم الامور التي ساهمت في التطور الحضاري معرفة الحديد فهو عماد الصناعات التي عرفها الانسان

﴿وَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَاحِبًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ﴾ سبأ: ١٠ - ١١

أن إلانة الحديد لداد، إنما كانت جارية على سنن الحياة، وأن الله سبحانه قد علّمه الأسلوب الذي يلين به الحديد، وهو عرضه على النار، والنفخ في النار حتى يحمر، ويقبل الطرق وذلك ما لم يكن معروفا للناس في ذلك الزمن.. ولهذا كان داود أول من صنع من الحديد دروعا، كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ (الأنبياء: ٨٠) .. وبهذا يكون داود -عليه السلام-، أول من طرق الحديد، متوسلا إلى ذلك بما علمه الله، من عرض الحديد على النار، حتى يلين، ويقبل الطرق.. (٢٦)

وتبين اهمية الحديد وما قدمه من فضل للبشرية من الآية ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ نِصْرِهِ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ الحديد: ٢٥، {فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ} فيه وجهان: أحدهما: لأن بسلاحه وآلته تكون الحرب التي هي بأس شديد. الثاني: لأن فيه من خشية القتل خوفاً شديداً، {وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ} يتحمل وجهين: أحدهما: ما تدفعه عنهم دروع الحديد من الأذى وتوصلهم إلى الحرب والنصر، الثاني: ما يكف عنهم من المكروه بالخوف عنه. وقيل البأس السلاح، والمنفعة الآلة. (٢٧) وفي الآية دعوة للتصنيع العسكري (فيه بأس شديد) ودعوة للتصنيع المدني (منافع للناس..)، طبق داود المبدأ الاول (ان اعمل ساقيات) ثم طبق سليمان المبدأ الثاني (يعملون له ما يشاء...)، (٢٨) أما سليمان فذكر سبحانه انه سخر له النحاس

﴿قَالَ تَعَالَى﴾ ﴿وَأَسْلَمْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَاطِرِ﴾ سبأ: ١٢، اي: سخرنا له عين النحاس، وسهلنا له الأسباب في استخراج ما يستخرج منها من الأواني وغيرها. (٢٩) وكما من الله على داود بالإناء الحديد من على

٢٦- المصدر السابق: ١٠/٢٢٥-٢٢٦.

٢٧- النكت والعيون ٤٨٣/٥.

٢٨- الموسوعة العلمية القرآنية: الدكتور ليبي بيضون، مؤسسة الاعلمي، بيروت -لبنان ط، الاولى ١١:٤

٢٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ٦٧٦.

سليمان بإذابة النحاس وتسخير الجن عملة بين يديه يعملون له شتى المصنوعات من قصور شامخات وصور من نحاس وجفان كبيرة كالأحواض وقدر لا تتحرك لعظمها^(٣٠)، وهذا واضح في المقطع الثاني من الآية:

﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ سبأ: ١٣، ولاهية الحديد والنحاس فقد خلطهما ذو القرنين لإنشاء السد الذي بناه، وهذا يدل على ان لهما دورا بارزا في الحضارات القديمة

قَالَ تَعَالَى: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ الكهف: ٩٦. هذا البناء يشبه ما يفعله الآن المهندسون في المعمار بالحديد والخرسانة؛ لكنه استخدم الحديد، وسد ما بينه من فجوات بالنحاس المذاب ليكون أكثر صلابة، فلا يتمكن الأعداء من خرقه، وليكون أملس ناعماً فلا يتسلقونه، ويعلمون عليه ساوى بين الصدفين. أي: ساوى الحائطين الأمامي والخلفي بالجليلين: قَالَ انفخوا، أي: في الحديد الذي أشعل فيه، حتى إذا التهب الحديد نادى بالنحاس المذاب: عَلَيْهِ قِطْرًا وهكذا انصبك الحديد الملتهب مع النحاس المذاب، فأصبح لدينا حائط صلب عالٍ أملس.^(٣١) في الآية دلالة على ان صناعة التعدين كانت معروفة، ويدل ايضاً على مدى الرواج الفكري والحضاري في الامم السابقة.^(٣٢)

صناعة السفن

من مقومات الحضارة التبادل التجاري بين الدول، فكان لابد من وجود وسيلة نقل اخرى غير القوافل التجارية التي كانت تستخدم الابل، وقد عد سبحانه هذه الوسيلة نعمة منه وعلامة على قدرته ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ (٣٢) ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ الشورى: ٣٢ - ٣٣، والجوار في البحر من السفن الشراعية، التي من عظمها {كالأعلام} وهي الجبال الكبار، التي سخر لها البحر العجاج، وحفظها من النظام الأمواج، وجعلها تحملكم وتحمل أمتعتكم الكثيرة إلى البلدان والأقطار البعيدة، وسخر لها من الأسباب ما كان معونة على ذلك، وفي الآية دلالة على رقي الصناعة، وبين سبحانه ان تصميم السفن كان يعتمد في حركتها على الرياح {إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ} التي جعلها الله سببا لمشيتها،^(٣٣) كما بين سبحانه ان السفن كانت المأمن في الطوفان

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكِ فِي الْجَارَةِ﴾ الحاقة: ١١، اما صناعة السفن فقد اوجزها القرآن ب ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾ القمر: ١٥، {وَحَمَلْنَاهُ} يَعْني: نُوحًا {عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ} أي سَفِينَةٍ ذَاتِ أَلْوَاحٍ، أَرَادَ بِالْأَلْوَاحِ خَشَبَ السَّفِينَةِ الْعَرِيشَةِ {وَدُسْرٍ} أي: الْمَسَامِيرُ الَّتِي تُشَدُّ بِهَا الْأَلْوَاحُ، يُقَالُ: دَسَرْتُ السَّفِينَةَ إِذَا شَدَدْتُهَا بِالْمَسَامِيرِ، وَقِيلَ الدُّسْرُ صَدْرُ السَّفِينَةِ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا

٣٠- ينظر: تفسير المراغي أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م: ٦٥/٢٢.

٣١- تفسير الشعراوي - الخواطر: محمد متولي الشعراوي : مطابع أخبار اليوم ط: ١٩٩٧م: ٨٩٩٣/١٤.

٣٢- الموسوعة العلمية: ٢ / ٥٠٥

٣٣- تفسير السعدي: ٧٥٩/١

تدسر الماء بجوؤها، أَي تَدْفَعُ. ^(٣٤)، ان اول فلك صممت وصنعت هي سفينة نوح، فقد نزل الامر بإنجازها من السماء بتصميم فأرى جبرئيل نوح صورة السفينة وابعادها. ^(٣٥) وأشار القرآن الى معرفة النجوم والاستفادة منها في معرفة الاتجاهات في البحر ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ الأنعام: ٩٧، ﴿وَعَلَّمَنَّا وَابْلَغْنَاهُمْ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ النحل: ١٦.

البناء العمراني

من اهم المظاهر الحضارية للأمم السابق ما شيده من مدن وقرى عامرة تؤكد على روعة فن العمارة لدى تلك الشعوب، حتى ان بعض ما بنوه يضاهي البنايات العالية في يومنا هذا، اضافة الى الزخرفة وتزيين تلك القصور ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ الدخان: ٢٥ - ٢٦، {من جنات} أي بساتين هي في غاية ما يكون من طيب الأرض وكثرة الأشجار وزكاء الثمار والنبات وحسنها الذي يسر المهموم ويستر الهموم، ودل على كرم الأرض بقوله: {وعيون وزروع}، أي مما هو دون الأشجار، ولما كان ذلك لا يكمل إلا بمنازل ومناظر في الجنان وغيرها فقال: {ومقام كريم} أي مجلس شريف هو أهل لأن يقيم الإنسان فيه، لأن النهاية فيما يرضيه كانت القصور والمسكن العامرة، حيث أن من أهم مستلزمات حياة الإنسان هو المسكن المناسب، ^(٣٦) ويؤكد القرآن على حقيقة يجب على الكل ملاحظتها، هي تلك الآثار التي خلفتها تلك الامم، فهي من جانب تدل على تلك الحضارة، وتلك النعم التي انعم الله بها عليهم ليعمروا الارض التي استعمرهم فيها، ومن جهة ثانية هي ان تلك الآثار ابقاها الله لتكون لنا عبرة

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ يُدْثُوهُمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ غافر: ٢١

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ أي من الحصون والقصور والمباني والعدد والعدد فما أعنى عنهم ما كانوا يكسبون أي مما لا يدفع به العذاب الأرضي ولا السماوي. كما جاء هذا المعنى في الآية ^(٣٧) ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظِلَّهِمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ الروم: ٩.

نستنتج من تكرار تأكيد القرآن على ان الامم عمروا الارض على مدى بلوغ فن العمران، فما علينا الا البحث والتنقيب عن تلك الآثار لنأخذ العبرة ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ غافر: ٨٢،

٣٤- معالم التنزيل في تفسير القرآن: أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي تحقيق: عبد الرزاق المهدي: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ: ٤٢٨/٧.

٣٥- الموسوعة العلمية القرآنية: ٥٠٣/٣

٣٦- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة: ١٨/١٨٧

٣٧- محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق تحقيق: محمد باسل عيون السود دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ: ٣٢١/٨.

ان اهم ما بني في التاريخ هي الكعبة المشرفة، فقد امر سبحانه ابراهيم ببنائها ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ البقرة: ١٢٧

ومن اهم من عرف بالبناء والفن المعماري الراقي فراعنة مصر ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ غافر: ٣٦ المراد بالصرح في قوله - تعالى - البناء العالي المكشوف للناس، الذي يرى الناظر من فوقه ما يريد أن يراه، والأسباب، المراد بها هنا: أبواب السماء وطرقها، التي يصل منها إلى ما بداخلها. أي: وقال فرعون لوزير همام: يا همام ابن لي بناء ظاهرا عاليا مكشوبا لا يخفى على الناظر وإن كان بعيدا عنه، لعلني عن طريق الصعود على هذا البناء الشاهق أبلغ الأبواب الخاصة بالسموات، فأدخل منها فأنظر إلى إله موسى. (٣٨) وبما ان فرعون اعتاد على طرح كل الامور على ملائه، طرح عليهم هذا الموضوع مصادرا لرايهم، ثم اصدر الامر لوزير كما اخبرت الآية

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ القصص: ٣٨،

فأصدر الاوامر ببناء برج أو قصر مرتفع جداً ليصعد عليه وليستخبر عن إله موسى، وهنا يبدر تساؤل: لم لم يذكر فرعون اسم الآجر؟، واكتفى بالقول: (فأوقد لي يا همام على الطين)؟ قال بعضهم: هذا دليل على أن الآجر لم يكن متداولاً حتى ذلك الحين، وإنما ابتكره الفراعنة من بعد. كما وعرف الآجر في بلاد ما بين النهرين وقد بنيت به ابراج بابل (٣٩). وعلى كل حال، فطبقاً لما ورد في بعض التواريخ، فإن همام أمر بأرض واسعة ليبنى عليها الصرح أو البرج، وهياً خمسين ألف رجل من العمال والمهندسين لهذا العمل المضني، وآلاف العمال لتهيئة الوسائل اللازمة لهذا البناء، وفتح أبواب الخزائن وصرف أموالاً طائلة في هذا السبيل، واشغل عمالاً كثيرين. (٤٠) أما البناء في عهد النبي سليمان فلم يشهد له مثيل خصوصاً من زاول عملية البناء

﴿وَالشَّيْطَانُ كُلُّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ﴾ ص: ٣٧، أي وذلنا لأمره البنائين من الشياطين والغواصين في البحار منهم، يستخرجون فيما يريد من الأعمال، فإذا أراد بناء العمائر والقصور أو الحصون والقناطر أنجزوها له في الزمن القصير، وإذا أحب استخراج اللؤلؤ والمرجان من البحار لجعلها حلية لمن في قصوره لبوا طلبه سراعاً. (٤١) أما قصر سليمان ومدى البراعة في بناءه

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾ النمل: ٤٤، أي القصر، أو صحن الدار ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ ماء عظيماً ﴿وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا﴾ روي أن سليمان أمر قبل قدموها فبنى له على طريقها قصر من زجاج أبيض، وأجرى من تحته الماء، وألقى فيه السمك وغيره، ووضع سريره في صدره فجلس عليه، وعكف عليه الطير والجن والإنس

٣٨- التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي: دار تحفة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة الطبعة: الأولى

٣٧٠/٤:

٣٩- الموسوعة العلمية: ١٦٤/٣، وينظر: الامثل: ٧٧/١٢

٤٠- الامثل: ١٦٣/٣

٤١- تفسير المراغي: ٢٣/ ١٢٢

{قَالَ} لها {إِنَّهُ صَرَخَ مُرْمَدٌ} مملس مستو ومنه الأمرد {مَنْ قَوَارِيرَ} من الزجاج،^(٤٢) وبلغ فن العمارة أوجه حتى انه انتقل الى استخدام الجبال كمساكن لهم

{وَنَجَحْتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرَهِينَ} الشعراء: ١٤٩، وفرهين صيغة مُبَالَعَةٍ فِي قِرَاءَةِ الْجَمْعِ هُورٌ يَدُونُ أَلْفَ بَعْدَ أَلْفَاءٍ، مُشْتَقٌّ مِنَ الْفَرَاهَةِ وَهِيَ الْحَذَقُ وَالْكَيَاسَةُ، أَيُّ غَارِفِينَ حَذِقِينَ يَنْحِتِ الْبُيُوتَ مِنَ الْجِبَالِ بِحَيْثُ تَصِيرُ بِالنَّحْتِ كَأَنَّهَا مَبْنِيَّةٌ^(٤٣) اما من حيث الاتقان والسلامة، فوصف سبحانه تلك المساكن

{وَكَاوُوا نَجَحْتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ} الحجر: ٨٢، اي آمنين أن تسقط عليهم، او: آمنين من الخراب^(٤٤) اما القصور فقد كانت منتشرة في السهول، وهي كثيرة، لذا وردت بصيغة الجمع في قوله {وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْجَحُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا} الأعراف: ٧٤، تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا، أي تبوؤون القصور من سهولة الأرض، فان القصور إنما بُنِيَتْ مِنَ الطِّينِ وَاللِّينِ وَالْأَجْرِ، وهذه الأشياء إنما تَتَّخِذُ مِنْ سُهُولَةِ الْأَرْضِ، وَقِيلَ: كَانُوا يَسْكُنُونَ السُّهُولَ فِي الصَّيْفِ، وَالْجِبَالَ فِي الشِّتَاءِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا مُتَنَعِّمِينَ مُتَرَفِّهِينَ^(٤٥) اما اماكن العبادة فقد كانت عامرة، فقد كان لكل اصحاب دين بناء خاص به

{وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صُورُهُمْ وَيَبِيعُ وَصَلُوتٌ وَمَسْجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا} الحج: ٤٠، وكان مكان العبادة يسمى المحراب {وَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا} ^(٣٨) فَنادته الْمَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ {آل عمران: ٣٨، ٣٩،

الْمِحْرَابُ الْمَوْضِعُ الْعَالِي الشَّرِيفُ، يُرَوَى أَنَّ مَرْيَمَ لَمَّا صَارَتْ شَابَةً بَنَى زَكَرِيَّا - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لَهَا غُرْفَةً فِي الْمَسْجِدِ، وَجَعَلَ بَابَهَا فِي وَسْطِهِ لَا يُصْعَدُ إِلَيْهِ إِلَّا بِسَلَمٍ،^(٤٦) وقد استخدم البعض بيوت الشعر {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَفَتْحًا إِلَى حِينَ} النحل: ٨٠ وقيل في العمد {إِذْ ذَاتَ الْعِمَادِ} ^(٧) الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْإِلَادِ ^(٨) وَتَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ {الفجر: ٧ - ٩، وقوله: ذَاتِ الْعِمَادِ لَأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْكُنُونَ بِيُوتَ الشَّعْرِ الَّتِي تَرَفَعُ بِالْأَعْمَدَةِ الشَّدَادِ. «عماد»: بمعنى العمود وجمعه «عُمُد» وهي على ضوء التفسير الأول، تشير إلى ضخامة أجسادهم كأعمدة البناء، وعلى ضوء التفسير الثاني تشير إلى عظمة أبنيتهم، وعلو قصورهم، وما فيها من أعمدة كبيرة. وقوله: جَاءُوا بمعنى قطعوا. من الجواب بمعنى القطع والخرق، والصخرة الحجارة العظيمة، والواد: اسم للأرض المنخفضة بين مكانين مرتفعين، وكان هؤلاء القوم يقطعون الصخور من الجبال،

٤٢ - مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي حققه: يوسف علي: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ٢/ ٦٠٩
٤٣ - تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي: الدار التونسية للنشر - تونس ١٩٨٤: ١٩٦/١٩٧ .
٤٤ - النكت والعيون/ ٣/ ١٦٩
٤٥ - مغاتيب الغيب ١٤/ ٣٠٦ .
٤٦ - المصدر نفسه: ٨/ ٢٠٧

ليتخذوا منها بيوتهم بواديههم، أي: بالمكان الذي كانوا يسكنونه.^(٤٧)، وما يدل على رقي البناء في الامم السابقة وصفه سبحانه رقي تلك الاممة (لم يخلق مثلها) فكانوا يقطعون الصخور العظيمة للبناء^(٤٨). وبلغت بعض المباني ارتفاعا شاهقا فقد فسر قوله تعالى ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾

(الأوتاد) وهي على الأرجح الأهرامات، التي تشبه الأوتاد الثابتة في الأرض المتينة البنيان^(٤٩). وقد وبخ سبحانه تلك الامم التي من عليها بنعمة البناء والقوة والابناء

﴿أَتَنْبُونَ لِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَابِينَ فَانظُرُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ وَانظُرُوا إِلَيْهِ أَمَّا لَكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ أَمَّا لَكُمْ بِأَعْيُنٍ وَبَيْنَ وَجْهَتِ وَعْيُونَ﴾ الشعراء: ١٢٨ - ١٣٣، ريع: مكان مرتفع، علماً للمارة، كانوا يصعدونه، ويسخرون بمن يمر بهم. وقيل: كانوا يسافرون ولا يهتدون إلا بالنجوم، فبنوا على الطريق أعلاماً ليهتدوا بها عبثاً، وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ، مأخذ الماء، أو قصوراً مشيدة، أو حصوناً، وهو جمع مصنع، والمصنع: كل ما صنع وأتقن في بنيانه، وفي الآية دلالة على كثرت البناء والاتقان في اختيار اماكن البناء، ونتيجة لكثرة البناء من بيوت وقصور فقد ظهرت المدن العامرة، وكانت من اسس قيام الدول، ولأهمية المدن وما جرى فيها من احداث ذكرت (المدينة) في القرآن الكريم بمواضع عدة

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَايَتُهُمْ بِئْسَ قَوْمٌ يَفْقَهُونَ قَوْلَ رَبِّهِمْ قَبْلَ أَنْ يَأْذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُمْ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ الأعراف: ١٢٣، ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَنَّهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ يوسف: ٣٠، ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ الحجر: ٦٧، ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾ الكهف: ٨٢، ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ سَعَةُ الرَّهْطِ يُفَسِّدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ النمل: ٤٨، ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ القصص: ١٥، ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾ القصص: ١٨، ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمُوسَى ابْنُ الْمَلَأِ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ القصص: ٢٠، ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْفَوِرُ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ يس: ٢٠ واذا تأملنا القرآن نجد ان تلك المدن مكتظة بالناس لذا عبر الله عنهم بالألوف

﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ البقرة: ٢٤٣.

ما قيل في مدن عاد وثمود

اروع مثال على انتقام الله بعد رقي القبيلتين وتقدمهما ما وصف سبحانه ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد . إرم ذات العماد . التي لم يخلق مثلها في البلد . وثمود الذين جابوا الصخر بالواد﴾ الفجر: ٥ - ٩، فعاد: هم قوم نبي الله هود-عليه السلام-، ويذكر المؤرخون أن اسم «عاد» يطلق على قبيلتين.. قبيلة كانت في الزمن الغابر البعيد، ويسميتها القرآن الكريم بـ «عاد الأولى»، كما في الآية (٥٠) من سورة النجم

٤٧- تفسير ابن كثير: ٧ / ٤١

٤٨- الامثل: ١٥/ ٣٠٢

٤٩- تفسير في ظلال القرآن: ٣٠ / ٥٧١

«وأنه أهلك عاداً الأولى»، (ويحتمل أنها كانت قبل التاريخ)، ويحددون تاريخ القبيلة الثانية بحدود (٧٠٠) سنة قبل الميلاد، وكانت تعيش في أرض الأحقاف أو اليمن. وكان أهل عاد أقوياء البنية، طوال القامة، لذا كانوا يعتبرون من المقاتلين الأشداء، هذا بالإضافة إلى ما كانوا يتمتعون به من تقدّم مدني، وكانت مدّنتهم عامرة وقصورهم عالية وأراضيهم يعمها الخضار وقيل: إنّ «عاد» هو اسم جدّ تلك القبيلة، وكانت تسمى القبيلة بـ (عادة). ويضيف القرآن قائلاً: (إرم ذات العماد). اختلف المفسّرون في علام يطلق اسم «إرم». هل هو شخص أم قبيلة أم مدينة؟ ونقل عن بعضهم، قوله: إنّ عاد هو ابن عوص بن إرم بن سام بن نوح، وسمّيت القبيلة باسم الجدّ وهو (إرم). ويعتقد آخرون: إنّ (إرم) هم «عاد الأولى»، و«عاد» هي القبيلة الثانية، يقال أيضاً: إنّ «إرم» هو اسم مدينتهم، وما يناسب الآية التالية، أن يكون (إرم) هو اسم مدينتهم «عماد»: بمعنى العمود وجمعه «عُمُد» وهي على ضوء التفسير الأول، تشير إلى ضخامة أجسادهم كأعمدة البناء، وعلى ضوء التفسير الثاني تشير إلى عظمة أبنيتهم وعلو قصورهم وما فيها من أعمدة كبيرة، وعلى القولين فهي: إشارة إلى قدرة وقوّة قوم عاد، ولكنّ التفسير الثاني (أعمدة قصورهم العظيمة) أنسب، ولذا تقول الآية التالية: «التي لم يخلق مثلها في البلاد». والآية تبيّن أنّ المراد بـ «إرم» المدينة وليس شخص أو قبيلة، ولعل هذه الآية هي التي دعت بعض كبار المفسّرين من اختيار هذا التفسير^(٥٠)، وقد ذكر بعض المفسّرين قصّة اكتشاف مدينة «إرم» العظيمة في صحاري شبه الجزيرة العربية وصحاري عدن، وتحدّثوا بتفصيل عن رونقها وبنائها العجيب، ولكنّ القصّة أقرب للخيال منها للواقع، وعلى أيّة حال، فقوم «عاد» كانوا من أقوى القبائل في حينها، ومدّنتهم من أرقى المدن من الناحية المدنية، وكما أشار إليها القرآن الكريم: «التي لم يخلق مثلها في البلاد». وثمة قصص كثيرة عن «جنة شداد بن عاد» في كتب التاريخ، حتى أنّها أصبحت مضرباً للأمثال لما شاع عنها بين الناس وعلى مرّ العصور، إلّا أنّ ما ورد بين متون كتب التاريخ لا يخرج عن إطار الأساطير التي لا واقع لها. وتذكر الآية التالية جمع آخر من الطغاة السابقين: «وثمود الذين جابوا الصخر بالواد»، وصنعوا منها البيوت والقصور، «ثمود»: من أقدم الأقوام، ونبّيهم صالح-عليه السلام-، وكانوا يعيشون في (وادي القرى) بين المدينة والشام، وكانوا يعيشون حياة مرفهة، ومدّنتهم عامرة، وقيل: «ثمود» اسم جدّ القبيلة، وقد سميت به، «جبابوا»: من (الجوبة). وهي الأرض المقطوعة، ثمّ استعملت في قطع كلّ أرض، والمراد: قطع أجزاء الجبال وبناء البيوت القوية، كما أشارت إلى ذلك الآية (٨٢) من سورة الحجر. حول ثمود أنفسهم: «وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمناً»، والآية (١٤٩) من سورة الشعراء، والتي جاء فيها: (...بيوتاً فارهين)، وقيل: قوم ثمود أوّل من قطع الأحجار من الجبال، وصنع البيوت المحكّمة في قلبها، ممّا لا شكّ فيه أنّ ثمود قوم قد وصلوا إلى أعلى درجات التمدن في زمانهم، ولكنّ ما يذكر عنهم في بعض كتب التفسير، يبدو وكأنّه مبالغ فيه أو أسطورة، كأن يقولوا: إنّهم بنوا ألفاً وسبعمائة مدينة من الحجر.^(٥١) وتبيّن الصور المكتشفة ضخامة بناء مساكن ثمود، ونحت الجبال كبيوت، وفيما يأتي نماذج لخارطة ولاهم المدن في الجزيرة العربية ومساكن ثمود^(٥٢)

٥٠ - ينظر الامثل: ٣٠٠/١٥ وروح البيان: ٩٢٩٧ والنكت والعيون: ٤٠٥/٥

٥١ - تفسير الكشف: ٧٤٧/٤، والامثل: ٣٠٠/١٥

٥٢ - موسوعة ويكيبيديا الحرة <https://ar.wikipedia.org/wiki/>



التجارة

التجارة من اهم مظاهر الحضارات البشرية فمنها نعرف ان الشعوب كان لها فائض تجاري وعقل اقتصادي وهوس في المغامرة ومعرفة البلدان والتواصل معهم تجاريا وفكريا، وكانت وسائط النقل تعتمد على الحيوانات

﴿وَتَحْمِلْ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِلِغِيهِ إِلَّا شِقَ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ النحل: ٧، وكانوا مولعين بالسفر، والتجارة

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا﴾ سبأ: ١٨، أي طلبوا أن يجعل الله المسافات بين قراهم طويلة، كي لا يستطيع الفقراء السفر جنبا إلى جنب مع الأغنياء، ومقصودهم هو أن تكون بين القرى فواصل صحراوية شاسعة، حتى لا يستطيع الفقراء ومتوسطو الحال الإقدام على السفر بلا زاد أو ماء أو مركب، وبذا يكون السفر أحد مفاخر الأغنياء وعلازمة على القدرة والثروة، ووجوب أن يظهر هذا الامتياز ويثبت لدى الجميع.^(٣) وأشار القرآن الى احد اهم المراكز التجارية

﴿لَا يَلْفِ قَرْشٌ﴾ ١ ﴿إِنَّ فِيهِمْ رَحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ قريش: ١-٢، إيلاف قريش الرحلة الى اليمن في الشتاء، والى الشام في الصيف، وبكل أمانٍ واطمئنان سَمَحَ به فضلُ الله عليهم تكريماً لبنته

الحرام، وكونهم جيرانه. وهكذا، فإن السورة الكريمة تجمع أهم ما يطلبه الإنسان وهو الأمن والشيع والاستقرار والتي يمكننا القول انها هي اهم العوامل المساعدة على التجارة.^(٥٤)

وجود العملة

من مظاهر التقدم الاقتصادي وجود العملة النقدية ،وهذا ما اثبتته وجوده القرآن
﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَيْتُمْ قَالُوا لَيْتَنَّا يَوْمًا أَوْ
بَعْضُ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْتُمْ فَأَبَعْتُمْ أَعْدَكُمْ بِوَرَقِكُمْ هَذِهِ إِلَى
الْمَدِينَةِ﴾ الكهف ١٩ ،والورق: الفضة، مضروبة كانت أو غير مضروبة ،ويبدو ان اول ظهور للعملة
كان في القرن السابع قبل الميلاد^(٥٥). كما ان القرآن اخبرنا عن تكلس الاموال الطائلة عند البعض
﴿إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ مُوسَى فَبَعَى عَلَيْهِمْ وَأَيْنَتَهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ
أُولَى الْقُوَّةِ﴾ القصص: ٧٦، وأنه نسب ما آتاه الله من الكنوز إلى نفسه بعلمه وحيلته، وآتينه من
الْكُنُوزِ فيه قولان: أحدهما: أنه أصاب كنزاً من كنوز يوسف -عليه السلام-، الثاني: أنه كان يعمل الكيمياء،
والعصبة الجماعة الذين يتعصب بعضهم لبعض^(٥٦) واخبرنا القرآن ان بعض مصادر جمع الاموال الطائلة
كانت غير مشروعة

﴿وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ النساء: ١٦١،

وعبر سبحانه عن كثرة تلك الاموال بالاكتناز

﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ
بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ التوبة: ٣٤، الأبحار والرهبان، أي: العلماء والعباد الذين
يأكلون أموال الناس بالباطل، أي: بغير حق، ويصدون عن سبيل الله، فإنهم إذا كانت لهم رواتب من
أموال الناس، أو بذل الناس لهم من أموالهم فإنه لأجل علمهم وعبادتهم، ولأجل هدايتهم وهدايتهم، وهؤلاء
يأخذونها، ويصدون الناس عن سبيل الله.^(٥٧)

الزراعة

الزراعة احد اهم العناصر الرئيسة في رقي الامم وازدهار اقتصادها، ولازدهار الزراعة وصف سبحانه

البساتين بانها جنان

﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا
﴿٣٢﴾ كُنْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَانَتْ أَكْلُهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا﴾ الكهف: ٣٢، جنتين، أي:
بستانين حسنين، من أعناب، في هاتين الجنتين من كل الثمرات، وخصوصاً أشرف الأشجار، العنب
والنخل، فالعنب في وسطها، والنخل قد حف بذلك، ودار به، فحصل فيه من حسن المنظر وبهائه،
وبروز الشجر والنخل للشمس والرياح، التي تكمل بها الثمار، وتنضج ، ومع ذلك جعل بين تلك

٥٤- ينظر: تيسير التفسير: إبراهيم القطان ٣/ ٤٥٢

٥٥- الموسوعة العلمية القرآنية: ٢/ ٤٦٩ والكشاف: ٢/ ٧١٠

٥٦- الماوردى النكت والعيون: ٤/ ٢٥٥-٢٥٦ وينظر الكشاف: ٤/ ٣٤٠

٥٧- تيسير التفسير الرحمن في تفسير كلام المنان: ٣٣٥

الأشجار زرعاً، فلم يبق عليهما إلا أن يقال: كيف ثمار هاتين الجنتين؟ وهل لهما ماء يكفيهما؟ فأخبر تعالى أن كلا من الجنتين آتت أكلها، أي: ثمرها وزرعها ضعفين، أي: متضاعفاً {و} أنها {لم تظلم منه شيئاً} أي: لم تنقص من أكلها أدنى شيء، ومع ذلك، فالأنهار في جوانبهما سارحة، كثيرة غزيرة. (٥٨) نستدل من الآية على البراعة في زراعة الأشجار، ووضع كل نوع من الشجر موضعه، وكانت تلك الجنان كما عبر عنها سبحانه وفيرة الانتاج

﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ القلم: ١٧، وفي تخزين المحصول علم يوسف أهل مصر كيفية التخزين

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ﴾ يوسف:

٤٧

، في سُنْبُلِهِ لَقَلَّا يَنْسَوُسُ، وَلَيَكُونُ أَتَقَى. (٥٩) أما مملكة سبأ فكانت الزراعة أحد أهم مقومات رقيها، وازدهار الحضارة فيها، ولكفرهم بالله، اذهب عنهم سبحانه هذه النعمة

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلٌّ مِنْ رَزَقِ رَبِّكَمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ. بِلْدَةِ طَيْبَةٍ وَرَبِّ غَفُورٍ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ سبأ: ١٥ - ١٦، كانت أرضهم أرضاً خصيبة، وكانت المرأة تخرج على رأسها مكتلاً فلا ترجع حتى تملأ مكتلتها من أنواع الفاكهة من غير أن تمد يدها، وكان الماء يأتيهم من مسيرة عشرة أيام حتى يجبس بين جبلين، وكانوا قد ردموا ردماً بين جبلين فحبسوا الماء، وكان يأتيهم من السيول فيسقون بساتينهم وأشجارهم. ويقال: كان لهم وادي. وكان للوادي ثلاث درفات. فإذا كثر الماء فتحوا الدرفة العليا، وإذا انتقص فتحوا الدرفة الوسطى، وإذا قل الماء فتحوا الدرفة السفلى. فأخصبوا، وكثرت أمواهم، واتخذوا من الجنان ما شاءوا. (٦٠) أما الرعي فقد كان من أهم الموارد الاقتصادية، حتى أن الأنبياء كانوا يرعون الغنم

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا سَقَى حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ القصص: ٢٣ - ٢٤.

الانهار والابار

الماء سبب لازدهار الحضارات فكل الامم كانت تسكن قرب الانهار، وهذا أحد اسباب تبطر فرعون ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْفَوِرَ إِلَيَّْ الْمَلِكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ الزخرف: ٥١، وهذه الأنهار أنهار النيل، ونهر الملك، ونهر طولون، ونهر دمياط، ونهر تنيس، تجري من تحتي تحت قصري أو أمري، أو بين يدي في جناني، (٦١) ما في الأماكن التي تقل فيها

٥٨ - تفسير السعدي: ٤٧٦ وينظر تفسير الصافي: ٣٤٣ .

٥٩ - تفسير القرطبي: ٢٠٣/٩ وتفسير الصافي: ٢٥٠

٦٠ - بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي: ٨٤/٣ - ٨٥ والنكت والعيون: ٤٤٤/٤

٦١ - المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ١٣٥/١

الأنهار ، فقد توصل العقل البشري الى حفر الارض لإخراج الماء من بطنها ، وورد ذكر الابار في القرآن عند ذكر قصة يوسف

﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهٖ وَاجْتَمَعُوا اَنْ يَّجْعَلُوْهُ فِيْ غَيْبَتِ الْجُبِّ ۖ اَوْحَيْنَا اِلَيْهٖ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِاَمْرِهِمْ هٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُوْنَ ﴾ يوسف : ١٥ ، واقترن ذكر بعض الابار بقصص احدى الامم التي سكنت منطقة من ماء هذا البئر ، ولكنها كفرت بالله فعذبهم سبحانه وجعل مكان البئر دالاً عليهم

﴿ فَكَانَ مِنْ قَرْيَةٍ اَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرِىٰ مُعْطَلَةٌ ۚ وَقَصْرِ مَّشِيدٍ ﴾ الحج : ٤٥ ، المعنى : كم قرية أهلكناها؟ وكم بئر عطلنا عن سقائها؟ وقصر مشيد أخليناه عن ساكنيه؟ فترك ذلك لدلالة معطلة عليه، وروي أنّ هذه بئر نزل عليها صالح - عليه السلام - مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به، ونجاهم الله من العذاب، وهي بحضر موت، وإنما سميت بذلك لأنّ صالحاً حين حضرها مات، وثمة بلدة عند البئر اسمها «حاضوراء» بناها قوم صالح، وأمرُوا عليهم جلهمس بن جلاس، وأقاموا بها زمناً ثم كفروا وعبدوا صنما، وأرسل الله إليهم حنظلة بن صفوان نبياً فقتلوه، فأهلكهم الله وعطل بئريهم وخرّب قصورهم. (٦٢)

المبحث الثالث : الجوانب الثقافية والعلمية

ارتفاع المستوى المعاشي ينعكس على سلوك الناس الثقافي والاجتماعي، فالرفاه باب لازدهار العلوم وشيوع العادات والتقاليد الاجتماعية، في هذا المبحث نتناول بعض الجوانب العلمية والثقافية والاجتماعية:

علم النجوم

المتأمل لآيات القرآن يجدها تدل دلالة واضحة على الاستفادة من النجوم

﴿ وَعَلَّمْنَاكَ وَالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ النحل : ١٦ ، العلامات هي معالم الطرق وكل ما يستدل به المارة من جبل وسهل وغير ذلك، وبالنجم هم يهتدون بالليل في البراري والبحار، وعن أمير المؤمنين - عليه السلام - قال : قال رسول الله - ﷺ - بالنجم هم يهتدون هو الجدي لأنه نجم لا يزول وعليه بناء القبلة وبه يهتدي أهل البر والبحر (٦٣)، واخير سبحانه عن ابراهيم

﴿ فَظَكَرْ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ اِنِّي سَقِيمٌ ۖ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴾ الصافات : ٨٨ - ٩٠ ، فَظَكَرَ إِلَى نَجْمٍ طَالِعٍ فَقَالَ : إِنَّ هَذَا يَطْلُعُ مَعَ سَقَمِي . وَكَانَ عِلْمُ النُّجُومِ مُسْتَعْمَلًا عِنْدَهُمْ مَنْظُورًا فِيهِ ، فَأَوْهَمَهُمْ هُوَ مِنْ تِلْكَ الْجَهَةِ ، وَأَرَاهُمْ مِنْ مُعْتَقِدِهِمْ عُذْرًا لِنَفْسِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ رِعَايَةٍ وَفِلَاحَةٍ ، وَهَاتَانِ الْمَعِيشَتَانِ يُخْتَاَجُ فِيهِمَا إِلَى تَنْظَرٍ فِي النُّجُومِ ، وَقَدْ مَارَسَ التَّنْجِيمَ حَضَارَاتٌ عَدِيدَةٌ مِنْهَا الْيُونَانُ ، وَالْهِنْدُ ، وَرَسَمُوا لِلْكَوَاكِبِ خُرَاطٍ اسْتَدَلُّوا مِنْ خِلَالِهَا عَلَى حَوَادِثَ مُسْتَقْبَلِيَّةٍ ، وَقِيلَ أَنَّ النَّمْرُودَ بَنَى الصَّرْحَ إِرْصَادًا مِنْهُ لِلْكَوَكِبِ وَطَلَبًا لِمَعْرِفَةِ سِيرِ النُّجُومِ وَمُطَالَعِهَا (٦٤).

السحر

من الفنون التي كانت رائجة السحر، حتى اصبح فنا يعلم ،ويستخدم لأغراض عدة

٦٢ - الكشف: ١٦٣/٣

٦٣ - تفسير الصافي: الفيض الكاشاني: ١٣٠، والنكت والعيون الماوري: ٣/ ١٨٣.

٦٤ - الموسوعة القرآنية: ٣/ ٣٨٣ والقريطي ٩٢/١٢ وينظر البدء والتاريخ: المطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد: ٥٦/٣.

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مَلِكٍ سَلِيمٍ وَمَا كَفَرَ سَلِيمٌ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحَرِ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هُوتَ وَمُرُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ البقرة: ١٠٢، وقد اتقن السحرة ذلك الفن فوصف سبحانه ذلك

﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ الأعراف: ١١٦، وحسبنا أن يقرر القرآن أنه سحر عظيم، لنذكر أي سحر كان، وحسبنا أن نعلم أنهم سحروا «أعين الناس» وأثاروا الرهبة في قلوبهم: «واسترهبوهم» لتتصور أي سحر كان، ولفظ «استرهب» ذاته لفظ مصور، فهم استجاشوا إحساس الرهبة في الناس وقسروهم عليه قسراً، ثم حسبنا أن نعلم من النص القرآني الآخر في سورة طه، أن موسى -عليه السلام- قد أوجس في نفسه خيفة،^(٦٥) ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ طه: ٦٧.

الرياضة

ان طريقة معيشة بعض الناس تتطلب منهم المran خصوصا اذا كانت تلك المعيشة مخوفة بالأخطار، وكان ركوب الخيل ابرز الرياضات السائدة، وقد ذكر القرآن التسابق بين اولاد يعقوب ﴿قَالُوا يَسْأَلَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَعْنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ يوسف: ١٧

، الاستباق منهم كَانَ مَثَلُ الْإِسْتِبَاقِ فِي الْخَيْلِ وَكَانُوا يُجْرِيُونَ بِذَلِكَ أَنْفُسَهُمْ وَيَدْرِبُونَهَا عَلَى الْعَدُوِّ وَلَأنَّهُ كَالْآلَةِ لَهُمْ فِي مُحَارَبَةِ الْعَدُوِّ وَمُدَافَعَةِ الذِّئْبِ إِذَا اخْتَلَسَ الشَّاةُ.^(٦٦)

الاحتفالات

الاحتفالات من المظاهر الثقافية الحضارية للأمم السابقة، فقد كان الناس يحرصون على التجمع في ايام محدودة لغرض التمتع بحلول يوم العيد لديهم، وقد يعرض فيه المباريات كما حدث في تباري موسى مع السحرة لإظهار الحق ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسَ ضُحًى﴾ طه: ٥٩، ولما كان مجتمع سرورهم الذي اعتادوه حاولوا لهذه الأغراض السحرية، زماناً ومكاناً وغيرهما، اختاره -عليه السلام- لذلك، وفيه يضمن حضور اكبر عدد ممكن،^(٦٧) وقيل ان يوم الزينة فيه احتمالات أخذها: أَنَّهُ يَوْمٌ عِيدٌ لَهُمْ يَتَزَيَّنُونَ فِيهِ. وَثَانِيهَا: قَالَ مُقَاتِلٌ يَوْمَ النَّبَرِ. وَثَالِثُهَا: قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ يَوْمٌ سَوِيَ لَهُمْ، وَإِنَّمَا قَالَ يُخَشِّرُ فَإِنَّهُمْ يَجْتَمِعُونَ ذَلِكَ الْيَوْمَ بِأَنْفُسِهِمْ مِنْ غَيْرِ حَاشِرٍ لَهُمْ،^(٦٨) كما طلب الحواريون المائدة من الله، وكان من اسبابها ان تكون عيدا يجتمع فيه انصار عيسى

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ المائدة: ١١٤، أَنْزَلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ متعلق بأنزل تَكُونُ

٦٥- في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي: دار الشروق - بيروت - القاهرة الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ:

١٤٩/٣ هـ:

٦٦- مفاتيح الغيب: ٤٢٩/١٨

٦٧- نظم الدرر: ٣٠٢/١٢

٦٨- مفاتيح الغيب: ٦٤/٣٣

لنا عيداً صفة المائدة واسم تكون ضمير المائدة وخبرها عيداً ولنا حال منه، أي يكون يوم نزولها عيداً، فعضمه وانما أسند ذلك الى المائدة؛ لان شرف اليوم مستفاد من شرفها، وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيداً، لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا: بدل من لنا بإعادة العامل، أي عيداً لمتقدمينا ومتأخرينا، روى - انما نزلت يوم الأحد؛ ولذلك اتخذ النصارى عيداً^(٦٩)، واخبرنا سبحانه عن ابراهيم، كيف انه دعي للاحتفال مع قومه، فاستغل ابراهيم يوم العيد ليحقق هدفه، فادعى انه سقيم بعدما :

﴿نَظَرَ نَظْرَةً فِي التَّجُومِ﴾ الصافات: ٨٨، وقد شاع تسفيه ابراهيم اهتهم، حتى بلغ ملكهم فأرسل إليه أن غدا عيدنا فاحضر معنا لزيارة الآلهة؛ لأن هذه التشريفات التي تعارفها الناس في الأعياد والأيام الرسمية قديمة اقتبسها الأواخر عن الأوائل؛ ولهذا السبب لما طلب فرعون من موسى تعيين يوم للمباراة مع السحرة عين لهم يوم العيد.^(٧٠)

الزينة

صناعة الحلي وتزين القصور دليل واضح على الترف، وعلو حضارة تلك الامم، حتى ان الجن كانوا يغوصون في البحر لتوفير ذلك

﴿وَالشَّيْطَانُ كُلُّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ﴾ ص: ٣٧، أي وذلنا لأمره البنائين من الشياطين والغواصين في البحار منهم، يسخرهم فيما يريد من الأعمال، فإذا أراد بناء العمائر والقصور أو الحصون والقناطر أنجزها له في الزمن القصير، وإذا أحب استخراج اللؤلؤ والمرجان من البحار لجعلهما حلية لمن في قصوره لبوا طلبه سراعاً فيغوصون في البحر، ويستخرجون اللؤلؤ، وقال مقاتل: وهو أول من استخراج اللؤلؤ من البحر^(٧١). اما في الحضارة المصرية فيكفينا ان نستمع لقوله سبحانه على لسان بني اسرائيل، فقد حملوا من الذهب ما يكفي لصنع عجل منه، كما يمكننا ان نستدل من الآية المباركة على الدقة والبراعة في صياغة العجل من الذهب وهذا ليس بالعمل الهين

﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا آوَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾^(٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلاً جَسَداً لَهُ خَوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴿طه: ٨٧-٨٨

والدليل الثاني على وفرة الاموال والزينة لدى فرعون وقومه قول موسى في الآية ﴿وَقَالَ لِمُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ يونس: ٨٨، اما مدى توفر المعادن الثمينة كالذهب والفضة، فقد اشارت الآيات الى مدى تعلق البعض بها الى درجة اكتنازها

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُونَهَا

٦٩- روح البيان: ٤٦٣/٢

٧٠- بيان المعاني: عبد القادر بن ملا حويش السيد محمود آل غازي العاني: مطبعة الترقى - دمشق الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٥ م: ٤٥٣/٣.

٧١- بحر العلوم: ١٦٩/٣.

فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿التوبة: ٣٤﴾، وبلغ التطور الحضاري مداه، فقد استخدموا طرقا لاستخراج الزينة من البحر

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَكْرَى الْفُلُوكَ مَوَاقِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ النحل: ١٤، ومن مظاهر الزينة لتلك الامم، التباهي بما يلبسونه ويملكونه من الانعام، فهي مخلوقات جميلة، خصوصا الخيول اذ كانوا يسعون بكل جهدهم للحصول على اجودها كما هو الحال اليوم في اقتناء افخر السيارات ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ النحل: ٨،

أي من مظاهر قدرة الله الشاملة، وإنعامه على عباده أنه سبحانه خلق لهم الأنعام وهي الإبل، والبقر، والغنم، وكان للناس فيها جمال في النظر وزينة حين سروحها إلى المراعى، ووقت رواحها ورجوعها عشاء منها، وهي بأصوافها وأوبارها وجلودها واسطة الدفء أي السخونة، وفيها منافع كثيرة أخرى بالأكل من ألبانها ولحومها، وبعون الإنسان بركوبها ونقل الأحمال على بعضها، فهي تحمل أثقال الناس، أي أمتعتهم من مكان إلى آخر، حيث توجهوا بحسب اختلاف أغراضهم، ويعجزون عن نقلها وحملها إلى بلد آخر، لا يبلغونه إلا بشق الأنفس، أي بمشقة شديدة وعناء كبير، إن ركبم الذي سخر لكم هذه الأنعام وذلّلها لكم كثير الرأفة والرحمة بعباده، حيث جعل هذه الأنعام لكم مصدر خير كبير ورزق وفير، وأداة نفع وجلب مصلحة، ومن مظاهر قدرة الله أيضا أنه خلق الخيل والبغال والحمير للركوب عليها والتزيّن والمفاخرة بها. (٧٢)

الخاتمة

خلق الله سبحانه وتعالى الانسان واسكنه الارض لمعرفته وعبادته واعمار الارض ومكن له المعيشة

فيها

﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ الأعراف: ١٠، وعرض لنا القرآن احوال الناس عبر عمر الارض الطويل وبين لنا احوال معيشتهم وما دار بينهم وبين السفراء الربانيين الذين ارسلهم لهدايتهم، وبين لنا ان اغلب الاقوام انكرت على الانبياء هذه السفارة، لأسباب مادية، فغرّتهم مظاهر الترف والحضارة، فلو اهتم امنوا بالله ورسله لما انزل الله عليهم العذاب، فعند نزول العذاب الالهي لم يغن عنهم ما جمعوا من اموال وبنين، ومن خلال المسيرة القصيرة مع هذا البحث يمكننا ان نستنتج ما يأتي:

١- العلم والعبادة الغاية الاساسية من خلق الله للإنسان، فاعلم اذا اقترن بالعبادة كان الطريق سالكا الى الله، وهذا ما لمسناه من القرآن الكريم فعلم بلعم بن باعوراء لم ينفعه فقد انحرف وضل، وكل امة حصلت على العلم ولم تقرنه بالله كان وبالاً عليها.

٢- لم يغمط القرآن الكريم التقدم الحضاري للأمم السابقة، فذكر ذلك في معرض كلامه عن القصص الامم والانبياء، فكان ذكر تلك الجوانب الحضارية من باب ان الله سبحانه انعم عليهم وهياً لهم الاسباب لرقى الحياة التي اراد الله ان تقترن برقي الافكار لهم ليصلوا الى التوحيد.

٣- الحضارة بقدر ماهي نعمة بقدر ماهي في حقيقتها انذار لكل امة من الامم (سابقا وحاضرا) من ان ينحط فيها الفكر ومعرفة الغاية التي من اجلها خلق، فانحطاط الفكر والطغيان والابتعاد عن الله سبحانه معناه دخول تلك الامة في سخط الله وبالتالي نزول العذاب على تلك الامة فكم من حضارة ولت ونمت وازدهرت ثم طغت فهزمت فانزل سبحانه عليها العذاب ولم يبق منها الا اثارها شاخصة لتكون عبرة.

٤- مقارنة الحقائق التاريخية التي جاء بها القرآن مع ما تم اكتشاف من خلال البحث والتنقيب في اثار الامم، تؤكد لنا مصداقية القرآن في دقة نقل الاخبار، لذا فالقرآن من اهم الوثائق التاريخية، فالأجدر بكل باحث في مجال التاريخ ان يطلع على ما جاء في القرآن من اخبار كي لا يكون هنالك تعاضاً بين ما يكتبه وبين ما جاء بالقرآن لان ذلك التناقض معناه فشل الباحث .

٥- فتح القرآن الباب للباحثين في البحث بالجوانب التاريخية للأمم السابقة، فالبحث في احوال تلك الامم لا يخلو من فائدة والا فانه سبحانه لم يضرب تلك القصص لنبيه وللأمة الإسلامية.

٦- القرآن الكريم كتاب سماوي مقدس، ووفرت الاخبار التاريخية لا تعني انه كتاب تاريخ اعتيادي، بل ان ما ورد من امور تاريخية كان لمغزى وحكمة الهية، واعجاز تاريخي.

٧- البحث التاريخي القرآني المستند على الحقائق التاريخية والمتنوعة بأسلوب بحث علمي تفند الروايات المكذوبة التي قيلت في الانبياء وامهم.

٨- العديد من الجوانب الحضارية تم بمساعدة الانبياء، فعرف صنع السفينة بفضل نوح، وعرفت صناعة الدروع بفضل داود، وعرف الناس خزن القمح بالسنبال لجودت الخزن بفضل يوسف.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى دار إحياء التراث العربي - بيروت، ب.ط .
٢. الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، الاعلامي، بيروت-لبنان، ط، الأولى، ٢٠٠٧ .
٣. بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي : أبو الليث نصر، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر - بيروت، ب.ط.
٤. البدء والتاريخ: المطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ب .ط.
٥. البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي دار الفكر ط: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ .
٦. بيان المعاني: عبد القادر بن ملا حويش السيد محمود: مطبعة التزقي - دمشق الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٥ م.
٧. تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر الطبري: دار التراث - بيروت الطبعة: الثانية - ١٣٨٧ هـ .
٨. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي: الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤ .

٩. تفسير الشعراوي - الخواطر: محمد متولي الشعراوي : مطابع أخبار اليوم ط : ١٩٩٧ م.
١٠. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي المحقق: سامي بن محمد سلامة دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
١١. تفسير المراغي أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.
١٢. التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة الطبعة: الأولى ١٩٩٧ م.
١٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي المحقق: عبد الرحمن بن معلا، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
١٤. روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الخلوي، المولى أبو الفداء : دار الفكر - بيروت، ب، ط.
١٥. السمعاني تفسير القرآن ا: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المحقق: ياسر بن إبراهيم: دار الوطن، الرياض - السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
١٦. في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي: دار الشروق - بيروت - القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ .
١٧. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو ، الزمخشري جابر الله، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ .
١٨. محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق المحقق: محمد باسل عيون السود دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
١٩. مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي حقه: يوسف علي: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
٢٠. معالم التنزيل في تفسير القرآن :أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي المحقق : عبد الرزاق المهدي: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ.
٢١. مفاتيح الغيب أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين فخر الدين الرازي: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
٢٢. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
٢٣. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٢٤. النكت والعيون :أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب الماوردي المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان. ب. ط.

الموسوعة الحرة ويكيبيديا .

اثر نهج البلاغة في شعر الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ)

Peak of Eloquence in the Poetry of Al- Sharif Alradi died (406)

م.د. هاشم جعفر الحيدري^(١)
Dr. Hashim Jafar AL-Haidary

ملخص البحث

كان لكلام الامام علي -عليه السلام- الأثر الكبير في رفد اللغة العربية وأدائها من الحكمة والموعظة، حين صاغ خطبه و حكمه بمفردات رائعة لا يعلوها قول سوى القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة. ولم يحدث أن جمعت الا بعد أكثر من أربعة قرون، حين جاء الشريف الرضي ليؤلف منها كتاب نهج البلاغة. ولم يكتف، حيث أخذ يصوغ معانيها وقسم من مفرداتها في قصائد شعرية جميلة.

Abstract

Imam Ali's speech had the great impact on providing Arabic language and literature with wisdoms and orations, when he worded his speeches using wonderful words which nothing can match except for the glorious Qur'an and the prophetic traditions. His speeches were not compiled until four centuries elapsed when EL-Sharif AL-Radhi authored 'peak of Eloquence'.

١ - جامعة اهل البيت -عليه السلام- /كلية الاداب.

He also began to write beautiful poems out of its words and meaning.

المقدمة

كان لكلام الإمام علي بن أبي طالب -عليه السلام- وخطبه الأثر الكبير في رفد الثقافة العربية بمفردات غزيرة ومواضيع كثيرة عملت في مساعدة كثير من ذوي النباهة في تنمية مواهبهم. فقد حصر في كلامه الشريف كل صنوف البلاغة وفنون الفصاحة، فلم يترك غرضاً من أغراض الكلام إلا وقد تناوله وأبدع فيه، على رغم من بعد عهدنا به وانقطاع أجيالنا عن السماع بمفرداته و احتوائها على غرائب الألفاظ وجزالة التركيب مما يجعل الذي بعيد عن الاختصاص إلى التعذر في الفهم والوصول إلى مضامين الجمل. لبعده العهد به واختلاف الاجيال عن مداولته. لذا نصح المختصون اللجوء إلى قراءة ما قاله -عليه السلام- من اجل تنمية المواهب والقدرة اللغوية وفهم ثقافة العرب الأصيلة. وجب علينا الرجوع إلى كتاب نهج البلاغة، والغوص فيه. لقد اتسم هذا الكلام بالحلاوة الواضحة من بداياته الى أواخر مفرداته، حتى اعتبر ومنذ عهد بعيد من نفائس اللغة. لقد انفراد الإمام علي -عليه السلام- بأسلوبه الخاص واسترساله العجيب إلى أن بلغ أقصى درجات الشرف والرفعة بعد كلام الله وكلام رسوله -صلى الله عليه وآله وسلم-.

إن غزارة مادته ورفعة أسلوبه وجمعه لعظيم المعاني، كان سبباً لحفظ اللغة العربية وخلودها فقد ساهم بعد القرآن والحديث النبوي الشريف من صونها من الضياع أو الموت كبقية اللغات التي عفا عنها الدهر ثم دثرت أو ماتت.

ومن هنا عد كتاب نهج البلاغة مصدراً مهماً لكل الشعراء والأدباء في كل العصور، لما يمتلكه من خزين لغوي وثراء معنوي. اضافة إلى ما بلغه من أوفق عالي من الحكمة والموعظة. فراح الشعراء يغرفون من هذا اليم الذي ليس له نهاية مستعنيين بمعينه الذي لا ينضب. فكلما نخلوا من مفرداته ارتقت إشعارهم وأصبحوا من الشعراء والخطباء الذين لهم مكانة مرموقة في الاوساط الاجتماعية والأدبية. لأن مفرداته مقتبسة من مفردات القرآن الكريم.

و ما قام به الشريف الرضي من جمع كلام سيد البلغاء -عليه السلام-، هو اثراء المكتبة مما كان ينقصها من هذا الفيض الثمين. و أن هناك قاسماً مشتركاً بين ما جاءت من خطب واقوال وحكم، وبين ما حملت اشعاره التي نظمها الشريف الرضي. فما كان إلا ان نبدأ في محاولة اظهار هذه المعاني لكل طلاب الأدب، ولا سيما محبي اهل البيت -عليهم السلام-.. املا من ان يوصل بين بلاغة الجدة ونباهة حفيده، فقد سلطنا الضوء على نتاجهما العظيم، محاولة في ان نساهم في رفد المرفق الأدبي من حاجاتهم إلى مثل هذا النوع من الأدب. أن هذا البحث يعد البداية في الطريق الطويل، لذا نأمل أن يتطور حتى يصل إلى ما يستحق من إبداع ورقي ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾.

ينقسم هذا البحث إلى ثلاثة مباحث. فالمبحث الأول يشمل أسباب تعلق الشريف الرضي بكتاب نهج البلاغة والسعي إلى جمعه. والمبحث الثاني، نسبه واسمه وحياته وكنيته. وأما المبحث الثالث اخذ نموذجاً من الخطب الشريفة للإمام علي -عليه السلام- والتي قام الشريف الرضي باقتباس ما تحتويه من معنى، ونظمها ابياتاً شعرية زحرت بها قصائده. وكذلك التطرق إلى الإمام علي -عليه السلام- واقواله التي جمعت ورتبت بكتاب سمي بنهج البلاغة.

ان التشابه بين الشخصيتين كبير جدا، فكلاهما كانت لهما منزلة رفيعة من حيث النسب والانتساب الى الرسول - ﷺ -، ناهيك عن علميتهما التي ميزتهما عن اقرانهما كلا حسب الزمن الذي عاشه. ناهيك عن الظلم والمظلومية التي حفت بحياتهما، فكان الصبر والحكمة علاجا لها. هذا لا يعني ان هناك تشابه بين الشريف الرضي والإمام علي - ﷺ - من حيث المنزلة والنسب والعلم. وإنما هي محاولة للشريف الرضي السير على منهاج الإمام - ﷺ - وتقليده قدر المستطاع. ان الشواهد المقتبس معانيها تارة ومن مفرداتها تارة اخرى، مما قاله الإمام - ﷺ -، وصياغتها بقصائد واشعار في ديوان الشريف الرضي، كثيرة. لذا كان من الافضل أن اختار نماذج قليلة كي لا اطيل في البحث، ولكي اترك للأخريين أن يكملوا المشوار والله من وراء القصد.

المبحث الاول:

أسباب تعلق الشريف الرضي بكتاب نهج البلاغة:

استدل الشريف الرضي (٤٠٦هـ) على هذه التحفة الأدبية الثمينة وعرف كيف ينهل منها ما يحتاجه العلماء والأدباء، وهو أبدع أبناء زمانه وأشعر الطالبين^(٢) واغزرهم علما. عالما ولغويا له ميزته الخاصة تفرقه عن معظم الشعراء إن لم يكن كل الشعراء. حين بدأ في قول الشعر وأجاد و أبدع. فقد تفتحت مواهبه الشعرية وهو في سن العاشرة من العمر^(٣) بأجل ما يمكن أن ينظم شاعر في غرض ما من الأغراض حتى وصف بأعظم شعراء زمانه^(٤)، وعند تصفح ديوانه يحار الناقد ولاسيما الذي يملك موهبة شعرية. ونتيجة للظروف التي مر بها على مراحل حياته خلقت منه صاحب نفسية قلقة ومتوترة وثائرة وهي نتيجة الحن والنكبات التي ألمت به وبعائلته^(٥)، فكان شعره أصيلا صادقا في كل المقاييس الاجتماعية والسياسية وحتى في مجال الغزل الذي اتصف بالعذرية والعفة والحشمة. وذلك بحكم التجربة التي عاشها.

ومن الواضح أن هناك أكثر من سبب جعل الشريف الرضي يميل كل الميل وبحماس إلى التعلق بكلام الإمام - ﷺ - ويجعله في قمة اهتماماته. منها اهتمامه بكلام جده الإمام علي - ﷺ - حين شدته الحماس الكبير لجمع أقواله وخطبه، لما فيها الأثر في رفع روحه المعنوية، يؤكد من خلالها مكانته الاجتماعية وانتماءه الأسري مما خلق في نفسه القوة والثبات وكلام الأمام في هذا المجال كثير فعندما ينصح ابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل (تزول الجبال ولا تزل. عض على ناجدك، اعر الله جمجمتك، تد في الأرض قدمك...) ^(٦) أن مثل هذه العبارات تنتشل من استسلم قلبه إلى اليأس وترفع من معنوياته. ومن هنا بدأت في نفسه الثورة بعد أن شعر بإحساسه الخاص والداخلي بالعزلة فكيف بالشريف الرضي، وهو الأعلى نسبا والأكثر موهبة^(٧).

٢- ينظر تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات ٥) شوقي ضيف. دار المعارف القاهرة ٢٠٠٧ ص ٣٧٢

٣- ينظر المصدر نفسه

٤- ينظر عبقرية الشريف الرضي -ركزي مبارك-ص ٧

٥- من صور البطولة والحماسة في شعر الشريف الرضي -محمد جميل شلش-ص ١٠

٦- كتاب نهج البلاغة . شرح الشيخ محمد عبدة. ج ١ ص ٣٦

٧- المصدر نفسه ص ١١

ومن ناحية أخرى، وجود في كلام الأمام -عليه السلام- من المفردات والعبارات قد انقطعت عن جيله لما فيها من غريب الألفاظ، وجزالة التركيب والتعبير^(٨). وبهذا راح يؤكد لخصومه ومحبيه من خلال مواهبه مدعوما بطموحه الذي لا حدود له بأنه أهلا للتربع على عرش الثقافة والأدب في الزمن الصعب الذي لا يحكم فيه الحاكم العربي، حيث سلب الحكم من العباسيين حكم الملوك البويهيين وهم الأغراب عن اللغة العربية.

اسمه ونسبه وكنيته:

هو أحمد حسين الطاهر ذو المناقب أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب -عليه السلام-. ولي أبوه إمارة الحج سنة ٣٥٤هـ. وقبض عليه من قبل عضد الدولة سنة ٣٦٩ هـ وحمل إلى قلعة فارس، وذلك خوفا من تعاضم شأنه^(٩). وفي مصدر آخر ذكر اسم الشريف الرضي وهو أحمد أو محمد بن الطاهر ذي المنقبين أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب -عليه السلام-، وكنيته أبو الحسن الرضي^(١٠).

أما نسبه من أمه، فهو ابن فاطمة بنت الحسين بن أحمد بن الحسن الناصر (صاحب الديلم) بن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن أبي طالب -عليه السلام- الملقب بالناصر الأصم أو الأطرش شيخ الطالبين توفي سنة ٣٠٤^(١١). أي انه ينتسب إلى الإمام علي -عليه السلام- من جهة أبيه وأمه فقد حق له القول أن يطلق عليه شريف النسب ومن أشرف من هذا النسب عند العرب^(١٢). و توفيت ولدت سنة ٣٨٥هـ وحزن عليها كثيرا. ومما قاله في رثائها:

أبكك لو نقع الغليل بكائي وأقول لو ذهب المقال بدائي
وأعوذ بالصبر الجميل تعزيا ولو كان بالصبر الجميل عزائي^(١٣)

وأخوه المرتضى أبو القاسم علي بن الحسين (٣٥٥ت٤٣٦) كان إماما في علوم الشريعة^(١٤). أما كنيته كان يدعى الشريف الرضي أبو الحسن و الشريف الرضي ذو الحسينين و ذوالحسين والعلوي و الشريف الأجل^(١٥). وكان يفضل الرضي حين يقول^(١٦)

فما أمل مديح أنت سامعه وعاشق العز لا يؤتى من الملل

٨- عبقرية الشريف الرضي ص ١٧

٩- ديوان الشريف الرضي. ج ٢/ ص ٦١١ و ٦٣٢

١٠- ديوان الشريف الرضي ج ١/ ص ٥

١١- الشريف الرضي وجهوده النحوية ص ١٥.

١٢- كتاب نخب البلاغة ص ٨. الجامع في تاريخ الادب العربي القديم حنا فاخوري

١٣- ديوان الشريف الرضي برثاء امه ص ١٨/ ج ١

١٤- الشريف الرضي وجهوده النحوية ص ١٥

١٥- راجع ديوان الشريف الرضي ج ١/ ص ٦ والشريف الرضي وجهوده النحوية د. حازم سلمان الحلي . بغداد

١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦ ص ١٠

١٦- المصدر نفسه. ص ١١

ولادته ونشأته وفاته:

ولد في بغداد سنة ٣٥٩ هـ من أصل عربي هاشمي كريم، وفي عام ٣٦٨ هـ وفارق أباه هو لم يبلغ السنة التاسعة، وترك في نفسه أثرا كبيرا وخيم الحزن والأسى على البيت كله وخاصة على ولده الصغير مما كان أن فجر في قلب هذا الطفل الصغير موهبته الشعرية وهو في العاشرة من العمر^(١٧) لم يقتصر غياب رب الأسرة على الأثر النفسي فحسب بل على الحالة الاقتصادية، حيث حجب عنهم العطاء الشهري الذي كان الأب يناله نتيجة عمله. كما صودرت جميع أموالهم وممتلكاتهم. مما اضطرت والدته الكريمة ببيع حليها وأملاكها والعيش بالكفاف لكونهم لم يقبلوا أي هبة أو مساعدة مقرونة بالعطف.^(١٨)

في مثل هذا الظرف العصيب بما حمله من فاقة كانت تجرح عزة نفسه وكبريائه ورفعة مكانة عائلته الاجتماعية، فلم يجد من سبيل سوى التحلي بالصبر و التذرع إلى الله داعيا في إطلاق سراحه. وقد استجاب الله دعاءه وذلك في عام ٣٧٥ هـ / ٩٨٦ م أي بعد سبع سنوات فعادت الفرحة والبهجة إلى البيت الكريم ولاسيما إلى الشريف الرضي عندها شكر الله على نعمائه و مدح الحاكم على ما أسدى لهم من فضل في عودة رب الأسرة إلى أهله وذويه.^(١٩) وأول قصيدة قالها في هذه المناسبة شكر بها الوزير المطهر بن عبد الله وزير عضد الدولة ومدح فيها أيضا أباه حين قال^(٢٠)

أقول لدهر تاه إذ صيد لي شه
كذلك يصاد الليث والليث راقد
أثلم هذا النصل بالضرب ضارب
وزعزع هذا الطود بالوطء عائد

إلى أن يقول:

ينال الفتى من دهره قدر نفسه
وتأني على قدر الرجال المكايد

وفي قصيدة أخرى يقول^(٢١)

فاسلم امير المؤمنين لغبطة
معهودة بذوائب الأعوام
وتقل ايام البقاء ولا تزل
تطغى بشركك ألسن الاقوام

لقد نشأ في بيت علم ومعرفة وتقوى ورث منه كل صنوف الأدب والفقه. حيث تتلمذ على يد كبار علماء عصره فأشرف على حفظه للقرآن الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) والنحو أخذه على يد أبي سعيد الحسن بن عبد الله المرزباني النحوي (ت ٣٨٦ هـ) وكذلك على يد أبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ)^(٢٢). الذي أولاه رعاية خاصة قبل أن تنزل به النكبة ويسجن فهياً له كل المستلزمات ليستثمر

١٧- الشريف الرضي في رثائه ص ١٣

١٨- يتيمة الدهر. للفعالي ج ٣ ص ١٣٦ ط ٢ القاهرة ١٩٦٥ والشريف الرضي وجهوده النحوية ص ١٧

١٩- انظر ديوان الشريف الرضي . ج ٢ ص ٧٧٦ حين قال (هيهات طاعتك النجاة وجبك التقوى وشركك افضل الاقسام)

٢٠- ديوان الشريف الرضي ص ٢٣٧

٢١- انتظر ديوان الشريف الرضي ج ٢ ص ٧٧٦

٢٢- الشريف الرضي جهوده النحوية ص ١٦-١٧١

ويطور نبوغه وذكائه. ساعده في ذلك أخوه الكبير المعروف بعلم الهدى، الذي كان يمتلك في بيته مكتبة كبيرة حوت من الكتب بمختلف صنوفها وأنواع علومها حتى حوت أكثر من ثمانين ألف مجلد^(٢٣).

إضافة الى وجود في جانب الكرخ مكتبة عظيمة هي مكتبة بيت الحكمة صاحبها أبو نصر سابور ابن أردشير وكان وزيراً للدولة البويهية. فلم يدع الشريف الرضي فرصة إلا واغتنمها من أجل الزيادة في معرفته^(٢٤).

وكان نتيجة هذه الأجواء التي ترعرع فيها خلقت عنده مواهب كثيرة في شتى العلوم والمعارف ولا سيما ملكة الشعر فأجاد بها وبرع في جميع الأغراض الشعرية وأكثر منها إلا الهجاء، ويعود ذلك إلى سمو أخلاقه ورفعتها من جهة ومن جهة ثانية حلمه وترفعه على الذي يبدي بهجائه أو النيل منه. ونجده يبدي عفته وترفعه بصورة أوضح وأدق وهو يفتخر بنفسه ويبين ما تربى عليه من خلق كريم ورفيع يأبى أن يهبط إلى مستوى الذين يستخدمون سلاح الهجاء في الهجوم على خصومهم على الرغم من أنهم لم يكونوا من المبتدئين بذلك^(٢٥).

توفي والده أبو الطاهر سنة ٤٠٠ هـ وحزن الشريف الرضي على أثر ذلك حزناً كبيراً فراح يرثيه بقصائد كثيرة. وفي سنة ٤٠٣ تقلد نقابة الطالبين وخلع عليه السواد وكان أول الطالبين يخلع عليه السواد^(٢٦).

كتبه ومؤلفاته:

كانت حياة الشاعر الشريف الرضي مفعمة بالعمل المثمر حيث خلف لنا مجموعة من الكتب والمؤلفات وصل إلينا منه الكتب الاتية:

١. كتاب في معاني القرآن
٢. كتاب بعنوان تلخيص البيان مجازات القرآن. وخمسين يوماً
٣. كتاب مجازات الآثار النبوية.
٤. كتاب حقائق التأويل في متشابه التنزيل.
٥. كتاب خصائص الأئمة، هو كتاب ألفه في ريعان شبابه، أعيد طبع الكتاب في المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف باسم خصائص أمير المؤمنين سنة ١٣٦٩هـ/١٩٤٩ يشمل على أخبار الأئمة.
٦. سيرة والده الطاهر وقد ألفه في سنة ٣٧٩ هـ
٧. كتاب آخر قضاة بغداد - هذا الكتاب مفقود.

٢٣- انظر تاريخ الادب العربي احمد الزيات ص ٢٨٥

٢٤- الكنى والألقاب الشيخ عباس القمي ص ٤٣٩

٢٥- المصدر نفسه ص ٨٥

٢٦- كتاب فتح البلاغة والشريف الرضي وجهوده النحوية ص ٢٠-٢١.

وفاته:

توفي الشريف الرضي في السادس من المحرم سنة ٤٠٤هـ أو ٤٠٦ / ١٠١٦م. ولم يكمل العقد الرابع من عمره الشريف فلم يناهز على ٤٥ أو ٤٧ عاما ودفن في داره بمسجد الأنباريين. ثم نقل جثمانه إلى مدينة كربلاء عند ضريح جده الامام الحسين -عليه السلام-^(٢٧).

الإمام علي بن أبي طالب -عليه السلام- ونهج البلاغة:

لا يمكنني أن أصل من المكانة حتى أسدي المدح والثناء لولي رسول الله -ﷺ- لكن هناك أموراً لا بد من الإشارة إليها، والتذكير بها فقط لا غير. حين أمتلك كل الواهب، وأصبح بذلك قمة في جميع المجالات الحياتية و الإنسانية، فقد عهدنا أن نجد شخصية قد بلغت مرحلة متقدمة من الشجاعة، وأخرى بالكرم، وبالفصاحة والوفاء والتضحية والإثار والامانة إلى آخر الصفات النبيلة التي تتفاخر بها الأمم والشعوب. ولكن الإمام علي -عليه السلام- قد جمعها كلها في شخصيته الكريمة. وهذا ما لا نشاهده في تاريخ البشرية، إضافة بلوغه التقوى والزهد والمروءة والعدل والمساواة بين الناس والرعية، حتى أصبح نموذجاً يحاول الاقتداء به كل عاقل سليم لكن هيهات أن يبلغوا ما وصل إليه -عليه السلام-. فهو تلميذ ووصي الرسول -ﷺ-.

لكننا نحاول أن نسلط الضوء على واحدة من مواهبه الفذة والخاص بالحقل الأدبي الذي برع فيه والذي هو جز من البحث.

لقد استطاع الأمام -عليه السلام- وخلال فترة قصيرة من عمره الشريف أن يرفد اللغة العربية والأدب العربي بتحفة أدبية من خطب ورسائل ووصايا، لا تقدر بثمن ووحيدة بقيت تعلن عن التحدي من حيث الفصاحة والبلاغة و سبك المعاني وجميل المفردات إلى يومنا هذا على أن يأتي أحد الأدباء أو الفصحاء سواء كانوا حضراً أو بدو بشيء مما قاله -عليه السلام- من جميل البيان وعظيمه، ومازال التحدي قائماً إلى يومنا هذا ومازال العجز قائماً إلى يومنا هذا أيضاً وسيظل.

إنّ هذا المعجز الأدبي الذي يعد أقل درجة من كلام الله ورسوله -ﷺ-، حين شمل في طياته وفصوله وبين دفتيه البيان الساحر والجميل الباهر من الحكم والوعظ حتى عد بترجمان القرآن. حين راح يسدي النصيح والحكمة لمن يريد لها معززا خطبه وحكمه بالآيات القرآنية الكريمة، على سبيل المثال حين يقول -عليه السلام- (يأتي على الناس زمان عضوض، يعض الموسر فيه على ما يديه ولم يؤمر بذلك فقال تعالى ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾^(٢٨).... إلى آخر الخطبة. كتاب الله الذي لا يمسه الباطل من بين يديه، مستدلاً بها ومستنبطاً الحكم والقوانين لسعادة الإنسانية ورفاهيتها. فلم نجد باباً من أبواب العلم والحكمة والفقه والأدب. وتاريخ الأمم، إلا وقد وُجِدَ فيها وفسرها وأعطى الجواب الصحيح وصادر الحكم السليم، والذي يصب في خير سعادة الدنيا والآخرة. مستخدماً أسلوباً فريداً وبيانا ساحراً. أن هذا العقد الثمين والمفرد يحتاج من ينظمه أو يجمعه، ولم يستطع كائن من كان أن يقوم بهذه المهمة، إلا من يبلغ من الفصاحة والبلاغة والفهم والعلم والفقه. وبعد أربعة قرون جاء الشريف الرضي الذي توفرت به تلك

٢٧- الشريف الرضي وجهوده النحوية ص ٢٦

٢٨- القرآن الكريم سورة البقرة آية ٢٣٧

المواصفات التي تعطي للمهمة حقها ونجح في أدائها فهو سليل العائلة الكريمة ويحمل جينات جده الأول الذي بلغ من العلم والفقه ما مكنه في جمع ما قاله أبن عم سيد البشر - ﷺ - . فراح يصنفه وفق الخطب والحكم كلا في مجالها وبعد ذلك يصوغ قصائده الشعرية التي تحمل في معانيها نسبة عالية من الأفكار والمفاهيم التي جاءت في خطبه، والتي كثر فيها وعظ المسلمين خاصة والناس عامة وتحذيرهم من غدر الزمان والركون إلى الأهواء. ونحن لا ننكر الذين سبقوه في التطرق بكلام وخطبه - ﷺ - ممن سبقوا الشريف الرضي في جمعه والتطرق إلى بيانه والذين توفوا قبل أن يولد الشريف الرضي على سبيل المثال لا الحصر نصر بن مزاحم المنقري المتوفى سنة ٢١٢هـ في حين ذكر بعض الخطب في كتابه (وقعة صفين) وكذلك محمد بن سعد المعروف بأبن سعد المتوفى سنة ٢٣٠هـ في كتابه (الطبقات الكبرى) وكذلك أيضا أبو يوسف يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت المتوفى سنة ٢٤٦هـ في كتابه (إصلاح المنطق) وغيرهم الكثير حين اعتمدوا في كتبهم على الشواهد من الخطب و الأشعار التي قالها الإمام علي بن أبي طالب - ﷺ - والتي ذكرت في كتاب نصح البلاغة الذي جمعه الشريف الرضي^(٢٩).

المبحث الثاني:

وجد الشريف الرضي في بلاغة الإمام علي - ﷺ - خير مصدر وأنقى منبع ينهل منه الحكم ويستعين بمفرداته بعد القرآن و الحديث النبوي الشريف، للذان هما أيضا المصدر الوحيد لعلميه والذي استسقى منه مؤلف نصح البلاغة، حيث استطاع أن يوظف الخزين اللغوي والثقافي في استنباط أحكام القرآن واستخراج من حكمه ومعانيه ما ييسر أمور المسلمين ويعرفهم في دينهم وشريعتهم بعد ما أصاب الإسلام وهو في ريعانه بل ونعومة أظفاره ما أصابه من انشقاقات وارتداد نحو الجاهلية، فكان الإمام علي - ﷺ - بحنكته وثقافته وقوة منطقته وحسن أدارته، أن يقف أمام ذلك السيل العارم فكان أن حافظ على دفة السفينة وأوصلها إلى بر الأمان رغم قوة التيار المضاد المتمثل بالحزب السفلياني الذي عماده البيت الأموي، الذين وظفوا جهودهم من أجل القضاء على الإسلام وعلى كل من أمن به وانتفى له مخلصا، معتمدين على المؤامرات والدسائس والاعتقالات في تنفيذ مخططاتهم الشيطانية أملا منهم الرجوع إلى الجاهلية الأولى التي قضى عليه الإسلام. فما الحروب التي أشعلوها منذ الفتنة الكبرى التي كانت نتائجهما قتل الخليفة عثمان بن عفان إلى حرب الجمل والنهروان وصفين وتأميرهم في قتل الإمام علي - ﷺ - .

خطب الإمام - ﷺ - وصياغة المعاني..

إن الشريف الرضي جاد ملتزم، لا يكاد يفارق حديثه والتزامه في قصائد ديوانه، سواء كان في مجال الشعر أو الأدب هي التي ألهته أن يستعين بالخطب والأقوال التي جاءت على لسان الإمام علي - ﷺ - وظفها الشريف الرضي في مناسبات عديدة ليصوغ من معناها أو ما تضمنت من أفكار يوصل من خلالها ما يقصد الإمام في أقواله وخطبه لها وقع في النفوس أكبر عند العرب من الخطب والنثر، حين

٢٩- نصح البلاغة بين صحة النسب إلى المؤلف وتوثيق النص مجلة اهل البيت - منصور مذكور شلش و صبري ابراهيم السيد/ العدد ١١ ص ١٣ سنة ٢٠١١

نجدهم يحفظون القصيدة مهما طالت أو كثرت أبياتها. فعندما يجد الإمام علي -عليه السلام- يحذر من الدنيا يذم الزمن ويحذر من الهوى وطول الأمل قائلا:

((أيها الناس إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتان إتياع الهوى وطول الأمل، فإن أتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة. ألا وإن الدنيا قد ولت حذاء)) إلى آخر قوله الكريم^(٣٠).

في ضمن هذا المعنى صياغة ذلك المضمون كتب قصيدة يحذر فيها من الركون إلى الدهر والثوق به حين يقول:

ادعوك والدهر له وقفه
مثلها أدعو بنات السري
ما بين إصداري و أورادي
تخطا عنقا بأعضاد

إلى أن يقول:
ولو أمنتم الدهر أحداثه
صافحت كف الضيغم العادي^(٣١)

ويقول في مكان آخر:
تأبي الليالي أن تديما
ونوائب الأيام يطرقن
بؤسا لخلق أو نعيما
والودهر يوجف فيه
الورى بيضا وشيما
معوج الطريق أو مستقيما^(٣٢)

قد اقتبس الشريف الرضي المعنى، قد استخدم الشريف الرضي كلمة الدهر وهي مرادفة للدنيا في المعنى، حين حذر الإمام علي -عليه السلام- من اتباع الهوى والصدود عن الحق ومجافاته، مؤكدا أن الدنيا لا تستقيم لأحد، ولا يأتئنها عاقل، فتراها تتغير من سعادة ورفاه إلى عذاب وشقاء وعسر. ومن تعلق بالدنيا وراح يراهن عليها بطول الأمل، انسته الآخرة بعد أن شغلته الأولى لا برحائها فقط بل بعسرها أيضا. إن الشاعر الشريف الرضي قد قوم شاعريته باستخدام المعاني التي وردت في خطب الإمام علي -عليه السلام-، مما يثبت أن الشريف الرضي قد اخذ المعنى من قول الإمام علي -عليه السلام- هناك تقارب وتشابه من حيث الفكرة.

ولو انتقلنا إلى غرض آخر عرف به الإمام علي -عليه السلام- واشتهر به وهو الزاهد، ويذكر في ما ذكر في كتاب نهج البلاغة، فيذكر لنا خطبته أو موعظته التي يدلي من خلالها بتجربته العملية ويعرضها على كل ذي عقل سليم، لم يأمن إلى الدنيا ويخدع بزوها حي تزهو له، حين يقول في خطبته -عليه السلام- ((انظروا إلى الدنيا نظرة الزاهدين فيها، الصادفين عنها، فإنها والله عما قليل تزيل الثاوي (أي المقيم) الساكن، وتفجع المترف الآمن، لا يرجع ما تولى منها فأدبر، ولا يدري ما هو آت منها فينتظر، سرورها مشوب بالحزن))^(٣٣).

٣٠- نهج البلاغة خطبة ج رقم ٤٢ ص ٧٠

٣١- ديوان الشريف الرضي ٢٢٨ ص

٣٢- المصدر نفسه ص ٨٥٠

٣٣- نهج البلاغة خطبة رقم ١٠٣ ص ١٤٥ الصافين تعني المعرضين.

إن مثل منزلة الإمام علي -عليه السلام- حين يعزز كلامه حين يقسم بأية من لفظ الجلالة هو عظيم الشأن من حيث أهميته ووقع تأثيره على السامع، ولم يأت هذا القسم من فراغ وإنما ينبع من حتميته المطلقة ومن قناعة تامة لا يشوبها أي شك والتي تتبع من نفس كلها إيمان وثقة بما يقوله.

يأتي حفيده الشريف الرضي ليرجم هذا المعنى وبصورة شعرية، لكن بلوحة جميلة مستخدماً أسلوب الخطاب ليرسخ المعنى فيقول في مناسبة خاصة^(٣٤)

قد أن أن يسمعك الصوت	أنائم قلبك أم ميت
يا باني البيت على غرة	أمامك المنزل والبيت
أيمزع المرء ما فاتته	وكل ما يدركه فوت
وإنما الدنيا على طولها	ثنية مطلعها والموت

إن الشريف الرضي هنا يعطي للدهر أو الدنيا القدر الكبير في مواجهة ما تؤول إليه الأمور. فكأنما يسلم نفسه استعداداً للأخرة التي هي الدائمة وما يتمتع في الأولى من عظيم النعم فهو قليل حين يقاس ما في الآخرة. وهذا ما يتضح من قول الإمام -عليه السلام-: حين ينصح بصيغة الأمر الذين تمسكوا بأذيال الدنيا معتقدين و جازمين بأنها دائمة لهم. أما الزاهد عنها لا ينظر إليها نظرة مودع لها، راحل عنها عما قريب.

عرف الشريف الرضي المنبع الصافي والعذب واختار من نفائس اللغة وبلاغتها و تعبيرا وأحسن الاختيار فكان أن لمع نجمه وأبدع في نتاجه الشعري والأدبي ولم يكتف بذلك فقد عزز مستواه العلمي. وكأن نخب البلاغة مصدره وحجته في ابتداع المعاني وانتهاج الطريق السليم والقصير في نظم القصائد لما يحتوي من المفردات الغريبة التي تشيد في قصائده واثاره بأسس راسخة وجميلة وتسد كل ثغرة يمكن أن تحصل.

ذكر الخصوم بالخير والترفع

لكل من يبلغ العلى في سريره وعلمه و نسبه، يكثر حساده والذين ينقلبون إلى اعداء وخصوم. نراهم يثبون سمومهم في كل اتجاه ويكيدون له في كل مناسبة، حتى يصلوا إلى ما تبتغيه نفوسهم المريضة. لقد ورث الشريف الرضي عن آبائه وأجداده الخلق الكريم والعفة والترفع فهو سليل أهل البيت -عليهم السلام- والذي قال الله (جل جلاله) في حقهم ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٣٥). وأهل بيت الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- هم أصحاب الكساء الذين اصطفاهم الله^(٣٦) فمن بلغت به هذه المكانة فقد تحلى بالخصافة والرفعة والأخلاق و نادرا أن تجدها عند فريق آخر الذين لم يؤمنوا بما يمتلكه أهل البيت -عليهم السلام- من حظوة ورفعة. لقد بلغ الإمام علي -عليه السلام- مرتبة العصمة، إلا نفر قليل من اصحابه والذين التزموا بعهودهم وبيععتهم له، ومن ثم ليس بغريب عليه أن يذكر خصومه ومن ناصبوا

٣٤- ديوان الشريف الرضي ص ١٧٠

٣٥- سورة الأحزاب آية ٣٣

٣٦- مجمع البيان لعلوم القرآن الجزء الثامن ص ١٧٢

له العداء بالرحمة والدعاء لهم بالمغفرة والعودة إلى جادة الصواب، نجدد يقول ناصحا قومه وأصحابه حين سمع رهط منهم يسبون أهل الشام أيام حربهم في صفين فيقول -عاشلا- ((إني أكره لكم أن تكونوا سبائين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم، اللهم أحقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا، وبينهم، وأهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به))^(٣٧). بهذه النفس التي اصطفاها الله ورسوله والتي أعطت للبشرية دروسا في الأخلاق والتواضع والتسامح والعفو لمن أساء لها، على الرغم من سموها وعلى كافة الأصعدة التي يتخيلها الفكر البشري منذ الأزل إلى يومنا هذا.

ورث الشاعر الشريف الرضي هذه الأخلاق ليترجمها بقالب يناسب عصره وما يحيط به من مجتمع قد ابتعد ولو بفترة قصيرة عن صدر الإسلام قياسا لما نحن عليه في الوقت الحاضر. حين وجد فيها الدرس العظيم في ترسيخ الثوابت كي لا تتغير، لكن الطباع البشرية تتحول وربما تتعد عنها. لذا نجدد يقول في إحدى قصائده و المعنى والمضمون نفسه، فقد عرف كيف يسبر خلقه ويداري غضبه بحلمه، ويثبت انه ذو خلق رفيع، لا يرد الإساءة بمثلها، وإنما يجعل من العتب المبطن بنوع من التهديد والتلميح بالفوارق الأخلاقية والثقافية، ومن هنا يجعل من يريد أن يرميه بسهام الهجاء أن يفكر أكثر مما يستوجبه الأمر لو كان الخصم غير الشريف الرضي. فنجدد يقول في إحدى قصائده^(٣٨).

حذارك أن تغالبني غلابة	فأني لا أدر على الغضاب
وانك إن أقمت على أذاقي	فتحت إلى انتصاري كل باب
واحلم ثم يدركني إبائي	وكم يبقى القرين على الجدائي

إلى أن يقول وقد عاد يذكر بقومه الذين تعلم منهم التسامح والتسامي فقول	تتطهر أسرة من سر قومي
وتصبح لا تني عجباً وقولا	تمدد إلى انتصاري بالرقايي
	اهذا الحد اطلق عن ذبائي

كان باستطاعة الشريف الرضي أن يرد على من هجوه بالمثل ويسلك نفس المنهج المعروف عند الشعراء بالدخول في معارك هجائية من أجل الثأر لنفسه. لكن هنا تظهر القيم والأخلاق الرفيعة والعالية.

وينشد في قصيدة أخرى^(٣٩)

لئن حرقني عدلا	لقد نوهت بي صعدا
فطلت الاطولين عالا	وفت الأبعدين مدى
علي طروق وردكم	وليس علي أن أردا

٣٧- نوح البلاغة خطبة ٢٠٦ ص ٢٩٨

٣٨- ديوان الشريف الرضي ص ١٥٢، ١٥٣

٣٩- ديوان الشريف الرضي ص ٢٢٧

الصدقة والإخوة

عرف عن الأمام علي -عليه السلام- بعلاقته الاجتماعية المميزة وبوفائه الثابت في الوعود والعهود وإخلاصه لأصدقائه وقد جعلهم بمرتبة الإخوان ولا يسعنا في هذا البحث ان نتطرق لروابط المحبة التي زرعها في قلوب الأصدقاء وهم كثر ومن أشهرهم عمار بن ياسر والمقداد وعبد الله بن عمر وعبد الله بن العباس وغيرهم -رضي الله عنهم- حين يقول -عليه السلام-

((اعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم))^(٤٠)

اقتبس الشريف الرضي من هذه الحكمة الذهبية ليطبقها في تعامله مع أصدقائه، حتى ولو كانوا من غير ملته وهو الذي عرف عنه ولاؤه ومحبته لصديقه ابي إسحاق الصابي الذي عايشه ويصاحبه ويحبه على أن يطالب بحقوقه المتمثلة بتبوءه كرسي الخلافة وكان من اقرب مستشاريه^(٤١). فراح يترجم قول الإمام علي -عليه السلام- في قصيدة كتبها إلى صديق له يسأله عن حاله بعد أن ألمت به نكبة وهو يخفف عنه المصاب والحسرة و الألم حيث يقول:

ففي حسن العزاء لنا شفاء
ولا كد يطول ولا عناء^(٤٢)

إذا كان الأسى داء مقيما
وما ينجي من الايام فوت

وفي مناسبة أخرى يكتب إلى احد أصدقائه فيقول

ومالي من بين الأنام صديق
وهذا قريب غادر وشقيق^(٤٣)

كفى حزنا أي صديق وصادق
ككيف اريغ الأبعدين خلعة

عزز الشريف الرضي قول الإمام علي -عليه السلام- بالعمل لا في القول فقط، وترجم هذا العبارة مع معظم الناس الذين عاشهم، حين وضع لهم القواعد الصادقة للصدقة، اولها الوفاء واخرها النصيحة، مقدسا لقوانين الصدقة وحرمتها. حين يقول^(٤٤)

وفارقه ذاك التحنن والود
انبق ذاك التحنن و الود

إذا قل مال المرء قل صديقه
واصبح يغضي الطرف عن كل منظر

موقف الإمام علي -عليه السلام- من الأعداء

ينقلنا عليه السلام إلى تعامل أنساني قلما نصادفه عبر التاريخ حين يتعامل مع أعدائه بروح عالية جدا من التسامح والمحبة والإنسانية، وهو المنتصر والمقتدر عليهم مما جعل من أسلوبه هذا مدرسة يتبعها كل ذي لب يدعو إلى العيش الإنساني الذي جاءت به الشريعة الإسلامية السمحة، ودليل على انه صاحب الحجة، يدعمه بذلك حلمه الكبير الذي يحجب الانتقام عند المقدرة فهو القائل ((الحلم والأناة توأمان ينتجهما علو الهمة))^(٤٥). ولو تتبعنا التاريخ لوجدنا الذين خاصموا الأمام علي -عليه السلام-، مستغلين

٤٠- نهج البلاغة ص ٤٣٤

٤١- ديوان الشريف الرضي ص ٣ وتاريخ الأدب العربي . شوقي ضيف ص ٣٧١ ج ٥ سنة

٤٢- ديوان الشريف الرضي ص ٢٧

٤٣- المصدر نفسه ص ٥٧٤

٤٤- ديوان الشريف الرضي . ج ١ ص ٢٥٩

٤٥- نهج البلاغة . ص ٥٠٤

فيه صفاته الحميدة و صبره، فما خاصم احد على الحق بل خاصموه -عليه السلام- من اجل الحق. وهو القائل -عليه السلام- ((أول عوض الحليم من حلمه أن الناس أنصاره على الجاهل))^(٤٦). فراح -عليه السلام- يوصي بهم جاعلا من وصيته عنوانا وفصلاً كبيراً في حقوق الإنسان والعفو عند المقدرة حيث يقول في خطبة طويلة نقتطف منها هذه العبارة.

((إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه))^(٤٧)

لو دققنا النظر ملياً في قوله -عليه السلام- لوجدنا يحمل في طياته معاني كثيرة اختزلها بهذه العبارة التي اعطت السامع كل ما يريد. نجد الشاعر الشريف الرضي يأخذ العنوان ليصوغه شعراً وبالتالي يجعل منه شعاراً من حيث التعامل سواء أكان على الصعيد الفردي أم الرسمي أي العام حين قال^(٤٨)

عدونا على الأعداء نحمي مودة
ونمنع عن أطرافها أن تمزق

يرى الشريف الرضي أن من ينتصر على خصمه يحاول ان يغتم منه كل ما يستطيع سواء كان المغنم مادي أو معنوي، فكيف به وهو يحاول ان يحافظ على مكانة خصمه ويجعلها في اطر القداسة حتى لا تستمر العداوة والبغضاء، وعندها يزرع المودة والرحمة ويجعل من العدو صديقاً ولو بعد حين. و تنتقل إلى مقولة أخرى تمثلها الشريف الرضي وعبر عنها وأطرها بأسلوبه الشعري محاولاً أن يبلغ بها ما بلغت أقوال الإمام علي -عليه السلام- من عذوبة في المعنى وتأثيراً في النفس. على رغم من قلة مفرداتها لكنها تملك من خزين المعاني وتعطي كثيراً من الدروس وخاصة الذين يملكون البصيرة والعقل الواسع فقد ذكر -عليه السلام- ((ما كل مفتون يعاتب))^(٤٩)

ويقصد بالمفتون الذي دخل في الفتنة دون أن يعلم ما هي أسبابها؟ وما هي نتائجها؟ بل جرت عاففته إليها، ولم يحدد ما نوعها سواء أكانت في المجال السياسي أم الاجتماعي وحتى على صعيد العلاقات الشخصية فقد قال فيه الشريف الرضي^(٥٠)

تضييق صدور العتب والعذر أوسع
لك الله من قلب ملاه وفاؤه
ويجمع طرف المهجر والود أطوع
فليس لعذر في نواحيه مرتع

لم يكتف الشريف الرضي من توظيف المعنى، بل استخدم بعض المفردات مثل (العتب) التي لو لم يستخدمها لكان هنالك خلل فيما قاله، حيث الاختيارات التي تعامل معها الإمام علي -عليه السلام- لا يوجد افضل وارقي منها، وحينها حاول الشريف الرضي لا بد من استعمالها وشرحها وتسليط الضوء على ما تختزله من معنى، ولو الشيء القليل منها.

لقد عرف الإمام علي الدنيا وخبرها كثيراً وله مواقف يندد بها وتبطلونها أو تقلبات الدهر الذي لم يكن يوماً يأمن منه واليه حين وقد وصفه بعبارات تشع منها الحكمة والنصيحة وإنها تدل على علمه الغزير وتقواه الذي لم يبلغ اليه سوى النبي الأكرم -صلى الله عليه وآله وسلم- فقد أوضح في قوله -عليه السلام-

٤٦- المصدر نفسه. ص ٤٦٣

٤٧- نصح البلاغة ص ٤٣٤

٤٨- ديوان الشريف الرضي. ص ٥٧٥

٤٩- نصح البلاغة. ص ٤٣٢ / المفتون. المجنون. والفتنة (بكسر الفاء) وهو مصدر على وزن مفعول وفي قوله تعالى ﴿بأيكم المفتون﴾ (سورة القلم اية ٦) المعجم الوسيط. ص ٦٧٣

٥٠- ديوان الشريف الرضي. ص ٥٠٨

((إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه)).^(٥١)

لقد رسم لنا في هذا القول السديد قاعدة حقيقية كانت وستظل إلى قيام الساعة، حيث لا تبديل ولا تغير في فحواها ونتائجها، مبينا أن كل من زهت لهم الدنيا واستقام لهم الدهر وألبسهم حلته لا يملكون كل الصفات التي خلعت عليهم أو سلبت منهم والتاريخ مليء بمثل ما ذكر وصور.

على هذا المعنى راح الشريف الرضي يجسد هذا المعنى بأبيات شعرية يعاتب بها الدنيا في طبعها حين تدبر، ويذكر من تقبل عليه، أمَّا كما وصلت إليه فسوف تصل لغيره حين قال في قصيدة طويلة نقتطف منها ما يصور لنا هذا المعنى^(٥٢).

ومن يملأ الأيام بأساً ونائلاً وتثنى له الاعناق خوفاً ومطمعاً
اجلس إليه ذلك الخطب مقدماً وقد كان لا يلقاه الا مروعاً

يقصد الشريف الرضي في الابيات السابقة ان من كانت له الدنيا طوع بئانه يأمر ويطلع، وتنحني له القامات إما طمعاً أو خوفاً، وتحتف له الألسن تمجيد ورفعة. فلما تدبر عنه فيكون تابعا للذين تبعوه بالأمس مطيعاً لمن امرهم. وهذا درس لكل ذي عقل سليم.

طبقات الرجال

قال الإمام علي -عليه السلام- في تبين النفوس وتقييم الرجال، وما يمكن للمرء أن يتحلى بأخلاق عالية وكرامة حتى يصطفى من الذين يملكون المهمة العالية ويحملون من الصفات التي تميزهم عن أقرانهم أو أضدادهم، وتجعل منهم ذا اثر فعال في نفوس الآخرين كي يسموا إليهم من تنقصه صفاتهم. وهذه الصفات التي حددها -عليه السلام- وبصورة واضحة لا التباس فيها، والمتمثلة بالشيم المعروفة، بالكرم والشجاعة والإباء والنصيحة حين يقول -عليه السلام- وهو خير الرجال

((قدر الرجال على قدر همته، وصدقه على قدر مروءته، وشجاعته على قدر أنفته، وعفته على قدر غيرته))^(٥٣)

إنَّ هذا التفصيل الدقيق لمعدن الرجال وكلا حسب خاصيته لا يمكن أن يرتقي إلى الحد الأقصى من كل صفة يمكن ان يرتقي اليها حتى يوصف بصفاتها ويعتلي مكانتها، وهذا لا يمكن لأي فيلسوف أن يعطي مثل هذه الصفات إلا إذ كان يتحلى بها ويمتلكها وقد اثبت ذلك في حياته، والتي تعتبر حكمة ومقياساً في تصنيف الرجال إلى ثلاثة اشكال، الاول يعرف من خلال همته حين توكل له الامور ويوضع في سدة المسؤولية، والثاني وقدرته على كبح عواطفه والوقوف بجانب الحق أين ما دار، وهذا يتطلب شجاعة أمام لومة لائم، وهذا لا يتأتى الا وقد بلغت في نفسه العفة القلب واليد. لهذا وجد الشريف الرضي ضالته بهذه المقولة فراح يترجم معانيها في قصيدة له مستهلاً بهذا المعنى^(٥٤)

اياك أن تسوخو بوعد ليس عزمك أن تفني به

٥١- نهج البلاغة . ص ٤٣٤

٥٢- ديوان الشريف الرضي ص ٨٣

٥٣- نهج البلاغة ص ٤٤٠

٥٤- ديوان الشريف الرضي ج ١ ص ١٤٩

فَالصَّدَقُ يَحْسَبُ بِالْفَقِي وَالكَذِبُ يَحْسَبُ مِنْ عِيُوبِهِ
وَإِذَا قَدَرْتَ عَلَى الْوَفَاءِ فَعَدَّ عَنْ غَدْرٍ وَذِيهِ

إن وقوف الشريف الرضي على ما يقصده الإمام علي -عليه السلام- من قبيل السير على النهج والمعنى الذي توحى إليه المقولة، حيث شكلت له رؤية ونظرة إلى الرجال وميزتهم وطبقاتهم ورسمت الفوارق بين ما يثبت على العهود وقدرته على الوفاء بها، جاعلا من الصدق منهجا وطريقا في البلوغ إلى مصافي الرجال والحد الفاصل بين تصنيفهم وتمييزهم. و اعتبرت كقاعدة.

إلى أن يصل بقوله وهو يضع همته و شجاعته موضع المفاضل^(٥٥)
ما مقامي على الهوان وعندي مَقُولُ صَارِمٍ وَأَنْفِ حَمِي
وأبء محلق بي عن الضيم كَمَا رَاغَ طَائِرٌ وَحْشِي
وانتقل في مكان آخر يقول: ^(٥٦)

أَحَبُّ إِلَيَّ مَنْ سَعَى هَجِينِ وَأَنْ بَلَغَ الْعَلَى جَدَّ هَجَانِي
يَذِمُّ لِي الزَّمَانَ إِذَا الْأَمْتُ يَدَاهُ وَلَا يَذِمُّ بِي الزَّمَانُ

لقد اختصر الشريف الرضي كل المعاني التي نوه بها الأمام علي بن أبي طالب -عليه السلام- واختزل معانيها الواسعة بهذه الأبيات مفتخرا بنفسه أولا ومدل عليها لكونها من رموز الرجال ومقياس واضح لتقسيمهم وترتيب مكانته ضمن الأعراف الإنسانية عموما والإسلامية خصوصا وهي والواضحة والمنتشرة بين العرب.

خطبه -عليه السلام- في الحث على الصبر

لقد كانت خطبة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -عليه السلام- تزخر في ترويض النفوس وجعلها في دائرة السيطرة، حين جعل الصبر علاجا لها. فقد قال -عليه السلام- ^(٥٧):

(الصبر صبران: صبر على ما تكره وصبر عما تحب)

للنفوس رغبات وتحتاج إلى أن تجمع حين تدعو إلى ما تهوى فخير وسيلة في ذلك هو التصبر والتأني حتى لا تدخل في دائرة الندم، وحينها ربما لا تنفع الأعداء، فلو طعمت بهذا الدواء أي الصبر، حينها قد تجاوزت كل المطبات.

بحكمته الكبيرة قسم لنا الصبر إلى قسمين. صبر على ما تشتهيهِ النفوس وصبر عما تكرهه. ومن هنا راح -عليه السلام- يوافينا بحكم وأقوال يحذر من خلالها على عدم الركون إلى منهج اصبر حين قال (من حذر كمن بشرك)^(٥٨)

لقد رسم لنا الشريف الرضي معتمدا على الصورة التي استوحاها من خطبته -عليه السلام- لوحة تحمل طابعا انسانيا راقيا، محمدا العلاقة التي يجب ان تكون بين رغبته و الخلق الذي يجب أن يتحلى به غير

٥٥- المصدر نفسه ص ٩٧٢

٥٦- المصدر نفسه ص ٩٥٨ . الهجين / اللثيم والهجان الرجل الكريم . معجم الوسيط ص ٩٧٤

٥٧- نصح البلاغة ص ٤٤١

٥٨- المصدر نفسه ص ٤٤١

مهتم بمنطق الريح أو الخسارة حين استلهم المعنى وسيره ضمن ما يتحلى به من رفعة وعزة وباء حين قال (٥٩):

ولم ادر أن الدهر يخفض اهله
وما العيش الا فرحة ان هجرها
سأصبر حتى يعلم لصبر اني
اذا سكنت فيهم النفوس الضراغم
سطوت على الدنيا بسطوة حازم
ملكته به دفع الخطوب الهواجم

هنا رسم لنا الشاعر لوحة عمادها الصبر وما تهوى الانفس في موقع القدرة والسطوة مؤكدا ان دوام الحال من الحال. مستوحيا معانيها من قول الإمام علي -عليه السلام- حين وتجاوز عن جني ما تعطيه العجلة من مخاطر يبدو تأثيرها أو مفعولها ولو بعد حين. مؤكدا انه أي الشاعر كان من الممكن ان يستثمر الظرف لكنه كبج جماع رغباته معتمدا على ما تعلمه من حكم الزمان. والعقل من اتعظ من اخطاء غيره

التنفيذ من الدنيا ومغرياتها

عرف الإمام علي -عليه السلام- الدنيا وخبرها، حين يذكر نفسه واصحابه في كل مناسبة مؤكدا بأنها زائلة ومن ركن اليها وامنها فهو مغرور، لأنها موصوفة بالغدر وعدم الامان حين يقول وصفا لها وبصورة دقيقة (٦٠):

(دار بالبلاء محفوظة، وبالغدر معروفة، لا تدوم احولها، ولا يسلم نزلها، احوال مختلفة، وتارات متصرفة، العيش فيها مذموم، والامان فيها معدوم، وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة، ترميهم بسهامها وتفنيهم بجممها)

في هذا التعريف الواضح والمعاني البارزة التي لا تختفي عن كل ذي بصيره، وخاصة الذين وهبهم الله الحكمة والمعرفة، لم يركنوا اليها ولم يسعوا في شأنها، ولم تأخذهم مغرياتها، وتبهرهم زخرفتها. من هذا المعنى الواسع تلقف الشريف الرضي واخذ يغوص في ما تحتويه من دروس وعبر وحكم حين كتب قصديته البائية قائلا (٦١)

دينا تضر ولا تسر وذا الوري
تلقي طرفا فأن هي اعرضت
هيهات يا دنيا وبرقك صادق
كل يجاذبها وكل عاتب
نزعت ولو أن الجبال جواذب
ارجو فكيف اذا وبرقك كاذب

إلى ان يقول

والناس اما قانع أو طال
واذا نعمت فكل شيء ممكن
لا ينتهي او راغب او راهب
واذا شقيت فكل شيء عازب

عرف الشريف الرضي كيف يقطف معاني الكلمات من الخطبة الشريفة ليجعل منها باقة جميلة تحمل كل ما يصبو اليها اللبيب، حين وصف الدنيا بالغدر دون ان يذكر هذه الكلمة في البيت الاول، لأنها وان سرت صاحبها فأن عمر سرورها قصير ولا يدم، فإذا تغيرت نزعت محاسنها وتبدلت إلى اضداد. من

٥٩- ديوان الشريف الرضي ص ٨١٣
٦٠- كتاب نوح البلاغة . خطبة رقم ٢٢٦ ص ٣٢١
٦١- ديوان الشريف الرضي ص ٦٦

خبر الدنيا وعرفها بأن بريقتها كاذب كالسراب يظهر ليخدع البصر، وعندما يحن الواقع لا نجد فيها السعادة وما يتمناه. ومن هذا الفهم والواقع قسم الناس إلى قسمين منهم من هو قانع بحاله، ومنهم يشده الطمع والطموح إلى ابعد من ذلك فكان منهم الراغب بها والمتمسك بتلايبيها، ومنهم من هو راهب وراغب عنها. وهو الفائزون

القناعة

تمثلت القناعة في جوانب عديدة كلا حسب دورها فلو كانت في العلم فقد بخش طالب العلم نفسه، اما اذا في المال والجاه وما يتعلق بالدنيا فأفناها المنجدة والمسعفة. وقد اشار الامام علي -عليه السلام- في احاديث كثيرة ومناسبات عديدة نختصر ما قاله في هذا الحقل.

(كفى بالقناعة ملكا) (٦٢).

فمن تحلت اخلاقه بالقناعة فقد ملك السعادة وما تعطيه من نعيم وتجعل من نفسه مطمئنه ليومها وغدها، وتجعل من طموحه بحدود الممكن. وبهذا تكون عينه على الله في كل مطلب.

عرف الشريف الرضي أن يترجم هذا المفردات التي هي قليلة في العدد كبيرة في المعنى في قوله: (٦٣)

قد قلت للرجل المقسم امره	فوض اليه تنم قريير العين
رد الامور إلى العلیم بغبها	و تلق ما يعطيكه ييدين
الله انظر لي من النفس التي	توي وأرأف بي من الابوين

فقد فسر القناعة واعطاها المعنى الصحيح والمختصر، المتمثل برجوع إلى الله عز وجل وجعل الامور بيده، وان ما قدر فهو الذي يصل الينا لا غير، غرم كل الجهود العبد الذي بوسعه ان يقوم بها الا ان الذي ما قرر له يناله لا غير. وعند ذلك يجعل للمقدر له الامان والاطمئنان، كيف لا والله احرص على عبده من ابويه. بهذا العبارة يختم قصيدته التي في الواقع تحمل من الحكمة والموعظة، المشتقات من افكار سيد الحكمة والمعرفة

الخاتمة

لا يملك المرء أن يقف أمام شخصية كبيرة كما وجدناها عند الشريف الرضي -عليه السلام- فقد عرف عن نسبه فهو اظهر الأنساب كيف لا وهو سليل لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعن علمه فهو قد ورثه عن أجداده وآبائه ناهيك عن أنه قد تتلمذ على يد كبار عصره، كان يغرف من علومهم ليخزن في عقله الكبير فكان أن أهلتة درجته العلمية أن يفقه قول سيد الفصحاء وإمام البلغاء ويفرق بين الصحيح منه والمنحول حتى استطاع أن يجمع نسبة عالية جدا من كلام وخطب وأقوال الإمام علي -عليه السلام-، ولم يكتف بذلك بل بما تأثر كثيرا وبما جمعه من أقوال وحكم حتى استطاع أن يصوغ معانيها ومضامينها صياغة شعرية يعتمدها في قوافيه وقصائده، فأتتج لنا تحفة أدبية تضم في مكوناتها كل القيم الإنسانية التي جاء بها الدين الإسلامي الحنيف.

نحن نقف أمام شخصية تحتوي في كل جوانبها العلم والمعرفة والعفة والشرف والعاطفة الرقيقة والتي أنتجت لنا الغزل العفيف، أن لهذه الشخصية المؤهلات الكاملة لتقود ألامه الإسلامية وتنبؤاً كرسي الخلافة، من هنا حذر الخلفاء

فقد تبين ذلك ومن خلال البحث أن معاني الحكمة المتمثلة بالزهد في الدنيا، والحث في كسب الآخرة، ونشر كل القيم التي جاء بها الرسول الكريم - ﷺ - والتي وردت في أقوال الأمام علي - عليه السلام - وخطبه ووصاياه، قد استفاد منها الشريف الرضي وصاغها بقالب شعري جميل وبذلك التحف ديوانه الشعري. وعن طريقها أيضا كسب الخلود في مضمار الشعر وتميز عمن سبقه أو من عاصره وحتى عن من تحلفوا عنه

إنَّ هذا الجهد القليل والمتواضع لم يعط الموضوع كل حقه ولم يأخذ بجميع جوانبه لذا نوصي الذين لهم إلمام في الشعر عموما وباللغة خصوصا أن يعيروا هذا الموضوع أهمية أكثر ليستخرجوا هذه النفائس من بطون الكتب ويرفدوا المكتبات بما لسدِّ الفراغ العلمي والأدبي في هذا الحقل وليعينوا من هم بحاجة إلى العلم والمعرفة من جانب ومن جانب آخر يزيحوا غبار الجهل عن هذا الإرث الثمين والنادر.. وفقنا الله لما هو خير.

The words and speeches of Imam Ali Ben Abi -Talib (peace be upon him) have great influence in proving Arabic culture with plenty of vocabularies and lots of subjects which contributed in helping many intellectual and talented people to develop their linguistic and literary capability 0 This brought Arabic literature and rhetoric to its peak 0Consequently, this made Arabic competes.

The only two sources of Imam Ali's talk and culture are the Holy Quran and Holy Sunna0 This is turn immortalized Arabic and saved it from loss 0Accordingly, the book of Peak of Eloquence is considered as an important for poets and of letters in all ages for having a store of linguistic vocabularies and meaning which denote ac sense of wisdom and lessons0

Al- Sharif Alradi deduced this valuable masterpiece and knew how to stem from it what the scholars and writers need0He became such a poet,scientist and a linguist that no poet can be compared to him0After reading his anthology critic gets mixed to the extent that he was described as the greatest poet of Arabic 0Due to the circumstances which he underwent in his life made him psychologically worried, tense,and revolting0

Such a personality resulted from the hardships and disasters which he sustained well as family 0 Therefore was honest and straightforward according to the social standards 0 Even in love poetry which was characterized by chastity and decency0Inside himself, he felt revolting after he felt isolated and he is relatively the uppermost and the most talented 0

Accordingly, he went assuring his opponents and loving people enough through his talents and his unlimited passion that he qualified enough to overlie the throne of culture and literature in his time.

The paper is divided into three section. Section one focuses on his name, lineage, and his upbringing. Section two addresses Imam Ali's eloquence and their role the preservation of religion that was revealed to his cousin the prophet Mohammed. the third and final secludes the way by which Al-Shreif Alradi made use of Imam Ali's word wisdoms and how to formulate their meaning and topics in form of poetry.

المصادر

القرآن الكريم.

٢- تاريخ الادب العربي / ٥ عصر الدولة والامارات (الجزيرة العربية - العراق - ايران) دار المعارف مصر ٢٠٠٧.

٣- تاريخ الادب العربي - احمد حسن الزيات - طبعة ث ٣٦ بيروت.

٤- الجامع في تاريخ الأدب العربي-الأدب القديم حنا فاخوري منشورات ذوي القربى - الطبعة الثالثة . مصر سنة ١٣٢٧ هـ.

٥- ديوان الشريف الرضي - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت ١٣١٠.

٦- الشريف الرضي جهوده النحوية - د. حازم سلمان الحلبي - بغداد - كلية الفقه - الجامعة المستنصرية ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.

٧- الشريف الرضي في رثائه - افتخار عارف الواساني - منشورات مكتبة المثنى - الطبعة الاولى - سنة الطبع لا توجد.

٨- عبقرية الشريف الرضي . زكي مبارك . دار الجميل . بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م

٩- فهرست اسماء مصنفى الشيعة - ابو العباس احمد ابن علي بن احمد ابن عباس النجاشي - مطبعة مجهولة - سنة الطبع ١٣١٧هـ.

١٠- الكنى والالقب - الشيخ عباس القمي - المطبعة الحيدرية . نجف - ١٣٧٦ هـ.

١١- مجمع البيان لعلوم القرآن - ابو علي الفضل ابن الحسن الطبرسي - مطبعة رويال كرافيك ١٣٧٨هـ ١٩٥٨م.

١٢. المعجم الوسيط . المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع . القاهرة ١٣٩٢/١٩٧٢

١٣- نهج البلاغة - شرح الشيخ محمد عبده - الطبعة الاولى - بيروت . سنة ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م

١٤- نهج البلاغة بين صحة النسبة إلى المؤلف وتوثيق النص - دراسة في كتاب نهج البلاغة - د.

منصور مذكور شلش و د. صبري ابراهيم السيد - مجلة اهل البيت - العدد ١١ نسيان ٢٠١١

١٥- يتيمة الدهر . عبد الملك بن محمد بن اسماعيل . الملقب ابو منصور الثعالبي القاهرة ٩٦٥

التعليم والمعارف في العراق خلال الحقبة الزمنية (١٥٣٤ - ١٩٣٣ م)

Education in Iraq during the period (1534-1933)

م.د. سالم هاشم عباس أبو دله^(١) Dr. Salem Hashim Abbas Abo-Dalh

خلاصة البحث

من خلال دراسة التعليم والمعارف العراقية في ظل حكم الدولة العثمانية و حكومة الاحتلال البريطاني منذ عام ١٩١٤ وحتى ١٩٢٠ وصولاً إلى عهد الملك فيصل الأول الممتد من عام ١٩٢١ - ١٩٣٣ ، يمكن أن نتوصل إلى نتائج بحثية تصف حالة التعليم ووزارات المعارف العراقية التي مرَّ بها العراق في ثلاث مراحل سياسية مختلفة، فأولى هذه المراحل مرحلة أواخر حكم الدولة العثمانية التي يمكن أن نصفها بمرحلة الجمود وعدم التطور ذلك لأن الدولة العثمانية قد أهملت حركة التطور العلمي والمعرفي في العراق، وأنصرفت نحو تسليح الجيش وفتح المدارس العسكرية، ولم تعر أهمية لعملية التربية والتعليم، إلا بعد أن سبقتها أوروبا في هذا المضمار، فكانت قد تأثرت إلى حد كبير بمنهج التربية والتعليم الفرنسي الذي وصل إليها متأخراً.

أما التربية والتعليم في مرحلته الثانية فكانت على عهد الاحتلال البريطاني للعراق، الذي ترك حالة التعليم تسير على قدم عرجاء، مفضلاً تحقيق المصالح السياسية والاقتصادية على مصالح شعب أنهُكته الحروب والمعارك والاحتلال دون تحقيق ما يصبو إليه من حقوق إنسانية على مستوى الطموح، في مقدمتها حقه المشروع في التربية والتعليم.

أما التعليم والمعارف في مرحلته الثالثة وهي عهد الملك فيصل الأول، فقد أتصفت بكونها مرحلة لا يحسد عليها البلد، فرغم دعوات الملك فيصل المتفائلة بروح عالية نحو الاهتمام بالتعليم والمعارف، إلا أن التعليم لم يبلغ مستوى الطموح لتحقيق الأهداف التربوية والتعليمية المتوخاة في العراق، ولعل ذلك يعود لعدة أسباب جوهرية يمكن حصرها بالآت:

١ - المديرية العامة لتربية كربلاء.

١. عدم استقرار الحكومات على عهد الملك فيصل الأول، فالوزارات العراقية، أتصفت بالتأرجح الزمني المضطرب، حيث تراوح تشكيل الوزارات بين الشهرين أو ثلاثة شهور أو ستة شهور، ولعل أطول فترة وزارية في الحكم هي السنة، وهذا التأرجح الزمني أنعكس سلباً على منهاج وزارات المعارف باعتبارها جزء من منهاج الحكومة، فتبدل الحكومات، يعني تبدل وزارة المعارف والموظفين ذوي الاختصاص وبالتالي أرتباك عمل الوزارة، لقد أشارت لجنة منرو في دراستها الأحصائية عام ١٩٣٢م إلى تبديل مدراء المعارف العراقية قد بلغ ثمانية عشر مرة، وهذا دليل على أرتباك المعارف.
 ٢. صراع الكتل السياسية العراقية منها والأجنبية، والتي تحاول جاهدة السيطرة على التعليم والمعارف، ذلك لأن التعليم والمعارف يُعدان العمود الفقري لبناء المجتمعات، من خلال المؤسسات العلمية والتربية.
 ٣. عدم وجود خطط موضوعية لمعالجة المشاكل التربوية أمام تقلبات وتبدل وزارات الدولة المستمر.
 ٤. عدم وجود كفاءة مهنية وأختصاص أكاديمي من قبل معظم وزراء المعارف العراقية.
 ٥. أختلاف آراء وأفكار وزراء المعارف حيال منهج الوزارة في التربية والتعليم، وظهور أنفرادية الرأي الحاد من خلال مناقشات جلسات مجلس الوزراء، الأمر الذي يؤدي إلى بعث القلق وعدم الاستقرار في المناهج العلمية والتربوية.
 ٦. عدم رجوع معظم وزراء المعارف إلى أوليات الوزارة السابقة، وأكتفاء الوزير الحديث بآرائه الفردية باعتبارها آراء صائبة وناجعة دون اعتماد آراء الآخرين.
 ٧. التدخل البريطاني في شؤون الدولة العراقية الحديثة، المتمثل بالمستشارين والموظفين البريطانيين ممن لهم أتخاذ القرار.
 ٨. أستغلال ميزانية المعارف وصرف أموالها في غير موقعها من قبل المستشارين والموظفين البريطانيين، في دعم المدارس التبشيرية والأديرة والكنائس.
 ٩. أناطة مهمة وزارة المعارف إلى وجهاء الشيعة دون السُنّة سيما في عهدي الاحتلال والأستقلال، إلّا ما ندر، وهي فكرة بريطانية ذكية أستهدفت به أرضاء وجهاء الشيعة لرفع الغبن الذي لحقهم على عهد الدولة العثمانية، فالدولة العثمانية بنت ترسانة جيشها وتعليمها على يد أبناء السنة دون أبناء الشيعة.
 ١٠. لقد حافظت حكومات الملك فيصل الأول جهد إمكانها على حصر وزارة المعارف على وزراء شيعة من أجل أستقرار البلاد.
- هذه الأسباب جميعها ساعدت كثيراً على تأخر حركة التعليم والمعارف في العراق، وعلى الرغم من ذلك، حاولت الدولة العراقية الناشئة مقاومة كل ما يعترضها من صدمات وعقبات من أجل أنجاح العملية التربوية والتعليمية في العراق، لقد أستطاعت الدولة العراقية الفيصلية من بناء لبنة تربوية أساسية تلفت نظر المتطلع على تاريخ العراق المعاصر في تلك الفترة، وما عانتها الدولة العراقية من مضايقات وقيود سياسية، حددت بها عجلة تطور التربية والتعليم من قبل السلطات البريطانية.

وبشكل عام أستطاع الملك فيصل الأول أن يبذل جهوداً أثنائية من خلال دعوته إلى العلماء والمفكرين والمثقفين التربويين وجلبهم من خارج العراق لدفع حركة التعليم والمعارف في البلاد والنهوض به نحو الأفضل، فجهوده كانت مميزة ومبكرة في أولى دعواته إلى إنشاء جامعة أهل البيت في عام ١٩٢٢، حيث تطورت حركة التربية والتعليم على عهد الملك فيصل الأول لتبلغ بشكل بين إرتقاء المستوى العلمي والتربوي في البلاد.

ففي سنة ١٩٢١، بلغ عدد المدارس الابتدائية (١٥١) مدرسة، في حين بلغ عدد المدارس في سنة ١٩٣٢ (٣٣٦) مدرسة ابتدائية توزعت على كافة أنحاء القطر، وهو مؤشر أيجابي، إذا ما قيس بما عانته الحكومة العراقية من مصاعب ومشاكل سياسية حصلت بفعل الاحتلال البريطاني المقيت.

Abstract

Through the study of Education and Knowledges of Iraqi (Minstery of Knowledg in Iraq) under the rule of Ottoman Empire and the Government of British occupation since 1914- 1920 until to the reign of king Faisal I, extending from the year 1921- 1933, we can Know or reach to some results in our research. these results describe the state of Education and the Iraqi ministries of Knowledge experienced by Iraq During the three political phases. the first stage was at the late of ottoman rule, which can be described as the stage of inert and lack of development.

The Education in its Second phase was at the time of British Occupation of Iraq. The state of Education going on anequal lame.

The Education and Knowledge in its third phase, which was at the reign of king Faisal I, Was characterized by heing stage of uneviable Country. Inspite of the King optimpstio calls for a high spirit a bout interest in Education and Kowledge But Education has not reached the level to ambition to achieve educational and instruction objectives goals in Iraq.

المقدمة

يُعَدُّ التعليم العمود الفقري لبناء ورقي الأمم، التي تسعى إلى أتباع أفضل السُّبل من أجل تحقيق الأهداف العلمية والتربوية لبناء الإنسان المعاصر، الذي يصبو إلى غدٍ أفضل في جميع ميادين الحياة المادية والمعنوية.

ومن هنا جاءت ضرورة البحث حول التعليم والمعارف في العراق، فالعراق مرَّ بأحرج المراحل السياسية، ألا وهي مرحلة الدولة العثمانية (١٥٣٤-١٩١٨) ومرحلة الاحتلال البريطاني (١٩١٨-١٩٥٨)، ومن ثمَّ الحكم الملكي على عهد الملك فيصل الأول (١٩٢١-١٩٣٣)، الذي جهد نفسه من أجل إرتقاء عملية التعليم والمعارف في العراق في حمل أبنائه على ضرورة التسليح بالعلم والمعرفة من أجل وصول البلاد إلى برِّ الأمان.

فالمملك فيصل الأول قبل مجيئه إلى العراق، كان يحمل تصوراً شاملاً عن طبيعة المنطقة العربية بما فيها العراق الذي عانى من آلام ومكابدات قاسية، في مقدمة هذه الآلام حرمان أبنائه من التعليم والتنوير. فالدولة العثمانية قد أهملت العلم والعلماء، فساد البلاد الجهل والمرض والفقر والتخلف، ثم أعقبتها فترة الاحتلال البريطاني، التي نظرت إلى العراق نظرة غازية لاستغلال أرضه وشعبه، فللعراق موقع جغرافي خطير وأهمية اقتصادية عالية تمثلت بغزارة عيون النفط والمنتوجات الزراعية الهائلة، فضلاً عن كونه محطة عبور استراتيجية نحو بلدان العالم الغربي. لذلك قسمت البحث إلى ثلاثة محاور:

المحور الأول: ويعني بدراسة طبيعة التعليم والمعارف في العراق على عهد أواخر حكم الدولة العثمانية وبيان ما أصاب التعليم والمعارف من انتكاسات علمية وعملية إثر خوض الحروب والدمار من قبل سلاطين آل عثمان تلك التي أبعدت البلاد عن عجلة التقدم والارتقاء في المجال العلمي والأدبي. المحور الثاني: ويهتم بدراسة التعليم والمعارف على عهد الاحتلال البريطاني للعراق، الاحتلال الذي أنشغل بالجانب السياسي والعسكري، وأهمل التعليم والمعارف على مدى احتلاله للبلاد حتى قيام النظام الجمهوري في العراق عام ١٩٥٨م وما تركه في مجال التعليم لا يتعدى واقع الطموح العلمي والتربوي المنشود.

أما المحور الثالث: فهي دراسة مرحلة الملك فيصل الأول، وهي المرحلة التي بدأت اهتمامها بشؤون التعليم ورعايته والمعارف ومناهجها بما يتناسب ومعطيات الدولة لحقل التربية والتعليم. وعلى الرغم من اهتمام الملك فيصل الأول لعملية التعليم والمعارف وتشجيعه للعلم والعلماء وتقريبه الأدباء والشعراء إلا إن مرحلة حكمه لا تخلو من حالة القلق وعدم الاستقرار لدولة ناشئة مثل العراق الذي تخلص من مرحلة الاستبداد والتعسف العثماني ليدخل مرحلة الاحتلال البريطاني الذي كَبَلَ الدولة العراقية قيوداً سياسية مقبّية أبرمت على شكل معاهدات سياسية وعسكرية ومالية، دامت اثنا عشر عاماً لم يتخلص منها العراق، على الرغم من دخوله هيئة عصبة الأمم عام ١٩٣٢، لِيُشار له بالاستقلال من قبل المجتمع الدولي.

المبحث الأول: واقع التعليم والمعارف في العراق أواخر العهد العثماني

أن بلداً مثل العراق قد عانى من صراع الدول الغازية له لأسباب سياسية وعسكرية وأقتصادية وأستمر هذا الصراع في حرب سجال لمئات السنين بين الدولتين المتصارعتين العثمانية والصفوية، كان العراق فيها مسرحاً لحروب دموية طاحنة، تركت وراءها دماراً هائلاً، شمل البشر والحجر والمدن، حتى أطلق المؤرخون على سلطان الدولة العثمانية عبد الحميد الثاني بلقب (السلطان الأحمر)^(١).

جاء في حوادث سنة ١٠٣٢هـ/١٦٢٢م، وما بعدها والتي سميت (بفتنة بكر صوباشي)، عندما جلس السلطان مراد الرابع على دست السلطنة العثمانية رأى في إدارة الدولة تذبذباً وأضطراباً، وأن للجيش جماعاً لن يتمكن أحد من ضبطه، وبسبب ذلك حصلت حوادث كثيرة ومنها (حادثة بغداد)،

٢- علي الوري، لمحات أجتماعية من تأريخ العراق الحديث، ج٣، دار الرشيد، بيروت، لبنان، ص٢٦.

فأرسل إليها سليمان باشا والياً، إلا إنه تراجع وتخاذل، ففوض لها حافظ أحمد باشا أمير أمراء ديار بكر، وهو من قدماء الوزراء، فأصطف إلى جانبه ولاية مرعش وسيواس والموصل وكردستان^(٣).

كان رأي حافظ في البدء أتباع سياسة المدارة والمحابة في تولية بغداد لبكر صوباشي، لأعتقاده توقع أمور ليست بالحسبان، والأكثر ما كان يخشاه هو أن يميل هذا المتغلب (بكر صوباشي) إلى إيران ويسلم مفاتيح بغداد إلى الفرس عناداً فيدعو الشاه لصعد العثمانيين، فيولد مشاكل خارجية، لم يلتفت أعيان الدولة العثمانية إلى رأيه، بل حملوا ذلك على سوء الظن به وأتهم بأنه أخذ مالا من بكر صوباشي من جراء المراجعة والتوسط لحكومته^(٤).

ولما وصل خبر ذلك إلى حافظ أحمد باشا، سار إلى بغداد، وقاتل بكر صوباشي الذي تحصن في المدينة، وشرع الحصار والقتال على بغداد، وأشدت التضيق على المدينة وفرضت عليها عدة هجومات، راح ضحيتها ثلاثة آلاف وسبعمئة جندي والفان وخمسمائة أسير، وحينما أحضروا الأسرى إلى القائد أمر بقتلهم ولم يقبل منهم عذراً ولم يرحم منهم شيخاً ولا شاباً ولما وصل خبر المغلووية إلى بكر صوباشي ورأى أن الخناق قد ضاق عليه، كتم غيظه ولم يبال بما جرى على القتلى والأسرى ورأى ((الصواب)) في أن يُسلم مفاتيح بغداد إلى الشاه عباس الصفوي^(٥).

وفي هذه السنة من أحداث ١٠٣٢هـ/١٦٢٢م أستولى الفرس على بغداد، وكانت النموذج الأمثل الذي عكس طبيعة الصراع الذي أدى إلى اندثار الكثير من آثارها الحضارية المتمثلة بالمساجد والمدارس والقصور التي تغنت بها بغداد على عهد الخلافة العباسية.

وكانت بغداد قد هوت نحو الحضيض، حتى أصاب الحصار المفروض عليها الكثير من المباني والمرافق ولم يصلح من شأنها إلا القليل، وزال بعض ما أبقى عليه الدهر من منشآت ومدارس وقصور، وتقلصت حدود الأماكن الأهلة بالسكان، حتى هجر أكثر الناس مساكنهم ومحلاتهم الواقعة على الجانب الشرقي من مدينة بغداد، فتركت خراباً ودماراً شاملين^(٦).

ولبثت بغداد على هذا الوضع طيلة القرن السابع عشر يُخَيِّم عليها الركود والخمول والأنزواء، كما وصفها الرحالة الفرنسي تيفنو Teynow وضعاً مؤلماً عند مروره بها عام ١٠٧٦هـ/١٦٦٥م، أذ ذكر بأنها أصبحت قليلة السكان، مع أخلاء مساحات واسعة من البلاد، ما عدا السوق العام، وأن ما بقي منها لا يعدو أن يكون شبيهاً بالصحراء وفي البصرة أدت أعمال العنف والتدمير التي تعرضت لها المدينة أبان القرنين الرابع عشر والخامس عشر إلى أهمال العناية بالأنهار العديدة التي أنصفت بشحة المياه فيها، ومن ناحية أخرى، فقد أدى أنكسار سد الجزائر في منطقة البطائح الأهوار - شمال البصرة إلى أحاطة مياه المستنقعات بها، وانتشار الأمراض وخاصة وباء الطاعون فأخذ أهلها بالهجرة تدريجياً متوجهين شطر

٣- عباس الغزاوي، العراق بين احتلالين، ج ٤، العهد العثماني الأول، طبع شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، سنة الطبع ١٣٦٩هـ - ١٩٤٩م، ص ١٧١.

٤- المصدر نفسه، ص ١٧٢.

٥- عباس الغزاوي، مصدر سابق، ص ١٧٣.

٦- عماد عبد السلام، المدنية العراقية، عن كتاب (حضارة العراق)، ج ١٠، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٨٥م، ص ١٦٨.

أرض البصرة الجديدة في ناحية العشار (الأبله القديمة) وكان ذلك في حدود القرن التاسع الهجري القرن الخامس عشر الميلادي، فبنيت هناك وعلى بعد سبعة أميال من البصرة القديمة البيوت والمساجد والمدارس^(٧).

طبيعة التعليم في العهد العثماني:

على الرغم من ظهور النظريات التربوية والتعليمية التي نادى بها أوربا خلال عصر النهضة الفكرية والتي تمثلت بدعوة علماء التربية والتعليم من أمثال العالم التربوي بستالوتزي (١٧٤٦ - ١٨٢٧م)، وجون فردريك هربرت (١٧٧٦ - ١٨٤١م)، ثم العالم فرويل (١٧٨٢ - ١٨٥٢م)، الذي يعود إليه الفضل في تأسيس رياض الأطفال^(٨).

إلا أن التعليم في العهد العثماني الأول (١٥٣٤ - ١٦٣٨م) والعهد العثماني الثاني (١٦٣٩ - ١٧٥٠م)، بقي مقتصرًا على الجوامع والمدارس والكتاتيب في بغداد وباقي الأيالات الأخرى، وكانت هذه الظاهرة موجودة حتى قبل الاحتلال العثماني للعراق، وعندما فتح السلطان مراد الرابع بغداد أولى اهتماماً عاماً لهذه الجوامع والمدارس والتكيا وحاول محافظاً على تحديد ما أندرس من هذه الجوامع والمدارس، فأكتسب بعضها اسماً جديداً، والبعض الآخر فقد اسمه القديم وعرف باسم من عمره^(٩).

ولعل من أهم الجوامع والمدارس التي شملها التجديد هي:

١. جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني ومدرسته.
٢. جامع الأمام الأعظم ومدرسته.
٣. جامع الوزير، وهو جامع حسن باشا ومدرسته.
٤. جامع الصاغة ومدرسته.
٥. تكية المولوية.
٦. جامع الكاظمين.
٧. تكية خضر الياس للبكتاشية.
٨. جامع السراي، الجامع السليماني أو جامع جديد حسن باشا.
٩. جامع الشيخ شهاب الدين السهروردي.
١٠. جامع القلعة.

فضلاً عن اهتمام السلطان مراد بمساجد ومدارس أخرى، مثل مسجد قمريه والمدرسة النجيبية ومدرسة الشيخ السهروردي ومدرسة جامع الفضل وجامع مرجان وجامع الوفاية ومدارس أخرى^(١٠).

وعلى الرغم من اهتمام السلطان مراد الرابع بهذه الجوامع والمدارس المذكورة إلا إنها في حقيقتها لا تعدو كونها مؤسسات دينية أولية، تهتم بتعليم الأطفال والصبيان قراءة القرآن الكريم وأقامة الفرائض

٧- المصدر نفسه، ص ١٦٩ - ١٧٠.

٨- اللجنة العلمية في وزارة التربية، التأريخ الحديث، مطبعة وزارة التربية، بغداد، ص ٢٦.

٩- عماد عبد السلام، المدينة العراقية، مصدر سابق، ص ١٦٩.

١٠- عباس الغزوي، العراق بين احتلالين، مصدر سابق، ص ٢٩.

وبعض العلوم الدينية ذات الصلة بالعقائد الإسلامية كالفقه والتفسير والحديث النبوي الشريف، ولم يكن هناك ما يشير إلى دخول العلوم والفنون الحديثة إلى هذه المؤسسات إلا قليلاً^(١١)، ذلك لأن الدولة العثمانية قد أنصرفت إلى تعزيز قواتها العسكرية والقتالية في حروبها مع الدولة الصفوية وأستمرارها في ذلك حتى احتلال العراق من قبل بريطانيا عام ١٩١٧م ودخول بغداد على يد القائد الأنكليزي (مود) في ١١ / آذار / ١٩١٧م، حيث أذاع بياناً (من أن الأنكليز جاءوا محررين لا فاتحين)^(١٢).

على أن الأوضاع التعليمية في العراق بقيت على ما هو عليه في العهد العثماني الثاني ولم تدخل عليه أية تحسينات لولا أهتمام بعض الأسر العلمية ممن واکبوا تجديد الحركة العلمية على عهد دولة المماليك، ولعل أشهر ممن تصدر من هذه الأسر لتدوين تاريخ أحوال العراق مع بيان الحالة العلمية فيه هم: (أسرة السويدي ومرتضى نظمي زاده والشهابي ويوسف عزيز المولوي وآل الغري وغيرهم ممن أخطرُوا سياسياً وأدارياً مع حكومة الدولة).

وفي هذه الفترة طبع كتابي (كلشن خلفاء) الذي يتحدث عن تاريخ بغداد من بداية تأسيسها سنة ١٤٥هـ وحتى سنة ١١٣٠هـ وتاريخ تيمورلنك والكتابان كلاهما من تأليف مرتضى نظمي زادة، وكتبت تواريخ الدولة العثمانية لمؤرخين رسميين لها علاقة وثيقة بوقائع العراق^(١٣).

وفي عهد المماليك ظهرت مدارس جديدة أشتهرت بنشرها للثقافة العلمية والأوربية، ساعدت كثيراً على نمو وتطور العلاقات الثقافية بينها وبين الدول المتعددة، كما يفهم ذلك من خلال الرحلات والإجازات الدراسية والحوادث التاريخية، ولعل أشهر هذه المدارس هي المدرسة السليمانية ومدرسة الصاغة ومدرسة العمار وسبع أبكار ورأس القرية للباحه جيه ومدرسة عاتكة خاتون وغيرها من المدارس الأخرى^(١٤)، والملاحظ هنا على الرغم من أنتشار هذه المدارس والاهتمام بالحركة الثقافية والتاريخية إلا إنها لا ترقى إلى الطموح التعليمي والثقافي الذي يصبو له العراق آنذاك.

لقد بقي التعليم في هذه الفترة يسير من سيء إلى أسوء، ومَرَّ العراق خلالها بفترة مظلمة دون أن يستفيد من التطورات والتغيير الذي نادت به النهضة الفكرية الحديثة التي ظهرت في بدايات القرن التاسع عشر.

ولعل أرتباط الدولة العثمانية بالدين الإسلامي الحنيف أبقى إلى حد ما هذه المدارس والجوامع في حالة جمود وإنكماش، فهي بالغت بأهتمامها بالجوانب العسكرية والحربية وأهملت التعليم أهماً عاماً فانتشر الجهل والمرض والفقر بين أبناء المجتمع العراقي سيما بين الطبقات الأجماعية السحيقة.

١١- أحمد جودة، تاريخ التربية والتعليم في العراق وأثره في الجانب السياسي ١٥٣٤-٢٠٠٩م، بغداد، سنة الطبع، ٢٠٠٩م، ص ٢٩.

١٢- اللجنة العلمية في وزارة التربية، العراق في التاريخ، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، سنة الطبع، ١٩٨٣م، ص ٦٦٣.

١٣- عباس الغزوي، العراق بين أحتلالين، مصدر سابق، ج ٥، ص ٣٠٨.

١٤- العراق في التاريخ، مصدر سابق، ص ٦٦٤.

التربية والتعليم في العراق على عهد الوالي مدحت باشا:

على الرغم من الفترة القصيرة التي تولى فيها مدحت باشا ولاية العراق سنة ١٨٦٩م إلا أنه أستطاع أن يحدث بعض التطورات التعليمية فيه وذلك عن طريق البعثات التبشيرية التي قامت بفتح مدارس خاصة لها وذلك للطوائف الموجودة في العراق، وهذا ما أثار حفيظة الدولة العثمانية، وبالتالي جعلها تلتفت إلى إصلاح التعليم في العراق، نظراً لأهميته في توجيه مسار الدولة العثمانية نحو التقدم والرفي والصمود أمام التنافس القادم من أوروبا.

وعلى أثر ذلك أقدم مدحت باشا على افتتاح أربع مدارس، هي المدرسة الرشدية المدنية، والمدرسة الرشدية العسكرية، والمدرسة الأعدادية العسكرية ومدرسة الفنون والصنائع، وأعتمدت هذه المدارس اللغة التركية لغة رسمية لها وقد ساهم أهالي بغداد بتغطية نفقاتها^(١٥).

إن أول من أهتم بفتح المدارس الحديثة، وأول من أهتم بتأسيس المطابع وأصدار المجلات وتأليف المسرحيات في العراق هم مسيحيو العراق ممن اتصلوا بالحضارة الأوروبية وتأثروا بها قبل تأثر المسلمين بزمان غير قصير، لذلك نجدهم قد سبقوا المسلمين في تبني الكثير من النظم الحضارية والفكرية ولم تقتصر هذه المدارس على تعليم أبناء الطائفة المسيحية حسب، بل دخلها أيضاً عدد كبير من أبناء المسلمين، والظاهر أن هذا الأهتمام قد حفز الحكومة المحلية على فتح مدرسة أميرية في الموصل والتي تم فتحها في عام ١٨٦١م بسعي من الوجهه فهمي أفندي العمري، فكانت أول مدرسة حكومية في العراق، وفي بغداد سعى الأباء الكرمليون على فتح المدارس الحديثة على نحو ما فعل زملاؤهم الدومنيكان في الموصل^(١٦).

كما أسس يهود العراق مدرسة لتعليم الصبيان سنة ١٨٣٠م وكانت أول مدرسة قامت بتعليم التوراة وأصول الدين الموسوية ومبادئ القراءة والكتابة والحساب، فأنتمى إليها آلاف التلاميذ وبقيت مستمرة حتى وقت هجرة اليهود من العراق سنة ١٩٥١م.

وفي سنة ١٨٦٤ أسست جمعية الأليانس الإسرائيلية الفرنسية مدرسة عصرية أبتدائية ومدرسة متوسطة للبنين، وأخذت تدرس فيها العلوم واللغات، بالإضافة إلى اللغتين العربية والعبرية، ودراسة الديانة اليهودية.

وكانت هذه المدرسة تطبق (بالإضافة إلى المناهج المقررة)، منهاجاً خاصاً بالفرنسية، يُتيح لطلابها الحصول على الشهادات الدراسية الفرنسية وفي سنة ١٨٩٣م أسست الجمعية الفرنسية مدرسة للبنات، لعلها كانت أول مدرسة للبنات في العراق^(١٧).

وفي سنة ١٩١١م ألحق بالمدرسة اليهودي المعروف السرايلي خضوري بناية كبيرة قد أوقفها على روح زوجته لورا خضوري، وأفتتحها الوالي أحمد جمال بك بصورة رسمية، وبلغ عدد طلابها سنة ١٨٩٩م - (١٣١ طالبة)، كما وألحق بالمدرسة فيما بعد صفوف لتعليم الخياطة والتطريز، وقد فازت معروضات التطريز بالجائزة الذهبية للمعرض الصناعي الذي أقيم في بغداد سنة ١٩٣٢م^(١٨).

١٥- خالد قرطوش، التعليم في سوريا، نشأته وتطوره، ترجمة نزار أباطة، دمشق، سوريا، سنة الطبع، ١٩٦٠، ص ٤٣-٤٤.

١٦- علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، مصدر سابق، ج ٣، ص ٢٨٨.

١٧- يوسف غنيم، نزعة المشتاق في تاريخ يهود العراق، دار الوراق للنشر، لندن، سنة الطبع، ٢٠٠٩م، ص ٣٠٥.

١٨- المصدر نفسه، ص ٣٠٦.

وفي عهد مدحت باشا أستوردت آلات الطباعة الحديثة لتقوم بطبع أول جريدة عراقية هي جريدة (الزوراء)، حيث صدر منها العدد الأول في ١١ / حزيران / ١٨٦٩م، وأستمرت في الأصدار حتى زوال الحكم العثماني في بغداد.

وعلى عهد مدحت باشا شهدت مدينة بغداد وبعض المدن الرئيسية الأخرى بعض الاهتمام المفقود منذ عهود بعيدة.

فأنشأت دائرة المعارف ومستشفى عام ودائرة نفوس وعدد من المحاجر الصحية ومرفق أخرى، وشيئاً فشيئاً أخذت مظاهر (التحديث) تفرض نفسها وسط بنايات متخلفة، فزاد عدد المدارس الابتدائية والمتوسطة حتى بلغت زهاء مائة مدرسة، فأنشئت مدرسة متوسطة للبنات سنة ١٨٩٩م، وزاد عددها سنة ١٩٠٠ إلى أربعة مدارس، كما فتحت مدرسة خاصة بالمعلمين (دار المعلمين) ومدرسة تطبيق تابعة لها (١٩).

وأخذت المدارس الحكومية في ازدياد وتنوع من بعد مدحت باشا، حتى بلغ عددها في أواخر العهد العثماني رقماً لا يستهان به، ولكن الذي يلفت النظر أن مستوى التدريس فيها كان متدنياً، وكان المعلمون لا يمتلكون من المعلومات والثقافة العامة إلا القليل، فضلاً عن إتباع بعضهم أخلاقاً وسجاياء متدنية، كما لم تهتم هذه المدارس باللغة العربية كلغة رسمية أو على الأقل لغة الدين (لغة القرآن الكريم)، كما برزت في سياستها التعليمية ظاهرة التمييز الطائفي والمذهبي حيث لم يستطيع الشيعة إرسال أولادهم إلى هذه المدارس، كما لم تشجعهم الحكومة العثمانية على هذا الأرسال (٢٠).

ونتيجة لهذا الاضطهاد فقد فكرت طائفة الشيعة في العراق في فتح مدارس لأبنائها، وكان في مقدمة من حث على مشروع فتح المدارس على عهد السلطان عبد الحميد الثاني هو الحاج سلمان أبو التمن التاجر المعروف وقد أزر فكرته السيد محمد سعيد الحبوبي وهو من علماء الشيعة.

وفي شهر تشرين الثاني من عام ١٩٠٨ أجمع ليف من وجهاء الشيعة وكتبوا عريضة إلى الوالي العثماني، يطلبون فيها أجازة بفتح مدرسة جعفرية، وتعهد بمتابعة الطلب علي الباركان فقدّم العريضة إلى الوالي وأستطاع الباركان من أقناع الوالي بفتح مدرسة لهم، وبذلك تمّ أول تأسيس مدرسة حديثة للشيعة في العراق بأسم (مكتب الترقّي الجعفري العثماني) (٢١).

يشير الدكتور عبد الله الفياض، إلى أهمية فتح المدرسة الجعفرية فيقول: ((إذْ عَلِمَ بأن الفرقة الجعفرية وهي تؤلف الأكثرية في العراق، كان يحظر عليها في الدور السابق القيام بأمر المكاتب العمومية لفرقة الجعفرية، وكانت مدارسهم تقتصر على المدارس الدينية البسيطة في النجف وكربلاء وسامراء والكاظمية، حيث يُدرّس علم الفقه وبعض العلوم الدينية واللغة العربية، وكانت المدرسة الجعفرية تعتني باللغة الفرنسية والرياضيات والعلوم المدنية، يضاف إلى ذلك إن هذه المدرسة كانت أول مدرسة أهتمت بتعليم الأميين

١٩- العراق في التاريخ، مصدر سابق، ص ٦٦٥.

٢٠- فيليب ويلارد أيرلاند، العراق دراسة في تطوره السياسي، ترجمة جعفر خياط، دار الراية البيضاء، بغداد، سنة الطبع، ١٩٤٩م، ص ٨٨.

٢١- علي الورد، لمحات أجماعية من تاريخ العراق الحديث، مصدر سابق، ج ٣، ص ٢٩٤.

القراءة والكتابة والحساب ومسك الدفاتر، كما أن طلابها كانوا يرتدون اللباس الحديث، سيما في المناسبات الرسمية)) (٢٢).

كانت المدارس الحكومية على نوعين، عسكرية وملكية (أي مدنية)، والواقع أن الدولة العثمانية كانت تحتّم بالمدارس العسكرية أكثر من اهتمامها بالمدارس المدنية، فهي تدرك أن الضابط الجاهل أشد ضرراً بالدولة من الموظف الجاهل، فهو قد لا يضر الدولة كثيراً ما دامت القوة العسكرية لديها سليمة (٢٣).

يشير ساطع الحصري إلى ظاهرة اهتمام الدولة العثمانية بالجيش والقوة العسكرية فيقول: ((إنَّ الدولة العثمانية كانت دولة عسكرية بكل معنى الكلمة، فشؤون الجيش فيها كانت بمثابة المحور الأساسي لجميع شؤونها وفساد أمورها بدأ بفساد جيشها، فكان من الطبيعي أن يبدأ إصلاح أمورها بأصلاح جيشها)) (٢٤).

أما النتيجة المستخلصة لهذا المبحث فيمكننا القول، إنَّ الدولة العثمانية بشكل عام لم تعرَّ أهمية للتعليم، كما أن دائرة معارفها بقي حالها جامداً منذ أن دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى مع ألمانيا ضد الحلفاء عام ١٩١٤م، فضلاً عن توارد سلاطين وولاة عتاد أتخذوا من الجيش وقوات الشرطة (الجوندرمة) السبيل الوحيد لتحقيق الانتصارات العسكرية وفرض القوة باحتلالها لمناطق واسعة من قارقي آسيا وأفريقيا، وكان العراق جزءاً محتلاً من الوطن العربي الذي هيمنت عليه الدولة العثمانية، مع فرض سياسة التتريك التي حاولوا من خلالها القضاء على التراث العربي، ابتداء من غزوات هولاءكو وزحفه على بغداد ووصولاً إلى سقوط بغداد بأيدي البريطانيين في ١١ / آذار / ١٩١٧م، ثم التمسك بالحكم الفردي الدكتاتوري المتمثل بشخصية السلطان باعتباره خليفة المسلمين، الأمر الذي أدى إلى ظهور سلاطين متهورين وقساة لم يؤمنوا بحرية الفكر والنهضة العلمية كالسلطان عبد الحميد الثاني الذي استبد بسياسته المستهجنة التي عُرفت بالقتل والبطش والسجن ومحاربه معارضيه من وزراء وولاة، فهو لم يتراجع في إصدار أحكامه ولو على فرض الظنون على كل وزير أو والٍ ممن ركبوا عجلة الإصلاح والتغيير.

إن الدستور العثماني لم يصدر إلا بجهود المصلح مدحت باشا الذي عانى من السلطان عبد الحميد الثاني أنواع التعذيب والسجون (٢٥)، ولم يسلم هذا الوالي المصلح من التهم الموجهة إليه، حيث سيق إلى المحاكم الجزائية في أسطنبول بتهمة الاشتراك في قتل السلطان عبد العزيز، بعد أن جرت محاولة اعتقاله في ٤ / آيار / ١٨٨١م عندما كان والياً على أزمير، فلاذ بتسليم نفسه عن طريق القنصلية الفرنسية، فصدر عليه حكم الإعدام، فكان خبر اعدامه قد أثار حفيظة الهيئات السياسية والعلمية، حتى توسّطت له دول أوربا بالعفو عنه أو تخفيف الحكم الصادر بحقه، وعلى أثر ذلك تريت السلطان العثماني قليلاً وأبدل حكم الإعدام إلى النفي المؤبد، وسيق الوالي ومن معه إلى بلدة الطائف في الحجاز، ولم تستقر ظنون

٢٢- عبد الكريم محمد رؤوف القطان، مذكرات من جنوب العراق من الطفولة إلى المنفى، دار السابق، بيروت، لبنان، سنة الطبع ٢٠٠٥م، ص ٨٠.

٢٣- علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، مصدر سابق، ج ٣، ص ٢٩٠.

٢٤- ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، بيروت، لبنان، سنة الطبع، ١٩٦٠م، ص ٧٣-٧٤.

٢٥- مجلة آفاق عربية، العدد ٣ الصادر في تشرين الثاني ١٩٨٤م، السنة العاشرة، ص ٥٥.

وهو اجس السلطان حتى أصدر أوامره بنحوق الوالي مدحت باشا، فما كان من أتباع السلطان إلا أن يرسلوا إليه علبة مغلقة، كُتِبَ عليها (علاج ياباني - قطعة من الفن النادر لجلالته)، ولم يكن في العلبة سوى رأس مدحت باشا الذي دخل قصر يلدز ميتاً لتنتهي حياته في نيسان من عام ١٨٨٣م^(٢٦).

المبحث الثاني: التعليم والمعارف على عهد الاحتلال البريطاني ١٩١٤-

١٩٢٠

يمكن رصد طبيعة الأهتمام بالتعليم والمعارف من وجهة نظر أنكليزية خلال سياسة الإدارة الملكية البريطانية بعد احتلالها للعراق عند أنتهاء الحرب العالمية الأولى، حيث بدأت في احتلاله سنة ١٩١٤م واستمرت بالاحتلال لتطبق عليه تماماً في سنة ١٩١٨م.

واجهت السلطات البريطانية مشاكل ومصاعب في الأهتمام بالتعليم والمعارف العراقية بقدر لا يقل عن أهتمامها السياسي والعسكري في العراق ولهذا فقد طرحت عدة آراء وأقتراحات من قبل (معمد الواردات) هنري دويس موجهة إلى مجلس اللوردات، جاءت على شكل مذكرات وتقارير مرسلّة إلى وزير المستعمرات البريطانية في الهند تخص التعليم والمعارف في العراق، وكانت أول مذكّرة رفعها دويس في ١٥/ شباط/ ١٩١٥^(٢٧).

حدّر فيها بأقتراحاته المبعوثة إلى مجلس اللوردات البريطاني عن عملية تأسيس نظام جديد للمعارف في العراق، وذلك لتحاشي وقوع الأخطاء كالتّي أرتكبت في الهند من قبل.

ونتيجة لحصول نقص حاد في المعلمين للمدارس الأبتدائية فقد صرح قائلاً: ((أنه لو لم تكن الحاجة ملحة لأعداد العرب إلى الخدمة الحكومية ولم يخش سوء الظن من أن الإدارة البريطانية غير ميالة لتسهيل أمور التعليم، فإنه ميّال إلى أن ينصح بعدم فتح أية مدرسة أبتدائية في السنين القادمة^(٢٨)، ومما لا شك فيه تُعد مرحلة الاحتلال البريطاني التي بدأت في سنة ١٩١٤م وصولاً إلى سنة ١٩٢٠ مرحلة قلق من الناحيتين السياسية والعسكرية، ومن خلال هذه الفترة لم يأخذ التعليم في العراق نصيباً وافياً من دعم الاحتلال البريطاني له، فالمستر دويس لم يوعز الجهات المختصة إلا بفتح مدرسة واحدة أو مدرستين، كما أوعز بأعطاء المنح المالية إلى المدارس التبشيرية الأميركية التي يديرها المستر جون فانيس^(٢٩)، وإلى مدرسة الأخوان الكرملين، وترك أمر فتح المدارس الأخرى إلى المستقبل.

بهذا الشكل، أصبح الميل الطبيعي للسلطات البريطانية يتجه نحو الحد من شأن المعارف وأعتبار أهميتها شيئاً ثانوياً عند العمل على إحياء البلاد ثقافياً ومع ذلك لم تفتح إلا مدرستان في نهاية سنة ١٩١٥م.

٢٦- علي الوردي، لمحات أتماعية من تاريخ العراق الحديث، مصدر سابق، ج٣، ص٢٢.

٢٧- فيليب ويلارد أيرلاند، العراق دراسة في تطوره السياسي، مصدر سابق، ص٨٨.

٢٨- المصدر نفسه، ص٨٩.

٢٩- هنري فوستر، نشأة العراق الحديث، ترجمة وتعليق طه الكريتي، ط١، عمان، الأردن، سنة الطبع، ٢٠٠٦م، ص٣٩٥.

وفي خلال هذه المدة لم يصرف على المعارف سوى (٦٥٠٠) روبية أي ما يساوي ٠,٤% من مجموع مصروفات الدوائر الملكية التي بلغت قيمتها (١٦٢٢٣٤٤) روبية، بينما صرفت في ولاية البصرة في السنة المالية التي تلت ذلك (٢٣٣٥٠) روبية أي ما يقابل ٠,٧٤% من مجموع مصروفات الدائرة الملكية وهذه النسبة المئوية العالية قد صرفت على معظم المدارس التبشيرية الأميركية في ولاية البصرة^(٣٠).

إنَّ أهمال السلطات البريطانية للتعليم في العراق جاء بعد أن أرسلت بريطانيا حملتها من الهند بقيادة الجنرال ديلامين (Deilamen) لترباط في البحرين وتصدر لها الأوامر في شهر أكتوبر سنة ١٩١٤م لتحتل شط العرب وتستولي على الفاو بقوة القصف المدفعي، وبعد معارك عنيفة مع الأتراك إحتل الإنكليز البصرة في ٢٣/ نوفمبر/ ١٩١٤ وسيطروا بذلك على منطقة الخليج العربي^(٣١).

وأستمر أهمال السلطات البريطانية للتعليم عندما أُنْجَحت قواتها في السير نحو الشمال لتحتل القرنة بعد معركة حامية، ثم أُنْجَحت بقوة برية ومائية لتحتل العمارة في ٣٠ يونيو سنة ١٩١٥م وزحفت قواتها لتحتل الناصرية في ٢٥/ يوليو/ سنة ١٩١٥م حتى تم السيطرة على المثلث الواقع بين البصرة والعمارة والناصرية وأصبحت البصرة بأكملها تحت السيطرة البريطانية في عداد السلم لا الحرب على حد زعم بيل^(٣٢). وهذا يعني أن السلطات البريطانية أولت اهتماماً كبيراً لميادين الحرب والقتال.

وبنفس الوقت هي لا تريد أن يتشقف ويتعلم العراقيون كي يحققوا أهدافهم في بناء بلاد مزدهرة ليلحقوا بركاب الأمم المتحضرة.

كما أن التقارب الألماني - التركي قد وَلَّدَ تخوفاً كبيراً على مصالح بريطانيا في الخليج العربي والتمسك بضرورة حماية النفط في جنوب إيران وتحسباً من أمتداد النفوذ الألماني لغزو الهند^(٣٣)، وما مشروع سكة حديد برلين - بغداد إلا مظهراً من مظاهر تسابق الصراع على النفوذ بين ألمانيا وبريطانيا. وأن أسباب الحملة البريطانية تعود بالأصل إلى حماية المصالح البريطانية العامة في منطقة الخليج العربي^(٣٤).

وبعد احتلال بغداد، لم يتحسن الحال، حيث كان جهد السلطات البريطانية منصّباً على تثبيت دعائم الوضع السياسي والعسكري فأنعكس ذلك على مخصصات مالية المعارف لتصل سنة ١٩١٧ - ١٩١٨ إلى ٠,٣٥% من مجموع مصروفات الدائرة الملكية، وبقي التعليم متعثراً، ولم يبدأ في نصب جهاز المعارف بصورة جدّية حتى تم تعيين المقدم بومان (Bowman) سنة ١٩١٨م مديراً للمعارف، فما أنتهت سنة ١٩١٨م، حتى تأسست عشرون مدرسة ابتدائية^(٣٥).

وبقيت مصروفات المعارف متدنية، ولم ترقَ إلى مستوى الطموح حتى بلغت سنة ١٩١٩ بنسبة ١,٨% من المصروفات الملكية العامة.

٣٠- فيليب ويلارد أيرلاند، العراق دراسة في تطوره السياسي، مصدر سابق، ص ٩٠.

٣١- عبد الرحمن البراز، العراق من الاحتلال إلى الاستقلال، ط ٣، مطبعة العاني، بغداد، سنة الطبع، ١٩٦٧م، ص ١٩.

٣٢- كروتيد بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة جعفر خياط، ط ٢، بيروت- لبنان، سنة الطبع، ١٩٧١م، ص ١٠.

٣٣- خليل كنة، العراق أمسه وغده، ط ١، بيروت - لبنان، ١٩٦٦م، ص ٩.

٣٤- أحمد رفيق البقلاوي، العلاقات السياسية بين العراق وبريطانيا ١٩٢٢ - ١٩٣٢م، منشورات دار الثقافة والأعلام، بغداد، ١٩٨٠م، ص ١٤.

٣٥- تقرير دائرة المعارف البريطانية الصادر سنة ١٩١٨.

وفي عام ١٩٢٠ فتحت خمس عشرة مدرسة إبتدائية وأصبحت مجموع المدارس للذكور في العراق بحدود (٨٥) مدرسة تأخذ المنح المالية وخمس مدارس للبنات، تضم جميعها (٦١٨٢) طالباً، أي بنسبة مدرسة واحدة لكل (٤٦٢) نسمة من السكان وبلغت مصروفات المعارف بالنسبة لمصروفات السنة وهي السنة الخامسة من الاحتلال البريطاني إلى ١,٩ %^(٣٦). ولكي تنجح مهمة بومان في مجال المعارف، كان طبيعياً له أن ينسج في العراق كالذي تمّ صنعه في مصر، تحت أشرف البريطانيين وتوجيهاتهم، وقد عمل معه كل من الكابتن جيروم فارل (Farrell) والمستر لا نيل سمث (Simth) فقام بتأسيس دائرة نظارة المعارف العمومية، ونظم شؤون المعارف في البلاد وفصلها عن المالية، وعين لكل منطقة إدارية ناظراً للمعارف، فعين أدور بيز ناظراً لمعارف الموصل والمستر رايلي (Railey) ناظراً لمعارف البصرة^(٣٧).

لقد واجهت السلطات البريطانية مشكلة النظام التعليمي المعمول به من قبل الدولة العثمانية في عام ١٨٧٩ وهو نظام المعارف العمومية، حيث اعتبرت السلطات البريطانية من أنه نظاماً قديماً لا يتناسب مع مقتضيات نشر التعليم وترقيته في العراق، لذلك أضطر المسؤولون عن شؤون التعليم في العراق أن يعتمدوا النظام المصري في التعليم، تاركين وراءهم أنظمة التعليم المقررة في الهند أو الدولة العثمانية أو المدارس الخاصة أو المدارس الأجنبية ذات النزعة الطائفية^(٣٨).

وفي العام ١٩١٧م أقدمت القوات البريطانية بأفتتاح دار المعلمين في بغداد، حيث كان القرار فيها أن يكون التدريس على شكل دورات سريعة مدتها ثلاثة أشهر، ثم أعلنت عن مجلس المعارف الذي دعا إليه كل من محمود شكري الألوسي وجميل صدقي الزهاوي والأب أنستانس ماري الكرملي وحمدي بابان وغيرهم.

وخلال الفترة (١٩١٧-١٩٢١) كانت مدة الدراسة في المدارس الأولية أربع سنوات لا تدرس اللغة الأنكليزية فيها، أما المدارس الأبتدائية فمدة الدراسة فيها أربع سنوات تتقدمها سنتان أوليتان، عندئذ يبدأ التعلم باللغة الإنكليزية من الصف الأول الأبتدائي^(٣٩).

ويذكر ان عدد المدارس (الأولية الأبتدائية) في المناطق المحتلة في أيلول ١٩١٨ كان (٢٨ مدرسة): ٨ مدارس أبتدائية و ١١ مدرسة أولية في ولاية بغداد، و ٧ مدارس أبتدائية ومدرستين أوليتين في البصرة، وكان من بين هذه المدارس (١٥ مدرسة) رسمية و ٦ مدارس محلية و ٧ مدارس أولية جعلت فيما بعد مدارس رسمية، أما المدارس الخاصة فقد كان عددها خلال عام ١٩١٨م (٢٣ مدرسة)، ١٥ مدرسة منها في ولاية بغداد، و ٨ مدارس في ولاية البصرة، وتلقى هذه المدارس مساعدات مالية من سلطات الاحتلال^(٤٠).

٣٦- فيليب ويلارد أيرلاند، العراق دراسة في تطوره السياسي، مصدر سابق، ص ٩١.

٣٧- غانم سعيد العبيدي، التعليم الأهلي في العراق بمرحلتيه الأبتدائية والثانوية، رسالة ماجستير في التربية، جامعة بغداد،

١٩٧٠، ص ٦١.

٣٨- أحمد جودة، تأريخ التربية والتعليم في العراق، مصدر سابق، ص ١٠٠.

٣٩- المصدر نفسه، ص ١٠٢.

٤٠- المصدر نفسه، ص ١٠٥.

وزارات المعارف العراقية على عهد الاحتلال البريطاني في ١٩١٤-١٩٢٠م:

من يُراجع الأسس والأنظمة الإدارية التي قام عليها الحكم البريطاني المباشر في العراق، سيرى أنها تخلو من الإشارة والأهتمام لحقل التعليم والمعارف، وأن جميع هذه الأسس تهدف إلى تحقيق المصالح السياسية والعسكرية البريطانية، معتمدة في ذلك على وسطائها من رؤساء القبائل والعشائر في إغرائهم بالمقاطعات والأراضي الزراعية الواسعة، وأعفائهم من الضرائب وجعلهم وسطاء نافعين لدعم حكومة الاحتلال البريطاني^(٤١).

ولذلك ارتأت الأوساط السياسية البريطانية التقرب إلى وجهاء وأعيان البلاد وفي مقدمتهم السيد عبد الرحمن النقيب^(٤٢)، الذي يُعدُّ العضو الأول بعد الوالي العثماني، وكان من صلاحياته تعيين نقيب الأشراف، وتعيين المدرسين في الدركاه القادري، وله شروط وآراء في اختيار المدرسين الناجحين. وتقديراً له، فقد توالى عليه الرتب الرفيعة والأوسمة السلطانية، حيث حاز على ثقة السلطان عبد الحميد الثاني الذي أغدق عليه رتبة كبير المدرسين، وكذلك منحه السلطان وحيد الدين الوسام المجيدي من الدرجة الأولى^(٤٣).

كانت أولى وزارات المعارف على عهد الوزارة النقيببة الأولى بصفة (الحكومة المؤقتة)، التي تشكلت في ٢٥/ تشرين الأول / ١٩٢٠، تحت نظارة المندوب السامي البريطاني السير برسي كوكس، حيث أسندت وزارة المعارف إلى السيد عزت الكركولي^(٤٤)، في ٢٥/ تشرين الثاني / ١٩٢٠، بعد مرور أربعة أشهر، صدر الأمر الوزاري بتعيين السيد محمد مهدي بحر العلوم^{(٤٥)(٤٦)}، وزيراً للمعارف تحت رقم ١١٣ - ٤٣ في ١٩٢١/٢/٢٢ م^(٤٧).

٤١- أحمد رفيق البرقاي، العلاقات السياسية بين العراق وبريطانيا، مصدر سابق، ص ١٦.

٤٢- هو السيد عبد الرحمن النقيب بن السيد علي النقيب، ولد في بغداد، محلة الأرج (باب الشيخ عبد القادر الكيلاني)، سنة ١٢٦١هـ، ولقب بالقادري المحض أشاره إلى أن كلا والديه قاديان منسوبان إلى الشيخ عبد القادر الكيلاني، وهو لقب كان النقيب يحرص عليه أشد الحرص على أستعماله في توقيعه أو ختمه. (خيري امين العمري، شخصيات عراقية، ج ١، ص ١٣).

٤٣- رجاء حسين الخطاب، عبد الرحمن النقيب، حياته الخاصة وآراؤه السياسية وعلاقته بمعاصريه، طبع الدار العربية، بغداد، ١٩٨٥م، ص ١٨.

٤٤- عزت الكركولي: هو عزت بن زينل بن علي آل صاري كهية، ولد في كركوك سنة ١٨٧٠، دخل المدرسة الرشدية العسكرية في بغداد، وتخرج من المدرسة الحربية في أستانبول عام ١٨٨٨م، وتدرج في المناصب العسكرية العثمانية حتى بلغ رتبة أمير لواء عام ١٩٠٥م، عُيِّن قائداً للحدود التركية - الإيرانية، ثم متصرفاً (محافظاً) للواء كركوك، ثم قائداً للفرقة الثامنة والثلاثين في البصرة، ثم تقلد منصب الوالي بالوكالة عام ١٩١٣م، أحيل على التقاعد عام ١٩١٤م، وبعد احتلال البريطانيين للعراق عين وزيراً للمعارف، وكان أول وزير للمعارف في أول حكومة عراقية شكلها عبد الرحمن النقيب عام ١٩٢٠م، ثم وزيراً للنافعة التي سميت بوزارة الأشغال والمواصلات عام ١٩٢١م، أستقال من الوزارة في ١ نيسان ١٩٢٢، وفي ٢٤ تشرين الأول ١٩٢٢ أنتخب عضواً في المجلس التأسيسي العراقي، توفي في بغداد في ٢٠ تشرين الأول ١٩٣٢ ودفن في مسقط رأسه كركوك. (راجع: مير بصيري، أعلام التركمان والأدب التركي في العراق الحديث، دار الوراق، لندن، ١٩٩٧م، ص ٩٥-٩٦.

٤٥- محمد بحر العلوم: من وجهاء كربلاء، له دور ريادي في الوسط السياسي، عين عضواً في إدارة مجلس كربلاء عام ١٩٠٨ على العهد العثماني، ثم عضواً في الإدارة المحلية للواء كربلاء عام ١٩١٥ على عهد الاحتلال البريطاني للعراق ثم أصبح وزيراً للمعارف في حكومة عبد الرحمن النقيب في ٢٢ شباط ١٩٢١. (أنظر: عبد الصاحب نصر الله، بيوتات كربلاء القديمة، دار البلاغ، سوريا، دمشق، سنة الطبع ٢٠٠٥م، ص ١٢٨.

٤٦- عبد الصاحب نصر الله، بيوتات كربلاء القديمة، دار البلاغ، دمشق - سوريا، سنة الطبع ٢٠٠٥م، ص ١٢٨.

٤٧- عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج ١، مطبعة العرفان، صيدا، لبنان، ١٩٦٥م، ص ٨.

وأستمر بحر العلوم وزيراً للمعارف حتى أستقالة الوزارة في ٣ / آب / ١٩٢١ حيث أمضى فيها قرابة ستة أشهر بعد أن أخلف السيد عزت الكركولي لوزارة المعارف، وصدر أمر وزاري بتعيين الكركولي وزيراً للنفاة التي تغير أسمها إلى وزارة الأشغال والمواصلات في ٢٩ / كانون الثاني / ١٩٢١م^(٤٨).

إنَّ الملاحظ على هذين الوزيرين اللذين تسلما مهمة وزارة المعارف على عهد الاحتلال البريطاني، لم يمتلكا شيئاً من مقومات التعليم والمعارف ذات الطابع المهني والأكاديمي لمسك أكبر مؤسسة تعليمية في العراق ألا وهي وزارة المعارف، فالوزير الأول ضابط عسكري، قضى معظم حياته العسكرية لخدمة الدولة العثمانية، والوزير الثاني، رجل دين من خريجي الدورات الدينية ومايصطلح عليه بخريجي (الأفياء الدينية)، والمقصود بها كتلك التي تنظم على شكل حلقات دراسية في الصحن الحيدري الشريف في النجف الاشرف.

فهما بعيدان والحال هذا عن الخبرة المهنية والأكاديمية لإدارة مؤسسة وزارة المعارف، فضلاً عن قصر المدة الوزارية التي عمل بها الوزيران.

فالوزير الكركولي عمل في الوزارة لمدة أربعة أشهر وبحر العلوم عمل في الوزارة لمدة ستة أشهر، فلم تستطع الوزارة تحقيق ما تصبو إليه من أهداف تربوية عامة ترقى إلى المستوى المهني والأكاديمي الموجود لدفع عجلة التعليم والمعارف نحو مسارٍ أفضل.

المبحث الثالث: التعليم والمعارف على عهد الملك فيصل الأول

حين تولى المرحوم الملك فيصل الأول مهمة مسؤولية العراق كملك مقيد بالدستور في ٢٣ / آب / ١٩٢١، كان الوضع التربوي في العراق هشاً، حاله كحال دول المنطقة التي تحيطه وعلى الرغم من الأثر العلمي الكبير الذي تركه كبلد وكشعب في قرون مضت، سواءً قبل الإسلام أو بعده. وفي فترات متقدمة من الوجود البشري على الأرض، كان للعراق دور الريادة فيه كبقعة أرض شهدت أولى التجمعات السكانية في العالم، ومع أنتهاء الحكم العثماني كانت المدارس في العراق قليلة، وفيه الكتائب التي يطلق عليها بـ(المِلَّة) وهو النشاط الثقافي السائد في أغلب مدن العراق، مع وجود مدارس قليلة منتشرة هنا وهناك لتعليم أبناء العراق، والمقصورة على أبناء الذوات منهم على وجه الخصوص، ومع ذلك لا يمكن أن ننكر ما لدور مدرسة الحقوق، التي كانت أولى كليات جامعة بغداد، حيث تأسست المدرسة سنة ١٩٠٨م، وكان لها دورها الكبير، حيث تخرجت من بين صفوفها العديد من الرموز الحقوقية والقانونية التي كان لها شأنها فيما بعد^(٤٩).

٤٨ - ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، مصدر سابق، ص ٧٣-٧٤.

٤٩ - جريدة الصباح، العدد الصادر في ١٥ كانون الثاني ٢٠١٣م تحت عنوان (التربية والتعليم في العهد الملكي)، بقلم الدكتور علي العكيدي.

في عام ١٩٢١، أستدعى الملك فيصل الأول بشكل شخصي ساطع الحصري^(٥٠)، للعمل في سلك المعارف في العراق، لما له من باع طويل في مجال التعليم في أَسْطَنْبُول، جاء الحصري وأستلم مهامه كمعاون لوزير التربية في شباط ١٩٢١، وظل يعمل في سلك التعليم منتقلاً من وظيفة إلى أخرى، عرف عنه تربوياً ومفكراً، له العديد من البحوث والكتب والمجلات التي كان يحررها والتي تعني بالشؤون التربوية، سيما تلك التي تناقش طرق التدريس في المدارس الابتدائية.

كان الملك فيصل الأول قد أولى اهتماماً كبيراً للتعليم منذ توليه عرش العراق وكان يرى إن تقدم الأمم يتوقف تماماً على مستوى التعليم بأنواعه، لذلك فقد أولى اهتماماً متناهياً لنشر الثقافة والتعليم^(٥٢). وكان يعتقد أن نجاح العرب لا يمكن أن يتحقق بدون العلم، وظهر اهتمام الملك بالتعليم من خلال حديثه وممارساته العملية في هذا الجانب.

وكان أندفاعه ببناء جامعة آل البيت في عام ١٩٢٢م، من أوليات بُنات أفكاره، فوضع حجر الأساس لها بيده، وكانت إحدى الغايات الأساسية من أنشاء هذه الجامعة هو تقارب وجهات النظر بين المذاهب الإسلامية، ووضع حد للخلافات المذهبية الحقيقية والتي من شأنها تمزيق وحدة البلاد، وقال الملك بمناسبة وضع حجر الأساس: ((كل عمل لا يُشيد على أساس متين مثل هذا الأساس لا تقوم له قائمة، وها أي أضع حجر الأساس في أول جامعة تشاد في هذا البلد، وأأمل أن تقدرها الأمة العزيزة حق قدرها، وتعني بتأسيس الجامعات الكثيرة، أمثال هذه، وأرقى منها لتستعيد مجدها التاريخي القديم وتتسنم غابر عزها الخالي في العلم والأدب والفن))^(٥٣).

ويأتي اهتمام الملك فيصل الأول بالتعليم لأطلاعه على طبيعة التعليم المتدني في العراق، حيث أطلع على ملاحظات (هنري فوستر) المشرف على التعليم في العراق، حيث أكد أن الذين يقرأون ويكتبون لا تزيد نسبتهم أكثر من (١٠%) من مجموع الشعب العراقي، كما أن التعليم كان مقصوراً على الأطفال الذين يدرسون القرآن الكريم على أيدي (الملاي)، الذين يؤدون تعليمهم في بيوت ضيقة قديمة، أنتشرت

٥٠- ساطع الحصري: من مواليد ١٨٨٠م، في اليمن تلقى علومه في أَسْطَنْبُول تخرج من المدرسة الملكية عام ١٩٠٠، عين مدرساً في مدينة بانينا في اليونان، إلا إنه سرعان ما تخلى عن وظيفته كمدرس ليلتحق بالعمل الإداري، فعين قائممقام في قضاء (قوص أوة) (كوسنا).

تولى في أواخر ١٩٠٨م التعليم في عدة معاهد عليا، منها (دار الفنون، المدرسة الملكية الشاهانية، مدرسة الخلافة، دار المعلمين العالية).

أصدر مجلة (التربية) وأسس مدرسة خاصة باسم المدرسة الحديثة، التقى الملك فيصل الأول في حكومته السورية ليعينه مفتشاً عاماً للمعارف في ١٦ / نيسان / ١٩١٩م، ثم مديراً عاماً في ١ / آيار / ١٩١٩م - ٩ / آذار / ١٩٢٠م وصل إلى بغداد في شهر آب / ١٩٢١م، ليعمل موظفاً في وزارة المعارف العراقية ما بين عامي ١٩٢٢ - ١٩٤١م.

شغل عدة مناصب مهمة في التعليم، منها مديراً عاماً للتربية (١٩٢١ - ١٩٢٧م) وأستاذاً في معهد أعداد المعلمين العالي في ١ / آب / ١٩٢٧ - ٣٠ / أيلول / ١٩٣٠م، كما عمل مستشاراً لدى لجنة الثقافة في جامعة الدول العربية، حاضر في مجال التربية في جامعة القاهرة، وفي عام ١٩٥٣م عين أول مدير لمؤسسة الدراسات العربية العليا في عام ١٩٥٧م أحيل على التقاعد توفي في بغداد في ٢٤ / كانون الأول / ١٩٦٨م.

٥١- حسن لطيف الزبيدي، موسوعة السياسة العراقية، العارف للطبوعات، بيروت - لبنان، ٢٠١٣م، ص ٢٢٩.

٥٢- المركز الوطني للوثائق، وثائق البلاط الملكي، ت ١٨٥٦، رقم الملف ر ١ / ن سياسة التعليم، فتح الملف بتاريخ ١٩٢٤/٢/٥م، وأغلق في ١٩٢٩/٢/٢٧م.

٥٣- علاء جاسم محمد، الملك فيصل الأول ن حياته ودوره السياسي في الثورة العربية وسوريا والعراق، ١٨٨٣ - ١٩٣٣م، مطبعة الخلود، ط ١، بغداد، ١٩٩٠م، ص ٢٣٦.

في أزقة بغداد وباقي الألوية (المحافظات) وهناك بعض المدارس التي تهيء التلاميذ للدراسة العسكرية أو التعليم يقضونها في مدارس أسطنبول عاصمة الدولة العثمانية^(٥٤).

كان الملك فيصل الأول يرغب كثيراً في اختصار الزمن لدفع عجلة الثقافة والتعليم في العراق، فهو مقتنع أن وحدة المجتمع وتطوره تتطلب مواطناً مثقفاً، واعياً لواجباته الوطنية.

لقد أولى الثقافة والتعليم اهتماماً كبيراً من دون النظر إلى الإمكانيات الواقعية التي تحولت إلى عائق كبير أمام تحقيق طموحاته الواسعة في هذا المضمار الحيوي، لقد بلغت حماسة التعليم حداً جعلته يُصرّخ بقوله: ((لو لم أكن ملكاً لكنت معلماً))، ذلك إشارة إلى أنه ((لا حياة للأمة إلا برفع مستواها التعليمي والثقافي))^(٥٥).

وعلى الرغم من كل ذلك فإن ما تحقق في ميدان التعليم في عهد الملك فيصل الأول كان شيئاً محدوداً، وكان دون مستوى الطموح الفعلي لمتطلبات تطور المجتمع إلى حد كبير، وذلك بحكم عوامل خارجة عن إرادته، إلا إنه كان يمثل مع ذلك خطوة إلى الأمام بالقياس مع ما كان موجوداً قبل عهده، فللملك فيصل سجل أنجحاً بيانياً ثابتاً في الصعود.

ففي عام ١٩٢٠-١٩٢١ بلغ مجموع المدارس الابتدائية للذكور والإناث في العراق ٨٨ مدرسة، وعدد المعلمين والمعلمات ٤٨٦، وعدد التلاميذ ذكوراً وإناثاً (٨٠٠١)، فيما ارتفعت النسبة في الأرقام عام ١٩٢٢-١٩٢٥ إلى (٢٢١) مدرسة و (٨٠٠) معلم ومعلمة و (٢٠٦٤٥) تلميذ وتلميذة.

وعند رحيل الملك فيصل، كانت خلفية التعليم تشير إلى واقع (٤٥٠) مدرسة و (١٨٠٨) معلم ومعلمة و (٥٤٥٣٩) تلميذاً وتلميذة^(٥٦).

وفي سنة ١٩٢٧م افتتحت الكلية الطبية في بغداد، وتخرج منها عدد كبير من الأطباء وأوفد أكثرهم إلى أنكلترا للاختصاص، كالطبيب اليهودي كرجي ربيع وجاك عبود شابي ورؤوف داود، والبير حكيم والبير بصري وغيرهم^(٥٧).

على أن تفكير الملك فيصل الأول لم ينحصر على تطوير مراحل التعليم الابتدائي والثانوي حسب، بل تعداه إلى اهتمامه بالتعليم العالي والبحوث العلمية حيث أوفدت الحكومة العراقية أول بعثة علمية للدراسة في الخارج على نفقتها الخاصة وكان عدد أفرادها (٩) طلاب^(٥٨).

وفي الحقيقة أن التفكير على تطوير التعليم في العراق كانت جذوره نامية قبل مجيء الملك فيصل إلى العراق، ففكرة الاهتمام بالتعليم قد نشأت على أيدي الرموز الوطنية من رجالات العراق، والتي سعى إليها تجار ووجهاء بغداد ومدن العراق الأخرى إلى دعوة التعليم والتدريس وذلك بفعل التبرعات الأهلية لبناء المدارس والتي أستطاعت خلالها من بناء ثلاث مدارس برعاية مادية مدعومة من قبل التجار

٥٤- مأمون أمين زكي، أزدهار العراق تحت الحكم الملكي، ١٩٢١-١٩٥٨م، دار الحكمة، لندن، ٢٠١٣م، ص ٦٢.

٥٥- يوسف غنيم، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، مصدر سابق، ص ٢٩٩.

٥٦- باقر أمين الورد، حوادث بغداد في ١٢ قرن، ط ١، الدار العربية للطباعة، بغداد، ١٩٨٩م، ص ٢٧٨.

٥٧- ل. ن - كوتولوف، ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ١٩٧٥م، ص ٨٩.

٥٨- المركز الوطني للوثائق، وثائق البلاط الملكي، ت ٩٧٠، رقم الملف /ج/٦٩ (المؤتمرات اللغوية والتربوية والتعليمية).

والموسرين أمثال التاجر جعفر أبو التمن والشيخ يوسف السويدي وعلي البارزكان وسامي خوند و السيد محمد الصدر وحسني بابان وأحمد الداود وغيرهم من رموز (جمعية حرس الاستقلال) التي ناشدت باستقلال العراق من الهيمنة البريطانية^(٥٩).

كما يظهر اهتمام الملك فيصل الأول بالتعليم من خلال عقد المؤتمرات العلمية والتربوية، وفي عهده عقد أول مؤتمر تربوي عرفه العراق آنذاك في ١٠/نيسان/ ١٩٣٢ وأستمر لمدة أسبوع، حضره بنفسه، حيث القى فيه خطاباً تربوياً أشار فيه إلى أهميته وأعتبر مهمة التربويين أعظم من مهمة الملك ومهمة الوزير الذي يعمل في الدولة العراقية حيث قال:

((تأكدوا أن العمل الذي تقومون به هو أعظم من عمل الملك، وأعظم من عمل الوزير، وأن أي عمل تقوم به من أجل شعبنا لا يرتقي إلى مستوى العمل الذي يقوم به التربويون))^(٦٠).

لقد كان تحسين واستصلاح النظام التعليمي في العراق، من أهم أولويات القيادة الفيصلية، حيث أنصب التركيز على النهوض بالتعليم كعلاج لمعظم المشاكل الاجتماعية والاقتصادية في البلاد، وكان تدهور التعليم في بغداد ومدن العراق الأخرى يعزى لعدة أسباب، وأولى هذه الأسباب كان التدريس في العهد العثماني مقيداً باللغة التركية، الأمر الذي أبعد معظم سكان المجتمع الذين يتكلمون اللغة العربية عن التعليم، والسبب الثاني أن شريحة كبيرة من طبقة الأغنياء أزدت التعليم، بأعتبره وسيلة الفقراء والباحثين عن وظيفة حكومية، فهم مكثفون بالشراء والمال الموروث عن آبائهم، حيث الفكرة السائدة بينهم أن التعليم لا يليق بمكانتهم الاجتماعية^(٦١).

وحينما حلت اللغة العربية محل اللغة التركية بعد سنة ١٩٢١م كلغة أساسية للتعليم، هرع الكثير من الشباب والشرائح الاجتماعية الأخرى، للدخول في المدارس، ومن خلال ذلك فقد عمدت الدولة على تطوير مناهج التعليم، فأدخلت فيها دراسة التاريخ العربي الإسلامي، مؤكدة على الإنجازات الكبرى التي حققها العرب في تاريخهم القديم وأمتداداً لعهد رسول الله ﷺ - وعهود الخلافة الراشدة والدولتين الأموية والعباسية، وما تحقق من أنجازات كثيرة في مجال العلوم المختلفة كالطب وعلم الرياضيات والفلسفة وغيرها من العلوم الأخرى.

وبعد مرور عشر سنوات من عمر الدولة العراقية، أدخلت الدولة عدة تحسينات على نظام التعليم وبحلول عقد الثلاثينات، أصبحت مناهج مدارس العراق مشابة لنظام التعليم في بريطانيا، فقسمت مراحل التعليم إلى ثلاث مراحل، مرحلة الابتدائية ومدتها ٦ سنوات، ومرحلة المتوسطة ٣ سنوات، والمرحلة الثانوية سنتان^(٦٢).

٥٩- مأمون أمين زكي، أزدهار العراق تحت الحكم الملكي، مصدر سابق، ص ٦٢.

٦٠- جريدة الدستور، العدد / ٣٤٤١ - السنة الثانية عشر الصادرة في ٢٥ / آب / ٢٠١٥م.

٦١- فاهم نعمة أدریس، مجلة لغة العرب، دراسة فكرية سياسية، رسالة ماجستير، كلية الآداب - جامعة بغداد، ١٩٨٩م، ص ٣٩.

٦٢- ساطع الحصري، مذكراتي في العراق، ١٩٢٧-١٩٤١، ج ١، ط ١، دار الطليعة، بيروت - لبنان، ١٩٦٧، ص ٩٢.

التعليم النسوي من العهد العثماني إلى حكومة الملك فيصل الأول؛

نشرت جريدة الدستور^(٦٣)، مقالة حول النساء الرائدات في مجال التعليم على العهد الملكي، ضمن ما جاء فيه: ((مر التعليم النسوي في العراق بمراحل متعددة، متأثراً بعوامل السياسة والدين ففي حقبة الحكم العثماني لم تملك المرأة من وسائل التثقيف والتعليم شيئاً يُذكر، كونها كانت تعيش ظروفًا متخلفة فرضها عليها تخلف المجتمع نفسه، فلم تشهد هذه الحقبة سوى أعداداً قليلة من المدارس والكتاتيب التي أقتصرت على تعليم القراءة والكتابة، هذا إذا ما أستثنينا مدارس الأقليات غير المسلمة)).

في عام ١٩٠٨م قامت نظارة المعارف العثمانية بافتتاح ثلاث مدارس للإناث في بغداد، الأولى في جانب الكرخ، والثانية في محلة البارودية في الجانب الشرقي والثالثة في محلة باب الشيخ في الجانب الشرقي أيضاً.

ومع بداية سنوات الانتداب البريطاني على العراق، شهد عدة دعوات من السيدات المثقفات إلى حكومة الانتداب والتي تدعو إلى فتح مدارس أخرى للإناث، لكن هذه الدعوات شهدت تلكاً في استجابة الحكومة البريطانية، إلى أن قامت الست (زهرة خضر) بتخطي كل العقبات والمعوقات وأفتتحت مدرستها عام ١٩١٨م، وبلغ مجموع الطالبات فيها إلى (٤٠) طالبة، وقوبل عمل الست زهرة بالأعجاب لجرأتها وعزميتها في السعي، إلا إنها في ذات الوقت تعرضت للنقد الحاد من قبل المعارضين، ولم تتلق دعماً يذكر من حكومة الانتداب.

وأستمرت الست زهرة بالعمل في هذه المدرسة حتى العام ١٩٢٠م، عندما قامت (المس كروتيدبيل) بالحث لفتح مدرسة للإناث في الخامس والعشرين من كانون الثاني من العام المذكور والتي عرفت باسم (مدرسة الأناث الرسمية)، وعلى أثر ذلك قامت نظارة المعارف بالطلب من الست زهرة بغلق مدرستها وأنضمت لكادر المدرسة التدريسي الذي تكون من الست أرسيال خانم نائبة المديرية والمعلمات زهرة خضر، نظيرة خانم، صبرية خانم، هلن سعدي خانم، شلن سعدي خانم، أفتخار خانم، سادبلت خانم، وجميلة خانم.

لقد نجحت هذه المدرسة الأولى من نوعها والتي كانت تدرس مواد اللغة العربية واللغة الإنكليزية والحساب والتاريخ والجغرافية والتدبير المنزلي، وعلم حفظ الصحة والرياضة وعلوم القرآن، وأستطاعت أن تحقق أهدافها بفضل معلمات المدرسة الأمر الذي أسهم في تشجيع حكومة الانتداب على الاستمرار في هذا المنهج في ألوية العراق الأخرى.

ففي عام ١٩٢٠م تأسست مدرسة مماثلة في لواء الموصل، وثانية في لواء الديوانية وثالثة في بغداد في جانب الكرخ.

أستمر التصاعد النسبي في أعداد المدارس الابتدائية، لكن الأمر لم يسر على التعليم الثانوي الذي لم يشهد أفتتاح مدرسة ثانوية إلا في العام الدراسي ١٩٢٩-١٩٣٠ في لواء بغداد، ولم تنتم إليها في سنواتها الأولى سوى (١١) طالبة.

٦٣- المركز الوطني للوثائق، وثائق البلاط الملكي، رقم الملف /١٢٢ (مخبرات شتى)، فتح الملف في ٢١/٥/١٩٢٤ وأغلق في ٢٢/٤/١٩٢٥م.

ومن هنا نرى من المستحسن أن نشير إلى واحدة من رائدات التعليم الثانوي النسوي في العراق وهي السيدة (أمت السعيد) التي بذلت جهوداً كبيرة لتطوير أول مدرسة ثانوية للإناث في العراق، ثم أشرفت فيما بعد على شؤون التعليم النسوي في وزارة المعارف.

على أن وزارة المعارف قد واجهت مشكلة توفير الكادر التدريسي لهذه المدارس فقامت في عام ١٩٢١ بإنشاء صف للمعلمات في مدرسة البنات المركزية في بغداد، ثم تغير اسمه في وقت لاحق إلى دار المعلمات الأولية التي كانت تستقبل خريجات المدارس الابتدائية اللواتي يقضين في الدار سنتين دراسيتين، وضم الرعيل الأول من خريجات هذا الدار للطالبات، حسيبة الشيخ داود، فهيمة إبراهيم، مديحة توفيق برتو، نزهت حميد، مكية صالح، حسيبة نجيب، عفيفة توفيق، وصيفة لطفي، وصيفة واصف، مقبولة عزت، خديجة صالح، وجميلة علي.

لقد شهدت الحقبة التاريخية الممتدة من عام ١٩٣٢م وما بعدها تطورات سياسية واقتصادية واجتماعية، تركت أثرها الواضح على الوضع الاجتماعي للمرأة، فقد شهدت انعطافة جديدة في تاريخ التعليم النسوي، ونقطة تحول ملموسة في مسيرتها، التي لم تكن بالفرص التعليمية الممنوحة لها، بل سعت لطرق أبواب التعليم العالي، الذي كان مجرد التفكير بولوج هذا المضمار، يعني سيرها بطريق يحمل عقبات كثيرة، فالقبول بالكليات كان مقتصر على الذكور، وذلك لوضع المرأة الاجتماعي، فإذا ما فكرت الفتاة باكمال تعليمها العالي، اضطرت للسفر خارج العراق، اضطرت للسفر خارج العراق، على الرغم من أن قانون الكليات الأساسي لم يعارض انضمام الإناث للكليات، لكن المسؤولين (وأساتذة الكليات)، كانت تحكمهم العادات والتقاليد المتوارثة التي تعارض دراسة الإناث المختلطة مع البنين لذلك شهدت هذه الحقبة سفر عدد من الفتيات إلى خارج العراق لإكمال تعليمهن العالي، وهنا تسجل السيدة (مديحة صالح زكي) كأول عراقية رائدة، تسافر إلى خارج البلاد على نفقتها الخاصة، ففي عام ١٩٢٦م سافرت إلى فرنسا لدراسة طب الأسنان، وبعد عشرة أعوام، سافرت مرة أخرى للحصول على شهادة الدراسات العليا في طب الأسنان، وشهد العام المذكور ١٩٢٦م تحولاً آخر تمثل بسفر أول بعثة حكومية تضم سيدتان هما الرسامة السيدة (مديحة ياسين عمر) والسيدة (مارتا عساف)، على أن التطور الأكثر وضوحاً جاء في العام ١٩٣٣م من قبل الطالبة (ملك غنام) التي سجلت وبكل فخر كأول عراقية تدخل الكلية الطبية رغم العقبات الكثيرة التي لاقتها عند قبولها في الكلية.

يذكر والدها الصحفي الرائد (رزوق غنام) أنه تقدم بطلب عام ١٩٣٢ إلى عمادة كلية الطب لقبول ابنته، لكن طلبه قوبل بالرفض، فطرق بعدها أبواب مديرية صحة بغداد التي رفضت هي الأخرى الطلب الذي يُعدُّ الأول من نوعه، فما كان منه إلا أن يتشرف بمقابلة الملك فيصل الأول الذي أصدر بنفسه قراراً يقضي بقبول ابنته كأول طالبة في الكلية الطبية^(٦٤).

كما أهتم الملك فيصل الأول بالأدب والأدباء، وكان الأب أنستانس ماري الكرمليني في مقدمة مَنْ تكرموا من قبل الملك فيصل الأول الذي كان يبادل الرسائل، حيث أشترك الملك فيصل في مجلة الأب

الكرملي ودعمها مادياً ومعنوياً، تقديراً للجهود اللغوية والأدبية التي بذلها الكرملي في خدمة اللغة العربية (٦٥).

أما بالنسبة للحركة الفكرية والثقافية فقد أتصفت الحركة بطابعها التجديدي غير الثابت، فقد صدرت العديد من الصحف والمجلات والدوريات السنوية، ففي سنة ١٩٢٢م، صدرت جريدة المفيد للصحفي إبراهيم حلمي، وجريدة الحكومة العراقية، والتوحيد، ومجلة الزنبقة والتلميذ العراقي والوقائع العراقية وغيرها، وفي سنة ١٩٢٣م، صدرت جريدة بابل والبدائع وشط العرب والخزانة وليلى والمجلات الحقوقية. وفي سنة ١٩٢٤، صدرت مجلة الإصلاح والمعلمين، والكشاف العراقي وجرائد الحضارة واليقظة والشعب والعالم العربي وغيرها، وفي سنة ١٩٢٥م صدرت جرائد السياسة والعالم المصور، ومجلة ديار كردستان، والحامي وغيرها، وأخذت الصحف والمجلات تصدر بشكل متوالي ومتغير حتى وفاة الملك في ٨ / أيلول / ١٩٣٣م (٦٦).

وفي ١١ / آذار / ١٩٢٥م، بعث رئيس الديوان الملكي إلى عميد المعهد العلمي كتاباً يشير فيه إلى سرور وبهجة الملك فيصل الأول، بخصوص تأسيس المجمع اللغوي العلمي في العاصمة بغداد، وعبر عن تقديره العظيم للمشروع المقترح من قبل اللجنة العلمية في المعهد، وأبدى عطفه على كل ما يؤدي إلى خدمة اللغة العربية وتحديثها، متمنياً للفريق العلمي دوام التوفيق والنجاح (٦٧).

وزارات المعارف على عهد الملك فيصل الأول:

بلغت وزارات المعارف في العراق على عهد الملك فيصل الأول للفترة الممتدة من سنة ١٩٢١م ولغاية ١٩٣٣م، ست عشرة وزارة أصيلة تمثل التعليم والتربية في العراق وثلاث وزارات بالوكالة. كان ملاك الوزارة لا يعدو على (١٠) عشر وزراء بضمنهم رئيس الوزراء والوزارات هي:

١. وزارة الداخلية.
٢. وزارة الدفاع.
٣. وزارة المالية.
٤. وزارة العدل.
٥. وزارة المعارف.
٦. وزارة التجارة.
٧. وزارة الصحة.
٨. وزارة الأشغال العامة والمواصلات.
٩. وزارة الأوقاف (٦٨).

٦٥- موسوعة أعلام العرب، إصدارات بيت الحكمة، ج ١، ط ١، بغداد، سنة الطبع/٢٠٠٠، ص ٥٩٣-٥٩٤.

٦٦- عبد الرزاق الحسيني، تاريخ الوزارات العراقية، ج ١، مصدر سابق، ص ١٠١.

٦٧- محمد حسين الزبيدي، العراقيون المنفيون إلى جزيرة هنجام، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٥، ص ٤١.

٦٨- المصدر نفسه، ص ٤٨-٤٩.

لقد أسندت وزارة المعارف إلى السيد محمد علي هيبب الدين الشهرستاني^(٦٩)، من خلال حكومة عبد الرحمن النقيب الثانية على عهد الملك فيصل الأول، ثم عُلفت وزارة المعارف في مجلس الوزراء في حكومة عبد الرحمن النقيب الثالثة، ولم تذكر الأسباب المناسبة حتى أستقالته في ١٦ تشرين الثاني ١٩٢٢م سوى أن المرشح لها وهو الحاج عبد المحسن شلاش قد اعتذر لكثرة مشاغله^(٧٠).

وبشكل عام تبدو أن وزارة المعارف العراقية على عهد الملك الفيصلي، قد أتصفت بالقلق وعدم الاستقرار، وذلك لعدة أسباب، في مقدمتها قصر المدة الزمنية لتولي منصب الوزارة والذي بقي يتراوح بين الثلاثة أشهر والستة أشهر والسنة في أداء مهمتها كوزارة تربوية وتعليمية، فضلاً عن التدخل البريطاني السافر في شؤون الدولة العراقية الحديثة كالتدخل الذي حصل في وزارة عبد المحسن فهد السعدون الأولى من أجل تحقيق المصالح البريطانية في البلاد.

إنَّ ما ينعكس على مهام وزارة المعارف ينعكس تماماً على مهام الدولة العراقية في تشكيلها الوزاري الذي يفتقد الشيء الكثير من مقومات أسس الدولة الحديثة.

ومن هنا تولي منصب وزارة المعارف من قبل رجال تختلف نظرتهم وتجربتهم حيال مؤسسة خطيرة تهتم بشؤون التربية والتعليم والتقويم مثل وزارة المعارف، فضلاً عن انعكاسات شبخ الضغوط المباشرة وغير المباشرة من قبل السلطات البريطانية على حكومة العهد الجديد ((حكومة الملك فيصل الأول)).

بدأ الأنكليز يشعرون بأن عبد الرحمن النقيب لم يعد صالحاً لهم، وأن الموقف السياسي أصبح بحاجة إلى رجل قوي وحازم، أثر حركة مقاطعة انتخابات المجلس التأسيسي^(٧١)، فضلاً عن فشله في تأليف الوزارة الثالثة التي خلت من ترشيح ثلاث وزارات، في مقدمتها وزارة المعارف والتجارة والصحة.

وعلى أثر ذلك أشعر المندوب السامي البريطاني رئيس الوزراء برغبته ليقدم استقالته إلى الملك فيصل الأول في ١٦ تشرين الثاني ١٩٢٢م، فقبلها وعُهد بتشكيل الوزارة إلى عبد المحسن فهد السعدون في ١٨ تشرين الثاني ١٩٢٢م فألفها في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢٢م.

٦٩- السيد محمد علي هيبب الدين الشهرستاني (١٨٨٤-١٩٦٧م) ولد في سامراء في ٢٠ / آيار / ١٨٨٤م رحل إلى مدينة كربلاء، ثم قصد مدينة النجف عام ١٩٠٢م، لدراسة العلوم الدينية وتخرج من جامعة النجف الدينية، شب متنوراً وداعياً إلى الإصلاح، يُعَدُّ من رواد النهضة الفكرية الحديثة في العراق، في عام ١٩١٠ أصدر مجلة (العلم) قام بجولة في بعض الأقطار العربية والهند، وفي عام ١٩١٤ شارك مجاهداً ضد الاحتلال البريطاني للعراق، وأسهم بالكتابة وأصدار الفتاوى ضد الأنكليز، وشارك في ثورة العشرين، حتى قبض عليه في تشرين الأول من عام ١٩٢٠م وزج في السجن، وأصدرت حكومة الاحتلال ضده حكم الأعدام، ثم أطلق سراحه في حزيران ١٩٢١م.

عين وزيراً للمعارف في حكومة عبد الرحمن النقيب الثانية، ثم أسندت إليه رئاسة مجلس التمييز الجعفري في آب ١٩٢٣. أنتخب نائباً عن بغداد عام (١٩٣٤-١٩٣٥م) ثم أنصرف إلى البحث والتأليف، أنشأ مؤسسة ثقافية باسم مؤسسة الجوادين العامة، يرئسها طلاب العلم.

له مؤلفات عديدة منها روائع الفيوض في إصلاح فن العروض (١٩٠٨م)، والهيئة والأسلام (١٩١٠م)، ورسالة تحريم نقل الجنائز المتغيرة (١٩١١م)، وتوحيد أهل التوحيد (١٩٢٣م)، وما هو نوح البلاغة (١٩٤٠م)، والدلائل والمسائل في خمسة أجزاء (١٩٢٦-١٩٥٠م)، أنتقل إلى جوار ربه في بغداد في ٦ شباط ١٩٦٧م ودفن في الصحن الكاظمي الشريف. أنظر: موسوعة أعلام العرب، إصدارات بيت الحكمة، ج ١، ط ١، بغداد، العراق، ٢٠٠٠، ص ٥٩٣-٥٩٤.

٧٠- عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج ١، مصدر سابق، ص ٨٧-٨٨.

٧١- نزار توفيق سلطان الحسو، الصراع على السلطة في العهد الملكي - مصدر سابق، ص ١٥٨.

لقد عُرفَ عن السعدون بكونه صريحاً، لا يماري ولا يميل إلى المداراة والرياء، وهذا نابعٌ من تربيته البدوية التي شَبَّ عليها في طفولته فكان مهاباً في شخصيته ذات الصلابة والثبات. لقد كتبت مرة عنه المس بيل تقول: ((إن عبد المحسن بك السعدون من الذين أُحبهم أكثر من غيره، فهو رجلٌ شديد الرأي، غير هباب، ولا يتردد مطلقاً من أن يقول للملك أنه لا يتفق معه في الرأي إن اقتضى الأمر، وكثيراً ما كان يفعل))^(٧٢).

وبعد تنويع الأمير فيصل بن الحسين ملكاً على العراق في ٢٣ / اب / ١٩٢١ كانت أول وزارة للمعارف قد شغلها السيد هيبه الدين الشهرستاني بدعم من الملك فيصل الأول، وتولى مهامه الوزارية في حكومة عبد الرحمن النقيب الثانية وزيراً للمعارف في ١٢ ايلول ١٩٢١م وقد مارس مهمته الوزارية قرابة السنة، حتى استقال من منصبه الوزاري في ١٤ اب ١٩٢٢^(٧٣)، ولغرض الوقوف على ماهية وشكل وزارات المعارف على عهدي الاحتلال البريطاني وحكم الملك فيصل الأول، لا بد من رسم جدول زمني لتبيان طبيعة الممارسات المهنية، وما يمتلكه كل وزير من ثقافة ووعي سياسي تجاه الوطن المحتل، ثم الوقوف على طبيعة تشكيل الوزارات على عهد الملك فيصل الأول، وطياً جدول بأسماء وزراء المعارف وتاريخ تعيينهم، وفقاً للأرادة الملكية والمحدد التي مارسوا فيها عملهم الوزاري موضحاً بشكل موجز حياتهم السياسية والشخصية التي أمضوها مع الملك فيصل الأول.

أسماء وزراء المعارف وتاريخ تعيينهم ومدة بقائهم في الوزارة على عهد الاحتلال وعهد الملك فيصل الأول^(٧٤)

جدول رقم (١)

أسم الوزير	تاريخ تعيينه في الوزارة	مدة بقائه في الوزارة
عزت باشا الكركولي	٢٥ / تشرين الأول / ١٩٢٠	٤ أشهر
محمد مهدي بحر العلوم	٢٢ / ٢ / ١٩٢١	٦ أشهر
محمد علي هيبه الدين الشهرستاني	١٢ / ٩ / ١٩٢١	قرابة السنة
عبد الحسين الجلبي	٢٠ / ١١ / ١٩٢٢	سنة
محمد حسن أبو المحاسن	٣ / ١٢ / ١٩٢٣	قرابة ٤ أشهر
جعفر العسكري	رئيس وزراء إصالةً وزيراً للمعارف وكالة	٢ شهران وزيراً بالوكالة
محمد رضا الشبيبي	٢ / ٨ / ١٩٢٤	٧ أشهر

٧٢- شيخ العراقيين كاشف الغطاء، نظرات في معارف العراق، مطبعة دار النشر والتأليف، النجف الأشرف، سنة الطبع بلا، ص ١٨٧.

٧٣- المصدر نفسه، ص ١٨٩.

٧٤- نعيم يوسف صرافة، مبادئ التربية وتطور التعليم في العراق، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٥٦، ص ١٩٣.

عبد الحسين الجلي	١٩٢٥/٣/١٤	٣ أشهر
حكمت سليمان	١٩٢٥/٦/٢٦	شهرًا واحدًا
عبد الحسين الجلي	١٩٢٥/٧/٢٥	٣ أشهر
عبد المهدي المنتفكي	١٩٢٦/١١/٢١ م	٦ أشهر
محمد أمين زكي	١٩٢٧/٦/٨	شهر واحد (بالوكالة)
ياسين الهاشمي	١٩٢٧/٧/١٣	٦ أشهر (بالوكالة)
توفيق السويدي	١٩٢٨/١/١٤	سنة
خالد سليمان	١٩٢٩/٤/٢٨	قراءة ٤ أشهر
عبد الحسين الجلي	١٩٢٩/٩/١٩	٢ شهران
عبد الحسين الجلي	١٩٢٩/١١/١٨	٣ أشهر
عبد الحسين الجلي	١٩٣٠/٣/٢٥	٧ أشهر
عباس مهدي البغدادي	١٩٣٢/١٢/٣	قراءة ٤ أشهر
عبد المهدي المنتفكي	١٩٣٣/٣/٣٠	٧ أشهر

الشهرستاني أول وزير معارف في عهد الملك فيصل الأول:

كان هيبب الدين الشهرستاني أول وزير للمعارف على عهد الملك فيصل الأول، حيث جاء تكليفه لوزارة المعارف من قبل الملك فيصل الأول فباشّر في محرم من سنة ١٣٤٠هـ، إلا إنه أصطدم بعقبات ومشاكل، تمثلت بالحروب والمآسي التي عانت منها البلاد، كالحرب العالمية الأولى ١٩١٤م، وما أعقبها من ثورات كثورة العشرين وما أعقبها من اضطهاد واحتلال، لقد عبّر مرة عن آلامه مستشهداً بقول المغفور له الملك فيصل الأول حيث قال:

((فلو كان جرحاً واحداً هان أمره، ولكنه جرح وثانٍ وثالث))، كما يذكر الشهرستاني قائلاً: تساندنا معاً لعلاج هذه الداءات جهد الإمكان، وجلالة الملك فيصل رحمه الله، كان قوة كبيرة وركناً مكيناً قد أعانني معاونة بالغة لا تنسى))^(٧٥).

منهج وسياسة وزارة المعارف على عهد الوزير الشهرستاني:

إنّ من أهم الخطى التي بدأها السيد الشهرستاني هي فحص المناهج الدراسية والدروس المطروحة على أبناء مدارس العراق، والقيام بالزيارات المتكررة إلى المدارس، ومتابعة الخبراء والمدراء، وتأليف مجالس المعارف في الألوية (المحافظات)، كان الشهرستاني يستعين بالمصرفين (الحافظين) في إقامة دعائم المعارف ورفع لوائها في كل لواء.

كما أهتم برعاية مجلس المعارف في بغداد، حيث ضمّ هذا المجلس المشاهير من الإعلاميين والأساتذة والمتقنين للاستفادة منهم ومن خبرتهم لدعم الحركة التربوية والتعليمية في البلاد، وقد ضم المجلس أكثر من

عشرين شخصية علمية ورائدة، منهم: معالي الشيخ محمد رضا الشبيبي والأستاذ يوسف عز الدين باشا و ساطع الحصري و الشيخ محمود شكري الألوسي، و فهمي المدرس والشاعر جميل صدقي الزهاوي والشاعر معروف عبد الغني الرصافي، والأب أنستانس ماري الكرملي وغيرهم^(٧٦).

وعلى الرغم من الضائقة المالية التي تعرضت لها البلاد، إلا أن وزارة المعارف الشهرستانية أستطاعت أن تقطع أشواطاً كبيرة في التشجيع على إرسال البعثات العلمية، حيث أوفدت أول بعثة علمية عراقية تضم (٩) طلاب إلى خارج البلاد، شملت دولاً عربية وأجنبية، منها (٥) خمسة طلاب إلى لبنان و (٣) طلاب إلى مصر و طالب واحد إلى أنكلترا.

ويشكل هذا الأيفاد أعلى نسبة مئوية من إيفادات الوزارات التي أعقبت وزارة الشهرستاني للفترة الممتدة من ١٩٢٢ - ولغاية ١٩٢٥^(٧٧).

ومن النشاطات العلمية التي أهتمت بها الوزارة، هو إنشاء (المعهد العلمي)، في بغداد، لتعليم الأميين ومكافحة الجهل والأمراض وقد أحييت الوزارة من خلاله حفلاً علمياً وأديباً أقيم في ٢٤ شباط ١٩٢٢ وأشترك فيه لفيف من الشعراء والأدباء، كما حضره وفود من الألوية العراقية كافة وشرفه الملك فيصل الأول بنفسه، ليكون حفلاً علمياً وأديباً قل نظيره في بغداد^(٧٨).

أستطاع الشهرستاني أن يُفعّل أيقاد الروح الوطنية من خلال أمور عديدة منها: إقصاء العناصر البريطانية التي زرعته سلطات الاحتلال، حيث الغى الكثير من الوظائف المهمة التي كانت بعهدة أقطاب الأنكليز، متخذاً من فرصة أنتهاء عقودهم والمدد التي عملوا بها مع التصريح لعدم وجود الحاجة لهم في مضمار عمل وزارة المعارف العراقية.

وجاء في منهج الوزارة ضرورة التأكيد على هذه الروح من خلال الأهتمام باللغة العربية والمناهج القومية والآداب الإسلامية.

كما أكدت الوزارة على ضرورة دراسة العقائد والتاريخ وتفسير الكتاب والأهتمام بالنواحي الوطنية، وذلك بتفعيل وأثارة الحماسة الوطنية في نفوس الطلاب والعناية البالغة بالأناشيد الوطنية حتى رفعت شعار ((لا حماية ولا وصاية كلها تعني الأسر))^(٧٩).

كما أهتمت وزارة المعارف بالحركة الكشفية للطلبة، والحركة الكشفية تعني الكثير في تحقيق مبادئها في مقدمتها أئتماء الشبيبة إلى تربة الوطن، وتعويدهم على الكفاح وروح المثابرة من أجل الأستقلال الوطني، وأكدت على رجال التعليم بضرورة بثها وتوسعتها، وتعد وزارة المعارف أولى الوزارات التي رعت الحركة الكشفية في العراق على عهد وزيرها الشهرستاني الذي كلف أساتذة أكفاء في هذا المجال مثل ساطع الحصري و جميل الراوي و نجيب الراوي وغيرهم ممن تشهد لهم الحركة التربوية في العراق^(٨٠).

٧٦- عبد الزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، مصدر سابق، ص ١٩٠.

٧٧- المصدر نفسه، ص ١٩١.

٧٨- مأمون أمين ركي، أزهار العراق تحت الحكم الملكي، مصدر سابق، ص ٦٧.

٧٩- شيخ العراقيين كاشف الغطاء، نظرات في معارف العراق، مصدر سابق، ص ١٩٢.

٨٠- المصدر نفسه، ص ١٩٣.

كما أستطاعت وزارة المعارف الشهرستانية أن تحقق هدفاً تربوياً مهماً من أجل بناء المجتمع المثقف الواعي، حيث أستطاعت أن تنشئ (٧٤) مدرسة ابتدائية خلال عام واحد، فأرتفع عدد المدارس من (٩٦) إلى (١٧٠) مدرسة ابتدائية وهي أعلى نسبة فاقت بها الوزارات على عهد الملك فيصل، و (٤) مدارس ثانوية شيدت لأول مرة في تاريخ التعليم^(٨١)، ثم أستطاعت الوزارة من تحريات ميزانية المعارف، والتي كان أغلبها ترحل إلى الموصل وكان مدير معارف الموصل (الكابتن الإنكليزي فارل) يصرف مالية المعارف على الأديرة والكنائس، تحت غطاء صرفها على المدارس، فتولدت مشاكل إدارية معقدة، إذ كان المستر فارل، يستقي آراءه من أرشادات المفتش المسيحي الموصل، فيسجلها طلبات بتوقيعه لأديرة الموصل، وفضلاً عن منصب المستر فارل كمدير لمعارف الموصل، فهو يحمل صفة وكالة نظارة المعارف العمومية في بغداد، ووكالة مستشار وزارة المعارف أيضاً.

يشير السيد الشهرستاني في قوله عن المستر فارل فيقول: كان هذا العنصر (المثلث الأضلاع) يطلب الطلبات من ناظر المعارف العام المتمثل في ذاته، ثم يحيلها إلى المستشار المتمثل في ذاته أيضاً، ثم يحملها إلى الوزير كمستشار لأقناعه، ويلح في تنفيذ الطلبات بتمام القوى وأصرار لا مزيد عليه^(٨٢).

ولما أعرض السيد الشهرستاني عن طلبات المستر فارل، باعتبارها مخالفة للأنظمة والتعليمات، رفع فارل شكوى إلى المندوب السامي البريطاني (السير برسي كوكس) ضد الشهرستاني وزير المعارف الذي طلب بأبعاد المستر فارل خارج العراق، وبجهود وطنية خيرة وقفت لتساند طلب السيد الشهرستاني وفي مقدمتهم المغفور له الملك فيصل الأول، حيث تم طلب السيد الشهرستاني مدعوماً من قرار المندوب السامي البريطاني بأبعاد المستر فارل خارج العراق، وهكذا أستطاع الشهرستاني أن يقضي على رأس الفساد المستشري في مديرية معارف الموصل^(٨٣).

أستقالة وزير المعارف الشهرستاني:

لقد أدرك السيد هيب الدين الشهرستاني وزير المعارف خطورة الموقف السياسي في العراق وما يترتب عليه من أتفاقيات بشأن عقد المعاهدة العراقية - البريطانية للعام ١٩٢٢م، وإيماناً منه بضرورة رفض هذه المعاهدة رفع أستقالته إلى رئيس الحكومة السيد عبد الرحمن النقيب في ١٤ / آب / ١٩٢٢م^(٨٤)، وعلى عهد وزارة ياسين الهاشمي لم تبّ سوى سبع مدارس ابتدائية من أصل (٢٢١) مدرسة ابتدائية لتصبح فيما بعد (٢٢٨) مدرسة موزعة على ألوية العراق ونواحيه، حيث التحق إليها (٢٠٦٥٤) تلميذاً، وعلى عهد وزارة عبد المحسن السعدون الثانية و وزارة ناجي السويدي لم تبّ سوى سبع مدارس أيضاً^(٨٥).

٨١- عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، مصدر سابق، ج١، ص١٠٢.

٨٢- مأمون أمين زكي، أزدهار العراق تحت الحكم الملكي - مصدر سابق، ص٦٧.

٨٣- مجلة آفاق عربية، العدد ٧، السنة الثامنة - آذار ١٩٨٣، من مقالة للدكتور كمال مظهر احمد (العراق في سنوات الأزمة الاقتصادية العالمية ١٩٢٩-١٩٣٣)، ص١٩.

٨٤- نزار توفيق سلطان الحسو، الصراع على السلطة في العراق الملكي - مصدر سابق، ص٢١٦.

٨٥- ينظر جدول رقم (٢) الخاص بمستوى التعليم الابتدائي في العراق بين ١٩٢٠-١٩٣٠.

أما في عهد نوري السعيد، فقد بنيت (٢٠) عشرون مدرسة) ابتدائية، التحق إليها (٣٠٨٨٨) تلميذاً في جميع أنحاء العراق^(٨٦).

ولعل الذي يلفت النظر إلى أن وزارة المعارف التي تولاهما السيد عبد الحسين الجلبي لم تستمر طويلاً، وأن معظم الفترات الزمنية التي مرت بها الوزارة لا تعدو على ثلاثة أشهر وأقصاها سنة واحدة، وبديهي أن مثل هذه الفترات لا تساعد الوزارة على أداء مهامها بشكل صحيح.

كما لا ننسى انعكاس آثار الأزمة الاقتصادية العالمية التي غزت العالم وتأثر بها العراق، حيث توفرت مجموعة من العوامل المساعدة، أدت إلى تفاقم الأزمة الاقتصادية في العراق، فمع احتلال العراق المباشر من قبل السلطات البريطانية في سنوات الحرب العالمية الأولى، ومن ثم فرض الانتداب عليه، ازداد ارتباطه بالسوق الرأسمالية العالمي، لاسيما بأسواق بريطانيا ومستعمراتها، فلغاية ١٩٢٧م تضاعفت قيمة واردات العراق للبلدان الرأسمالية قياساً مع وارداته منها سنة ١٩١٣م، فالعراق لم يكن بوسعه أن يبقى بمعزل عن آثار الأزمة الاقتصادية العالمية التي هزت العالم بعنف في الفترة الواقعة بين ١٩٢٩-١٩٣٣م^(٨٧).

وزير المعارف عبد الحسين الجلبي^(٨٨) (ت ١٩٣٩) ومنهاج وزارته:

مارس عبد الحسين الجلبي مهمة وزارة المعارف لسبع حكومات وزارية، تراوحت مدة خدمته فيها بين السنة والسبعة أشهر والثلاثة أشهر، ويُعدُّ الجلبي الوزير الأكثر نصاباً في تولية وزارة المعارف العراقية على عهد الملك فيصل الأول^(٨٩).

وعلى الرغم من استمراره في منصب وزارة المعارف لعدة حكومات مختلفة، إلا أن وزارته لم تقطع أشواطاً متميزة في الأداء، وذلك بسبب قصر عمر الوزارة الذي كثيراً ما يؤثر على أداء عملها والتي يمكن أن تحقق الأهداف المرجوة من خلاله، بل كانت بطيئة التقدم، وعلى سبيل المثال استطاعت وزارته الأولى من بناء (٢٢) مدرسة ابتدائية خلال سنة التحق إليها (١٧٢٣٥) تلميذاً بزيادة (٢٠٤٠) تلميذاً على عدد تلاميذ الوزارة السابقة البالغ (١٥٢٧٥) في حين بلغ إنشاء المدارس الابتدائية على عهد وزارة الشهرستاني ثلاثة أضعاف ما قامت به وزارة الجلبي لتوزع على أלוياً ونواحي العراق (٣٨) ومن يدقق في عمل الوزارتين سيرى فرقاً عن منهاج وزارة الجلبي التي أكدت على نشر العلوم والمعارف كما جاء ذلك في البند السابع من منهاج وزارة عبد المحسن السعدون الأولى^(٩٠).

٨٦- مأمون أمين ركي، أزهدهار العراق تحت الحكم الملكي، مصدر سابق، ص ٦٦.

٨٧- عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية - مصدر سابق، ج ١، ص ١١٨.

٨٨- ولد عبد الحسين الجلبي في بغداد، وأستوزر لأول مرة وزارة المعارف في حكومة عبد المحسن فهد السعدون في ١٨/١٠/١٩٢٢ - ١٥/٢/١٩٢٣، وأسندت إليه وزارة المعارف في حكومة ياسين الهاشمي بعد أستقالة الشيخ محمد رضا الشبيبي في ٥/١٢/١٩٢٥ أحتجاجاً على إبرام اتفاقية النفط، كما شغل الجلبي منصب وزارة الاقتصاد والمواصلات في سنة ١٩٢٥ - ١٩٢٦، ووزيراً للزراعة سنة ١٩٢٧، ثم وزيراً للمعارف على عهد حكومة السعدون الثانية، والرابعة، كما مارس مهمة وزارة المعارف مع حكومة ناجي السويدي ١٩٣٠ ووزارة نوري السعيد الأولى ١٩٣١ والثانية ١٩٣٢، ووزارة علي جودة الأيوبي سنة ١٩٣٤ ووزارة جميل المدفعي الثالثة ١٩٣٤ توفي في بغداد في ١٠ آذار ١٩٣٩ (أنظر د. حسين لطيف الزبيدي، موسوعة السياسة العراقية، ص ٣٧٣).

٨٩- نعيم يوسف صرافة، مبادئ التربية وتطور التعليم في العراق، مصدر سابق، ص ١٩٣.

٩٠- موسوعة أعلام العرب، مصدر سابق، ج ١، ص ٤٥٤.

وزير المعارف محمد حسن أبو المحاسن^(٩١) (١٨٧٦ - ١٩٢٦ م) ومنهاج وزارته:

اِسْتَسَم منهاج وزارة أبي المحاسن، رغم قصر مدتها، إنها تركت أثراً متواضعاً في أداؤها الرسمي، فقد شيدت (٢٥) مدرسة أبتدائية ليلتحق بها ١٨٥٥٨ تلميذاً فضلاً عن إرسالها طلاب البعثة العراقية خارج القطر، والبالغ عددهم ٨ طلاب حيث أوفدتهم الوزارة إلى الجامعة الأمريكية في بيروت، لأكمال دراستهم هناك ثم عودتهم إلى الوطن ليعملوا في حقل الدوائر الرسمية في البلاد^(٩٢).

على أن وزارة أبي المحاسن لم تتخلص من النقد ممن عاصره، فقد أبدى الشاعر المعروف محمد مهدي البصير رأياً في وزارة أبي المحاسن قائلاً: إنَّ أبا المحاسن لم يكن ذا جدارة بالمنصب الوزاري، فأخفق أخفاقاً تاماً، بسبب أفتقاره إلى الخبرة الإدارية، فخرج من الوزارة في آب ١٩٢٤ م، كما أدعى البصير أن أبا المحاسن بقي موالياً للدولة العثمانية وإنَّ إيمانه ثابتاً بوجوب الأخلاص للدولة الإسلامية، وبقي أبو المحاسن متمسكاً بهذه العقيدة حتى جلاء آخر جندي عثماني من العراق^(٩٣).

وعلى عكس رأي البصير، جاء في منهاج وزارة جعفر العسكري الأولى إلى الملك فيصل الأول وفي فقرتها العاشرة من إن المعارف تعد من أهم الأمور في نجاح البلاد، ولذلك ستبذل الوزارة كل ما في وسعها لتنشيط العلوم والمعارف، وزيادة المدارس وتحسين حالتها، وأرسال البعثات إلى الجامعات الشهيرة في الخارج، وستسعى الوزارة لمراجعة الطرق الممكنة للوصول إلى هذه الغاية^(٩٤).

٩١- ولد الشيخ محمد حسن حمادي محسن الجناحي، الشهير ب(أبي المحاسن) في كربلاء، عام ١٨٧٦ م، تلقى علومه الدينية على يد علماء عصره، يعد من رجال الدين العاملين في حقل الثورة العراقية الكبرى التي أنبثت في ٣٠ حزيران ١٩٢٠، وقد مثل وجسد القيم الوطنية من خلال شعره وأدبه المعروف، في ديوانه المشهور بديوان أبي المحاسن. أدخل السجن من قبل السلطات البريطانية، ثم أطلق سراحه بعد أن أنتهت الثورة وكان ذلك في ٣١ آذار ١٩٢١. عين وزيراً للمعارف في وزارة جعفر العسكري الأولى في ٣ كانون الأول ١٩٢٣ بأرادة ملكية، أستقال من منصبه في ٢٧ آيار ١٩٢٤ مختلفاً مع الوزارة بسبب المعاهدة العراقية - البريطانية والتوقيع على بنودها في المجلس الوزاري. توفي في ٢٤ حزيران ١٩٢٦ ودفن في الصحن الحيدري الشريف في النجف الأشرف. أنظر: د. حسن لطيف الزبيدي، موسوعة السياسة العراقية، ص ٥٤٤.

٩٢- عبد الرزاق الحسيني، تاريخ الوزارات العراقية، مصدر سابق، ج ١، ص ١٤٩.

٩٣- المصدر نفسه، ص ٢١٣-٢١٤.

٩٤- حمود الحمادي، الشبيبي الكبير، حياته وأدبه، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، العراق، سنة الطبع ١٩٧٢، ص ٨٦.

وزير المعارف محمد رضا الشبيبي^(٩٥) (١٨٨٨ - ١٩٦٥ م) ومنهاج وزارته:

ترشح الشيخ محمد رضا الشبيبي وزيراً للمعارف في حكومة ياسين الهاشمي الأولى ٢ / آب / ١٩٢٤ وقررت وزارته طرح منهاجها العلمي جاء فيه:

ضرورة العمل على أنماض البلاد نهضة علمية سريعة، وكذلك العمل بسجاياء الأمة وأخلاقيها، وشخصيتها التاريخية المرموقة، كأساس للنهضة المشار إليها، ولذلك يجب فحص مناهج التدريس والتعليم وكتبه الحاضرة وإصلاحها وفقاً لأصالح التجارب وأحدث الاختبارات، وتعميم التعليم الابتدائي، وجعله اجبارياً قدر المستطاع، ونشر العلم حباً بالعلم نفسه لا حباً بالخدمة والمنفعة الذاتية الصادرة بفعله فقط وصرف الاهتمام إلى تهذيب النفوس والأخلاق، وأنعاش التعليم الأهلي ومساعدته ودعمه على التوسع والانتشار، وضرورة مشاركة الأهالي في عملية الإشراف والمتابعة على شؤون التربية والتعليم، والتأكيد على إرسال البعثات العلمية، خصوصاً الصناعية، والمبادرة إلى فتح مدرستي الطب والزراعة، والصناعة والاستمرار على إرساد المبالغ الكافية ودعم ميزانية المعارف من أجل تحقيق الأهداف التربوية المنشودة^(٩٦).

إن وزارات المعارف العراقية شرعت بمحاولة أخذ وتطبيق النظم الحديثة في مناهجها وطرق تعليمها، إلا أن الاستعمار لم يتركها، إذ كان للمستشارين الأنكليز دور بارز في التوجيه والتأليف والتطبيق، وحينما ازداد اقبال الناس على التعليم الابتدائي والثانوي، ظهرت الحاجة لمعاهد أعداد المعلمين والمدرسين، ثم لم تقف البلاد عند هذا الحد، بل تطورت بتطور الحال الثقافي والصحي والاقتصادي والزراعي والعمراني، وأزاء هذا التطور بدأ التفكير في توسيع التعليم العالي، وخاصة بعد أن عاد لفيف من رجال الفكر العراقي من الخارج ليساهموا في توطيد الحكم الوطني في العراق، والتي كان نتائجها فكرة إنشاء جامعة عراقية والتي شجع عليها الملك فيصل الأول عام ١٩٢٢ م^(٩٧).

٩٥ - ولد الشيخ محمد رضا الشبيبي في مدينة النجف الأشرف من عام ١٨٨٨ م، الموافق ٦ / رمضان / ١٣٠٦ هـ. سياسي وشاعر وأديب ينحدر من أسرة علمية والده الشيخ محمد جواد بن شبيب الجزائري (نسبة إلى إقليم الجزائر جنوب العراق)، قاوم الاحتلال البريطاني حتى بعد إعلان الهدنة عام ١٩١٨ م، كما أشارت الوثائق الرسمية الوطنية العراقية - ساند ثورة النجف التي قادها الشهيد نجم البقال.

سعى إلى أستقلال العراق عن بريطانيا وأنشأ حكومة دستورية يرأسها أمير عربي، فكان له دور متميز في ذلك، حيث حمل رسائل الزعماء العراقيين إلى الشريف حسين بن علي، شريف مكة المكرمة، موضحاً له ما يعانيه الشعب العراقي جراء الاحتلال البريطاني.

أشترك في الثورة العراقية الكبرى في عام ١٩٢٠، في العام ١٩٢١ أرسل عليه الملك فيصل الأول ليمارس العملية السياسية في الدولة، إلا أنه أثر الانقطاع إلى التدريس والتأليف لثلاث سنوات مضت من عمر الدولة العراقية، وفي سنة ١٩٢٤ أصبح وزيراً للمعارف في وزارة ياسين الهاشمي الأولى، أستقال بعد (٧) أشهر من عمر الوزارة بسبب أنفاقية النفط التي عرضت عليه للتوقيع فرفضها جملة وتفصيلاً، أختير رئيساً لمجلس الأعيان عام ١٩٣٧ وتسمن منصب وزارة المعارف لأربع مرات (١٩٣٥ - ١٩٣٨ - ١٩٤١ - ١٩٤٨)، أصبح رئيساً لمجلس النواب العراقي عام ١٩٤٤، وفي العام ١٩٥٠ أنتخب نائباً، في العام ١٩٦٥ منح درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة القاهرة بمصر تقديراً لمواقفه الوطنية والعلمية، ترك أثراً ثقافياً كثيرة، منها: ديوان شعره عام (١٩٤٠)، مؤرخ العراق ابن الفوطي ٢-١ (١٩٥٠ - ١٩٥٩ م)، تراثنا الفلسفي، حاجته إلى النقد والتمحيص (١٩٦٥ م)، فضلاً عن مخطوطات كثيرة ومتنوعة في مجال اللغة والأدب والشعر والسياسة والدراسات الفلسفية والدينية، قال عنه أحمد حسن الزيات في مجمع اللغة العربية (١٩٦٥ م): ((إنه كان لا ينافق ولا يداهن ولا يمالق ولا يداجن)). أنظر: موسوعة أعلام العرب، ج ١، ص ٤٦٧ - ٤٦٨.

٩٦ - المصدر السابق نفسه، ص ٨٧.

٩٧ - عبد الرزاق الحسيني، تاريخ الوزارات العراقية، مصدر سابق، ج ٢، ص ٥.

وكان لرجال التربية والتعليم جهود متميزة رفدوا العملية التربوية والعلمية في العراق، من أمثال الشيخ محمد رضا الشبيبي وفاضل الجمالي وصادق البصام وعبد المهدي المنتفكي وتوفيق السويدي وياسين الهاشمي وغيرهم ممن تسلموا المسؤولية الوزارية، إضافة إلى آرائهم التربوية في توجيه التربية ونشر العلوم والأهتمامات بالمؤسسات العلمية كالمعاهد والجامعات، وكذلك الأهتمام بالتعليم الإلزامي والتأكيد على المعاهد والمدارس الصناعية والزراعية والطبية^(٩٨).

وزير المعارف حكمت سليمان^(٩٩) ومنهاج وزارته (١٨٨٩-١٩٦٤م):

ترشح حكمت سليمان وزيراً للمعارف على عهد حكومة عبد المحسن فهد السعدون الثانية التي تألفت في يوم ٢٦ / حزيران / ١٩٢٥، وأستصدرت إرادة ملكية بدعوة مجلس الأمة إلى عقد اجتماع غير إعتيادي في ١٦ تموز ١٩٢٥ ليلقي الملك فيصل الأول خطاب العرش الذي يتضمن منهاج الوزارة، إلا إن وزارة السعدون الثانية أكتفت بخطاب العرش، ولم تعلن عن منهج وزارتها^(١٠٠).

وجاءت الإرادة الملكية تحت رقم (٥٦٤) بتعين حكمت سليمان وزيراً للمعارف ووزيراً للداخلية فيما بعد، وأنيطت مهمة وزارة المعارف إلى عبد الحسين الجلي بالارادة الملكية المرقمة (٥٦٥) بدلاً من حكمت سليمان^(١٠١).

والملاحظ على وزارته لم تأخذ دوراً فاعلاً، بسبب التغيرات الحاصلة في وزارة السعدون، فالوزراء غالباً ما يكلفوا بأكثر من وزارة في الأصل والوكالة فيصبح الوزير مثقلاً بأكثر من مهمة وزارية فتضيع الجهود المكلف بها.

٩٨- المصدر نفسه، ص ٢١.

٩٩- وزير سابق ورئيس وزراء، ولد حكمت بن سليمان بن فائق بن الحاج طالب كهية في بغداد عام ١٨٨٩ من عائلة تركية (مملوكية الأصل) ومن أم شركسية، أنهى دراسته الإعدادية في بغداد وغادر إلى الأستانة عام ١٩٠٧م. عاد إلى بغداد بعد الحرب العالمية الأولى ليعين مديراً عاماً للبريد في عام ١٩٢٢ ثم وزيراً للمعارف في عام ١٩٢٥ في حكومة عبد المحسن السعدون، ثم أنتخب رئيساً لمجلس النواب ووزيراً للعدلية في عام ١٩٢٨، ثم وزيراً للداخلية في حكومة رشيد عالي الكيلاني في عام ١٩٣٣، عرف بنشاطه السياسي في (حزب الأخاء الوطني) الف وزارة واحدة في ٢٩ تشرين الأول ١٩٣٦، أهتمته حكومة نوري السعيد بتأميره على قتل الأمير عبد الآله، وحكم عليه بالأعدام إلا أن الملك غازي الأول أبدل حكم الأعدام بالسجن لمدة خمس سنوات، ومكث سجيناً حتى قيام حركة رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١ حيث أطلق سراحه من قبل الكيلاني فسافر إلى إيران، ثم عاد إلى بغداد بعد شهرين، فأعتزل السياسة حتى وفاته في بغداد في ٦ حزيران ١٩٦٤م. أنظر: د. حسن لطيف الزبيدي، موسوعة السياسة العراقية، ص ٢٤١-٢٤٢.

١٠٠- محاضر مجلس النواب العراقي، الدورة الانتخابية الأولى لسنة ١٩٢٦م، ص ١٤.

١٠١- عبد الزراق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، مصدر سابق، ج ٢، ص ٩٣.

وزير المعارف عبد المهدي المنتفكي^(١٠٢) ومنهجا وزارته (١٨٨٩-١٩٢٧م):

ترشح عبد المهدي المنتفكي وزيراً للمعارف على عهد حكومة جعفر العسكري الثانية في ٢١ تشرين الثاني ١٩٢٦، وقد ورد في منهجا وزارته تأكيدات على ترقية المستوى العلمي وتحسين المناهج وتسهيل مهمة التعليم وتعميمه على مختلف أرجاء القطر، فضلاً على التأكيد على إنشاء المعاهد والمدارس الدينية^(١٠٣).

أستقالت وزارته في ١٩٢٧/٦/٨م، ليشرح محمد أمين زكي وزيراً للمعارف لبقى شهراً واحداً ثم أستقال، ورشح ياسين الهاشمي وزيراً في ١٩٢٧/٧/١٣م، ثم أستقال في ١٩٢٧/١٢/١٨م، وسبب أستقالة المنتفكي يعود إلى أختلافه مع الوزارة في موضوع قانون الدفاع الوطني^(١٠٤).

١٠٢- أسمه عبد المهدي حسن عيسى آل شير، ولد في قضاء الشطرة التابع إلى مدينة الناصرية في عام ١٨٨٩م، ثم أنتقل إلى مدينة النجف الأشرف لدراسة العلوم الدينية، أعتقله البريطانيون بأمر من المستشار البريطاني حاكم لواء المنتفك. أنتخب نائباً عن المنتفك عام ١٩٢٥م، في الدورة الانتخابية الأولى، ثم نائباً عن المنتفك في الدورة الانتخابية الثانية عام ١٩٢٨ وفي الدورة الرابعة ١٩٣٣ ثم السادسة ١٩٣٥ والثانية ١٩٣٧م. وفي ٢٥ تشرين الثاني ١٩٤١ أختير عضواً في مجلس الأعيان، وجددت عضويته في ٢٤ تشرين الثاني ١٩٤٩ ثم جددت في ١٩٥٧.

أختير وزيراً للمعارف مرتين (١٩٢٦، ١٩٣٣)، والأقتصاد مرتين (١٩٤١-١٩٤٢م)، والأشغال العامة والمواصلات مرتين (١٩٤٢-١٩٥٠).

حاول تأسيس حزب سياسي معارض لوزارة عبد المحسن فهد السعدون الثانية عام ١٩٢٦ بالتعاون مع محمد باقر الشبيبي، إلا إنهما فشلا في ذلك، إنضم إلى عدة أحزاب منها (حزب الشعب) الذي ألفه ياسين الهاشمي أواخر عام ١٩٢٥، ثم أنضم إلى (حزب العهد) حزب نوري السعيد عام ١٩٣٠، ثم أنضم إلى (حزب الأخاء الوطني)، في عام ١٩٣١، وفي العام ١٩٥١ أنضم إلى (حزب الأمة الاشتراكي) الذي ألفه صالح جبر.

وبعد سقوط الملكية في العراق، حجزت الدولة جميع أملاكه وعقاراته، إلا إنه لم يقدم للمحكمة العسكرية العليا الشهيرة (بمحكمة الشعب) أو (محكمة المهداوي)، ثم رفع الحجز عن أملاكه عام ١٩٦٠، عاش بعد ذلك معتزلاً السياسة حتى وفاته في ١٣ تشرين الأول ١٩٧١ في بغداد، ودفن في النجف. أنظر: د. حسن لطيف الزبيدي، موسوعة السياسة العراقية، ص ٤٠٥.

١٠٣- المصدر نفسه، ص ١٤٧.

١٠٤- شيخ العراقيين كاشف الغطاء، نظرات في معارف العراق، مصدر سابق، ص ٩٩.

وزير المعارف توفيق السويدي^(١٠٥) ومنهاج وزارته:

ترشح توفيق السويدي وزيراً للمعارف على عهد حكومة عبد المحسن فهد السعدون الثالثة التي صدرت فيها الأرادة الملكية في ١٤ كانون الثاني ١٩٢٨.

وجاء منهاج الوزارة من أنها ستبذل الجهد لبناء المدارس والاكتثار من الابنية التي تتطلبها حاجة الدولة، وستعمل على انخاض البلاد برفع مستواها العلمي والأدبي وتساعد على بث العلوم الصحيحة، ومبادئ الحضارة الحديثة، كما تتخذ التدابير اللازمة إلى جعل منهاج التعليم منطبقة على الحاجات المتحققة، مع اكمال النواقص المشهودة بالتطبيق، وتسعى إلى إيجاد منابع وواردات تؤمن المعارف وذلك للأكتثار من المدارس الابتدائية وتعميم فوائدها في البلاد^(١٠٦).

وللسويدي رأي في وزارة المعارف وطريقة أداء دوائرها العامة، حيث يقول: عندما أستلمت وزارة المعارف في ٨ / شباط / ١٩٢٨م، كنت قد فهِمت من الإحصاءات الموجودة في الوزارة أن عدد طلاب المدارس الأميرية وغير الأميرية في العراق لا يتجاوز الأحد عشر ألف طالب، ولكن الأسس التي وضعها الأستاذ ساطع الحصري قبل مجيئي إلى الوزارة وإن كانت كثيرة الفائدة، إلا إنها لم تأت أكلها بعد.

كما أن أستبدال مستشار المعارف البريطاني (المستر فارل) الذي كانت ميوله سياسية أكثر مما هي علمية بمستشار جديد هو المستر (لا ينل سمث) الكثير الأطلاع في العمل التربوي، جعلني في أمل قوي من أن تحصل البلاد وعلى توسع في معارفها وثقافتها، وبالرغم من الآمال الواسعة كان لزاماً على أن أبادر إلى تنظيم وزارة المعارف وشعبها على أسس علمية جديدة، إذ لم أجد فيها عند أستلامي المسؤولية سوى دوائر بسيطة، وعدد قليل من الموظفين، ونظام بسيط أسموه نظام وزارة المعارف وهو مكتوب باللغة الإنكليزية، وقد تُرجم إلى العربية بلغة ركيكة، لا يتجاوز صفحة واحدة، وهو لا يتعرض إلى مسؤوليات وزارة المعارف، بل هو عبارة عن نظام أنضباطي بسيط، لا يستحق الأنشغال به، وكان وزير المعارف

١٠٥- وزير ورئيس وزراء سابق، أسمه توفيق يوسف السويدي، ولد في بغداد في ١ كانون الثاني ١٨٩٢، درس في مدرسة الأليانس والمدرسة السلطانية ثم التحق بمدرسة الحقوق البغدادية سنة ١٩٠٨م، وأكمل دراسته سنة ١٩١٢ ثم التحق بجامعة السوربون في باريس، في سنة ١٩١٨م، عُين قاضياً في مدينة دمشق في الحكومة السورية الفيصلية، وفي تشرين الأول من السنة نفسها ١٩١٨ أنضم إلى الجيش العربي في الشام، وعين معاوناً لحاكم الحقوق، ثم أستاذاً في معهد الحقوق عام ١٩١٩-١٩٢٠، عاد إلى العراق بعد سقوط حكومة فيصل في سوريا، فعين معاون مشاور وزارة العدلية في ١ / تشرين الثاني / ١٩٢١، في عام ١٩٢٢ مثل العراق في مؤتمر لوزان إلى جانب جعفر العسكري وأسندت إليه رئاسة كلية الحقوق، ومديرية العدلية العامة.

أستوزر لأول مرة وزيراً للمعارف في وزارة عبد المحسن السعدون الثالثة في ١٤ كانون الثاني ١٩٢٨، شكل ثلاث حكومات في أوقات مختلفة، في ٢٨ نيسان ١٩٢٩ شكل وزارته الأولى وفي ٢٣ شباط ١٩٤٦ شكل وزارته الثانية، وكان آخر عمل قام به هو إلغاء الأحكام العرفية والسماح بتأسيس الأحزاب السياسية، وحاول تعديل معاهدة ١٩٣٠ فلم تنسجم سياسته مع رغبة الوصي عبد الله، فأستقالت حكومته في ٣٠ آذار ١٩٤٦، وفي ٥ شباط ١٩٥٠ شكل حكومته الثالثة، ثم وزارة العدلية على عهد حكومة جميل المدفعي الثالثة سنة ١٩٣٥ والخارجية سنة ١٩٣٧-١٩٤١-١٩٥٣ ونائباً لرئيس الوزراء ١٩٤٣-١٩٤٤.

وعندما أنشئ الاتحاد العربي الهاشمي بين العراق والأردن، عين وزيراً لخارجية الاتحاد في ١٩ أيار ١٩٥٨. بعد الأطاحة بالحكم الملكي في العراق، أعتقل في يوم الانقلاب ١٤ تموز ١٩٥٨ وحُكمت عليه محكمة الشعب بالأنشغال الشاقة المؤبدة في ١٩ تشرين الثاني ١٩٥٨ أعفي عنه وأطلق سراحه بمناسبة حلول ذكرى ثورة ١٤ تموز ١٩٦١، أقام بقية حياته في بيروت حتى وفاته في ١٥ تشرين الأول ١٩٦٨ ونقل جثمانه إلى بغداد ليدفن فيها. أنظر: د. محمد حسن الزبيدي، موسوعة السياسة العراقية، ص ٤٤٧-٤٤٨.

١٠٦- شيخ العراقيين كاشف الغطاء، نظرات في معارف العراق، مصدر سابق، ص ٩٩.

السابق والموظفون والمستشار البريطاني مكتفين بالأعمال الجارية وفقاً لرغبتهم الشخصية، إذ لم أجد لديهم إقامة نظام واسع يشمل جميع فروع المعارف الذي يركز عليه النظام.

فبدأت بوضع أسس (قانون المعارف العامة)، وبعد أمرار هذا القانون من مجلس الأمة، بدأت بوضع أنظمة عديدة للتدريس العالي والثانوي والابتدائي والتفتيش العام والمدارس الأهلية. وقد شعرت حينئذٍ أن مهمة وزارة المعارف باتت في العراق صعبة جداً، لأن الرأي العام، كان يتطلب من الحكومة الاكثار من فتح المدارس وزيادة عدد الطلاب لأسرهم ببعثات علمية^(١٠٧).

وكان الوزراء يعتقدون، أن كل واحد منهم إذا أعلن أستعداده لزيادة لمخصصات وزارة المعارف، ليهدف الأكثار من المدارس وتشجيع البعثات العلمية، يكون قد أقرّ لنفسه سمعة حسنة وسجل عملاً جليلاً ليكتسب من ورائه الشهرة والصيت ولم يدر أن هذين الأمرين يتطلبان شروطاً لم تتوفر في البلد حتى تتحقق الأهداف التي تتواخاها وزارة المعارف.

فالأكثار من المدارس على اختلاف درجاتها أمر مرغوب فيه، ولكن يتطلب حياة اجتماعية مناسبة معه، ففي المدن والقرى المأهولة بالسكان كان من الممكن تنفيذ هذه السياسة فيها، ولكن الأرياف العراقية لا تزال خالية من تحقيق هذا الشرط، إذ لا يوجد فيها محلات لسكنى الطلاب، فكان الريف العراقي فقيراً ومتقهراً اجتماعياً وهذا ما يعرقل سير المعارف والأكثار من فتح المدارس.

كما أن إرسال البعثات العلمية يتطلب ثقافات أساسية تمكن الطالب من الإحاطة بالموضوعات الجامعية التي يرسل إليها وينبغي أن يُلمّ المأمراً كافياً بلغة أجنبية أو بلغة تلك الجامعة التي يرسل إليها.

وهذا لم يكن متوفراً قط، وقد حصل من جراء الدعاية السياسية غير الناضجة والتي دعا إليها الكثير من طالبي الشهرة والدعاية لأنفسهم باعتبارهم متعطشين إلى العلم والتعليم ونشره دون وسائط علمية حتى عكست هذه السياسة نتائج مضرّة كلفت الدولة نفقات طائلة، إلا إنهما لم تؤمن لها نتائج متناسبة مع تلك النفقات أما المعالجة التي يراها وزير المعارف توفيق السويدي فيقول:

إذا لم تسكن العشائر العراقية القرى والداكر وترتبط بالأرض ارتباطاً وثيقاً حتى ترتبط بدور الحكومة وتقدر قيمة التعليم، فلا مجال والحالة هذه إلى الاكثار من النفقات بأسم توسيع المعارف ونشرها ففي البلاد مشاكل عويصة ليس لها علاقة مباشرة بالمعارف، فأن لم تحل هذه المشاكل وتعالج على وجه صحيح، فلا اعتقد في إمكان أحد أن يطالب الحكومة بسياسة أحسن من السياسة التي نهجت عليها في المعارف حتى الآن^(١٠٨).

وزير المعارف خالد سليمان^(١٠٩) ومنهاج وزارته:

لم تتضح صورة منهاج الوزاري فيما يخص وزارة المعارف على عهد خالد سليمان، ذلك لأن منهاج الوزارة العام تركز على مناقشة الأمور السياسية التي طرحت على طاولة النقاش، وفي مقدمتها مسألة

١٠٧- عبد الرزاق الحسيني، تاريخ الوزارات العراقية، مصدر سابق، ج٢، ص٢٢٨.

١٠٨- نزار توفيق سلطان الحسو، الصراع على السلطة في العراق الملكي، مصدر سابق، ص٨٤.

١٠٩- من مواليد بغداد، تولى وزارة المعارف في حكومة توفيق السويدي الأولى في ٢٨ نيسان ١٩٢٩ ثم وزيراً للري والزراعة في حكومة ناجي السويدي في ١٨ تشرين الثاني ١٩٢٩ توفي في ١١ حزيران ١٩٤٥.

المعاهدات العراقية البريطانية لعام ١٩٢٢ ومعاهدة ١٩٢٧ ومسألة دخول العراق لعصبة الأمم، وأمور أخرى تتعلق بالأقتصاد والمالية والأمور الاجتماعية وتطُرقت وزارة السويدي الأولى بقولها ((إن أعمال التنقيف الهامة) هي من الامور المهمة، وهي بلا شك من جملة وظائف وزارتنا^(١١٠).
اتصفت وزارة خالد سليمان ببقائها في الوزارة لثلاثة أشهر فقط، وهي فترة قصيرة جداً^(١١١).

وزارة عباس مهدي البغدادي^(١١٢) ومنهاج وزارته:

ترشح السيد عباس مهدي البغدادي وزيراً للمعارف في وزارة ناجي شوكت في ٣ تشرين الثاني ١٩٣٢ وأوضح الوزارة أن منهاجها يعتمد على ما يأتي:
١. توسيع التعليم الأولي وجعله أكثر أنطباقاً على الحاجات المحلية.
٢. جعل منهاج التدريس كافة قابلة لتنمية روح الاعتماد على النفس، والعمل على توسيع التدابير الصحية في مكافحة الأمراض^(١١٣).
وزارة عباس مهدي لم تبلغ من الزمن سوى ثلاثة أشهر ونصف وهذه مدة قصيرة أيضاً.

وزارة عبد المهدي المنتفكي ومنهاج وزارته:

ترشح السيد عبد المهدي المنتفكي وزيراً للمعارف في حكومة رشيد عالي الكيلاني الأولى في ٢٠ آذار ١٩٣٣ وجاء في منهاج الوزارة فقرة (و) من البند الثاني تحت عنوان ((العناية بالتحاض الأمة وتحسين حالتها الأدبية والاجتماعية ورفع مستوى التهذيب في المدارس الثانوية والعالية، وتوسيع نطاق التعليم الابتدائي والأهتمام بترقية المدارس الصناعية، وزيادة الكفاءات العلمية والفنية وذلك بزيادة إرسال البعثات العلمية، وفتح المدارس القروية، ومدرستي الهندسة والزراعة، والعناية بمكافحة الأمية، وتقوية الكشافة بتوسيع تشكيلاتها))^(١١٤).

التعليم الابتدائي في العراق بين ١٩٢٠-١٩٣٠^(١١٥)

جدول رقم (٢)

ت	السنة الدراسية	عدد المدارس الابتدائية	عدد التلاميذ
١	١٩٢٠ - ١٩٢١	٨٤	٦٧٤٣
٢	١٩٢١ - ١٩٢٢	١٥١	١٥٢٧٥
٣	١٩٢٢ - ١٩٢٣	١٧٣	١٧٢٣٥
٤	١٩٢٣ - ١٩٢٤	١٩٨	١٨٥٥٨

١١٠- عبد الزقاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية - مصدر سابق، ج ٣، ص ٢٣٨.

١١١- شيخ العراقيين كاشف الغطاء، نظرات في معارف العراق، مصدر سابق، ص ٨٤.

١١٢- يعد السيد عباس مهدي البغدادي، أول وزير للمعارف العراقية في وزارة ناجي شوكت التي تألفت على عهد الاستقلال بتاريخ ٣ تشرين الثاني ١٩٣٢ عندما دخل العراق عصبة الأمم.

١١٣- مأمون أمين ركي، أزدهار العراق تحت الحكم الملكي، مصدر سابق، ص ٦٦.

١١٤- المصدر نفسه، ص ٦٧.

١١٥- مأمون أمين ركي، أزدهار العراق تحت الحكم الملكي، مصدر سابق، ص ٦٦.

٢٠٦٥٤	٢٢١	١٩٢٥-١٩٢٤	٥
٢٢٧١٢	٢٢٨	١٩٢٦-١٩٢٥	٦
٢٤١٧٠	٢٤٩	١٩٢٧-١٩٢٦	٧
٢٦٧٠٦	٢٦٤	١٩٢٨-١٩٢٧	٨
٢٨١٠٣	٢٧١	١٩٢٩-١٩٢٨	٩
٣٠٨٨٨	٢٩١	١٩٣٠-١٩٢٩	١٠

التعليم الثانوي في العراق بين ١٩٢٠-١٩٣٠^(٣٣)

يمكن لنا أن نتعرف على المستوى التعليمي في العراق والخاص بمرحلة المدارس الثانوية من خلال الجدول الأحصائي الآتي:

جدول رقم (٣)

ت	السنة الدراسية	عدد المدارس الثانوية	عدد الطلاب
١	١٩٢٠-١٩٢١	صفر	صفر
٢	١٩٢١-١٩٢٢	صفر	صفر
٣	١٩٢٢-١٩٢٣	٤	؟
٤	١٩٢٣-١٩٢٤	٤	٢٣٣
٥	١٩٢٤-١٩٢٥	٤	٣٢٦
٦	١٩٢٥-١٩٢٦	٥	٥٨٣
٧	١٩٢٦-١٩٢٧	٨	٧٢٩
٨	١٩٢٧-١٩٢٨	١١	١٠٨٦
٩	١٩٢٨-١٩٢٩	١٣	١٢٢٢
١٠	١٩٢٩-١٩٣٠	١٣	١٣٢٢

النسبة المئوية من خزانة الدولة المخصصة إلى التعليم بين سنة ١٩٢٠ ولغاية ١٩٣٠

جدول رقم (٤)

ت	السنة المالية	المبلغ المصروف	النسبة المئوية
١	١٩٢٠-١٩٢١	١٣٠,٣٦٠	٢,٣%
٢	١٩٢٤-١٩٢٥	١٧٠,٠٦٨	٣,٩%
٣	١٩٢٦-١٩٢٧	١٨٤,١٦٣	٤,٤%
٤	١٩٢٧-١٩٢٨	٢٠٥,٦٥٠	٥,٠%
٥	١٩٢٨-١٩٢٩	٢٣٢,٨٧٨	٥,٣%

٦	١٩٢٩ - ١٩٣٠	٢٧٠,٤٣٨	١,٦%

جدول احصائي لطلبة البعثات العراقية خارج العراق من سنة ١٩٢١- ١٩٣٣

جدول رقم (٥)

ت	السنة الدراسية	لبنان	مصر	انكلترا	امريكا	فرنسا	السويد	تركيا	المانيا	مجموع
١	١٩٢٢-١٩٢١	٥	٣	١	-	-	-	-	-	٩
٢	١٩٢٣-١٩٢٢	-	-	-	-	-	-	-	-	-
٣	١٩٢٤-١٩٢٣	٨	-	-	-	-	-	-	-	٨
٤	١٩٢٥-١٩٢٤	١	-	٣	-	-	-	-	-	٤
٥	١٩٢٦-١٩٢٥	٩	-	١٢	٥	-	-	-	-	٢٦
٦	١٩٢٧-١٩٢٦	٩	-	٩	٤	-	-	-	-	٢٢
٧	١٩٢٨-١٩٢٧	١٣	-	٨	٣	-	-	-	-	٢٤
٨	١٩٢٩-١٩٢٨	١٣	٥	١٤	٣	-	-	-	-	٣٥
٩	١٩٣٠-١٩٢٩	١٠	١٤	٥	١	١	١	-	-	٣٢
١٠	١٩٣١-١٩٣٠	٢٦	٤	٧	٤	-	-	-	-	٤١
١١	١٩٣٢-١٩٣١	٨	٣	٩	٥	٣	-	٢	٢	٣٢
١٢	١٩٣٣-١٩٣٢	١٣	٩	٦	١٩	٤	-	٣	٤	٥٨

ثبت المصادر والمراجع

١. أحمد جودة، تاريخ التربية والتعليم في العراق وأثره في الجانب السياسي ١٥٣٤ - ٢٠٠٩م، بغداد، سنة الطبع، ٢٠٠٩م.
٢. أحمد رفيق البرقاوي، العلاقات السياسية بين العراق وبريطانيا ١٩٢٢ - ١٩٣٢، منشورات دار الثقافة والأعلام، بغداد، ١٩٨٠.
٣. باقر أمين الورد، حوادث بغداد في ١٢ قرن، ط١، الدار العربية للطباعة، بغداد، ١٩٨٩م.
٤. حسن لطيف الزبيدي، موسوعة السياسة العراقية، العارف للطبوعات، بيروت - لبنان، ٢٠١٣م.
٥. حمود الحمادي، الشبيبي الكبير، حياته وأدبه، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، سنة الطبع ١٩٧٢.
٦. خالد قرطوش، التعليم في سوريا، نشأته وتطوره، ترجمة نزار أباطة، دمشق، سوريا، سنة الطبع ١٩٦٠.
٧. خليل كنة، العراق أمسه وغده، ط١، بيروت - لبنان، ١٩٦٦م.
٨. رجاء حسين حسني الخطاب، عبد الرحمن النقيب، حياته الخاصة وأراؤه السياسية وعلاقته بمعاصريه، طبع الدار العربية، بغداد، ١٩٨٥م.
٩. ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، بيروت، لبنان، سنة الطبع ١٩٦٠.

١٠. ساطع الحصري، مذكراتي في العراق، ١٩٢٧-١٩٤١، دار الطليعة، بيروت - لبنان، ١٩٦٧.
١١. شيخ العراقيين كاشف الغطاء، نظرات في معارف العراق، مطبعة دار النشر والتأليف، النجف الأشرف، سنة الطبع بلا.
١٢. عباس العزاوي، العراق بين أحتلالين، العهد العثماني الأول، طبع شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، سنة الطبع ١٩٤٩م.
١٣. عبد الرحمن البزاز، العراق من الأحتلال إلى الأستقلال، ط ٣، مطبعة العاني، بغداد، سنة الطبع، ١٩٦٧م.
١٤. عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، مطبعة العرفان، صيدا، لبنان، ١٩٦٥م.
١٥. عبد الصاحب نصر الله، بيوتات كربلاء القديمة، دار البلاغ، دمشق، سوريا، سنة الطبعة ٢٠٠٥م.
١٦. عبد الكريم محمد رؤوف القطان، مذكرات من جنوب العراق من الطفولة إلى المنفى، دار الساقى، بيروت، لبنان، سنة الطبعة ٢٠٠٥م.
١٧. علاء جاسم محمد، الملك فيصل الأول، حياته ودوره السياسي في الثورة العربية وسوريا والعراق، ١٨٨٣-١٩٣٣، مطبعة الخلود، ط ١، بغداد، ١٩٩٠م.
١٨. علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، دار الرشيد، بيروت، لبنان، ط ٢، ٢٠٠٥م.
١٩. عماد عبد السلام، المدنية العراقية، عن كتاب (حضارة العراق)، ج ١٠، تأليف نخبة من الباحثين العراقيين، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٨٥م.
٢٠. فيليب ويلارج أيرلاند، العراق دراسة في تطوره السياسي، ترجمة جعفر خياط، دار الراية البيضاء، بغداد سنة ١٩٤٩م.
٢١. كروتيد بيل، فصول من تأريخ العراق القريب، ترجمة جعفر خياط، ط ٢، بيروت - لبنان، سنة الطبعة ١٩٧١.
٢٢. ل - ن - كوتولوف، ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق، دار الفارابي، بيروت ن لبنان، ١٩٧٥م.
٢٣. اللجنة العلمية في وزارة التربية، التاريخ الحديث، مطبعة وزارة التربية، بغداد، ١٩٨٥م.
٢٤. اللجنة العلمية في وزارة التربية، العراق في التاريخ، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، سنة الطبع ١٩٨٣.
٢٥. مأمون أمين زكي، إزدهار العراق تحت الحكم الملكي، ١٩٢١-١٩٥٨، دار الحكمة، لندن، ٢٠١٣م.
٢٦. محمد حسين الزبيدي، العراقيون المنفيون إلى جزيرة هنجام، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٥م.
٢٧. موسوعة أعلام العرب، إصدارات بيت الحكمة، ط ١، بغداد، سنة الطبع ٢٠٠٠.
٢٨. مير بصيري، أعلام التركمان والأدب التركي في العراق الحديث، دار الوراق، لندن، ١٩٩٧م.

٢٩. نزار توفيق سلطان الحسو، الصراع على السلطة في العراق الملكي، ط ١، دار آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٤ م.
٣٠. نعيم يوسف صرفة، مبادئ التربية وتطور التعليم في العراق، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٥٦ م.
٣١. هنري فوستر، نشأة العراق الحديث، ترجمة وتعليق طه التكريتي، ط ١، عمان، الأردن، سنة الطبع ٢٠٠٦ م.
٣٢. يوسف غنيم، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، دار الوراق للنشر، لندن، سنة الطبع، ٢٠٠٩ م.

الوثائق والتقارير والمحاضر:

١. تقرير دائرة المعارف البريطانية الصادر سنة ١٩١٨ م.
٢. محاضر مجلس النواب العراقي - الدورة الانتخابية الأولى للسنة ١٩٢٦ م.
٣. وثائق البلاط الملكي الخاصة بالمخابرات العامة.
٤. وثائق البلاط الملكي الخاصة بالموتمرات العلمية والتربوية.
٥. وثائق البلاط الملكي الخاصة بسياسة التعليم في العراق.

الدوريات:

١. جريدة الصباح الصادرة بتاريخ ١٥ كانون الثاني ٢٠١٣ م والتي كتبت مقالاً تربوياً تحت عنوان (التربية والتعليم في العهد الملكي).
٢. مجلة آفاق عربية، العدد ٣، السنة العاشرة، تشرين الثاني، ١٩٨٤.
٣. مجلة آفاق عربية، العدد ٧، السنة الثانية، آذار، ١٩٨٣ م.
٤. جريدة الدستور، العدد ٣٤٤١ الصادرة في ٢٥ / آب / ٢٠١٥ م.

الرسائل الجامعية:

١. غانم سعيد العبيدي، التعليم الأهلي في العراق بمرحلتى الابتدائية والثانوية، رسالة ماجستير في التربية، جامعة بغداد، ١٩٧٠ م.
- فاهم نعمة إدريس، مجلة لغة العرب، دراسة فكرية سياسية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٩.

الإخبار والإنشاء في سورة (الطور) دراسة تحليلية

Statement and predication in Sura 'Al Tur':Analytic Study

Dr. ALI ABBAS SALMAN

م.د. علي عباس سلمان الربيعي^(١)

الملخص

تجسد الخطاب الإنشائي والخبري في سورة الطور على نمطين من أنماط الخطاب الأول الخطاب التركيبي الموجه (للمكذبين) جمع بين الخطاب الإنشائي والخبري في أربع لوحات مقدمة الأولى جسدها في مشهدين الأول المشهد الخطابي (القسمي) والأخرى المشهد الخبري (جواب القسم) أما اللوحة الثانية فوردت-هي الأخرى- في مشهدين الأول خطابٌ خبري (أسمي) والأخر: خطاب إنشائي استفهامي، أما اللوحة الثانية: فجسدها الخطاب الإنشائي الطلبي واللوحة الرابعة تمحورت على وفق الخطاب الإنشائي الشرطي. أما النمط الآخر من الخطاب فجسده الخطاب الأحادي وكان متوجهاً للمتقين على لوحتين مقدستين اللوحة الأولى: خطاب خبري (اسمي) انتقل فيه الخطاب من العموم (المتقين) أي عموم القسمين إلى جزئيات الخطاب (الغائب-والمخاطب-والمتكلم) لما لهذا العدول الخطابي من تطرية وإطراب لأسماع المتقين فضلاً على اطمئنانهم للوعد المقدس بدخولهم الجنان، أما اللوحة الأخرى فكانت فعلية: انتقل فيها الخطاب من العموم (الذين آمنوا) أي عموم المؤمنين إلى خطاب الغيبة وكأن الأمر الإلهي قد مضى بدخولهم الجنان.

Abstract

Embodiment of news and construction discourse phase in Surat Al-Tor on according to two types of speech patterns first speech compositional directed (unto) combine structural and news discourse in four plates

Introduction first its body in two scenes, first scene rhetorical (Oath) and the other news scene (A section) The second painting came - is the other - in the first two scenes speech expert (named) and the other: structural interrogative speech, while the second painting: embedded requested and structural discourse painting and fourth according to the speech centered on the stipulated structural.

The other style of discourse speech mono and was heading for the cautious on according to two sacred paintings in first painting: a speech expert (named) moved the speech from the House of Commons (the pious) any pan sections to molecules discourse (absent - the listener - and the speaker) to which this reverse rhetorical lubricate and admired listen to pious, as well as the confidence in the promise of the Holy admitted the heavens, and the other was the actual painting: Go where the discourse of the public (who believe) any pan faithful to the letter of backbiting and if the divine command has been admitted heavens.

المقدمة

يُعد تدبر النص القرآني واحداً من أهمّ التأمّلات الكونية في حياة الإنسان، الأمر الذي جعلني أحاول أن أتأمل بعض النصوص القرآنية، من ذلك "جمالية الخطاب الإنشائي والخبري في سورة الطور" ولعلّ التفاوت في النمط الخطابي لفريقي (المكذّبين) و(المتقين) هو السبب الرئيس لهذه الدراسة لاسيّما أن الخطاب الموجه للمكذّبين جاء وفق البناء (التركيب) الإنشائي والخبري في حين أن الخطاب الموجه (للمتقين) ورد على وفق البناء الأحادي والخبري.

من هنا أخذت هذه الدراسة تسويغاً علمياً للبحث في دلالة ذلك التفاوت الخطابي، فضلاً عن محاولة تأمل جزئيات البعد الإنشائي لتلك السورة المقدسة. بوصف الخطاب الإنشائي مجسّداً للجانب المتحرّك من اللغة العربية، ويُعدّ أبرز مظاهرها التي تعرب عن حيويتها^(٢) كما أن هذه الدراسة هي محاولة للوقوف على ماهية الخطاب الخبري في سورة (الطور) وعلة اشتراكه في البنائين التركيبي والأحادي، لاسيّما أنّ الخطاب الخبري يمثل الجانب القار من اللغة^(٣).

و لا تأخذ هذه الدراسة بمبدأ التنظير العام للخطابين إلّا بما يأخذ برقاب تأويل النص المقدّس لاسيّما أن دراسات سابقة قد اتسعت لمفهوم الإنشاء والإخبار من ذلك كتاب (الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة) للدكتور خالد ميلاد، و(التداولية عند العلماء العرب) للدكتور مسعود صحراوي دأبت على التنظير لمفهوم الإنشاء والإخبار قديماً وحديثاً.

٢- ظ: خصائص الأسلوب في الشوقيات: د. محمد عبد الهادي الطرابلسي، منشورات: الجامعة التونسية (١٩٨١): ٣٤٩.

٣- ظ: م. ن.

ولا يفوتني الإشارة إلى الدراسات القرآنية المتقدمة في استقصاء تلك الظاهرة ومنها كتب التفسير لاسيما (كتاب جامع البيان عن تأويل القرآن) لمحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) وتفسير (الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل) للزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، إذ قسم السورة المباركة على وفق تقسيم عفوي يفتقر للمصطلح الجمالي في ست لوحات جمالية أربع منها لها مزية الخطاب الإنشائي الموجه (للمكذّبين) واثنين جسدها البناء الخيري في خطاب (المتقين)^(٤).

ومن كتب التفسير (مجمع البيان) للطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، إذ عمد المؤلف إلى تقسيم السورة المباركة إلى أربع لوحات مقدّسة (اثنان) جسّدت الخطاب الإنشائي الموجه للمكذّبين بالعذاب الموعود واثنان يعد خطابهما خبرياً موجهاً للمتقين^(٥). لكن المفسّر - هو الآخر - لم يمنح ذلك التقسيم أبعاده الجمالية من خلال ذكر علل التصنيف.

أما الدراسات المتأخرة المتيسرة منها: كتاب (في ظلال القرآن) لسيد قطب إذ درس السورة المباركة على وفق مشاهدتها الجزئية المقدّسة في رؤى نفسية عميقة التأثير^(٦)، فضلاً على عرضه للغة خطاب السورة المقدسة لكنّها على وفق إشارات بعيدة تفتقر - هي الأخرى - للمصطلح المعهود في تلك الدراسة.

وقد اقتضت ضرورة البحث تقسيمه على مقدمة ومبحثين

الأول: تناول الخطاب الإلهي التركيبي (الإنشائي والخيري) الموجه للمكذّبين، جسّد خطاب المكذّبين بعذابهم الموعود والآخر: في خطاب المتقين، تلتهما خاتمة لأهم نتائج البحث إذ تجسّد في أربع لوحات خطابية مقدّسة الأولى: لوحة الخطاب التركيبي، إذ وردت في مشهدين مقدسين المشهد الأول: الخطاب الإنشائي (القسمي) والمشهد الآخر الخطاب الخيري (جواب القسم) أما اللوحة الثانية: فكانت مغايرة في تركيبها الخطابي لسابقتها على وفق مشهدين الأول: الخطاب الخيري (الاسمي) والمشهد الآخر (الخطاب الإنشائي) (الاستفهامي) أما اللوحة الثالثة: فجسدها الخطاب الأحادي الإنشائي (الطلبي) واللوحة الرابعة: تجسّدت في الخطاب الأحادي الإنشائي (الشرطي).

أما المبحث الثاني: فتضمن مخاطبة المتقين على وفق لوحتين إخباريتين أحاديتين مقدستين الأولى: الخطاب الخيري (الاسمي) واللوحة الأخرى: لوحة الخطاب الإخباري (الفعل).

ومن هنا أخذت تلك الدراسة بشيء من دلالة النص القرآني ولعلها كانت بمستوى طموح القارئ.

٤- الكشف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجه التأويل: أبو القاسم محمد بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ)، نشر وطبع: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، ط ٢ (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م): ٤ / ٤١١ - ٤١٧؛ مجمع البيان في تفسير القرآن: أمين الإسلام أبي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) طبع ونشر: دار القارئ ودار الكتاب العربي، ط ١ (١٤٣٠ - ٢٠٠٩م):.

٥- ط: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٢٢٦ - ٢٣٧.

٦- ط: في ظلال القرآن: سيد قطب، طبع: دار الشرق، القاهرة - مصر، الطبعة الشرعية السابعة والثلاثون (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م): ٦ / ٣٣٩٠ - ٣٤٠٢.

المبحث الأول: دلالة الخطاب التركيبي (الإنشائي والخبري)

توطئة:

لم يعد مفهوم الخطابين (الإنشائي والخبري) بحاجة للتأصيل اللغوي إلا أن ضرورة البحث تدعو إلى ذلك، إذ توحي مفردة (الإنشاء) بضرب من النشوء والارتقاء والتحول من حال إلى حال وأصل ذلك القول (أنشأ) الله خلقه ونشأ وينشأ ونشوءاً، أي أنقل بحاله في النمو^(٧)، ويتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا * ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٨) أي خلق خلقاً آخرم مبانياً للخلق الأول لاسيما أنه خلق أولاً طيناً حتى استقر في النشأة الأخيرة^(٩).

من هنا تنبثق دلالة (الإنشاء) من جوانب عدة ليوسم بميسم الحيوية المتجسدة في (الحسن) فضلاً على تعدد دلالاته في الاستعمال الجمالي لاسيما أنه الإنشاء لا يدل على معنى في ذاته بل يرتبط بنفس المخاطب والمتكلم^(١٠) ويعد نسبة لغوية محضة لنشؤ نسبة ثانية^(١١).

أما الخبر فله دلالة القطع في اكتناه الأشياء فقولنا: ((خبرت بالأمر أي علمته وخبرت الأمر إذا عرفته على حقيقته))^(١٢). والخبر هو العلم بالشيء لأنه طريق من طرق العلم^(١٣) وكان الدلالة القطعية متحققة فيه لاسيما انه يعد كلاماً تاماً مفيداً أو خطاباً تواصلياً ولنسبته الكلامية نسبة خارجية في الواقع الخارجي عن اللغة^(١٤).

والأصل في القطع الإخباري ما جاء في النص القرآني في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾^(١٥) وفي ذلك تصوير للقهر والغلو في الغلبة ووقوعه في كل ما يصح أن يعلم بخبر عنه^(١٦)، وهو الكلام التام، أي الكشف والإعلام.

من هنا وسم الخبر بميسم القطع في تحقيق الحدث، وذلك الأمر غير معهود في الصيغة الإنشائية الموسومة بالميسم الاحتمالي في تحقق الحدث، ويتبين ذلك خلال قول ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) من أن:

٧- ظ: لسان العرب: للإمام العلامة أبن منظور (ت ٧١١هـ)، نسقه وعلق عليه ووضع فهرسه: علي شيري، نشر وطبع: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، ط ١ (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م): ١٤ / ١٣٤ (نشأ).

٨- سورة المؤمنون: ١٢ - ١٤.

٩- ظ: الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ١٨١/٣.

١٠- ظ: كشاف اصطلاحات الفنون: محمد علي بن علي التهانوي الحنفي (١١٥٨هـ) وضع حواشيه: احمد حسن بسج طبع نشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ط ٢ (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م): ٤ / ١٦٧.

١١- ظ: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية في التراث اللساني): د.مسعود صحراوي، نشر وطبع: دار الطليعة - بيروت - لبنان، ط ١ (٢٠٠٥م): ٦٤.

١٢- لسان العرب: ١٢/٤ (خبر).

١٣- ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن ١٨/٤.

١٤- ظ: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية في التراث اللساني): ٦٣.

١٥- سورة الأنعام: ١٨.

١٦- ظ: الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ١٢/٢؛ مجمع البيان في تفسير القرآن: ١٨/٤.

((الجملة الاسنادية تكون خبرية، وهي التي لها خارج تطابقه أو لا تطابقه، وإنشائية وهي التي لا خارج لها كالطلب وأنواعه))^(١٧).

ويمكن تدبر دلالة الخطابين (الإنشائي والخبري) المتصفين بتعدد الدلالات في احتمالية تحقيق الأحداث في البعد الإنشائي والقطع في تحقيقها في الخطاب الخبري لتحقيق الحدث في الجزء المرتقب الذي تضمنته سورة الطور.

وقد جاء الخطاب الاستهلاكي لتلك السورة المباركة على وفق أسلوب تركيب (إنشائي وخبري) في نمطين من أنماط الخطاب هما:

الأول: الخطاب التركيبي:

وتجسده لوحتان جملتان تمثلت في أربعة مشاهد مقدسة، اللوحة الأولى: يجسدها مشهدان الأول: خطاب إنشائي (قسمي) والآخر: خطاب خبري (جواب القسم) أما اللوحة الأخرى: فمشهدا الأول: خبري: على وفق بناء جمل اسمية، والمشهد الآخر: خطاب إنشائي (استفهامي).
الآخر: الخطاب الأحادي:

وتجسده لوحتان مقدستان على وفق بناء إنشائي:

الأول: لوحة الخطاب الطلبي والأخرى: لوحة الخطاب الشرطي.

ولعل ذلك التباين في نمط مخاطبة المكذبين في اليوم الموعود أربك نفوسهم بألوان القلق والاضطراب من فعل العقوبة لاسيما ((أن للإنشاء نسبة خارجية وهي غير موجودة قبل زمن التلفظ بالمفوظ الإنشائي))^(١٨) من جهة والخطاب الخبري له قطع في تحقيق فعل العذاب من جهة أخرى، وذلك الأمر أدعى لحيرة المكذبين

أولاً: الخطاب التركيبي:

وتجسده لوحتان خطابيتان على وفق التالي:

اللوحة الأولى: لوحة الخطاب التركيبي (الإنشائي، الخبري).

وقد وردت تلك اللوحة متجسدة في مشهدين مقدسين هما:

المشهد الأول: الخطاب الإنشائي (القسمي):

ويجسد ذلك المشهد المقدس قوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ ۚ وَكِتَابٍ مُسْتُورٍ ۚ فِي رَقٍّ مُنْشُورٍ ۚ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۚ وَالسَّكْفِ الْمَرْفُوعِ ۚ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾^(١٩) يبدو أن الخطاب الإنشائي تمحور بتكرار القسم في القول المقدس بواقع خمس مرات من مجموع (٦ آيات) استهلاكية والموحية بمجهولية ما سيحدث بعده، لاسيما أن للقسم في تلك الآيات ترنيمة تضرب على الحس بأعلى درجات الإيقاع (المجهول) فضلاً عن أن فاصلته القرآنية أودعت صيغة (مفعول) الموحية - هي الأخرى - بمجهولية شدة الحدث المرتقب في

١٧ - مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون، ت. ح. د. حامد احمد الطاهر، طبع ونشر: دار الفجر للتراث - القاهرة، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م: ٧٠٧.

١٨ - ظ: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية في التراث اللساني): ١٧.

١٩ - سورة الطور: ١-٦.

المفردات المقدسة: ((مُسْطَوْر، مَنَشَوْر، مَعْمُور، مَرْفُوع، مَسْجُور)) الموحية هي الأخرى بهول الحدث ومجهولية شدته، وفي ذلك محاكاة لدلالة الخطاب الإنشائي (القسمي) الموسوم بميسم الشدة. فضلاً على ما تحمله صيغة (مفعول) من ترنيمة حزنائية تعتمل في نفوس المكذبين.

ولعلّ بناءها للمجهول يأخذ بدالتين الأولى: ما ذكرناه من هول يقيني، والأخرى: الأستخفاف القوم بما أنزل الله على نبيه موسى - ﷺ -.

ومن هنا يكون بناء تلك الجمل المقدسة موحياً بالمجهولية بإبعاده المهولة، وذلك يمنح الأحداث سعة واشتمالاً فضلاً على ما توحى بها من شدة إيقاع العذاب الموعود.

ثانياً المشهد الآخر: الخطاب الخبري (جواب القسم)

بدأ النص المقدس بهذا الخطاب ففى تركيب معلوم البناء لاسيما أن الخبر يتمتع بدلالة القطع في تحقيق الأحداث في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا^(٢٠)، فهذا النص يمنحنا مصداقاً لما سيحدث لقرع مسامع المكذبين بوقائع حسية بإيقاع متفاوت بين الشدة والرزانة بإحداث الفعل المتجسد في القول المقدس ((واقع. دافع)) الذي ((يلقي في الحس أنه أمرٌ داهم قاصم، ليس منه واق ولا عاصم))^(٢١)، وبين الاسترخاء المتجسد في المفردات المقدسة: ((تمور، مورا، تسير، سيرا)) التي تشير الى تباطؤ الحركة الكونية التي تعقب وقوع العذاب المتعذر دفعه، فضلاً عن ذلك ان دلالة الإيقاع الرزين المتكرر في قوله تعالى: ((مَوْرًا، سَيْرًا)) لاسيما أنّ المفردتين تتمتعان بدلالة التباطؤ في تحقيق الفعل المنبثق من تراخي الترنيمة الإيقاعية (فالمر) له دلالة الحركة ذهاباً وجيباً متباطئاً، من هنا قيل مارت الناقة في سيرها مورا أي ماجت وترددت^(٢٢)، أما (سيرا) فلها دلالة كثرة الحركة المتباطئة^(٢٣).

ويبدو أنّ إيداع الفاصلة القرآنية المقدسة صوت (الراء) المركب من ضربات متعاقبة لها صفة التفخيم^(٢٤)، إذ تكررت بواقع ثمان مرات في حشو الآيات وفي نهاية تلك اللوحة المقدسة بعد منفذاً تعبيرياً مقدساً مفتحاً على لوحة تركيبية (إنشائية، خبرية) التي لها معالم مهولة توحى بحيرة المكذبين وهم يتعرضون الى ألوان العذابات ولعلّ ما يؤيد ذلك التناوب هو إيقاع الترنيمة ارتفاعاً وهبوطاً بفعل الانتقال من الإنشاء إلى الخبر وبالعكس.

من هنا نخلص للقول أن النص المقدس طالعنا بمشهدين في تلك اللوحة الجمالية الأول جسده هول الموقف فوردت فواصله (عينية) أودعت صيغة مفعول الموسومة بميسم الحزن المنبثق من شدة العذاب. والأخرى (رائية) تضمنت معنى الاسترخاء والتباطؤ بفعل ما وقع من العذابات التي يعقبها همود.

٢٠- سورة الطور: ٧-١٠.

٢١- في ظلال القرآن: ٦/ ٣٣٩٣.

٢٢- ظ: اللسان: ٢٢٠/١٣ (مور)، و ظ: مجمع البيان: ٩/ ٢٢٧.

٢٣- ظ م. ن: ٦/ ٤٥٤ (سير).

٢٤- ظ: دراسة الصوت اللغوي: د. احمد مختار عمر، طبع ونشر: عالم الكتب - القاهرة، ط ٤ (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م):

٣٩٦؛ الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، نشر: مكتبة الانجلو المصرية (٢٠٠٧ م): ٦٦.

اللوحة الثانية: لوحة الخطاب التركيبي (الخبري، الإنشائي):

وتتجسد في مشهدين من مشاهد الخطاب القرآني المقدس على وفق التالي:

المشهد الأول: الخطاب الخبري (الاسمي):

طالعنا النص المقدس في هذا المشهد بأسلوب الإخبار الاسمي في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿٢٥﴾ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَا ﴿٢٦﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ (٢٥).

أستهل القول المقدس بالمصدر (ويل) الخبري ليوحي بثبوت ولزومية العذاب الموعود للمكذِّبين وفي ذاك ((تفريغ على ما دلت عليه الآيات السابقة من تحقق وقوع العذاب يوم القيامة)) (٢٦)، فضلاً على أن الصيغة الاسمية يثبت بها المعنى للشيء من غير أن يقتضي تحدده شيئاً بعد شيء (٢٧)، ولعل ما يؤكد القطع الخبري تجسيد الآية الثانية على وفق (تسويغ شرعي) لتحقيق العذاب الإلهي في الآية الأولى وكأها جواب لسؤال خفي يفرضه السياق المقدس وتقديره - والله أعلم - : ما بال أولئك القوم يعدُّون أشدَّ العذاب؟ (٢٨) إذ تجسّد الجواب بصيغة تعليلية في القول المقدس لأتَّ ﴿... هم في خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾، وبهذا يتحقق الانتقال الخاطف من الخطاب الخبري إلى الخطاب الإنشائي على وفق رابط خفي يؤخذ بالتأمل العميق.

وبعد ذلك التسويغ الإنشائي يطالعنا النص المقدس بجزئيات خبرية لها ميسم القطع في تحقيق فعل العذاب في قوله تعالى: ﴿يُدْعَوْنَ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَا﴾ والدُّعُ الدفع العنيف في تنكيل وجفوة (٢٩)، ثم تنسرب أحداث النص بتحقيق فعل العذاب وثبوته في قوله تعالى: ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُوعَدُونَ﴾ وكأن تلك النار دخلوها بعينها بفعل تقدم الجار والمجرور (بِهَا) على عامله (تُوعَدُونَ) وفي ذلك دلالة للحصر والتخصيص في تحقيق أمر بعينه (٣٠)، فضلاً على أنَّ هذا الأمر أدعى لتحقيق الأخبار به من غيره لارتباطه بآلة العذاب (النار).

من هنا نخلص للقول أنَّ هذا المشهد المقدس تجسّد على وفق أداء خبري قطعي في تحقيق فعل العذاب من خلال استفهام خفي لتسويغ تحقق العذاب، بعد عرض جزئياته الحسّية المقدّسة في ألفاظ توحى بالزراية والتحقيق ((يُدْعَوْنَ، دَعَا، جهنم...)) بوصفها منفذاً تعبيرياً مقدّساً للمشهد المقدس الآخر.

٢٥- سورة الطور: ١١-١٤.

٢٦- ظ: الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، منشورات: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط ١ (١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م) ٩/١٠.

٢٧- ظ: دلائل الأعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، نشر: مطبعة المدني - القاهرة، ط ٣ (١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م) ١٧٤.

٢٨- ظ: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير (٦٣٧ هـ) دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط ١ (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م) ٦٣/٢، (مفهوم الإنجاز بال حذف).

٢٩- ظ: تفسير البحر المحيط: أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الشهير بابي حيان الأندلسي الغرناطي، حقق أصوله وعلق عليه وخرج أحاديثه: د. عبد الرزاق المهدي، طبع ونشر دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان، ط ١ (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م) ٢٠٦/٨؛ لسان العرب: ٤/ ٣٥٤ (دع).
٣٠- ظ: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ٢٠ / ٢٦- ٢٦.

المشهد الثاني: الخطاب الإنشائي (الاستفهامي):

ويُجسده قوله تعالى: ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ * أَصْلُوهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ^(٣١).

طالعنا النص المقدس باستفهام له دلالة الإنكار والتوبيخ، لاسيما أن المستفهم عنه (السحر) بوصفه عملاً يتقرب فيه إلى الشيطان وبمعونة منه^(٣٢)، وهو غير متحقق والاستفهام هو الآخر - غير متحقق، فضلاً على أن الخطاب الإنشائي ليس له حقيقة مرجعية في الواقع الخارجي فهو نسبة لغوية محضة^(٣٣) إلا أنه متحقق الرد له بفعل الطلب المتكرر في استهلال القول المقدس من قوله تعالى: ﴿أَصْلُوهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾، فكان التصلية متحققة والصبر غير متحقق بفعل العذاب بدليل نفي الصبر المتجسد في قوله تعالى: ﴿لَا تَصْبِرُوا﴾ فضلاً على تحقق حالة الاستواء بين الصبر وعدمه في القول المقدس: ﴿... سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وكان تأويل الخطاب المقدس - والله اعلم - سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَصْبَرْتُمْ أَمْ لَمْ تَصْبِرُوا إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ.

ثانياً: لوحة الخطاب الأحادي:

اللوحة الثالثة: لوحة الخطاب الاحادي الطلي

في النص المقدس لوحة إنشائية جاءت في قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ * أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُّ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ * قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ * أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ * أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ * أَمْ خُلِيقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ * أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسْتَطِرُونَ * أَمْ هُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبُنُونَ * أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَعْرَمٍ مَثْقُلُونَ * أَمْ عِنْدَهُمُ الْعَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ * أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ * أَمْ هُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ^(٣٤).

استهل النص المقدس بآية كريمة فيها تحد كبير للمعاندين اذ وردت بصيغة الطلب (ذكر) فضلاً عن ذلك فأتمها تعدد منفذاً تعبيرياً لسائر جزئيات تلك اللوحة المقدسة التي تصدرتها (أم) المنقطعة بواقع (١٣) مرة والمتضمنة معنى (بل) والاستفهام بـ (الهمزة) الذي يفيد الإخبار^(٣٥)، وذاك يتجسد في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُّ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ﴾ وتقدير القول المقدس - والله أعلم - بل يقولون شاعرٌ نَتَرَبَّصُّ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ، وقد تكرر هذا البناء المقدس على وفق التركيب الطلي التوبيخي في قوله تعالى: ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ من هنا يكون هذا التركيب الطلي منفذاً تعبيرياً مقدساً لبناء

٣١- سورة الطور: ١٥-١٦.

٣٢- ظ: لسان العرب: ٦ / ١٨٩ (سحر).

٣٣- ظ: التداولية عند العلماء العرب: ٦٤.

٣٤- سورة الطور: ٢٩ - ٤٣.

٣٥- ظ: مغني اللبيب عن كتب الاعراب: جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، نشر: مؤسسة الصادق - طهران - إيران، ١٤ (١٣٧٨هـ): ٦٦/١، إذ ذهب ابن هشام إلى تأويل قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبُنُونَ﴾ سورة الطور: ٣٩ إلى القول: بل أله البنات ولكم البنون و ظ: الصحابي: أحمد بن فارس: ١٦٦ وما بعدها.

تركيبى إنشائي يتصف بصفة (الإضراب والتوبيخ الاستفهامي) ويجسده قوله تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون وتقدير القول المقدس - والله أعلم - بل تأمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا... بل أيقولون تقوله...

ثم يورد النص المقدس بناء طلبيا بنبرة تحد للمعاندين يتبين في قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ ثم يزداد الاستخفاف والتوبيخ من المعاندين على وفق تكرار (أم) المنقطعة بواقع (٩ مرات) متصدرة ما تبقى من آيات اللوحة المقدسة من قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يؤمنون إلى قوله تعالى: ﴿أَمْ هُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ تلك الآيات المقدسة تحكي لنا أعلى درجات الإضراب والاستفهام التوبيخي الخفي في (أم) المنقطعة على وفق تقدير الأقوال المقدسة - والله أعلم - منها: بل أخلقوا من غير شيء أم هم الخالقون بل أخلقوا السماوات والأرض.. بل أعندهم خزائن ربك... بل أهلكم سلم... بل أله البنات ولكم البنون.. بل أتساءلهم أجرا... بل أعندهم الغيب... بل أريدون كيدا... بل أهلكم إله غير الله سبحانه الله عَمَّا يُشْرِكُونَ.

من هنا جمعت تلك اللوحة المقدسة بين في (الطلب التوبيخي) و (الاستفهام الإنكاري) بوصفهما بنائين إنشائيين تجسدهما أحداث خفية موسومة بميسم (الهول والعذاب) ذلك أنها وردت في خطاب المعاندين.

اللوحة الرابعة: الخطاب الأحادي (الشرطي):

وتبين في قوله تعالى:

﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ^(٣٦).

تبدأ الآيات الكريمة بأسلوب الشرط بصيغة تحدي للطلعة الجاحدين وهذا مايتضح في معنى الجواب لقولهم: ﴿أَوْ تُسْقِطُ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾^(٣٨)، ويبدو أن جملة الإنشاء الشرطية تترجم حال المعاندين من ((أنهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو أسقطناه عليهم لقالوا: هذا سحاب مركوم بعضه فوق بعض يطرأنا، ولم يصدقوا أنه كسف ساقط للعذاب))^(٣٩).

ثم نلاحظ تركيباً طلبياً آخر قوله تعالى: ﴿فَذَرُهُمْ حَتَّى يَلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يَصْعَقُونَ﴾ وهو موجه الى للرسول الأعظم ﷺ - الموحى بالتهديد والوعيد لما سيؤول إليه المكذبون من يوم يصعقون فيه، لاسيما أن هذا الخطاب المقدس جمع بين أسلوب (الطلب) المتجسد في مفردة (ذرهم) والنفي المتكرر في تراكيب ((لَا يُغْنِي، وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ، لَا يَعْلَمُونَ)).

٣٦- سورة الطور: ٤٤-٤٧.

٣٧- ط: الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٤/ ٤١٧.

٣٨- سورة الإسراء: ٩٢.

٣٩- ط: الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٤/ ٤١٧.

ويبدو أن الجمع بين أسلوبَي (الطلب والنهي) لهُ خطاب تبعضي لاسيما أنّ لَهُ سمات جزئية جسدها: ((الاحاد والاذمام والثناء والتقريظ، والذم والاستصغار، والعدل والتوبة، والتوبيخ، وسبيل ذلك أن تشبع الكلام فيه، ومُدَّ القول حسب ما يقتضيه آثار المكتوب إليه في الإحسان والإساءة، والاجتهاد والتقصير، ليرتاح بذلك قلب المطيع وينبسط أمله، ويرتاع قلب المسيء ويأخذ نفسه بالارتداد))^(٤٠)، فضلاً على أنّ (الأمر والنهي) أقوى الأساليب الإنشائية لتحقيق الأفعال لها^(٤١).

من هنا يتجسد الخطاب الإنشائي - في تلك اللوحة المقدسة - على محورين، الأول: محور شرطي يحكي تنذّر واستخفاف المعاندين بالعذاب الموعود لهم.

أما المحور الآخر: فيجسّد الخطاب الطلبي التوجيهي الموسوم بميسم الاحاد والثناء والتقريظ لشخص الرسول الأعظم - ﷺ - من جهة، والتهديد والوعيد للمكذّبين بعذاب مرتقب من جهة أخرى، فضلاً عن ذلك، فإن تمتع لغة الخطاب الإنشائي بالدلالة الاحتمالية في قرب أو بعد الصعق الإلهي الموعود للجاحدين، لاسيما أن الإنشاء فعلٌ كلامي غير منجز وليس له نسبة خارجية في الواقع^(٤٢)، من هنا غدا أمره محيّراً، إلا أنّ قداسته القرآنية وسمته بميسم الخطاب القطعي في اجترار الأحداث، وذلك الأمر أرمض لنفوس المكذّبين وقرع مسامعهم في ألوان من الحيرة والتردد بين سوء فعلهم ويومهم الموعود.

المبحث الثاني: الخطاب الأحادي (الخبري)

يتجلى هذا اللون من الخطاب المقدّس الموجه الى المتقين على وفق أداء أحادي خبري في لوحتين مقدّستين الأولى: لوحة الخطاب الاسمي، والأخرى: لوحة الخطاب الفعلي.

اللوحة الأولى: الخطاب الأحادي الخبري (الاسمي):

تجسّدت اللوحة المقدّسة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١﴾ فَكَاهِنِينَ بِمَا أَتَاهُمْ رُؤُوسُهُمْ وَوَقَاهُمْ رُؤُوسُهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْضُوفَةٍ وَرَوَّجْنَاهُمْ بِخُورٍ عَيْنٍ﴾^(٤٣).

بدأ النص المقدّس بـ(إنّ) المؤكدة بلزوم تحقيق الحدث^(٤٤)، وأن الآية الكريمة متصفة بالاسمية وتقدير القول المقدّس -والله أعلم- أولئك الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ... فضلاً عن ذلك فإن إقتران هذا الأسلوب الخبري بالأسلوب الاشتقاقي الموحى -هو الآخر- بتحقيق فعل بشرى المتقين المبين في مفردات أسماء الفاعلين:

٤٠ - الصناعتين (الكتابة والشعر): أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري (ت ٣٨٢هـ)، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر وطبع: المكتبة العصرية - بيروت - لبنان، ط ١ (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م): ١٤٢.

٤١ - ظ: كتاب سيبويه: ١/ ١٣٧.

٤٢ - ظ: التداولية عند العلماء العرب: ١٦ وما بعدها.

٤٣ - سورة الطور: ١٧-٢٠.

٤٤ - ظ: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٥٥/١.

(الْمُتَّقِينَ، فَآكِهِينَ، مُتَّكِئِينَ) وذلك لتمتع اسم الفاعل بالدلالة على الحدث الغابر المعلوم لإسم الفاعل دلالة الحدث الغابر المعلوم^(٤٥)، ولعلّ ما يؤكد ذلك إنّ صيغة (مُتَّكِئِينَ) توحى بالاسترخاء والدعة وهتاف بمتاع متحقق^(٤٦) ﴿عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ لتحقق فعل الأخبار المقدّس على وفق صيغة الماضي في قوله تعالى: ﴿وَرَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾.

من هنا وسم التركيب الطلبي في قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بالميسم الإخباري لاقتراحه بالمتاع الحسّي الهانئ ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾، فضلاً على إيماء الأمر الإلهي - هنا - بالإخبار لارتباطه بفعل الخير المضاف للذات الإلهية أو ما ينوب عنها من الضمائر في عموم القرآن الكريم^(٤٧) وكأنّ تلذذ المتقين بالجزاء الإلهي أمر مفروغ منه لاسيما ان اللذة تعد حركة نفسية نحو أثر يؤديه الحس بغيّة، والحسّ أما ظاهراً أو باطناً^(٤٨)، وذلك الأمر أدعى لاطمئنان واستقرار نفوس المتقين بفعل البشري الإلهية المتجسدة في الخطاب الإخباري المرتبط بالمطلق المقدس، لاسيما أنّ للأخبار دلالة القطع في إحداث الفعل^(٤٩)، وذلك أنّ الخبر يرجع إلى الحكم بمفهوم لمفهوم^(٥٠)، فالجزئيات الإخبارية المقدّسة في تلك اللوحة تماسكت على وفق بناء إخباري (إسنادي)، فالمسند إليه واحد (المتقون) تعددت مسندهاته منها: (جنات، نعيم، فاكهين...) فضلاً عن تعدد المسند إليه (بالنبيابة) في المفردات المقدسة (كلوا، اشربوا، تعملون) والميم في (زوجناهم).

ويبدو أن الخطاب الإسنادي الخيري يمنحنا لوناً آخر من جمالية الخطاب القرآني متجسداً في العدول من خطاب العموم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ...﴾ أي عموم المتقين إلى خطاب المخصوص المتجسد في خطاب الغائب منهم في مفردات ((فآكِهِينَ، إِبَاهِمَ، وَقَاهِمَ)) ثم انتهى النص لخطاب أكثر خصوصية وحضوراً جسده المفردات المقدّسة: ((كُلُوا، اشْرَبُوا، مُتَّكِئِينَ)) وكأنّ هذا الانتقال من خطاب العموم إلى خطاب المخصوص المتدرج من الغائب إلى الحاضر الفعلي كان تطرية واستنداراً لإسماح المتقين وتجديداً لنشاطهم وصيانة لحاضرهم من الملل والضجر^(٥١).

٤٥ - ط: مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، حققه وقدم له وفهرسه: د. عبد الحميد هنداي منشورات دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط ١ (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م): ٩٧؛ ط: شرح المفصل: موفق الدين بن علي بن يعيش النخوي (ت ٦٤٣هـ) حققه وشرح شواهد: احمد السيّد احمد، راجعه ووضح فهارسه: إسماعيل عبد الجواد عبد الغني، نشر وطبع: المكتبة التوفيقية - القاهرة - مصر (د. ط) (د. ت): ١٠٣/٣؛ ط: معاني الأنبياء: د. فاضل صالح السامرائي نشر: جامعة بغداد، ط ١ (١٤٠١هـ ١٩٨١م): ١٧٥-١٧٨.

٤٦ - ط: في ظلال القرآن: ٣٣٩٦/٦.

٤٧ - ط: البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر وطبع: المكتبة العصرية - بيروت - لبنان (د. ط) (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م): ٤/٤، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَبْدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ سورة آل عمران ٢٦.

٤٨ - ط: الشفاء: ابن سينا تصدير ومراجعة: د. إبراهيم مدكور، ح. ت: د. محمد سليم سالم، ط: المطبعة الأميرية القاهرة (١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م): ٩٩.

٤٩ - ط: دلائل الإعجاز: ١٧٧-١٧٨.

٥٠ - ط: مفتاح العلوم: ٩٧.

٥١ - ط: البرهان في علوم القرآن: ١٩٧/٣.

من هنا يوحي الخطاب الخبري الاسمي في هذه اللوحة المقدسة بثبوت ولزوم الجزاء الإلهي للمتقين وكأن قلقاً قد اعتور نفوسهم عن قرب أو بعد الجزاء الموعود فجاء الخطاب أسمياً لهم ليطمئنهم بثبات الجزاء المقدس.

وكل ذلك منح الإخبار الاسمي القطعية في تحقق أحداثه فضلاً على لغته الإسنادية الموسومة بميسم الخفة في الخطاب لخفة أرواح المتقين بفعل السرور المتأتي من البشرى بالجنان وقد ارتبطت تفاوت ترنيمة الخطاب بتفاوت شعور المتقين بين قرب أو بعد الجزاء الإلهي المقدس.

اللوحة الثانية: الخطاب الأحادي الخبري (الفعلي):

تجسدت تلك اللوحة المقدسة في قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ۖ وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۖ يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ۖ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾ (٥٢)

بدأ النص المقدس بخطاب إخباري يتصف بالثبوت واللزوم في تحقق الفعل المقدس لاسيما في مفردات ((آمَنُوا، بِإِيمَانٍ، رَهِينٌ...)) فضلاً على ما توحى به مفردات: ((اتَّبَعَتْهُمْ، أَمْدَدْنَاهُمْ، مَكْنُونٌ)) من دلال أما الخطاب الإخباري الفعلي -اللوحة الثانية- فتفاوت من العموم ((الَّذِينَ آمَنُوا...)) أي عموم المؤمنين إلى خطاب الخصوص (الغائب) إلا أنَّ الخطاب الخاص اتصف بالاستواء الوصل غير المنقطع في تعاقب الأحداث.

ولعل متأمل تلك اللوحة المقدسة يلحظ انتقال الخطاب الإخباري من العموم المتجسد في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾ أي عموم المؤمنين، إلى خصوصية الخطاب المستوي على وفق لغة الغائب المتجسدة في مفردات ((اتَّبَعَتْهُمْ، ذُرِّيَّتُهُمْ، لَهُمْ، مَا أَلَتْنَاهُمْ، عَمَلِهِمْ...)) إلى نهاية اللوحة المقدسة، وكأن ذلك الاستواء المتجسد في خطاب الغيبة يحكي لنا أمراً إلهياً يتضح في دخول المتقين عالم الجنان فلا حاجة بعد لاضطراب مسامعهم في خطاب متفاوت بين خطاب الحضور والغياب، وكأن اللوحة الإخبارية الفعلية تحكي لنا تنفيذ الأمر الإلهي في تحقيق جزاء المتقين واستوائهم في الجنان بفعل استواء الخطاب على وفق ترنيمة (الغياب) الواحدة. من هنا خفَّ الخطاب لخفة جوانح المتقين بالسرور.

ويبدو مما تقدم أنَّ الخطاب الإخباري الموجَّه للمتقين) تجسَّد على وفق لوحتين مقدستين الأولى لوحة الخطاب الخبري الاسمي يتفاوت فيها الخطاب من العموم (المتقين)، أي عموم المتقين إلى الخصوص أي خطاب (الغيبة، المخاطب)، وذلك التفاوت في جزئيات الخطاب الخبري ورد لإطراب أسمع المتقين ودفع الملل عن نفوسهم لاسيما ان الوعد الإلهي - بدخولهم الجنان في تلك اللوحة الاسمية - غير متحقق. أما الخطاب الإخباري الفعلي -اللوحة الثانية- فتفاوت من العموم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ أي عموم المؤمنين إلى خطاب الخصوص (الغائب) إلا أنَّ الخطاب الخاص اتصف بالاستواء.

والثبوت على خطاب (الغياب) وكأن الأمر الإلهي قد مضى وتحقق بدخول المؤمنين الجنان، وفي ذاك إجماع لضمائر الغيبة بالثبوت واللزوم في تحقق الفعل الإخباري المقدس.

وخلاصة القول لما عرض في جزئيات هذا البحث أن الخطاب الإلهي في سورة الطور تجسّد على وفق نمطين من أنماط الخطاب الأول: خطاب تركيبي (إنشائي وخبري) على وفق أربع لوحات مقدّسة تفاوتت بين القسم وجوابه والشرط وجوابه.

وان هذا التفاوت الخطابي منح الخطاب المقدس ثقلاً له سمة الاستواء مع ثقل تكذيب المكذّبين، فهو أرمض لنفوسهم بالحيرة والاضطراب وفقدان الاطمئنان، بين هول مرتقب يحسّده الخطاب الانشائي وعذاب واقع يحسّده الخطاب الإخباري، واقرع لإسماعهم بألوان العذاب.

أمّا خطاب المتقين فجسّد بلوحتين مقدّستين الأولى اسمية لها خاصية الثبوت واللزوم في تحقق فعل الجزء الإلهي لهم ولكن خطابها الإخباري ورد متفاوتاً مع الخطاب (العام) (المتقين) أي عموم المتقين إلى خطاب الخصوص: (فاكهين - كلوا - أشربوا) إلا أن الخطاب الخاص - هو الآخر - جسده التفاوت بين (المخاطب والغائب) بفعل تفاوت مشاعر المتقين بقرب أو بعد الجزء الإلهي لهم، من هنا كان الخطاب خطاباً اسمياً لثبوت تحقق الفعل الإلهي.

أمّا اللوحة الأخرى فجسّدها الخطاب الفعلي المتفاوت - هو الآخر - بين العام (الَّذِينَ آمَنُوا) أي عموم المؤمنين وخطاب الخاص المستوي (الغائب) المتجسد في ((أتبعتهم، بهم...)) وهذا الاستواء في خصوص الخطاب الفعلي يدلنا على تحقق فعل الجزء الإلهي ومضيه لهم.

الخلاصة

تجسد الخطاب الإنشائي والخبري في سورة الطور على نمطين من أنماط الخطاب الأول الخطاب التركيبي الموجه (للمكذّبين) جمع بين الخطاب الإنشائي والخبري في أربع لوحات مقدمة الأولى جسّدها في مشهدين الأول المشهد الخطابي (القسمي) والأخرى المشهد الخبري (جواب القسم) أما اللوحة الثانية فوردت - هي الأخرى - في مشهدين الأول خطاب خبري (أسمي) والآخر: خطاب إنشائي استفهامي، أما اللوحة الثانية: فجسّدها الخطاب الإنشائي الطلبي واللوحة الرابعة تمحورت على وفق الخطاب الإنشائي الشرطي.

أما النمط الآخر من الخطاب فجسّده الخطاب الأحادي وكان متوجّها للمتقين على لوحتين مقدّستين اللوحة الأولى: خطاب خبري (أسمي) انتقل فيه الخطاب من العموم (المتقين) أي عموم القسمين إلى جزئيات الخطاب (الغائب - والمخاطب - والمتكلم) لما لهذا العدول الخطابي من تطرية وإطراب لأسماع المتقين فضلاً على اطمئنانهم للوعد المقدس بدخولهم الجنان، أما اللوحة الأخرى فكانت فعلية: انتقل فيها الخطاب من العموم (الذين آمنوا) أي عموم المؤمنين إلى خطاب الغيبة وكأن الأمر الإلهي قد مضى بدخولهم الجنان.

الخاتمة

توصل البحث إلى النتائج الآتية:

١- تشكل الخطاب المقدّس في سورة الطور في اسلوبين من اساليب الخطاب الأول خطاب تركيبي (إنشائي، خبري) تجسد في خطاب المكذّبين والخطاب الآخر أحادي (إخباري) تبين في خطاب المتقين.

٢- قسمت سورة الطور الى ست لوحات خطابية مقدّسة أربع لوحات لخطاب (المكذّبين) وإلى اثنتين في خطاب المتقين وتضمن خطاب المكذّبين في لوحته الأولى مشهدين من مشاهد الخطاب المشهد الأول (إنشائي - قسمي) والمشهد الآخر: خبري (جواب القسم) واللوحه الثانية مشهدها الأول إخباري أما اللوحه الثالثة فكانت (طلبية) والرابعة جسدها الخطاب الإنشائي (الشرطي).

وقد جمع خطاب (المكذّبين) بين لوحتين مركبتين ولوحتين أحاديتين إنشائيتين.

٣- اتصف الخطاب الإنشائي (المركب) بمزىة الثقل الرزين تفاعلاً مع ثقل كذب المكذّبين بالوعد الإلهي لهم ولعل ما أكّد ذلك تكرار التأكيد المقدس في اللوحه القسمية الأولى من قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾.

٤- تجسّد خطاب المتقين في لوحتين مقدّستين إخباريتين اللوحه الأولى: خطابها أسمى موجباً بنبات الوعد الإلهي لهم بحسن الثواب وقربه.

أما اللوحه الأخرى فجسدها الأداء الفعلي المقدّس وكأن الجزاء الإلهي قد مضى وتم تنفيذه على وفق لغة إخبارية قطعية وبهذا يكون تصديق المتقين بالوعد الإلهي أدعى لخطابهم بالخطب الأحادي (الخبري) لحفّة الخطاب ولحفّة جوانحهم بالفرح الغامر لنفوسهم بعل تحقق حسن الجزاء الإلهي لهم.

٥- انتقل الخطاب المقدّس في اللوحه الأولى من خطاب العموم (المتقين) أي عموم المتقين إلى خطاب تفاوت بين الغياب في مفردات (فاكهين، أتاها، وقاهم) وخطاب الحاضر في مفردات: ((كلوا، إشرّبوا، تعملون...)) وقد دلّ ذلك التفاوت الخطابي على إستبطاء (المتقين) قرب أو بعد تنفيذ الجزاء الإلهي الموعد لهم.

٦- تجسّد خطاب المتقين في اللوحه الثانية وفق خطاب إنتقالي من العموم في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ أي عموم المؤمنين إلى خطاب الغائب في مفردات: ((أتبعتم، ذريتهم، بهم، ألتناهم...))، وذلك الاستواء الأحادي في خطاب الغيبة يوحي بنفاذ الأمر الإلهي ومضيه في تنفيذ وعد المتقين.

٧- تميز خطاب المتقين (الإخباري - الأحادي) بمزىة الخفة وسرعة التنفيذ لحفّة جوانحهم بالفرح وهم يرفلون بالإحسان الإلهي.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، نشر: مكتبة الانجلو المصرية (٢٠٠٧م).
٣. البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر وطبع: المكتبة العصرية - بيروت - لبنان (د.ط) (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
٤. التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة ((الأفعال الكلامية في التراث اللساني: د. مسعود صحرأوي، نشر وطبع: دار الطليعة - بيروت - لبنان، ط ١ (٢٠٠٥م).

٥. الشفاء: ابن سينا تصدير ومراجعة: د. إبراهيم مدكور، ح. ت: د. محمد سليم سالم، ط: المطبعة الأميرية القاهرة (١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م).
٦. الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمد بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ)، نشر وطبع: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، ط ٢ (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).
٧. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير (٦٣٧هـ) دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط ١ (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).
٨. خصائص الأسلوب في الشوقيات: د. محمد عبد الهادي الطرابلسي، نشر: الجامعة التونسية (د. ط) (١٩٨١م).
٩. دراسة الصوت اللغوي: د. أحمد مختار عمر، طبع ونشر: عالم الكتب - القاهرة، ط ٤ (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
١٠. دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، نشر: مطبعة المدني - القاهرة، ط ٣ (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م).
١١. شرح المفصل: موفق الدين بن علي بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣هـ) حققه وشرح شواهد: أحمد السيد أحمد، راجعه ووضح فهارسه: إسماعيل عبد الجواد عبد الغني، نشر وطبع: المكتبة التوفيقية - القاهرة - مصر (د. ط) (د. ت).
١٢. في ظلال القرآن: سيد قطب، طبع: دار الشرق - القاهرة - مصر، الطبعة الشرعية السابعة والثلاثون (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).
١٣. كتاب سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ) تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، دار الجليل - بيروت - لبنان، ط ١ (د. ت).
١٤. كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر): أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٨٢هـ)، تح: علي محمد البحّاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر وطبع: المكتبة العصرية - بيروت - لبنان، ط ١ (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
١٥. كشاف اصطلاحات الفنون: محمد علي بن علي التهانوي الحنفي (١١٥٨هـ) وضع حواشيه: أحمد حسن بسج طبع نشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ط ٢ (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
١٦. لسان العرب: للإمام العلامة أبي منظور (ت ٧١١هـ)، نسقه وعلق عليه ووضع فهارسه: علي شيري، نشر وطبع: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، ط ١ (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
١٧. مجمع البيان في تفسير القرآن: أمين الإسلام أبي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) طبع ونشر: دار القارئ ودار الكتاب العربي، ط ١ (١٤٣٠ - ٢٠٠٩م).
١٨. معاني الأنبياء في العربية: د. فاضل صالح السامرائي نشر: جامعة بغداد، ط ١ (١٤٠١هـ - ١٩٨١م).
١٩. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، نشر: مؤسسة الصادق - طهران - إيران، ط ١ (١٣٧٨هـ).

٢٠. مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، حققه وقدم له وفهرسه: د. عبد الحميد هنداوي منشورات دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط ١ (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
- مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون، ت. ح: د. حامد احمد الطاهر، طبع ونشر: دار الفجر للتراث - القاهرة، ط ١ (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).

السياسة الخارجية المصرية تجاه العراق بعد الاحتلال الامريكي

The Egyptian foreign policy on Iraq after the American occupation

Dr. Arshad Muzahim Mijbel

م.د. ارشد مزاحم مجبل^(١)

المقدمة

شهدت العلاقات العراقية المصرية عدة مشاهد راسمة للواقع العربي متمثلاً بالموقف الشعبي، الجماهيري والذي يتعد أحياناً عن المواقف الرسمية للسياسة في البلدين، وكان للحرب العالمية الثانية ومارسنته من خرائط سياسية دورٌ في شد التجاذب بين الساسة العراقيين والمصريين تبعاً لأفكارهم العقائدية أو لولاءاتهم المحورية، وكان من أبرز معالم هذه التطورات تأسيس جامعة الدول العربية سنة ١٩٤٥م، التي باتت تمثل بشكل أو آخر النظام الإقليمي العربي، حيث أن أهم أسباب قيام الجامعة العربية، هو التنافس العراقي المصري على الزعامة السياسية العربية، وبخاصة قبل قيام الثورتين في كل من مصر و العراق سنتي ١٩٥٢ و ١٩٥٨م على التوالي. وما أعقب ذلك من إحداث كان لها الأثر البارز في رسم السياسة الخارجية للبلدين وهذا ماستناوله في هذا البحث.

أولاً: السياسة الخارجية المصرية تجاه العراق من ١٩٤٥-١٩٧٠.

شهدت الحقب التي تلت الحرب العامة الثانية لغاية وفاة الرئيس جمال عبد الناصر عدة مراحل تجلت أهمها في:

١) مرحلة تأسيس جامعة الدول العربية:

تجلت هذه المرحلة بعد رفض مصطفى النحاس رئيس وزراء مصر سنة ١٩٤٢م، فكرة نوري باشا سعيد رئيس وزراء العراق آنذاك المتضمنة توحيد دول الهلال الخصيب^(٢).

١ - كلية القانون /الجامعة العراقية.

ولم يكتفِ النحاس برفض الفكرة^(٣)، وإنما ذهب إلى أبعد من ذلك، فطرح فكرته الجديدة التي تستعيز عن الفكرة العراقية^(٤)، لذلك جاء تحركه وفقاً إلى مبادرته في سنة ١٩٤٣م، عن قيام جامعة الدول العربية^(٥)، وبعد صدور ميثاق جامعة الدول العربية أخذ موقف العراق يتبدل اتجاه جامعة الدول العربية، وبدأت معها اتهامات السياسة العراقيين لمصر والجامعة الدول العربية، من خلال وصف الأخيرة بأنها أصبحت أداة لتحقيق أهداف السياسة الخارجية المصرية، واستدلوا على ذلك باحتكار مصر لمنصب الأمين العام^(٦).

٢) مرحلة ثورة تموز - يوليو ١٩٥٢ في مصر:

تعد هذه الثورة نقطة تحول كبيرة في السياسة الخارجية المصرية، حيث كان لها انعطافاً كبيراً في مجريات الأحداث على الساحة العربية وانعكست على مجريات العلاقات العربية العربية ومنها العلاقات العراقية المصرية^(٧)، فقد حملت الثورة الخلاف والتناقض مع الواقع السياسي السائد في العراق، فهذه الثورة قلبت الأوضاع رأساً على عقب^(٨)، فهي من جهة مثلت قلقاً كبيراً للنظام السياسي الحاكم في العراق، والذي أخذ يخشى من تأثير تلك الثورة على وجوده، خاصة مع طروحات جمال عبد الناصر التحررية، ومن جهة أخرى ظهور التناقض والاختلاف من ميدان السياسات الداخلية والخارجية والتنافس بين النظام المصري، والنظام العراقي على زعامة الوطن العربي^(٩).

- ٢- الهلال الخصيب: اصطلاح جغرافي يقصد به تلك الأقطار العربية المحيطة بشمال شبه الجزيرة العربية وهي العراق وسوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن، بمحيط هلال تمتد أطرافه بين خليجي العقبة والسويس من جهة الغرب وحتى خليج البصرة من جهة الشرق، أما رأس الهلال فيقع عند الحدود التركية للمزيد أنظر الرابط: <http://ar.wikipedia.org>
- ٣- د. جهاد مجيد محيي الدين، العراق والسياسة العربية (١٩٨١ - ١٩٥٨) منشورات مركز دراسات الخليج العربي، البصرة، ١٩٨٠، ص ٢٤٠.
- ٤- وصفت بأنها ذات أبعاد ومطامع جزئية، فكرة أعم وأشمل لا تقتصر في أوصافها على محاولة ربط دول الهلال الخصيب ببعضها سياسياً، وأما تعدد أقطار عربية أخرى. للمزيد انظر: سعد رزوف شبر محمد، نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية ١٩٣٢-١٩٤٥، ط١، بغداد ١٩٨٨، ص ٢٤٨.
- كذلك: د. غانم محمد صالح، العراق والوحدة العربية بين ١٩٣٩ - ١٩٥٨ - الفكرة و الممارسة، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر، ١٩٩٠، ص ١١٧.
- ٥- د. أحمد محمود جمعة، أنشاء جامعة الدول العربية مقدماتها وتطوراتها، الجزء ٣، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦، ص ١٢٩.
- ٦- hasou, tawfiq y.: the struggle for the arab world " Egypt s Nasser and the arab league, ckegan p. 17, poul one " England, lst., 1985.
- ٧- عبيد أمين اللهبي، العلاقات العراقية المصرية والدور المصري المطلوب، مقال منشور على شبكة المعلومات الدولية الانترنت على الربط: [http:// miraq.com](http://miraq.com)
- ٨- خضير أبراهيم سلمان محمد البدراني، العلاقات العراقية-المصرية للمدة (١٩٧٨-٢٠٠٠) م، رسالة ماجستير غير منشورة في العلوم السياسية كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، بغداد، ٢٠٠٢، ص ٧.
- ٩- يعد حلف بغداد من اهم النقاط الخلافية التي كانت متصدرة الساحة السياسية آنذاك بين عبد الناصر والباشا نوري السعيد بما يحملان الاثنان من رؤى مختلفة الواحد عن الآخر. للمزيد انظر: عبيد أمين اللهبي، مرجع سابق.
- كذلك: ناصر الدين النشاشيبي، ماذا جرى في الشرق الأوسط، منشورات المكتب التجاري، مطبعة دار الكتب، بيروت، ط ٢، ١٩٦٢، ص ٤٠٦.
- كذلك: د. ليلي ياسين حسين الأمير، نوري السعيد ودوره في حلق بغداد واثره في العلاقات العراقية . العربية حتى عام ١٩٥٨، مكتبة الفكر العربي، البصرة، ٢٠٠٨، ص ١٥١.

٣) مرحلة ثورة ١٤ تموز - يوليو ١٩٥٨ في العراق:

بمجرد قيام هذه الثورة قطع عبد الناصر زيارته إلى يوغسلافيا وتوجه إلى موسكو طالباً من " خروشوف" ^(١٠)، اتخاذ الإجراءات لمنع أي تدخل غربي ضد الثورة العراقية ^(١١)، فضلاً عن قيام عبد الناصر بعد عودته من الاتحاد السوفيتي بإصدار بيان جاء فيه " أن الجمهورية العربية المتحدة، ستقوم بجميع التزاماتها تجاه العراق الجمهوري وحكومته الجديدة، وذلك وفقاً لميثاق الضمان الجماعي العربي، أي تفعيل ميثاق الدفاع العربي المشترك، وأن إي عدوان على العراق هو بمثابة عدوان على الجمهورية المتحدة" ^(١٢). لم تكتفِ مصر بهذا، حيث أنها كانت أول دولة بالعالم تعترف بحكومة الثورة ^(١٣).

هكذا بعد القطيعة التي كانت بين العراق ومصر قبل الثورة، جاءت رغبة من قيادة الثورة لإقامة أوثق العلاقات مع الشقيقة مصر في كافة المجالات ^(١٤).

لكن هذه العلاقات الطيبة لم تدم طويلاً، وذلك لنشوب خلافات بين قادة الثورة في العراق بعد أربعة أشهر من قيامها ^(١٥). وسرعان ما تفاقم الخلافات بين قاسم وعبد الناصر لتصل إلى حد القطيعة، واتهام الواحد للآخر بالعمالة والخيانة ^(١٦).

٤) مرحلة ثورة ٨ شباط - فبراير ١٩٦٣ في العراق:

جاءت هذه الثورة كنتيجة حتمية للخلافات وللانشقاقات وللصراعات التي قامت بين قادة الثورة عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف حالت بالنهاية إلى قتل قاسم وتولي عارف زمام الرئاسة، وأن من البديهي أن يكون من أكثر الدول و الزعماء العرب ترحيباً بهذه الثورة هي مصر، وعبد الناصر ^(١٧).

١٠- خروشوف: نيكيتا سيرغيفيش خروتشوف، زعيم شيوعي ورجل دولة سوفيتي، ولد في ١٥ نيسان - ابريل سنة ١٨٩٤م، بمقاطعة كورسك الواقعة على الحدود الفاصلة بين روسيا و أوكرانيا من عائلة يعمل أفرادها بالمناجم، عمل في بداية حياته راعياً ومن ثم انتسب إلى الجامعة العمالية سنة ١٩٢٢م، تولى عدة مناصب في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي، إلى أن تقلد زمام الأمور وأصبح رئيساً للاتحاد السوفيتي سنة ١٩٥٣م، انتهج خروشوف سياسة الانفتاح والتفهم والتأييد إزاء دول العالم الثالث وخصوصاً الدول العربية منها، تخلى عن جميع مناصبه في ١٤ تشرين الأول - أكتوبر سنة ١٩٦٤م.

١١- جاء تصرف عبد الناصر هذا لمنع أي تدخل خارجي لقمع الثورة كما قمعت من قبلها ثورة رشيد عالي الكيلاني سنة ١٩٤١م، عندما تدخلت القوات البريطانية لإخمادها. للمزيد انظر: محمد حسنين هيكل، عبد الناصر والعالم، بيروت، دار النهار، ١٩٧٠، ص ١٨٧-١٨٩.

كذلك: د. عبد الحميد عبد الجليل أحمد شليبي، مرجع سابق، ص ٤٣٤.

١٢- فائق السامرائي، الوضع في العراق وإثره في القومية العربية، الدار القومية للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٥٩، ص ١٢٤.

١٣- جاء ذلك بسبب القطيعة والتصعيد السياسي والإعلامي بين العراق ومصر قبل الثورة، حيث لم يعترف العراق بالجمهورية العربية المتحدة، كذلك لم تعترف الأخيرة بالاتحاد الهاشمي الذي حل تلقائياً بعد قيام الثورة.

١٤- وكنتيجة لتلك المعطيات قرر عبد الكريم قاسم قائد الثورة، إرسال وفد كبير على أعلى مستوى يرثاسة عبد السلام عارف وعدد من وزراء والمسؤولين في الحكومة الجديدة إلى دمشق حيث كان عبد الناصر هناك. للمزيد انظر: د. عبد الجبار جرمود، تاريخ حياتي ١٩١٠-١٩٧١م، بغداد، دار النهضة، ١٩٦٥، ص ٣٢١.

١٥- وذلك لانقسام قادتها إلى فريقين، فريق مؤيد للوحدة أو الاتحاد مع الجمهورية المتحدة، وكان على رأسهم عارف، والقوميين، وحزب البعث العربي الاشتراكي، ويقف على الجانب الآخر الفريق الرافض للوحدة بقيادة قاسم، والشيوعيين، والأكراد. للمزيد انظر: المرجع السابق، ص ٣٢١.

١٦- رياض رشيد ناجي الحيدري، مرجع سابق، ص ٢٦٠.

١٧- بالفعل كانت القاهرة أول العواصم العربية والدولية اعترافاً بالثورة العراقية الجديدة، حيث أن عبد الناصر أرسل برقية تهنئة إلى عارف، بعد انتهاء عمليات القتال ونجاح الثورة بخمس عشرة دقيقة فقط. للمزيد انظر: د. عبد الحميد عبد الجليل أحمد شليبي، مرجع سابق، ص ٥٢٩.

ألا إننا نجد أن الإحداث أثبتت بأن أي من عارف وحزب البعث قادة الثورة، لم يكونا جادين في دعواهما للوحدة مع مصر التي تنغوا بها قبل قيام الثورة والتي على أساسها قاموا بها، إلا أنهم استخدموا اسم عبد الناصر والقومية العربية للوثوب إلى السلطة، وذلك لما يحمله عبد الناصر من شعبية وحب واحترام لدى غالبية الشعب العراقي والعربي^(١٨).

ثانياً: السياسة الخارجية المصرية تجاه العراق من ١٩٧٠-١٩٨١.

شهدت الحقب التي تلت استلام الرئيس أنور السادات لغاية إغتياله عدة مراحل تجلّت أهمها في:

١) مرحلة حرب ٦ تشرين الأول _ أكتوبر ١٩٧٣:

تعد مرحلة حرب ٦ تشرين الأول. أكتوبر سنة ١٩٧٣م، محطة تاريخية في إطار العلاقات العراقية - المصرية، حيث كان للعراق دورٌ بارزٌ وثقل سياسي كبير^(١٩)، فقد قدم العراق لمصر وسوريا، كل أصناف الدعم العسكري لتدعيم الجبهة المصرية. السورية، الأمر الذي كان له انعكاساته الإيجابية على التضامن العربي^(٢٠)، كما تواصل الدعم العراقي للجبهة العربية ضد الكيان الصهيوني على كافة المستويات العسكرية، والسياسية، والاقتصادية^(٢١).

وكان العراق من مؤيدي استخدام "النفط كسلاح في المعركة" فقد عمل مع باقي الدول العربية المنتجة للنفط على عدم بيع النفط العربي إلى الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية، باستثناء فرنسا التي كانت واقفة موقف الحياد والمساند للعرب، مما جعل بالأزمة الاقتصادية أن تضرب هذه الدول، هذا بالإضافة إلى تقليل صادرات النفط للدول التي تتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية وتتعاطف مع إسرائيل بصورة متكررة لا تقل عن ٥٠% ابتداء من شهر تشرين الأول. أكتوبر سنة ١٩٧٣م، من حجم الإنتاج الفعلي لشهر أيلول. سبتمبر سنة ١٩٧٣م^(٢٢).

١٨- حيث تم لكليهما الوصول إلى السلطة عارف بثورة ٨ شباط. فبراير سنة ١٩٦٣م، كما ذكرنا، وحزب البعث بثورة ١٧ تموز. يوليو سنة ١٩٦٨م، من دون إن يحقق أي منهما الوحدة المنشودة، ولا حتى الإتحاد الفدرالي الذي قاوموا بشدة أيام حكم قاسم ١٩- الفريق سعد الدين الشاذلي، حرب أكتوبر، منشورات مؤسسة الوطن العربي للطباعة والنشر، باريس، بالتعاون مع دار الحرية للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٨٠، ص ١٩٨-١٩٩.

٢٠- مذكرات محمود رياض (١٩٧٨-١٩٤٨)، البحث عن السلام في مصر والصراع في الشرق الأوسط، ط ١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١، ص ٢٤٠.

٢١- أن كل من الرئيس المصري أنور السادات والرئيس السوري حافظ الأسد لم يتوقعوا أن يشارك العراق بأي مجهود حربي في الحرب، وذلك لوجود أكثر من خطر على العراق، منها التواجد المكثف للقوات الإيرانية المنتشرة على طول حدودها مع العراق، بالإضافة إلى ثورات الأكراد التي لا تنقطع لكن مع بدء القتال اتصل الرئيس العراقي أحمد حسن البكر بالرئيسين السادات والأسد، يعلمهما بأن العراق قد قرر أن يشارك في المعركة. للمزيد انظر: خضير إبراهيم سلمان الحمداني، مرجع سابق، ص ١١.

كذلك: اللواء حسن مصطفى أحمد، الجبهة الشرقية ومعاركها في حرب رمضان، بغداد، مديرية المطابع العسكرية، ١٩٨٧، ص ١٩٣.

كذلك: محمد حسنين هيكل، أكتوبر ١٩٧٣ السلاح والسياسة، القاهرة، مركز الأهرام للتربية والنشر، ١٩٩٣، ص ٣٤. ٢٢- ويصف " نيسكون ذلك القرار ويقول " لقد تلقى الغرب في خريف سنة ١٩٧٣م، درساً قاسياً ومؤلماً لا ينسى. للمزيد انظر: ريتشارد نيكسون، مذكرات الرئيس نيكسون، الحرب الحقيقية، ترجمة، د. سهيل زكل، دمشق، دار حسان للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٨٣، ص ١١١.

٢) مرحلة معاهدة السلام المصرية الصهيونية:

بدأت هذه المرحلة بعد إن عزم السادات بإجراء الصلح مع الكيان الصهيوني، حيث أعلن ذلك صراحة في خطابه في جلسة مجلس الشعب المصري في تشرين الثاني _ نوفمبر سنة ١٩٧٧م، والتي أعلن فيها عن اقتراحه بالذهاب إلى القدس^(٢٣)، والذي جاء فيه "أنه مستعد للذهاب إلى أي مكان في العالم بحثاً عن السلام، حتى لو كان هذا المكان القدس ذاتها والكنيست"^(٢٤)، نفسه " (٢٥) .

وهكذا نفذ الرئيس السادات مساء يوم السبت ٢٠ تشرين الثاني . نوفمبر سنة ١٩٧٧م، حينما حطت طائرته في مطار (بن غورين) وسط أكبر حشد إعلامي عرفه العالم كافة^(٢٦)، وعلى الرغم من تباين مواقف الدول العربية من زيارة السادات إلى الكيان الصهيوني بين الراض والمتحفظ، إلا أن توقيع مصر في أيلول _ سبتمبر سنة ١٩٧٧م، على تسوية "كامب ديفيد"^(٢٧) دفع الدول العربية المتحفظة إلى موقف الرفض للتحرك المصري. فشرعت الدول العربية جميعها بقطع العلاقات مع مصر .

كما طلبت الحكومة العراقية لعقد مؤتمر القمة العربي، وتم عقده بالفعل في بغداد سنة ١٩٧٨م، وتمخض عنه: إرسال رسالة تحمل توقيع رئيس المؤتمر "البكر" يحملها إلى السادات وفد من القمة^(٢٨) .

وكان رد الدول العربية المعارضة لهذه الاتفاقية هو تنفيذ مقررات قمة بغداد، فقد قرر مجلس جامعة الدول العربية على مستوى وزراء الخارجية والاقتصاد والمال العرب، في الاجتماع الذي عقد ببغداد من المدة ٣١.٢٧ آذار _ مارس من نفس السنة، فرض العقوبات التالية على الحكومة المصرية^(٢٩):

أ- سحب السفراء العرب من مصر فوراً.

ب- تعليق عضوية مصر في جامعة الدول العربية.

ج- نقل مقر جامعة الدول العربية من مصر إلى تونس.

٢٣- محمد حسنين هيكل، حديث المبادرة، ط٦، بيروت، ١٩٨٥، ص ٤٨.

٢٤- الكنيست: أي "المجمع" هو البرلمان الإسرائيلي حيث يتركز عمل التشريع ومراقبة الحكومة الإسرائيلية. عدد نواب الكنيست ١٢٠ نائباً، ينتمي كل منهم إلى حزب مسجل ويعمل ممثلاً لهذا الحزب. أطلق على البرلمان الإسرائيلي اسم "الكنيست" نسبة إلى اسم مجلس الحاخامين الوارد في الميشناه: "قبل موسى التوراة من سيناء وسلمها ليشوع، ويشوع للشيوخ، والشيوخ للأنبياء، والأنبياء سلموها لرجال الكنيست الكبير.

٢٥- محمد حسنين هيكل، عواصف الحرب وعواصف السلاح، المفاوضات السرية بين العرب و (إسرائيل)، الكتاب الثاني، بيروت، ١٩٩٦، ص ٣٥٩- ٣٦٠.

٢٦- د. علي الدين هلال وجميل مطر، النظام الإقليمي العربي، مرجع سابق، ص ١٣٦.

٢٧- كامب ديفيد: عبارة عن اتفاقية تم التوقيع عليها في ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ بين الرئيس المصري محمد أنور السادات ورئيس وزراء إسرائيل مناحيم بيغن بعد ١٢ يوماً من المفاوضات في المنتجع الرئاسي كامب ديفيد في ولاية ميريلاند القريب من عاصمة الولايات المتحدة واشنطن. حيث كانت المفاوضات والتوقيع على الاتفاقية تحت إشراف الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر. ونتج عن هذه الاتفاقية حدوث تغييرات على سياسة العديد من الدول العربية تجاه مصر بسبب ما وصفه البعض "بتوقيع السادات على اتفاقية السلام دون المطالبة باعتراف إسرائيل بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره" وتم تعليق عضوية مصر في جامعة الدول العربية من عام ١٩٧٩ إلى عام ١٩٨٩ نتيجة التوقيع على هذه الاتفاقية ومن جهة أخرى حصل الزعيمان مناصفة على جائزة نوبل للسلام عام ١٩٧٨ بعد الاتفاقية حسب ما جاء في مبرر المنح للجهود الحثيثة في تحقيق السلام في منطقة الشرق الأوسط. للمزيد انظر: جمال علي زهران، السياسة الخارجية لمصر (١٩٧٠م . ١٩٨١م)، مكتبة مدبولي، القاهرة، تاريخ النشر بلا، ص ١٢٣.

٢٨- إلا أن السادات لم يأخذ برسالة القمة العربية وسار قدماً نحو هدفه بعقد المعاهدات والاتفاقيات مع إسرائيل فوقعت المعاهدة المصرية . الإسرائيلية في ٢٦ آذار . مارس سنة ١٩٧٩م) أحمد عصام عودة، الملف الكامل لمسيرة القمة العربية، عمان، مطابع المؤسسة الأردنية، ١٩٨١، ص ٣٥.

٢٩- خضير إبراهيم سلمان محمد البدراني، مرجع سابق، ص ٣٦.

ثالثاً: السياسة الخارجية المصرية تجاه العراق من ١٩٨١-١٩٩٠.

شهدت الحقبة التي تلت مقتل السادات واستلام الرئيس حسني مبارك السلطة ولغاية الدخول العراقي للكويت عدة مراحل تجلّت أهمها في:

١) حرب الخليج الأولى ١٩٨٠-١٩٨٨:

بعد مرور وقت ليس بالطويل من بدء القطيعة العربية لمصر وخروج مصر من دائرة الصراع العربي - الإسرائيلي، بدأت الحرب العراقية - الإيرانية، فأثرت هذه الحرب بالسلب على إدارة الصراع العربي - الصهيوني^(٣٠).

مما عمد بصانع القرار السياسي الجديد في مصر المتمثل بالرئيس حسني مبارك، الذي تولى حكم مصر بعد اغتيال السادات سنة ١٩٨١م، إلى انتهاج سياسة خارجية جديدة، وتحسين العلاقات مع الدول العربية وبالأخص العراق منها، لكونه يمر بمرحلة صعبة وعصيبة وهو يخوض حربه الدامية مع إيران^(٣١).

فتحسنت العلاقة بين العراق ومصر، واصبح هناك تتطور بالعلاقة في شتى المجالات^(٣٢). ووصلت العلاقات العراقية - المصرية الى أعلى مستوى في تلك الفترة، ونلاحظ ذلك عندما رفضت القيادة المصرية عرضاً إيرانياً رسمياً غير مباشر، بشأن شراء معدات عسكرية بقيمة مليار دولار^(٣٣). وكنتيجة حتمية لموقف مصر الرسمي والشعبي عمل العراق على إعادة مصر إلى الصف العربي، وكان العراق مؤمن بضرورة إعادة العلاقات العراقية - المصرية^(٣٤). حيث كان للعراق دورٌ مهمٌ ومؤثرٌ وفعالٌ في اتخاذ القرار العربي القاضي بإعادة مصر إلى الجامعة العربية بشكل رسمي، وهذا ماحدث في مؤتمر قمة الدار البيضاء في تشرين الثاني - نوفمبر سنة ١٩٨٩م.

٣٠ - لأن الحرب قللت من إمكانية نشوب حرب عربية ضد إسرائيل، كما أنها مكنت الجيش الإسرائيلي من تخفيض ميزانيته السنوية بسبب ذلك. للمزيد أنظر: جمال مصطفى عبدالله، الإستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط ١٩٩٩-٢٠٠٠، رسالة دكتوراه غير منشورة في العلوم السياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، بغداد، ٢٠٠١، ص ١٨٤.

كذلك: د. خلدون ناجي معروف، إتفاقية التسوية وإثرها على القضية الفلسطينية. في كتاب علاقات إسرائيل الدولية، مركز الدراسات الفلسطينية، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٩٠، ص ٢٨٣.

٣١ - هنا بدأت أول مظاهر إعادة وتحسين العلاقة بين العراق ومصر، فقد كانت هذه الحرب من الفرص المهمة والكبيرة لإعادة مصر علاقاتها الطبيعية مع الدول العربية، فوفقت موقف إيجابي مع العراق في حربه مع إيران. للمزيد أنظر: خضير إبراهيم سلمان محمد البدراني، مرجع سابق، ٤٣.

كذلك: د. جمال علي زهران، ابعدا الدور المصري تجاه الحرب العراقية المصرية، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الإهرام، القاهرة، العدد ٧٩، ١٩٨٥، ص ١٢٢.

٣٢ - فقامت مصر بتجهيز الأسلحة والذخائر إلى الجيش العراقي، ولم تمضي الا فترة قصيرة حتى كانت خطوط الإنتاج في مصانع الذخيرة المصرية تعمل للجيش العراقي، واستمر ذلك طوال فترة الحرب هذا بالإضافة إلى اشتغال الملايين من العاملة المصرية في العراق مماكان فيها من الأثر الإيجابي للطرفين. للمزيد أنظر: اللواء الدكتور كمال أحمد عامر، الدور المصري والعربي في حرب تحرير الكويت، ج ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، تاريخ النشر بلا، ص ٢٧.

٣٣ - جريدة كريستان ساينس مونتر، ٢٣/٤/١٩٨٢م، نقلاً عن: المرجع السابق، ص ٥١.

٣٤ - سعد هزاع عمر، الوحدة العربية في سياستي مصر والعراق، دراسة مستقبلية مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة في العلوم السياسية، معهد القائدات المؤسس للدراسات العليا، بغداد، ٢٠٠١، ص ١٨٠.

٢) مجلس التعاون العربي:

شهدت بغداد في شباط . فبراير سنة ١٩٨٩م، التوقيع على ميثاق مجلس التعاون العربي والذي ضم تحت مظله كل من العراق، مصر، الأردن، اليمن^(٣٥). جاء تشكيل هذا المجلس لبلوغ العلاقات العراقية المصرية إلى الذروة الإيجابية.

و كان من المخطط له إن يقوم مجلس التعاون العربي بدور ريادي في المنطقة، لولا الحروب التي آتت عليها^(٣٦)، لكن هذا الحلف لم يستمر مدة طويلة وأستمر لبضعة أشهر فقط، حيث أنه انفرط بمجرد اجتياح الجيش العراقي للكويت في ٢ آب . أغسطس سنة ١٩٩٠م، حيث وقفت كل من اليمن والأردن إلى جانب العراق، وقفت مصر إلى جانب الكويت، وبهذا انحل هذا المجلس^(٣٧).

رابعاً: السياسة الخارجية المصرية تجاه العراق من ١٩٩٠-٢٠٠٣.

شهدت الحقبة التي تلت حرب الخليج الثانية ولغاية احتلال العراق وإسقاط نظامه السياسي عدة مراحل تجلّت أهمها في:

١) حرب الخليج الثانية سنة ١٩٩١:

جاءت قضية الاجتياح العراقي للكويت لتدمر العراق بصورة خاصة والوطن العربي بصورة عامة، لما ترتب عليها من انقسامات وتشذرات داخل العراق والوطن العربي^(٣٨).

حيث انقسم الرأي العام العربي بين مؤيد والرافض. فتمثل المعسكر الأول وضم كل من الأردن، اليمن، السودان، موريتانيا، فلسطين، الجزائر، ليبيا، تونس، وهو المعسكر الذي يتحفظ على إدانة العراق، ويرفض الاستعانة بقوات أجنبية لإجبار العراق على الانسحاب من الكويت، بينما تشكل المعسكر

٣٥- د. سلمان زيدان النداوي وعصام محمد حسون، مجلس التعاون العربي، المدخل و الفلسفة والعمل، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٩، ص ٤١.

٣٦- حيث كان الهدف من تأسيس هذا المجلس، هو تحقيق أكبر قدر من التنسيق والتعاون والتكامل الاقتصادي الذي يعطي مردودات إيجابية للدول المؤسسة مما يؤدي بدوره إلى إعطاء قدر أكبر من المردودات الإيجابية على الصعيد السياسي، وتعد هذه الخطوة مدخلاً لتحقيق الأمن القومي العربي لو تم العمل به بصورة صحيحة. للمزيد أنظر: خطاب الرئيس حسني. مبارك أمام مجلس الشعب والشورى المصريين، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٩٨٩/٣/٢١.

٣٧- مجلس التعاون العربي، مقال منشور على شبكة المعلومات الدولية الانترنت على الرابط:
<http://www.wikiid..org/wiki/d98>.

٣٨- فعملت حكومة الكويت على أن تكون أداة بيد الولايات المتحدة الأمريكية لإضعاف العراق اقتصادياً وتحقيقاً لهذه الغاية، جاء في البند الخامس من الاتفاق الموقود بين وكالة المخابرات الأمريكية (CIA) ووزارة الداخلية والأمن الكويتية، على أن تقوم حكومة الكويت بمشاهدة العراق بهدف تطويره اقتصادياً، لإضعافه من أن يقوم = بأي دور يمكن أي يزيد في رصيد قوته السياسية والاقتصادية. حيث تم الكشف عن هذا الاتفاق الموقود بين وكالة المخابرات الأمريكية ووزارة الداخلية والأمن الكويتية، وثيقة سرية يعود تاريخها إلى ٢٢ تشرين . نوفمبر سنة ١٩٨٩م، تتضمن ثمان فقرات، أعدها مدير الأمن الوطني الكويتي إلى وزير الداخلية، تركز الفقرة الخامسة منها على ما يأتي: " قد اتفقنا مع الجانب الأمريكي على أن من المهم الاستفادة من تدهور الوضع الاقتصادي في العراق حتى نجبر هذا البلد على رسم حدودنا المشتركة وقد عرضت وكالة الاستخبارات الأمريكية وسائل الضغط التي نراها ملائمة مع التشديد على انه يقوم بيننا تعاون واسع في هذا الحقل. بشرط إن يتم التنسيق على أعلى مستويات " للتفاصيل انظر: محمد حسنين هيكل، (حرب الخليج) راوهم القوة والنصر، ط ١، القاهرة، دار الأهرام، ١٩٩٢، ص ٢-٣.

الثاني من دول مجلس التعاون الخليجي^(٣٩)، مصر، سوريا، المغرب، لبنان، الصومال، جيبوتي، وهو الذي يدين الإجتياح العراقي للكويت، ويساند المطلب السعودي بالاستعانة بقوات أجنبية^(٤٠). ولم تكتفِ مصر بفتح ممرها المائي المتمثل بقناة السويس لعبور ناقلات الطائرات والمدمرات وباقي قطع الأسطول لقوات التحالف^(٤١)، عبر موانئ مصر على البحر الأحمر وصولاً إلى مياه الخليج العربي فقط، وإنما ذهبت إلى إرسال حشد عسكري كثيف للمنطقة^(٤٢).

٢) مرحلة العقوبات الاقتصادية:

نتج عن هذه المرحلة فرض الحصار الاقتصادي على العراق، الذي دام قرابة ثلاثة عشر عاماً، وقد شاركت الدول العربية ومنها مصر قبل دول العالم في تطبيق هذا الحصار مع باقي دول العالم، الذي أسفر عن وفاة قرابة مليون طفل عراقي بسبب ذلك الحصار^(٤٣). وامتازت هذه المرحلة بالعصبية والتدهور بين العراق ومصر، وبقي الحال على ما هو عليه بين الحكومة العراقية والمصرية لغاية ما عدلت الحكومة المصرية موقفها الرسمي من العراق على الرغم من الأزمة التي خلفتها أحداث الثاني من آب - أغسطس سنة ١٩٩٠م، في العلاقات بينهما لذلك نجد ان موقف الحكومة المصرية قد طرأ عليه نوع من التحسن عندما أدركت بخطورة الحصار على العراق^(٤٤) وان المسوغ لاستمرار هذا الحصار قد انتفى.

وعلى أساس هذا الموقف انطلقت الدعوات والمبادرات الشعبية المصرية المتعددة المحالات لتأكيد ضرورة رفع الحصار، فقد وصلت إلى بغداد منذ سنة ٢٠٠٠م، العديد من الطائرات المصرية خارقة الحظر

٣٩- مجلس التعاون الخليجي: مجلس التعاون لدول الخليج العربية هو منظمة إقليمية عربية مكونة من ست دول أعضاء تطل على الخليج العربي هي السعودية والإمارات والكويت وقطر وسلطنة عُمان ومملكة البحرين. كما يعد كل من العراق باعتباره دولة عربية مطلة على الخليج العربي واليمن (الذي يمثل الامتداد الاستراتيجي لدول مجلس التعاون الخليجي) دولا مرشحة للحصول على عضوية المجلس الكاملة حيث يمتلك كل من العراق واليمن عضوية بعض لجان المجلس كالرياضية والصحية والثقافية. تأسس المجلس في ٢٥ أيار - مايو ١٩٨١م، بالاجتماع المنعقد في أبو ظبي بالإمارات العربية المتحدة وكان كل من الشيخ جابر الأحمد الصباح والشيخ زايد بن سلطان آل نهيان من أصحاب فكرة إنشائه. يتولى رئاسة الأمانة العامة للمجلس حالياً عبد الرحمن بن حمد العطية. ويتخذ المجلس من الرياض مقراً له. للمزيد انظر موقع مجلس التعاون الخليجي على شبكة المعلومات الدولية الانترنت على الرابط: <http://www.gcc-sg.org>

٤٠- هكذا وقفت مصر على رأس الدول التي عارضت الدخول العراقي للكويت، وتلبية للمطلب السعودي بالمشاركة في الدفاع عن أراضيها، طبقاً لمعاهدة الدفاع العربي المشترك. للمزيد أنظر: اللواء الدكتور، كمال أحمد عامر، مرجع سابق، ص ١٢٣.
٤١- قوات التحالف: وهو أكبر تجمع عسكري تشكل بعد الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥م، حيث جمعت الولايات المتحدة الأمريكية اربع وثلاثين دولة، غالبيتهم دول كبرى، ضد العراق بعد قيام الاخير بجتياح الكويت سنة ١٩٩٠م، كما شهد هذا التحالف مشاركته دول عربية على رأسها مصر، دمر العراق على ضوء هذا =التحالف، حيث انه صار اقرب زمانيكون الى دول ما قبل الميلاد بما شكله التحالف من قوة عسكرية مدمرة، وعلى الرغم من كبر التحالف وقوة المفردة الا ان العراق قاوم هذا العدوان مايقارب شهرين تمكن خلالها الى الحاق خسائر لا يستهان بها.

٤٢- حيث وافقت مصر في ١١ آب - أغسطس سنة ١٩٩٠م، بإرسال قوات عسكرية مصرية إلى السعودية^(٤٢)، وفعلاً تم إرسال هذه القوات وعددها (٣٦) ألف جندي مجهزاً بأحدث الأسلحة لكي تقف إلى جانب قوات التحالف الغربي. للمزيد أنظر: تصريحات تركي ابن نصار عبد العزيز، مسؤول قاعدة الملك خالد الجوية، جريدة الاجبار، القاهرة، ١٨/١٠/١٩٩٠.

٤٣- خضير إبراهيم سلمان محمد الحمداني، مرجع سابق، ص ١٠٠.
٤٤- هنا دعت الحكومة المصرية الأقطار العربية إلى مراجعة سياساتها تجاه العراق بعد مرور ثلاثة عشر سنة على العدوان والحصار، وأعربت الشركات المصرية عن استعدادها لتزويد العراق باحتياجاته في مجالات تأهيل وتحديث البنى التحتية المتضررة. للمزيد انظر: المرجع السابق، ص ١١٤.

الجوي على العراق وحاملة أعداداً كبيرة من المسؤولين والمثقفين والفنانين والرياضيين والمحامين ومن كافة الشرائح الاجتماعية^(٤٥).

٣ حرب الخليج الثالثة سنة ٢٠٠٣:

شهدت هذه المرحلة من وجهة نظرنا ازدواجية بالمعايير، حيث كان الموقف الرسمي المصري مشوشاً وغامضاً فتجلى بالرفض الكلي لعملية احتلال العراق وتغيير نظامه السياسي، من خلال نشاطات وتحركات الرئيس مبارك للحيلولة دون وقوع الغزو^(٤٦). لكن بالمقابل نجد إن تسهيلات مصرية قدمت للولايات المتحدة الأمريكية تمثلت في الدعم اللوجستي^(٤٧)، لقواتها العسكرية التي شرعت في عملية غزو واحتلال العراق من خلال عدة وسائل هي:

أ) سماح الحكومة المصرية للقوات الأمريكية الغازية حيث وافقت الحكومة المصرية من المرور عبر قناة السويس على مرور القطع الحربية الأمريكية و البريطانية بحجة أن مصر ملتزمة باتفاقية القسطنطينية^(٤٨).
ب) المساندة الإعلامية المصرية^(٤٩).

ج) الدعم الغذائي المصري^(٥٠).

ونحن هنا نقول إن الحكومة المصرية كانت تتمسك باتفاقية القسطنطينية، التي مر على إبرامها ما يقارب (١٢٠) سنة، وتسعى لتفعيلها والعمل بمقتضاها، فلماذا لا تسعى لتفعيل اتفاقية الدفاع العربي

٤٥ - سعد هنزاع عمر، مرجع سابق سابق، ٢٠٠٨.

٤٦ - حيث أجرى الرئيس المصرية عدة محادثات ولقاءات مع المسؤولين الدوليين والاقليميين ومنها التقى في ٤ كانون الثاني - يناير ٢٠٠٣، وزير الخارجية التركي عبدالله غول في شرم الشيخ وبحث معه تطورات الازمة العراقي. وفي ١٤ من الشهر والسنة ذاتها، قام ايضا بزيارة سريعة إلى المملكة العربية السعودية التقى خلالها = الملك فهد بن عبد العزيز وولي عهده، لبحث سبل تجنب شن حرب على العراق، واعقبها بفترة قصيرة. بجولة اوروبية شملت كل من (المانيا - فرنسا) لبحث الموضوع ذاته، وفي ٢٤ كانون الثاني - يناير سنة ٢٠٠٣م، شاركت مصر في اجتماع لدول جوار العراق، لبحث والعمل على الحل السلمي للامزة العراقية. كما استقبل الرئيس مبارك في ١٥ شباط - فبراير سنة ٢٠٠٣م، العاهل الأردني الملك عبدالله الثاني، وقد خرجت القمة المصرية - الاردنية مؤكدة على اهمية استمرار الجهود لابعاد شبح الصراع العسكري في العراق. للمزيد انظر: جريدة الشرق الاوسط، ٢٠٠٣/١/١٥.

٤٧ - الدعم اللوجستي: logistical suort هو المساندة المتعلقة بالإمداد والتموين للقوات العسكرية في عملياتها المتقدمة لغزو أراضي الغير، وكما تحتاج القوات الغازية للدعم اللوجستي تحتاج إلى العمليات الإعلامية العسكرية التي تعمل على تحيئة الرأي العام في الأراضي المستهدفة بالغزو تحت أسماء ومسميات الأهداف النبيلة والغايات السامية. وتقديم الدعم اللوجستي مشاركة فعلية في العمليات العسكرية لان قوات بدون دعم لوجستي تعني الهزيمة والاندحار والتقهقر بحثاً عن الماء والطعام. للمزيد انظر: سليمان بن صالح الخراشي، مرجع سابق.

٤٨ - هي الاتفاقية التي وقتتها الخلافة العثمانية ومصر في ولايتها وأكدت الحكومة المصرية، إن مصر لا تستطيع إن تمنع أي قطعة حربية أجنبية من المرور في القناة، الا اذا كانت مصر في هي المقصودة بالحرب. للمزيد انظر: د. علي الدين هلال، العراق وفاق المستقبل، مداخله في ندوة المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، القاهرة، في ١٩/٧/٢٠٠٦، ص ١٥.

٤٩ - حصلت القوات الأمريكية دعماً واضحاً من بعض وسائل الإعلام ومن هذا الدعم نشر جريدة الأهرام في عددها الصادر يوم الخميس المصادف ٢٠ آذار - مارس سنة ٢٠٠٣م، إعلاناً مدفوع الثمن باسم حركة الوفاق الوطني العراقي الممولة من الولايات المتحدة الأمريكية، بما أسمته جرائم صدام. للمزيد أنظر: جريدة الأهرام، ٢٠٠٣/٣/٢٠.

٥٠ - جاء هذا الدعم من خلال السماح للقوات الأمريكية ولبريطانية من الحصول على الدعم الغذائي اللازم خلال حملتها على العراق من الاسواق المصرية، وهذا ماتم رصده من خلال فلم وثائقي عن حال الجيش الامريكي خلال عملية الاحتلال، حيث رصدت الكامرة صورا لعبوات يرتقال مكتوب عليها بيانات تؤكد ان البرتقال مصري طازج من إنتاج شركة اسمها سقارة وبث الفيلم من خلال شاشة ابو ظبي الفضائية في يوم ٢٥ آذار - مارس سنة ٢٠٠٣م.

المشترك التي لا يتجاوز عمرها نحو (٦٠) سنة التي تشكل مصر احد ابرز ركائزها^(٥١)، وهذا ما حصل عند الدخول العراقي للكويت ١٩٩٠م^(٥٢).

هكذا يمكن القول إن الموقف المصري لم يكن سلبياً تجاه العراق فقط، وإنما كان ايجابياً بالنسبة إلى الولايات المتحدة الأمريكية والإطراف التي لها مصلحة في احتلال العراق وتدميره^(٥٣)، حيث كان الدعم اللوجستي المصري مؤثراً وذو اثر ملموس بالإسراع من عملية احتلال العراق.

اما عن الموقف الشعبي المصري من الغزو الانكلو أمريكي للعراق فكان أكثر وضوحاً من الموقف الحكومي، حيث شهدت الساحة السياسية المصرية حالة من الإجماع بين كافة المؤسسات السياسية والثقافية^(٥٤)، والدينية^(٥٥)، ومنظمات المجتمع المدني^(٥٦)، على رفض الغزو والاحتلال الانكلو أمريكي للعراق.

خامساً: السياسة الخارجية المصرية تجاه العراق من ٢٠٠٣-٢٠١١.

شهدت الحقب التي تلت حرب احتلال العراق ولغاية خلع مبارك وتولي الرئيس محمد مرسي وخلعه أيضاً عدة مراحل تجلت أهمها في:

٥١- وبمقتضاها تعتبر مصر في حالة حرب حال وقوع العدوان على أي دولة عربية عضو في اتفاقية الدفاع العربي المشترك، والعراق من بين هذه الدول.

٥٢- نجد ان مصر قد فعلت معاهدة الدفاع العربي المشترك، لكن ما لا يمكن تفسيره هو الموقف المصري من الغزو والاحتلال الانكلوأمريكي، ذلك ان مصر لم تتخذ أي موقف ينسجم مع حجم الفعل الأمريكي. فمصر التي جمعت العرب واتحدت مع الغرب عند الدخول العراقي للكويت، لم تتخذ أي موقف إزاء ما حصل في العراق. للمزيد انظر: د. خيرى عبد الرزاق جاسم، العراق ومصر.. مبادئ ام مصالح، مجلة شؤون عراقية، مركز العراق للدراسات، بغداد، العدد ٣، ٢٠٠٣، ص ٤١.

٥٣- المرجع السابق، ص ٤٢.

٥٤- تميز موقف أحزاب المعارضة المصرية بالرفض القاطع لعملية الغزو والاحتلال الانكلو أمريكي للعراق، وإعلانها الدعم الكامل للشعب العراقي، ومناصرة المقاومة العراقية، ومساندتها ضد القوات الغازية، مستندة في ذلك على ان الغزو والاحتلال يعد انتهاكاً لميثاق الأمم المتحدة، والمواثيق الدولية، وأنة يهدف إلى تغير نظام العراق بالقوة، الذي هو من أوائل الدول بمنظمة الشرق الأوسط استقلالاً، وانضماماً إلى "عصبة الأمم" ومن =بعدها "الأمم المتحدة". ومن أهم هذه الأحزاب هي (حزب الواحد حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي، الحزب الناصري). للمزيد انظر: التقرير الاستراتيجي العربي ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤، مرجع سابق، ص ١٠٦.

٥٥- أن مؤسسات الدينية لها الأثر البارز والملموس في التأثير على الشارع العالمي بصورة عامة والشارع العربي بصورة خاصة. عليه كان مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر الشريف سابقاً في إدانته لغزو العراق واحتلاله من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها في سنة ٢٠٠٣م، حيث صرح الشيخ "علي أبو الحسن" رئيس لجنة الفتوى بالأزهر آنذاك في شهر شباط - فبراير سنة ٢٠٠٣م، بفتوى يؤكد فيها "وجوب قتال القوات الأمريكية إذا احتلت العراق، وأن دماء الجنود الأمريكيين والبريطانيين تعد في هذه الحالة حلالاً، كما أن قتلى المسلمين يعدون شهداء. فضلاً عن مواقف الكنائس المصرية الثلاث من الأزمة العراقية الذي لم يختلف عن الموقف الرسمي والشعبي والإسلامي في مصر، حيث أدانت عملية الغزو ومن ثم الاحتلال الأنكلو أمريكي للعراق، فضلاً عن مشاركة الكنائس في المؤتمرات التي نظمتها مختلف القوى السياسية الرسمية والمعارضة الراقضة للاحتلال الأنكلو أمريكي للعراق. للمزيد انظر: التقرير الاستراتيجي العربي ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤، مرجع سابق، ص ١٠٩.

٥٦- قامت مؤسسات المجتمع المدني والنقابات في مصر بعدد من الخطوات العملية للتبديد بعملية الغزو، كإرسال قوافل إغاثة، وتنظيم مؤتمرات وندوات، جماهيرية، وقيادة مظاهرات احتجاج للعدوان، وتأييدها المطلق للشعب العراقي، ورصد قوائم المقاطعة الاقتصادية لدول الاحتلال. فأشهدت مختلف الجامعات المصرية ميدان ومظاهرات منددة بالحرب على العراق، وضمنت المظاهرات الإلف من المتظاهرين. كما شهدت عدد من المحافظات المصرية مظاهرات لدعم ومساندة وتأييد العراق وشعبه، والتنديد بالعدوان الغاشم^(٥٦)، مثل المظاهر التي شهدتها محافظة دمياط قبيل الغزو الأنكلو أمريكي، وضمنت ما يقارب ((٢٥٠)) إلف متظاهر وكما شهدت محافظة الإسكندرية تظاهرة ضمت أكثر من مئة إلف متظاهر، منددين بالحرب على العراق. للمزيد انظر: التقرير الاستراتيجي العربي ٢٠٠٢ - ٢٠٠٣، مرجع سابق، بلا ص.

١) السياسة المصرية بعد الاحتلال:

عرجت مصر بعد تغيير النظام السياسي في العراق إلى إتباع عدة أساليب لإدارة الحالة مع العراق كان من أهمها أسلوب الترقب والانتظار مع التأكيد على وحدة العراق وضرورة إنهاء التواجد الأجنبي العسكري، دون إقصاء لأي طرف عراقي لأي سبب كان. أما عن الأسلوب الثاني فكان التكيف الإيجابي مع التطورات السياسية الجارية في العراق، لاسيما بعد حزيران - يونيو سنة ٢٠٠٤م، حيث صدر قرار الأمم المتحدة (١٥٤٦) الذي صاغ أسس العملية السياسية في العراق^(٥٧).

ونلاحظ هنا إن الحكومة المصرية عملت إلى الجمع بين المقصدين، أي التمسك بالمبادئ^(٥٨)، والمحافظة على الحد الأدنى من العلاقات المصرية الأمريكية على نحو لا يمنح تبريراً لخصوم العلاقة المصرية الأمريكية لتمزيقها بما يؤدي إلى استعداد الإدارة الأمريكية ضد مصر^(٥٩).

ومع سقوط بغداد في ٩ نيسان - أبريل سنة ٢٠٠٣م، أخذت مصر بتعديل مواقفها بشأن العلاقة مع القوى والأحزاب المعارضة في عراق ما بعد صدام، بعد أن كانت السياسة المصرية تجاه العراق طيلة فترة ما بعد حرب الخليج الثانية سنة ١٩٩٠م، تقوم على رفض أي تدخل في الشؤون الداخلية العراقية^(٦٠)، ورفض إجراء أي اتصالات مع جماعات المعارضة العراقية بمختلف تياراتها، ولقد سببت هذه الخاصية نتائج سلبية على الموقف المصري من ترتيبات ما بعد صدام في العراق، حيث عانت مصر من الافتقار إلى الروابط مع جماعات المعارضة، بل والعجز عن التعرف على التوجهات وبرامج هذه الجماعات على كافة القضايا المتعلقة بمستقبل العراق^(٦١).

إن بمجرد انتهاء العمليات العسكرية واحتلال بغداد، قال الرئيس مبارك "إنه من الضروري تحقيق استقرار الوضع في العراق، وإعادة بناء مؤسسات الدولة، وإنهاء الفوضى التي تلت سقوط بغداد"^(٦٢). وفي ٢ حزيران - يونيو سنة ٢٠٠٤م، اعترفت مصر بالحكومة المؤقتة، وذلك بعد إرسال برقيتي تهنئة من الرئيس مبارك إلى كل غازي الياور، لتوليه رئاسة الجمهورية العراقية، والدكتور إياد علاوي، لتوليه رئاسة

٥٧- عبد المنعم منصور علي، العلاقات المصرية الإيرانية الجزء الثاني، مقال منشور على شبكة المعلومات الدولية الانترنت على الرابط:

<http://aabdmnm.net>

٥٨- فأصرت مصر على مواقفها منذ بداية الأزمة على إبراز تمسك مصر بمبادئ القانون الدولي وطرح رؤية متكاملة نحو مصير العراق (معارضة الحرب، وضمان استقلال وسيادة العراق ووحدته الإقليمية). في مقابل تعاون العراق فيما يتعلق بأسلحة الدمار الشامل. بل أن مصر رفضت مجرد المشاركة في تبني مبادرات إقليمية ودولية تتضمن تنحي الرئيس العراقي صدام حسين مقابل توقف الولايات المتحدة الأمريكية عن تهديد العراق بالغزو.

٥٩- د. محمد السيد سعيد، الاحتلال الأمريكي للعراق رؤية مصرية، ١ ط، دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ١٠٧.

٦٠- مصر والحرب على العراق، مرجع سابق.

٦١- لقد حاولت مصر بعد الاحتلال الانكلوامريكي للعراق أن تتلافى هذا النقص من خلال الاتصال بجماعات العراقية التي لا يثير الاتصال بها أية حساسيات مثل المجلس الأعلى الإسلامي والأحزاب الكردية الرئيسية وتجمع الديمقراطيين المستقلين. كما أعلن وزير الخارجية المصري آنذاك أحمد ماهر عن ترحيبه بلقاء كل من يريد أن نستمع إليه أو يستمع إلينا.

٦٢- وأصدر مكتب رئاسة الجمهورية في مصر بياناً يوم ١٤ تموز - يوليو سنة ٢٠٠٣م، يرحب به تشكيل مجلس الحكم الانتقالي العراقي، وصفوه بأنه خطوة إلى الأمام، وأنه من شأنه أن يعيد الاستقرار إلى العراق، = وخطوة إيجابية نحو وضع دستور جديد وحكومة منتخبة^(٦٢). تتوج الاعتراف المصري بمجلس الحكم الانتقالي العراقي بتتابع زيارة أعضاء هذا المجلس إلى القاهرة تبعاً. للمزيد انظر: أحمد مسعود، وفد مجلس الحكم الانتقالي العراقي يصل إلى القاهرة في بداية زيارته إلى مصر، مقال منشور في جريدة الاهرام ٢٠٠٣/٨/٤.

مجلس الوزراء العراقي، مؤكداً على دعم مصر الكامل لجهودها في حشد الإمكانيات لبناء الدولة العراقية، وايضاً ترسيخ دعائم السيادة والاستقلال والحكم الوطني تحقيقاً لما يصبوا إليه شعب العراق^(٦٣).

هكذا شهدت الفترة التي عقت سقوط بغداد واختلالها تحركاً مصرياً واسعاً اتجه العراق تتوج بكونها من أوائل الدول العربية التي أعادت تمثيلها الدبلوماسي بالعراق، الا ان هذا لم يستمر طويلاً، فشرعت قوة الإرهاب إلى اختطاف القائم بالإعمال المصري في بغداد السفير "إيهاب الشريف" في ٣ تموز . يوليو سنة ٢٠٠٥م، ومن ثم قتل على أيدي عناصر القاعدة بعد أربع أيام من اختطافه^(٦٤).

وفي هذا إشارة واضحة إلى عدم رغبة بعض الأطراف العراقية والإقليمية بالتواجد الرسمي المصري على الساحة العراقية، وترهيب البعثات العربية الرسمية الاخرى^(٦٥)، وهنا اغلقت مصر العربية سفارتها ببغداد بعد هذا العمل الإجرامي^(٦٦).

غير أن التطورات السياسية التي شهدتها العراق منذ بداية سنة ٢٠٠٦م، وازدياد التوتر على الصعيد الداخلي وظهور مؤثرات بداية فتنه طائفية^(٦٧)، أريد من خلالها تأزيم الأوضاع العراقية وتأليب الرأي العام العربي على ما يحصل في العراق^(٦٨).

وهنا عملت مصر العربية عن قصد او غير قصد الى التعبير عن الرؤيا او الموقف إزاء ما يحصل في العراق. وكان التعبير عن ذلك قد جاء على لسان الرئيس المبارك الذي قال في حديث لقناة العربية الفضائية قائلاً "ان العراق يعيش حالة حرب أهلية"، وأضاف بقوله "ان العراق سيشهد أياماً عصيبة بمجرد انسحاب الولايات المتحدة الأمريكية منه"، وأضاف أيضاً "ان ولاء أغلب الشيعة في المنطقة هو ليس لدولهم، وإنما إلى إيران"^(٦٩).

لأريب ان تصريحات الرئيس مبارك قد أثارت ردود فعل قوية غاضبه داخل العراق وخارجه^(٧٠). هكذا يتجلى لنا أن العلاقات العراقية المصرية دخلت في فترة سبات كان بدايتها تبلور بعد خطف وقتل "السفير إيهاب الشريف"، وثانيها كان للصدى الذي تركه تصريح "الرئيس مبارك".

٢) عودة النشاط الدبلوماسي المصري إلى بغداد:

شهدت الفترة التي أعقبت خطف ومن ثم قتل السفير "إيهاب الشريف" في تموز . يوليو سنة ٢٠٠٥م، ركوداً مصرياً رسمياً تجاه العراق، إلى غاية يوم ٥ تشرين الأول . أكتوبر سنة ٢٠٠٨م، الذي

٦٣- جريدة الإهرام، ٢٠٠٤/٧/٢.

٦٤- جريدة الأهرام، ٢٠٠٥/٧/٤.

كذلك: جريدة الأهرام، ٢٠٠٥/٧/٨.

٦٥- د. حميد شهاب أحمد، قراءة في الموقف العربي الرسمي والدبلوماسي من العراق بعد ٢٠٠٣، مرجع سابق، ص ١٥.

٦٦- د. حميد شهاب أحمد، العراق.. المشكلة والحل.. في ظل المتغيرات الحالية، مرجع سابق، ص ٤٤.

٦٧- د. خيرى عبد الرزاق جاسم، مرجع سابق، ص ٤٤.

٦٨- ان المستفيد الأول والاكبر من الفتنة الطائفية في العراق هي الولايات المتحدة الامريكية، فبعد تزايد حدة المقاومة العراقية ضدها في عموم محافظات العراق وعجزها عن التصدي لذلك، لجأت الى تغيير معادلة الصراع من (عراقية . امريكية) الى (عراقية . عراقية)، وهو ما نتجت به الى حد ما في الفترة التي تلت تفجير = (مرقدي الامامين العسكريين) في سامراء، مما ادى ذلك الى زيادة العنف ضد المدنيين الابرياء الى ان جاءت خطة فرض القانون مع نهاية سنة ٢٠٠٨م، لتعيد الحياة الى شوارع بغداد من جديد.

٦٩- قناة العربية الفضائية، مرجع سابق.

٧٠- د. خيرى عبد الرزاق جاسم، مرجع سابق، ص ٤٤.

شهدت بغداد فيه زيارة أول وزير خارجية مصري لها منذ انتهاء العمليات العسكرية في حرب الخليج الثانية سنة ١٩٩١.

وهنا بدء الموقف المصري الرسمي بالتغيير منذ هذه الزيارة، وبدأت بوادر انفراج في العلاقات العراقية المصرية تلوح بالأفق. وذلك بدفع عاملين كان لهما الأثر الملموس في ذلك الانفراج كان أولهما، التحسن النسبي في الحالة الأمنية في العراق ومارافقها من اندفاع عراقي رسمي نحو الدول العربية وخصوصاً نحو مصر العربية لما تمثله من ثقل استراتيجي وسياسي في منطقة الشرق الأوسط، أما السبب الآخر كان هو إدراك الحكومة المصرية أن مصر بحاجة العودة إلى العراق، بما يحتويه العراق من إمكانيات اقتصادية ضخمة، وإمكاناتها من الحصول على عقود إعادة الأعمار في العراق، و ما يمثل ذلك من تحريك إلى عجلة الاقتصاد في مصر^(٧١).

وبعد هذا الانفتاح المصري الرسمي شهدت سنتي ٢٠٠٨ و ٢٠٠٩م، تعاوناً عراقياً مالياً في شتى المجالات توجت بالتوقيع على مجموعة كبيرة من البروتوكولات والاتفاقيات التي تعزز التعاون بين الدولتين^(٧٢).

تتوج هذا التعاون بإعادة فتح السفارة المصرية ببغداد نهاية سنة ٢٠٠٩م، وعلى الرغم من الهجوم الإرهابي الذي وقع على القنصلية المصرية ببغداد وتعرضها إلى الدمار، إلا أن الحكومة المصرية لم تغلق سفارتها على غرار إحداث سنة ٢٠٠٥م.

وشهدت بغداد يوم ٢٦ كانون الأول - ديسمبر سنة ٢٠١٠م، زيارة السيد " أحمد أبو الغيط " وزير الخارجية المصري، وهو بذلك أول مسؤول عربي يزور العراق بعد تشكيل الحكومة الجديدة، وفي مستهل هذه الزيارة افتتح الوزير القنصلية المصرية في أربيل، وهي بدورها تعد أول قنصلية عربية في محافظات إقليم كردستان العراق.

٣) كوابح ومعوقات التواجد المصري المباشر في العراق:

هنالك عدة كوابح ومعوقات تقف دون الحيلولة إلى جذب الاستثمار العالمي بصورة عامة والاستثمار المصري بصورة خاصة، وتمثل هذه الكوابح والمعوقات في الخلل الأمني الشديد وما يصاحبه من إخطار على الأشخاص والأموال والرسائل التجارية وما تفرضه التخوفات من اتساع عمل القطاع الخاص. بالإضافة إلى غياب دور الدولة بمفهوم عدم وجود سياسة اقتصادية ذات خطط واضحة محددة الأهداف والاتجاهات، وتركيز عمل القطاعات الاقتصادية الرسمية على تسير الأمور. ومع انشغال الجميع بالعراق

٧١- هذا ما كان واضحاً من تصريحات وزير الخارجية المصرية من بغداد، حيث قال " لقد بحثنا مع الرئيس الطائفي والجانب العراقي سبل مضي قدماً في بناء علاقات مصرية - عراقية متينة وصحية "، وأضاف " أكدنا = الجانب العراقي أن مصر تقف إلى جانب العراق وتقدم له كل ما بوسعها من عدم "، وتابع حديثه قائلاً " إننا نرى أن العراق يتحرك بحجة للخروج من الموقف المساوي الذي تعرض له على مدى عقود، وقد حان الوقت الآن لكي تعود العلاقات الثنائية المصرية - العراقية إلى مجراها الطبيعي ويعود الاقتصاد إلى سابق عهده "، وقال أيضاً " إن مصر تعمل على تشجيع الشركات المصرية للعودة للاستثمار في العراق في مختلف القطاعات، وأن العلاقات المصرية - العراقية شهدت تطوراً هائلاً في مختلف المجالات " . للمزيد انظر: جريدة الأهرام، ٢٤/١٠/٢٠٠٨.

٧٢- كانت أولى هذه الاتفاقيات مع وزارة النفط العراقية، أعقبها بعدها مجموعة من الاتفاقيات ومذكرات التفاهم مع كل من (وزارة الكهرباء، وزارة البيئة، وزارة الأعمار والإسكان، وزارة الزراعة، وزارة الثقافة، وزارة الصحة، وزارة العلوم والتكنولوجيا، وزارة التربية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، وزارة الشباب والرياضة، وزارة الداخلية، وزارة الخارجية) للمزيد انظر: مذكرات التفاهم والاتفاقيات العراقية المصرية، وزارة الخارجية العراقية، الدائرة العربية.

بداية من الأجهزة الحكومية والمؤسسات العامة وحتى شركات القطاع الخاص والفرد العادي بالاستحقاقات السياسية. فضلاً عن ضعف القطاع الخاص العراقي الجاد والفاعل والمتخصص الذي يمكن التوجه إليه والعمل معه. وارتفاع تكاليف العمل التجاري بالعراق سوء لدرء المخاطر الأمنية والمالية أو بسبب تفشي ظاهرة الفساد المالي والإداري. وأخيراً يتمثل في غياب آليات العمل الداعمة والضامنة للعمل الاقتصادي مثل البنوك والشركات التأمين التي من شأنها الحد من مخاطر الخلل الأمني على العمل التجاري.

٤) رؤية مستقبلية للسياسة الخارجية المصرية:

من خلال استعراض السياسة الخارجية المصرية منذ قيام الدولة المصرية لغاية سقوط نظام الإخوان برئاسة الرئيس مرسي، هذا بالإضافة إلى رصد وتحليل محددات السياسة الخارجية المصرية بشقيها الداخلية والخارجية، ومدى تأثير كل من ذلك على رسم خطى السياسة الخارجية المصرية تجاه العراق نستطيع القول ان هنالك عدة سيناريوهات من الممكن تطبيقها تجاه العراق.

يتمثل السيناريو الأول: بالتقارب العراقي الإيراني على كافة الصعد "السياسية، الثقافية، الاقتصادية، الأمنية"، والتفاهم الحكومي العراقي حول ذلك، والقطيعة المصرية الإيرانية الممتدة من ثلاثة عقود أو أكثر. والتنافر والبرود ما بين الحكومة العراقية ودول مجلس التعاون الخليجي^(٧٣)، وتقارب المصري ودول مجلس التعاون الخليجي على كافة الأصعدة^(٧٤)، وموقفها المؤيد لثورة ٣٠ حزيران سنة ٢٠١١م، ومن ثم دعمها للانتخابات الرئاسية والرئيس عبد الفتاح السيسي^(٧٥).

هذا بالإضافة إلى التقارب المنظور الخارجي المصري بعد الإطاحة بحكم محمد مرسي من السياسة الخارجية الغربية والأمريكية^(٧٦)، وخاصة في ملف إيران النووي، والقضية الفلسطينية. عليه هنا وفق المعطيات أعلاه يمكن القول سياسة مصر الخارجية تجاه العراق سوف تسير نحو التجميد أو القطيعة.

٧٣- يتجلى ذلك في كافة الصور والمثال القريب الحي هو نقل بطولة الخليج العربي من البصرة إلى جدة. وهنالك رأي في الأفق بنقل اجتماع وزراء النقل العرب من بغداد أيضاً.

٧٤- توجد هنالك خصوصية محددة من مصر تجاه الدول الخليجية الست، حيث تقلص قدرة مصر ما بعد إسقاط حكم الإخوان والإطاحة بالرئيس مرسي على استحداث سياسة جديدة بشأن دول أعلاه، فضلاً عن المصالح الهائلة التي تجعل الدول الخليجية موطناً لأكبر مصالح سياسية واقتصادية وبشرية لمصر تتجاوز أي منطقة أخرى بالعالم. للمزيد انظر: معتز سلامة، مصدر سبق ذكره، ص ٤٥.

٧٥- سارعت الدول الخليجية إلى تأييد موقف الجيش المصري باعتباره انتصاراً للشعب، تجلّى ذلك بتقديم التهاني للرئيس المؤقت عدلي منصور عقب تولي المنصور، والإعلان عن دعمهم الكامل لمصر في الفترة الانتقالية الجديدة، وتأكيداً على مواقفهم الداعمة لعزل الرئيس مرسي، قدمت السعودية مساعدات عاجلة لدعم الاقتصاد المصري بمئة في مليار دولار كمنحة نقدية، وملياري دولار كمنحة عينية من المنتجات النفطية والغاز، هذا بالإضافة إلى ملياري دولار كوديعة لدى البنك المركزي المصري بدون مصاريف تمويلية. أما الإمارات فتقدمت منحة وقدرها مليار دولار، وإيداع ملياري دولار بدون فائدة في البنك المركزي المصري. ومن ثم قامت الكويت بتقديم أربعة مليارات دولار كحزمة مساعدات عاجلة لمصر منها مليار دولار كمنحة، ومليارين = كوديعة في البنك المركزي المصري، فضلاً عن تقديم مشتقات نفطية بمليار دولار. للمزيد انظر: جريدة المصري اليوم، ٢٩١٣/٧/١٨.

٧٦- تعد الولايات المتحدة الأمريكية ثاني أكبر مستثمر في مصر بعد الاتحاد الأوروبي، فلماذا لا تستطيع القاهرة الخروج أو الحياد عن الرؤى الغربية في المنطقة. للمزيد انظر: محمد النوبي، مصر ما بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي، جزيرة الورد للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٢، ص ٢٣.

اما فيما يخص السيناريو الثاني فيتمثل: في الجانب التعاوني وزيادة في قنوات الاتصال على الصعد كافة "السياسية، الاقتصادية، الثقافية، الأمنية"، ما بين العراق ومصر ما بعد حكم الإخوان أي بعد ثورة ٣٠ حزيران من سنة ٢٠١٣م. وخاصة على الصعيد الاقتصادي باعتبار العراق سوقاً اقتصادياً مفتوحاً ومغرباً. وذلك وفق المعطيات الآتية.

مع الترحيب العراقي بثورة ٣٠ حزيران من سنة ٢٠١٣م، وإسقاط حكم الرئيس مرسي والإخوان في مصر، ودعمها للثورة والاعتراف بها. نلاحظ هنالك توافقاً في الرؤى السياسية.

حيث شكل موقف محمد مرسي من الأزمة السورية الذي كان يرى من انه لابد من استخدام كافة الوسائل من اجل تغيير نظام حكم الأسد، بما في ذلك استخدام العمليات العسكرية، حتى وصل الحال بها إلى الدعوة للجهاد في سوريا. بينما الحكومة العراقية كانت ترى ومازالت بضرورة دعم الديمقراطية في سوريا، لكن من دون اللجوء إلى استخدام العمليات العسكرية، هذا من جانب. وفي الجانب الآخر يتمثل في رفض التدخل التركي في شؤون المنطقة العربية، حيث كانت الحكومة التركية من الداعمين والمساندين الأساسيين لنظام الإخوان في مصر، ومن ابرز الرفضين لثورة ٣٠ حزيران، وما نتج عنها^(٧٧). هذا بالإضافة إلى الدعم التركي للحراك الشعبي في العراق، المطالب بتغيير الحكومة. وهذا بطبيعة الحال لا يرضي الحكومة المصرية بعد إسقاط الرئيس مرسي، ولا يحظى بقبول لدى الحكومة العراقية.

وفق هذه المعطيات نستطيع القول من الممكن أن تشهد السياسة الخارجية المصرية توجهها فعلاً ومحورياً تجاه العراق في قادم الأيام.

وأخيراً من الممكن استمرار السياسة الخارجية المصرية على خطى نظام الرئيس السابق حسني مبارك تجاه العراق، والمتمثل في التحرك الحذر باتجاه العراق، فهو ليس بقطيعة كحالة إيران، ولا شراكة كحالة المملكة العربية السعودية^(٧٨).

الخاتمة:

تعد دراسة العلاقات العراقية المصرية من اعقد الدراسات لحساسيتها وخطورتها لان طرفي العلاقة كلاهما مؤثر إقليم وكلاهما يتمتع بمركز ثقل لا يستهان به. وان إي دراسة لتلك العلاقات تصطدم بالكثير من العقبات منها: قلة الدراسات التي تناولت الموضوع لاسيما بعد سنة ٢٠٠٣م، لتباين وجهات نظر طرفي العلاقة، هذا فضلاً عن ان مخرجات التغيير في العراق لم تؤت ثمارها بعد فما زالت في الكثير من معاملها قيد التشكيل، هذا بالإضافة عن ان الطرف الرئيس والمؤثر في تحديد طبيعة العلاقة هو الولايات المتحدة الأمريكية، وهو مؤثر على طرفي العلاقة رهين بما الات السياسة الأمريكية في العراق.

٧٧- وصف رئيس وزراء تركيا رجب الطيب اوردغان، ماحدث في مصر بالانقلاب العسكري وانتقاده لمن يساند، وهو ما تجلّى في العديد من خطابه وكلماته في العديد من المؤتمرات واللقاءات الصحفية، ومن ثم قامت الخارجية التركية باستدعاء سفيرها لدى القاهرة للبحث و التشاور بعد الإدانة القوية من أنقرة لما اعتبرته تعسفا من قوات الأمن المصرية و إفراطا في استخدام القوة ضد المتظاهرين المؤيدين للرئيس مرسي، وهو الأمر الذي قابلته الخارجية المصرية بتحرك مائل فاستدعت السفير المصري من أنقرة في اليوم التالي، وأعلنت وقف =تدريبات البحرية المشتركة " بحر الصداقة "، مع أنقرة، والتي كان مقرر تنظيمها في الفترة من ٢١ الى ٢٨ /١٠/ ٢٠١٣م، في تركيا. للمزيد انظر: جريدة المصري اليوم، ٢٠١٣/٧/١١.

٧٨- للمزيد انظر: الفصل الثالث من الدراسة، حيث تناولنا فيها السياسة الخارجية المصرية تجاه العراق منذ سنة ٢٠٠٣م، ولغاية الإطاحة بنظام الرئيس مبارك سنة ٢٠١١م.

على الرغم من ذلك حاولنا من خلال البحث ان نتبع طبيعة العلاقات العراقية المصرية من منتصف القرن المنصرم، وعملنا جاهدين على التركيز مرحلة مابعد الاحتلال الانكليو أمريكي للعراق في سنة ٢٠٠٣م، وأوضحنا على بيان إمكانية حصول انفراج في العلاقات بعد طول انقطاع على أساس ان المصالح المتبادلة تحتم مثل هذا الانفراج، مع التأكيد ان حاجة العراق الى مصر اليوم ملحة بمقابل حاجة مصر الى العراق. فالأول بحاجة الى الثاني لأنه في مرحلة اعادة بناء وتشكيل لمرحلة جديدة، وهو بذلك بحاجة إلى تنقية الأجواء الإقليمية مع كل الأطراف المحيطة والمؤثرة لترسيخ مرحلة جديدة. و بالمقابل الثاني بحاجة إلى الأول كون العراق له وزنه الإقليمي ومؤثر في إي توازن إقليمي في المنطقة، هذا فضلاً عن وجود مغريات للتبادل التجاري وفي مجالات الأعمار. لذلك كله من ان الضرورة تقتضي ان يصغي العرب وفي مقدمتهم مصر العربية لفتح آفاق التعاون مع العراق سياسياً ودبلوماسياً واقتصادياً، واستجابة للمبادرات العراقية الرامية إلى تنقية الأجواء مع المحيط العربي.

المعوقات التي تواجه معلمي المرحلة الابتدائية في العراق أثناء تأدية

المهنة من وجهة نظرهم. (دراسة ميدانية)

The obstacles facing elementary school teachers in Iraq as they practice their job from their viewpoint (field study)

Dr. Dhya'a S. M. AL-Attar

م.د. ضياء صالح مهدي العطار^(١)

الملخص

هدفت هذه الدراسة التعرف على المعوقات الحقيقية المتعلقة بمعلمي المرحلة الابتدائية في العراق والتي تعوق تطور العملية التعليمية، وخصوصاً بما يتعلق بالتلميذ والمنهج الدراسي والإدارة المدرسية وكذلك البنية المدرسية، ولتحقيق ذلك تم تصميم إستبانة كأداة رئيسية في هذه الدراسة، ضمت خمسة محاور تحتوي على (٥٢) فقرة، وقد تكونت عينة الدراسة من (٢٦٠) معلم ومعلمة بمدارس محافظة كربلاء، وجمع البيانات من أفراد هذه العينة استخدمت إستبانة مكونة من خمسة مجالات رئيسية، وتم التأكد من صدق وثبات هذه الاستبانة.

وقد أسفرت النتائج عن أفراد العينة بأن لديهم أدراك بأهمية المعلم وتذليل العقبات التي تحول دون تأديته لمهام مهنته، كما كشفت نتائج الدراسة الى تأثير تلك المحاور على دور المعلم بنحو متفاوت، كما قدمت الدراسة مجموعة من المقترحات و التوصيات المهمة.

Abstract

This study aimed to identify the real obstacles related to teachers of the primary stage in Iraq Which hinders the development of the educational

١ - المديرية العامة لتربية كربلاء المقدسة.

process, especially in relation to the student and the curriculum and school management, as well as school buildings, and to achieve that is designed questionnaire the main tool in this study, included five axes containing (52) items, The study sample consisted of 260 teachers in the schools of the province of Karbala, and to collect data from individuals of this sample was used questionnaire composed of five main areas, were confirmed validity and reliability of the questionnaire.

The results led to sample that they have Everybody knows the importance of the teacher and to overcome the obstacles to carrying out his tasks his career, it also revealed the results of the study into the impact of those axes on the role of the teacher about uneven. The study also presented a set of proposals and recommendations of the task.

المقدمة:

أعطت المجتمعات العالمية للتعليم أهمية خاصة إيماناً منها بالدور الحيوي الذي يلعبه في تنمية الفرد والمجتمع على حد سواء، ومن هنا يلاحظ الاهتمام بكل الجوانب المتصلة بالعملية التعليمية، فتعددت المؤتمرات والندوات المتعلقة بالتعليم، وأجريت العديد من الدراسات والأبحاث حول الجوانب المتصلة بالعملية التعليمية، وربما هذا الاهتمام انعكاساً لما يعيشه العالم من تحديات وتفاعلات تجعل التعليم -التي محورها الانسان- قاعدة المواجهة لهذه التحديات.

إن الأمم التي تواجه التحديات بشكل حضاري في عالم السياسة والاقتصاد والاجتماع هي التي تدرك بأن العمود الفقري للتحديات يكمن دوماً داخل رؤيتها الحضارية للتربية والتعليم، ولقد ربط المفكرون حديثاً ما بين التربية والتعليم، وبين المعلم، على اعتبار أن التنمية الإنسانية هي تعبير عن حالة راقية من الوجود الإنساني، فالفقر هو قصور في القدرات الإنسانية الناجم عن سوء التدريب وأداء المعلمين، وكل ذلك ناتج عن قصور بالأداء التعليمي، إذ أن الفقر ليس نقصاً في الثروات وإنما هو ضعف بالوعي الثقافي لإبناء الأمة مما يؤدي بالتالي للتخلف، والذي لم يعد شأنًا ذاتياً، إذ تحول التخلف في زمننا الحاضر إلى تبعية للغير، وبالتالي فإن الحفاظ على استقلال الأمة لا يتم إلا بتطورها الحضاري والثقافي، ولا يتم ذلك إلا بتطور التربية، ولا يتم تطور التربية إلا عن طريق تطوير المعلم، فالمعلم أذن هو المشكلة وهو أيضاً الحل. (مذكور: ٢٠١٣، ٣)

والتراث التربوي يزخر بكم هائل من الأدبيات المتنوعة عن المعلم ودوره وموقعه من النظام التربوي، وآثره الحاسم في تفعيل العملية التعليمية وترديها أو إهماشية تأثيرها على المعلمين، فمما لا يختلف عليه معظم الأدبيات - أن لم يكن الكل - وعلى أختلاف توجهاتها النظرية بأن المعلم هو العنصر الفعال في تقرير شكل العملية التعليمية ومضمونها ومدى فاعليتها.

اذ يعد المعلم جوهر العملية التربوية والتعليمية والركن الاساسي فيها، فهو الممثل لجميع عناصر العملية التعليمية بالممارسة اليومية للحياة المدرسية، فالكتاب المدرسي مثلاً لن يدرس ولن يوصف بالفاعلية إن لم يباشره المعلم بالتعليم، وكذلك هي حال العناصر الاخرى، ولذا فإن كل تطوير يتم التخطيط له للرقى

المعوقات التي تواجه معلمي المرحلة الابتدائية في العراق أثناء تأدية المهنة من وجهة نظرهم. (دراسة ميدانية)

بالعملية التعليمية وجعلها أكثر كفاءة و جودة عنصره الاساسي هو المعلم، فهو الذي ينفذ ويتعامل مع المقترحات و الخطط لتطوير العملية التعليمية، وبدونه لن تكون هناك فائدة من الرغبة في التطوير والتغيير، بالإضافة الى ذلك فالمعلم لا يكفي ان يكون ملماً بالأساليب الحديثة للتربية، بل يجب ان يكون قادراً على تكوين علاقات سليمة مع التلاميذ والأدارة والزملاء. (المنصوري: ٢٠٠١، ١٦)

بلا شك ان أقتناع المعلم ورضاه عن مهنة التعليم تدفعه الى العطاء وبذل الجهد و الاخلاص في العمل، لأن الأختلال في العلاقة بين الشخص و العمل ينتج غالباً عن عدم اقتناع الفرد ببيئة العمل اصلاً، كما أشارالبزاز الى ان الأخلاص لمهنة التعليم والالتزام بها يتأثر بمدى أقتناع و رضى الفرد عن هذه المهنة، حيث أن من طبيعة عمل المعلم ان يتعرض لضغوط مختلفة سواءاً فيما يتعلق بظروف مجتمعه، أو ضرورة توفير العوامل المؤثرة في الوعي التربوي للمعلم والتي تشتمل على عوامل تتعلق بالمعلم نفسه، وكذلك عوامل تتعلق بظروف العمل داخل المدرسة (البزاز: ١٩٨٩، ١١٧)، والشرقاوي أكد على أن مهنة التدريس هي أعلى ضغطاً مقارناً بضغوط العمل الاخرى، على اعتبار أن مرجع المشاكل التي يعاني منها المعلم بصفة عامة ترجع للبيئة المدرسية بجميع جوانبها، ومنها ما يتعلق بصفاته الشخصية والنفسية (الشرقاوي: ١٩٩٦، ٢٤٩)، ويرى بعض التربويين ان من أهم الضغوط التي تحيط بعمل المعلم أن يتميز بسلطة اخلاقية تتبع من شخصيته وتميز نشاطه المهني لتعليم التلاميذ ونيل احترامهم، ومن لا يستطيع من المعلمين أن يمتلك هذه السلطة الضرورية فانه لا يستطيع ان يمارس مهنته بجدارة و يتوجب عليه البحث عن مهنة اخرى. (وظفة: ٢٤، ٢٠٠٣)

وعلى الرغم من الأهمية الكبيرة للتعليم الابتدائي الا أنه لا تزال هناك بعض المعوقات التي تحول دون تقدمه، والتي ينعكس أثرها على مخرجات النظام التعليمي، ومن أمثلة هذه المشكلات التي تعوق تقدم النظام التعليمي ما يتعلق بالمعلم و ما يتعلق بالمنهج الدراسي و ما يتعلق بالبيئة المدرسية و... الخ. وفي ضوء ذلك فان الدراسة الحالية تحاول تحديد أبرز المعوقات التي تؤثر على المعلم وتمنعه من تأدية مهمته بالشكل الامثل، سواء منها ما يتعلق بالمعلم نفسه او بالتلميذ او بالمنهج، او ما يتعلق بالنواحي الادارية والأبنية المدرسية بحسب وجهة نظر المعلمين، وذلك تمهيداً لعلاجها بعد ذلك.

مشكلة الدراسة:

بناء على ما تقدم من اشارات حول أهمية دور المعلم وأهمية تسهيل دوره، ومعالجة الصعوبات التي ربما تشكل أعاقات لفاعلية العمل التربوي والتعليمي، اذ أن مصادر هذه المعوقات تختلف باختلاف المجتمعات وخصوصياتها، فالمشكلة تكمن في التعرف على مدى أدراك المعلمين لمصادر الضغوط المهنية التي تقود بالتالي الى تقليل وتحجيم فاعلية التدريس، وربما تقود الى نوعية من المخرجات ليست بمستوى الطموح، وقد تعيق تطور العملية التعليمية في المدارس الابتدائية الحكومية.

ومن خلال ما تقدم يمكن تحديد مشكلة الدراسة في: تحديد المعوقات التي تواجه المعلمين لآداء دورهم بالعملية التعليمية في المرحلة الابتدائية بمحافظه كربلاء.

وتحاول الدراسة الحالية الأجابة عن التساؤل الرئيس التالي: ما المشكلات التي تعوق آداء دور المعلمين بالعملية التعليمية بالمرحلة الابتدائية بمحافظه كربلاء؟

ويتفرع عن هذا التساؤل الرئيس لهذه الدراسة الأسئلة الفرعية التالية:

- ١- ما المشكلات التي تعوق العملية التعليمية بالمرحلة الابتدائية الخاصة والمتعلقة بالمعلم نفسه؟
- ٢- ما المشكلات التي تعوق العملية التعليمية للمرحلة الابتدائية المتعلقة بالتلميذ؟
- ٣- ما المشكلات التي تعوق العملية التعليمية للمرحلة الابتدائية والمتعلقة بالمنهج الدراسي؟
- ٤- ما المشكلات التي تعوق العملية التعليمية للمرحلة الابتدائية والمتعلقة بالإدارة المدرسية؟
- ٥- ما المشكلات التي تعوق العملية التعليمية للمرحلة الابتدائية والمتعلقة بالبنية المدرسية؟

أهمية الدراسة:

تبرز أهمية هذه الدراسة من موضوعها، فهذه الدراسة سوف تزود وتوفر معلومات ضرورية للعاملين في وزارة التربية في محاولاتهم لاصلاح وتطوير التعليم في العراق، ويدون معرفة هذه المشكلات والصعوبات والتحديات الحقيقية لمعوقات التعليم للمرحلة الابتدائية، وكذلك تطلعات وآمال المعلمين المعنيين مباشرة بعملية التدريس، فسوف تكون تلك الجهود ناقصة ولن تنجح اي محاولة للتطوير والاصلاح التربوي، وفي نسق هذه الأهمية تسعى الدراسة الى:

- استطلاع آراء معلمي المرحلة الابتدائية بمحافظه كربلاء بشأن أهمية الصعوبات التي يواجهونها اثناء ممارسة العمل اليومي.
- التعرف على مدى الاختلاف ما بين الاولويات لهذه الصعوبات باختلاف المتغيرات مثل الخبرة المدرسية والمنطقة التعليمية وجنس المعلم.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الى ما يلي:

- ١- التعرف على المعوقات الحقيقية المتعلقة بالمعلم والتي تعوق تطور التعليم بالمرحلة الابتدائية.
- ٢- التعرف على المعوقات التي تعوق العملية التعليمية بالمرحلة الابتدائية المتعلقة بالتلميذ.
- ٣- تحديد أهم المعوقات للمنهج الدراسي الخاص بالمرحلة الابتدائية.
- ٤- البحث عن أبرز المعوقات التي تواجه المعلمين من قبل الإدارة المدرسية.
- ٥- التعرف على المعوقات الخاصة بالمرحلة الابتدائية والمتعلقة بالبنية المدرسية.

حدود الدراسة:

تحدد حدود الدراسة التي يقوم بها الباحث بما يلي:

- الحدود المكانية: وتشمل تطبيق الاستبانة الخاصة بالمعوقات التي تواجه المعلمين أثناء تأديتهم لمهامهم على عدد من معلمي ومعلمات المدارس الابتدائية بمديرية تربية محافظة كربلاء.
- الحدود الزمانية: ويشمل تنفيذ الاستبانة الخاصة بمشكلة البحث على عدد من معلمي ومعلمات مدارس المرحلة الابتدائية في محافظة كربلاء للعام الدراسي ٢٠١٥ - ٢٠١٦.

مجتمع الدراسة وعينته:

يتكون مجتمع الدراسة الحالي من معلمي مدارس المرحلة الابتدائية في المديرية العامة لتربية محافظة كربلاء، أما عينة البحث فقد تم اختيارها من مجموعة من المعلمين والمعلمات بعدد (٢٦٠) من (٢٣) مدرسة ابتدائية تتبع مركز محافظة كربلاء وهي تمثل ١٠% من المجتمع الاصلي، وقد تم اختيار هذه العينة بصورة عشوائية بسيطة، ولم تقتصر هذه العينة على اختصاص مادة دراسية معينة بل شملت جميع الاختصاصات بالمدارس المشمولة بالدراسة الحالية، حيث كان من بين العينة ممن يوصفون بذوي الخبرة في التدريس وكذلك ممن كان حديث العهد بالتعيين في المدارس الابتدائية.

آداة الدراسة:

قام الباحث باعداد أستبانة تهدف الى قياس مدى ادراك المعلمين حدة المعوقات التي تواجههم في المرحلة الابتدائية أثناء عملهم في اليوم الدراسي، وقام الباحث في البداية بطرح أستبانة عبارة عن اسئلة مفتوحة يعبر فيها المعلم عن المشاكل التي يواجهها والتي تعترض عمله أثناء اليوم الدراسي، حيث وزع هذا الأستبيان على (٦٠) معلما ومعلمة، ومن خلال هذا الاستبيان قام الباحث بصياغة بنود الأستبانة على خمس محاور هي (المعلم، التلميذ، المنهج الدراسي، الإدارة المدرسية، المبنى المدرسي)، وقد قام الباحث بعد الانتهاء من أعداد الأستبانة بصورتها النهائية بحساب صدق الأستبانة ودرجة ثباتها على النحو التالي:

أ- صدق الأستبانة:

تم تحديد الصدق الظاهري وصدق المحتوى لآداة الدراسة عن طريق عرضها على سبعة محكمين من حملة شهادات الدكتوراه، خمسة منهم بأختصاص المناهج وطرق التدريس، واثنان منهم يعملان بمجال فلسفة التربية، وقد طلب من المحكمين أبداء رأيهم بفقرات الاستبانة ومدى شموليتها، وحذف او اضافة ما تراه مناسباً، وبعد أن جمعت آراء المحكمين قام الباحث بتعديلها بحسب آرائهم حتى ظهرت الاستبانة بشكلها النهائي، واعتبرت موافقتهم على فقرات الاداة دليلاً على صدق محتوى هذه الاستبانة.

ب- ثبات الأستبانة:

قام الباحث بقياس ثبات آداة الدراسة بأستخدام معامل ثبات الفاكرونباخ (Gronbach Alpha)، اذ تم حساب الاتساق الداخلي وكانت نتيجته (٠,٨٢)، وهذا يشير الى أن اداة الدراسة تتسم بدرجة جيدة من الاتساق الداخلي بحيث يمكن الاعتماد عليها لقياس ما صممت لأجله. (ابراهيم: ١٩٩٩، ص ٨٢)

مصطلحات الدراسة:

المعوقات التربوية: هي وضع صعب يكتنفه شيء من الغموض يحول دون تحقيق الاهداف التربوية بكفاءة وفاعلية، ويمكن النظر اليها على انها المسبب للفجوة بين مستوى الانجاز المتوقع والانجاز الفعلي، او على أنها الانحراف في الأداء عن معيار محدد سابقاً. (درويش: ٢٠٠٥، ص ٧).

المرحلة الابتدائية: هي مرحلة عامة إلزامية مدتها (ست سنوات) تشمل جميع أبناء الوطن من كافة أطيافه وقومياته للتزود بأهم الأساسيات اللازمة من التعليم والخبرات والمعلومات والمهارات لإعداد الطفل

أعداداً عقلياً وبدنياً ووجدانياً واجتماعياً ليكون مواطناً صالحاً ذو اتجاهات سليمة، كما أنها تمثل القاعدة الاولى لبداية السلم التعليمي في العراق والتي يتركز عليها أعداد الناشئين للمراحل التالية من حياتهم. (الترتية: ٢٠١١، ٣)

دراسات سابقة:

الدراسات المتصلة بنظام التعليم الابتدائي على المستوى العربي والعالمي كثيرة ومتعددة، فمنها ما يبحث بمناهج هذه المرحلة ومنها ما يشير للأدارة المدرسية ومنها ما يشير للأبنية، وكذلك منها ما يتناول المشكلات التعليمية التي تواجه المرحلة الابتدائية ومدارسها من اليوم المدرسي وكثافة التلاميذ بالفصول.... الخ، ومنها ما يؤكد على دور المعلم وضرورة حسن أعداده وتدريب العاملين في المدارس.... الخ، وعلى ذلك يقدم الباحث بعض الدراسات المتصلة بهذه المرحلة للاستفادة منها في دراسته الحالية، وقد قام بتحليلها من خلال التركيز على تقديم الهدف من الدراسة، والمنهج المستخدم فيها، وعرض أهم النتائج التي توصلت اليه هذه الدراسات، وبعد ذلك قدم الباحث تعقيب شامل حول تلك الدراسات و مدى الأفادة منها.

اولاً:دراسات عربية:

هدفت دراسة البزاز وآخرون:

الى تحديد بعض الملامح الاساسية لما يمثله مستقبل التعليم في العراق، وقد استخدم الباحثون بمنهجيتهم الدراسية أسلوب الاستبانة(أسلوب دلفاي) لغرض التعرف على أبرز محاور الأهداف المستقبلية للتعليم في العراق.

ومن أبرز النتائج التي توصل لها الباحثون أهمية تنمية قوى الإبداع والأبتكار كأبرز الأهداف التربوية، أما بمجال استراتيجيات التربية فقد عد التوجه لتحقيق تكافؤ الفرص التعليمية للجنسين كأحد الاهداف الرئيسية، وأكدت على ضرورة إدخال التكنولوجيا بالعمل الإداري، وتطوير تصاميم الأبنية المدرسية، والتأكيد على أهمية تعزيز المكانة الاقتصادية والاجتماعية للمعلم، وتطوير أساليب إعداد المعلم، وتوفير التدريب للإدارة المدرسية، وتطوير المناهج الدراسية من حيث المحتوى والأساليب. (دراسة البزاز وآخرون: ١٩٩٥)

كما هدفت دراسة الساعدي:

التي قدمها مؤتمر اليونسكو حول التعليم في دول الأزمات ومنها العراق، حول أهمية التعليم ودوره في نهضة الشعوب ومعالجة الأزمات الخطيرة التي تمر بها البلدان بسبب الحروب، وقد استخدم الباحث في دراسته المنهج الوصفي لشرح ما يمر به العراق من محنة كبيرة في الوقت الحاضر.

وقدم عدة مقترحات في سبيل تطوير التعليم كإقامة مركز علمي بحثي يختص بالتربية والتعليم، وإعادة النظر للمناهج الدراسية، والطرق المستخدمة في التدريس، وإقامة دورات حديثة لتطوير الإدارات المدرسية في التكنولوجيا الحديثة والإدارة العلمية. (الساعدي: ٢٠٠٨)

وقد هدفت دراسة عباس

الى تحليل اتجاهات التعليم الاساسي في مصر، مع تركيز دراسته للأهداف والمناهج، ودراسة اعداد معلم التعليم الاساسي، و استخدم بهذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي والمنهج المقارن لدراسة منظومة التعليم الأساسي كواقع و رؤية مستقبلية.

وكانت النتائج فيها قد خلصت الى وجود تنوع و اختلاف بأهداف و محتوى المدارس المختلفة في هذه المرحلة، وزيادة حدة المشكلات التعليمية كتعدد الفترات والدروس الخصوصية، والقصور في بناء المدارس الجديدة بسبب العوامل السكانية والاقتصادية والاجتماعية، كما بينت الدراسة عدم وضوح الهدف التعليمي لكل مرحلة دراسية. (عباس: ١٩٩٠)

وهدف دراسة البنا

التعرف على المشكلات والمعوقات التي تعوق النمو المهني و الأكاديمي لمعلمي الحلقة الاولى من التعليم الاساسي اثناء الخدمة، وقد أستخدمت في دراستها المنهج الوصفي لدراسة وتحليل الظواهر الموجودة.

وكانت من نتائج الدراسة بأنها تعتبر برامج التدريب اثناء الخدمة امتداد لبرامج الأعداد قبل الخدمة، وهي احدى الوسائل المستخدمة لنموه مهنيًا وأكاديميًا، لأنها تمده بكل ما هو جديد و مستحدث في مجاله الأكاديمي والمهني. (البنا: ١٩٩٢)

أما دراسة السورطي

فقد هدفت الى التقصي عن أهم المشكلات التي يتعرض لها المعلمين في سلطنة عمان وعلاقتها ببعض المتغيرات في الواقع المجتمعي، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي مع وضع استبانة لعينة الدراسة للتعرف على أهم المشكلات التي يتعرض لها المعلمين في المرحلة الابتدائية. وأظهرت نتائج الدراسة عدة مشكلات تعترض عمل المعلمين بالمدارس الابتدائية من حيث ضعف الانضباط لدى التلاميذ، وضعف المستوى التحصيلي وأهمال الدروس، وتركيز المناهج الدراسية على الأمور النظرية وقلة مراعاتها لحاجة المجتمع، وعدم تعاون مدرء المدارس مع المعلمين، وضعف التدريب أثناء الخدمة، وهناك عدة مشكلات تتعلق بالمباني المدرسية كأزدحام الصفوف بالتلاميذ، وضعف المختبرات المدرسية. (السورطي: ٢٠٠٠)

وفي دراسة المهدي

تم الكشف عن أهم المشكلات التي تواجه المدرسة الابتدائية والتعرف على أهداف التعليم الابتدائي، وأهم التطورات التي طرأت عليه، وتقديم المقترحات التي تحد من مشكلات المدرسة الابتدائية في مصر في ضوء فلسفة المجتمع وامكانته، وقد أستعان الباحث في دراسته بالمنهج الوصفي بهدف التعرف على واقع المدرسة الابتدائية، كما أستخدم أسلوب تحليل النظم والأساليب الأحصائية لمعالجة النتائج. وكانت النتائج التي توصل اليها الباحث هي أن هناك عدم تنسيق ما بين المدرسة والأسرة للوقوف على مستوى التلاميذ، وضعف هبة المعلم أثر على المستوى التعليمي للتلميذ، كما ان اسلوب

الأمتحانات أدى لأرتباك المعلمين وعدم تنظيم اوقاتهم، وعدم كفاية الأبنية المدرسية مع عدم صلاحية العديد منها. (المهدي: ٢٠٠٠)

ثانياً: دراسات غير عربية:

وكانت دراسة Duterch

هدفها التعرف على كيفية إعادة هيكلة المدرسة الابتدائية لكي تتواءم مع المتغيرات والتحولات العالمية المعاصرة في ضوء مشروع الجودة الشاملة، وقد أتبع الباحث في دراسته المنهج الوصفي واقترح تصور مستقبلي عن طريق السيناريوهات لتعمل على تطبيق ما يسمى المشروع المدرسي. وقد خلصت النتائج الى اقتراح مدرسة تقوم على نظام الإدارة الذاتية بمهدف منحها السلطة الكافية لاتخاذ القرار، واعتبار المدرسة وحدة تنظيمية مستقلة بذاتها، وما على سلطات التفتيش التربوي الاكاديمي الا ابداء النصح والارشاد ثم المتابعة، ووضع المدرسة تحت نظام فعال للمحاسبة. (Duterch:2000)

وقد هدفت دراسة Labaree

توضيح المهام الصعبة التي تعترض مهمة المعلم، والمعوقات التي تقابله أثناء ممارسته للمهنة، والأسباب التي تجعل مهنة المعلم من المهن الصعبة، واتبعت الدراسة المنهج الوصفي وتصميم أستاذة لبيان هذه الأسباب والعقبات.

وكانت من نتائج الدراسة بأن من ضمن الأسباب التي ادت لبعض المعوقات للمعلم في تادية مهمته الإدارة المدرسية، وكذلك الشككية في التدريب، وعدم تفهم اولياء الامور لطبيعة مهنة التعليم، وعدم تعاوهم مع المعلمين في أنجاز المهام الموكلة. (Labaree:2000)

كما هدفت دراسة Gale

الى ضرورة تدريب المعلمين قبل الخدمة وفي أثناءها، والعمل على ان يكون بصفة دورية، وأن يكون الاساس في الترقية والاستمرار في مهنة التعليم، وأتبعت في منهجيتها المنهج الوصفي، وذلك من خلال عمل استقصاء حول الأسباب التي تؤدي الى فشل المعلم في أداء مهامه، وخاصة فيما يتعلق بالتلاميذ. وأسفرت الدراسة على ان المعلم ينبغي عليه مراعاة ميول التلاميذ، وقدراتهم الفكرية ومهاراتهم في المجالات كافة، لأن ذلك يؤدي الى تحويل مشكلاتهم من نقاط ضعف الى نقاط قوة ينطلق منها المعلم نحو تنمية المهارات الخاصة بهم. (Gale:2000)

وهدف دراسة Archangelo

التعرف على الأسباب الكامنة وراء التعثر الدراسي للاطفال في المرحلة الابتدائية من خلال التحليل النفسي، وأستخدمت المنهج الوصفي في منهجيتها للبحث، حيث أعتمدت على الملاحظة المباشرة وغير المباشرة، وتم تصميم مقياس نفسي لهذا الغرض.

وأسفرت الدراسة على ان الاطفال الذين يخفقون او يتأخرون دراسياً في المرحلة الابتدائية يعانون من بعض المخاوف المرضية، مثل قلق الانفصال عن الام، علاوة عن الرهبة لمواجهةهم عالم جديد، إضافة الى

المعوقات التي تواجه معلمي المرحلة الابتدائية في العراق أثناء تأدية المهنة من وجهة نظرهم. (دراسة ميدانية) الرغبة في العزلة في بعض الاحيان، كما ان منهم من يهاب المناخ المدرسي نتيجة وجود بعض أساليب العقاب البدني في المرحلة الابتدائية. (Archangelo:2007)

كما هدفت دراسة Malouff

التحقق من أثر نظام التربية الشاملة على المدرسة الابتدائية والثانوية، ودوره في حل المشكلات المتعلقة بهاتين المدرستين، وأستخدمت الدراسة المنهجين الوصفي وشبه التجريبي لأنها اعتمدت وصف النظام التقليدي في التعليم ونظام التربية الشاملة، وقارنت بين النظامين في الواقع دون تدخل من الباحث. وأسفرت الدراسة عن ان نظام التربية الشاملة له فاعلية اكبر بكثير من التعليم التقليدي، لأنه نظام يشمل مختلف الجوانب الانسانية، علاوة على انه يعمل على تكامل الحياة داخل المدرسة، ومن ثم فهو يتيح مبدءاً الوظيفية في التعليم، ومن ثم فهو يضيفي على التعليم معنى ومغزى، ولذا يساعد المتعلم على المزيد من النمو والتقدم. (Malouff:2008)

ومن خلال التعرف على الدراسات السابقة فقد أستفاد الباحث منها في العديد من الجوانب، ويمكن ذكرها على النحو التالي:

- بلورة مشكلة الدراسة والأساليب المنهجية المتبعة في دراسته الحالية، ومن ثم تأصيل الاطار النظري للدراسة، وكذلك في التصور العام للدراسة الميدانية وأجراءاتها.
- أمدت الباحث بعدة نتائج وتوصيات كانت منطلقا اساسيا في عرضها لمشكلة الدراسة.
- أفادت الباحث في التحليل الكيفي والكمي للبيانات التي حصل عليها، وكيفية توظيفها مما ساعده في تفسير وتحليل النتائج في ضوء تلك الدراسات.

منهجية الدراسة:

يستخدم الباحث المنهج الوصفي، لانه يعتبر اكثر المناهج البحثية ملائمة لطبيعة الموضوع، حيث ان هدفه لا يتوقف عند وصف الظاهرة او المشكلة فقط لكنه يتجاوز ذلك لتفسير وتحليل الواقع عن طريق جمع المعلومات والبيانات الكافية عنه، بحيث يحلل ويفسر ويقارن بغية الوصول إلى استنتاجات أو تقييمات حين يصف الظاهرة، كما يمكن الحصول منها على معلومات تجيب عن أسئلة الدراسة دون تدخل الباحث فيها(دالين: ١٩٩٤، ص ٣١٢)، كما تم الاستعانة بالاستبانة من قبل الباحث للتعرف على اراء المعلمين والمعلمات بأهم المعوقات التي تواجههم أثناء تأديتهم لمهنتهم في المدارس الابتدائية بمحافظة كربلاء.

الاطار النظري للدراسة:

تناول الباحث خلال اطاره النظري أهم المعوقات التي تعترض العملية التعليمية بالمرحلة الابتدائية في محافظة كربلاء، اذ تتعدد المشكلات التي تعوق النظام التعليمي عن أداء مهامه بكفاءة وفاعلية، ودائما ما تكون هذه المشكلات مرتبطة بالواقع المجتمعي بوجه عام ولكنها تتفاوت بحدتها بين مجتمع وآخر، فأينما وجدت مثل هذه المعوقات تأثر التعليم بالسلب، ويهدف الأطار النظري من هذه الدراسة توضيح المشكلات التي من شأنها أن تؤثر على النظام التعليمي بمحافظة كربلاء، ومن ثم تعطل مسيرته نحو التقدم والتطور بما ينعكس على مخرجات هذا النظام و نتائجه و تحقيق الأهداف المرجوة منه.

وفيما يلي عرض لأهم هذه المعوقات:

— المعوقات الخاصة بالمعلم:

أهم أسباب الأخفاق والنجاح في العملية التعليمية يقع على عاتق المعلم، إذ أن العديد من المعلمين يخطئون أو يبالغون في تقدير المهارات التي قد يمتلكها تلاميذهم، وبهذه الحالة يصبح جهد المعلم والتلاميذ أقل كفاءة وفعالية، كما أن البعض من المعلمين يركز على دراسة محتوى الكتاب المقرر فقط ويعد ذلك الهدف الاساسي من التعليم، وهذا التصور يؤدي الى شكوى المعلمين أنفسهم نظراً لضيق الفترة الزمنية المحددة للدرس. (طعيمة ومناع: ٢٠٠٠، ٦٠)

فضلاً عن ذلك فإن بعض المعلمين يظن أن مسؤوليته تنحصر في العمل داخل صفوف الدراسة، الأمر الذي يؤدي الى نتائج غير طيبة، إذ أن كثيراً من أهداف التعلم الحديثة تحدث من خلال التعلم الذاتي الذي يمارسه التلاميذ بأنفسهم وتوجيه من المعلم وتحت إشرافه عن طريق المكتبة والقراءة والانترنت... الخ، الأمر الذي لا يفعله المعلم وغالباً ما يهمله، مما يؤدي الى الأخفاق في تحقيق الاهداف التربوية المنشودة. (ليب ومينا: ١٩٩٣، ٧٠)

إضافة الى ذلك فإن المعلم قد يتأثر بالخوف من تجريب المستحدث من العلم، ومشاركة المتعلمين ودفعهم لاستخدام مهارات التفكير العليا لديهم، وذلك تجنباً لمخاوف من فقد السيطرة على المتعلمين... الخ. (شحاتة: ١٩٩٣، ٦٩)

إن المعلم يواجه مشكلات متعددة في الميدان منها ما يتعلق بسلوك التلاميذ أنفسهم داخل الصف المدرسي، أو عزوفهم عن التعلم في كثير من الأحيان، والقيام بأعمال الشغب و الضوضاء، الأمر الذي يؤدي الى أعاقه المعلم عن تحقيق الاهداف التعليمية، خصوصاً في ظل القرارات الصادرة من وزارة التربية والتي لا تجيز للمعلم معاقبة التلميذ بأي شكل من الاشكال.

وأغلب المعلمين يميلون بوجه عام لأتباع الطرق التقليدية في التدريس، كما يميلون ايضاً الى تعليم تلاميذهم بالطرق التي تعلموا هم بها، كما ان البعض منهم يعتبر نفسه المصدر الوحيد للتعلم، ومن ثم فإنه لا يأبه بآراء تلاميذه ولا يتفاعل معهم، ولا يشركهم معه في أمر تعليمهم. (شحاتة: ١٩٩٣، ٧٠)

وهناك بعض من المعلمين ينظر للتعليم على انه ذات بعد او اتجاه واحد، بحيث يقوم المعلم بالتحدث والشرح والتدريس، والمطلوب من التلاميذ الاستقبال والتخزين والاستيعاب... الخ، كما أن من الأسباب التي تعوق عملية التعليم إحساس المعلم بالدونية وقلة شأنه بالمقارنة مع المهن الاخرى، لقلة دخله بالمقارنة بمطالب الحياة المادية، وكل هذه الامور تحد من انطلاقه في عمله وابداعه فيه، بل تدفعه في كثير من الأحيان للدروس الخصوصية. (عدس: ٢٠٠٠، ٣٦)

وتجدر الاشارة في هذا الصدد الى ان مشكلة الدروس الخصوصية هي مشكلة منظومية متعددة الاتجاهات، وهي ظاهرة تهدم كل أهداف العملية التعليمية وتحد منها، حيث تعمل على تقليص و اختزال المادة التعليمية من اجل أسترجاعها ووضعها في ورقة الامتحان، ومن ثم تصبح الخبرات والمواد التعليمية هدفاً في حد ذاتها، وليس طريقاً للوصول الى غاية اسمى منها.

المعوقات التي تواجه معلمي المرحلة الابتدائية في العراق أثناء تأدية المهنة من وجهة نظرهم. (دراسة ميدانية)

اضافة الى ذلك فإن هناك نسبة ليست بالقليلة من المعلمين ليس لديهم تصور واضح عن مهنتهم وطبيعتها وأهدافها وأهميتها، كما أن منهم من هو غير مقتنع بها، او بما يقوم به فيها، او بمحتوى المناهج الدراسية التي يقوم بتدريسها للتلاميذ. (شحاته: ١٩٩٧، ٧٧)

علاوة عن ذلك فإن هناك من المعلمين من يرفض تطبيق ما يتم تدريسه عليه او ما تعلمه في كليات التربية او التربية الاساسية او معاهد المعلمين، ويجحد فائدة هذه الخبرات التي امد بها، كما ان من المعلمين من ليسوا مؤهلين تربوياً، وتم تعيينهم في وظائفهم وفق تخصصاتهم الاكاديمية فقط. (عبد الله: ٢٠٠٢، ٦٨)

— المعوقات الخاصة بالمناهج الدراسية:

تشكل المناهج الدراسية حجر الزاوية في أزمة التعليم، حيث ان أغلب المناهج المطبقة حالياً هي مناهج تقليدية، وتكاد تفصل عن الواقع الذي تقدم فيه، فهي لا تلي طموح وحاجات المجتمع، كما أنها لا تلي حاجات التلاميذ الذين لا يشعرون بأهمية هذه المناهج ولا يجدواها في حياتهم العملية، كما أنها لا تراعي الميول والاتجاهات والفروق الفردية لدى التلاميذ، فقد وضعت على اعتبار أنها تقدم الى شخص او تلميذ واحد، ليس هذا فحسب بل أن واضعي هذه المناهج لا يقومون بأية دراسات أستطلاعية حول الواقع المعاشي للتلاميذ الذين سوف يتعلمون من هذه المناهج، بل يقومون بوضع المقررات و المناهج الدراسية من خلال وجهة نظرهم الشخصية فقط او ما يعتقدونه، وليس على اسس علمية وموضوعية، او أهداف مدروسة تسعى تلك المناهج لتحقيقها. (شحاته: ٢٠٠٨، ٤٥)

والمناهج الدراسية بوضعها الراهن تعاني انفصلاً واضحاً بين المجتمع من جهة والتلاميذ من جهة أخرى، فهي ما زالت تركز على تجهيز التلميذ للحياة في القرن الماضي، بدلاً من أعدادهم لمواجهة تحديات الحاضر والمستقبل، مما يتطلب تغيير شامل للمناهج وطرق التدريس بحيث توفر مهارات تتناسب وهذا القرن الجديد، وخصوصاً في العراق الذي يعيش في ظل مناهج قديمة أكل الدهر عليها، ومن ثم فهي مناهج من أجل المدرسة وليس من أجل الحياة والمجتمع.

والمدقق في الواقع التعليمي الحالي يجد ان المفهوم السائد و التصميم المسيطر على الوضع الراهن للمنهج هو التصميم القائم على المادة الدراسية، ومن ثم فهناك خلط كبير بين مفهوم المنهج التعليمي من ناحية، وبين المحتوى الدراسي او المادة التعليمية من ناحية اخرى، ومن المعروف ان المادة التعليمية او المحتوى الدراسي إنما هو عنصر واحد من عناصر تنظيم المنهج الدراسي، الامر الذي يؤدي الى اغفال باقي هذه العناصر، وما يمكن ان تقوم به في تنمية المهارات للتلاميذ وأعدادهم للحياة. (شحاته: ٢٠٠٨، ٤٦)

وقد يتضح هذا القصور عند النظر للتصميمات الحديثة للمناهج الحديثة التي منها ما يقوم على الكفاءات وبعضها ما يقوم على السمات الشخصية، ومنها على الوظائف الاجتماعية، ومنها ما يقوم على حاجات الافراد واهتماماتهم، علاوة على التربية الانسانية.

وهناك انفصلاً جلياً بين المناهج التعليمية للمواد الدراسية المختلفة، فلا يوجد تكامل بين مواد التعليم للمواد الدراسية المختلفة، بحيث يمكن للتلميذ أن يوظف ما تعلمه من خلال مادة دراسية معينة في مادة اخرى، بل أن المنهج الواحد يعاني أحياناً من الانفصال بين مكوناته، فاللغة العربية مثلاً في أحيان كثيرة

يكون هناك انفصال بين فنونها في التدريس، وكذلك المواد الاجتماعية كالتاريخ والجغرافيا فلا يوجد تكامل في تدريسهما، وهذا ما يشعر التلميذ بعدم الحرية في تطبيق ما تعلمه، والاستفادة منه في تعلم مادة أخرى. (السرور: ١٠٠، ١٩٩٧)

علاوة على ذلك فإن الهدف من التعليم وفلسفته بوجه عام أصبحت غامضة وغير مفهومة، إذ درج القائمون على وضع المناهج على اعتبار أن الهدف هو الارتقاء من فرقة دراسية إلى أخرى أعلى منها حتى دخول الجامعة والتخرج منها، متجاهلين أن الهدف الأول للمنهج هو إعداد المتعلم للحياة، وأمداده بالمهارات اللازمة له في مجتمعه، وهو ما يجعل للمنهج خصوصية مجتمعية تميزه عن غيره من الوظائف الأخرى، ومن ثم فقد فشل المنهج من خلال ذلك في تحقيق الوظيفة الأولى المنوطة به، بالإضافة إلى ما سبق فإن المنهج بهذه الصورة لا يعمل على تنمية مهارات التفكير العليا، كالتفكير الناقد و التفكير الابتكاري، وأما يعمل على ترسيخ قيم الحفظ والتلقين والاسترجاع. (يونس: ٢٠٠١، ٧)

والمنهج بهذه الصورة يفرض استخدام طرق التدريس التقليدية، التي تقوم على الاتجاه الواحد وهو المعلم إلى التلميذ فقط، وغالباً ما تكون عن طريق المحاضرة والشرح... الخ، بينما هناك طرق حديثة للتعليم تعمل على التفاعل ما بين المعلم والمتعلم، والتفاعل بين المتعلمين أنفسهم، كالتعلم التعاوني والتعلم الفعال والعصف الذهني... الخ، ومن الجدير بالذكر أن هذه الطرق التعليمية الحديثة تتطلب منهجاً مرناً يتسع لها ويسمح باستخدامها، منهج لا يقوم على تحصيل المعلومات النظرية وأسترجاعها فقط في ساعة الامتحان، وأما منهج يهدف إلى تعليم المتعلم التعاون والجد والمثابرة والاكتشاف. (العمرى: ١٩٩٧، ١٥)

والدراسات والبحوث الحديثة أكدت على أن طرق التدريس تعتمد بصورة رئيسية على منهج يحتويها تقوم عليه وتعمل من خلاله، ويستنزف طباعة هذه المناهج الكثير من ميزانية التعليم، بينما الجزء المخصص للمشتريات العلمية والتربوية قليل جداً مقارنة بما. (علي: ٧٠، ١٩٩٥).

— المعوقات الخاصة بالتلاميذ:

معظم الدراسات الحديثة اعتبرت التلميذ بأنه يمثل محور العملية التعليمية الأمر الذي زاد من الضغوط التي يتعرض إليها، والتي بدورها تعتبر من أهم معوقات التعليم بالوقت الحاضر، ومن أبرز هذه الضغوط شعوره بالقيود من قبل النظام التعليمي والإدارة المدرسية والمعلم والأسرة، فالتلميذ في المدرسة يشعر بفقد حريته، وأنه مكبل بأعباء كثيرة مثل المناهج و المقررات الدراسية، ورغبة الأسرة في نجاحه والحصول على درجات مرتفعة، ووضع التحديات الجسام أمامه، مما يشعره بالخوف والرهبة من احتمال فشله في تحقيق ذلك، وهوما يشكل عقبة أمام تحقيق الأهداف التعليمية المحددة. (الحيلة: ٢٠١٢، ٦٤) (ويلبيرج وآخرون: ٦٣، ١٩٩٥)

كما أن التلميذ يعاني من روتين عدد الحصص والمقررات الدراسية التي لا يشعر بفائدتها، أو أنه غير قادر على أستيعابها، الأمر الذي يدفعه للنفور من المدرسة، كما أن التلميذ لا يرى أية فائدة من المناهج الدراسية في حياته، مما ينعكس من جراء ذلك برغبته في التعلم. (عبد الحميد وسلامة: ١٩٩٨، ٧٦) (طعيمة ومناع: ٢٠٠٠، ٣٦)

المعوقات التي تواجه معلمي المرحلة الابتدائية في العراق أثناء تأدية المهنة من وجهة نظرهم. (دراسة ميدانية)

بالأضافة الى ذلك فإن التلميذ يشعر بالرهبة من الامتحان لأنه يحدد مستقبله سواء بنجاحه او رسوبه، وكذلك ما يترتب على هذا من نظرة المجتمع او الأسرة اليه، والخوف من تحويل مسار الحياة سواء على المستوى التعليمي او مستقبله في الالتحاق بمهنة معينة، او بوظيفة قد تكون فيما بعد دون المستوى المطلوب او المأمول. (الجزار: ٢٠٠٢، ٥٤)

ومن المعوقات الاخرى للتلميذ معاناته من بعض المشكلات النفسية التي تتعلق بالخوف من العنف الذي قد يجده في المدرسة من قبل بعض المعلمين احياناً، ومن قبل بعض الاقران في أحيان اخرى، لاسيما في المرحلة الابتدائية، والخوف من احتمال استعمال العقاب البدني تجاهه في بعض المواقف. (مدكور: ١٩٩٧، ٣٢) (الناقة: ١٩٩٩، ٦٩)

وعلى الرغم من تخفيف العقوبات من قبل المعلمين للتلاميذ قد بدأ بالانحسار في الالونة الاخيرة وخصوصاً بالمدراس الابتدائية في العراق، الا أنه يعد من الأسباب التي لا يمكن تجاهلها في تعطيل مسيرة التعليم والتقدم، وهو ما تبخته الدراسة للتحقق من صدقه وآثره في ذلك.

كما أن هناك معوقات أخرى تخص التلاميذ فقد يكون قد عانى احباطاً كبيراً حينما يجد ان ما يتعلمه في المدرسة لا يفيد في حياته، وأن ما بين المدرسة والمجتمع انما هو فجوة كبيرة، علاوة على ذلك فإن بعض التلاميذ بالمرحلة الابتدائية يعانون من بعض المخاوف المرضية من المدرسة وخصوصاً في الصفوف الاولى مما يسمى بقلق الانفصال عن الام. (جروان: ٢٠١٥، ٣٥) (الرواية: ٢٦، ١٩٩٥)

وهناك بعض التلاميذ ممن يعانون من امراض عضوية قد تعوق تعلمهم، او أن لديهم بعض الاعاقات الجسمية التي تمنعهم من التعلم بفاعلية، والتفاعل مع زملائهم. (الروبي: ١٩٩٧، ٢٠)

ويعاني أغلب التلاميذ من الملل والضجور لطول الوقت في المدرسة و الانتظار في الصفوف الدراسية من حصة الى حصة لساعات طويلة، مما يسبب له الارهاق وتشتيت الفكر والشروذ اثناء الشرح، ومن ثم الأنصراف الى احاديث جانبية وأثارة الشغب في بعض الاحيان ورفض التعلم بزمته. (حاجي: ١٩٩٩، ٣٥)

ومن الجدير بالذكر في هذا المقام ان هناك قاسماً مشتركاً بين المجتمع العراقي والمجتمعات الاخرى، فطول الوقت وكثرة المقررات الدراسية تؤدي للملل والسأم في اي مكان وليس في العراق فحسب.

المعوقات المتعلقة بالأمر الادارية:

لقد شهدت السنوات الاخيرة اتجاهاً جديداً متنامياً بمفهوم الإدارة المدرسية وتطبيقاته، فلم تعد تقتصر على تسيير مختلف شؤون المدرسة فحسب وإنما تعدى ذلك الى توفير مختلف الظروف والأمكنات لتحقيق الأهداف المحددة للمرحلة الدراسية التي تنتمي اليها المدرسة، بمعنى آخر لم تعد الإدارة مجرد إدارة تسيير بقدر ماهي إدارة تطوير وإنماء. (الجبر: ٢٠٠٦، ٣٢)

إن الإدارة التعليمية لها أثر بالغ في تفاقم الأزمة التعليمية او في تطويرها، ولكن المتابع للإدارات التعليمية والمدرسية يجد بأنها لا تسمح للمعلم بتطبيق الطرق والاستراتيجيات الحديثة للتدريس، والتي يراها مناسبة لتعليم التلاميذ و تنمية مهاراتهم، كما انها لا تقدر ما لهذه الاستراتيجيات من أهمية، فتجد المعلم دائماً ما يكون حذراً من تطبيق هذه الاستراتيجيات، لكي يرضي مدير المدرسة والمشرف التربوي القائم على المدرسة.

كما إن العملية التعليمية تعاني من بيروقراطية كبيرة وروتين كبير من خلال الإدارة التعليمية يعمل من خلالها على تعطيل جميع إجراءات التطوير والاصلاح، وتسير العملية التعليمية برتابة وبصورة بطيئة، ومن ثم فإن اية مشروعات قد تكون مفيدة لتطوير التعليم وتحسين مخرجاته يمكن تعطيلها من اجل إجراءات لا جدوى لها، وهي لا تخضع للتطوير العلمي، سواء على الصعيد العلمي التربوي او على الصعيد الإداري، ومن ثم فالإدارة التعليمية تعمل على نفس الشاكلة التي كانت تعمل بها منذ حوالي نصف قرن من الزمان. (الجزار: ٢٠٠٢، ٥٦)

ومن الجدير بالذكر ان الدورات التربوية والتي يحرص القائمون على الإدارة التعليمية على القيام بها للمعلمين تنسم في الكثير من الأحيان بالشكلية، والأهتمام يكون بالمظهر على حساب الجوهر، بل أن أغلبية المتدربين ينظرون اليها على انها آلية من آليات الترقية الوظيفية فحسب. كما اسهمت الأحداث في تفاقم الازمة التعليمية في الوقت الراهن والتي بدورها أثرت على ثقافة المجتمع، حيث أن المجتمع ينظر للتعليم على انه الطريقة الاولى للحراك الاجتماعي، والترقي من طبقة اجتماعية الى اخرى أعلى منها، و غرض النظر عن أنه الطريقة الاولى للحياة، ومن ثم فإن النظرة الضيقة للتعليم أضفت عليه قيمة الشكل مقابل الجوهر، فلم يعد الهدف من التعليم بمنظور المجتمع هوالمهارات والاستعداد للحياة بقدر ما هو مظهر اجتماعي للتباهي في الاوساط الاجتماعية والأسرية. (الناقة: ٢٦، ١٩٩٩).

وهذه الأمور ادت الى ترسيخ ثقافة الحفظ والتلقين لتحصيل الدرجات والتذكر فقط من دون تنمية المهارات الحياتية والتذوق والابداع، وهو ما أدى الى التسارع و التسابق من اجل الحفظ والاسترجاع في اوقات الامتحان، وظهور الدروس الخصوصية و الكتب الخارجية، والاهتمام بمجموع الدرجات، واهمال الهدف الرئيس للمنهج والمادة المتعلمة، وعندئذ يشعر التلميذ بالضغط النفسية من اجل الفوز في مسابقة التعليم بأكبر قدر من الدرجات حتى يتم التتابع في دراسته والوصول للجامعة لكي يرضي المجتمع الذي يعيش فيه. (الناقة: ٣٥، ١٩٩٩).

وأسهمت وسائل الاعلام بشكل او بآخر بالعمل على ترسيخ قيم الشكلية في التعليم، من خلال حديثها عن نظرة المجتمع لخريجي الجامعة، ونظرته ايضا لأصحاب الأعمال الحرفية بأنهم أقل شأنًا من أقرانهم المتعلمين، وكل هذا من شأنه حث المتعلمين وأسرههم على الأهتمام بالامتحانات والدرجات فقط للأرتقاء من مرحلة دراسية لأخرى أعلى منها.

كما أن وسائل الاعلام وعلى أختلاف مستوياتها و أنواعها بدأت في الأونة الاخيرة تلعب دوراً سلبياً من خلال صرف أفتباه التلاميذ عن التعليم وذلك بما يشاهدونه بالتلفاز وغيره، كما أصبح الانترنت و محتوياته بديلاً عن المدرسة والكتاب و المكتبة التقليدية في كثير من الأحيان، ومن ثم فقد أصبحت المدرسة والنظام التعليمي بشكله الراهن لا يشبع رغبات المتعلمين.

المعوقات الخاصة بالابنية المدرسية:

المدرسة هي إحدى المؤسسات التي يستعين بها المجتمع لخلق المواطن الصالح القادر على التفكير والعمل والأنتاج، والمبنى المدرسي يعد مكاناً يجمع فيه المتعلم بالمعلم (لأقتصار العملية التربوية على الحفظ

المعوقات التي تواجه معلمي المرحلة الابتدائية في العراق أثناء تأدية المهنة من وجهة نظرهم. (دراسة ميدانية) والتلقين)، وبالرغم من أن التطورات التربوية المتلاحقة التي غيرت أهداف العملية التربوية لتتخذ من التلميذ محوراً لها تعني بحاجاته وميوله وقدراته، وتبعاً لذلك فقط تطورت النظرة للمناهج وطرق التدريس والنشاط كوسيلة للتعليم، وهذه التطورات أمتدت لتشمل المبنى المدرسي لكي يتلاءم مع النظرية التربوية وتطبيقاتها الحديثة.

والجهات المسؤولة عن التعليم تدرك أهمية توفير المبنى المدرسي الملائم للتلاميذ، فأنشأت العديد من المباني المدرسية الحكومية، لكنها لم تستطع بالرغم من كل ذلك من التوسع في نشرها في مختلف أنحاء البلاد، الامر الذي اضطرها لأستخدام مباني مدرسية أخرى ليبدأ ماعرف بالدوام الثنائي، وفي بعض الاحيان الدوام الثلاثي، لتنعكس آثار هذه العملية على العملية التربوية، والتي بدورها ستنعكس سلباً على التلميذ والمعلم في آن واحد. (حسين وتوما: ٢٠٠٩، ١٦١)

أن أغلب الأبنية المدرسية وبالرغم من أهميتها تخلو من اللمسات الجمالية، وتفتقر للمعايير والتصاميم الخاصة لأشباع حاجات الاطفال خاصة في هذه السن العمرية من حياتهم، والعديد من هذه الأبنية تخلو من المساحات الخضراء وأماكن الترفيه التي تساعد بشكل كبير في نمو التلاميذ الجسمي والنفسي والوجداني ويجعله يشعر براحة اكبر، لذلك أغلب التلاميذ ينفرون من الذهاب للمدرسة بسبب عدم صلاحية معظمها للدراسة، وعدم وجود الشروط الصحية المناسبة كالمرافق الصحية والمياه الصالحة للشرب، وهناك علاقة قوية ومتميزة ما بين تصميم الأبنية المدرسية و طريقة توزيع الفراغات والنباتات ونوعية التجهيزات والأثاث من جهة والتحصيل العلمي والتربوي للتلميذ وكذلك مزاج المعلم ونفسيته من جهة أخرى. (2002: martin, 15)

وبالأضافة لكل ما تم ذكره فإن العديد من الدراسات أثبتت بأن هناك تأثيراً كبيراً من حيث تصميم الأبنية المدرسية والصفوف الدراسية وعدد التلاميذ فيها على التحصيل العلمي، وفي الوقت نفسه في تدريس المعلمين، ففي إحدى الدراسات التي قام بها كل من (كانترونتز وايفانز) أتضح وجود علاقة سلبية بين عدد التلاميذ والرغبة في المشاركة بالنشاطات الصفية واللاصفية، و زيادة عدد التلاميذ أثرت سلبيا في التحصيل التربوي (كزيادة العنف في الصف، ضعف العلاقات، المشاركة في النشاطات والمناقشات) الأمر الذي أدى للإحباط و الضغط والتوتر للتلميذ والمعلم، وقد ذكر بعض المعلمين بأن تفاعل التلاميذ وأهتمامهم بالمشاركة والتحصيل العلمي يزداد أكثر في الصفوف التي تحتوي على عدد أقل وخصوصا بالمرحلة الاولى. (Kantrowits&Evans:2004,33)

وتكاد تكون أغلب المدارس العراقية مكتظة بالتلاميذ في صفوفها، مما يصعب من مهمة المعلم في ايصال المادة الدراسية للتلميذ، وكذلك عدم فهم التلميذ نتيجة للأزدحام الكبير داخل الصف.

وبالأضافة لكل ما سبق فإن هناك مشكلة أخرى تتعلق بالمبنى المدرسي وهي أن أغلبها تكون قريبة من الشوارع الرئيسية ومصادر الضجيج والتلوث... الخ، وهو ما يؤثر بشكل كبير على نفسية التلميذ وصحته وتحصيله العلمي، وفي إحدى الدراسات تم الاستنتاج من خلالها بأنه كلما كان الموقع الدراسي قريباً من مصادر الضجيج كحركة السيارات وغيرها كلما قل تركيز التلاميذ وكثرت الاخطاء بالامتحانات وفي أداء الواجبات، ووجدوا أن المدارس التي تكون في مناطق هادئة يحصل فيها التلميذ على نتائج أفضل

وتولدت لديه ثقة أكبر في التفاعل والتحدث مع معلمهم وكذلك بعضهم البعض مقارنة بالمدارس التي تكون معرضة للضجيج المستمر. (Maxwell&Evans:2002,23)

ومن هنا يتضح بأن اختيار المكان المناسب للأبنية المدرسية وخاصة للمرحلة الابتدائية مهمة صعبة وشاقة لأنها تؤثر على التحصيل العلمي والتربوي للتلاميذ وكذلك على نفسية المعلمين، وكذلك هي مصدر أساسي لجودة التعليم، وتقع أهمية الارتقاء بها وبنوعيتها لتأثيرها المباشر في تعليم التلاميذ وتطوير قدراتهم، حيث أن الارتقاء بالمؤسسات التعليمية وتصميم المدارس فيها وتنفيذها وتجهيزها بما يتواءم وأحتياجات العصر هي غالباً ما تنتج مدارس أكثر نجاحاً وجذباً للتلاميذ، وتخرج أجيالاً ذات كفاءة عالية لخدمة المجتمع ومواجهة التحديات المعاصرة.

وبناء على ما سبق فإن هناك العديد من الأسباب والمشكلات التي تؤدي لأعاقة عملية التعليم و تفاقم الازمة فيها، وقد تم الإشارة إليها في الصفحات السابقة من خلال الاطار النظري، فمنها ما يتعلق بالمعلم نفسه ومنها ما يتعلق بالمنهج الدراسي، وأخرى ترتبط بالتلاميذ، ومنها ما يتعلق بالأمور الإدارية، وكذلك المباني المدرسية... الخ.

وفي ضوء ذلك أتجهت الدراسة في أطارها العملي لحصر أبرز هذه المعوقات التي تواجه المعلمين وتعوق تأديتهم للمهنة بالشكل المطلوب من وجهة نظرهم.

الاطار العملي للدراسة:

قام الباحث بعد دراسته للموضوع وتحديد أهم المعوقات التي تواجه معلمي المرحلة الابتدائية في محافظة كربلاء أثناء تأديتهم للمهنة، ببناء فقرات الاستبانة بعد أخذ آراء بعض المعلمين والمعلمات بمحاور الدراسة، وتم عرضها على مجموعة من المحكمين بغرض حذف وتعديل بعض الفقرات، لتصبح بذلك أداة الدراسة صالحة للتطبيق على العينة بعد بيان صدقها الظاهري ودرجة ثباتها، وتم تطبيقها على عينة الدراسة من معلمي ومعلمات مدارس المرحلة الابتدائية في محافظة كربلاء خلال العام الدراسي ٢٠١٥-٢٠١٦.

نتائج الدراسة وتفسيرها:

يتناول هذا الجزء عرض ومناقشة النتائج المتعلقة بالمعوقات الخاصة للمعلم في أثناء يومه الدراسي وما يتعرض له من معوقات تؤثر على عمله اليومي، والجدول التالي يوضح ذلك:

جدول (١) المعوقات الخاصة بالمعلم

الرقم	الفقرات	اوافق	متروك	لا اوافق
١	يشعر المعلم بالفجوة ما بين دراسته في الجامعة وما بين التطبيق في المدرسة.	٧٣,٢	٦,٤	١١,٤
٢	الجدول المدرسي مزدحم بالحصص الدراسية.	٧٣	٠,٤	٢٦,٦
٣	زيادة الالعباء الادارية و الروتينية التي تقع على المعلم.	٨٠	١,٢	١٨,٨
٤	يشعر المعلم بالغبن لما يتلقاه من رواتب مقارنة بأعباء وظيفته.	٧٧,٩	١,٤	١١,٨

المعوقات التي تواجه معلمي المرحلة الابتدائية في العراق أثناء تأدية المهنة من وجهة نظرهم. (دراسة ميدانية)

٥	ضعف الراتب للمعلم يشتت تفكيره للقيام بأعمال اخرى خارج المدرسة.	٦٢,٨	١٠	٢٧,٢
٦	تعدد زيارة المشرفين و تسلطهم يشعر المعلم بعدم الامان.	٦٤	٥,٦	٣٠,٤
٧	عدم تقدير اولياء الامور لمهنة المعلم.	٧٢,٨	٢,٤	٢٤,٨
٨	تسلط اولياء الامور يقلل من هبة المعلم امام التلاميذ.	٧٦,٤	٠,٨	٢٢,٨
٩	ضعف تقدير مهنة المعلم من قبل المجتمع.	٦٦,٨	٣,٢	٣٠
١٠	لشحة الوظائف بعض المعلمين مجبر على مهنة التدريس.	٥٨,٤	١١,٢	٣٠,٤
١١	بعض المعلمين ليس لديهم الاستعداد الشخصي النفسي لتولي مهنة التدريس.	٦٦,٨	١٠,٤	٢٢,٨
١٢	عدم قبول الزائرين من قبل المعلم خصوصا حديثي العهد بالتدريس.	٦٩,٤	٦,٤	٢٤,٢
١٣	التزام المعلم بالطرق التقليدية للتدريس خوفا من رؤسائه ولا يستطيع تنفيذ رؤيته.	٥٦	٤	٣٠
١٤	ازدحام التلاميذ بحجرة الدراسة يسبب عجز لدى المعلم من تنمية المهارات الفردية لهم.	٦٣,٤	١,٦	٣٥

وبالرجوع للجدول (١) الذي يوضح مدى أسهام المعلم في المعوقات التي تعوق تقدم العملية التعليمية للمرحلة الابتدائية في محافظة كربلاء كانت نتائج الاستبانة كالآتي:

- الفقرات (١٢، ٨، ٦، ٤، ٣، ١٠، ١٢) كانت نسبة الموافقة عليها بنسب عالية حيث بلغت النسبة ٨٠ % - ٦٩,٤ %، اما الفقرات المتبقية فكانت نسبة الموافقة عليها متوسطة.

- اما الذين لا يعلمون عن مدى اسهام المعلم وتأثيره في المعوقات فكان عددهم قليل جدا، وبالتالي نسبتهم المثوية تراوحت ما بين ٠,٤ % الى ١١,٢ % وهي نسبة ضعيفة جدا.

- تراوحت نسبة من لا يوافقون من ١١,٨ % الى ٣٥ %.

ومن خلال الدراسة الميدانية وكذلك من خلال مشاهدتنا لما يحدث في المدارس الابتدائية نجد أن هناك عدد من الأعمال الإدارية الروتينية التي يكلف بها المعلم هي ليست في مجال اختصاصه، كما أن أغلبهم يكون جدولته متخمة بالحصص الدراسية الامر الذي يستنزف من طاقته الكثير، كما أن هناك عدم تفهم كبير لعمل المعلم من قبل اولياء الامور وكذلك من قبل المجتمع وعدم تقديرهم الدور الذي يقوم به المعلم، كما أن بعض أولياء الامور يحاولون التقليل من هبة المعلم أمام ابنائهم الامر الذي أدى لضعف المعلم و تقليل هيبته امام التلاميذ، كما أن أغلب المعلمين يشعرون بغبن واضح بسبب الفروقات بين ما يتقاضونه من رواتب اسوة بالموظفين في الوزارات الاخرى، وكما اوضحت الدراسة.

اما عن معوقات العملية التعليمية للمرحلة الابتدائية الخاصة بالتلاميذ ومن خلال نظرة المعلم لها، فالجدول التالي يوضح ذلك:

جدول (٢) المعوقات الخاصة بالتلاميذ

الرقم	الفقرات	وافق	متعدد	لا اوافق
١	التلاميذ لا يشعرون بأهمية الدروس.	٧٦,٨	٦	١٧,٢
٢	انعدام وجود الدافعية للتعلم للتلاميذ.	٧٢,٦	٢	٢٥,٤
٣	ينشغل التلاميذ بالمحادثات الجانبية أثناء الدرس.	٧٥,٤	٩,٦	١٥
٤	معظم التلاميذ يصعب عليهم الانتباه لموضوع الدرس لفترة كافية.	٧٦,٢	١١,٦	١٢,٢
٥	التلاميذ يشعرون بالملل اثناء الحصة الدراسية.	٨٤,٦	٢,٤	١٣
٦	افتقاد التلاميذ لعنصر التشويق للعملية التعليمية.	٦٣,٢	٢,٤	٣٤,٤
٧	ازدحام الجدول المدرسي بالخصص التدريسية.	٨٤,٢	٢,٨	١٣
٨	انعدام الانشطة المشوقة للمصاحبة للمقرر الدراسي يسبب نفور لدى التلاميذ.	٦٩,٨	٥,٢	٢٥
٩	يعاني التلاميذ من الاحباط بسبب كثافة المواد المقررة.	٨٢,٢	٤	١٣,٨
١٠	يعاني التلاميذ من مشكلات نفسية او اجتماعية او اقتصادية.	٧٩,٨	٩,٦	١٠,٦
١١	المدرسة بيئة غير جاذبة للتلاميذ.	٦٣,٢	١٤,٤	٢٢,٤
١٢	التلاميذ ينشغلون باللعب ببرامج التكنولوجيا الحديثة على حساب الواجبات المدرسية.	٨٩,٨	٢,٤	٧,٨
١٣	افتقاد اولياء الامور لاساليب الترغيب لأولادهم بالدراسة.	٨٨,٦	٣,٢	٨,٢
١٤	اولياء الامور لا يتعاونون مع المدرسة من اجل مصلحة ابنائهم.	٨٢,٦	٤,٤	١٣

وبالنظر الى جدول (٢) الذي يوضح ما آلت اليه الاستبانة للدور الذي يلعبه التلميذ وهو محور العملية التعليمية فكانت الاجابات كالتالي:

- كان عدد الموافقين الذين زادت نسبتهم عن ٨٠% كانت للفقرات (١٤، ١٣، ١٢، ٩، ٥، ٧) وتراوحت النسبة ما بين ٨٤,٢% الى ٨٩,٨%، اما باقي الفقرات فكان الموافقون عليها فوق المتوسط وكانت أقلها الفقرة (١١) أذ بلغت ٦٣,٢%.

- اما الذين كانوا لا يعلمون عن مدى تأثير التلميذ في المعوقات التعليمية وكانوا مترددين في اجاباتهم فكانت نسبتهم ضعيفة، وتراوحت نسبتهم ما بين ٢% الى ١٤,٤%.

المعوقات التي تواجه معلمي المرحلة الابتدائية في العراق أثناء تأدية المهنة من وجهة نظرهم. (دراسة ميدانية)

- اما الذين رفضوا وكانوا غير موافقين على الدور الذي يمكن ان يلعبه التلميذ في هذه المعوقات فكان عددهم قليل جدا باستثناء بعض العبارات (١٠٢،٦،١١) فتراوحت نسبتهم ما بين ١٧,٢% الى ٣٤,٢%.

و تظهر الدراسة الحالية الى عدم وجود تعاون ما بين اولياء الامور و المدرسة مما يسبب للتلميذ تدهوراً وضعفاً في علاقته مع المدرسة والمعلمين، كما كشفت الدراسة الى ان الكثير من التلاميذ يعانون من مشكلات نفسية واجتماعية وهو الامر البيديهي لما يمر به البلد من اوضاع أمنية صعبة أثرت على المجتمع ككل فما بالك بالأطفال، وقد أثرت التكنولوجيا الحديثة وبرامج الانترنت على التلاميذ بحيث أصبحت تشغلهم عن المواد الدراسية وواجباتها، والكثير بدأ يتململ من الذهاب للمدرسة وأخذ يبرر الأذكار لعدم الذهاب للمدرسة بسبب عدم وجود المحفزات من قبل الأهل وكذلك من قبل الهيئة التعليمية.

اما عن معوقات المنهج الدراسي الخاص بالمرحلة الابتدائية والذي يؤثر بصورة كبيرة على العملية التعليمية وبالأخص لهذه الفئة العمرية، فالجدول التالي يوضح ذلك:

جدول (٣) المعوقات الخاصة بالمنهج الدراسي

الرقم	الفقرات	وافق	متردد	لا وافق
١	المناهج الدراسية تعتمد على الحشو والتلقين.	٦٥	٠,٨	٣٤,٢
٢	المناهج الدراسية لا تخدم التلميذ وبعيدة عن حياته اليومية.	٧٢,٨	٣,٤	٢٣,٨
٣	تعتمد المناهج الجانب النظري فقط.	٥٢,٤	٩,٢	٣٨,٤
٤	المناهج لا تلامس حاجات المجتمع ولا حاجات التلاميذ.	٤٧,٨	٤	٤٨,٢
٥	المناهج الدراسية لا تواكب التطور الحادث في العالم والثورة المعلوماتية.	٥٤,٨	٢,٨	٤٢,٤
٦	المناهج تحمل استعدادات التلاميذ وميولهم المتفاوتة.	٦٥,٦	٢,٨	٣١,٦
٧	المناهج عاجزة عن تحقيق الاهداف التعليمية و التربوية المنشودة.	٥٥,٨	٢,٨	٤١,٤
٨	كثافة المقرر الدراسي و كثرة العطلات تدفع المعلم بالتعجيل لانهاية على حساب الاستيعاب.	٧٨,٨	١,٦	١٩,٦

ويتضح من الجدول (٣) الخاص بالمعوقات الخاصة بالمناهج الدراسية والذي تكون من ٨ فقرات ما يلي:

- الموافقين على الفقرات الخاصة بالمنهج تراوحت نسبتهم بين ٤٧,٨% الى ٧٨,٨%، وكانت اكثرالفقرات موافقة هي (٢,٨)، اما باقي الفقرات فكانت نسبتهم المنخفضة بحدود المقبولة الى المتوسطة نوعا ما.

- المتزدين كان عددهم قليل جداً وتراوحت نسبتهم المئوية ما بين ٠,٨% الى ٣,٦%، ولم تكن سوى الفقرة (٢) أعلى نسبة بينهم أذ بلغت ٩,٢% من بين الذين قالوا لا أعلم.

- عدد الذين قالوا لا نوافق على تأثير المنهج و دوره في المعوقات تراوحت نسبتهم ما بين ١٩,٦% الى ٤٨,٢%، وكانت الفقرة (٤) أعلى نسبة لعدم الموافقين عليها من الموافقين.

و كشفت الدراسة الميدانية الحالية ان المناهج الدراسية جامدة، وتخلو من التشويق والمتعة، بل أن أغلبها بعيد عن الواقع الحالي وما يمر به البلد من أحداث، كما انها غير جذابة للتلاميذ لعدم مراعاتها لميولهم واستعداداتهم وقدراتهم ومهاراتهم، وتوظيف ما يتعلمونه في البيئة المحيطة بهم، ولا تعبر عن واقع المجتمع، بل أن أغلب المناهج المعتمدة وخصوصا بالمرحلة الابتدائية تعتمد الطرق التقليدية للتدريس ولا تأخذ بالتطورات الحديثة الحاصلة في العالم للمناهج الدراسية، وكيف تواكب عقلية الطفل في هذه الفترة، كما أن أغلب المناهج لهذه المرحلة العمرية تعتمد الحفظ بدون أدنى مشاركة للنشاط العملي وطرق تحفيز التلاميذ للمشاركة في الدرس.

جدول (٤) المعوقات الخاصة بالأدارة التعليمية

الرقم	الفقرات	وافق	متزدد	لا اوافق
١	الادارة المدرسية لا توفر الظروف الملائمة للعمل الجيد.	٥٢,٤	٩,٢	٣٤,٤
٢	مدراء المدارس لا يشركون المعلمين بالشؤون الادارية والتنظيمية.	٦٥,٦	٣,٤	٣١
٣	مناخ العمل روتيني لا يشجع على الابداع.	٥٥,٨	٢,٨	٤١,٤
٤	مدراء المدارس لا يشجعون المعلمين ولا يثنون على ابداعاتهم.	٨٠,٤	٢,٨	١٦,٨
٥	لا توجد قنوات اتصال بين المعلمين والادارات التربوية.	٥٤,٨	٢,٨	٤٢,٤
٦	الادارة تحتم بالشكليات اكثر من الاداء الفعال.	٤٨,٢	٤	٤٧,٨
٧	معايير تقويم المعلمين تعتمد على العلاقات واكثرها غير موضوعية.	٦٥,٦	٣,٤	٣١
٨	معظم الادارات المدرسية لا تستجيب لاقترحات المعلمين.	٦٥	٠,٨	٣٤,٢
٩	توزيع العمل على المعلمين يتم دون الاعتبار للأداء.	٥٥,٨	٢,٨	٤١,٤

ومن الجدول (٤) الخاص بالمعوقات التي تخص الإدارة التعليمية للمرحلة الابتدائية من وجهة نظر المعلمين اليها فهي كالتالي:

- كانت نسبة الموافقة على الفقرات الخاصة بالمعوقات الادارية متوسطة أذ بلغت ٤٨,٢% الى ٦٥,٦%، وقد كانت فقرة العبارة (٤) هي الوحيدة التي نسبتها مرتفعة أذ بلغت ٨٠,٤%.

المعوقات التي تواجه معلمي المرحلة الابتدائية في العراق أثناء تأدية المهنة من وجهة نظرهم. (دراسة ميدانية)

- نسبة المتتردين والذين لا يعلمون كانت قليلة جداً أذ بلغت ما بين ٠,٨% الى ٩,٢%.

- اما نسبة عدد غير الموافقين على الفقرات فقد كانت نسبتهم اقل من المقبولة بقليل في بعض الفقرات، وكانت نسبة الفقرات تتراوح ما بين ٣١% الى ٤٧,٨%.

ومن خلال متابعة الباحث لما يجري في المدارس الابتدائية وما تخضعت عليه الدراسة الميدانية نجد أن هناك عدم أكثرث من قبل الإدارة التعليمية لما يقوم به المعلمون من أداء بالرغم من أن أغلب القيادات التعليمية هم من المعلمين، كما أن العلاقات العامة تكاد تكون شبه معدومة ما بين المعلمين وهذه الإدارات، ودرجات التقييم التي يقوم بها مديري المدارس في نهاية العام الدراسي لا تكون على حساب الكفاءة أذ تعتمد على علاقات المعلمين بالمدير، وهو ما ولد أحباطاً كبيراً لدى المتميزين من المعلمين، كما ان مشاركة المعلمين في الامور غير الضرورية واجبة عليهم بعكس الامور التنظيمية او الادارية التي لا يسمح لهم فيها بالمشاركة ولا بأبداء الرأي.

اما عن المعوقات الخاصة بالأبنية المدرسية ومدى تأثيرها على العملية التعليمية للمرحلة الابتدائية فسنوضحه بالجدول التالي:

جدول (٥) المعوقات الخاصة بالأبنية المدرسية

الرقم	الفقرات	اوافق	متردد	لا اوافق
١	المبنى المدرسي يخلو من اللمسات الجمالية المشوقة.	٦٤,٤	١,٦	٣٤
٢	المبنى المدرسي ينقصه المساحات الخضراء.	٧٤,٦	٠,٨	٢٤,٦
٣	الابنية المدرسية تخلو من اماكن الترفيه لممارسة التلاميذ لهواياتهم.	٥٥,٢	١,٦	٤٣,٢
٤	الابنية المدرسية تخلو من المختبرات.	٦٤,٤	٣,٢	٣٢,٤
٥	الابنية المدرسية تفتقر للتجهيزات والادوات المناسبة للتعليم.	٥٦	٣,٢	٤٠,٨
٦	الصفوف الدراسية عددها قليل في المدارس الامر الذي يزيد عدد التلاميذ فيها.	٦٥,٨	٠,٨	٣٣,٤
٧	الابنية المدرسية غير جذابة للتلاميذ و المعلمين.	٦٨	١,٦	٣٠,٤

وبعد النظر للجدول (٥) وما فيه من أجابات حول فقرات الاستبانة المتعلقة بالبناء المدرسي والتي كان عددها سبع فقرات فكانت آراء العينة فيها كالآتي:

- كانت أعلى نسبة للموافقة على الفقرة (٢) وهي ٧٤,٦%، اما الفقرات الاخرى فكانت نسبة الموافقة عليها متوسطة، فتراوحت النسبة ما بين ٥٥,٢% الى ٦٥,٨%.

- كانت نسبة المتتردين عن مدى دور الأبنية المدرسية كأحدى معوقات العملية التعليمية ضعيفة جداً فقد تراوحت ما بين ٠,٨% الى ٣,٢%.

- اما الذين قالوا لا اوافق فقد كانت الفقرات (٣، ٥، ١) اعلاهم من حيث النسبة وكانت على التوالي ٤٣,٢%، ٤٠,٨%، ٣٣,٤% اما باقي الفقرات فتراوحت نسبتهم ما بين ٢٤,٦% الى ٣٣,٤%.

وقد أظهرت الدراسة الحالية الى أن الكثير من الأبنية المدرسية تفتقد لأبسط مقومات الجمال للدراسة فيها، فأغلب المدارس وخصوصا الابتدائية تشكو من شحة المياه والمرافق الصحية وتكسر الانابيب بسبب الدوام المزدوج والثلاثي، وتكاد تخلو أغلبها من اللمسات الجمالية المشوقة الجاذبة للأطفال وخصوصا في هذه المرحلة العمرية، كما تنقصها المناطق الخضراء والساحات الرياضية التي تعتبر متنفساً لهم وتعتبر كمكان ترفيه لممارسة التلاميذ هواياتهم، لتصل العينة للأقرار بأن الأبنية المدرسية غير جاذبة سواء للتلميذ او للمعلم على حد سواء، مما سينعكس بدوره بصورة كبيرة على تسلل الملل و الضجور لنفوس التلاميذ و المعلمين.

توصيات الدراسة:

استنادا الاطارين النظري والعملي وما تمخض عنهما من نتائج تم التوصل اليها من خلال العينة فأن الباحث يوصي بما يأتي:

١- تذليل العقبات التي تواجه المعلمين والتي ربما تعوق تميزهم وفاعلية تدريسهم من خلال أقامة دورات تدريبية تطويرية للمعلمين (سواء آكان من ذوي الخبرة والحديثي التعيين) والهدف منها أعلامهم بمشكلات العملية التعليمية الخاصة بالمرحلة الابتدائية في محافظة كربلاء، ومحاولة التغلب عليها بالتعاون مع الاطراف الفاعلة على المستوى التعليمي، وتوفير المستلزمات الضرورية من التقنيات الحديثة لخدمة وأنجاح العملية التعليمية.

٢- التنسيق مع أولياء الامور وزيادة الاتصال بهم وأقامة الندوات لتعريفهم بأهم المشكلات التي تعترض تطور العملية التعليمية في محافظة كربلاء، ومساهمتهم بالدور الذي يقع على عاتقهم بالتعاون مع المدرسة والمعلمين للتغلب على هذه المعوقات.

٣- ضرورة القيام بدورات تدريبية لخبراء المناهج الدراسية لتطوير قابليتهم، وأعلامهم بمعوقات العملية التعليمية بالمرحلة الابتدائية وكيفية التغلب عليها، وردم الهوة ما بين تنظيمات المحتوى المختلفة وكيفية أعداد المناهج في ضوءها، والآخذ بأراء و وجهات نظر المعلمين فيما يخص الصعوبات التي تواجههم أثناء التدريس وخصوصا الكتاب المدرسي.

٤- ضرورة أقامة دورات تدريبية للأدارات التعليمية وبكافة مستوياتها سواء آكان لموظفي مديرية تربية محافظة كربلاء او لمدرء المدارس الابتدائية للتعريف بالطرق الحديثة للأدارة المدرسية وكيفية التعامل مع المعلمين وكذلك التلاميذ، وكيفية التغلب على المشكلات والمعوقات التي تعترض عملية تطوير التعليم، وأعطاء دور أكبر للمعلم في المدرسة لانه صلة الوصل ما بين التلميذ والادارة.

٥- ضرورة القيام بجولات مكثفة للأطلاع على واقع الأبنية المدرسية ومدى ملاءمتها للتعليم، ووضع الحلول الناجعة لفك الأختاق الحاصل في المدارس الابتدائية للدوام المزدوج و الثلاثي، وكذلك تقليل كثافة التلاميذ في الصف الدراسي، ومراعاة أسس الجمال والساحات الرياضية والمختبرات و المساحات الخضراء والأبتعاد عن أماكن الضجيج في تصميم المبنى المدرسي بما يسهم بفاعلية في تنمية هوايات التلاميذ.

دراسات مقترحة:

استنادا الى اللطارين النظري والعملي وما توصل اليه الباحث من نتائج وتوصيات فإن الباحث يقترح القيام بدراسة الموضوعات التالية:

- ١ - معوقات الامتحانات المدرسية في العراق للمرحلة الابتدائية.
- ٢ - معوقات تطوير البيئة المدرسية في العراق للمرحلة الابتدائية.
- ٣ - معوقات تعليم المواد الاجتماعية بالمرحلة الابتدائية.
- ٤ - معوقات تعليم اللغة الانكليزية في العراق للمرحلة الابتدائية.

المراجع:

اولا: المرجع العربية:

- ١- ابراهيم، مروان عبد المجيد: الاسس العلمية والطرق الاحصائية للاختبارات والقياس في التربية الرياضية، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، ١٩٩٩.
- ٢- البزاز، حكمة: أبحاث حديثة في أعداد المعلمين، مجلة رسالة الخليج العربي، الرياض، ١٩٨٩.
- ٣- البزاز، حكمة وآخرون: ملامح التربية والتعليم في القرن الحادي والعشرين، مطبعة وزارة التربية، بغداد، ١٩٩٥.
- ٤- البناء، درية السيد عبد الرحمن: مشكلات النمو المهني و الأكاديمي لمعلم الحلقة الاولى من التعليم الاساسي أثناء الخدمة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية بدمياط، جامعة المنصورة، ١٩٩٢.
- ٥- التربية، وزارة: قانون وزارة التربية، جريدة الوقائع العراقية، بغداد، ٢٠١١.
- ٦- الجبر، زينب علي: الادارة المدرسية الحديثة (من منظور علم النظم)، مكتبة الفلاح، الكويت، ٢٠٠٦.
- ٧- الجزائر، عبد اللطيف الصفي: التصميم التعليمي لبيئة التعليم لتوظيف تكنولوجيا التعليم، كلية البنات للاداب والعلوم والتربية، جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠٠٢.
- ٨- الحيلة، محمد محمود: التصميم التعليمي (نظرية وممارسة)، دار المسيرة للطباعة والنشر، عمان، ٢٠١٢.
- ٩- الروائدة، عبد الرؤوف: تحديات التربية العربية في القرن الحادي والعشرين وانعكاساتها على المعلم العربي، المؤتمر التربوي العربي في القرن الحادي والعشرين، اليونسكو، عمان، ١٩٩٥.
- ١٠- الروبي، احمد عمر: معالم لتطوير التعليم في قطر خلال القرن الحادي والعشرين (ندوة حول تطوير التعليم العام في قطر)، كلية التربية، جامعة قطر، ١٩٩٧.
- ١١- الساعدي، عبد جاسم: التعليم في العراق (الواقع و آفاق)، ورقة بحثية مقدمة لليونسكو حول التعليم في دول الازمات، باريس، ٢٠٠٨.
- ١٢- السورور، نادية: أسباب تسرب الطلبة من الجنسين في كل من مدارس المدن والارياف، مجلة دراسات العلوم التربوية، الجامعة الاردنية، الاردن، ١٩٩٧.
- ١٣- السورطي، يزيد عيسى: مشكلات المعلمين في سلطنة عمان وعلاقتها ببعض المتغيرات، مجلة البحوث التربوية، جامعة قطر، قطر، ٢٠٠٠.

- ١٤- الشافعي، ابراهيم محمد وآخرون: المنهج الدراسي من منظور جديد، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٦.
- ١٥- الشرقاوي، انور: التعليم واساليب التعليم، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٦.
- ١٦- العمري، علاء الدين يوسف: دور الحاسوب و شبكة الانترنت في تطوير التعليم (ندوة حول تطوير التعليم العام في قطر)، كلية التربية، جامعة قطر، ١٩٩٧.
- ١٧- المنصوري، حصة جافور: المعلم وتحديات الالفية الثالثة، مجلة آفاق تربوية، قطر، ٢٠٠١.
- ١٨- الناقية، محمود: تعليم اللغة العربية والتحديات الثقافية التي تواجه مناهجنا الدراسية، كلية التربية، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٩٩.
- ١٩- المهدي، السيد عبد السلام: دراسة ميدانية لبعض مشكلات المدرسة الابتدائية و مواجهتها في ضوء الفكر الاداري المعاصر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٠.
- ٢٠- جروان، فتحى عبد الرحمن: تعليم التفكير (مفاهيم وتطبيقات)، دار الفكر موزعون وناشرون، عمان، ٢٠١٥.
- ٢١- حاجي، فاطمة احمد: الضعف في القراءة (أسبابه واساليب علاجه)، مجلة التربية، قطر، ١٩٩٩.
- ٢٢- حسين، باسمه علوان وتوما، فؤاد: تطور التعليم في العراق، مجلة دراسات تربوية، وزارة التربية، بغداد، ٢٠٠٩.
- ٢٣- دالين، ديوبولد فان (ترجمة محمد نبيل نوفل وآخرون): مناهج البحث في التربية وعلم النفس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٤.
- ٢٤- درويش، علي محمد: تطبيقات الحكومة الالكترونية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم، الرياض، ٢٠٠٥.
- ٢٥- شحاتة، حسن: تعلم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٣.
- ٢٦- _____: اساسيات التدريس الفعال، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٧.
- ٢٧- _____: استراتيجيات التعليم و التعلم الحديثة و صناعة العقل العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٨.
- ٢٨- عباس، شكري وآخرون: التعليم الاساسي في مصر (الواقع و المستقبل)، المركز القومي للبحوث التربوية و التنمية، القاهرة، ١٩٩٠.
- ٢٩- عبد الحميد، جابر وسلامة محمد: دراسة العلاقات بين الاتجاهات نحو القراءة و الميول القرائية و التحصيل الدراسي لدى عينة من التلاميذ المرحلة الاعدادية، مركز البحوث التربوية، القاهرة، ١٩٩٨.
- ٣٠- عبد الله، عبد الرحيم صالح: تعليم اللغة في منهج تربية الطفولة، مكتبة الفلاح، الكويت، ٢٠٠٢.
- ٣١- عدس، محمد عبد الرحيم: المعلم الفاعل و التدريس الفعال، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، ٢٠٠٠.
- ٣٢- علي، سعيد اسماعيل: فلسفات تربوية معاصرة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٥.

- المعوقات التي تواجه معلمي المرحلة الابتدائية في العراق أثناء تأدية المهنة من وجهة نظرهم. (دراسة ميدانية) ٣٣-طعيمة، رشدي و محمد المناع: تدريس اللغة العربية في التعليم العام (نظريات وتجارب)، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٠.
- ٣٤-ليب، رشدي وفايز مراد مينا: المنهج منظومة محتوى التعليم، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٣.
- ٣٥-مدكور، علي احمد: تدريس فنون اللغة العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧.
- ٣٦-_____: تطوير أعداد المعلمين وأعضاء هيئة التدريس، مجلة العلوم التربوية، جامعة القاهرة، القاهرة، ٢٠١٣.
- ٣٧-هيربرت، ويلبرج: التدريس من اجل تنمية التفكير، ترجمة عبد العزيز البابطين، مكتبة التربية لدول الخليج العربي، الرياض، ١٩٩٥.
- ٣٨-وظفة، علي: علم الاجتماع المدرسي، مكتبة الطالب الجامعي، الكويت، ٢٠٠٣.
- ٣٩-يونس، فتحي علي: القراءة (الفصل الاول في كتاب التربية)، مجلة القراءة والمعرفة، القاهرة، ٢٠٠١.

ثانيا: المراجع الاجنبية:

- 1-Archangel,-Ana, A psychoanalytic approach to education: problem children and ideas of skin formation, Psychoanalysis,-Culture-and-Society. Vol 12 (4) Dec 2007.
- 2-Gale-Trevor,Disordering Teacher Education:From Problem Students to problem-based Learning,Journal of Education for Teaching,VoL.26No.2,127-138,2000.
- 3- Kantrowitz,E, and Evans,G, The Relation between the Ratio of Chilren Par Activity Avea and off-Task Bahavior and Type of play Day core centers,Environment and Bahavior,Vol.63,No.4,541-557,2004
- 4-Labaree,David, On the Nature of Teaching and Teacher EducationDifficult Practices that Look Easy, Journal of Teacher Education, V51n3 p228-33 ERIC Database May-Jun 2000.
- 5-Malouff-John-M, Schutte-Nicola-S, Providing Comprehensive Education in problem Solving in primary and secondary schools, Ongine Submission, ERIC Database 2008.
- 6-Martin,Sandra, The classroom Environment and Its Effects on the Practice of Teachers,Journal of Environmental Psycholgy,Vol.22,No.1,91-97,2002.
- 7-Maxwell,L, and Evans,G, The Effects Noits on Preschool Children's Pre-Reading Skills, Journal of Environmental Psychology,Vol.20,No.1,91-97,2002.

المفاوضات ودورها في تسوية منازعات عقود التنمية التكنولوجية

Negotiations and its role in technological development contracts Search settlement made

م.د. غسان عبيد محمد المعموري^(١) Dr. Ghassan Obeid Mamouri

الملخص

تعد عقود التنمية التكنولوجية من اهم صور عقود التجارة الدولية ذلك لمساهمتها المباشرة في تحقيق التنمية المستدامة لدى الدول المتلقية لها اضافة الى تدفق لرؤوس الاموال كبيرة جدا من قبل الدول المصدرة للتكنولوجيا اذ تعرف بأنها " المعرفة والخبرات والمهارات الواجب توفرها لصناعة منتج معين. بالإضافة الى المعلومات الفنية الواجب توفرها لإنشاء الوحدات الصناعية اللازمة لهذا الانتاج" ويتم الحصول عليها من خلال عملية نقل التكنولوجيا تتم عبر الية قانونية وهي افراغ الاتفاق بين الطرفين بعقد ينظم هذه العملية وينبغي ان يتضمن هذا الاتفاق وسيلة تكفل للأطراف تسوية منازعات هذه العقود وقد تم مؤخرا ادراج شرط التفاوض بين الاطراف ليكون وسيلة لتسوية المنازعات التي تتولد عن تنفيذ او تفسير عقود التنمية التكنولوجية والذي، يعرف التفاوض (بأنه عملية ديناميكية بالغة الدقة والحساسية تتم بين طرفين يتعاونان على إيجاد حلول مرضية لما بينهما من مشكلات خلافية أو صراع أو تناقص، من أجل تحقيق الاحتياجات والاهتمامات والمصالح المشتركة).

وهذا ما تناولناه في هذا البحث اذ تناولنا مفهوم عقود التنمية التكنولوجية وعلاقتها بالاستثمار، اضافة الى مفهوم التفاوض بوصفه الية لتسوية المنازعات بين الطرفين، والحالات التي تقود الى الاستعانة بوسيلة التفاوض لحسم النزاعات بين الطرفين وقادنا البحث الى وجود صلة مباشرة بين الاستثمار وعقود التنمية التكنولوجية اذ ان الاخيرة تساهم بشكل جاد وفعال في نجاح عمليات الاستثمار ذلك من خلال الاستعانة بالوسائل العلمية في عملية الاستثمار كما ان وجود شرط التفاوض في العقود محل البحث

١- جامعة كربلاء / كلية القانون.

يعطي مرونة وديمومة لحياة العقد اذ تطرا خلال مدة تنفيذه احوال جديدة قد تؤثر بمسيرة تنفيذه لكن ارادة الاطراف تكون حاضرة في ايجاد حلول من شأنها التوصل الى حلول مرضية للطرفين تجنبهم الدخول في نزاعات قضائية قد تطول لسنوات عديدة، اضافة الى اهمال من العديد من التشريعات ومنها التشريع العراقي الى ايجاد صيغ خاصة ضمن تشريع خاص ينظم عملية نقل التكنولوجيا من جهة وايجاد وسائل بديلة لتسوية منازعاتها من جهة اخرى ذلك، لان التشريع يخلق حالة من الاطمئنان لدى الطرف الاجنبي او المصدر للتكنولوجيا في حالة ابرام هذا النوع من العقود، وتوصلنا من خلال البحث الى جملة من النتائج والتوصيات.

Abstract

The technological development contracts of the most important images of international trade contracts so direct contribution to the achievement of sustainable development in the recipient countries as well as the flow of capital is very large by exporting technology countries, as defined as "knowledge, experience and skills that should be available for the manufacture of a particular product. In addition to technical information that must be provided for the establishment of industrial units required for this production, "and are obtained through

The technology transfer process conducted through a legal mechanism which is emptying the agreement between the parties to hold regulates this process should include this agreement means to ensure that the parties to settle disputes these contracts have recently been negotiated clause between the parties to the inclusion as a means to settle disputes that arise out of the implementation or interpretation of technological development contracts, which, He knows negotiate (that precision and sensitivity dynamic process between two parties cooperate to find satisfactory solutions to two of the controversial or conflict or decreasing the problems, in order to achieve the needs and concerns and common interests.

This is what we've had in this research as we dealt with the concept of technological development contracts and their relationship with the investment, in addition to the concept of negotiating as a mechanism to settle disputes between the parties, and situations that lead to the use of means of negotiation to resolve disputes between the parties and led us search to the existence of a direct link between investment and decades of technological development as the last contribute seriously and effectively to the success of the investment it processes through the use of scientific methods in the investment process and that the presence of the negotiation clause in the contracts in question gives flexibility and durability

for the life of the contract as occurring during the period of implementation of new conditions that may affect the march of its implementation but the will of the parties to be present at finding solutions that will reach a satisfactory solution for both sides to avoid them getting into legal disputes could drag on for many years, in addition to the neglect of the many pieces of legislation, including the Iraqi legislation to create special formats in a special legislation to regulate the transfer of technology on the one hand and to find alternative means a process to settle their disputes on the other hand it because the legislation creates a state of reassurance to the foreign party or the source of the technology in the case of the conclusion of this type of contract, and we came up through the search to a series of findings and recommendations.

المقدمة

ان ما هو مستقر في الازهان ان اية منازعة تتولد عن العقد فان القضاء وولايته التي يتمتع بها هو الميدان الراسخ للنظر بها وحسمها بشكل نهائي وبالمنازعات كافة بغض النظر عن كونها جنائية او مدنية او تجارية، لكن الاخيرة اي التجارية والمدنية قد اخذت اتجاها جديدا بدأت تتشكل ملامحه في العقد السابع من القرن الماضي واستمرت بالتطور الى يومنا هذا ذلك على خلفية نزاع في احدى الولايات الامريكية استمر لمدة ثلاث سنوات لكن ما ان اتفق الاطراف على جلسة ودية لحسم نزاعه فقد اثر ذلك اللقاء عن حسم المسالة ذاتها بنصف ساعة عند ذاك تنبه المتعاملون الى التفكير جديا في إيجاد وسائل بديلة وبعيدة عن سوح القضاء في اسرع وقت وبأقل كلفة ممكنة، وكما هو معروف أن المحاكم العادية تمتاز بمحدوديتها الجغرافية اي محكومة بالاختصاص المكاني، وبطول مدة فصلها بالدعاوى اضافة إلى كلفتها المرتفعة لذلك فهي لا تتناسب اجمالا مع متطلبات التجارة الدولية، وهذا ما يجعل عالم العدالة في بحث مستمر عن وسائل بديلة لحل النزاعات، إذ أن المتنازعين يبحثون عن حلول سريعة لنزاعاتهم، وفي الواقع أن تقليص مدة الإجراءات القضائية وتخفيض كلفة التقاضي والغاء تكاليف الانتقال بالنسبة إلى النزاعات التجارية الدولية يخفف جميعها من الأعباء المالية الملقاة على عاتق الأطراف، لذا فإن الحل يكمن باعتماد وسائل بديلة عن القضاء تسمى في اللغة الانجليزية Alternatif Dispute Resolution (ADR)، وهي مأتودي إلى حلول أو نتائج لمختلف انواع النزاعات بمنأى عن القضاء، واللجوء إلى وسائل الحل هذه يكون اختياريا بموجب بند تعاقدى يتفق عليه الاطراف اثناء ابرامهم للعقد، أو بعد نشوء النزاع ويتم اعمالها اما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من خلال تدخل شخص ثالث، ويكون الحل الناتج عنها ذا طبيعة تعاقدية، عليه لابد من أن يكون رضى الأطراف صريحا وخاليا من أية عيوب رضائية ومن بين العقود الدولية التي يمكن للأطراف المتعاقدين ادراج هذا البند او اللجوء اليه لاحقا هي عقود التنمية التكنولوجية.

اولا- أهمية موضوع البحث:

يعد التفاوض بين الاطراف من الوسائل المفضلة لأبرام العقود الوطنية والدولية، ولتسوية المنازعات المدنية والتجارية والاستثمارية وغيرها، ذلك أن المفاوضات وسيلة ودية اتفاقية ومباشرة يجلس فيها الأطراف شخصياً أو بواسطة ممثلهم على طاولة مفاوضات ومباحثات واحدة، وقد تفضي هذه المفاوضات الى حل ودي وسلس وسريع وعادل ومحقق لمصلحة الطرفين، ويقود ايضا الى سلاسة في استمرار تنفيذ العقد دون توقف وهذه هي غاية التعاقد، وهنا تظهر أهمية موضوع البحث في انه يساهم بشكل فعال في اعطاء فرصة للأطراف بتخطي المشكلات التي تتولد عن عقد التنمية التكنولوجية ذلك لخصوصيته الشديدة من النواحي كافة (اطرافه -محله -مدته -كلفته -اثاره الاقتصادية والقانونية وعلاقته بخطط التنمية المستدامة والاستثمار) لذلك فان التفاوض بين الاطراف في العقود محل الدراسة يمنحهم فرصة ايجابية وكافية للبحث والتحاور فيما بينهم ويغنيهم عن اللجوء الى القضاء الوطني او الوسائل الاخرى.

ثانيا- مشكلة البحث:

يدور البحث في العقود الدولية والتي تعد عقود التنمية التكنولوجية احدى صورها فهو ينصب على اكثر المراحل أهمية وهي مرحلة التنفيذ، فالمشكلة تكمن في عدم وجود نصوص تشريعية في العراق تحكم آلية حل النزاع بالطرق البديلة ومنها التفاوض كما في التشريعات المقارنة ومنها المصري والاردني، إذ يفترض وجود نصوص قانونية تنظم وتعالج مسألة وضع آليات بديلة عن القضاء في حل النزاعات التي تنشأ في مرحلة لاحقة لأبرام العقد ذلك ان مجاء في تعليمات تنفيذ العقود الحكومية رقم (١) لسنة ٢٠١٤ في نص المادة الثامنة اولا والتي نصت على (يتم تسوية المنازعات وديا ويكون من خلال تشكيل لجنة مشتركة بين طرفي النزاع.....الخ) هو غير كاف لرسم ملامح الوسائل البديلة لتسوية المنازعات بين الاطراف المتعاقدة وهو وان كان خطوة متقدمة بهذا الاتجاه لكنه غير كاف ليكون التفاوض مكتمل الاركان والشروط ليتكفل بحل النزاع، هذا اضافة إلى قلة المصادر التي تناولت التفاوض بكونه وسيلة بديلة لحل النزاعات التي تنشأ في مرحلة لاحقة لأبرام العقد وانعدام القرارات القضائية والادارية في هذا الشأن، سوى ما دار بين وزارة النفط العراقية وشركات النفط العاملة ضمن جولات التراخيص النفطية والتي سنشير اليها من خلال البحث، عليه فمن خلال هذا البحث سنحاول القاء الضوء على التفاوض ليكون وسيلة بديلة لحل النزاعات في عقود التنمية التكنولوجية واعادة التوازن اليها كلما استدعت الضرورة لذلك وعلى وفق ما سنرى.

ثالثا- سبب اختيار الموضوع:

تمثل اسباب اختيار البحث بالحاجة الفعلية للعراق باستقدام الشركات الأجنبية من اجل جذب الاستثمارات اللازمة لتنمية وتطوير البنى التحتية والخدمات والسلع والبضائع وتوظيف التكنولوجيا المتطورة بذلك وهذا يتطلب تيسير عمل هذه الشركات وما يتوقع من خلال ذلك من نزاعات قد تحدث نتيجة لأخلال احد الأطراف بالتزاماته العقدية، وانطلاقا من الواقع الذي نعيشه، واستشعاراً بأهمية دور وسيلة التفاوض في حل منازعات عقود التنمية التكنولوجية وتحقيق التعاون فيما بين الطرفين ومنع الخصومة،

كان لابد من طرح السؤال التالي ماهي الالية التي تتماشى وتناسب العقود الدولية بعامة وعقود التنمية التكنولوجية بخاصة والتي تمكن الاطراف من تلافي الدخول الى المعترك القضائي كما يسميه بعض الفقه؟ إنَّ اختيارنا لهذا العنوان لم يكن من محض الصدفة بل ما لمسناه من اهمية عملية وواقعية من جهة الاحصائيات التي تصدر عن السلطة القضائية الخاصة بعدد الدعاوى التي ينظرها سنويا والتي تؤدي الى بطء شديد في حسم الدعاوى اذ ان العدالة البطيئة من الظلم كما يقول المثل الانجليزي، بل لأنه الطريق العملي والأمثل في الحفاظ على العلاقات التعاقدية قائمة مستقبلا مع بقاء الود والاتصال بين اطرافها.

رابعا- منهجية البحث:

اعتمدنا في البحث على تحليل مفردات عقود التنمية التكنولوجية مفهوما واطرافا وخصائضا اضافة الى موقف التشريع العراقي منها والتشريعات المقارنة ومن ثم تحليل مفردة التفاوض بوصفها الالية التي اختارها الاطراف لتسوية منازعات العقد اضافة الى عرض وتحليل دور هذه الالية في تحقيق الغرض منها في عقود التجارة الدولية، اضافة الى الاشارة الى التطبيقات العملية لهذه الوسيلة كلما ساحت الفرصة لذلك.

خامسا- خطة البحث:

لقد تناولنا عنوان البحث على مبحثين الاول منهما ماهية عقود التنمية التكنولوجية ذلك بمطلبين الاول منهما لمفهومها والثاني لعلاقتها بالاستثمار، اما المبحث الثاني فقد خصصناه للتفاوض في عقود التنمية التكنولوجية بوصفه الية مختارة من قبل اطرافها ذلك بثلاثة مطالب الاول منها لمفهوم التفاوض والثاني لضرورة واهمية المفاوضات في عقود التنمية التكنولوجية والثالث لمبررات اللجوء للتفاوض ودوره في اعادة التوازن العقدي لعقد التنمية التكنولوجية واخيرا الخاتمة والتي تحتوي على أهم النتائج المتحصلة من البحث، وأهم المقترحات التي يمكن ان تعالج مشكلته.

المبحث الاول: ماهية عقود التنمية التكنولوجية

تعد عقود التجارة الدولية من المرتكزات الاساسية لحركة السلع والخدمات بين الدول المنتجة والمستهلكة اذ ان الاولى هي مصدرة لرؤوس الاموال المادية والمعنوية على حد سواء والتي يتمثل المعنوي منها بانتقال المعارف العلمية والفنية قصد تحقيق التنمية والاستثمار لدى الثانية اي الدول المستهلكة وهي في الاعم الغالب من الدول النامية ويستلزم هذا الانتقال تنظيمًا قانونيًا موضوعيًا واجرائيًا، لضمان ديمومة واستقرار هذه العملية التي تنطوي على كلف اقتصادية عالية وتمتزج بها الابعاد العلمية والاقتصادية والقانونية والسياسية على حد سواء، ومن هذه العقود هي عقود التنمية التكنولوجية وهذا ما سنحاول القاء الضوء عليه في هذا المبحث وعلى مطلبين الاول منهما بعنوان التعريف بعقود التنمية التكنولوجية وعلاقتها بالاستثمار اما المطلب الثاني فسيكون لخصائص واطراف هذه العقود وابرز نماذجها.

المطلب الاول: التعريف بعقود التنمية التكنولوجية وعلاقتها بالاستثمار

لما يقتضي التعريف بالشيء هو بيان هويته ومعرفة المعنى الذي ينطوي عليه، لذا سنحاول في هذا المطلب التعريف بالعقود محل البحث ذلك من خلال تعريفه من جوانب ثلاثة وهي الجانب اللغوي والاقتصادي والقانوني ذلك بفرعين.

الفرع الاول: تعريف التكنولوجيا

اولاً: في اللغة:

يقال في اللغة العربية في باب الفعل اتقن اتقناً أي ان اتقان الامر هو احكامه، ومن هذا المنطلق تؤكد ما ذهب اليه مجمع اللغة العربية عندما تبنى كلمة تقنية للتعبير عن كلمة تكنولوجيا باعتبار ان التقنية مشتقة من الاتقان وتقوم عليه، والاتقان ايضاً الدقة في العمل. وفي اللاتينية عرفت التكنولوجيا بكلمة مؤلفة من مقطعين هما techne ويعني الفن او الصناعة، وlogos ويعني الدراسة والعلم فيكون معناها علم الصناعة^(٢)

ثانياً: المعنى القانوني:

ابتداءً نقول ان الكثير من التشريعات الوطنية لم تبد اهتماماً كبيراً بالتعريف التكنولوجي غير ان بعضها قد اتخذ اتجاهات يترجم فكرة معينة لدى المشرع عن التكنولوجيا التي يضع التنظيم القانوني لتبادلها على المستوى الدولي ومن ثن يمكن التوصل الى العناصر التي تساعد على التعريف الذي تبناه المشرع اذ جاء القانون اليوغسلافي حينذاك والصادر عام ١٩٧٣ كمثال لتلك التشريعات اذ جاء نص المادة (١٢) منه والتي نصت على انه (يلزم التسجيل عقد الاستثمار، ان يتضمن ذلك الاستثمار، ادخال طرق فنية جديدة او تنظيمات حديثة للإنتاج)^(٣).

اما بالنسبة للتشريع الفرنسي نجد انه من اسبق التشريعات التي لاحظت وجود وضع تقنين يتضمن قواعد خاصة لتنظيم نقل التكنولوجيا فاصدر القانون رقم ١٠٠٨ - ٦٦ في ٢٨ ديسمبر ١٩٦٦ بصدد تنظيم المعاملات المالية مع الاجانب ثم الحق بذلك القانون مرسوماً رقم ٧٨ - ٦٧ في ٢٧ كانون الثاني ١٩٦٧ يعرف فيه الاستثمار في رأس المال فانطوى ذلك التنظيم القانوني على قواعد مختلفة للتطبيق على العقود التي تعتمد على التنازل عن حقوق الملكية الصناعية وتقديم المساعدات الفنية^(٤).

لقد تعددت تعريفات التكنولوجيا وبعده اتجاهات اذ يقصد بها بمفهومها الموسع (العلم والمعرفة في فن الانتاج لغرض تحقيق التنمية) وتعرف بانها (مجموع المعارف المستهدفة في انتاج السلع والخدمات وفي خلق سلع جديدة)^(٥).

والتكنولوجيا اصطلاح يقصد به الدراسة الرشيدة للفنون الصناعية لا سيما العلوم التطبيقية^(٦)، او هي القدرة على ابتكار وانشاء واستخدام وتكميل واتقان الفنون الصناعية المختلفة^(٧).

٢- دليل عقود نقل التراخيص، منشورات جمعية خبراء التراخيص - الدول العربية، الاردن، عمان، ٢٠٠٥، ص ٢.

٣- المجلة الانتقادية للقانون الدولي الخاص، ١٩٨٢.

٤- ينظر: د. صلاح الدين جمال الدين، عقود نقل التكنولوجيا دراسة في اطار القانون الدولي الخاص والقانون التجاري الدولي، دار الفكر الجامعي ٢٠٠٥، ص ٦٧.

٥- د. حسام عيسى، نقل التكنولوجيا دراسة الاليات القانونية للتبعية الدولية، دار المستقبل، ١٩٨١، ص ٦١.

وقد اختلف فقهاء القانون والاقتصاد في تعريف التكنولوجيا نتيجة لاختلاف الزاوية التي ينظر منها كل منهم:

فمن نظر الى عناصرها المتداولة من معلومات ومخترعات وبراءات اختراع وعلاقات تجارية وحقوق ملكية صناعية ومعرفة فنية قد عرفها بأنها " مجموعة المعارف والمهارات والتجهيزات التي تتعلق بعملية بناء منشأة صناعية تحتاج الى الحصول على الآلات والمعدات الصناعية وتعلم طرق استخدامها وتوفير العمالة المدربة ذات الخبرة التقنية ^(٨) .

او بأنها " المعرفة والخبرات والمهارات الواجب توفرها لصناعة منتج معين. بالإضافة الى المعلومات الفنية الواجب توفرها لإنشاء الوحدات الصناعية اللازمة لهذا الانتاج ".
اما من نظر اليها من زاوية اثرها على الانتاج فقد نظر اليها على انها التطبيق العملي للأبحاث العلمية ووسيلة الوصول لأفضل تطبيق لها ^(٩) ومن ثم عرف التكنولوجيا بأنها " مجموع المعارف والطرق العلمية اللازمة لتحويل عناصر الانتاج الى منتجات " ^(١٠) .

او هي " مجموعة المعارف والمهارات التي تمكن المجتمع من انتاج السلع والخدمات " او هي " معرفة كيفية او علم اصول الصناعة " ^(١١) هي المعارف الفنية التي تكمل بنجاح وسائل للإنتاج الصناعي.
وقد اثر الاتجاه الأخير في التشريعات الوطنية والاتفاقات الدولية فقد نصت المادة الرابعة من مشروع القانون المصري لتنظيم نقل التكنولوجيا على أنه " يقصد بنقل التكنولوجيا في مفهوم هذا القانون نقل المعرفة المنهجية اللازمة لإنتاج او تطوير منتج ما، أو لتطبيق وسيلة أو طريقة او لتقديم خدمة ما، ولا يعتبر نقلاً للتكنولوجيا مجرد بيع أو شراء او استئجار السلع. ومن كل ما تقدم من تعاريف نستطيع القول ان التكنولوجيا هي (اسلوب علمي متطور ومتجدد في تنظيم العمليات الانتاجية لغرض تحقيق التنمية المستدامة في جميع مفاصل الحياة الانسانية).

ولعل من المناسبة بمكان ان نشير الى ان المشرع المصري قد كان له السبق بين التشريعات العربية اذ نظم عملية نقل التكنولوجيا في قانون التجارة الجديد رقم ١٧ لسنة ١٩٩٩ وعدها من الاعمال التجارية ولم يقف عند هذا الحد بل قد اعد مشروعاً قانونياً خاصاً لتنظيم نقل التكنولوجيا كما ذكرنا في اعلاه وهو يعرف نقل التكنولوجيا، ونأمل من المشرع العراقي الاتجاه نحو تنظيم نقل التكنولوجيا بشكل قانوني

6- See The new encyclopedia, Vol.18.15th ed. 1978. P.20 R.F. Bizet: " Les transferts de Technologie", Paris, P.U.F. 1981, P.8.

7- Jan Claud Blaciano: Transfert de Technologie. بحث مقدم الى ندوة مجالات التعاون بين فرنسا والعالم العربي في اطار منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول بالتعاون مع المعهد الفرنسي للبترول - فرساي - ٤-٥ نوفمبر ١٩٧٥، ص ١٢١.

٨- انظر: الدكتوروة سميحة القليوبي: محاضرة في عقود نقل التكنولوجيا، منشور في نقل التكنولوجيا - اكااديمية البحث العلمي، ١٩٨٣، منشورات اكااديمية البحث العلمي، ط ١٩٨٧، ص ٢٢٥.

٩- ينظر: رسالة نصيرة بو جمعة: عقود نقل التكنولوجيا في مجال التبادل الدولي، كلية الحقوق، جامعة الاسكندرية، ط ١٩٨٧، ص ٢١-٢٢.

١٠- ينظر: محمود امين: تقييم واختبار مصدر التكنولوجيا في ضوء المعلومات، نقل التكنولوجيا، اكااديمية البحث العلمي، ١٩٨٧، ص ١١٥.

11-J.Jehll: "La Notion d' Investissement" Technologies a travers les contrast, dans " transfert de technologie et development. L.T Paris, 1977, P.406.

نظراً لأهميته لاسيما واننا نعيش فجوة تكنولوجية كبيرة ولا يفوتنا ان نذكر ان مشروع قانون نقل التكنولوجيا المصري قد عرف التكنولوجيا بأنها (التطبيق العملي على نطاق تجاري او انتاجي للاستكشافات والاختراعات المختلفة التي يتمخض عنها البحث العلمي والخبرة للمساعدة في التوسع السريع في الانتاج وتحسين ميثواه وخفض تكاليفه واتاحة مجموعات متزايدة من السلع على نطاق واسع وباسعار معقولة^(١٢)).

ويبدو لنا ان اشارة المشرع العراقي في نص قانون الاستثمار في المادة الثانية منه هي غير كافية للحصول على التكنولوجيا المتطورة من خلال رخص الاستثمار. والتي نصت على مايلي: يهدف هذا القانون الى ما يأتي:

اولا. تشجيع الاستثمارات ونقل التقنيات الحديثة للاسهام في عملية تنمية العراق وتطويره وتوسيع قاعدته الانتاجية والخدمية وتنويعها.

ثانيا. تشجيع القطاع الخاص العراقي والأجنبي للاستثمار في العراق من خلال توفير التسهيلات اللازمة تأسيس المشاريع الاستثمارية وتعزيز القدرة التنافسية للمشاريع المشمولة بأحكام هذا القانون في الاسواق المحلية والاجنبية^(١٣)، ويوضح لنا من النص المتقدم انه غير كاف لاستيعاب ما تنطوي عليه اهمية التنمية التكنولوجية - اذ انها من الاهمية بمكان ما يستلزم تشريع خاص بها ذلك لانطوائها على عمليات فنية واقتصادية وقانونية معقدة والحاجة اليها مستمرة ومتجددة على جميع الاصعدة الفنية والصناعية والانسانية ذلك لما يشهده العالم من نمو سكاني من جهة والاثار البيئية التي تسببها الصناعة والتغير المناخي من جهة اخرى وهذا ما يستلزم تماشي للعلوم التكنولوجية بخطوة موازية او سابقة للتأثيرات المناخية على صحة سكان الارض من جهة وحاجتهم للتنمية المستدامة من جهة اخرى ولا تلبى هذه الحاجات الا بالعلم والمعرفة التكنولوجية.

ثالثاً: المفهوم الاقتصادي لعقود التنمية التكنولوجية:

لعلنا لا نضيف شيئاً جديداً اذا قلنا ان اي عقد من العقود يجب ان يكون بمقابل او ببديل معين بمعنى ان هذه العقود لا تتم الا بدفع ثمن لقيمة المنفعة التي تتأتى منها وعند القاء الضوء على تحليل عقود التنمية التكنولوجية فهي دون ادنى شك توصف بانها مال اقتصادي^(١٤)، ومؤدى هذا الكلام انها سلعة كباقي السلع الاخرى ولكن التساؤل الذي يثار هل هي سلعة تمتاز بخصائص معينة؟ الاجابة بالإيجاب اذا انها سلعة لها خصوصية تامة عن اية سلعة اخرى، اذ ان لها سوقاً خاصاً يتميز بهيكل وخصائص مختلفة سببها فيما بعد، وان من ينظر الى هذه السوق يجد ان مصدر انتاجها وعرضها هي الدول الغربية المتقدمة اقتصاديا وعلمياً كالولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وفرنسا والمانيا وكذلك روسيا ومن الدول الشرقية كاليابان وكوريا والهند وتعد الدول اعلاه من ابرز دول العالم في انتاج وتسويق التكنولوجيا بأنماطها ونماذجها المتعددة والمتنوعة والتي سنشير اليها في المطلب الثاني من هذا المبحث.

١٢- ينظر د. صلاح الدين جمال الدين، المصدر السابق، ص ٥٥.

١٣- ينظر: نص قانون الاستثمار الاجنبي في العراق رقم (١٣) لعام ٢٠٠٦ وتعديلاته.

14- Hari Srinvas, technology transfer for sustainable development (www.gdrc.org).

الفرع الثاني: علاقة عقود التنمية التكنولوجية بالاستثمار

ساد لفترة طويلة المفهوم التقليدي الذي يرجع نقص التنمية الى ندرة رؤوس الأموال^(١٥)، إلا أن التطورات المتلاحقة في سياسات التنمية خلال الأعوام الأخيرة قد برهنت على أن الأولوية المعطاة لعنصر رأس المال لم تعد ذات جدوى لتحقيق الاستثمار المرغوب فيه^(١٦) إذ لم يعد النمو والتنمية الاقتصادية أمراً يضمنه الاستثمار في رأس المال فحسب، حيث صار هناك نظام معقد للتحويل في البنية العقلية والاجتماعية والتنظيمية والتقنية أدى الى تعقيد أساليب وآثار الاستثمار.

فقد صارت التكنولوجيا من اهم العناصر التي تحدد نجاح او فشل خطط التنمية، بعد ان عدت الركيزة الثالثة، بعد التجارة والتمويل، التي يستند اليها التطور الاجتماعي والاقتصادي للدول النامية^(١٧). بحيث أصبحت مقاساً لمعدل النمو في الدول.

ليس هذا فحسب بل ان التكنولوجيا، لاسيما في مجال الصناعات الحربية والدواء والصناعة النفطية، مطلب هام للحفاظ على السيادة الوطنية في الدول النامية^(١٨)، تعد عملية نقل التكنولوجيا والعقود الخاصة بها ظاهرة حديثة ومعقدة. وحداتها ترجع الى ملاحظة الدول المتقدمة لها منذ وقت قريب على انها وسيلة تنمية مثل غيرها من الوسائل.

اما تعقيدها فهو راجع لكونها لا تشمل فقط حقوق براءات الاختراع او الحصول على معلومات تقنية معينة، بل انه يتطلب لتحقيقها القيام بتنفيذ خدمات عديدة^(١٩) تتراوح ما بين النقل وحقوق استثمار براءة الاختراع، الى تأسيس وانشاء وحدة صناعية انتاجية مع ما يعنيه ذلك من ضرورة نقل مئات من الفنيين للقيام بهذه العملية الانتاجية^(٢٠) وفي بعض الاحيان يكون مانح التكنولوجيا كفيلاً بمتابعة سير العملية لفترة معينة بعد اتمام النقل وذلك لضمان التحقق من الحصول على نتائج اقتصادية مرضية، وهذا الامر يقودنا إلى ملاحظة التطبيق الفعلي لنظام اقتصادي عالمي جديد.

وفي الواقع يمكن ان تتم عملية نقل التكنولوجيا من خلال ظاهرتين: الاولى وهي ظاهرة قانونية والثانية هي ظاهرة اقتصادية ظهرت بعد الظاهرة القانونية، وهي تفرض نفسها اليوم كعامل فاعل من اجل وضع إطار تنظيمي للتبادل التكنولوجي الدولي.

ان فقدان التوازن التقني والاقتصادي العالمي يرجع اليوم وبصفة مباشرة إلى عدم مواءمة الاستثمارات الاجنبية للاحتياجات المحلية في الدول النامية، مما يؤدي إلى حالة الركود في الانشطة الاقتصادية والوظائف على المستوى المحلي وبالتالي المستوى المعيشي، وكذلك نقص في الموارد المالية لهذه الدول مما

15- see A.A.Fotouros: " Government guarantees to Foreign Investors ", New York, Colombia University Press, New York, 1962,P.12.

16- J.Jehll: "La Notion d' Investissement" Technologies a travers les contrast, dans " transfert de technologie et development. L.T Paris, 1977,P.40.

١٧- ينظر تقرير مجموعة العمل الثالثة - مشروع نحو سياسة تكنولوجية، أكاديمية البحث العلمي، ١٩٨٣، ص ١٦٧.

18- Geoffery Aronson: " Quand Le Tires-Monde Devient Partie Prenante dans la Fabrication et le Commerce des armements ". Le Monde Diplomatique, Mars, 1985,P.10. Gerard Soulier & Al, dans "Actualite de la Question Nationale", P.U.F.Paris, 1980.

19- www.ntc.edu/productsguide

٢٠- ينظر د.صلاح الدين جمال الدين: ضمان الاستثمارات الاجنبية ضد المخاطر غير التجارية، ورقة عمل مقدمة ضمن أعمال المؤتمر القانوني لجامعة بيروت العربية، منشورات الحلبي الحقوقية، ابريل ٢٠٠٦.

يضطرها إلى الاستدانة من الخارج. ومن استثناء الدول المنتجة للنفط، فإن هذه البلدان النامية تكون دائماً مثقلة بالديون.

ومن أجل الخروج من هذا الوضع المجحف، يكون من المناسب لهذه الدول ان تعقد اتفاقيات ثنائية^(٢١) مع منظمات التعاون في البلدان الصناعية، والوصول إلى عقد مبادلات اقتصادية أكثر توازناً، ويصبح من الضروري لمؤسسات البلدان الصناعية سواء أكانت في هذه المؤسسات عامة أو خاصة، ان تعدل من سياستها الرامية إلى تشكيل نفوذ أو سلطة داخل الدولة، وايضاً محاولة الحصول على كم من المزايا يفوق الحدود ويكون على عاتق البلدان المستفيدة من التقنية التعهد بتقديم كافة الضمانات الاكيدة للدفع بصورة قطعية.

وبمراعاة الحقوق والواجبات السابقة، تحل محل العلاقات المبنية على فرض السيطرة والنفوذ الاقتصادي، علاقات جديدة تقوم على المصالح والمنافع المتبادلة، وبذلك يجد المصدر للتكنولوجيا مقابلاً عادلاً نظير ما يقدمه، ويجد البلد المتلقي للتكنولوجيا مصدراً حقيقياً لتقدمه الاقتصادي. ان عمليات نقل التكنولوجيا تتطلب بصفة اولية تطوير الاساليب والوسائل الموجودة لكي تواكب التطور الحديث، بالإضافة إلى انشاء المصانع وإعادة تأهيل وتدريب الكوادر العاملة، لان الهدف المرجو تحقيقه هو الحصول على قدرة فائقة للتحكم والسيطرة على التقنية الحديثة، أو بمعنى آخر، الوصول إلى قدرة كاملة لادارة وحدة صناعية حديثة^(٢٢). ولايفوتنا ان نذكر ان من اسباب اللجوء الى عقود جولات التراخيص النفطية في العراق هو الحاجة الملحة للحصول على تكنولوجيا جديدة ومتطورة في هذه الصناعة وهي تكنولوجيا الحفر الافقي والحفر الزلزالي ثلاثي الابعاد الذي تستأثر به الشركات النفطية الغربية كشركة شل وشيفرون واكسون موبيل وغيرها.

وتأتي بعد ذلك النواحي القانونية، ليصبح مجرد اعمال النصوص والقواعد القانونية المعروفة غير كاف للتطبيق على هذه العمليات، ويقع على عاتق المشرعين عبء ايجاد النصوص والصيغ القانونية التي تتلاءم مع هذه العمليات والتطور الذي يحيط بها وايضاً ايجاد الحلول القانونية لكل ما يتفرع عن هذه العمليات من مشاكل.

وبناء عليه يمكننا اعتبار اتفاقيات نقل التكنولوجيا بمثابة اتفاقيات قانونية ذات وضع خاص، تختلف عما عداها من اتفاقيات أخرى وذلك نظراً لتعقدها الكبير الناتج عن تفرع عناصرها. وداخل هذا التركيب القانوني نجد العديد من العمليات التي تتعلق ببراءة الاختراع، نقل المعرفة، المساعدة التقنية الصناعية والتجارية والادارية وتأهيل واعداد الايدي العاملة المحلية وبيع السلع الانتاجية المحلية والمعدات الصناعية.

21- Lec Edwin Knoz: the international transfer of commercial technology: the role of multinational corporation, Arnos press, New York 1980 P13.

٢٢- ينظر د. صلاح الدين جمال الدين: ضمان الاستثمارات الاجنبية مقالة منشورة بالعربية في مجلة العلوم الانسانية الصادرة من الاكاديمية العربية للدراسات، العدد رقم ٢٩/ تموز ٢٠٠٦، امستردام، هولندا، ص ٢.

وما من احد يجهل اهمية التقنية بالنسبة للتطور والتنمية، ومقدار ما تسهم فيه في التقدم التنموي، وانه من الخطأ عدم الاعتراف لها بالقوة الحاسمة في موضع التنمية، بعد ان شاركت النظريات الاقتصادية التقليدية اختصاصها بالتعريف والاحتكار والاتحادات التجارية والسياسية والمالية بصفة عامة.

فعندما وضعت اتفاقية الغات عام ١٩٤٨ لم تكن علاقة الاستثمار بالتجارة ذات اهمية ملحوظة مؤثرة في مجرى التجارة الدولية، لذلك لم تتطرق تلك الاتفاقيات إلى تحرير الجوانب ذات الصلة بالاستثمار، غير ان التطور الهائل في الاسواق العالمية منذ بداية الثمانينات في القرن الماضي وتسارع وتيرة التقدم التقني في مجالات الاتصالات والمعلومات، ادى إلى تسهيل انتقال مواقع الانتاج فضلاً عن تزايد انتقال الاستثمارات بين الدول، بحثاً عن الاستفادة من ميزة كل بلد بما يحتزن من الثروات طبيعية كانت أو بشرية، مما ادى لتدفق الاستثمارات الاجنبية.

كل ذلك اظهر اهتماماً خاصاً بتنظيم العلاقات التجارية الدولية في مجال الاستثمار^(٢٣). فقد ادركت الدول الاعضاء في المنظمة وخاصة الدول الصناعية أهمية تحرير قطاع الاستثمار وازالة الآثار المقيدة للتجارة وبرزت مع ذلك اهمية عقود نقل التكنولوجيا.

وعلى الرغم من أهمية الدور الذي تلعبه عقود نقل التكنولوجيا في التنمية الصناعية، الا ان الدول النامية لم توجه اهتماماً كافياً لتنظيم هذه العقود، فظلت داخلية في عداد العقود غير المسماة التي لا تحظى بتنظيم تشريعي خاص في كثير من الدول النامية.

والمقصود "بنقل التكنولوجيا" هو تلك العملية الفكرية التي تقوم ما بين مورد التكنولوجيا ومستوردها أو متلقيها، إذ على المورد ان يتيح فرصة للمستورد للوصول إلى معلوماته وخبراته كما ان عليه ان يقرها ويوفرها للمستورد، وهذا يقتضي قيام تعاوناً وتبادلاً فيما بينهما تمهيداً لاتمام هذا النقل، ولذلك تعد المفاوضات السابقة لهذا النقل من اصعب المهام وتقتضي خبرة خاصة. ونقل التكنولوجيا لا يقتصر كذلك حتى اضحى هذا النقل سمة بارزة من سمات التجارة الخارجية في السنوات الاخيرة واصبحت التكنولوجيا سلعة تباع وتشترى وقابلة للتصدير استقلاً عن السلع المادية التقليدية. وهذا ما يزيد من نظرية التبعية الاقتصادية لتلك الدول المتقدمة.

ويمكن القيام بنقل التكنولوجيا بعدة وسائل، ففي الامكان ان تجري عملية النقل على اساس اتفاقات تراخيص استغلال براءات أو علامات أو اتفاقيات المعرفة الفنية، أو نتيجة للاستشارات المباشرة من جانب المورد في شكل مشروع مشترك، كما انه يمكن ان يتم نقل التكنولوجيا على اساس عقد انشاء مصانع كاملة، وهو عقد ينشأ بموجب مصنع جديد بالتكامل عن طريق عقود المساعدة الفنية أو عن طريق تدريب الاشخاص واستقدام الخبراء.

اما عن الاهتمام بعقود نقل التكنولوجيا، فقد بدأ اعتباراً من اواخر الخمسينيات ومطلع الستينات من القرن الماضي الاهتمام الدولي بالتنظيم القانوني لنقل التكنولوجيا، وتولت هيئات دولية واقليمية متخصصة مهمة التوصل إلى صيغ نموذجية مقبولة لعقود نقل التكنولوجيا، وسعت بعضها إلى تجسير الهوة ما بين الدول المنتجة للتكنولوجيا والدول المستهلكة لها، كما عملت بعض الهيئات على توفير حلول قانونية

٢٣- ينظر د. صلاح الدين جمال الدين: ضمانات الاستثمار في الدول العربية، دراسة مقارنة، دار الثقافة للنشر، عمان ٢٠٠٦.

لمسائل النزاع التي عادة ما تتصل بنطاق المعرفة وقيودها وبدلات التحسين وشروطه والمسائل القانونية المتعلقة بالاختصاص القضائي والقانون الواجب على النزاع، إضافة إلى تحديد عناصر الملكية الفكرية المتصلة بالتكنولوجيا وحقوق الأطراف عليها، ومن ضمن المسائل التي كانت ولا تزال محل جدل القواعد المتعلقة بحماية سرية نقل التكنولوجيا، وبرزت مؤخراً أهمية اختيار الأطراف في العقود محل الدراسة طريقة أو أسلوب تسوية المنازعات بشكل تفاهمي وودي قصد الحفاظ على استمرار ودعمومة هذه العقود التي قد تستمر لمدد طويلة نسبياً ومن ضمن ما انتج هذا الحراك هو اختيار المفاوضات بعد إبرام العقد وخلال فترة التنفيذ لتكون وسيلة هامة في تسوية المنازعات التي تتولد عن تنفيذ أو تفسير هذه العقود وهذا ما سنراه في المبحث الثاني من هذا البحث.

من كل ما تقدم نصل الى نتيجة ان هناك ترابطاً وتلازماً بين عقود التنمية التكنولوجية وعقود الاستثمارات الاجنبية اذ ان الاولى يجب ان تكون هدفاً اساسياً ومحورياً في الثانية ذلك لكي تتحقق الاهداف الاساسية من عقود الاستثمار التي من بينها الحصول على السلع والخدمات وتدريب وتطوير مهارات الايدي العاملة الوطنية.

المطلب الثاني: اطراف عقود التنمية التكنولوجية وخصائصها وابرز نماذجها

لاشك ان اطراف عقود التنمية التكنولوجية هما طرفان او اكثر ومن بينهم طرف وطني قد يكون ممثلاً عن الدولة او احدى هيئاتها الخاصة اما الطرف الثاني فهو قد يكون دولة اجنبية في حالة وجود اتفاقية ثنائية وقد تكون شركة او مؤسسة خاصة معنية بإنتاج وتوريد التكنولوجيا، وسنحاول في هذا المطلب القاء الضوء على اطراف عقود التنمية التكنولوجية في فرع اول وابرز خصائص هذه العقود واحداث نماذجها في فرع ثاني وعلى النحو الآتي:

الفرع الاول: اطراف عقود التنمية التكنولوجية

ينعقد عقد التنمية التكنولوجية بين طرفين الطرف الاول هو طالب التكنولوجيا او مستوردها متلقيها، اما الطرف الثاني فهو مورد التكنولوجيا او مالكيها الاساسي والغالب ان يبرم العقد بين مشروعين احدهما من دولة صناعية تملك التقنية والثاني من دولة نامية على انه ليس هناك ما يمنع من إبرام عقود نقل التكنولوجيا بين مشروعين من دولتين صناعيتين ومن ابرز صور الثانية هو التعاون العلمي في مجال الاتصالات والفضاء بين الدول الأوروبية وأمريكا واليابان وروسيا إضافة الى جميع المشاريع المشتركة بين الدول والشركات الخاصة متعددة الجنسيات، لكن الواقع الغالب هو الصورة الاولى.

الفرع الثاني: خصائص عقود التنمية التكنولوجية وعناصرها

تتميز عقود التنمية التكنولوجية بمجموعة من الخصائص تميزها وتعطي لها خصوصية عن العقود الاخرى، ويمكن لنا تصنيف هذه الخصائص على صنفين هي خصائص عامة واخرى خاصة وعلى النحو الآتي:

اولاً: الخصائص الخاصة وهي تتمثل بمجموعة من الخصائص ابرزها:

١. مدى تدخل الدول ان اهم ما يميز عقود نقل التكنولوجيا كعقود دولة هو ذلك التدخل من الدول أو فروعها أو احد المشاريع العامة التابعة لها في علاقة تعاقدية تشبه ما يمكن ان يبرمه اشخاص القانون

الخاص بعقود مدنية وتخضع للقانون الخاص، ومن الواضح ان الرابطة العقدية بين الاطراف تكون في العقود الادارية وعقود الدولة اقل منها في غيرها من العقود ذلك ان الدولة غالباً ما تحتفظ لنفسها بسلطات التعديل في الشروط التنظيمية في العقد.

٢. الشروط التي تلزم لصحة نشأة العقد تختلف القيود الواردة على الحرية التعاقدية بشأن عقود الدولة عنها بالنسبة للعقود الخاصة، فمن العقود التي تبرمها الدولة ما لم يتم دخوله حيز النفاذ الا بصدر تشريع بذلك أو التصديق عليه وفقاً لاجراءات خاصة من السلطة التشريعية والتنفيذية من ذلك مثلاً عقود استغلال وتصنيع البترول وعقود نقل التكنولوجيا العسكرية وعقود انشاء محطات الطاقة النووية وغير النووية

٣. موضوع العقد يتعلق موضوع عقد نقل التكنولوجيا بالمصلحة العامة أو باداء مرفق عام كتعلق العقد بانشاء احد المطارات باستخدام تكنولوجيا متطورة أو انشاء مصانع للصلب أو تطوير انظمة الكمبيوتر الخاصة بمرفق من مرافق الدولة الحيوية.

٤. القانون الواجب التطبيق على العلاقة من الممكن مثلاً تطبيق القانون الدولي العام أو مبادئ القانون العامة في بعض الاحيان بالاضافة لقواعد القانون الخاص

٥. تطبيق بعض المفاهيم الخاصة مثل مفهوم السلطة التنظيمية للدولة واعادة توازن العقد ومراجعة الاسعار.

ثانياً: الخصائص الخاصة لعقود نقل التكنولوجيا وتتمثل بمجموعة من الخصائص ابرزها:

١. ضمان بعض المزايا للشركة موردة التكنولوجيا مثل منح هذه الشركة اعفاءات وحوافز ضريبية أو حقوق وامتيازات خاصة كما في حالة عقود تشييد المرافق الكبرى في الدولة حيث تعطى حق ممارسة الاستيلاء للمصلحة العامة.

٢. الغاية من التعاقد تهدف هذه العقود إلى اكتساب التكنولوجيا بشكل فعلي ونشرها وتحقيق الموائمة والملائمة بينها وبين الاحتياجات المحلية في البلد متلقي التكنولوجيا.

٣. التعاون بين الاطراف تتميز هذه العقود أيضاً بخاصية هامة تتمثل في انها تستلزم تعاوناً وثيقاً بين الاطراف وان استمرار العلاقة العقدية امر هام لجميع اطراف العقد خاصة في العقود التي يتم تنفيذها خلال فترة طويلة كعقود المشاريع الانتاجية المشتركة.

٤. الحاجة إلى سرعة التنفيذ هذه أيضاً ميزة هامة حيث ان التنمية في الدول تتطلب السرعة في تنفيذ عقد التكنولوجيا.

٥. المساهمة في خطط التنمية تتميز أيضاً بعقود نقل التكنولوجيا في انها تعيد ترتيب اولويات الدولة مرتكزة على هدف اكبر متمثل في مدى مساهمة العقد في تطوير اقتصاد البلد وتنميته.

٦. دور السياسة في توجيه هذه المشاريع لعقود نقل التكنولوجيا في بعض الأحيان جوانب سياسية فمن الممكن ان تفسخ الشركة موردة التكنولوجيا عقدها مع الدولة مستوردة التكنولوجيا تماشياً مع بعض

السياسات مثل عدم تنفيذ عقد بين شركة فرنسية وباكستان في انشاء مصنع لتخصيب اليورانيوم لتدخل عوامل سياسية منعت التنفيذ.^(٢٤)

الفرد الثالث: نماذج عقود التنمية التكنولوجية وعناصرها

لقد افرز الواقع العلمي مجموعة من النماذج الخاصة بعقود التنمية التكنولوجية والتي يمكن اعتبارها من اهم النماذج التي ينطبق عليها وصف عقود التنمية التكنولوجية ومن ابرزها ماييلي:

اولا: نماذج عقود التنمية التكنولوجية:

- أ- البيع او الترخيص لجميع اشكال الملكية الصناعية او علامات الخدمة او الاسماء التجارية مالم تكن جزءاً من صفقات نقل التكنولوجيا.
- ب- توفير المعرفة العملية والخبرات الفنية وخاصة في شكل دراسات جدوى وخطط ورسوم بيانية ونماذج ومواصفات وتعليمات ووصفات تركيب وتصميمات هندسية اساسية وتفصيلية.
- ج- خدمات المتخصصين في تقديم المشورة الفنية والادارية وتدريب العاملين.
- د- الخدمات الخاصة بتشغيل وإدارة المؤسسات وبرامج الحاسب الآلي.
- هـ- تقديم المساعدة الفنية في جميع المجالات.

واذا كان المشروع المصري لم يصدر مشروع القانون المشار اليه الا انه نظم عمليات نقل التكنولوجيا بنصوص الفصل الاول من الباب الثاني من القانون رقم ١٧ لسنة ١٩٩٩ باصدار قانون التجارة الجديد التي تضمن المواد ٧٢ الى ٨٧ وهو وان لم ينص على التعريف الذي تضمنه مشروع قانون نقل التكنولوجيا الا انه عرف نقل التكنولوجيا ضمن تعريفه لعقد نقل التكنولوجيا بنص المادة ٧٢ التي نصت على ان " عقد نقل التكنولوجيا اتفاق يتعهد بمقتضاه (مورد التكنولوجيا) لأستخدامها في طريقة فنية خاصة لإنتاج سلعة معينة او تطويرها او لتركيب او تشغيل آلات او اجهزة او لتقديم خدمات ولا يعتبر نقلاً للتكنولوجيا مجرد بيع او شراء او تأجير او استئجار السلع، ولا بيع العلامات التجارية او الاسماء التجارية او الترخيص باستعمالها الا اذا ورد ذلك كجزء من عقد نقل تكنولوجيا او كان مرتبطاً به"، كحزمة ما - ولا يشمل ذلك الصفقات التي لا تتناول الا مجرد بيع للبضائع او تأجير لها.^(٢٥)

واوضح ان هذا المفهوم الاخير وان اتسع ليشمل المعرفة المنهجية اللازمة للإنتاج الا انه استبعد من نطاق نقل التكنولوجيا تلك العقود التي تقتصر على مجرد شراء الآلات ولو كانت تلك الأخيرة متضمنة للتكنولوجيا في انتاجها هي ذاتها.

ثانيا: عناصر عقود التنمية التكنولوجية وهي اربعة عناصر ابرزها

- أ- عنصر الآلات والادوات.
- ب- عنصر الاستعمال والاستخدام.

٢٤- ينظر د. صلاح الدين جمال الدين، عقود الدولة لنقل التكنولوجيا، دار النهضة العربية القاهرة ٢٠٠٥، ص ٦٨.
25- J.Jehll: "La Notion d' Investissement" Technologies a travers les contrast, dans " transfer de technologie et development. L.T Paris, 1977, P.40.

- ج- عنصر العلم ذلك ان العلم اساس المعرفة والتكنولوجيا هي تطبيق للمعرفة.^(٢٦)
 د- عنصر المهارة والابتكار.^(٢٧)

يتضح لنا مما تقدم ان لعقود التنمية التكنولوجية جملة من النماذج وهذه النماذج والعناصر متطورة ومتجددة بشكل سريع ويتمشى مع حركة التطور العلمي التي اساسها البحث العلمي الذي ينبغي الالتفات اليه وبشكل خاص لاسيما في البلدان النامية وتهيئة المستلزمات المادية والمعنوية اضافة الى الاطار التشريعي الملائم له لغرض تقليص الفجوة التكنولوجية بين الدول المتطورة والدول النامية.

المبحث الثاني: التفاوض في عقود التنمية التكنولوجية

في عالم تتزايد فيه تطلعات الشعوب للتنمية الصناعية والاقتصادية يتزايد الطلب على التكنولوجيا التي صارت تنقل من اقليم الى اخر بموجب عقود تبرمها الشركات العامة والخاصة بل والحكومات في الدول النامية مع شركات وحكومات في الدول الصناعية الكبرى واذ ان من سمات هذه العقود استغراقها زمنا طويلا نسبيا نظرا لتعدد مراحل تنفيذ المشروعات وتدريب الايدي العاملة على المهارات الفنية فلا تكتمل العقود والحال هكذا الا اذ اشتملت على ما على ما يواجه به المتعاقدون ما قد يطرأ اثناء التنفيذ من مشكلات ليمنحهم فرصة الاستمرار في تنفيذ البرامج المتفق عليها للتنمية التكنولوجية، لذا فمع تطور علاقات التعاون الصناعي والتكنولوجي صار من المعتاد ان تبدأ تسوية النزاعات بالمفاوضات التي قد تؤدي الى اعادة التوازن للعقد او الاستعانة بالخبراء الفنيين قبل اللجوء الى القضاء الوطني او محاكم التحكيم^(٢٨)، لذا سنعرض الموضوع من خلال الاجابة عن بعض التساؤلات لعل من ابرزها هو ما دور المفاوضات في تسوية منازعات عقود التنمية التكنولوجية؟ وهذا ما سنجيب عنه في هذا المبحث.

لقد برزت الوسائل الودية بشكل ملحوظ في الآونة الاخيرة بتسوية منازعات عقود التجارة الدولية بعامة وعقود التنمية التكنولوجية والاستثمار بخاصة لما تمتاز به من سرعة وقلة بالنفقات اضافة الى جانب السرية لاسيما في العقود محل البحث وكذلك اعطاء دور اساسي للأطراف بإرادتهم بتحديد الوسيلة التي يرونها مناسبة وودية اذ يرسم الاطراف في العقود محل البحث طريقاً ودياً لتسوية المنازعات التي تنشأ عن تنفيذ او تفسير هذه العقود كما ان الصفة الفنية التي تحملها العقود محل الدراسة تسليتم البحث عن طرق بعيدة عن سوح القضاء ومن هذه الطرق طريقة التفاوض وستناولها في هذا المبحث بثلاثة مطالب الاول منها لمعرفة مفهوم هذه الوسيلة، اما الثاني فسيكون لمبررات وحالات اللجوء اليها، اما الثالث فسيكون لدور هذه الوسيلة في اعادة التوازن للعقود محل الدراسة.

٢٦- ينظر: الدكتور علي حبيب: التغيير التكنولوجي والتنمية القومية، منشور في نقل التكنولوجيا، اكااديمية البحث العلمي، ١٩٨٧، ص ٣٦٦.

٢٧- ينظر: اسماعيل حلمي ياسين: تقييم واختيار التكنولوجيا، محاضرة القايت باكااديمية البحث العلمي، مارس، ١٩٨٩، ص ٢-٣.

28- cf. ph. Fouchard.ladaption des contrats ala conjuncture.economique,arbitrage et transfert de techniques,rev.arb,1979,p,67-82.

المطلب الأول: التفاوض

لا تقتصر أهمية التفاوض في العقود الدولية على المرحلة السابقة على التعاقد أو بعد إبرام العقد وكذلك في أثناء تنفيذه، من خلال إعادة التفاوض، بل فضلاً عن ذلك تلعب دوراً مهماً في الإبقاء على التعامل والتواصل بين أطراف هذا العقد^(٢٩)، بحيث تكون هناك فرصة لهم لتسوية خلافاتهم بالطرق الودية دون اللجوء إلى القضاء الوطني لأية دولة ولا إلى التحكيم التجاري الدولي، ومن ثم يكون لها أثر إيجابي في تجنب الإجراءات الطويلة والتكاليف الباهظة التي يتحملونها بسبب ذلك، مما يترتب عليه عودة العلاقات التجارية والاستثمارية بين الطرفين في العقد إلى عهدهما الأول وهذا ما نقصده من خلال بحثنا هذا أي معرفة دور التفاوض في تسوية منازعات عقود التنمية التكنولوجية بعد البدء بتنفيذها ومعالجة المشاكل التي تتولد عن تنفيذها أو تفسيرها ويقتضي المقام التعرف على التفاوض بوصفه وسيلة ودية يختارها الأطراف لتسوية منازعاتهم بعيداً عن سوح القضاء، إذ يعرف التفاوض (بأنه عملية ديناميكية بالغة الدقة والحساسية تتم بين طرفين يتعاونان على إيجاد حلول مرضية لما بينهما من مشكلات خلافية أو صراع أو تناقص، من أجل تحقيق الاحتياجات والاهتمامات والمصالح المشتركة).^(٣٠)

وبناءً على ما سبق نستخلص مفهوماً عاماً لعملية التفاوض، بأنه نوع من الحوار أو تبادل الاقتراحات أو التقريب بين رؤى ووجهات النظر بين الفرقاء بهدف التوصل إلى اتفاق يؤدي إلى تسوية قضية أو قضايا نزاعية بين هذه الأطراف، فإذا التفاوض هو عملية يتفاعل من خلالها طرفان أو أكثر يرون أن هناك مصالح مشتركة بينهم يتعذر تحقيقها دون الاتصال والحوار وتقارب الرؤى حول موضوع محل النزاع المرتبط بتلك المصالح، إذن يتم حل الكثير من الخلافات عبر التفاوض المباشر بين الطرفين دون الحاجة لوسيط أو مساعدة من طرف ثالث، كالمفاوضات. إذ إن المفاوضات قد تتعثر في مراحل مختلفة، أو أن حدة النزاع لا تسمح بوجود مفاوضات مباشرة ابتداءً بين الأطراف في بعض الأحيان، الأمر الذي يحتم الاستعانة بوسيط أو طرف ثالث للمساعدة في دفع عجلة التفاوض إلى الأمام و جسر الهوة بين الطرفين (كالوساطة والتوفيق... الخ)، وقد اخذ التفاوض مدى واسعاً في تحديد مفهومه وكان للفقه دور كبير في تحديد هذا المفهوم كما أن المؤسسات المعرفية أيضاً قد تناولت هذا الأمر على وفق ما سنرى:

تعريف المفاوضات

لقد اجتهد الفقه كثيراً في إعطاء تعريف محدد للمفاوضات بوصفها آلية من آليات تسوية منازعات عقود التجارة الدولية بعمامة والعقود ذات الصلة الفنية بخاصة واخذ هذا التعريف اتجاهات متعددة إذ أن البعض منها ولاه الفقه والآخر تولته الموسوعات الدولية ذلك بسبب الغياب التشريعي للتعريف وعلى النحو الذي سنراه في هذا المطلب

الاجتهادات الفقهية: تلعب المفاوضات دوراً وقائياً هاماً في إبرام عقد ارتضاه أطرافه، وسينفذ كل منهم التزاماته بطريقة سلمية هادئة كما تجنبهم المفاوضات حول كيفية تسوية المنازعات وحسم الخلافات

٢٩- د. آزاد شكور، الوسائل البديلة ذات الطابع التفاوضي لتسوية منازعات عقود الاستثمار الدولية، اطروحة دكتوراه، كلية القانون والسياسة، جامعة صلاح الدين-اربيل ٢٠١٢، ص ١٥٠.
٣٠- القاضي بشير الصليبي، الحلول البديلة للنزاعات المدنية، دار وائل للنشر، الاردن -عمان، ط١، ٢٠١٠، ص ٦١ - ٦٢.

مغبة الدخول في منازعات وولوج ساحات قضاء الدولة او قضاء التحكيم، ومن هنا نطرح السؤال: ما المراد بالمفاوضة او المفاوضات؟

اذ ذهب البعض الى تعريف المفاوضة بأنها عملية تطرح فيها مقترحات او مشروعات صريحة لغرض التوصل لاتفاق بالتبادل او المقايضة او على اساس تحقيق مصلحة مشتركة عندما توجد المصالح المتعارضة. (٣١)

وجاء في الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية ان المفاوضات هي شكل من اشكال التفاعل تحاول فيه الحكومات او الافراد او المنظمات ادارة بعض مصالحهم المتصارعة او هو عملية صريحة تتعلق بمشروعات او مقترحات ومقترحات مضادة. (٣٢)

وقيل ان التفاوض هو التفاوض والمناقشة للوصول الى اتفاق مشترك بين طرفين للحصول على حل متفق عليه للحفاظ على مصالح الاطراف المتفاوضة وحل ما بينهما من مشاكل او تقريب وجهات نظرها بأسلوب حضاري. (٣٣)

وجاء بقاموس websters ان المفاوضات عملية مواجهة او تسامو او مناقشة غرضها الوصول الى اتفاق. (٣٤)

ويعرف الدكتور صلاح الدين جمال الدين: المفاوضة هي التفاوض والمناقشة وتبادل الافكار والآراء المساومة بالتفاعل بين الاطراف من اجل الوصول الى اتفاق معين حول المصلحة او حل لمشكلة ما: اقتصادية، قانونية، تجارية، سياسية...

١. من هذا التعريف يتبين ان هنالك عدة عناصر يجب مراعاتها للوصول الى ما هية وجوهر المفاوضة.
١. وجود مشكلة أو مصالح متعارضة بين طرفي العملية التفاوضية، وفي مجال العقود يتمثل ذلك في محاولة حسم مشكلة السعر أو الثمن، أو إعادة التوازن الى العملية التعاقدية عند طرء تغير في الظروف تقلب الموازين والحسابات الاقتصادية بمركز احد طرفي التفاوض او اي امر اخر..
٢. التفاعل: interactivite: والاتصال بين طرفي التفاوض وذلك بالالتقاء الشخصي في موعد ومكان يتفق عليه والدخول في محاورات ونقاشات ومساومات شخصية وتبادل المقترحات والافكار حول المشكلة المطروحة.
٣. القصد الى الوصول الى اتفاق او حل للمسألة المطروحة وهذا بديهي فالتفاوض الذي يجمع بين اطراف لا هدف لهم هو عبث واضاعة للوقت والنفقات فلا خلاف في ان وجود هدف معين يحدده كل طرف هو الحافز على الدخول في عملية التفاوض.
- وعادة يتمثل ذلك الهدف في مصلحة مشتركة بين طرفي التفاوض. (٣٥) وهي ليست مصلحة انفرادية لطرف دون طرف، والا ما ارتضى هذا الاخير الجلوس على طاولة المفاوضات.

31- f.ch. ikle: how nations negotiate, new-york, London, harber and row publishers, 1964, p.3.

32- international encyclopedia of the social science, new-york, the macmillan company and the free press, 1977, p.1107

٣٣- انظر الدكتور حسن الحسن: التفاوض والعلاقات العامة، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٣،

ص ١١ وما بعدها.

٣٤- راجع: websters new world dictionary, second college edition, 193, p. 952

غير انه اذا كان للمفاوضات قصد او هدف هو تحقيق المصلحة المشتركة لطرفيها الا انه لا ينبغي الوصول اليه بأي ثمن. فقد يفشل الطرفان في الوصول الى اتفاق او تسوية المشكلة بينهما فليس بلازم ان تؤل نهاية المفاوضات الى النجاح وتسفر عن اتفاق، فهناك العديد من الظروف والعوامل التي تتحكم في سير العملية التفاوضية وتجعل نتائجها الايجابية او السلبية احتمالية الى حد بعيد^(٣٦) فكفاءة المفاوض وخبرته، والقوة الاقتصادية لكل طرف وحاجته الى الدخول في هذا النوع من التعامل او ذاك نوع الاستراتيجية المتبعة في المفاوضات والتكتيك المستخدم لتنفيذها وطبيعة العملية او المشكلة المطروحة على بساط التفاوض كلها عوامل تؤثر على النتيجة النهائية للمفاوضات.

ونحن لا نتفق مع الرأي القائل أن المفاوضات ليست غير تبادل للتنازلات بين طرفيها لأن مقتضى ذلك ان هنالك نتيجة ينبغي الوصول اليها بأي ثمن وهو أمر قد يصيب بأبلغ الضرر المتعاملين في مجال التجارة والمال لأن تلك الاخيرة تقوم على حسابات وتوقعات وحدود لا يمكن النزول عنها، ذلك ان المفاوضات في هذا الاطار هي عبارة عن نقطة ارتكاز لمصلحة الطرفين في عقود التنمية التكنولوجية وهذه المصلحة تتمثل في استقرار وديمومة العقد المبرم بينهما لما يحمله من خصوصية متأتية من محله واطرافه وطبيعته القانونية، وان اللجوء لهذه الوسيلة مبررات افرزتها طبيعة المعاملة في هذا العقد وهذا ما سنراه لاحقا في هذا البحث. من كل ما تقدم يمكننا تعريف المفاوضات في الاطار المتقدم بانها وسيلة اتفاقية رضائية بين اطراف عقود التنمية التكنولوجية تمكنهم من تسوية المنازعات فيما بينهم عن تنفيذ او تفسير العقد دون اللجوء الى الوسائل القضائية الاخرى ويجمعهم في هذا الاختيار مصلحة مشتركة هي ديمومة واستمرار هذا العقد لما له من خصائص عامة وخاصة به.

غير انه مع تطور وسائل النقل والاتصالات والدخول في الصفقات التجارية الكبرى اضحت الافكار التقليدية للتفاوض والمساومة غير كافية لإنهاء منازعات تلك الصفقات والاستجابة لحاجات ومعطيات الانتاج الصناعي والتكنولوجي حيث ان عقود ومنازعات تلك الصفقات تتطوي على جوانب كبيرة من المخاطرة ويترب عليها في المعاملات الدولية ذات العنصر الاجنبي انتقال سلع وخدمات عبر الحدود تقدر بمليارات الدولارات وهو ما يوجب افساح الوقت امام اطراف التعامل للدخول في لقاءات ومناقشات مكثفة حول المنازعات ومشكلات الثمن او الاسعار ومواعيد التوريد وكيفية التنفيذ وقته ومكانه وضمائنه وجزاء الاخلال بالالتزامات التي ستنشأ فضلاً عن مناقشة الاعمال التحضيرية مثل الفحوص الفنية ودراسات الجدوى الاقتصادية واعداد خطط المشروع وتوفير وسائل تمويله والتأمين على عناصره.^(٣٧)

35-G.I. Nierenberg: fundamentals of negotiating, new-york, haper and row publishers, 1987,p,29.

36-b. wilnham: complexity ni negociation. Negociation ni Daniel druchman(ed): negociation social- psychological perspectives. Beverly hill sage publications. 1987.p.356.

37- j. Schmidt: la negacaiton du contrat international,rev. droit et pratique du commerce international, 1983,p,239.

وكل هذا يقتضي جلوس اطراف التعامل سوياً وتبادل الافكار والمناقشات حتى تتم المعاملة المطروحة او تفشل ويذهب كل طرف الى حال سبيله، وما تقدم يظهر لنا اهمية الوقوف على ماهية المفاوضات وهي ظاهرة عامة تقابل في ميدان منازعات العقود والعمل والادارة وغيرها.^(٣٨)

وفي اطار دراستنا فقد وضعت عدة تعاريف للتفاوض، فقد عرفه بأنه (شرط يدرجه الأطراف في العقد ويتفقون فيه على إعادة التفاوض فيما بينهم عندما تقع إحداث من طبيعة معينة، يحددها الأطراف في العقد، سواء في نفس الشرط الوارد في العقد أو في اتفاق منفصل، وتكون هذه الإحداث مستقلة عن إرادتهم وتوقعاتهم عند إبرام العقد ويكون من طبيعتها الإخلال بتوازن العقد وإصابة احد المتعاقدين بضرر فادح)^(٣٩)، وعرف أيضاً بأنه (ذلك الشرط الذي بمقتضاه يلتزم الأطراف في حالة التغير الجوهري للظروف التي تم التعاقد على اساسها بالتفاوض مرة اخرى من اجل خلق توازن تعاقدى جديد ومن ثم تكييف أو اقلمة اتفاقهم المبدئي الذي ربما فقد مبرراته)^(٤٠)، وعرف ايضا بأنه (التزام الاطراف بإعادة التفاوض حول العقد لمواجهة الظروف الطارئة التي حدثت بها بهدف تعديل الالتزامات التعاقدية إلى الحد المعقول لرفع الضرر الجسيم الذي تحمله احد الطرفين من جراء ذلك)^(٤١)، وكما عرف أيضاً بأنه (الشرط الذي يدرجه الطرفان في العقد القائم بينهما ويلتزمان بمقتضاه بالتفاوض اذا ما نشئ بينهما نزاع اثناء تنفيذ هذا العقد وذلك بغرض التوصل إلى تسوية ودية لهذا النزاع قبل اللجوء بشأنه إلى القضاء او التحكيم)^(٤٢)، وأيضاً عرف بأنه (الشرط الذي يتعهد الطرفان المتعاقدين بتعديل العقد الذي يربطهما اذا حدث تغير في الشروط الاساسية التي تعهدا بموجبها وادت إلى تغير توازن العقد وتحمل احدهما الظلم الفادح)^(٤٣)، أو هو (الشرط الذي يدرجه الطرفان في العقد ويلتزمان بموجبه بالتفاوض لتعديل احكام العقد اذا ما طرأت ظروف غير متوقعة من شأنها أن تؤثر في التوازن الاقتصادي للعقد)^(٤٤).

المطلب الثاني: ضرورة واهمية المفاوضات في عقود التنمية التكنولوجية

ان للمفاوضات اللاحقة لتوقيع عقود التنمية التكنولوجية والتي تنتج عن تنفيذ او تفسير العقد ضرورة كبيرة واهمية استثنائية من الجوانب كافة لعل من ابرزها ضرورات منطقية وعملية في عقود التنمية التكنولوجية وهذا ما سنوضحه بفرعين الاول منها من الناحية المنطقية اما الثاني فهو للضرورة العملية في هذه العقود.

٣٨- راجع عموماً في ظاهرة المفاوضات: n.schapiro: negotiating for you life, new-york, henry holt and comp., 1993, p.86ss.

٣٩- د، شريف محمد غنام، اثر تغير الظروف في عقود التجارة الدولية، دار الجامعة الجديدة، القاهرة، ٢٠٠٧، ص٣٧.

٤٠- د، بشار محمد الأسعد، عقود الاستثمار في العلاقات الدولية الخاصة، ماهيتها-القانون الواجب التطبيق عليها-وسائل

تسوية منازعاتها، ط١، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت-لبنان، ٢٠٠٦، ص٣٠٢.

٤١- د، احمد عبد الكريم سلامة، قانون العقد الدولي (مفاوضات العقود الدولية -القانون الواجب التطبيق)، دار النهضة

العربية، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٦٧.

٤٢- د، رجب كريم عبد اللاه، التفاوض على العقد، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٩، ص٣١٥.

٤٣- د، عبد الحكيم مصطفى عبد الرحمن، عقود التنمية الاقتصادية في القانون الدولي الخاص، مكتبة النصر، جامعة القاهرة،

١٩٩١، ص١٠٣.

٤٤- د، مراد محمود المواجهة، المسؤولية المدنية في عقود نقل التكنولوجيا، ط١، دار الثقافة العربية، القاهرة، ٢٠١٠، ص٤٠٧.

الفرع الاول: من الناحية المنطقية

الضرورات المنطقية: المتأمل في فلسفة المفاوضات وتحديد ما يدرك ان هنالك ضرورات منطقية تفرض اللجوء اليها. من ناحية التواصل والتفاعل الانساني ومقتضاه ان الانسان منذ وجد لا يستطيع ان يحيا بمفرده منكفئاً على نفسه قادر على اشباع حاجاته اليومية اكتفاء بمساعيه وموارده الذاتية، فهو لا بد داخل مع الغير من بني جنسه في معاملات يومية لإشباع تلك الحاجات وهذا الدخول لا يتم فجأة او يحدث عرضاً بل تهيئة الطريق اليه، بتبادل الكلمات والاحاديث التي يعرض بها حاجاته، فيلبي الآخر او يعرض وهذا هو التفاوض في صورته الاولى فهو واقع بين الناس شئنا ام ابيننا.

ومن ناحية ثانية، الوقاية من اسباب النزاع في حالة التمهيد لإبرام اتفاق او صفقة معينة ذلك بإجراء المفاوضات يكون الاطراف قد تحسّنوا بالتدابير والاحتياطات التي تمنع قيام اسباب النزاع مستقبلاً حيث يتصورون وينقبون عن النقاط والمسائل التي قد تكون مثار خلاف بينهم واذ يطرحونها قبل ان تولد فهم في الواقع يقتلون في المهد دواعي الخلاف او على الاقل يعدون الدواء لما عسى ان يطرأ من داء وكما يقول البعض بحق ان مفاوضات ما قبل التعاقد تلعب دوراً وقائياً سواء اسفرت عن ابرام العقد او عدمه ابرامه فالمفاوضات الجيدة تكون خير ضمان لقيام عقد لا تثور منازعات بصدد تنفيذه وفشل المفاوضات بعد تبين كل طرف لحقيقة الوضع يقي من ابرام عقد يفتح باب النزاع.^(٤٥) اما الدخول في مفاوضات جديدة بعد الشروع بتنفيذ العقد محل الدراسة فأثما تؤدي دور وقائي يسبق دخول الاطراف في منازعات قضائية ينظرها القضاء الوطني او الدولي

الفرع الثاني: الضرورات العملية

وتتمثل في ان المفاوضات هي اداة من ناحية اولى للتفاهم وتقريب وجهات النظر بين اطراف لا سيما في مفاوضات المعاملات الدولية من دول متباعدة في ثقافتها الاجتماعية والاقتصادية والفكرية بل والسياسية، ومن ناحية ثانية لوقوف كل طرف على ظروف وشروط عملية تسوية النزاع وحسم الخلافات بالصلح او بغيره ونطاق حقوقه والتزاماته قبل الارتباط الفعلي بتصرف قانوني ملزم وسنبحث هذه الضرورات على فقرتين وعلى النحو الآتي:

اولاً: الضرورات الاقتصادية:

ومن بينها نذكر ان المفاوضات تعد في مجال العقود وسيلة فعالة لإعادة التوازن العقدي lequibre contractuelle عند طرؤ ظروف غير متوقعة تؤدي الى اختلال الاداءات الاقتصادية ذلك ان الثابت في الواقع العملي ان تنفيذ العقود ووفاء كل طرف بالتزاماته يستغرق وقتاً كعقود بناء المصانع وانشاء الجسور واقامة المطارات واعادة البنية التحتية وغيرها وفي تلك الاثناء قد تجد ظروف سياسية او اقتصادية كارتفاع سعر العملة او ارتفاع باهض في اسعار المواد الأولية او تعديلات تشريعية كصدور قانون يمنع الاستيراد او التصدير او خروج العملة الصعبة فإنه يصبح مستحيلاً ويجعل المدين في موقف حرج ويلحق به اضرار فادحة لا يستطيع احتمالها او تداولها.

٤٥ - راجع: el: ehwany: فترة ما قبل التعاقد مذكور سلفاً ص ٤٠.

وهنا درج التعامل في مجال العقود الدولية ممتدة الاثار والتنفيذ الى تضمين عقودهم شرط المراجعة او الصعوبة او المشقة clause de durete والمسمى في الفقه الانجليزي clause de hardship.^(٤٦) او الامريكي شرط الاختلال الكبير gross inequity clause ومقتضاه التزام الاطراف بإعادة التفاوض حول العقد لمواجهة الظروف الطارئة التي حدثت بهدف تعديل الالتزامات التعاقدية الى الحد المعقول لرفع الضرر الجسيم الذي تحمله احد الطرفين من جراء تلك الظروف وقد نصت على التفاوض في حالة تغير الظروف hardship المبادئ المتعلقة بعقود التجارة الدولية التي اقرها معهد unidroit عام ١٩٩٤ فقد جاء في الفقرة الثالثة من المادة ٢-٦ انه في حالة شرط الصعوبة (تغير الظروف) يكون للطرف المتضرر طلب اعادة فتح باب المفاوضات ويجب ان يقدم الطلب دون تأخير وان يكون مسبباً ودون الدخول في تفاصيل هذا الشرط يكفي ان نقرر ان المفاوضات تعتبر الاساس والاداة الفنية لإنقاذ العقد وتصويب مساره بتخفيف الضرر عن لحقه.^(٤٧)

ودون الدخول في تفاصيل هذا الشرط يكفي ان نقرر ان المفاوضات تعتبر الاساس والاداة الفنية لإنقاذ العقد وتصويب مساره بتخفيف الضرر عما لحقه حفاظاً على الصلة والتعاون المستمر بين اطرافه والتي من غيرها ستتوقف علاقات الطرفين مما يعمل على تفاقم الضرر بالنسبة لأحد طرفيه وقد ينفسخ العقد ان وصل الامر الى حد استحالة تنفيذ الالتزامات.

ولعله من المناسب بمكان الاشارة الى ان التفاوض بين وزارة النفط العراقية وشركة (لوك اويل الروسية) قد اتى بنتائج طيبة من خلال تعديل مدة عقد هذه الشركة ضمن جولة التراخيص النفطية الاولى اذ تمكن الطرفان من تعديل مدة العقد التي جاءت كبند في العقد (١٣ سنة) وتم تعديلها من خلال التفاوض بين الطرفين بعد مرور مدة (٣ اعوام على تنفيذ العقد وجعلها (١٩ سنة) وبهذا يكون للتفاوض دور واضح المعالم في تلافي الدخول في منازعات.

كما ان التفاوض بين وزارة النفط والشركات الاجنبية المتعاقدة ضمن جولات التراخيص النفطية لا زال مستمراً حول مستحقات الاخيرة المالية، اذ ان نصوص هذه العقود تقضي بمنح الطرف الاجنبي مبلغاً نقدياً عن كل برميل نفط يستخرجه او يساهم في استخراجه ولكن انخفاض اسعار النفط ادى الى تراكم لمبالغ كبيرة لهذه الشركات بذمة الحكومة العراقية ولكن الدخول في مفاوضات دورية ومستمرة ساعد في ايجاد صيغ مقبولة لدى الطرفين لعملية التسديد دون اللجوء الى الوسائل الاخرى التي وردت في بنود هذه العقود^(٤٨)

٤٦- راجع حول هذا الشرط: b. appetit: ladaptation des contrats internationaux aux circonstances economiques al clause de hardship; clunet 1974 p.794.

٤٧- حول فكرة تخفيف الضرر كأثر للمفاوضات اعمالاً لشرط اعادة التفاوض عند تغير الظروف راجع: y. derains: lobligation de minimizer le dommage dans la jurisprudence arbitrale rev.dr.aff. int. 1987.p.375.

٤٨- للمزيد حول هذه العقود ينظر: باسم جاسم حمادي الحسن: الاستثمار الاجنبي المباشر (FDI) عقود التراخيص النفطية وانها في تنمية الاقتصاد، ط ١، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت - لبنان، ٢٠١٤. ص ١٠ وما بعدها.

ثانيا: الضرورات القانونية:

حيث تعتبر المفاوضات وسيلة للإبقاء على التعامل والتواصل بين اطراف المعاملات القانونية فالتأمل في العديد من العقود والاتفاقات يدرك ان من بين نصوصها وبنداً بنوداً خاصاً يسمى بند او شرط التفاوض لتسوية المنازعات ودياً، وبمقتضى ذلك الشرط يرتضى الاطراف الجلوس سوياً لإنهاء الخلاف بينهم بتقديم تنازلات متبادلة وفق ما تنتهي اليه المفاوضات والمشاورات وقد يأخذ الامر شكل قضية مصغرة حيث يلتقي طرفي الخصومة كل في مواجهة الاخر ويعرض وجهة نظره ويتفاوضون ويعملون على تسوية مشكلاتهم داخلياً فيما بينهم كما لو كانوا عملاء او زملاء صناعة او مهنة واحدة سابقين غير ان الاستجابة لتلك الضرورات والاسباب تقتضي الاعداد الجيد للدخول في المفاوضات.^(٤٩)

المطلب الثالث: مبررات اللجوء للتفاوض وحالاته في عقود التنمية التكنولوجية

ان معظم عقود التجارة الدولية هي من العقود التي تمتاز بطول مددها الزمنية ويترتب على ذلك امكانية ان تكون هناك نزاعات حول تنفيذ او تفسير العقود او قد تستجد احداث لم يكن يتوقعها الاطراف خلا حياة العقد، والفكرة في هذه المسألة انه ماهي الاحوال او الاوضاع التي تستجد اثناء حياة العقد وتُلججى الاطراف للجلوس على مائدة التفاوض لبحثها؟

كما تتميز عقود التعاون الصناعي والتكنولوجي بوجود ملاحق يطلق عليها كراسة الالتزامات Chaiers dse charges تتضمن الشروط التفصيلية الدقيقة للالتزامات الطرفين بما يحقق مصالحها الاجتماعية والاقتصادية.^(٥٠) والغالب ان يمتد تنفيذ هذه الطائفة من العقود لفترة زمنية طويلة نسبياً ربما تتغير فيها الظروف المحيطة بالمتعاقدين فيختل توازن التزاماتها التي تدور حول محور التعاون بينهما.^(٥١)

كان من المناسب ان توجد وسيلة او اكثر من الوسائل الفنية التي تسمح بمراجعة شروط التعاقد وتعديل التزامات طرفيه حتى يعود اليها توازنها لتلائم الظروف التي تغيرت دون زعزعة استقرارها واليقين في نطاقها، تلك الوسائل التي تضفي على الالتزامات التعاقدية المرونة اللازمة لاستمرار سريان العقد بالتوفيق بين مصالح اطرافه - مصلحة المتعاقد الاجنبي في تحقيق الربح والعوائد النقدية ومصلحة المتعاقد الوطني في الوصول الى التنمية الاقتصادية عبر التنمية الصناعية.^(٥٢)

وللاجابة عن تساؤلنا اعلاه ما الذي قد يتغير من الظروف المحيطة بعقود التنمية التكنولوجية وماهي الظروف التي تلججى الاطراف للركون الى مائدة التفاوض؟ لقد اشار الدليل الصادر عن اللجنة الاقتصادية لأوروبا بشأن عقود انشاء الجمعيات الصناعية سنة ١٩٧٦ حيث اوصت المادة ٥٣ منه اطراف

٤٩ - راجع: blanco: المرجع السابق، ص ٤٢. نقلا عن د. عبدالله عبد الكريم، المصدر السابق، ص ٣٥.

٥٠ - انظر نماذج لهذه الشروط في اتفاق مصر وشركة اسو عام ١٩٧٤ منشور في I.m, 1975, p. 915. وكذلك احد العقود التي اطلعنا عليها بين ساحل العاج وشركة erap - shللبنترول عام ١٩٧٠ وقد اوصت المادة ٥٢ من الدليل الارشادي الذي اصدرته اللجنة الاقتصادية لأوروبا الصادر سنة ١٩٧٦ بشأن صياغة عقود التعاون الصناعي بأن يتفق المتعاقدون على ايجاد اجراءات للتشاور لمواجهة المتغيرات

٥١ - انظر:

jean touscoz; ladoptabilite de la cooperation; dans les contrats internationaux de cooperation industrielle et nouvel.

52- j. jakubowski; op.cit, p.273. as.elkosheri, le regime juridique caree par les accords de participation.

التعاقد بتحديد درجة اهمية التغيرات المحتملة واثرها على عقدهم من حيث التعديل او الانهاء كما بينت بعض امثلة لما قد يتغير من الظروف مثل:

- ١- التغير في الاسواق -
- ٢- التغير في خطط الانتاج
- ٣- التغير في البرامج الموضوعه للتنمية
- ٤- التغير في القوانين الوطنية تغيرا جوهريا
- ٥- التغير في التكنولوجيا المستخدمة
- ٦- التغير في تكاليف الانتاج
- ٧- التغير في وفرة المواد الاولى
- ٨- الصعوبات التي تظهر اثناء الانتاج
- ٩- ونضيف الى ذلك التضخم العالمي
- ١٠- الاضطرابات النقدية الدولية
- ١١- الانقلابات في اقتصاديات الطاقة. (٥٣)

ومن قراءة ماتقدم يمكن لنا ارجاع هذه المتغيرات على طائفتين:

الاولى: عوامل تتصل بأطراف التعاقد: فالواضح مما سبق ان الظروف التي تتغير قد تتصل بأطراف التعاقد والنظام الداخلي في دولهم كأن تتطور التكنولوجيا المنقولة او الحالة التقنية لأحد الاطراف مما يؤدي الى عدم ملائمة التكنولوجيا المقدمة للمناخ الصناعي والمهارات الفنية لدى الطرف الاخر. (٥٤)

الثانية: عوامل خارجية تتصل بالظروف والوقائع التي تخرج عن ارادة الاطراف:

كأن تتوافر حالة من حالات القوة القاهرة والتغيرات الاقتصادية والقانونية على المستوى الوطني او الدولي وان كنا نرى ان حالات القوة القاهرة تمنع من تنفيذ العقد ومن ثم فهي تخرج عن اطار التفاوض لأعادة التوازن الذي يقتصر على حالة وقوع صعوبات تؤدي الى ارهاق المدين بالالتزام من الناحية الاقتصادية دون ان تصل به الى استحالة التنفيذ. (٥٥)

المطلب الرابع: دور التفاوض والياته في التوازن العقدي لعقود التنمية التكنولوجية

لكي يحقق التفاوض غايته والتي تكون في الاعم الاغلب انها تلامس اقتصاديات العقد او الجوانب الفنية فيه اذ يشرع الاطراف في العقود محل الدراسة التشاور والمناقشة والحوار قصد الوصول الى حلول ترضي جميع الاطراف وتعطي ديمومة وحيوية للعقد، وبامكانهم ايجاد الاسلوب الملائم لهذا الحل طالما ان ارادتهم هي الفاعلة في رسم ملامح طريق الحل وهذا ما سنتناوله في هذا المطلب لتحديد دور التفاوض في تحقيق او اعادة التوازن العقدي للعقود محل الدراسة ذلك بخمسة فروع الاول منهما لاسلوب التوازن

⁵³ - guide de ece, 1967,pera.50

٥٤- وهو ما واجه شركة sona come الجزائرية التي لاقت صعوبات في استقبال وتفهم التكنولوجيا المقدمة اليها من احدى الشركات الاجنبية.

٥٥- يلاحظ ان بعض القوانين المعاصرة في صدورهما لأعمال اللجنة الاقتصادية لأوروبا قد نظمت مشكلة تغير الظروف من ذلك مثلا القانون الصادر في المانيا.

العقدي والثاني الفرع الثاني: اسلوب المراجعة لمرة واحدة الفرع الثالث اسلوب المراجعة الدورية والفرع الرابع: اسلوب المراجعة التلقائية

الفرع الاول: اساليب اعادة التوازن العقدي

قد يتفق اطراف العقد على استمرار التفاوض طوال مدة تنفيذ العقد ومن ثم يعيدون بأنفسهم التوازن للالتزامات التعاقدية وقد يتفق الاطراف على تكوين لجان للتعاون فيما بينهم وربما يضم اليهم في عضويتها الخبراء الفنيين لتسوية المشكلة في اطار من الثقة المتبادلة وحسن النية الا انه وفي كل الحالات يجب ان يعترف للعقد بالصفة الالزامية وبأن الاستمرار في تعديله يؤدي الى عدم استقرار المراكز القانونية والاقتصادية للأطراف وهو مما يضر بعلاقات التجارة الدولية وقد تبين لنا من مراجعة عقود التعاون الصناعي والتكنولوجي وجود عدة اساليب لمراجعة الالتزامات المتبادلة.^(٥٦)

الفرع الثاني: اسلوب المراجعة لمرة واحدة

قد يتفق الاطراف بشرط في العقد او باتفاق منفصل على مراجعة التزاماتهم لمرة واحدة ومن ثم ينص على انه في حالة التغير الجوهرى للظروف التي احاطت بأبرام العقد يجري الاطراف بناء على طلب احدهما التغيرات الضرورية لإعادة التوازن الى العقد.

الفرع الثالث: اسلوب المراجعة الدورية

قد يتفق الاطراف المتعاقدون على مراجعة التزاماتهم المتبادلة في ضوء التغيرات المحيطة بالتنفيذ كل مدة بحيث يلتزم الاطراف بالتفاوض لإعادة التوازن الاقتصادي للعلاقة كأن ينص على ان يجتمع الاطراف كل خمس سنوات من تاريخ دخول العقد حيز النفاذ لمراجعة التزاماتهم التعاقدية وموائمتها عند الضرورة مع الظروف الجديدة باتفاق كتابي صريح يمثل تعديلا او اضافة للعقد الاصيلي.^(٥٧)

الفرع الرابع: اسلوب المراجعة التلقائية

قد تبرم اتفاقية ثنائية او جماعية بين الدول التي يتبعها اطراف عقد التنمية الصناعية والتكنولوجية متضمنة شرط الدولة الاولى بالرعايا كل منها لدى الاخرى او شرط العمل الاولى بالرعاية الامر الذي قد يؤثر على المراكز القانونية للأفراد والشركات من تابعي هذه الدول نتيجة شرط تتضمنه هذه الاتفاقيات او شرط يتضمنه عقد يبرمه احد اطراف العلاقة العقدية مع طرف اخر من الغير يسمح بالمراجعة لإعادة التوازن بانتقال هذه الشروط تلقائيا لتحقيق مصالح المتقد المتضرر ولو لم يتضمن شرطا للمراجعة.^(٥٨)

الفرع الخامس: صور شروط المراجعة الدورية

الحقيقة انه يمكن التميز بين نوعين من شروط المراجعة الدورية وهي
النوع الاول: شروط المحافظة على القيمة Clauses maintien de la valeur.

56- j.f. lalive;rcadi,1983.p.214

57- ph.khan; the standard in vestment agreement,g,a,int.l comp.l.vol.44,1974

٥٨- راجع الاتفاقية الثنائية بين الصين واليابان المبرمة في ٥ حزيران سنة ١٩٧٤ منشور في I.L.m,1974.p.872.art1-3

وراجع ايضا رسالة الدكتور القشيري ص٢٨٥.

النوع الثاني: شروط اعادة الملائمة readoptation: يعرف بالمصطلح الانكليزي hardship الذي يعبر عن المشقة التعاقدية او ازمة العقد ورغم تميز هذين النوعين من الشروط الا انه يجمعهما هدف واحد يتمثل في اضعاف القوة الالزامية للعقود الخاصه ذات الطبيعة الدولية او التخفيف من الالتزامات التي سبق التعهد بها وذلك بالتغير في شروط التعاقد وليبيان تميز كل منهما عن الاخر فسوف تتناولهما بالإيضاح على النحو التالي:

اولا: شروط المحافظة على القيمة:

يقصد بشروط المحافظة على القيمة تلك الشروط التي تقدم وسيلة تسمح بتوزيع المخاطر المالية والنقدية بين الاطراف في العلاقات الدولية.^(٥٩)

وهي لا تقتصر على صورة او نمط واحد فمنها شروط تضع قوائم حسابية تحدد ذلك التوزيع وفق قواعد حسابية محددة مسبقا وهي ما تعرف بشروط Kindexation ومنها شروط المقياس المتغير dechelle mobile وشروط استخدام النقود الحسابية monaie compte ورغم انتشار هذه الشروط الا انها لا تتلاءم واساليب عقود التنمية الصناعية والتكنولوجية نظرا لعدم كفايتها للوفاء بالغرض المستهدف نظرا لأنها لا تغطي الا المخاطر النقدية والضريبية دون المخاطر الاقتصادية وغيرها من الظروف التي ترهق المدين بالالتزام لا سيما واننا بصدد نوعية من العقود تتسم بتعدد العلاقات الناتجة عنها وتشعبها وتشابكها.

ثانيا: شروط مواجهة تعسر التنفيذ:

اوضحنا انه عادة ما يستغرق تنفيذ عقود التنمية الصناعية والتكنولوجية ما لا يقل عن ثلاث سنوات بل ويصل الى خمسة عشر عام في عقود استغلال المصادر الطبيعية والبتروولية باستخدام التكنولوجيا الاجنبية. ومن ثم يبدو واضحا صعوبة تثبيت الظروف المحيطة بالعقد وازاء عدم كفاية شروط مراجعة القيمة لتغطية كافة التزامات الاطراف وجدت صور اخرى من الشروط التي تسمح بالتفاوض لأعادة التوازن لالتزامات الاطراف المتعاقدة يطلق عليها شروط مواجهة تعسر التنفيذ وهي نصوص تعاقدية يمكن من خلالها للأطراف طلب اعادة التوازن او تصحيح العقد حال طرأت تغيرات جوهرية على العناصر التي كانت سببا جوهريا دافعا للتعاقد ومن ثم فهي اوسع من سابقتها اذ تساعد على مواجهة التغير في الظروف السياسية او الاقتصادية او المالية او التكنولوجية التي تفرز نتائج تضر بمصالح احد المتعاقدين، وتتميز شروط مواجهة تعسر التنفيذ في عقود التنمية الصناعية والتكنولوجية عن غيرها من العقود اذ ان التعاون المطلوب اثناء تنفيذ الاطراف لالتزاماتهم يستلزم ان تتصف هذه الاخيرة بالتوازن والمرونة معا.^(٦٠)

وهو ما يفرض إيجاد صيغ تختلف عما هو معتاد بصدد العقود التجارية الدولية المتعلقة ببيع البضائع بل وهي تختلف من عقد الى اخر من صور عقود نقل التكنولوجيا ومن ثم فقد حرصت لائحة غرفة التجارة الدولية الصادرة عام ١٩٧٨ بشأن قواعد اعادة التوازن للعقود الدولية طويلة المدة على مطابقة

الاطراف بتضمن عقودهم شروط تفصيلية تبين الحالات التي يقبل فيها اعادة العقد مع الظروف التي تطرأ بعد التعاقد.^(٦١)

كيفية تطبيق شروط مواجهة تعسر التنفيذ: على خلاف شروط الابقاء على القيمة التي تطبق تلقائيا ودون الحاجة الى تدخل من الاطراف المتعاقدة او من القاضي او المحكم تستبعد فكرة التطبيق التلقائي بالنسبة لشروط مواجهة تعسر التنفيذ التي تهدف لاعادة التوازن الى العقد ذلك ان شرط اعادة التوازن الى الطرف المرهق بتنفيذ الالتزام انما يتغى اعطاء الفرصة لاعادة التفاوض على شروط التعاقدية لمائمتها مع التغيرات الطارئة والعمل على استمرار تنفيذ العقد وهو ما قد ينتهي بادخال بعض التعديلات على الشروط المتعاقدة عليها.^(٦٢)

واتباع هذا المنهج في التطبيق يبتعد بداهة عن فنون واساليب القانون المدني ويقترب بنا من نطاق اساليب القانون العام ذلك ان شرط اعادة التوازن يمثل احدى الافكار الحديثة التي طرحتها الممارسات العملية بصدد العقود الدولية وهو ما يضعف وجهات النظر التقليدية المعمول بها في القانون المدني والتي تعتمد على فكرة ان العقد تعبير عن التوفيق بين المصالح المتعارضة للطرفين انه فيما يتعلق بالعقود الدولية لاسيما تلك محل الدراسة يتزايد الشك في امكانية استقرار التوازن بين مصالح الاطراف مع مضي الزمن علاوة على عدم استقرار موازين القوى بين الاطراف المتعاقدة لذلك تظل كل العناصر العقدية قابلة للمراجعة باستخدام اساليب التفاوض بين الاطراف حفاظا على روح التعاون التي يفترض ان تسود بينهم.

العناصر المرشحة لتطبيق شروط مواجهة تعسر التنفيذ:

١. أولا- العمومية في تغير الظروف: تتميز شروط مواجهة تعسر التنفيذ بأنها تتسع لمراجعة كل عناصر العقد ولمواجهة الظروف التي تطرأ بالنسبة لكل من اطرافه الا ان توقع الاسباب التي تؤدي الى مصاعب اثناء التنفيذ لا يمكن الا ان يكون توقعا عاما واسع النطاق ومن ثم وجب ان تتسم صياغة شرط اعادة التوازن بالعمومية التي تكفل مواجهة كل تغير جوهري يطرأ على الظروف التي تم الاتفاق في ظلها.
٢. ثانيا- خروج الحدث عن الارادة: يجب لتطبيق شرط اعادة التوازن العقدي ان يكون الحدث الطارئ المسبب للمشقة واختلال التوازن التعاقدى خارجا عن ارادة الاطراف بحيث لا يمكنهم السيطرة عليه ومن ثم لا يعقل ان يطلب منهم توقعه ووضعه في الحسبان عند ابرام العقد.^(٦٣)
٣. ثالثا- ان يكون التغير جوهريا: الاصل ان العقد شرعية المتعاقدين فان وجد تغير طارئ يستلزم اعادة النظر في التزامات الاطراف وجب ان يكون هذا التغير قويا وجوهريا بحيث يقلب موازين العقد عما كانت عليه وقت ابرامه وان يستتبع نتائج تختلف عن تلك التي استهدفها العقد اختلافا كبيرا وبالتالي فلا اعتبار للتغير الطفيف او غير المؤثر او الذي يرتب اثار متوقعة ويمكن تحملها.

٦١- راجع عقد: sofipal-erap-ozo- c.f.r- وتعليق فوشار مشور في rev.1973,p.69 ويجب ان ننوه الى ان اي تعديل على العقد يجب ان يكون

62- ibid, vol 18,winter 1986,no.2,p.541-607

٦٣- وحتى لا يختلط مفهوم عدم التوقع المقصود هنا بمفهوم عدم التوقع في حالة القوة القاهرة نقرر ان وصف عدم التوقع هو وصف لسبب المشقة الطارئة التي تفلت من امكانية السيطرة عليها ببذل الجهد المعقول من جانب الطرف المتضرر.

٤. رابعاً: ان يؤدي التغير في الظروف الى نتائج غير عادلة: لما كان تغير الظروف من وقت الى اخر امرا طبيعياً لم يكن الارهاق الناشئ عن هذا التغير مبرراً كافياً لطلب اعادة التوازن الى التزامات المتعاقدين الا اذا كانت العدالة تقتضي الا يتحمل احد الاطراف المشقة ويواجه الصعوبات الطارئة بمفرده.
٥. خامساً: عدم امكان دفع الضرر: قد تخطئ الشركة مقدمة التكنولوجيا على سبيل المثال في عدم تسليم الانتاج في السوق في وضع التصميم الملائم للمنتج الذي سوف يعرض في السوق المحلي للمتنقى التكنولوجيا مما يترتب عليه عدم تسويقه او تخطئ في تقدير وقت التنفيذ بحيث يتبين ان احتياجات السوق قد تغيرت او ان التقنيات المقدمة قد تقادمت او ان اسعار المواد الاولية والمعدات اللازمة لأنجاز المشروع وتشغيل الوحدة الصناعية قد ازدادت ازدياداً كبيراً مما يؤدي في جميع الحالات الى الاخلال بالتوازن العقدي او تعثر التنفيذ او الاستمرار في التشغيل الا ان هذا قد لا يكفي في كل الاحوال لتفعيل شرط المشقة العقدية اذ ان الحالات التي تقبل اعادة التفاوض تقتصر على الحالات التي يكون فيها السبب المحقق للعسر سبباً خارجاً عن ارادة الطرف المتضرر بحيث لا يمكنه حماية نفسه منه والمعيار في ذلك هو معيار مقدم التكنولوجيا او مستقبلها الفطن.^(٦٤) والتساؤل الذي يبرز هو كيف يتم اثبات تحقق المشقة واثره على تنفيذ عقود التنمية التكنولوجية ان هذه الشروط تستهدف اعادة التوازن للالتزامات التعاقدية المضطربة كان من المنطقي ان يقع على الطرف المتضرر الالتزام باخطار الطرف الاخر بوجود الظروف المستجدة التي يستند اليها وبالاضرار التي افرزتها والوسائل المقترحة لتعويضها وان ذلك ينبغي على الاخير تحديد موقفه في اقصر وقت ممكن، وقد يترتب على ذلك اتفاقهما على البدء في التفاوض وقد يكتفي غير المتضرر بقبول مقترحات الطرف الذي تعرض للمشقة وقد يرفضها ومن ثم يحال الامر الى الخبراء الفنيين او الى التحكيم للفصل في توافر العناصر اللازمة لتطبيق التوازن من عدمه فأن تقرر توافرها اقترح الخبراء الحلول الملائمة او اصدرت محكمة التحكيم حكمها المناسب لطلبات الطرف المتضرر.^(٦٥)
- وقد يثار التساؤل عما يصيب العقد الاساسي اثناء تلك المفاوضات والتسويات هل يظل العقد منتجا اثاره نجد انه وعلى العكس من شروط مراجعة القيمة او الثمن والتي يتوقف فيها العقد عن انتاج اثاره لحين الاتفاق على السعر الجديد فأن شرط رفع المشقة لا يوقف سريان العقد بل يستمر في انتاج اثاره لحين التوصل الى حل للمشكلة القائمة.

الخاتمة:

بعد ان انتهينا من البحث قد اوصلنا الى جملة من النتائج والتوصيات وعلى النحو الاتي:

٦٤- ويقترب عنصر عدم امكانية دفع الضرر بشرط اعادة التوازن من الشروط المعفية من المسؤولية التي تتضمن الاسباب المحققة لذلك الاعفاء مما يكثر استخدامه في عقود الدولة لاستغلال المواد الاولية بل انه يجدر بنا ان نشير الى ان من العقود ما اعطى لشرط القوة القاهرة تعريفاً مماثلاً لتعريف شرط hardship ويمكن ان نجد لذلك امثلة فيما قدمه B.opptit في مقاله السابق الاشارة اليه، ص ٨٠٢، هامش ١٤.

أولاً. النتائج:

١. توجد صلة مباشرة بين عقود التنمية التكنولوجية وعقود الاستثمار اذ ان هدفهما ينبغي ان يكون واحداً وهو تحقيق التنمية المستدامة بالجوانب كافة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية. وان العقود محل الدراسة هي من العقود التي اخذت حيزا هاما بالجوانب العلمية والقانونية والسياسية والاقتصادية على حد سواء
٢. ان العقود محل الدراسة لها خصوصية وتمايز عن سائر العقود القانونية الأخرى متأنية من خصوصية المحل والاطراف والشروط والاضاع المحيطة بها كافة.
٣. ان التزام الاطراف بادراج شرط التفاوض او اعادته في العقد في مرحلة المفاوضات العقدية يعد وسيلة هامة جدا تمكنهم من اعطاء ديمومة واستمرارية لعقدهم دون ان يتوقفوا عن التنفيذ وهو اسلوب وقائي يجنبهم الدخول في المعترك القضائي.
٤. ان التفاوض في العقود محل الدراسة وفي مراحل التنفيذ تستدعيه ظروف خارجة عن ارادة الاطراف قد تؤدي الى توقف او انتهاء العقد بشكل نهائي.
٥. عدم اهتمام التشريعات لاسيما في البلدان النامية في تنظيم الوسائل البديلة لتسوية المنازعات ومنها وسيلة التفاوض
٦. ان سلوك الاطراف في العقود محل الدراسة لطريق التفاوض يمكنهم من اعادة التوازن للعقد في الاحوال التي يَحْتَل بها.

ثانياً: التوصيات

- ١-نوصي المشرع العراقي بتشريع قانون خاص ينظم عملية نقل التكنولوجيا وعلى الاصعدة كافة ذلك للحاجة الماسة اليها.
- ٢-تقييم الكوادر الفنية والقانونية الاقتصادية المتخصصة في هذا المجال لكي تمنع حدوث ثغرات في العقود.
- ٣-نوصي المشرع العراقي بتشريع قانون خاص للوسائل البديلة في المسائل المدنية والتجارية كما في الاردن والعديد من الدول الغربية ومنها بريطانيا والمانيا وغيرها.
- ٤-نوصي المشرع العراقي بالاهتمام الخاص بمسائل التنمية التكنولوجية التي تهم الخدمات الاساسية والعلمية.

المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب القانونية:

١. د. احمد عبد الكريم سلامة، قانون العقد الدولي (مفاوضات العقود الدولية -القانون الواجب التطبيق)، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٠.
٢. د. بشار محمد الاسعد: عقود الاستثمار في العلاقات الدولية الخاصة، ماهيتها-القانون الواجب التطبيق عليها-وسائل تسوية منازعاتها، ط١، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت-لبنان، ٢٠٠٦

٣. د. حسن الحسن: التفاوض والعلاقات العامة، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٣.
٤. د. رجب كريم عبد اللاله، التفاوض على العقد، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٩.
٥. د. سميحة القليوبي: محاضرة في عقود نقل التكنولوجيا، منشور في نقل التكنولوجيا - أكاديمية البحث العلمي، ١٩٨٣، منشورات أكاديمية البحث العلمي، ط ١٩٨٧.
٦. د. شريف محمد غنام، اثر تغير الظروف في عقود التجارة الدولية، دار الجامعة الجديدة، القاهرة، ٢٠٠٧، ٣٧.
٧. د. صلاح الدين جمال الدين، عقود الدولة لنقل التكنولوجيا، دار النهضة العربية القاهرة ٢٠٠٥.
٨. د. عبد الحكيم مصطفى عبد الرحمن، عقود التنمية الاقتصادية في القانون الدولي الخاص، مكتبة النصر، جامعة القاهرة، ١٩٩١.
٩. د. عبد الكريم عبد الله، ضمانات الاستثمار في الدول العربية، دراسة مقارنة، دار الثقافة للنشر، عمان ٢٠٠٦.
١٠. د. مراد محمود المواجهة، المسؤولية المدنية في عقود نقل التكنولوجيا، ط ١، دار الثقافة العربية، القاهرة، ٢٠١٠.
١١. د. نصيرة بو جمعة: عقود نقل التكنولوجيا في مجال التبادل الدولي، كلية الحقوق، جامعة الاسكندرية، ط ١، ١٩٨٧.
١٢. د. حسام عيسى، نقل التكنولوجيا دراسة الليات القانونية للتبعية الدولية، دار المستقبل، ١٩٨١.
١٣. دليل عقود نقل التراخيص، منشورات جمعية خبراء التراخيص - الدول العربية، الاردن، عمان، ٢٠٠٥.
١٤. القاضي بشير الصليبي: القاضي بشير الصليبي، الحلول البديلة للنزاعات المدنية، دار وائل للنشر، الاردن - عمان، ط ١، ٢٠١٠.

ثانياً. الرسائل والاطاريح

- د. آزاد شكور: د. آزاد شكور، الوسائل البديلة ذات الطابع التفاوضي لتسوية منازعات عقود الاستثمار الدولية، اطروحة دكتوراه، كلية القانون والسياسة، جامعة صلاح الدين - اربيل ٢٠١٢.

ثالثاً. البحوث والمقالات

١. اسماعيل حلمي ياسين: تقييم واختيار التكنولوجيا، محاضرة القيت بأكاديمية البحث العلمي، مارس، ١٩٨٩.
٢. تقرير مجموعة العمل الثالثة - مشروع نحو سياسة تكنولوجية، أكاديمية البحث العلمي، ١٩٨٣.
٣. جان كلاود: نقل التكنولوجيا: بحث مقدم الى ندوة مجالات التعاون بين فرنسا والعالم العربي في اطار منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول بالتعاون مع المعهد الفرنسي للبترول - فرساي - ٤ - ٥ نوفمبر ١٩٧٥

٤. الدكتور علي حبيش: التغيير التكنولوجي والتنمية القومية، منشور في نقل التكنولوجيا، أكاديمية البحث العلمي، ١٩٨٧
٥. ضمان الاستثمارات الاجنبية ضد المخاطر غير التجارية، ورقة عمل مقدمة ضمن اعمال المؤتمر القانوني للجامعة بيروت العربية، منشورات الحلبي الحقوقية، ابريل ٢٠٠٦.
٦. ضمان الاستثمارات الاجنبية مقالة منشورة بالعربية في مجلة العلوم الانسانية الصادرة من الاكاديمية العربية للدراسات، العدد رقم ٢٩ / تموز ٢٠٠٦، امستردام، هولندا،
٧. محمود امين: تقييم واختبار مصدر التكنولوجيا في ضوء المعلومات، نقل التكنولوجيا، أكاديمية البحث العلمي، ١٩٨٧.

رابعاً. المصادر الاجنبية:

1. Bizec:" Les transferts de Technologie", Paris, P.U.F. 1981.
2. J,Jehll: "La Notion d` Investissement" Technologies a travers les contrast, dans " transfer de technologie et development. L.T Paris,1977.
3. international encyclopedia of the social science, new-york, the macmillan company and the free press, 1977.
4. A.A.Fotouros:" Government gurantees to Foreign Investors ", New York, Colombia University Press, New York, 1962.
5. Geoffery Aronson: " Quand Le Tires-Monde Devient Partie Prenante dans la Fabrication et le Commeree des armaments ". Le Monde Diplomatique, Mars,1985,P.10. Gerard Soulier & Al, dans "Actualite de la Question Nationale", P.U.F.Paris, 1980.
6. Lec Edwin Knoz: the international transfer of commercial technology: the role of multinational corporation, Arnos press, New York 1980.
7. websters new world dictionary, second college edition,193.
8. G.I. Nierenberg: fundamentals of negotiating, new-york, haper and row publishers, 1987.
9. b. wilnham: complexity ni negociation. Negociation ni Daniel druchman(ed): negociation social- psychological perspectives. Beverly hill sage publications. 1987.
10. j. Schmidt: la negacaition du contrat international,rev. droit et pratique du commerce international, 1983.
11. b. oppetit: ladaptation des contrats internationaux aux circonstances economique al clause de hardship; clunet 1974,.
12. y. derains: lobligation de minimizer le dommage dans la jurisprudence arbitrale rev.dr.aff. int. 1987.

13. jean touscoz; ladoptabilite de la cooperation; dans les contrats internationaux de cooperation industrielle et nouvei.
14. j. jakubowski; le regime juridique caree par les accords de participation.
15. de ece, 1967 .
16. ph.khan; the standard in vestment agreement,g,a,int.l comp.l.vol.44,1974
17. n.schapiro: negotiating for your life, new-York, henry holt and comp., 1993,.

خامساً. القوانين

١. قانون الاستثمار الاجنبي في العراق رقم (١٣) لعام ٢٠٠٦ وتعديلاته.
٢. تعليمات تنفيذ العقود الحكومية رقم (١) لسنة ٢٠١٤

سادساً. المواقع الالكترونية:

1. Hari Srinvas, technology transfer for sustainable development (www.gdrc.org)

www.ntc.edu\productsguide

مسألة قتل الجماعة بالواحد دراسة فقهية استدلالية مقارنة

Issue The group killed the One Doctrinal evidentiary comparative study

Dr. Hamid Jassim Ghorabi د. حميد جاسم الغرابي^(١)

المقدمة

المتأمل للتشريعات والأديان التي سبقت التشريع الإسلامي يرى أن مفهوم القصاص قد ورد في تلك التشريعات في صور متعددة ومختلفة، والتشريع الإسلامي أمضاه ووضع له شرائط وأحكام جديدة تتلائم مع فطرة الإنسان ونظرية الاستخلاف وتظهر أهمية الموضوع كونه متعلق بحياة المجتمع وأمنه واستقراره، فإن أمن الإنسان من الأولويات التي أكدت عليها التشريعات السماوية لاسيما في التشريع الإسلامي وقد دلت نصوص شرعية كثيرة سيتوافر البحث على هذه المسألة لأهميتها وخطورتها وحرمة دم المسلم وتظهر أهمية هذا البحث في الوقت الذي كثرت فيه الحوادث الأرهابية وبصور متعددة منها التفجيرات الجماعية ومنها الاشتراك في قتل الواحد مما تندى اليه جبين الإنسانية وفي مناظر تنم عن فهم سيء ومنحرف ومقصود لأحكام الإسلام والذي دفعني الى اختيار العنوان الجرائم البشعة التي يمارسها الارهابيون لاسيما الجرائم التي حدثت في مدينة الارهاب الفلوجة والتي اجتمع فيها شذاذ الافاق من أجل قتل انسان بريء أو جندي جاء ليدافع عن أرض العراق من دنس الارهابيين والقنلة هؤلاء الذين لا يرقبون في مؤمن إلاّ ولازمة فأحببت أن استعرض آراء الفقهاء في مسألة قتل الجماعة بالواحد ليعرف هؤلاء الارهابيون ماهو حكمهم ووضعهم أزاء قانون السماء الخالد القرآن الكريم والسنة النبوية وأن ما يعتقدون به من فكر ضال وعقيدة منحرفة هي بعيدة كل البعد عن تعاليم السماء وشريعة سيد المرسلين وأحببت أن يكون استعراض الاحكام مقارنا عند المذاهب الاسلامية جميعها لأبين أن هؤلاء الارهابيين لا يمثلون مذهب اسلاميا معينا بل هم مجموعة خارجة عن كل قيم وتعاليم الإنسانية والسماء فانظم البحث في مقدمة وثلاثة مباحث

١ - جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية.

تضمن المبحث الأول بيان شرعية القصاص في القرآن والسنة والمبحث الثاني بيان حكم قتل الجماعة بالواحد عند الامامية والمبحث الثالث بيان حكم قتل الجماعة بالواحد عند مذاهب السنة ومن ثم الخاتمة ومسرد لأهم المصادر والمراجع.

Introduction

Meditator legislation and religions that preceded the Islamic legislation finds the concept of retribution has been reported in such legislation in a number of different images, legislation Islamic spent and put his tapes and new provisions fit with the encroachment of man and the theory of succession and show importance of the subject being related to the life of society and its security and stability, the human security priorities highlighted by heavenly legislation, especially in the Islamic legislation has many legitimate texts indicated will be available research on this issue to its importance and gravity and the sanctity of Muslim blood and show the importance of this research at a time when terrorist incidents abounded and images of multiple collective well bombings, including participation in the one killed, Tendy him the forehead of humanity in views reflect the understanding of the bad and the oblique and intentional with the provisions of Islam, which prompted me to choose the title heinous crimes practiced by the terrorists, especially crimes that have occurred in the city of terrorism Fallujah, where Hmaz prospects met in order to kill innocent people or troops came to defend the land of Iraq from the Conception terrorists, these murderers who Aergbon a believer and Azmh I loved to accept the views of scholars on the issue of the killing of the group through the One, to know these terrorists what their judgment and put them over the sky eternal law of the Koran Quran and Sunnah and Maiatkaddon by the thought of stray and doctrine perverted is a far cry from the teachings of the sky and the law of the messengers, and I liked that be a review of the verdicts, comparing the Islamic doctrines, all to show that these terrorists do not represent the Islamic doctrine certain, but they range beyond all the values and teachings of humanity and the sky Vantzm research at the forefront of the four topics included the first part, the definition of retribution and idiomatically language of the statement and the second section in the legitimacy of retribution in the Qur'an and Sunnah third section in a statement the group through the One rule killed at the front and the fourth section to explain the ruling group were killed when the One doctrines of the year and then the conclusion and a glossary of the most important sources and references.

المبحث الأول: تعريف القصاص لغة واصطلاحاً

القصاص لغة: مأخوذ من قص أثره: أي تتبعه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَازْتَدَا عَلَىٰ أَثَرِهَا قَصَصًا﴾^(٢)، وهذا المعنى يتحقق في القصاص؛ لأن المجني عليه -أو ولي الدم- يتبع الجاني حتى يقتص منه، وقيل: مأخوذ من القص بمعنى القطع، يقال: قص شعره: أي قطعه، وهذا المعنى يلائم القصاص أيضاً؛ لأن المجني عليه -أو ولي الدم- يتبع الجاني حتى يقتله أو يجرحه -كما فعل- وفي كل قطع، كما أن القصاص ينبئ عن المساواة؛ لأن في كلا المعنيين اللغويين توجد المساواة.

والقصاص اصطلاحاً: هو أن يفعل بالجاني مثل ما فعل بالمجني عليه، فإن قتل قتل، وإن جرح جرح^(٣)، إذا توافرت الشروط التي وضعها الفقه الإسلامي لذلك^(٤).

مشروعية القصاص في الكتاب والسنة

لقد ثبت شرعية القصاص في الدين الإسلامي من الكتاب والسنة المعصومية، كما دل على ذلك سيرة النبي الأكرم -ﷺ- وأمير المؤمنين -عليه السلام-، حيث أجري القصاص في عصريهما وتحت ظل حكومتهم بأمرهما، ولا حاجة حينئذ إلى مثل الإجماعات المزعومة في هذا المضمار، إذ الفقيه البارع في استنباطه واجتهاده انما يرجع أولاً إلى كتاب الله المجيد، ثم إلى الاخبار الواردة عن الرسول الأعظم وأهل بيته الأطهار فهم أركان البلاد وساسة العباد وأمناء الرحمن وخلفاء النبي المختار -عليه السلام-. فهذه بعض الآيات والروايات الدالة على شرعية القصاص^(٥): قال تعالى في محكم كتابه ومبرم خطابه: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٦)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ...﴾^(٧) وقوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْهِنَّ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ...﴾^(٨) ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾^(٩) وغير ذلك من الآيات الكريمة، ولا يخفى ان معنى الكتابة في مثل قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ هو الوجوب، كما في آيات الصوم والصلاة والجهاد: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾^(١٠)، ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُوتًا﴾^(١١)، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾^(١٢). فأوجب الله القصاص في كتابه الكريم، وأراد العرب -آنذاك- أن تأتي بقول يضاهي قول الله سبحانه، ولكن باؤوا بفشل وخيبة وأتى لهم ذلك؟، ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ

٢- الكهف: ٦٤.

٣- ويقال للقصاص: القود بفتح حين؛ لأنهم يقودون الجاني بقيد أو غيره لاستيفاء القصاص.

٤- حسن علي الشاذلي: الجانيات في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون. ص ١٤٧.

٥- راجع الجواهر كتاب القصاص ج ٤٢ ص ٧.

٦- البقرة: ١٧٩.

٧- البقرة: ١٧٨.

٨- المائدة: ٤٥.

٩- الاسراء: ٣٣.

١٠- البقرة: ١٨٣.

١١- النساء: ١٠٣.

١٢- البقرة: ٢١٦.

هَذَا الْقُرْآنَ لَا يُأْتُونَ بِمِثْلِهِ»^(١٣)، فأراد الناس أن يتحدّوا القرآن العظيم، ولكن كان سعيهم في ضلال وجهودهم كالعهن المنفوش، وبقي القرآن الكريم معجزة الرسول الخالدة. فقالت الجاهلية العرب آنذاك أمام الآية الشريفة: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾: (القتل أنفى للقتل)^(١٤)، ولكن أين هذا من ذاك؟ وأين الثرى من الثريا؟ فان قوله تعالى: (أخصر كلمة وأعَمَّ فائدة، لأن معناها إذ علم القاتل أنه إذا قتل قتل، فإنه سيكفّ عن القتل، فلم يقتل ولا يقتل، فصار حياة للجميع، وهي أخصر من قولهم، لان قولهم أربعة عشر حرفا، وكلمة القرآن عشرة أحرف، ثم لفظ القتل متكرّر، وعذوبة اللفظ بينهما ما بين السماء والأرض)^(١٥)، ودلالة القصاص على الحياة دلالة مطابقة بخلاف القتل أنفى للقتل فان دلالة على الحياة بالالتزام، والدلالة الالتزامية فرع من الدلالة المطابقة. كما أنه لا منافاة ولا تناقض بين القصاص وبين الحياة، فإن القصاص في الحقيقة والواقع حياة للمجتمع الإسلامي وبقاء النوع الإنساني وحفظ كيانه ووجوده. فشرعية القصاص في عالم الثبوت والإثبات مسلّمة ومفروغ عنه، انما الاختلاف في الشرائط وما شابه ذلك كما سيعلم إن شاء الله تعالى. وأما الروايات الشريفة فهذه نبذة يسيرة منها^(١٦): فعن الامام الباقر -عليه السلام- عن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-: (أول ما يحكم الله عز وجل فيه يوم القيامة الدماء فيوقف ابني آدم فيفصل بينهما، ثم الذين يلونهما من أصحاب الدماء حتى لا يبقى أحد من الناس بعد ذلك، حتى يأتي المقتول بقاتله يشخب دمه في وجهه، فيقول: أنت قتلتني فلا يستطيع أن يكتم الله حديثا)^(١٧). ومر النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- بقتيل فقال: من لهذا؟ فلم يذكر له أحد، فغضب ثم قال: (والذي نفسي بيده لو اشترك فيه أهل السماء والأرض لأكبهم الله في النار)^(١٨). وعنه -عليه السلام-: لو اجتمعت ربيعة ومضر على قتل امرئ مسلم قيدوا به^(١٩). وعن الامام الصادق -عليه السلام-: أنه وجد في ذؤابة سيف رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- صحيفة، فإذا فيها مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم إن أعنى الناس على الله يوم القيامة من قتل غير قاتله وضرب غير ضاربه^(٢٠). وعنه -عليه السلام- أيضا: في رجل قتل رجلا مؤمنا قال: يقال له: مت أيّ ميّت شئت: إن شئت يهوديا وإن شئت نصرانيا وإن شئت مجوسيا^(٢١). وعنه -عليه السلام- أيضا: لا يدخل الجنة سافل دم ولا شارب خمر ولا مشاء بنميم (ولا يزال المؤمن في فسحة من ذنبه ما لم يصب دما حراما قال: ولا يوفق قاتل المؤمن للتوبة)^(٢٢).

١٣- الاسراء: ٨٨.

١٤- وقيل: (القتل أوقى للقتل) بالواو والقاف ويروى (أبقى) بالباء والقاف.

١٥- راجع المبسوط لشيوخنا الطوسي (قدس سره) ج ٧ ص ٤.

١٦- راجع في ذلك وسائل الشيعة ج ١٩ ص ٩.

١٧- النوري: مستدرک الوسائل، ١٨/٢٠٧ ح ١٣.

١٨- النوري: المستدرک: ١٨/٢١١ ح ٥.

١٩- المستدرک، الباب الثاني من أبواب القصاص في النفس. وفيه: "لقد تم به" وليس فيه "امرئ".

٢٠- الحر العاملي: وسائل الشيعة: ج ١٩ ص ١٦ ب ٨ من أبواب القصاص في النفس ح ٤.

٢١- الحر العاملي: وسائل الشيعة: ج ١٩ ص ١٠ ب ٣ من أبواب القصاص في النفس ح ١.

٢٢- الحر العاملي: الوسائل: ٦/١٩.

وعن ابن مسلم سألت أبا جعفر -عليه السلام- عن قول الله عز وجل: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ (٢٣) - الآية - فقال: له مقعد لو قتل الناس جميعا لم يرد إلا ذلك المقعد. إلى غير ذلك من النصوص المشتملة على المبالغة في أمر القتل (٢٤).

فيتبين من تلك النصوص الشرعية حرمة إراقة الدماء وأنها توجب القصاص وأن حرمة دم المسلم من الأمور التي حرصت الشريعة الغراء على تأكيدها وأن لو اجتمعت الانس والجن على قتل مسلم لوجب القصاص منهم.

المبحث الثاني: آراء فقهاء الإمامية في مسألة قتل الجماعة بالواحد

لو تماماً (٢٥) فريق من الجناة على قتل مسلم معصوم مطلقا هل يقتلون به جميعا جزاء اشتراكهم في جريمة القتل؟

قال السيد المرتضى في الانتصار: ومما انفردت به الإمامية القول: بأن الاثنين أو ما زاد عليهما من العدد إذا قتلوا واحدا فإن أولياء الدم مخيرون بين أمور ثلاثة: أحدها أن يقتلوا القاتلين كلهم ويؤدوا فضل ما بين دياتهم ودية المقتول إلى أولياء المقتولين، والأمر الثاني: أن يتخيروا واحدا منهم فيقتلوه ويؤدي المستبقون دية إلى أولياء صاحبهم بحساب أفساطهم من الدية فإن اختار أولياء المقتول أخذ الدية كانت على القاتلين بحسب عددهم. وخالف باقي الفقهاء في ذلك وإن اختلفت أقوالهم. فقال معاذ بن جبل وابن الزبير وداود بن علي: إن الجماعة لا تقتل بواحد ولا الاثنين بواحد (٢٦).

٢٣- المائدة: ٣٢.

٢٤- راجع الجواهر ج ٤٢ ص ١٠. كما أجمعت الأمة الإسلامية وعلمائها على ذلك، كما يدل عليه حكم العقل (فإن الحكمة تقتضي شرعيته أيضا. فإن الطباع البشرية والأنفس الشريرة تميل إلى الظلم والاعتداء وترغب في استيفاء الزائد على الابتداء، سيما البوادي وأهل الجهل، العادلين عن سنن العقل والعدل كما نقل عن عاداتهم في الجاهلية، فلم تم تشرع إلا جزية الزاجرة عن التعدي والقصاص من غير زيادة ولا انتقاص، لتجراً ذوو الجهل والحمية، والأنفس السبعية على القتل والفتك في الابتداء، وأضعاف ما جنى عليهم في الاستيفاء، فيؤدي ذلك إلى التفاني، وفيه من الفساد ما لا يخفى، فاقتضت الحكمة شرع العقوبات الزاجرة عن الابتداء في القتل والقصاص المانع من استيفاء الزائد على المثل فورد الشرع بذلك لهذه الحكمة حسماً عن مادة هذا الباب، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾. من كتاب (الفقه على المذاهب الأربعة تأليف الشيخ عبد الرحمن الجزيري ج ٥ ص ٢٤٥). وقد عنيت الشريعة الإسلامية بالمحافظة على دماء الناس عناية تامة، فهددت الجناة الذين يعتدون على دماء الناس تهديدا شديدا ويكفي في زجر المسلم الذي يؤمن بالله واليوم الآخر قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ فإن في هذه الآية من الشدة ما تقشعر له جلود العتاة إن كانوا مسلمين. (المصدر نفسه ص ٢٥٠) وفي الهامش يذكر بعض الروايات من طرق العامة فراجع. وكذلك راجع كتاب المحلى لابن حزم المتوفى سنة ٤٥٦ ج ١٠ ص ٣٤٢ و (الفقه الإسلامي وأدلته) ج ٦ ص ٢١٨. وكتاب (السنن الكبرى) للبيهقي (المتوفى سنة ٤٥٨ ج ٨ ص ١٥ باب أصل تحريم القتل في القرآن والسنة). وكتاب (سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام) للشيخ محمد بن إسماعيل اليمني الصنعاني (المتوفى سنة ١١٨٢ ج ٣ ص ٤٧٣). وكتاب (فتح الباري) لابن حجر العسقلاني ج ١٢ ص ١٦٦. وكتاب (عمدة القارئ) للشيخ العيني (المتوفى سنة ٨٥٥ ج ٢٣ ص ٣٨). وكتاب (الأم) للشافعي ج ٨ ص ٣٤٣. وكتاب (البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار) تأليف أحمد بن يحيى المتوفى سنة ٨٤٠ ج ٥ ص ٢١٤ طبعة سنة ١٣٦٨ مطبعة السنة المحمدية / مصر (والكتاب فقه وأصول على وفق المذهب الزيدي) فراجع.

٢٥- اجتمع وتعاون.

٢٦- المجموع: ج ١٨ ص ٣٦٩ المغني (لابن قدامة): ج ٩ ص ٣٦٦ الشرح الكبير: ج ٩ ص ٣٣٤ بداية المجتهد: ج ٢ ص

٤٣٢.

وقال باقي الفقهاء من أبي حنيفة وأصحابه والشافعي ومن عداهم: إن الجماعة إذا اشتركت في القتل قتلت بالواحد^(٢٧) غير أنهم لم يذهبوا إلى ما ذهب الإمامية إليه من تحمل دية من زاد على الواحد ودفعها إلى أولياء المقتولين وهذا موضع الانفراد. والذي يدل على صحة ما ذهبنا إليه إجماع الطائفة، ولأن ما ذكرناه أشبه بالعدل، لأن الجماعة إنما أتلقت نفسا واحدة فكيف تؤخذ النفوس الكثيرة بالنفس الواحدة؟ وإذا اتبعنا في قتل الجميع بالواحد الروايات^(٢٨) المتظاهرة الواردة بذلك فلا بد فيما ذكرته الإمامية من الرجوع بالدية. وكلامنا في هذه المسألة مع من أنكر قتل الجماعة بواحد من داود بن علي ومن وافقه من معاذ^(٢٩) وابن الزبير ومع باقي الفقهاء الذين ذهبوا إلى قتل الجماعة بواحد من غير أن يلتزم دية لورثة المقتولين. والذي يدل على الفصل الأول زائدا على إجماع الطائفة قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٣٠)، ومعنى هذا أن القاتل إذا علم أنه إن قتل قتل كف عن القتل، وكان ذلك أزجر له عنه، وكان داعيا إلى حياته وحياة من هم بقتله، فلو أسقطنا القود في حال الاشتراك سقط هذا المعنى المقصود بالآية، وكان من أراد قتل غيره من غير أن يقتل به شارك غيره في قتله فسقط القود عنهما. ومما يمكن معارضة من ذهب إلى هذا المذهب به ما يروونه ويوجد في كتبهم في خبر أبي شريح الكعبي^(٣١) من قوله -عليه السلام- فمن قتل بعده قتيلا فأهله بين خيارين، إن أحبوا قتلوا وإن أحبوا أخذوا الدية^(٣٢)، ولطفة (من) يدخل تحته الواحد والجماعة دخولا واحدا. ويمكن أن يستدل أيضا على من خالف في قتل الجماعة بواحد بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾^(٣٣)، والقاتلون إذا كانوا جماعة فكلهم معتد فيجب أن يعاملوا بمثل ما عاملوا به القاتل. فإن قالوا الله تعالى يقول: ﴿النفس بالنفس﴾^(٣٤) والحر بالحر^(٣٥)، وهذا ينفي أن يؤخذ نفسان بنفس وحران بجر. قلنا: المراد بالنفس والحر هاهنا الجنس لا العدد، فكأنه تعالى قال: إن جنس النفوس تؤخذ بجنس النفوس، وكذلك جنس الأحرار، والواحد والجماعة يدخلون في ذلك. فإن قيل: إذا اشتركت الجماعة في

٢٧- داية المجتهد: ج ٢ ص ٤٣٢ الشرح الكبير: ج ٩ ص ٣٣٤ المجموع ج ١٨ ص ٣٦٩، المغني (لابن قدامة): ج ٩ ص ٣٦٦.

٢٨- الكافي: ج ٧ ص ٢٨٣، الفقيه ج ٤ ص ١١١ و ١١٥ و ١١٦ و ٥٢١٧ و ٥٢٣٠ و ٥٢٣٢، التهذيب: ج ١٠ ص ٢١٧ و ٢١٨ و ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥، الإستبصار: ج ٤ ص ٢٨١، الوسائل: ج ١٩ ص ٢٩.

٢٩- أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي المدني، أسلم في العقبة وصحب النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- شهد بدرا والمشاهد كلها، بعثه النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- إلى اليمن عاملا عليها ومعلما لأهلها، روى عن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- وروى عنه عمر، وابنه عبد الله، وأبو موسى الأشعري، وأنس، ومسروق، مات سنة ١٧ هـ. -أنظر: الطبقات الكبرى ٧: ٣٨٧، الإصابة في تمييز الصحابة ٣: ٤٢٦ / ٨٠٣٧، رجال الطوسي ٢٧ / ٥، أسد الغابة ٤: ٣٧٦، تذكرة الحفاظ ١: ١٩ / ٨، تهذيب التهذيب ١٠: ١٦٩ / ٣٤٩.

٣٠- البقرة: ١٧٩.

٣١- اختلف أصحاب التراجم في اسمه فقال ابن حجر: أبو شريح الخزاعي الكعبي قيل اسمه خويلد بن عمرو، وقيل عمرو بن خويلد، وقيل عبد الرحمن بن عمرو، وقيل هاني، وقيل كعب المشهور الأول. أسلم يوم الفتح، روى عن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- وعن ابن مسعود. مات بالمدينة سنة ثمان وستين، وقيل ثمان وخمسين. تهذيب التهذيب ١٢: ١٢٥.

٣٢- سنن الدارقطني: ج ٣ ص ٩٦ ح ٥٥ سنن البيهقي: ج ٨ ص ٥٢ مسند أحمد: ج ٦ ص ٣٨٥، سنن أبي داود: ج ٤ ص ١٧٢ ح ٤٥٠٤، سنن الترمذي: ج ٤ ص ٢١ ح ١٤٠٦.

٣٣- البقرة: ١٩٤.

٣٤- سورة المائدة: الآية ٤٥.

٣٥- سورة البقرة: ١٧٨.

القتل فليس كل واحد من الجماعة منهم قاتلا وليس يجوز أن يقتل من ليس بقاتل. قلنا: كل واحد من الجماعة قاتل في حال الاشتراك ويطلق عليه هذا الاسم، فكيف ظننتم أنا لا نطلق أن كل واحد قاتل؟ فإذا قالوا فالقاتل لا بد له من مقتول فكيف يقولون في الجماعة؟ قلنا: مقتول الجماعة واحد وإن كان القتلة جماعة وكل واحد من القاتلين هو قاتل للنفس التي قتلها القاتل الآخر، ويجري ذلك مجرى جماعة حملوا جسما فكل واحد منهم حامل ومحمول الجماعة واحد وهو الجسم، وكذلك مقتول الجماعة المشتركين في القتل واحد، وإن كان فعل أحدهم غير فعل صاحبه، كما كان حمل كل واحد من حاملي الجسم غير حمل صاحبه وفعله غير فعله، وإن كان المحمول واحدا، وبيان هذه الجملة أن القتل إذا كان على ما ذكرناه في مواضع كثيرة من كلامنا هو نقض البنية التي لا تبقى الحياة مع نقضها، وكان نقض هذه البنية قد يفعله الواحد منا منفردا وقد يشترك الجماعة في نقض بنية الحياة فيكونون كلهم ناقضين لها ومبطلين الحياة، وهذا هو معنى القتل، فثبت أنه قد وجد من كل واحد من الجماعة معنى القتل وحقيقته فيجب أن يسمى قاتلا. ووجدت لبعض من نصر هذا المذهب أعني القول بجواز قتل الجماعة بالواحد كلاما سأل فيه نفسه فقال: إذا كان كل واحد من الجماعة قاتلا فينبغي أن يكون كل واحد منهم قاتلا لنفس غير النفس التي قتلها صاحبه. وأجاب عن هذا الكلام بأن قال: كل واحد من الجماعة قاتل لكنه ليس بقاتل نفس كما أن الجماعة إذا أكلت رغيفا فكل واحد منهم أكل لكن ليس بأكل رغيف. وهذا غلط من هذا القائل، لأن كل واحد من الجماعة إذا اشتركوا في القتل قاتل كما قال، فلا بد أن يكون قاتل نفس فكيف يكون قاتلا وما قتل نفسا؟ غير أن النفس التي قتلها واحد من الجماعة هي النفس التي قتلها شركاؤه فالنفس واحدة والقتل مختلف كما قلناه في الجسم المحمول. وليس كذلك الرغيف لأن الجماعة إذا أكلت رغيفا فكلهم أكل، وليس كل واحد منهم أكل رغيف وإنما أكلت الجماعة الرغيف وكل واحد منهم إنما أكل بعضه لأن الرغيف يتبع بعض النفس لا يتبع بعض، كما أن حمل الجسم الثقيل لا يتبع بعض فما يحمله كل واحد من الجماعة هو الذي يحمله الآخر، وكذلك يجب أن يكون من قتله واحد من الجماعة إذا اشتركوا في القتل هو الذي قتله كل واحد منهم. وتحقيق هذا الموضع ليس من عمل الفقهاء، ولا مما يهتدون إليه لفقد علمهم بأصوله فلا يجب أن يتعاطوه فيفتضحوا. فإن قيل: قد ثبت أن الجماعة إذا اشتركوا في سرقة نصاب لم يلزم كل واحد منهم القطع وإن كان كل واحد منهم إذا انفراد بسرقة لزمه القطع فأبي فرق بين ذلك وبين القتل مع الاشتراك؟ قلنا: الذي نذهب إليه وإن خالفنا فيه الجماعة إنه إذا اشترك نفسان في سرقة شيء من حرز وكان قيمة المسروق ربع دينار فصاعدا فإنه يجب عليهما القطع معا، فقد سوينا بين القتل والقطع وإنما ينبغي أن يسأل عن الفرق بين الأمرين من فرق بينهما. فإن قالوا: لما لم يجب على كل واحد من الجماعة إذا اشتركوا في قتل الخطأ دية كاملة لم يجب عليهم قصاص كامل. قلنا: الدية تتبع بعض فيمكن تقسيطها عليهم، والقصاص لا يتبع بعض. فأما الكلام على من شاركنا من الفقهاء في قتل الجماعة بالواحد وانفرادنا عنه بذلك الترتيب الذي رتبناه فهو أنا نقول: هذه الجماعة إنما قتلت نفسا واحدة وإن اشتركوا في قتلها، وإذا أخذت الأنفس الكثيرة بتلك النفس على ما ورد به الشرع فلا بد مما ذكرناه من رد الدية على أولياء المقتولين حتى تخلص نفس واحدة بنفس واحدة، ويسلم مع ذلك جواز قتل الجماعة بواحدة. فإن قالوا: نرى من مذهبكم هذا عجا لا نرىكم توجبون قتل الجماعة بالواحد وتذهبون إلى أن هذا القتل مستحق لا محالة. وإذا كان قتلا مستحقا كيف

يجوز أن يؤخذ بإزائه دية؟ أوليس قتل الواحد بالواحد لما كان مستحقاً لم يكن فيه دية تعود على أحد؟ قلنا: هذا القتل وإن كان مستحقاً بمعنى أنه يحسن من ولي الدم أن يطالب به فغير ممتنع أن يكون الشرط في حسنه ما ذكرناه من إعطاء الدية، وأن تكون المصلحة اقتضت الترتيب الذي ذكرناه، فوجوه المصالح غير مضبوطة ولا محدودة. والزجر والردع عن قتل الجماعة للواحد على سبيل الاشتراك ثابت، لأنه لا فرق في زجر الجماعة عن الاشتراك في قتل الواحد بين أن يقتل به ولا دية راجعة على أحد وبين أن يقتل به مع رجوع الدية على الوجه الذي ذكرناه، أنه متى علم أنه متى قتل قتل واستحق القتل مع الانفراد والاشتراك كان ذلك أزر له عن القتل. فإن احتج من نفى قتل الجماعة بالواحد بما يروونه عن جوير عن الضحاك أن النبي - ﷺ - قال: لا يقتل اثنان بواحد^(٣٦). وهذا الخبر إذا سلم من كل قدح وتضعيف لا يرجع بمثله عن الأدلة الموجبة للعلم، وقد ضعفه أهل النقل وطعنوا على رواته، مع أن الضحاك روى عن النبي - ﷺ - مرسلًا. وقد تأوله قوم على أن المراد به أنه لا يقتل اثنان بواحد إذا كان أحدهما خاطئًا. ومما يقوي المذهب الذي إختصصنا به أنه لا خلاف في أن الواحد إذا قتل جماعة لم يكافئ دمه دماءهم حتى يكفني بقتله عن جماعتهم بل يقتل بواحد منهم وتجب الدية للباقيين فيجب في الجماعة إذا قتلت واحداً مثل هذا الاعتبار حتى يكونوا متى قتلوا به عاد على أولياء الباقيين الدية المأخوذة من قاتل الجماعة بالواحد، لأن دم الواحد لا يكافئ دم الجماعة ولا ينوب منها فكذا يكفئ دم الجماعة والواحد. فإذا اشترك جماعة في قتل واحد معصوم الدم فإنهم جميعاً يقتلون به مع وجود الكفاءة بين القتلة والقتيل هذا عند فقهاء المذاهب الإسلامية، إن أراد ولي الدم القود، بعد أن يرد عليهم فاضل ديته عن جنايته^(٣٨). فلو اشترك ثلاثة في قتل واحد واختار وليه قتلهم أدى إليهم ديتين يقتسمونهما بينهما بالسوية، فنصيب كل واحد منهم ثلثا دية، ويسقط ما يخصه من الجناية وهو الثلث الباقي^(٣٩). ولو قُتل اثنان أدى الثالث ثلث الدية عوضاً عما يخصه من الجناية، ويضيف إليه الولي دية كاملة ليصير لكل واحد من المقتولين ثلثا دية، وهو فاضل ديته عن جنايته، ولأن الولي استوفى نفسين بنفس فبرّد دية نفس. ولو قُتل واحداً أدى الباقيان إلى ورثته ثلثي الدية، ولا شيء على الولي. (وإن فضل منهم) لقصور ديتهم عن دية المقتول، بأن كانوا عبيدين أو امرأة حرة وأمة وقتلوا رجلاً ونقصت القيمة عن الدية (كان) الفاضل من دية المقتول على ديتهم (له) أي للولي. والأصل في المسألة قبل إجماعنا الظاهر، المصرح به في الغنية وغيرها من كتب الجماعة^(٤٠) الصحاح المستفيضة وغيرها من المعتمدة، ففي الصحيح: في رجلين قتل رجلاً، قال: (إن أراد أولياء المقتول قتلتهما أدوا دية كاملة وقتلوهما، وتكون الدية بين أولياء المقتولين، وإن أرادوا قتل أحدهما فقتلوه وأدى المتروك نصف الدية إلى أهل المقتول)^(٤١). وفي آخر: في عشرة اشتركوا في قتل رجل، قال: (يختار أهل المقتول فأيتهم شأؤوا قتلوا، ويرجع أولياؤه على

٣٦- الحاوي: ج ١٢ / ٢٧.

٣٧- الشريف المرتضى: الانتصار، ص ٥٣٣.

٣٨- (ظ): الجواهر جواهر الكلام، ١٢/٤٢، المغني ٩/٣٤٣، بداية المجتهد ٢/٣٩٩، البدائع ٧/٢٣٧.

٣٩- علي الطباطبائي: رياض المسائل ١٦/١٩٦.

٤٠- الغنية (الجوامع الفقهية): ٦١٩؛ التنقيح الرائع ٤: ٤٠٩.

٤١- الكافي ٧/ ٢٨٣، التهذيب ١٠: ٢١٧ / ٨٥٥، الوسائل ٢٩: ٤٢ أبواب القصاص في النفس ب ١٢ ح ٤.

الباقين بتسعة أعشار الدية^(٤٢) ونحوه الحسن والموثق^(٤٣). وأما الخبر: (إذا اجتمع العشرة على قتل رجل واحد حكم الولي أن يقتل أيهم شاؤوا، وليس لهم أن يقتلوا أكثر من واحد، إن الله عز وجل يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾^(٤٤) وإذا قتل ثلاثة واحداً خير الولي أي الثلاثة شاء أن يقتل، ويضمن الآخرون ثلثي الدية لورثة المقتول^(٤٥).

فمع قصور سنده عن الصحة وإن قرب منها بابن أبي عمير الذي أجمع على تصحيح ما يصح عنه العصابة شاذاً، لا يعترض به الأخبار السابقة؛ لما هي عليه من الاستفاضة، وصحة سند أكثرها، واعتبار باقيها، وإطباق الفتاوي عليها، ولذا حمله الشيخ تارة على التقية، قال: لأن في الفقهاء من لا يجوز ذلك، وأخرى على أن المراد أنه ليس له ذلك إلا بشرط أن يرد ما يفضل عن دية صاحبه، قال: وهو خلاف ما ذهب إليه قوم من العامة، وهو مذهب بعض من تقدم على أمير المؤمنين -عليه السلام-؛ لأنه كان يجوز قتل الاثنين وما زاد عليهما بواحد ولا يرد فضل ذلك، وذلك لا يجوز على حال^(٤٦). وهذان الحملان لا بأس بهما جمعاً وإن بُعدا، ولا سيما الأول منهما، كما نبه عليه غير واحد من الأصحاب^(٤٧)، معللين بأنه خلاف المشهور بينهم؛ إذ أكثرهم ذهبوا إلى جواز قتل الجميع كما ذهب إليه أصحابنا، لكنهم لم يوجبوا ردّاً، بل جعلوا دم كلٍّ منهم مستحقاً للولي مجاناً، قالوا: فالأولى حمله على الاستحباب، ولا بأس به أيضاً^(٤٨).

قال الشهيد الثاني: في المسألة الثانية من كتاب الروضة البهية:

(الثانية لو اشترك في قتله جماعة) بأن القوه من شاهق، أو في بحر. أو جرحوه جراحات مجتمعة، أو متفرقة ولو مختلفة كمية وكيفية فمات بها (قتلوا به) جميعاً إن شاء الولي (بعد أن يرد عليهم ما فضل عن ديته) فيأخذ كل واحد ما فضل من ديته عن جنايته - بأن كانوا خمسة فقتلوا جميعاً قصاصاً عن المقتول فحصة كل واحد من دية المقتول تساوي مائتي دينار فإذا قتلهم الولي جميعاً يجب عليه أن يدفع إلى ولي كل واحد من هؤلاء ثمانمائة دينار. فيصير مجموع المدفوع للأولياء أربعة آلاف دينار - (وله قتل البعض فيرد الباقيون) من الدية (بحسب جنايتهم - فلو قتل ولي المقتول أحد القتاتلين، دون الآخرين وجب على الآخرين بنسبة حصتهم من الدية وهو مائتا دينار فيدفع ثمانمائة دينار لولي المقتول الذي قتل قصاصاً - فإن فضل للمقتولين فضل) عما رده شركاؤهم (قام به الولي) - لو قتل الولي اثنين من الخمسة. فيجب عليه أن يدفع إلى وليهما ألفاً وستمائة دينار. فالستمائة يأخذها من الثلاثة الباقين، والألف يعطيها هو.

٤٢- الكافي ٧: ٢٨٣ / ١، الفقيه ٤: ٨٦ / ٢٧٦، التهذيب ١٠: ٢١٨ / ٨٥٧، الإستهصار ٤: ٢٨١ / ١٠٦٧، الوسائل ٢٩: ٤٢ أبواب القصاص في النفس ب ١٢ ح ٣.

٤٣- الكافي ٧: ٢٨٣ / ٤، الفقيه ٤: ٨٥ / ٢٧٤، التهذيب ١٠: ٢١٧ / ٨٥٤، الإستهصار ٤: ٢٨١ / ١٠٦٤، الوسائل ٢٩: ٤٣ أبواب القصاص في النفس ب ١٢ ح ٦.

٤٤- الاسراء: ٣٣.

٤٥- الكافي ٧: ٢٨٤ / ٩، التهذيب ١٠: ٢١٨ / ٨٥٨، الإستهصار ٤: ٢٨٢ / ١٠٦٨، الوسائل ٢٩: ٤٣ أبواب القصاص في النفس ب ١٢ ح ٧ و ٨. وفي الجميع: إذا اجتمع العدة.

٤٦- الإستهصار ٤: ٢٨٢.

٤٧- منهم الشهيد في المسالك ٢: ٤٦٠.

٤٨- علي الطباطبائي: رياض المسائل ١٦/ ١٩٨.

فلو اشترك ثلاثة في قتل واحد واختار وليه قتلهم أدى إليهم ديتين يقتسمونها بالسوية فنصيب كل واحد منهم ثلثا دية ويسقط ما يخصه من الجناية وهو الثلث الباقي. ولو قتل (ولي المقتول) اثنين أدى الثالث ثلث الدية عوض ما يخصه من الجناية ويضيف الولي إليه - أي إلى الثلث - دية كاملة، ليصير لكل واحد من المقتولين ثلثا دية. وهو - ثلثا الدية - فاضل ديته عن جنايته، ولأن الولي استوفى نفسين بنفس - واحدة - فيرد دية نفس - ألف دينار - ولو قتل واحد أدى الباقيان إلى ورثته ثلثي الدية ولا شئ على الولي. ولو طلب - أي ولي المقتول - الدية كانت عليهم بالسوية إن اتفقوا على أدائها وإلا فالواجب تسليم نفس القاتل. هذا كله مع اتحاد ولي المقتول، أو اتفاق المتعدد على الفعل الواحد - من القصاص أو الدية -، ولو اختلفوا فطلب بعضهم القصاص، وبعض الدية قدم مختار القصاص بعد رد نصيب طالب الدية منها - أي من الدية. والراد هو الولي الذي اختار القصاص. والمعنى: أن مختار القصاص يرد على مختار الدية مقدار نصيبه من الدية. فإن كان ولي المقتول اثنين فاختر أحدهما القصاص، والآخر الدية يدفع مختار القصاص إلى أخيه خمسمائة دينار -، وكذا لو عفا البعض إلا أن الرد هنا على القاتل. وستأتي الإشارة إليه.

وقال - رحمه الله - في المسئلة الثالثة:

(الثالثة لو اشترك في قتله) أي قتل الذكر (امرأتان قتلتا به ولا رد) إذ لا فاضل لهما عن ديته - أي عن دية الرجل، لأن دية كل واحد منهما نصف دية الذكر. فديتهما معا مساوية لدية الرجل -، وله - أي لولي المقتول - قتل واحدة وترد الأخرى ما قابل جنايتها وهو ديتها^(٤٩) ولا شئ للمقتولة (ولو اشترك) في قتله (خنثيان) مشكلان (قتلا به) إن شاء الولي كما يقتل الرجلان والمرأتان المشتركتان^(٥٠) (ويرد عليهما^(٥١) نصف دية الرجل بينهما نصفان)^(٥٢) لأن دية كل واحد^(٥٣) نصف دية رجل ونصف دية امرأة وذلك ثلاثة أرباع دية الرجل^(٥٤) فالفاضل لكل واحد^(٥٥) من نفسه عن جنايته ربع دية الرجل^(٥٦). ولو اختار قتل أحدهما رد عليه ربع دية^(٥٧) هو ثلث ديته^(٥٨) ودفع الباقي^(٥٩) نصف دية الرجل^(٦٠) فيفضل للولي ربع ديته^(٦١). (ولو اشترك) في قتل الرجل (نساء قتلن) جمع إن شاء الولي (ويرد

٤٩ - وهو ديتها كاملة التي تساوي نصف دية الرجل فتعطي للولي.

٥٠ - في قتل الرجل الواحد.

٥١ - أي على وليهما.

٥٢ - أي لكل واحد منهما ربع الدية وهي مائتان وخمسون دينارا.

٥٣ - أي دية كل واحد من الخنثيين المقتولين قصاصا.

٥٤ - وهي سبعمائة وخمسون دينارا، لأن نصف دية الرجل خمسمائة دينارا، ونصف دية المرأة مائتان وخمسون دينارا، فالجموع سبعمائة وخمسون دينارا.

٥٥ - أي لكل واحد من الخنثيين المقتولين قصاصا.

٥٦ - فربع دية الرجل مائتان وخمسون دينارا، فالجموع خمسمائة دينارا.

٥٧ - أي ربع دية الرجل وهي مائتان وخمسون دينارا.

٥٨ - أي هذا الربع ثلث دية الخنثى.

٥٩ - أي الآخر الذي لم يقتل ولم يقتص منه.

٦٠ - وهي خمسمائة دينارا.

٦١ - أي للولي ربع دية الرجل وهي مائتان وخمسون دينارا. حيث إن الولي قتل واحدا من الخنثيين فدفع لولي المقتول ربع دية الرجل وأخذ من الخنثى الثاني نصف دية الرجل فزاد له ربع دية الرجل.

عليهن ما فضل عن ديته^(٦٢) فلو كن ثلاثا فقتلن رد عليهن دية امرأة^(٦٣) بينهن بالسوية، أو أربعاً^(٦٤) فدية امرأتين^(٦٥) كذلك^(٦٦) وهكذا^(٦٧). ولو اختار في الثلاث^(٦٨) قتل اثنتين ردت الباقية^(٦٩) ثلث ديته^(٧٠). بين المقتولتين بالسوية، لأن ذلك^(٧١) هو الفاضل لهما عن جنايتهما. وهو^(٧٢) ثلث ديتهما، أو قتل واحدة ردت الباقيتان على المقتولة ثلث ديتها^(٧٣). وعلى الولي^(٧٤) نصف دية الرجل. وكذا قياس الباقي^(٧٥). (ولو اشترك) في قتل الرجل (رجل وامرأة) واختار الولي قتلها (فلا رد للمرأة) إذ لا فاضل لها من ديتها عما يخص جنايتها^(٧٦) (ويرد على الرجل نصف ديته) لأنه الفاضل من ديته عن جنايته^(٧٧) والرد (من الولي إن قتلها)، أو من المرأة لو لم تقتل، لأنه مقدار جنايتها. (ولو قتلت المرأة) خاصة فلا شئ لها^(٧٨) و (رد الرجل على الولي نصف الدية) مقابل جنايته^(٧٩). هذا هو المشهور بين الأصحاب وعليه العمل. وللمفيد رحمه الله قول بأن المردود على تقدير قتلها يقسم بينهما أثلاثاً: للمرأة ثلثه^(٨٠) بناء على أن جناية الرجل ضعف جناية المرأة لأن الجاني نفس ونصف نفس جنت على نفس^(٨١) فتكون الجناية بينهما أثلاثاً بحسب ذلك^(٨٢). وضعفه ظاهر^(٨٣)، وإنما هما نفسان جنتا على نفس فكان على كل واحدة نصف، ومع قتلها^(٨٤) فالفاضل للرجل خاصة، لأن القدر المستوفى أكثر قيمة من جنايته بقدر ضعفه، والمستوفى من المرأة بقدر جنايتها فلا شئ لها كما مر^(٨٥). وكذا على تقدير قتله^(٨٦) خاصة.

٦٢- أي عن دية الرجل المقتول.

٦٣- وهي خمسمائة دينار.

٦٤- أي لو كن أربعاً في قتل الرجل فقتلن الولي

٦٥- وهي ألف دينار.

٦٦- أي تقسم هذه الدية بين أولياء النسوة المقتولات بالسوية.

٦٧- فلو كن ستاً فقتلن قصاصاً فعليه دية أربع نساء. ولو كن ثمانياً فقتلن قصاصاً فعليه دية ست نساء. ولو كن عشرة

فقتلن قصاصاً فعليه دية ثمانى نساء.

٦٨- كالمثال الأول.

٦٩- أي التي لم تقتل.

٧٠- أي ثلث دية الرجل المقتول.

٧١- أي ثلث دية الرجل.

٧٢- أي الجناية.

٧٣- وهو سدس دية الرجل أي ٦ / ١٦٦ ٤ ديناراً.

٧٤- أي ردت المرأتان الباقيتان على الولي نصف دية الرجل وهي خمسمائة دينار.

٧٥- فلو كن أربعاً فقتل واحدة منهن ردت الثلاث الباقيات على المقتولة كل واحدة ربع ديتها، وعلى ولي المقتول نصف ديته ولو قتل اثنتين منهن ردت الباقيتان على كل واحدة ربع الدية ولا شئ لولي المقتول. وهكذا.

٧٦- لأن ديتها نصف دية الرجل فتشمل جنايتها التي هي النصف تمام ديتها.

٧٧- لأن ديته كاملة ويخص من جنايته نصف دية المقتول. فإذا قتله الولي فعليه أن يرد نصف ديته.

٧٨- لأن ديتها نصف دية الرجل.

٧٩- لأن جنايتها كانت بالنصف فله نصف ديته.

٨٠- أي ثلث المردود.

٨١- لأن الرجل نفس كاملة، والمرأة نصف نفس.

٨٢- أي بحسب كون الجاني نفساً ونصفها.

٨٣- لأن القول بأن المرأة نصف نفس لا دليل عليه.

٨٤- أي الرجل والمرأة القاتلان.

٨٥- في القول المشهور.

٨٦- أي القتل للرجل. فترد المرأة نصف الدية عليه.

وقال -رحمته- في المسئلة الرابعة:

(الرابعة لو اشترك عبيد في قتله) أي قتل الذكر الحر فلولي قتل الجميع، أو البعض، فإن قتلهم أجمع (رد عليهم ما فضل من قيمتهم عن دية إن كان) هناك (فضل ثم) على تقدير الفضل لا يرد على الجميع كيف كان بل (كل عبد نقصت قيمته عن جنايته^(٨٧)، أو ساوت) قيمته جنايته (فلا رد له، وإنما الرد لمن زادت قيمته عن جنايته) ما لم تتجاوز دية الحر^(٨٨) فتزد إليها^(٨٩). فلو كان العبيد ثلاثة قيمتهم عشرة آلاف درهم فما دون بالسوية وقتلهم الولي فلا رد^(٩٠)، وإن زادت قيمتهم عن ذلك فعلى كل واحد ثلث دية الحر، فمن زادت قيمته عن الثلث رد على مولاه الزائد ومن لا فلا^(٩١).

وقال -رحمته- في المسئلة الخامسة:

(الخامسة لو اشترك حر وعبد في قتله فله) أي لوليه (قتلهما) معا (ويرد على الحر نصف دية) لأنها (الفاضل عن جنايته) (وعلى مولى العبد ما فضل من قيمته عن نصف الدية إن كان له فضل) ما لم تتجاوز دية الحر فتزد إليها^(٩٢) (وإن قتل أحدهما فالرد على الحر من مولى العبد أقل الأمرين من جنايته^(٩٣) وقيمة عبده) إن اختار قتل الحر، لأن الأقل إن كان هو الجناية وهو نصف دية المقتول فلا يلزم الجاني سواها، وإن كان هو قيمة العبد فلا يجني الجاني على أكثر من نفسه ولا يلزم مولاه الزائد. ثم إن كان الأقل هو قيمة العبد فعلى الولي اكمال نصف الدية لأولياء الحر.^(٩٤) (والرد على مولى العبد من) شريكه (الحر) إن اختار الولي العبد (وكان له فاضل) من قيمته عن جنايته بأن تجاوزت قيمته نصف دية الحر، ثم إن استوعبت قيمته الدية^(٩٥) فله جميع المردود من الحر^(٩٦) وإن كانت أقل^(٩٧) فالزائد من المردود عن قيمته بعد حط مقابل جنايته لولي المقتول. (وإلا) يكن له فضل بأن كانت قيمة العبد نصف دية الحر أو أنقص (رد) الحر عوض جنايته وهو نصف الدية (على المولى) إن شاء. هذا هو المحصل في المسألة^(٩٨) وفيها أقوال آخر مدخولة^(٩٩) (ومنه^(١٠٠) يعرف حكم اشتراك العبد والمرأة) في قتل الحر

٨٧- أي عما يخصه من الجناية. مثلاً لو اشترك خمسة عبيد في قتل حر. وكانت قيمة أحدهم تساوي مائة دينار. والثاني مائة وخمسين، والثالث مائتين. وهكذا. فيخص كل واحد منهم من الجناية خمسها وهو مبلغ مائة دينار. فالذي تساوي قيمته أكثر من ذلك يستحق مولاه رد هذا الفضل. ومن ساوت قيمته مقدار جنايته فلا شيء له. وكذا الناقص.

٨٨- أي لم تتجاوز دية العبد دية الحر فلو كانت قيمته أكثر من ألف دينار لا يستحق هذا الأكثر. بل الفضل من جنايته إلى حد الألف فقط.

٨٩- أي دية العبد إلى دية الحر وهي ألف دينار.

٩٠- لأن دية الحر ألف دينار وهو يساوي عشرة آلاف درهم قيمة العبيد فلا فضل لهم عن دية الحر.

٩١- أي من لم تزد قيمته عن الثلث بأن ساوت، أو نقصت فلا شيء له.

٩٢- أي قيمة العبد لا تتجاوز دية الحر. فإذا زادت ترد إلى دية الحر.

٩٣- أي ما يخص جناية العبد وهو نصف دية المقتول.

٩٤- خلاصته: إن الولي لو اختار قتل الحر فلولي الحر نصف دية. وهذا النصف يجب رده من مولى العبد إلى ولي الحر إن كانت قيمة عبده أكثر، أو مساوية له. وإن كانت قيمته أقل دفع هذا الأقل. والباقي إلى أن يكمل النصف يجب على ولي المقتول رده.

٩٥- أي كانت قيمته ألف دينار.

٩٦- وهو مبلغ خمسمائة دينار.

٩٧- أي كانت قيمة العبد أقل من النصف.

٩٨- أي مسألة اشترك حر وعبد في قتل حر.

٩٩- أي فيها إشكال.

(وغير ذلك) من الفروض كاشتراك كل من الحر والعبد والمرأة مع الخنثى واجتماع الثلاثة وغيرها. وضابطه: اعتبار دية المقتول^(١٠١) إن كان حراً. فإن زادت عن جنايته دفع إليه الزائد، وإن ساوت، أو نقصت اقتصر على قتله، وقيمة العبد كذلك ما لم تزد عن دية الحر^(١٠٢) ورد الشريك الذي لا يقتل ما قابل جنايته من دية المقتول^(١٠٣) على الشريك، إن استوعبت فاضل ديته أو قيمته للمردود، وإلا رد الفاضل^(١٠٤) (٤) إلى الولي. وكذا القول لو كان الاشتراك في قتل امرأة، أو خنثى، ويجب تقديم الرد على الاستيفاء في جميع الفروض^(١٠٥).

يتبين أن الامامية ترى قتل الجماعة بالواحد إلا أنه يلزم ولي الدم إذا اختار القصاص من الجماعة أن يرد عليهم ما فضل عن ديته، فيأخذ كل واحد من القتلة ما فضل من ديته عن جنايته، وله قتل البعض فيرد الباقيون من الدية بحسب جنايتهم، فإن فضل للمقتولين فضل عما رده شركاؤهم قام به الولي، فلو اشترك ثلاثة في قتل واحد واختار وليه قتلهم أدى إليهم ديتين يقتسمونهما بينهما بالسوية، فيصيب كل واحد منها ثلثا الدية ويسقط ما يخصه من الجناية وهو الثلث الباقي، ولو قتل اثنين أدى الثالث ثلث الدية عوض ما يخصه من الجناية، ويضيف الولي إليه دية كاملة ليصير كل واحد من المقتولين ثلثا دية وهو فاضل ديته عن جنايته، ولأن الولي استوفى نفسين بنفس فيرد دية نفس، ولو قتل واحدا أدى الباقيان إلى ورثته ثلثي الدية، ولا شيء على الولي، ولو طلب الدية كانت عليهم بالسوية إن اتفقوا على أدائها، وإلا فالواجب تسليم نفس القتال، هذا مع اتحاد ولي المقتول، أو اتفاق المتعدد على الفعل الواحد، ولو اختلفوا فطلب بعضهم القصاص وبعض الدية قدم مختار القصاص بعد رد نصيب طالب الدية منها، وكذا لو عفا البعض إلا أن الرد هنا على القتال

المبحث الثالث: مسألة قتل الجماعة بالواحد عند المذاهب الإسلامية

الأخرى

اتفقت المذاهب الإسلامية الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية على أن الجماعة تُقتل بالواحد إذا قتلوه عمدا وعدوانا، يستوي في ذلك أن يقتلوه بمُحدد^(١٠٦) أم بغيره، مع اعتبار مخالفة الحنفية في القتل بغير المحدد ويستوي فيه كذلك أن يقتلوه إلقاء من شاهق أو في بئر أو في بحر أو بحجر ثقيل أو يخنقوه خنقا أو غير ذلك من صور القتل ولا يؤثر في وجوب القود عليهم ما لو تفاضلت جراحاتهم في العدد

١٠٠- أي من الحكم المذكور في العبد والحر.

١٠١- أي يلحظ دية الذي قتل قصاصا.

١٠٢- إن ساوت جنايته، أو نقصت عنها فلا شيء له. ولكن إن زادت قيمته عن جنايته وكانت الزيادة فوق دية الحر فالمردود عليه إنما هو التفاوت ما بين جنايته إلى دية حر. دون ما زاد.

١٠٣- أي الذي قتل قصاصا.

١٠٤- أي رد الفاضل عن جناية الذي يراد قتله.

١٠٥- الشهيد الثاني: الروضة البهية ٣٨/١٠.

١٠٦- أي بمحدد.

والفحش والأثرش، ويستوي فيه أيضا أن يكون عدد القتلة الجناة قليلاً أو كثيراً كأن يكونوا ثلاثة أو عشرة (١٠٧).

إنفق العلماء في وجوب القصاص في هذه المسألة إلا أنهم يتفاوتون في اشتراط انزال القصاص بالجماعة التي تشترك على قتل الواحد.

فالأحناف يوجبون انزال القصاص بهم بإطلاق، وكيفما كان حجم الجراحات أو تأثيرها، إلا أن تكون خفيفة هينة وغير مؤثرة فلا تعتبر.

والشافعية والحنبلية يشترطون لانزال القصاص بهم: أن يجني كل منهم جناية لو انفرد بها وجب عليه عليه القصاص.. وذلك كما لو كان الجرح بليغا ومن شأنه أن يؤدي الى الهلاك، ودليلهم في ذلك (الاجماع والقياس والمصلحة).

أما الإجماع، فقد جاء في المغني لابن قدامة: (ولنا اجماع الصحابة رضي الله عنهم روى سعيد بن المسيب^(١٠٨) أن عمر بن الخطاب قتل سبعة من أهل صنعاء قتلوا رجلا وقال لو تملا عليه أهل صنعاء لقتلهم جميعا، وعن علي - عليه السلام - أنه قتل ثلاثة قتلوا رجلا وعن ابن عباس أنه قتل جماعة بواحد ولم يعرف لهم في عصرهم مخالف فكان إجماعا...)^(١٠٩).

وأما القياس: فهو أن عقوبة القصاص تجب للواحد على الواحد فهي اذن تجب للواحد على الجماعة كحد القذف، فلو قذف كثيرون واحدا وجب له الحد على الكثيرين^(١١٠).

وأما المصلحة: فهي أن القتل يقع غالبا على سبيل التعاون والاجتماع من القتل ومن خلال تملؤ بين فريق من الناس فلو لم يشرع فيه القصاص وهو على هذه الصورة من الاجتماع على القتل لانسد باب القصاص، ولتمكن الجناة والقتلة من حشد أنفسهم والاتفاق فيما بينهم لإزهاق نفس بريئة من غير أن ينالهم بسبب ذلك عقابه وفي ذلك تفويت لما شرع القصاص من أجله وهو حفظ الأرواح وصون الحياة من العابثين والسفاحين ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١١١).

يتبين أن هذا النوع من القصاص قد شرع حقنا للدماء البريئة أن تسفك بغير حق فلو لم يجب القصاص عند الاشتراك والاجتماع على جريمة القتل لتهيئت فرصة قتل الأبرياء بغير حق بالاستعانة بدوي النفوس الضعيفة لقتلهم واتخذها ذريعة في سفك الدماء وهو في مأمن من القصاص^(١١٢).

١٠٧- (ظ): الشافعي: الأم ٣١١/٨، تحفة الفقهاء ١٠٠/٣، بداية المجتهد ٢/٣٩٩-٤٠٠، الهداية ٤/١٦٨، الشرح الصغير للدردير ٢/٣٨٥، الكافي ٩/٣، المدونة ٤/٤٩٧، حاشية الخرشي على مختصر خليل ١٠/٨.

١٠٨- سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، القرشي المدني، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، جمع بين الحديث والفقه، سمع أمير المؤمنين عليا - عليه السلام - وعثمان، وسعد بن أبي وقاص، وأبا هريرة، وزيد بن ثابت، وأم سلمة، وعائشة، وروى عنه الزهري، وقتادة، يحيى بن سعيد الأنصاري. ولد لستين مضتا من خلافة عمر. مات سنة ٩٤ هـ بالمدينة. أنظر: سير أعلام النبلاء ٤: ٢١٧ / ٤٦٩، تهذيب التهذيب ٤: ٧٤ / ١٤٥، وفيات الأعيان ٢: ٣٧٥ / ٢٦٢، الجرح والتعديل ٤: ٥٩ / ٢٦٢، تذكرة الحفاظ ١: ٥٤ / ٣٨، حلية الأولياء ٢: ١٦١ / ١٧٠.

١٠٩- (ظ): ابن قدامة: المغني، ٩/٣٦٧.

١١٠- (ظ): م.ن، وعبد الرحمن بن قدامة: الشرح الكبير، ٩/٣٣٥، البهوتي: كشف القناع ٥/٦٠٦.

١١١- البقرة: ١٧٩.

١١٢- (ظ): بدائع الصنائع ٧/٢٣٨، مغني المحتاج ٤/٢٠، المغني ٧/٦٧١-٦٧٢، بداية المجتهد ٢/٤٠٠، حاشية الخرشي على مختصر خليل وبهامشه حاشية الشيخ علي العدوي ٨/١٠.

هذا مذهب جمهور اهل العلم وهو مروي عن الامام علي -عليه السلام- وعمر والمغيرة ابن شعبة^(١١٣) وابن عباس^(١١٤) وبه قال سعيد بن المسيب والحسن البصري^(١١٥) وعطاء^(١١٦) وقتادة^(١١٧) والثوري^(١١٨) والأوزاعي^(١١٩) واسحق^(١٢٠) وأبو ثور^(١٢١).

بينما ذهب آخرون الى عدم قتل الجماعة بالواحد وهو قول ابن الزبير^(١٢٢) والزهراني^(١٢٣) وابن سيرين^(١٢٤) وداود بن علي الظاهري^(١٢٥) وابن المنذر^(١٢٦) وهو رواية عن احمد بن حنبل وقد نفى هؤلاء

١١٣- المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن قيس الثقفي، أسلم عام الخندق، ولاء عمر بن الخطاب البصرة، ولم يزل عليها حتى شهد عليه بالزنا، فعزله، ثم ولاء الكوفة، وأقره عثمان عليها، روى عن النبي -ﷺ- وعنه أبو أمامة الباهلي وقيس بن أبي حازم، ومسروق، ونافع. مات سنة ٥٠ هـ. أنظر: أسد الغابة ٤: ٤٠٦، الإصابة في تمييز الصحابة ٣: ٤٥٢ / ٨١٧٩، تهذيب التهذيب ١٠: ٢٣٤ / ٤٧٣٠، سير أعلام النبلاء ٣: ٢١.

١١٤- عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف أبو العباس القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله -ﷺ-، وكان يسمى البحر، لسعة علمه، وحبر الأمة، وجاء عن النبي -ﷺ-: (لكل شئ فارس وفارس القرآن عبد الله بن عباس) والأخبار الدالة على مدحه وملازمته للإمام علي ومن بعده للإمامين الحسن والحسين -عليه السلام- كثيرة، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، ومات بالطائف سنة ٦٨ هـ أنظر: سفينة البحار ٢: ١٥٠، معجم رجال الحديث ١٠: ٢٢٩ / ٦٩٤٣، وفيات الأعيان ٣: ٦٢، أسد الغابة ٣: ١٩٢، رجال الطوسي ٢٢ / ٦ و ٤٦ / ٣.

١١٥- أبو سعيد، الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، مولى الأنصار. وأمه خيرة مولاة أم سلمة. روى عن أبي بن كعب، وسعد بن عباد، وعمر بن الخطاب، ولم يدرهم، وعن ثوبان وعمار بن ياسر وغيرهم. وروى عنه حميد الطويل وقتادة وعطاء بن السائب وغيرهم. مات سنة (١١٠ هـ). طبقات الفقهاء: ٦٨ وتهذيب التهذيب ٢: ٢٦٣، ومروءة الجنان ١: ٢٢٩، وشذرات الذهب ١: ١٣٦.

١١٦- عطاء بن أبي رباح، مفتي أهل مكة ومحدثهم، ولد في خلافة عثمان، وقيل: في خلافة عمر، وكان أسود مفلفلا، فصيحاً كثير العلم، من مولدي الجند. عده ابن حزم ممن ثبت على تحليل المعتة. (تذكرة الحفاظ: ٨٩، المحلى ٩: ٥١٩) ١١٧- أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي، كان ذا علم في القرآن والحديث والفقه، وكان يقول بشئ من القدر ثم رجع عنه، وقال: ما نسيت شيئاً قط. ثم قال: يا غلام ناولني نعلي، قال: نعلك في رجلك مات بالبصرة سنة ١١٧ هـ (معجم الأدباء: ١٧ / ٩ - ١٠).

١١٨- أبو عبد الله، سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، الكوفي، روى عن أبيه وأبي إسحاق الشيباني، وأبي إسحاق السبيعي وعبد الملك بن عمير وغيرهم. وروى عنه جمع كثير، منهم: جعفر بن برقان، وخصيف بن عبد الرحمن وابن إسحاق. مات سنة ١٦١ هـ هجيرة. أنظر طبقات الفقهاء: ٦٥، وتهذيب التهذيب ٤: ١١١.

١١٩- أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمّد، كان من فقهاء الشام وقرائهم. وكان سبب موته أنه كان مرابطاً ببيروت، فدخل الحمام فزلق فسقط وغشي عليه ولم يعلم به أحد حتى مات، وذلك سنة سبع وخمسين ومائة. (الثقات لابن حبان ٧: ٦٢)

١٢٠- أبو يعقوب إسحاق بن أبي الحسن إبراهيم بن مخلد الخنظلي المروزي نزيل نيسابور، سمع جرير بن عبد الحميد الرازي، وسفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، وأبا معاوية، وعبد الرزاق بن همام وطبقتهم، وروى عنه محمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج النيسابوري، وأبو عيسى الترمذي، وخلق يطول ذكرهم، ولد سنة ١٦٦ هـ توفي سنة ٢٣٨ هـ أنظر: العبر ١: ٤٢٦، طبقات الفقهاء للشيرازي: ٧٨، تذكرة الحفاظ ٢: ٤٣٣ / ٤٤٠، تاريخ بغداد ٦: ٣٤٥ / ٣٣٨١.

١٢١- أبو ثور إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي البغدادي ويكنى أبا عبد الله أيضاً، كان على مذهب أهل الرأي حتى قدم الشافعي العراق فاختلف إليه واتبعه، حدث عن سفيان بن عيينة، وأبي معاوية، ووكيع وطبقتهم، وعنه أبو داود، وابن ماجه، ومحمد بن إسحاق وخلق، مات في صفر سنة ٢٤٠ هـ. أنظر: تذكرة الحفاظ ٢: ٥١٢ / ٥٢٨، تاريخ بغداد ٦: ٦٥ / ٣١٠٠، ميزان الاعتدال ١: ٢٩ / ٨، وفيات الأعيان ١:

١٢٢- هشام بن عروة ابن الزبير بن العوام القرشي أبو المنذر، المدني روى عنه: أبان بن يزيد العطار، وإبراهيم بن حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي وغيرهم، مات سنة (١٤٧). تهذيب الكمال: ٣ / ٢٣٢ رقم ٦٥٨٥.

١٢٣- أبو بكر محمد بن سيرين البصري، كان له يد طولى في تأويل الرؤيا، وكان أبوه عبداً لأنس بن مالك، وكان بينه وبين الحسن البصري من المنافرة ما هو مشهور، توفي سنة ١١٠ هـ (الكنى والألقاب: ١ / ٣٠٨).

١٢٥- ترجمته في: فهرست ابن النديم ٣١٧، ذكر أخبار أصبهان ١ - ٣١٢، تاريخ بغداد ٨ - ٣٦٩ برقم ٤٤٧٣، طبقات الفقهاء للشيرازي ٩٢، وغيرها.

جواز قتل الجماعة بالواحد وقالوا: بل يُقتل منهم واحد، ويؤخذ من الباقي حصصهم من الدية لأن كل واحد منهم مُكافئ للقتيل فلا يجوز استيفاء أبدال كثيرة بِمُبدل واحد، مثلما لا تجب ديات كثيرة لقتيل واحد فضلا عن أن ذلك يخالف ظاهر النص من الكتاب الحكيم وهو قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(١٢٧)، وظاهره يشير أن كل نفس تقابلها نفس واحدة لأنفس كثيرة^(١٢٨).

والقول الأول هو الراجح، لما اتضح من الأدلة المستفيضة والتي تُرجي بسلامة الحكم بهذا النوع من القتل الذي تصان معه الأرواح وتزجر به النفوس الفاسدة كيلا تعبت في الأرض شرا وقتلا ما لم يؤخذ علما يديها بالقمع والشدة والاستئصال، حتى ولو اتحدت أو اجتمعت على الشر والقتل.

وبناء على ذلك كله فإن الجراحات لو كانت مجتمعة (حدثت في آن واحد) فإنه لا يعتبر فيها العدد ولا مدى التأثير إلا أن تكون خفيفة كخدش فلا تعتبر كما هو واضح وبذلك فإن اجتماع الجراحات يوجب القصاص على المشتركين ولا يشترط في ذلك أن تتساوى هذه الجراحات لافي العدد ولا في مدى التأثير لأن ذلك غير مستطاع علمه فلو جرحه أحدهم جرحا وجرحه الآخر مائة، أو جرحه أحدهم جرحا بليغا والآخر جرحا دون الأول، ثم مات المجرع كان كلاهما في القصاص سواء بمعنى أنهما يستويان في استحقاق القصاص على الرغم من التفاوت في الجراحات عددا ونوعا وذلك لأن الجرح له سارية في البدن وقد يموت المجرع من جرح واحد ولا يموت من جراحات وبذلك لا يمكن أن يضاف القتل الى واحد بعينه ولا يمكن اسقاط القصاص ايضا فوجب (القصاص) على الجميع.

لكن لو كانت الجراحات على التعاقب فإن القصاص يكون على صاحب الجرح المدفوف^(١٢٩)، الذي تزهق به النفس وعلى صاحب الجرح الأخف ما يستوجب من عقوبة كما لو كانت قصاصا في الطرف أو أرشا أو نصف دية وهذا القول من تصنيف الحنفية.

ومن تطبيقاته: ما لو شق رجل بطن انسان، ثم حرّ آخر عنقه فمات وجب القصاص على ذلك الذي حرّ العنق لأنه هو القاتل لا الشاق فإن المجني عليه قد يعيش بعد شق بطنه ولو مدة وجيزة يتكلم فيها ويوصي أو يتوب أو نحو ذلك من التصرف، لكنه لو شقه شقا بليغا لا يتصور معه العيش، بل بقي بعده في عمرة الموت والاضطراب فإن القصاص بذلك على الذي شقه لا الذي حرّ عنقه، وإن كان عليه التعزير لارتكابه جناية لأحد لها مقدور.

١٢٦- إبراهيم بن المنذر أبو إسحاق الحازمي الأسدي، المدني، روى عن مالك، وسفيان بن عيينة، والوليد بن مسلم وطبقتهم، وعنه البخاري، وابن ماجة، ومحمد بن إبراهيم البوشنجي وآخرون، مات سنة ٢٣٦ هـ أنظر: تذكرة الحفاظ ٢: ٤٧٠ / ٤٨٢، ميزان الاعتدال ١: ٦٧ / ٢٢٢ تهذيب التهذيب ١: ١٤٥ / ٣٠٠.

١٢٧- المائدة: ٤٥.

١٢٨- المغني: ٦٧١/٧، بداية المجتهد ٢/ ٤٠٠.

١٢٩- المدفوف: من ذف الشيء يذف أي أسرع يسرع، وذفيف أي سريع والجرح المدفوف هو البليغ يفضي الى الموت بسرعة وفي

يقين.

والشاق مُعْتَبَرٌ هنا قاتلاً، وكذلك لو جرحه جراحة مُثْنَنَةً لا يعيش معها عادة ثم جرحه آخر جراحة أخرى كان القصاص على المُثْنِنِ لأنه القاتل حقيقة فقد أتى بفعل مؤثر نفوت معه حياة المجني عليه عادة (١٣٠).

أما الشافعية والحنبلية فإنهم لا يفرقون مثل هذه التفرقة ولكنهم يتفقون مع الحنفية في المضمون والتفصيل فالخلاف بذلك شكلي والحصيلة واحدة.

وذلك كما لو قطع يده من الكوع وقطعه آخر من المرفق فمات المجني عليه كان القاطعان في وجوب القصاص سواء لأن الجرحين كليهما حصل الزهوق عقيبهما وفي هذه الحالة فإن ولي القتل بالخيار بين أن يقتل الاثنين أو يعفو عنهما مطلقاً أو يعفو على الدية: أما عن أحدهما أو كليهما معا فإن كان القتل بجراحات متعددة بتعدددهم وزعت الدية عليهم باعتبار عدد رؤوسهم لا باعتبار عدد الجراحات من كل واحد ولا باعتبار التفاوت بين الجرح والجرح من حيث الفداحة والتأثير لأن ذلك لا ينضبط وقد تزيد نكاية الجرح الواحد على جراحات كثيرة.

أما إن كان القتل بالضرب وزعت الدية على عدد الضربات لأنها يمكن أن تنضبط وهي لا يعظم فيها التفاوت بخلاف الجراحات.

أما لو قطع أحدهما يد المجني عليه ثم ذبحه آخر فمات، أو شق صدره وأخرج منه قلبه، أو شق بطنه وابان أحشاءه كان على قاطع اليد ما عليه من الضمان كما لو كان نصف دية أو أرشاً وكان اثني هو القاتل لأن فعلته كبيرة قطعت سراية الفعلة الأولى وهي قطع اليد فصار كما لو اندمل القطع ثم قتله. وإن قطع أحدهما حلقومه مريئه أو شق بطنه وأخرج حشوته ثم حز الآخر رقبته فالقاتل هو الأول لأنه لا تبقى بعد جنايته حياة مستقرة وإنما يتحرك حركة مذبوح ولهذا يسقط كلامه في الاقرار والوصية والاسلام والتوبة، وإن أجافه (١٣١) جائفة يتحقق الموت منها إلا أن الحياة فيه مستقرة ثم قتله الآخر كان القاتل هو الثاني، لأن حكم الحياة باق. (١٣٢).

أما المالكية، فهم متفقون مع جماهير العلماء في مبدأ القصاص من الجماعة للواحد لكنهم مع ذلك يوجبون القصاص ضمن التفصيل الآتي:

أولاً: إذا لم تتميز الضربات من الضاربين من حيث شدتها أو عددها وجب القصاص على الضاربين جميعاً.

ثانياً: إذا تميزت الضربات لكنها تساوت فإنه يجب القصاص كذلك على الجميع لأن الضاربين متساوون في الضربات من حيث الكم والنوع ولا معنى لنزال القصاص دون الآخرين.

١٣٠- بدائع الصنائع ٨/ ٢٣٨-٢٣٩.

١٣١- أجافه: من الجائفة، وهي الجراحة تصل الجوف (ط): الفيومي: المصباح المنير ١/ ١٢٥.

١٣٢- مغني المحتاج ٤/ ٢٠، النووي: المجموع ١٨/ ٣٦٨، المغني ٧/ ٦٧٣، الكافي ٣/ ٢١.

ثالثا: اذا تميزت الضربات من حيث الشدة أو العدد ولم يعلم الأقوى ضربا أو الأشد تأثيرا في الإزهاق قُتِل الجميع، أما إذا عُلِمَ الأقوى ضربا قُدِمَ للقصاص دون غيره وذلك كله في التماثل^(١٣٣)، المسبق من الجماعة على القتل.

رابعا: مجرد التماثل موجب لقتل الجميع والمقصود بالتماثل هنا: الاجتماع والتعاون على القتل مع سبق القصد من الجميع.

وعلى هذا اذا وقع الضرب من بعض المتماثلين أو من واحد دون الآخرين على أنه اذا لم يباشره هو لم يتركه الآخرون وجب القصاص عليهم جميعا لمجرد التماثل^(١٣٤).

يتبين أن موقف المذاهب الاسلامية غير الامامية من قتل الجماعة بالواحد انقسم على رأيين: الأول: يرى فريق من الفقهاء عدم قتل الجماعة بالواحد، إلا أن فريقا منهم يرى إيجاب الدية فقط، وقد حكى هذا عن الإمام أحمد في رواية، وهو قول ابن الزبير والزهرى وابن سيرين وحبيب بن أبي ثابت وعبد الملك وربيعة وداود بن المنذر، وحكاها ابن أبي موسى عن ابن عباس. ويروى عن معاذ بن جبل وابن الزبير وابن سيرين والزهرى أنه يقتل واحد منهم ويؤخذ من الباقي حصصهم من الديات. الثاني: تقتل الجماعة بالواحد: يرى جمهور الفقهاء "الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، والزيدية والإمامية والإباضية"^(١٣٥)، وهو المروي عن عمر وعلي والمغيرة بن شعبة وابن عباس، وبه قال سعيد بن المسيب والحسن وأبو سلمة وعطاء وقتادة والثوري والأوزاعي وإسحاق وأبو ثور: "أن الجماعة إذا قتلت واحدا قتلت به قصاصا، وقد استدلو على ذلك بالكتاب والسنة والإجماع والقياس.

الخاتمة

١. القصاص منهج متبع في الاديان والشرائع السماوية بل وحتى الوضعية.
٢. وردت مفردة القصاص في سورتين هي: البقرة آية ١٤٩، وآية ١٧٨، ١٧٩، وسورة المائدة آية ٤٥.
٣. كذلك جاءت السنة المعصومية لتطبق هذا المفهوم في كثير من القضايا التي وجب فيها القصاص.
٤. مفهوم القصاص: فهو حكاية أمر واقع وجريان وجناية كما وقع، فيكتر على الجاني، ليعتبر المعترف.
٥. أجمع الفقهاء على قتل الجماعة اذا اشتروا في قتل واحد بعد رد فاضل الدية.
٦. ولي الدم مخير بين القصاص والدية وله ان يعفو.
٧. كما له عفوها أو أخذ الدية منهما بالتنصيف أو يعفو عن أحدهما ويقتص من الآخر مع رد فاضل ديته، أو أخذ فاضل الدية من الجاني الآخر.
٨. للمذاهب الاسلامية الاخرى في المسألة أربعة أقوال هي:

١٣٣- التماثل والمماثلة: بمعنى المساعدة ومن قول لعلي: (ذلك ماقتلت عثمان ولا مالات على قتله) وتماثلوا على الأمر: اجتمعوا عليه (ظ): الرازي: مختار الصحاح، ص ٦٣١.

١٣٤- الشرح الصغير للدريز ٣٨٥/٢ أسهل المدارك ١١٩/٣، حاشية الخرشى على مختصر خليل وبهامشه حاشية الشيخ علي العدوي ١٠/٨.

١٣٥- فرقة من الخوارج انتسبوا إلى عبد الله بن أبياض التميمي. الذي خرج في أيام مروان بن محمد وهم قوم من الحرورية زعموا أن مخالفهم كافر، وكفروا عليا أمير المؤمنين -عليه السلام- وأكثر الصحابة.

الأول: وهو قول أكثر الحنفية أن يقتل واحد منهما بدون الآخر لظاهر قوله تعالى: (النَّفْسِ بِالنَّفْسِ)، وجوابه ان النفس - كما عند المحققين - اسم جنس، وضع للماهيات، خلافا لمن قال بوضعه لفرد واحد لا على التعيين، فمدخول الألف واللام ماهية النفس، والماهية كلية تقابل ماهية أخرى، كما تضم المصاديق وتحقق بفرد وافراد، فلم يكن المقصود مقابلة فرد بآخر، كما ان الأحاديث الشريفة تفسر وتبين لنا مراد النفس في الآية الشريفة فليس المقصود نفس واحدة بنفس واحدة.

الثاني: الشافعي فصل في قوله، فإنه لو أورد القتل في زمن واحد فإنه يقتص منهما، وإذا كان في زمانين فيقتص من واحد ويأخذ من الآخر الدية، وجوابه بعد فرض انهما جزءا علّة، والمعلول لا يستند إلى الجزء الأخير بل يستند إليهما معا، فيقتص منهما مطلقا مع ردّ فاضل الدية.

الثالث: العفو عنهما مجّانا، وجوابه يمثل هذا ينفث باب الفساد وهو خلاف تشريع القصاص. الرابع: في خصوص عشرة أنفار لو اشتركوا في قتل فيقتص من أحدهم وجوابه لا فرق في ذلك بين القلة والكثرة. فإن الملاك واحد، فيحق للولي أن يقتص منهم مع ردّ فاضل ديتهم.

٩. ظاهر الروايات انه يأخذ نصف الدية من الجاني الثاني لو أراد قتل أحدهما، ولو أراد قتلهما فعلى الولي أن يرد فاضل دية كل واحد منهما إلى ورثتهما، فليل في الصورة الأولى كيف يؤخذ من الجاني الدية والحال الولي هو القاتل وهو السبب، وجوابه انما يرد هذا لو كان المباشر أقوى من السبب، ولكن هنا سبب القتل هو الجاني وهو أقوى من المباشر، وانما يقتص من المباشر للإذن الشرعي.

١٠. عند مطالبة القصاص منهما هل يلاحظ تقدّم الدية عليه أو بالعكس؟ ظاهر النصوص تقديم ردّ فاضل الدية على قصاصهما كرواية أبي مريم^(١٣٦) في القطع، ومنها يستفاد الملاك وفيها كلمة (ثمّ) الدالة على التراخي ويعني ذلك أن يعطي فاضل الدية أولا، ثمّ يقتص منهما، وأنت خبر ان الباب باب التعبدات والرواية إنما وردت في القطع فيشكل تعدّي الحكم إلى القود، كما أنّه ليس كل (ثمّ) تدل على التراخي، وفي آخر الرواية ما يدل على عدم التراخي وعدم لزوم تقديم الدية على القصاص بل تدل على التخيير كما هو المختار.

١١. الواجبات الشرعية المخيرة بين خصال ككفارة من أفطر شهر رمضان متعمدا، انما يكون ترجيح أحدها بإرادة الفاعل

فالمرجح هو الإرادة كما عليه التحقيق، فلو كان التخيير بين قتل أحدهما فإن انتخاب أحدهما بإرادة ولي المقتول. نعم لو كان أحدهما من أهل الخير والصلاح وقد ارتكب هذا الخطأ فالأولى إبقاءه وقتل الآخر.

١٣٦- الوسائل ج ١٩ ص ١٤١ باب ٢٥ من أبواب قصاص الطرف حديث ١ - محمد بن يعقوب عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن محبوب عن هشام بن سالم عن أبي مريم الأنصاري عن أبي جعفر - (إسناده) في رجلين اجتماعا على قطع يد رجل قال: ان أحبّ أن يقطعهما أدّى إليهما دية يد أحد (فاقتسما ثمّ يقطعهما وان أحبّ أخذ منهما دية يد) قال: وان قطع يد إحداهما ردّ الذي لم يقطع يده على الذي قطعته يده ربع الدية. محمد بن الحسن بإسناده عن الحسن بن محبوب نحوه. وزاد: وان أحبّ أخذ منهما دية يد، ورواه الصدوق بإسناده عن الحسن بن محبوب.

١٢. لو اشترك اثنان أو أكثر في قتل واحد بالآلات غير القتالة كالعصا، فلولي الدم حق الرجوع إليهم، فإنهم بمنزلة أجزاء العلة فيقتص منهم مع رد فاضل ديتهم، اللهم إلا أن يكون ضرب أحدهم أشد من الآخر، فينسب القتل إليه عرفاً فيقتص منه، أو تحصل الشبهة الدائرة للحدود فتأخذ الدية حينئذ. وعند بعض العامة: لو كانوا متواطئين على قتله فيقتص منهم، ولا قصاص لو اتفق ذلك ولم يقصدوا القتل، وقال بعضهم يعفى عنهم ولا قصاص، وهما معا كما ترى.

١٣. هل يشترط التساوي في الضربات كما وكيفاً؟ ظاهر إطلاق الأدلة عدم اشتراط التساوي، بل العمدة أن تكون الضربات أجزاء علة القتل، ولا فرق بين القليلة والكثيرة وبين الضعيفة والشديدة. ١٤. قد أشار المحقق الحلي وصاحب الجواهر إلى أنه يعتبر في تحقق عنوان الشركة في القتل أن يكون فعل كل واحد منهما مؤثراً في القتل حالة الانفرد، كما لو اشترك اثنان في دفع المجني عليه من جبل شاهق أو القائه في بئر أو إطعامه مسموماً، فلو فعل كل واحد منهما ذلك منفرداً فإنه يؤثر في موته، وحينئذ يتحقق معنى الشركة، ولكن هذا يتناقض مع التنبيه الرابع فان الضربات الضعيفة لو انفردت لما أثرت في الموت، اللهم إلا أن يقال ان الضربات كلها بمنزلة علة واحدة مركبة من اجزاء، والمعلول ينسب إلى اجزاء علته على حد سواء.

١٥. لو اشترك شخص مع حيوان في قتل، والحيوان تارة يكون مغري عليه من قبل صاحبه، وأخرى غير مغر، اما المغري عليه فقد مرّ الكلام فيه، فإنه كالسيف في يد الجاني فيتوجه القصاص عليه فان السبب أقوى من المباشر، واما إذا كان الحيوان عابراً فهمش على المجني عليه وأعانه آخر على قتله، فإن ولي الدم يستحق نصف الدية من الشخص، أو يقتص منه مع رد فاضل ديته إلى ورثته، وإذا كان الشخص مع حيوان مغري من قبل صاحبه فالولي يأخذ نصف الدية منه والنصف الآخر من صاحب الحيوان.

١٦. من القواعد الفقهية في هذا الباب قاعدة (لا يقاد المسلم بالكافر) لاشتراط التساوي، ولا الأب بالابن دون العكس، ولا الرجل بالمرأة وهو محل خلاف، ولا المولى بالعبد، وغير ذلك. وحينئذ لو اشترك مسلم مع كافر ذمي في قتل المجني عليه وكان كافراً فإنه لا يقتص من المسلم، إنما يؤخذ نصف دية الكافر منه ويقتص من الكافر مع رد فاضل ديته الخاصة إلى ورثته. وكذا لو اشترك الوالد مع آخر في قتل ولده، فإنه لا يقتص من الوالد إنما يقتص من الآخر، إذا أراد الولي ذلك مع رد فاضل الدية، وكذا الكلام في الرجل والمرأة والعبد والمولى.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١ - الجنايات في الفقه الاسلامي دراسة مقارنة بين الفقه الاسلامي والقانون، حسن علي الشاذلي، ط ٢، دار الكتاب الجامعي، المكتبة الشاملة.

٢ - الاستبصار فيما اختلف من الأخبار. أبو جعفر شيخ الطائفة محمد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠)، إعداد السيد حسن الموسوي الخرسان، الطبعة الرابعة، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٩٠.

- ٣- أخبار أصفهان لأبي نعيم (طبع لندن ١٩٣١ م).
- ٤- أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، المكتبة الإسلامية (١٢٨٠ هـ. ق).
- ٥- أسهل المدارك، لأبي بكر بن حسن الكشناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.
- ٦- الأم، لمحمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ - ٢٠٤)، دار المعرفة، بيروت.
- ٧- الإنتصار، للسيد علي بن الحسين الموسوي، المعروف بالشريف المرتضى علم الهدى (٣٥٥ - ٤٣٦)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
- ٨- الإصابة لابن حجر العسقلاني، مطبعة السعادة، أوفست مكتبة المثنى بغداد (طبع ١٣٢٨ هـ. ق).
- ٩- البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار) تأليف أحمد بن يحيى المتوفى سنة ٨٤٠ ج ٥ ص ٢١٤ طبعة سنة ١٣٦٨ مطبعة السنة المحمدية / مصر
- ١٠- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (٥٢٠ - ٥٩٥)، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٤٠٦ هـ
- ١١- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لأبي بكر بن سعود الكاساني (م ٥٨٧)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ
- ١٢- تاريخ بغداد لأحمد بن علي الخطيب، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ١٣- تحفة الفقهاء، علاء الدين السمرقندي، ت ٥٣٩ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٤- تذكرة الحفاظ للذهبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (١٣٧٤ هـ. ق).
- ١٥- التنقيح الرائع لمختصر الشرائع، الفاضل المقداد السيوري، ت ٨٢٦ هـ، مكتبة المرعشي، قم المقدسة.
- ١٦- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، دار صادر، بيروت.
- ١٧- تهذيب الكمال في أسماء الرجال - جمال الدين يوسف المزي - توفي ٧٤٢ - تحقيق بشار عواد - مؤسسة الرسالة. بيروت.
- ١٨- الثقات: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان أبو حاتم البستي السجستاني، تحقيق، محمد عبد المعيد خان، ط ١، ١٣٩٣ - ١٩٧٣ م، دائرة المعارف العثمانية.
- ١٩- الجرح والتعديل للرازي، ط. حيدر آباد سنة ١٣٧١ هـ بترجمة سيف والقعقاع.
- ٢٠- جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام. الشيخ محمد حسن بن باقر النجفي (م ١٢٦٦)، إعداد عدة من الفضلاء، الطبعة السادسة، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٩٨.
- ٢١- حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني، دار الكتاب العربي (طبع ١٤١٧ هـ. ق).
- ٢٢- شرح مختصر خليل للخرشي وبهامشه: حاشية العدوي (في الفقه المالكي) المؤلف: محمد بن عبد الله الخرشي وبالهامش: حاشية أبي الحسن علي بن أحمد العدوي طبع بمطبعة: محمد أفندي مصطفى بمصر سنة الطباعة: 1306 هـ

٢٣- الحاوي الكبير، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (٣٦٤ - ٤٥٠)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ الحداث الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، للشيخ المحدث يوسف بن أحمد البحراني (١١٠٧ - ١١٨٦)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم [بالأوفست عن طبعة النجف الأشرف].

٢٤- رجال الطوسي. أبو جعفر شيخ الطائفة محمد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠)، النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، ١٣٨٠

٢٥- سبل السلام، محمد بن إسماعيل الصنعاني، ت ١١٨٢ هـ، دار الريان، القاهرة.

٢٦- سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، للمحدث الشيخ عباس القمي، انتشارات فراهاني - طهران ١٣٦٣ ش.

٢٧- سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (٢٠٢ - ٢٧٥)، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ

٢٨- سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة (٢٩ هـ) - دار إحياء التراث العربي - تحقيق أحمد محمد شاكر.

٢٩- سنن الدارقطني، علي بن عمر الدارقطني، ت ٣٨٥ هـ، دار المحاسن، القاهرة.

٣٠- السنن الكبرى (سنن البيهقي)، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨)، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، ١٣٤٤ هـ

٣١- سير أعلام النبلاء: للذهبي (٧٤٨ هـ) - مؤسسة الرسالة - إشراف د. شعيب الارنؤوط - ط ٣ - ١٤٠٥ هـجري.

٣٢- الشرح الصغير: أحمد بن محمد بن أحمد الدردير، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٧٢ هـ، بهامش بلغة السالك للصاوي.

٣٣- الشرح الكبير (المطبوع في ذيل المغني)، لأبي الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي (م ٦٨٢)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٤- شذرات الذهب في أخبار من ذهب. « لأبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن العماد الحنبلي (١٠٣٢ - ١٠٨٩). ٨ أجزاء في ٤ مجلدات، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٩ - ١٩٨٨ م.

٣٥- الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، لزين الدين بن علي العاملي، المعروف بالشهيد الثاني (٩١١ - ٩٦٥)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ

٣٦- رياض المسائل في بيان الأحكام بالدلائل، للسيد علي بن محمد علي الطباطبائي (١١٦١ - ١٢٣١)، دار الهادي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ

٣٧- الطبقات الكبرى، لابن سعد، دار صادر، بيروت (١٣٨٠ هـ. ق).

٣٨- طبقات الفقهاء: الشيرازي الشافعي، تحقيق، احسان عباس، ط ١٩٧٠ م، دار الرائد العربي، بيروت.

٣٩- عمدة القارئ، بدر الدين العيني، ت ٨٥٥ هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- ٤٠ - غنية النزوع المطبوع ضمن الجوامع الفقهية: لأبي المكارم ابن زهرة، ط. مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، إيران، قم، عام ١٤٠٤ هـ.
- ٤١ - فتح الباري بشرح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢ هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٤٢ - الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة الزحيلي، دار الفكر، بيروت.
- ٤٣ - الفقه على المذاهب الأربعة: عبد الرحمن الجزيري، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة السابعة، سنة ١٤٠٦ هـ، ق.
- ٤٤ - من لا يحضره الفقيه، لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، المعروف بالشيخ الصدوق (م ٣٨١)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ.
- ٤٥ - الكافي، لثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني (م ٣٢٩)، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨ هـ.
- ٤٦ - الكافي في فقه أهل المدينة المالكي: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي أبو عمر، تحقيق محمد أحمد ولد ماديك الموريتاني، ط ١، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م، مكتبة الرياض الحديثة.
- ٤٧ - كشف القناع، منصور بن يونس البهوتي، ت ١٠٥١ هـ، عالم الكتب، بيروت.
- ٤٨ - المصباح المنير: للفيومي، ط. دار الهجرة، إيران، قم، عام ١٤٠٥ هـ.
- ٤٩ - المبسوط. أبو جعفر شيخ الطائفة محمد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠)، طهران، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، ١٣٨٧ - ١٣٩٣ هـ.
- ٥٠ - المجموع شرح المهذب، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (٦٣١ - ٦٧٦)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.
- ٥١ - المحلى بالآثار، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (٣٨٤ - ٤٥٦)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨ هـ.
- ٥٢ - معجم رجال الحديث: للإمام أبي القاسم الخوئي - منشورات مدينة العلم - قم - ط ٣ - ١٤٠٣ هـ.
- ٥٣ - المدونة الكبرى، للمالك بن أنس (٩٣ - ١٧٩)، مطبعة السعادة، مصر.
- ٥٤ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان (تاريخ الياضي). لأبي محمد عبد الله بن أسعد الياضي (ت ٧٦٨ هـ. ق)، دار الكتاب الاسلامي - القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ. ق.
- ٥٥ - مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام، لزين الدين بن علي العاملي، المعروف بالشهيد الثاني (٩١١ - ٩٦٥)، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٣ - ١٤١٩ هـ.
- ٥٦ - مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، للميرزا حسين النوري الطبرسي (١٢٥٤ - ١٣٢٠)، مؤسسة آل البيت - لإحياء التراث، قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.
- ٥٧ - المسند، لأحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ.
- ٥٨ - معجم الأدباء - ياقوت الحموي ٦١٦ - دار الفكر. بيروت

- ٥٩- المغني، لموفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي (٥٤١ - ٦٢٠)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٦٠- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، لمحمد بن أحمد الشربيني الخطيب (م ٩٧٧)، دار الفكر، بيروت.
- ٦١- ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت (طبع ١٤١٦ هـ. ق).
- ٦٢- الهداية شرح بداية المبتدي، لأبي الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الرشداني المرغيناني (م ٥٩٣)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٦٣- وسائل الشيعة (تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة)، للشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي (١٠٣٣ - ١١٠٤)، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٦ هـ.

وضع السلطة التنفيذية في النظام البرلماني (دراسة مقارنة)

The Status of executive Power in the parliamentary regime: comparative study

أ.م. ميثم حسين الشافعي^(١) Asst.Prof. Maitham H. AL-Shafei

الخلاصة

يختلف وضع السلطة التنفيذية من دولة إلى أخرى حسب النظام السياسي المطبق فوضع السلطة التنفيذية في دولة تطبق النظام البرلماني يختلف وضعها في دولة تعتنق نظاماً سياسياً آخر. إن السلطة التنفيذية تركيبة خاصة ووضع مميز في النظام البرلماني من الناحية النظرية، إلا أن التطبيق يشهدنا عن خروج حقيقي عن منطق هذا النظام. أما نتيجة الرغبة من جانب مشرعي الدساتير في بعض الدول بإحداث نوع من التوازن لمبادئ وأصول تنتمي إلى أكثر من نظام، وأما نتيجة وجود ظروف واقعية تحيط بالدول فتخرجها عن المحاور الرئيسية للنظام البرلماني، الأمر الذي يؤثر على وضع السلطة التنفيذية ويسفر عن تغيير في أوصافها التقليدية، واهتزاز في علاقاتها بالسلطة التشريعية. ويشارك الواقع الفعلي للحوادث السياسية، في رسم ملامح ذلك النظام وتحديد طبيعته. وفي النظام البرلماني يجب أن تكون الحكومة (الوزارة) حائزة على ثقة البرلمان ومتى ما فقدت هذه الثقة عليها أن تستقيل. ومن ناحية أخرى، ولكي لا يكون البرلمان هو المهيمن دائماً فإن الحكومة تستطيع أن تطلب من رئيس الدولة (ملك أو رئيس جمهورية)، حل البرلمان وإجراء انتخابات جديدة. وبهذا تكون الهيئة التشريعية والهيئة التنفيذية في هذا النظام متوازيتين ولكل منهما سلاح تشهره بوجه الهيئة الأخرى عند الحاجة.

وأن دور رئيس الدولة لا يتعدى دور الحكم بين السلطتين التشريعية والتنفيذية وتوجيه النصح والإرشاد لهما ولا يباشر الحكم بنفسه، وحتى ما يصدر عنه ويتوقعه يجب أن يحمل توقيع رئيس الوزراء أيضاً وأحياناً جميع الوزراء. وعلى هذا فإن رئيس الدولة غير مسؤول سياسياً لأن من يمارس السلطة

١ - جامعة كربلاء / مركز الدراسات القانونية والدستورية و كلية العلوم الاسلامية.

الفعلية هو المسؤول عن تصرفاته. وهناك من يعارض هذا الواقع ويقول إنَّ له بعض الاختصاصات التي يقوم بها في ميدان السلطة التنفيذية.

Abstract

The Situation of executive power differ from state to another on according to the political system, So this situation of executive power depend on the political system, the executive power plays a vital role in the parliamentary system from the oritcal side. But in the practical area we can see the breach of this system. And its principles. This because of the desire of legislators to create type of marriage between the principles of some systems, or this happened because of a factual circumstance surrounding some states.

Faces to leave the principles of parliamentary system, so all that will affect on the position of the executive power and its relation with legislative power. In the parliamentary system the government should be have the confidence of the parliament, but when it loss this confidence, it should be out (resign), from another hand to prevent the parliament from domination, a government dissolve the parliament and call for new election. In this situation we will get the balance between two above powers. And each of them have the full power against another. The role of the head of state is limited and he provide the advice to the executive and legislative powers he doesn't have the real power, all decisions come from the prime minster with his signed, therefore, the head of state in the parliamentary system is not responsible because he doesn't have the actual authority to exercise it, but there are some one who see that head of state has some authority on field of his work as a head and as a part of the executive power.

المقدمة

إذا كانت الحياة متطورة بطبيعتها، والنصوص جادة، فإن الفكر هو الذي يتولى المؤاماة في التطبيق الفعلي، وهو الذي يحدث الانسجام والاتساق في عجلة النظام القائم، كي ينمو بانتظام واضطراب، فضلاً عن إيجاد الحلول اللازمة للزمات والمشاكل السياسية، وهو ما يؤدي إلى تطور مبادئ عمل أخرى. وهذا الأمر يظهر بصورة أكثر الحاحاً على مستوى النظام السياسي والسلطة التنفيذية فيه. يختلف وضع هذه السلطة من دولة إلى أخرى حسب النظام السياسي المطبق. وفي النظام البرلماني لا يتعد دور رئيس الدولة الحكم بين السلطتين التشريعية والتنفيذية وتوجيه النصح والإرشاد لهما ولا يباشر الحكم بنفسه، وحتى ما يصدر عنه ويتوقعه يجب أن يحمل توقيع رئيس الوزراء أيضاً وأحياناً جميع الوزراء. وعلى هذا فإن رئيس الدولة غير مسؤول سياسياً لأن من يمارس السلطة الفعلية هو المسؤول عن تصرفاته يجب أن تكون

الحكومة (الوزارة) الحائزة على ثقة البرلمان ومتى ما فقدت هذه الثقة عليها ان تستقيل. وبهذا تكون الهيئة التشريعية والهيئة التنفيذية في هذا النظام متوازنتين فلكل منهما سلاح تشهره بوجه الهيئة الاخرى عند الحاجة. وهو الرأي الراجح لدى اغلب فقهاء واساتذة القانون الدستوري والذين يعدون ضعف دور رئيس الدولة من المميزات الاساسية للنظام البرلماني كونه لا يقوم بأي عمل سياسي عدا اختيار رئيس الوزراء. وحتى في هذه الحالة فأن حرية اختياره محدودة، لانه مجبر على اختيار رئيس الوزراء من بين اعضاء الاغلبية في المجلس. ومع ذلك ثمة من يعارض هذا الرأي ويقول: "إنَّ للسلطة التنفيذية ورئيس الدولة على وجه الخصوص بعض الاختصاصات التي يقوم بها في ميدان السلطة التنفيذية: كحق تعيين رئيس الوزراء واقالة الوزارة علاوة على كونه المرشد الاعلى والحكم بين السلطات... كما ان له اختصاصات تشريعية كحق الاعتراض على القوانين وحق اصدارها... ودعوة البرلمان الى الانعقاد وحق حل المجلس النيابي".

اولا: اهمية البحث

تنبع من اهمية وعراقة النظام البرلماني كونه النظام السياسي الاقدم تطبيقا على مستوى الدول، كما يستمد البحث اهميته من انتشار تطبيق هذا النموذج البرلماني في الكثير من دول العالم لاسيما بعد عام ١٩٩٠ لاسباب عدة. فضلا عن الحاجة لتسليط الضوء على الحدود النظرية ومدى امكانية تطبيقه وفق سياق يحقق الموازنة والتكليف بين النظرية والتطبيق ويضمن النجاح عند هذا التطبيق.

ثانيا: مشكلة البحث

واذا كان للسلطة التنفيذية تركيبه خاصة ووضع مميز في النظام البرلماني من الناحية النظرية، فان التطبيق يؤشر حالات من الخروج عن السياقات النظرية الثابتة لهذا النظام، الامر الذي يدفع الى التساؤل حول مساحه هذا الخروج واثره على وضع السلطة التنفيذية وخصائصها الرئيسة، والاسباب الكامنة وراء ذلك الانفصال بين النظرية والتطبيق لاسيما في بلدنا العراقي.

ثالثا: منهجية البحث

اخذ البحث بالمنهج الوصفي التحليلي والنهج المقارن معتمدين على ذلك النموذج العراقي كأساس المقارنة مع نماذج يتقدمها النموذج البريطاني.

رابعا: خطة البحث

سنتناول هذا البحث في ثلاثة فصول الأول ممارسة السلطة في النظام البرلماني والثاني وضع رئيس الجمهورية في دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥ وتتناول في الثالث وضع رئيس مجلس الوزراء في دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥. ثم خاتمة البحث التي نضمنها أبرز النتائج والتوصيات.

الفصل الأول: ممارسة السلطة التنفيذية في النظام البرلماني

ينبغي لتحديد وضع السلطة التنفيذية في النظام البرلماني وتبيان ملامحها الجوهرية التي تميزها في الأنظمة الأخرى^(٢)، ان نتناول بالدراسة كيفية بناء هذه السلطة، من خلال المبدأ العام الضابط لتشكيلها، وهو مبدأ ثنائية السلطة التنفيذية، ثم نتناول بعد ذلك وضع السلطة التنفيذية، إزاء السلطة التشريعية من خلال مبدأ المساواة بين السلطتين وقيام علاقة التعاون والرقابة المتبادلة بينهما. وتقضي دراسة هذه الموضوعات تقسيم هذا الفصل إلى المبحثين التاليين:

المبحث الأول: في مبدأ ثنائية السلطة التنفيذية.

المبحث الثاني: في مبدأ المساواة بين السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية وقيام علاقة تعاون ورقابة متبادلة بينهما.

المبحث الأول: ثنائية السلطة التنفيذية

تتكون السلطة التنفيذية في النظام البرلماني من طرفين، رئيس الدولة من ناحية، والوزارة كهيئة جماعية من ناحية أخرى. وسوف نعرض للوضع الدستوري الخاص لرئيس الدولة، والوزارة، في المطلبين التاليين:

المطلب الأول: في رئيس الدولة

المطلب الثاني: في الوزارة كهيئة جماعية

المطلب الأول: رئيس الدولة

قد يكون رئيس الدولة في النظام البرلماني ملكاً متوجاً، يتبوأ منصبه عن طريق الوراثة، وقد يكون رئيساً للجمهورية، يلي منصبه بالانتخاب^(٣). وهو في كلا النظامين - الملكي والجمهوري - يعد رئيساً للسلطة التنفيذية. ويلزم أن يكون رئيس الدولة في النظام البرلماني شخصاً آخر غير شخص رئيس الحكومة Chef du Gouvernement، أي غير شخص رئيس الوزارة أو الوزير الأول. إذ لا يجوز بحال لرئيس الدولة أن يجمع بين صفته كرئيس للدولة وبين صفته كرئيس للحكومة. فالنظام البرلماني يقوم على وجوب الفصل العضوي بين المنصبين. ويرى البعض أن مما يؤخذ على النظام البرلماني انه يقوم على اساس الفصل بين منصب رئيس الدولة، وهو رئيس السلطة التنفيذية وفقاً للدستور، ومنصب رئيس الحكومة (رئيس الوزراء) رئيس السلطة التنفيذية من الناحية الفعلية. إذ يضع هذا النظام على رئاسة السلطة التنفيذية شخصين مختلفين مما يؤدي الى الصراع بينهما في سبيل السلطة ويحدث اخطاراً كثيرة أهمها ما قد يصيب الدولة من انقسام في السلطة ومن توزيع للمسؤولية، الأمر الذي يهدد استقرار الحكم ويعطل عملية الإصلاح المرجوة. ويستطرد اصحاب هذا النقد القول: صحيح ان رئيس الدولة هو الذي يختار رئيس الوزراء

٢- الدكتور عبد الله ابراهيم ناصف: مدى توازن السلطة السياسية مع المسؤولية في الدولة الحديثة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨١، ص ٨٢ ومابعدها.

٣- فالنظام البرلماني يمكن ان يتصور وجوده في الدول التي تتبنى النظام الملكي وتلك التي تتبنى النظام الجمهوري، فهذا النظام السياسي قد وجد - في بدايته - في إنجلترا - بلده الأم - ثم أخذت به بلجيكا والسويد ثم اسبانيا في ظل دستور عام ١٨٧٦، وفرنسا بعد سقوط نابليون، وقد طبق هذا النظام أيضاً في الدول الجمهورية فتم تطبيقه في فرنسا عام ١٨٧٠ وفي تشيكوسلوفاكيا وبولونيا عام ١٩٢٦. انظر د. عبد الله ابراهيم ناصف، المصدر السابق، ص ٨٦.

والوزراء ويعفيهم من مناصبهم مما قد يفيد تبعيتهم له وخضوعهم لسلطانه، ولكن هؤلاء اذ يعتمدون في استمرارهم في الحكم على ما يوليه اياهم البرلمان من ثقه، فانهم يستطيعون بحكم مصدرهم الشعبي ان ينازعوا رئيس الدولة السلطة وان يفرضوا عليه اتجاههم في شؤون السياسة العامة. ونرى ان هذا النقد في غير محله ذلك أن النظام البرلماني في شكله التقليدي يقوم على اساس عدم مسؤولية رئيس الدولة وعدم تمتعه بسلطات فعلية وحقيقية في شؤون الحكم، فهو لا يملك منها الا الجانب الاسمي، وتملك الوزارة في هذا النظام مباشرة السلطات الحقيقية اذ تمثل المحور الاصلي والفعال في مباشرة شؤون السلطة. فالنظام البرلماني لا يفترض قيام صراع في سبيل السلطة بين طرفي السلطة التنفيذية اي بين رئيس الدولة ورئيس الوزارة، ولا يترتب على ذلك زعزعة او تهديد لاستقرار الحكم، ولو حدث مثل هذا الصراع الذي تصوره اصحاب هذا النقد فاننا لانكون ازاء نظام برلماني تقليدي، بل ازاء نظام يتضمن خروج على القواعد والاصول المعروفة في النظام البرلماني في شكله التقليدي.

وإذا كان رئيس الدولة في النظم البرلمانية الملكية يتبوأ منصبه عن طريق الوراثة، الأمر الذي يكفل له الاستقلال تجاه السلطة التشريعية، فلا يكون خاضعاً للبرلمان، فإنه في النظم الجمهورية يتولى منصبه بالانتخاب، إما عن طريق الشعب مباشرة وإما عن طريق البرلمان.

ويشير الفقه الدستوري الى ان اختيار رئيس الدولة في النظم الجمهورية عن طريق الشعب مباشرة أو عن طريق البرلمان له عواقبه التي قد تخل بمقتضيات النظام البرلماني القائم على المساواة والتوازن بين السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية^(٤)، فاذا جاء الرئيس عن طريق الانتخاب الشعبي election populaire، فمن شأن ذلك العمل على تقوية مركزه، لشعوره بأنه جاء منتخباً عن طريق الاقتراع العام من جانب الشعب بأسره، وبالتالي فإنه يكون أعلى مرتبة من البرلمان، أما اذا جاء الرئيس عن طريق البرلمان، فمن شأن ذلك أن يؤدي الى ضعف مركزه بل والى جعله في مركز ادنى مرتبة من مركز البرلمان، أو بمعنى أدق يؤدي ذلك الى جعل رئيس الدولة في مركز التابع بالنسبة للبرلمان^(٥)، ويجعل النظام قريباً من نظام حكومة الجمعية، وهو ما يتنافى وسمّة التوازن والمساواة بين كل من السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية، هذا فضلاً عن أنه يجعل أمر اختيار الرئيس واقعاً تحت سيطرة الأحزاب السياسية ومناوراتها^(٦). على أي حال فانه في مجال التفضيل بين أسلوب الانتخاب الشعبي او الانتخاب عن طريق البرلمان، فان الفقه الفرنسي يفضل، لتحقيق النظام البرلماني في النظم الجمهورية، أن يتم انتخاب الرئيس عن طريق البرلمان بالاقتراع السري، حتى يمكن الابتعاد عن سيطرة الاحزاب والبعد عن مناوراتها. ويرى الاستاذ Julien Laferriere، انه على الرغم من التسليم - من وجهة النظر السياسية- باحتمال خضوع الرئيس للبرلمان، فان هذا الاسلوب - من وجهة النظر القانونية- لا يترتب بالضرورة عنصر التبعية، أي تبعية رئيس الدولة للبرلمان، مادام ان هذا

٤- الدكتور/ ثروت بدوي، النظرية العامة للنظم السياسية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٣٣١.

٥- الدكتور/ مصطفى ابو زيد، النظام البرلماني في لبنان، الشروق، بيروت، ١٩٦٩، ص ٢٢.

٦- ويقول الدكتور ثروت بدوي في هذا الخصوص: "ان النظام البرلماني الاصيل الذي يمكن ان يقوم فيه توازن فعلي بين السلطتين التشريعية والتنفيذية لا يتحقق الا في البلاد ذات الشكل الملكي، فليس الدولة الذي يستمد سلطته بالوراثة يكون مستقلاً عن البرلمان، كما ان هذا الاخير يحكم انه قد تم تكوينه بالانتخاب الشعبي يستطيع ان يقف في مركز متعادل مع السلطة التنفيذية التي على رأسها الملك. أما حيث يكون اختيار رئيس الدولة بيد البرلمان فان كفة هذا الاخير سترجح حتماً على كفة السلطة التنفيذية، ويصبح رئيس السلطة التنفيذية في مركز التابع للسلطة التشريعية". انظر د. ثروت بدوي، المصدر السابق، ص ٣٣١.

الآخر لا يملك حق عزله طيلة مدة رئاسته، فهذا الرئيس يصبح بعد اختياره - من جانب البرلمان - مستقلاً ما دام ان بقاءه في الحكم غير مرهون برضاء البرلمان^(٧). ونحن من جانبنا نرى أن اختيار رئيس الدولة في النظام البرلماني عن طريق البرلمان لا يرتب بالقطع والضرورة تبعية رئيس الدولة للبرلمان الذي قام باختياره، ما دام ان الرئيس يتمتع بضمانات تكفل له الاستقلال ازاء البرلمان، وأهم هذه الضمانات تقرير عدم مسؤوليته السياسية. ونرى انه لا مجال للاستشهاد، في هذا الخصوص، بما يقال " ان الخالق يقيد المخلوق " و "ان الرئيس - المختار عن طريق البرلمان- يعد ربيب المجلس الذي اختاره" للتدليل على توفر علاقة تبعية وخضوع دائمة وحتمية من جانب الرئيس للبرلمان الذي قام باختياره. فهذه الأقوال، ان صدقت في بعض الدول لظروف خاصة برؤساء الدول كضعف شخصيتهم وهوان نفوذهم، أو لطبيعة النظام الدستوري ذاته كنظام حكومة الجمعية او المجلسي، فهي لا تصدق بحال في الدول البرلمانية التي تقرر عدم المسؤولية السياسية لرئيس الدولة أمام البرلمان، مادام انه ليس بمقدور هذا الأخير حق إقالة رئيس الدولة أو عزله طيلة مدة ولايته الدستورية في الحكم.

أولاً: عدم مسؤولية رئيس الدولة سياسياً:

يقصد بمبدأ عدم مسؤولية رئيس الدولة سياسياً في النظام البرلماني عدم جواز مساءلته عن شؤون الحكم أمام البرلمان، فلا يكون للبرلمان حق سؤاله أو استجوابه أو الاقتراع بعدم الثقة به لارغامه على الاستقالة^(٨) قبل انتهاء مدة حكمه أو رئاسته^(٩). فالنزاع - على حد قول الفقه الفرنسي - بين الحكومة والبرلمان لا يمكن ان تلحق عواقبه بحال رئيس الدولة، فهو غير مسؤول على الاطلاق^(١٠). وقاعدة عدم مسؤولية رئيس الدولة في النظام البرلماني قد نشأت في المجتراء أعمالاً للمبدأ الانجليزي الشهير "الملك لا يخطئ" "The king can do no wrong"، وهو ما عبر عنه الفقه الفرنسي بالقول: "La Roi ne peut Malfaire" وما دام ان الملك لا يخطئ فلا يمكن أن تلحقه المسؤولية بحال.

وعدم مسؤولية رئيس الدولة في الأنظمة الملكية البرلمانية قاعدة مطلقة، فالملك لا يسأل سياسياً كما لا يسأل جنائياً، بل ولا يمكن ملاحقته على الاطلاق. وكما يقول الفقه الانجليزي انه لو حدث وقتل الملك بيده وزيراً فان المسؤولية تقع على عاتق رئيس الوزراء أو الوزير الأول، أما إذا قتل الملك رئيس الوزراء أو الوزير الأول فلا تكون هناك مسؤولية على أحد^(١١). ان ذلك تطبيق بسيط لما تضمنته الوثائق الانجليزية من ان شخصية الملك مصونة لا تمس La personne du roi est inviolable et sacree وتقرير مبدأ عدم مسؤولية رئيس الدولة في النظام الملكي البرلماني ليس سوى نتيجة طبيعية لنظرية الحق الالهي droit divin للملوك، وتطبيق منطقي للمبدأ الانجليزي الشهير "العدالة تنبع من ضمير الملوك" باعتبارهم يمثلون

٧- د. إبراهيم عبد العزيز شيجا، وضع السلطة التنفيذية في الأنظمة السياسية المعاصرة، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٦، ص ١٣.

٨- الدكتور عبد الحميد متولي، القانون الدستوري والأنظمة السياسية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٣٢٢.

٩- الدكتور إبراهيم عبد العزيز شيجا، المصدر السابق، ص ١٤.

١٠- كما لا يجوز اقحام اسم الرئيس في مناقشات تجري بالمجلس بمناسبة اذانة عمل حكومي.

١١- وقد عبر دايسي أيضاً عن ذات المعنى قائلاً أن الملك إذا قتل رئيس وزرائه فلا توجد محكمة ينعقد لها الاختصاص بهذا الفعل.

رمز العدالة في الدولة^(١٢). غير أنه إذا كانت قاعدة عدم مسؤولية رئيس الدولة الملكية البرلمانية قاعدة مطلقة، فلا يسأل الملك بحال لا من الناحية السياسية ولا من الناحية الجنائية، فإن هذه القاعدة تعد قاعدة نسبية في الأنظمة الجمهورية البرلمانية حيث تقتصر عدم مسؤولية رئيس الدولة على النطاق السياسي وحده دون الجنائي^(١٣).

بمعنى أنه يمكن مسألة رئيس الدولة عن ارتكابه للجرائم، مثله في ذلك مثل بقية أفراد وطنه^(١٤). على كل حال فمن المسلم به في الأنظمة البرلمانية- ملكية كانت أو جمهورية- أن رئيس الدولة لا يكون مسؤولاً أمام البرلمان، ولا يكون بمقدور هذا الأخير أن يجبره على الاستقالة بأي حال من الأحوال^(١٥).

ثانياً: نتائج عدم مسؤولية رئيس الدولة:

هناك نتيجتان أساسيتان تترتبان على تقرير عدم مسؤولية رئيس الدولة سياسياً في النظم البرلمانية:

النتيجة الأولى: انتقال السلطات الفعلية للوزارة:

إنَّ أول نتيجة تترتب على عدم جواز مساءلة رئيس الدولة في الأنظمة البرلمانية تكمن في وجود البديل الذي يتحمل مسؤولية سياسة الحكم، وهذا البديل هو الوزارة. ولما كان من المبادئ المقررة أن المسؤولية تدور مع السلطة وجوداً وعدمًا، أي أنه حينما توجد المسؤولية توجد السلطة^(١٦) La ou est la, responsabilite la est le pouvoir فإن ذلك يؤدي إلى انتقال سلطة البت في أمور الحكم من رئيس الدولة- غير المسؤول- إلى الوزارة المسؤولة. لذلك كان القول الدائع لدى الفقه الانجليزي "ان الملك يسود ولا يحكم" "The King reigns but does not rule" أو "La Roi regne mais ne gouverne pas" وتبعاً لذلك لا يكون لرئيس الدولة في الأنظمة البرلمانية سياسة خاصة أو برنامجاً ذاتياً، فهو لا يقوم بوضع سياسة الدولة بنفسه، فوضع هذه السياسة وتحريك دفة الأمور في الدولة يكون أمراً متروكاً للوزارة التي تعد حجر الزاوية في النظام البرلماني^(١٧). وسلطات رئيس الدولة لاتعدو في هذا النظام أن تكون مجرد سلطات

١٢- الدكتور مصطفى فهمي أبو زيد، المصدر السابق، ص ٢٣.

١٣- ويشير الفقه إلى أن الحياة السياسية قد عرفت استثناءات ضئيلة على قاعدة عدم مسؤولية رئيس الدولة في الجمهوريات البرلمانية، إذ قررت بعض الدساتير- كدستور فيمر الصادر عام ١٩١٩، ودستور النمسا الصادر عام ١٩٢٠، ودستور الجمهورية الإسبانية الصادر عام ١٩٣١- امكانية عزل رئيس الجمهورية قبل انتهاء مدة رئاسته بناء على اقتراح البرلمان وموافقة أغلبية الناخبين. انظر الدكتور ابراهيم عبدالعزيز شيحا، المصدر السابق ص ١٦. ونحن لانرى في مثل هذه الدساتير تقرير لاستثناءات على قاعدة عدم مسؤولية رئيس الدولة، فالبرلمانات في ظل أحكام هذه الدساتير لاتملك وحدها حق اقالة الرئيس أو عزله، بل انها تملك مجرد الاقتراح، ويعرض امر اقالة على الناخبين أنفسهم أصحاب الحق في التقرير، فالبرلمانات لاتستطيع بحال مسألة رئيس الدولة أو اقالته بارادتها لما يتضمنه ذلك من خروج على أهم القواعد المألوفة في الأنظمة البرلمانية، وهي عدم مسؤولية رئيس الدولة سياسياً.

١٤- ويحكم رئيس الجمهورية إما أمام محاكم خاصة- وهذا هو الغالب، أو أمام المحاكم العادية. وعلى أي حال فان الدساتير هي التي تحدد المحكمة المختصة وجهة الاتهام أمامها. كما تحدد أيضاً مجال المسائلة الجنائية لرئيس الجمهورية.

١٥- وإذا كان البرلمان في الأنظمة البرلمانية لا يستطيع أن يثير مسؤولية رئيس الدولة أو يطلب منه الاستقالة، الا أن البرلمان قد يعمد الى عدم التعاون معه او يناصبه العداة فيضع أمامه من العقوبات ما يضعف سلطته ونفوذه. الأمر الذي قد يؤدي بالرئيس الى الاستقالة، حدث ذلك فعلاً في فرنسا عام ١٨٨٧ بالنسبة للرئيس GREVY وعام ١٩٢٤ بالنسبة للرئيس Millerand حيث قدم كل من الرئيسين استقالتهم الى البرلمان. الامر الذي يتعارض مع مقتضيات النظام البرلماني الذي اعتمدته الدساتير الفرنسية آنذاك ومانصت عليه من عدم مسؤولية رئيس الدولة سياسياً.

١٦- د. ابراهيم عبد العزيز شيحا، المصدر السابق، ص ١٨.

١٧- ويرى الفقه ان هذا الوضع يكون أكثر اتفاقاً مع المبدأ الديمقراطي الذي يركز السيادة للشعب ويجعله صاحب الأمر في تصريف شؤون الدولة. فما دام ان الوزارة تتألف في هذا النظام من زعماء حزب الأغلبية، أو يدعى الأقل تكون مؤيده من أغلبية

فخرية أو أسمية لافعلية. ويترتب على ذلك أن جميع السلطات التي تمنحها الدساتير لرؤساء الدول في الأنظمة البرلمانية، كتنعين الموظفين وعزلهم، وتوقيع المعاهدات، ودعوة البرلمان للانعقاد وتأجيله وحله، واستعمال حق العفو، هي في الواقع حقوق أسمية لرئيس الدولة، ويكون صاحبها الحقيقي الوزارة المسؤولة^(١٨). ان انتقال سلطات رئيس الدولة غير المسؤول إلى الوزارة المسؤولة أمر منطقي تحتمه طبيعة الأشياء: فلو أن الرئيس قد استأثر بالتصرف، فلا بد من توقع احتمال الصواب أو الخطأ من جانبه. فاذا أخطأ الرئيس وجبت مساءلته عن تصرفه. ولتفادي التعارض بين هذه النتيجة وقاعدة عدم مسؤولية رئيس الدولة وجب أن يجرّد الرئيس من سلطاته والتسليم بها للوزارة بحيث لا يكون لرئيس الدولة في الأنظمة البرلمانية إلا مجرد مركز شرقي أو فخري.

النتيجة الثانية: رئيس الدولة لا يستطيع العمل منفرداً

والنتيجة الثانية لعدم مسؤولية رئيس الدولة في الأنظمة البرلمانية تكمن في عدم امكانية مباشرة الرئيس لاختصاصاته منفرداً وهو ما عبر عنه الفقه الانجليزي بأن "الملك لا ينفرد وحده بالتصرف" The king can not act alone. فجميع اختصاصاته المسندة اليه كرئيس للدولة يجب أن يمارسها عن طريق وزرائه، ويجب ان تكون قراراته بشأنها ممهّرة بتوقيع الوزراء المختصين. ونتيجة لذلك تنعقد مسؤولية كل منهم عن القرارات التي مهرها^(١٩).

ويترتب على النتيجة السابقة أن أوامر رئيس الدولة لا تخلي الوزراء من المسؤولية، فلا يستطيع أي منهم الاحتماء خلف توقيع رئيس الدولة للتوصل من المسؤولية عن القرارات والاعمال الصادرة عنه، فهذه الأعمال تعد وكأنها صادرة منهم حتى اذا قام بها رئيس الدولة بنفسه^(٢٠).

ويشير الاستاذ Julien Laferriere الى أن قاعدة التوقيع المجاور أو المزدوج (Le Contresing) تمثل قاعدة مطلقة، فهي تشمل جميع أعمال رئيس الدولة المكتوبة- باستثناء بعض الحالات المنصوص عليها- حتى ولو لم تكن هذه الأعمال ترتب آثاراً قانونية أو لم يكن لها صفة تنفيذية، كالبرقيات الخاصة بالتهنئة التي ترسل إلى رؤساء الدول الأجنبية بمناسبة ارتقاء العرش أو الزواج^(٢١)، كذلك بالنسبة للرسائل التي يبعث بها رئيس الدولة إلى البرلمان ليشكره على انتخابه اياه، فهذه الرسائل تخضع أيضاً لقاعدة التوقيع المزدوج^(٢٢).

ويشير الفقه الى استثنائين على هذه القاعدة:

الأول: يتعلق باستقالة رئيس الدولة ذاته، فالعرف قد جرى على عدم خضوع الخطاب الذي يرسله الى البرلمان متضمناً أمر الاستقالة لقاعدة التوقيع المجاور، لأن الأمر يتعلق بعمل شخصي لرئيس الدولة.

أعضائه على الأقل، أنظر الدكتور محمد كامل ليله، النظم السياسية، الدولة والحكومة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٦٣٠.

١٨- د. ابراهيم عبدالعزيز شيجا، المصدر السابق، ص ١٩.

١٩- د. عبدالعزيز شيجا، المصدر السابق، ص ٢٠.

٢٠- د. مصطفى أبو زيد: النظام البرلماني في لبنان، المصدر السابق، ص ٢٨. والدكتور ابراهيم درويش، القانون الدستور النظرية العامة، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٥٢ وما بعدها.

٢١- وقد نص الدستور الفرنسي الصادر عام ١٨٧٠ على قاعدة التوقيع المزدوج.

٢٢- د. عبدالعزيز شيجا، المصدر السابق، ص ٢٥.

الثاني: يتعلق بتعيين الرئيس الجديد للوزارة حيث لا يكون في الحكم رئيس للوزراء قط، ولا يتصور في هذه الحالة أن يدعي رئيس الوزارة المستقيلة أو المقالة للتوقيع على قرار تعيين الرئيس الجديد^(٢٣).

وإذا كانت قاعدة التوقيع المجاور تغطي -كقاعدة عامة- جميع أعمال رئيس الدولة المكتوبة فما هو الحكم بالنسبة لتصرفاته غير المكتوبة؟ ان هذه التصرفات، وان لم يتصور ان يجري بشأنها توقيع مجاور، يظل الوزراء المعنيون مسؤولين عنها. ويوضح الاستاذ JULIEN LAFERRIERE ذلك بقوله: ان رئيس الدولة اذا ذهب لرأس احتفالاً وألقى فيه خطاباً سياسياً، أو ذهب لاستقبال احد الرؤساء، ففي هاتين الحالتين لا بد وأن يصحبه وزير مختص، وهو في هذه الحالة يحضر ليتحمل مسؤولية تصرف رئيس الدولة، وتكون الوزارة هي المسؤولة عن جميع تصرفات الرئيس طالما لم تقدم احتجاجاً على ماصدر عنه من تصرفات وما اتخذ من مواقف.

ويكون هذا الاحتجاج بطبيعة الحال عن طريق تقديم استقالتها، فهي ان لم تفعل ذلك وبقيت في الحكم كان ذلك قرينة على قبولها لتصرفات الرئيس. وتكون هي وحدها المسؤولة أمام البرلمان عن جميع تصرفاته، فهي لا تستطيع بحال التنصل من مسؤوليتها بحجة أن هذه التصرفات هي تصرفات خاصة برئيس الدولة، أو أنه قام بما دون علم الوزراء المختصين أو في غيبتهم^(٢٤).

إذا كان مبدأ عدم مسؤولية رئيس الدولة في النظام البرلماني قد أدى إلى انتقال السلطات الفعلية في الحكم إلى الوزارة، وأن الرئيس يزاول تبعاً لذلك سلطاته التي اسندها اياه الدستور عن طريق وزرائه، فإن التساؤل يثار عما إذا كان هناك من سلطات يستطيع رئيس الدولة أن يمارسها بصفة فعلية وبنفسه. جرى الفقه الدستوري على الإشارة الى حالتين يمارس فيهما رئيس الدولة سلطات حقيقة وفعلية في شؤون الحكم.

أولاً: حق رئيس الدولة في تعيين الوزراء وإقالتهم:

ان رئيس الدولة في الحكومات البرلمانية هو الذي يقوم بتعيين الوزراء وإقالتهم، هكذا تنص الدساتير في الدول البرلمانية، فهل يملك رئيس الدولة في هذا الخصوص حقاً فعلياً وذاتياً يمارسه بنفسه. أن واقع الحال في الدول البرلمانية يفيد أن حق رئيس الدولة بشأن تشكيل الوزارة يكون قاصراً على اختيار رئيس الوزراء، ويقوم هذا الأخير بدوره - بعد تكليفه من رئيس الدولة - باختيار اعضاء الوزارة حتى يضمن تعاونهم معه في تسيير دفة الحكم. ولتبيان ذلك ينبغي أن نعرض لمدى حق رئيس الدولة في تعيين رئيس الوزراء وحقه في تعيين اعضاء الوزارة^(٢٥).

١ - تعيين رئيس الوزراء:

إن من حق رئيس الدولة في النظام البرلماني أن يقوم باختيار رئيس الوزراء، فعند إقالة الوزارة القديمة أو استقالتها يقوم رئيس الدولة باختيار رئيس الوزراء الجديد. وبطبيعة الحال لا يخضع تصرف الرئيس في هذا

٢٣ - انظر الدكتور مصطفى أبو زيد، المصدر السابق، ص ٣٠.

٢٤ - د. عبد الحميد متولي، المصدر السابق، ص ٣٣٠.

٢٥ - د. طعيمة الجرف، نظرية الدولة والمبادئ العامة للأنظمة السياسية ونظم الحكم، دراسة مقارنة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٥٣١.

الخصوص لقاعدة التوقيع المجاور، اذ لا يتصور في هذه الحالة أن يدعي رئيس الوزارة المستقيلة أو المقالة للتوقيع على قرار تعيين رئيس الوزارة الجديدة. وهنا يصدق القول بأن رئيس الدولة يتصرف منفرداً ويكون قرار تعيين رئيس الوزارة موقعاً من رئيس الدولة وحده^(٢٦).

٢- رئيس الوزراء زعيم حزبي:

إذا كان رئيس الدولة هو الذي يقوم باختيار شخص رئيس الوزراء فان التساؤل يثار حول ما اذا كان يتمتع في هذا الشأن بسلطة فعلية وحقيقة ان هذا الحق يبدو مجرد حق نظري محض^(٢٧)، فريث الدولة يكون مقيداً باختيار زعيم حزبي، انه لا يستطيع تجاهل هذه السمة في الشخص المختار لمنصب رئاسة الوزراء أو الوزير الأول، فحقه في هذا الخصوص لا يكون طليقاً، بل يكون مقيداً بالشخص الذي يحصل على ثقة البرلمان.

فاذا كان هناك حزب يمثل أغلبية برلمانية (وهذا هو الغالب) فالرئيس يكون مقيداً بدعوة الزعيم الحزبي لهذه الأغلبية لرئاسة الوزارة، فهو يكون مقيداً في هذه الحالة بتمكين الحزب صاحب الأغلبية من الحكم. ولن يتحقق ذلك، بطبيعة الحال، الا اذا جاء رئيس الوزارة واعضاؤها من حزب الاغلبية لأن استمرار الوزارة في الحكم أمر مرهون بمصول هذا الأخير على ثقة البرلمان وتأييده^(٢٨). على هذا النحو يكون رئيس الوزراء شبه مفروض على رئيس الدولة، الأمر الذي ينبئ عن دور هذا الأخير في شأن هذا الاختيار. وتبعاً لذلك يمكن القول ان حق رئيس الدولة في اختيار رئيس الوزراء لا يعدو أن يكون حقاً نظرياً بحتاً.

أما إذا لم يكن هناك حزب معين تتمثل فيه الأغلبية البرلمانية، أي حيث تتعدد الأحزاب دون حصول احداها على أغلبية المقاعد في البرلمان، فان رئيس الدولة يتمتع في هذه الحالة بشيء من حرية الاختيار والمفاضلة بين زعماء هذه الأحزاب^(٢٩) ويكون اختياره لرئيس الوزراء قائماً على تقديره الشخصي لكفاءة رئيس الوزراء ومدى قدرته على خدمة البلاد، وعلى حصوله على تأييد البرلمان له ولبرامجه السياسية^(٣٠). ونرى أن رئيس الدولة وان كان يتمتع في هذا الفرض بحرية الاختيار، إلا أنه يكون مقيداً إذ لا يستطيع أن يختار شخصاً لا يتمتع بثقة بعض الكتل البرلمانية ذات الثقل، والا ما كان بمقدور ذلك الشخص أن يحوز على ثقة البرلمان وتأييده. أن حق رئيس الدولة في الفرضين يكون مقيداً بشأن اختيار رئيس الوزراء. في الفرض الأول يكون مضطراً لاختيار الرئيس من حزب الأغلبية، بل ان شئنا الدقة قلنا أن هذا الأخير يكون مفروضاً على رئيس الدولة فيغدو حق الرئيس في التعيين مجرد حق نظري بحت. وفي الفرض الثاني يكون الرئيس - وان كان له بعض الحرية مضطراً لاختيار أحد زعماء الأحزاب التي تحوز على رضاء الكتل البرلمانية ذات الثقل. فالرئيس يكون مقيداً في الفرضين بمواقف الأحزاب السياسية.

٣- تعيين الوزراء:

٢٦- د. مصطفى ابو زيد، المصدر السابق، ص ٣٠.

٢٧- د. ثروت بدوي، المصدر السابق، ص ٣٣٣.

٢٨- د. طعيمة الجرف، المصدر السابق، ص ٥٩٢.

٢٩- د. ابراهيم درويش، المصدر السابق، ص ١٥٦.

٣٠- د. محمد كامل ليله، المصدر السابق، ص ٦٣٣. د. ثروت بدوي، المصدر السابق، ص ٣٣٣.

قلنا إنَّ الدساتير البرلمانية، وإن أعطت لرئيس الدولة حق تعيين الوزارة، إلا أن العمل قد جرى على أن يعطي رئيس الدولة لرئيس الوزارة سلطة اختيار زملائه الوزراء، ويقوم هذا الأخير بعرض أسماء المرشحين على رئيس الدولة ليصدر قراراً يحمل توقيعاً مجاوراً أي يحمل توقيعاً مزدوجاً من رئيس الدولة ورئيس الوزراء معاً.

ومن الجدير في هذا الخصوص أن نشير إلى أن رئيس الوزراء يتمتع في شأن تشكيل الوزارة وانتقاء أعضائها بسلطة تقدير واسعة، فهم أعوانه في تنفيذ سياسته، والمسؤول عنهم تجاه رئيس الدولة وتجاه البرلمان، غير أن سلطة رئيس الوزراء التقديرية في هذا الخصوص ليست بمطلقة، فإن كان الرئيس ينتمي لحزب الأغلبية فإنه يكون مقيداً بضرورة انتقاء زملائه من البارزين من قيادات الحزب الذي ينتمي إليه، بل أن العمل يشير إلى أن مرجع اختيار الوزراء يكون للحزب نفسه لا لحض إرادة رئيس الوزراء^(٣١).

أما إذا لم يكن هناك حزب يمثل الأغلبية في البرلمان، فإن رئيس الدولة وكذلك رئيس الوزراء يتمتعان ببعض الحرية في اختيار الوزراء، إذ ليس هناك حزب يمثل أغلبية برلمانية تستطيع أن تفرض أعضائها في تشكيل الوزارة^(٣٢) وحتى في هذه الحالة نجد أيضاً أن حرية رئيس الوزراء ليست بمطلقة إذ يكون مضطراً إلى مجاملة الكتل النيابية ذات الثقل في المجلس حتى يؤمن لوزرائه حياة مستقرة فتمكن الوزارة من البقاء في الحكم. على أي حال فإذا كانت المبادئ الدستورية في الدول البرلمانية تعطي لرئيس الدولة حق تعيين الوزراء. فإن حقه في هذا الخصوص لا يعدو أن يكون حقاً شكلياً، إذ يتم تعيينهم من الناحية الفعلية عن طريق رئيس الوزراء.

٤- اقالة الوزراء:

كما يكون من حق رئيس الدولة تعيين رئيس الوزراء والوزراء وعلى النحو السابق ابرازه، فهو يملك أيضاً حق عزلهم. وحقه في العزل كحقه في التعيين لا يكون مطلقاً دون قيد، فهو يكون مقيداً بموقف الأحزاب في البرلمان^(٣٣). فريئيس الدولة إذا عزل وزارة مؤيده من الأغلبية البرلمانية وحاصلة على ثقتها- وهو أمر نادر الحدوث- فإن الأمر سينتهي بحل البرلمان واجراء انتخابات جديدة، فإذا اسفرت نتائج الانتخابات عن فوز حزب الوزارة المقالة بحصوله على الأغلبية البرلمانية فلا مناص من تأليف الوزارة الجديدة من ذات الحزب^(٣٤). ومعنى ذلك ان إقدام رئيس الدولة على اقالة وزارة معززة بثقة الأغلبية ليس من الأمور التي يستهان بها، إذ يضع رئيس الدولة نفسه في موقف حرج لا يحسد عليه اذا ما إنتصر حزب الأغلبية وتم تشكيلة للوزارة الجديدة. الأمر الذي يسيء الى مركز الرئيس الشخصي وينال من مكانته. كما يحمل ذلك أيضاً معنى أن إرادة الشعب قد وضحت بشأن الخلاف الذي نشب بين رئيس الدولة والبرلمان- الذي كان مؤيدا للحكومة المقالة- الأمر الذي يصم قرار الرئيس الصادر باقالة الوزارة بالخطأ^(٣٥)، أما إذا اقدم رئيس الدولة على اقالة وزارة غير حائزة على ثقة الأغلبية البرلمانية، فإن الأمر لا

٣١- د.عبد العزيز شيجا، المصدر السابق، ص ٢٧.

٣٢- د. مصطفى أبو زيد، المصدر السابق، ص ٤٦.

٣٣- المصدر نفسه، ص ٤٧.

٣٤- وهذا الموقف يتمثل في رأي هيئة الناخبين.

٣٥- د. محمد كامل ليلة: المصدر السابق، ص ٦٣٤.

يثير صعوبات عملية أو سياسية تذكر، فالاقالة تكون متفقة ورأي البرلمان ومؤيده لموقفه إزاء الوزارة المقالة، ويكون تصرف الرئيس سليماً لاغبار عليه^(٣٦).

ثانياً: حق رئيس الدولة في حل المجلس حلاً رئاسياً: Dissolution Presidentielle

يتحقق الحل الرئاسي لحل خلاف بين رئيس الدولة من جانب والوزارة والبرلمان من جانب آخر. فإذا ما أراد رئيس الدولة إقالة وزارة تحوز على ثقة الأغلبية في البرلمان، لعدم موافقته على سياستها، وقام بتشكيل وزارة من الأقلية، فإنه يلجأ إلى حل البرلمان واجراء انتخابات جديدة لاستطلاع رأي الشعب على موقفه من إقالة الوزارة^(٣٧). ويسمى الحل في هذه الحالة حلاً رئاسياً، لأن مبناه الفكر الشخصي لرئيس الدولة^(٣٨)، وان القصد من اجرائه حل نزاع بين الرئيس من ناحية والوزارة المعززة بثقة البرلمان من ناحية أخرى.

فإذا تم حل البرلمان واسفرت نتيجة الانتخابات عن أغلبية برلمانية تؤيد الوزارة المقالة، كان ذلك دلالة على خطأ تصرف الرئيس، ويكون على الوزارة الجديدة (وزارة الأقلية) أن تقدم استقالتها، ولا مفر حينئذ من تأليف وزارة من حزب الأغلبية الفائز في الانتخابات^(٣٩) ومثل هذا الوضع من شأنه كما قلنا أن يؤدي إلى اضعاف مركز رئيس الدولة وتعريض شخصه لخطر شديد. أما إذا جاءت نتيجة الانتخابات بأغلبية برلمانية تؤيد الوزارة الجديدة، فان ذلك يعني ان تصرف رئيس الدولة لا طعن عليه، وانه كان محقاً في إقالة الوزارة القديمة.

على هذا النحو نستطيع القول انه إذا كان لرئيس الدولة حق حل البرلمان بنفسه لتأزم الوضع وحدوث خلاف بينه وبين الوزارة المعززة بثقة البرلمان، فان حقه في هذا الخصوص لا يكون طليقاً دون قيد، إذ يكون الرئيس مقيداً برغبة واتجاه الرأي العام بأن يبين له من واقع الحال والظروف السياسية المحيطة أن الوزارة المؤيدة بالبرلمان لم تعد تعبر عن الرأي العام وإرادة الأمة وهو أمر يكشف عنه الشعب ذاته عند إجراء الانتخابات^(٤٠). غير أنه يثار التساؤل في هذا الخصوص عما اذا كان الحل الرئاسي يحدث في اعقاب وزارة الأغلبية، فهل يخضع تصرف الرئيس في استخدامه هذا الحق لقاعدة التوقيع المزدوج؟ أي المجاور، أم أنه يستعمل هذا الحق على سبيل الانفراد فيصدر قرار الحل مهماً منه وحده؟ ان استخدام الرئيس لحقه في حل البرلمان وان كان بناء على فكرة الشخص وارادته، إلا أنه يستعمله عن طريق وزارته الجديدة وهي وزارة الأقلية أو الوزارة الائتلافية، فهذا الحق يستخدمه الرئيس أيضاً عن طريق وزارته شأنه في ذلك شأن بقية الحقوق المسندة إليه في النظام البرلماني، ويجب أن يحمل تصرف الرئيس في هذا الخصوص توقيعاً مزدوجاً منه ومن رئيس الوزراء^(٤١).

٣٦- المصدر نفسه، ص ٦٣٣.

٣٧- وهذا الحل يختلف عن الحل الوزاري الذي تقوم الوزارة باجرائه بقصد استطلاع رأي الناخبين أو تحكيمهم في نزاع قائم بينها وبين المجلس أعني البرلمان وراجع أيضاً الدكتور ابراهيم درويش، المصدر السابق، ص ١٦٤.

٣٨- ويلاحظ استخدام رئيس الدولة لهذا الحل يكون عن طريق الوزارة الجديدة وهي وزارة الأقلية انظر د. عبدالعزيز شيحا، المصدر السابق، ص ٢٩.

٣٩- د. مصطفى أبو زيد، المصدر السابق، ص ٦٧. والدكتور محمد كامل ليلة، المصدر السابق، ص ٦٣٥.

٤٠- د. عبدالعزيز شيحا، المصدر السابق، ص ٣٢.

٤١- د. محمد كامل ليلة، المصدر السابق، ص ٦٣٥.

إن مشكلة تدخل رئيس الدولة في الإرادة الفعلية لشؤون الحكم: تمثل أعقد المشكلات السياسية في الدولة الحديثة العهد بالنظام البرلماني، فما أن تلبث الدول تعتنق هذا النظام كأسلوب للحكم حتى يثار على التو تساؤل عن دور رئيس الدولة، هل هو دور سلمي بحت، أم أنه يكون لرئيس الدولة سلطات فعلية في شؤون الحكم؟ اختلف الفقه في هذا الخصوص، وانحصر الخلاف في ثلاثة اتجاهات رئيسية: الأول يرى أن دور رئيس الدولة هو مجرد دور سلمي بحت. والثاني يذهب إلى أنه ليس ثمة ما يمنع من أن يكون دور رئيس الدولة دوراً إيجابياً، فالنظام البرلماني لا يتعارض واشتراك رئيس الدولة مع الوزارة في إدارة شؤون السلطة التنفيذية. والثالث يرى أن اشتراك رئيس الدولة في الحكم لا يجعل منه شريكاً مساوياً للوزارة في السلطة بل تظل الوزارة هي المحور الرئيسي والفعال في شؤون الحكم.

المطلب الثاني: الوزارة

قدما أن رئيس الدولة في النظم البرلمانية ويكون غير مسؤول ولا يملك سلطات حقيقية وفعلية في شؤون الحكم، لذلك كان لابد من وجود بديل يتحمل المسؤولية وتنتقل اليه السلطات الفعلية، الا وهي الوزارة. كما أن الاتفاق يكاد يكون تاماً بين فقهاء القانون الدستوري ورجال السياسة على أن الاختصاصات التي تمنحها الدساتير لرئيس الدولة في هذه النظم لا يمارسها على انفراد، بل يمارسها عن طريق وزرائه، ومن هنا لزم أن تكون جميع قراراته ممهرة من الوزراء المختصين. على هذا النحو تعتبر الوزارة المحور الرئيسي في النظام البرلماني وحجر الزاوية فيه^(٤٢)، كما أنها تعتبر - في ذات الوقت - همزة الوصل بين رئيس الدولة والبرلمان.

وتتسم الوزارة في النظام البرلماني بعدة خصائص نجملها فيما يلي:

١ - استناد الوزارة الى ثقة البرلمان:

لما كانت الوزارة في النظام البرلماني لا تستطيع البقاء في الحكم دون حصولها على ثقة البرلمان^(٤٣)، فإن رئيس الدولة يكون مقيداً كما سبق ورأينا باختيار رئيس الوزراء - الوزير الأول - من حزب الأغلبية على النحو السابق ايضاحه، ثم يقوم هذا الأخير بانتقاء زملائه الوزراء من قيادات حزبه، ويعرض اسماءهم على رئيس الدولة ليصدر قراراً بهم. لذلك تعمل الدول التي تعتنق النظام البرلماني على اختيار الوزراء من داخل المجلس، وان كانت هذه القاعدة ليست مطلقة، إذ يمكن انتقاء الوزراء من خارجه^(٤٤). ويشير الاستاذ Andre Hauriou الى مدى حرص الوزراء غير الأعضاء على ترشيح انفسهم لنيل العضوية في البرلمان، الأمر الذي دفع البعض منهم إلى الإصرار على الاستقالة إثر هزيمته في الانتخابات، وهو ما حدث في إنجلترا في ٢٢ كانون الثاني عام ١٩٦٥ حيث قدم المستر جوردون ووكر Gordon Walker استقالته -

٤٢ - ونظراً لما للوزارة من دور رئيسي وفعال في النظام البرلماني فان البعض قد أطلق على هذا النظام أسم (حكومة الوزارة).

٤٣ - د.عبد العزيز شيجا، المصدر السابق، ص ٤٢.

٤٤ - إذ يشير الاستاذ هوريو الى ان هناك تشكيلات وزارية قد ضمنت أعضاء فنيين غير أعضاء المجلس حيث تتوافر الخبرات الفنية كرجال الجيش أو البحرية أو الادارات العامة أو من رجال الاعمال.

وكان آنذاك وزير الخارجية في حكومة العمال برئاسة M. Welson - لهزيمته مرتين في انتخابات مجلس العموم.

أما اذا كان لا يوجد حزب يمثل أغلبية، فان رئيس الدولة يلجأ الى تشكيل حكومة ائتلافية تنتمي الى أكثر من حزب، وفي هذه الحالة أيضاً يجب أن تكون الحكومة مستندة إلى ثقة البرلمان، أذ هي لا تستطيع البقاء في الحكم دون استنادها الى هذه الثقة والا اسقطها البرلمان، وكان على رئيس الدولة البحث مرة أخرى عن وزارة تحوز ثقة البرلمان وتسعد بتأييده.

٢- الوزارة وحده متجانسة متضامنة:

تكون الوزارة في النظام البرلماني وحده unite واحدة أي هيئة جماعية un organe collectif مميزة distinct، وهذه الهيئة تسمى بمجلس الوزراء، ويختص هذا المجلس برسم السياسة العامة للدولة يضمن فيها وحدة العمل الوزاري واتساقه.

كما تعد الوزارة في النظام البرلماني هيئة متجانسة L homogène، وتوفر عنصر التجانس بين أعضاء الوزارة يعد نتيجة طبيعية لفكرة الوحدة والاتساق. فإذا كانت الوزارة هي التي تقوم برسم السياسة العامة وتسهر على ادارة مصالح الدولة، فان ذلك يتطلب وجود قدر من التجانس والانسجام بين اعضائها، وهذا التجانس والانسجام يتم تحقيقه بقيام رئيس الوزراء باختيار زملائه من قيادات حزبه ذوي الميول والافكار السياسية الواحدة^(٤٥). ورئيس الوزراء هو الذي يرأس مجلس الوزراء ويقوم بالدفاع عن سياسته أمام البرلمان^(٤٦).

واذا كان الأصل في النظام البرلماني لضمان سمة التجانس والانسجام بين الوزراء- هو وجوب تشكيل الوزارة من حزب الأغلبية، الا أن هذا الاصل قد لا يجد مجالاً لتطبيقه في حالة تعدد الاحزاب السياسية دون أن يحصل أياً منها بمفرده على الأغلبية في البرلمان، الأمر الذي يؤدي بالضرورة الى تكوين وزارة ائتلافية Ministère de Coalition تنتمي الى أكثر من حزب^(٤٧)، ووزارات على هذا الطراز لا تعمر طويلاً لأن الاتفاق بين أعضائها لا يكون بطبيعة الحال الا جزئياً، فاذا مادب الخلاف بين اعضائها انحل الائتلاف وتفككت اواصر الوزارة وتم سقوطها.

كما تتسم الوزارة في الأنظمة البرلمانية بسمة التضامن بمعنى أن يكون الوزراء مسؤولين مسؤولية تضامنية عن القرارات الصادرة عنهم، خاصة تلك التي تتعلق بسياسة الدولة. فهم يسألون على سبيل

٤٥- د. عبد العزيز شيجا، المصدر السابق، ص ٤٤.

٤٦- المصدر نفسه، ص ٤٤.

٤٧- ويشير الفقه الى بعض الاستثناءات التي ترد على مبدأ تجانس الوزارة في الأنظمة البرلمانية منها:

وزارة الاعمال Cabinet d'Affaire وهي وزارات تتكون من رجال ليسوا ذوي لون سياسي واحد، وتقتصر مهمتهم على ادارة الشؤون العامة لمدة معينة، او للسيطرة على مقاليد الامور إثر أزمة بحتاح البلاد، أو بقصد اجراء انتخابات عامة في جو من النزاهة والحيادة. وقد سميت هذه الوزارات بالوزارات الادارية.

وزارة الاتحاد المقدس Cabinet d'Union Sacree وهي الوزارات التي يتم تشكيلها في حالة الخطر كحالة الحرب أو الازمات المالية التي بحتاح البلاد.

وزارة التركيز Cabinet de Concentration وهي الوزارات التي تعتمد في نشأتها على احزاب مختلفة ولكنها متقاربة في وجهات النظر. أنظر د. مصطفى ابو زيد فهمي، المصدر سابق، ص ٣٧.

التضامن عن جميع ما يتخذ من أعمال وقرارات، ولا يكون بمقدور احدهم التنصل من المسؤولية بحجة انه لم يكن موافقاً عليها، أو على اساس غيابه أو عدم حضوره الجلسة التي اتخذت فيها^(٤٨). فبقائه في الوزارة عند صدور هذه القرارات، وعدم احتجاجه عليها بتقديم استقالته، يكون قرينة على موافقته ورضائه على جميع ماصدر عن الوزارة من قرارات. فالتضامن اذن مفترض بين أعضاء الوزارة ما لم يدحض باستقالة تقدم من العضو المحتج. ويترتب على قيام التضامن بين أعضاء الوزارة أن تحريك المسؤولية الوزارية التضامنية يسقط الوزارة بأسرها^(٤٩). كما أن التضامن يضع التزاماً على عاتق الوزراء الاعضاء في البرلمان ان يصوتوا جميعاً في اتجاه واحد^(٥٠) مدافعين عن رأي الحكومة باعتبارها هيئة واحدة^(٥١). كما يلتزم الوزراء بالامتناع عن القيام بأي عمل يخرج الوزارة و يسئ الى مركزها فيجب أن تكون جميع تصرفات الوزراء متسقة والسياسة العامة التي ترسمها الوزارة بأسرها. ولا يجوز بأسرها ولا يجوز للوزير ان ينتهج سياسة خاصة به أو منهجاً يتعارض مع الخطوط العريضة التي حددتها الوزارة كهيئة جماعية.

٣- الوزارة أداة للحكم وليست أداة للتنفيذ:

ان وضع الوزارة في النظام البرلماني وضع متميز، فالوزارة أداة للحكم والتقرير حيث تملك في المجال الدستوري سلطة البت في شأن رسم السياسة العامة للدولة وتنفيذها. وهي هيئة لها كيان ذاتي متميز عن رئيس الدولة وعن البرلمان، الأمر الذي يفرقها عن مركز الوزارة في النظام الرئاسي وفي نظام فالوزارة في النظام الرئاسي ليس لهم وضع متميز، بل هم تابعون لرئيس الدولة، و سكرتاريون لا يملكون سلطة التقرير في شأن سياسة البلاد. انهم مجرد اداة تحضير للقرارات المتخذة من جانب الرئيس، وأداة طيعة لتنفيذها. والوزراء في النظام المجلسي ليس لهم أيضاً استقلال عن البرلمان، أنهم مجرد أداة لتنفيذ توجيهاته وأوامره^(٥٢). فليس لهم وضع متميز كما هو الشأن في النظام البرلماني. فالوزراء في النظام البرلماني رجال حكم وسياسة، بينما هم في النظامين الرئاسي وحكومة الجمعية أداة تنفيذ وادارة.

٤- الوزراء يدخلون البرلمان بصفتهم وزراء:

قلنا إنَّ القاعدة المألوفة في النظام البرلماني أن الوزراء يأتون من البرلمان، ولو أن هذه القاعدة ليست مطلقة، إذ يجوز أن يكون الوزراء غير برلمانيين فيأتون من خارج البرلمان. والنظام البرلماني يميز كأصل عام دخول الوزراء في البرلمان - حتى ولو لم يكونوا اعضاء فيه، وهم يجلسون في ذات القاعة مع الأعضاء^(٥٣)، ويسمح لهم أيضاً بالاشتراك في مناقشات المجلس وفي حجاجه وقد وجدت هذه القاعدة صداها في فرنسا في ظل دستور ١٨٧٥ حيث كان للوزراء حق الدخول في الجمعية الوطنية وفي مجلس الشيوخ حتى ولو

٤٨- د. محمد كامل ليلة، المصدر السابق، ص ٦٢٥.

٤٩- د. ابراهيم درويش، المصدر السابق، ص ١٥٦.

٥٠- د. محمد كامل ليلة، المصدر السابق، ص ٦٢٥.

٥١- ويشير الفقه إلى أنه حتى لو اتاحت الوزارة لأعضائها حرية التصويت، فليس معنى هذا أنها تتيح لهم حرية المناقشة، فيعارض بعضهم البعض في البرلمان ويعارض احدهم رئيس الحكومة. فالتضامن الوزاري يفرض على العضو ذي الرأي المخالف أن يمتنع عن الدفاع عن رأيه احتراماً لأغلبية الاصوات في مجلس الوزراء. الدكتور مصطفى ابو زيد فهمي: النظام البرلماني في لبنان، المصدر السابق، ص ٣٩.

٥٢- د. مصطفى ابو زيد فهمي، المصدر السابق، ص ٤١. والدكتور عبد الحميد مولى، المصدر السابق، ص ٣١٧.

٥٣- فهم لا يجلسون في شرفة الزائرين كما هو الشأن في النظام الرئاسي.

كان الاعضاء من أصل غير برلماني، أي غير اعضاء بهذه المجالس والوزراء يتمتعون في النظام البرلماني بمركز يمتازون به عن سائر الاعضاء في المجلس النيابي، اذ يكون لهم دائماً حق الأولوية في الكلام فلا ينتظرون دورهم كسائر الأعضاء^(٥٤). ويشير الاستاذ اندريه هوريو الى ان هذه القاعدة قد طبقت على نحو مغاير في إنجلترا. فالنظام البرلماني الانجليزي لا يسمح للوزراء غير الأعضاء البرلمانيين بالدخول في البرلمان. والوزراء الأعضاء في مجلس العموم لا يستطيعون الدخول الا في مجلس العموم، فهم لا يستطيعون الدخول في مجلس اللوردات. والعكس صحيح فالوزراء الاعضاء في مجلس اللوردات لا يستطيعون الدخول الا في مجلس اللوردات فلا يمكنهم الدخول في مجلس العموم. فالوزير لا يدخل الا المجلس المتمتع بعضويته، ولا يستطيع مجال الدخول في المجلس الآخر.

المبحث الثاني: المساواة بين السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية وقيام علاقة التعاون والرقابة المتبادلة

يقوم النظام البرلماني على أساس الفصل بين السلطتين التنفيذية والتشريعية. والفصل الذي يعتمد هذا النظام لايعني الفصل الجامد أو المطلق، وانما يعني الفصل المرن او الفصل المشرب بروح التعاون بين كل من السلطة التنفيذية والتشريعية. والفصل المرن الذي يتركز عليه النظام البرلماني يقوم على دعامتين أساسيتين:

الأولى: المساواة بين السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية

الثانية: وجود علاقة تعاون ورقابة متبادلة بينهما.

الأولى: المساواة والتوازن بين السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية:

المساواة بين السلطتين تفترض توازناً بينهما، فلا تكون احدى السلطتين خاضعة للآخرى، انهما يكونان في نفس المستوى في كفتي الميزان فلا ترجح كفة السلطة التنفيذية على كفة السلطة التشريعية كما هو الحال النظام الرئاسي، ولا ترجح كفة السلطة التشريعية على كفة السلطة التنفيذية كما هو الحال في النظام المجلسي على نحو ما سنرى فيما بعد. والذي يكفل المساواة والتوازن بين السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية في الأنظمة البرلمانية هو تمتع كل منهما بحق تستعمله تجاه السلطة الأخرى. وحق السلطة التشريعية (أو سلاحها) في الاحتفاظ بالتوازن تجاه السلطة التنفيذية هو الاقتراع بعدم الثقة بالوزارة (المسؤولية السياسية للوزارة)، وحق السلطة التنفيذية (أو سلاحها) المقابل الذي يحفظ لها التوازن مع السلطة التشريعية هو حق الحل.

الثانية: التعاون والرقابة المتبادلة بين السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية:

والتعاون المتبادل بين كل من السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية يتحقق عن طريق ما يكون هناك من وسائل الصلة المؤثرة بين الطرفين، فتقوم الحكومة بأعمال خاصة بتكوين البرلمان كاجراء الانتخابات واعلان نتائجها، كما يكون لها حق دعوته الى الانعقاد وحق تأجيله، كما تملك المساهمة في اعداد التشريع كاقترح القوانين والاعتراض عليها، كما يكون لأعضاء الحكومة - من الوزراء - حق دخول

البرلمان والاشتراك في مناقشته. ويكون للسلطة التشريعية الحق في مناقشة الحكومة في شأن السياسة العامة الداخلية والخارجية وطلب ايضاحات بشأنها، كما يكون لها حق تكوين لجان للتحقيق بشأن تصرفات الحكومة وحق توجيه الاسئلة والاستجابات الى الوزراء. تلك هي وسائل احداث التوازن (التعادل) والتعاون المتبادل بين كل من السلطة التنفيذية والتشريعية، إلا ان وسيلتين منها بالذات يكون لهما في مجال البحث ثقلاً خاصاً في شأن تحديد وضع السلطة التنفيذية - اعني الحكومة بالمعنى الضيق - في النظام البرلماني، بل وبدونهما لا يقوم لهذا النظام قائمة، وهي المسؤولية الوزارية الذي تملكه السلطة التشريعية تجاه السلطة التنفيذية، والحل الذي تملكه السلطة التنفيذية تجاه السلطة التشريعية. وسوف نتعرض لكل من هذين الحقلين في مطلبين متتاليين على النحو التالي:

المطلب الأول: في المسؤولية السياسية للوزراء

المطلب الثاني: في الحل

المطلب الأول: المسؤولية السياسية للوزراء

يقصد بالمسؤولية السياسية للوزراء اعتبارهم مسؤولين عن تصرفاتهم بإدارة شؤون الحكم أمام البرلمان^(٥٥). فالمسؤولية السياسية للوزراء تنعقد بمناسبة ممارستهم للمهام الموكولة اليهم. ومسؤولية الوزراء السياسية واسعة النطاق، فهي تشمل جميع تصرفاتهم الايجابية والسلبية، المشروعة وغير المشروعة، العمدية وغير العمدية. ورقابة البرلمان لتصرفات الوزراء لا تقف عند حد بحث ومطابقة هذه التصرفات لقواعد القانون والمشروعية، وانما تمتد لتشمل فحص ملائمة Appropriate هذه التصرفات ومدى اتفاقها والمصلحة العامة للدولة كما يراها ويقدرها البرلمان. والجزء الذي يتقرر على المسؤولية الوزارية هو جزء سياسي يكمن في اعتزال الوزير - أو الوزير - لمنصبها. ذلك ان الحكومة، كما سبق وذكرنا، يجب عليها ان تكون حائزة على ثقة البرلمان، وبمعنى ادق حائزة على ثقة الاغلبية فيه، وتقرير مسؤولية الوزارة من جانب البرلمان معناه سحب الثقة منها. واذا كان الحال كذلك كان على الوزارة التي تقرر مسؤوليتها ان تستقيل. فالمسؤولية السياسية للوزراء كما يقول موريس دوفرجيه ليست في حقيقتها الا نوعاً من العزل لأعضاء الحكومة عن طريق البرلمان^(٥٦)، أو كما يقول الاستاذ لافريير ان فقدان ثقة المجالس النيابية يؤدي على الفور الى فقد الوجود السياسي^(٥٧) للوزارة.

والمسؤولية السياسية للوزارة إما أن تكون مسؤولية فردية، فيسأل كل وزير على حدة، وقد تكون مسؤولية جماعية فتسأل الوزارة بكامل اعضائها كهيئة واحدة. فمتى تتحقق المسؤولية الفردية ومتى تتحقق المسؤولية الجماعية للوزارة؟

٥٥ - د. عبد الحميد متولي، المصدر السابق، ص ٣١٤.

٥٦ - د. عبدالعزیز، شيخا، المصدر السابق، ص ٥٧.

٥٧ - المصدر نفسه، ص ٥٨.

المسؤولية الفردية La Responsabilite Individuelle:

ان كل وزير يكون مسؤولاً بمفرده عن جميع ما يصدر عنه من تصرفات واعمال متعلقة بوزارته، والتي لاتندرج تحت السياسة العامة للوزارة، أو بمعنى آخر تلك التي لاتخضع لموافقة مجلس الوزراء^(٥٨). وتتقرر مسؤولية الوزير الفردية سواء كانت التصرفات محل المساءلة قد صدرت عن الوزير شخصياً أم الموظفين في جهازه الاداري أي الوزارة. على هذا النحو يكون المناط في تحريك المسؤولية الفردية للوزير كون التصرفات محل المساءلة غير متعلق بالسياسة العامة للحكومة^(٥٩) ولا يتصل بالفكر العام والموحد للوزراء. فكل تصرف يصدر عن الوزير تعبيراً للسياسة العامة أو تطبيقاً للفكر المشترك للوزارة يثير المسؤولية الجماعية للوزراء ولو كان التصرف قد صدر من وزير فرد.

فمثلاً لو أن وزيراً رفض تعيين بعض الاشخاص في بعض الوظائف القيادية الشاغرة في وزارته لمجرد انتسابهم الى حزب معارض لحزب الأغلبية الذي تنتمي اليه الحكومة، اتباعاً لما تسير عليه من قصر تولى الوظائف القيادية على انصار حزب الحكومة المعارض، فهنا تثار المسؤولية الوزارية الجماعية للحكومة، على الرغم من صدور قرار رفض التعيين من وزير فرد، لأن هذا القرار يتصل بسياسة الحكومة وفكرها العام اللهم الا اذا أعلن رئيس الوزراء انه يتخلى عن التضامن مع الوزير المسؤول لأن تصرفه جاء خلافاً للسياسة العامة للحكومة، وفي هذه الحالة يكون على الوزير الذي سحبت منه الثقة ان يقدم استقالته. أما اذا كان الموضوع محل المساءلة لا يتعلق بالسياسة العامة للوزارة ولا يتصل بفكر الحكومة العام وانما يتعلق بادارة الجهاز الاداري التابع للوزير كتفشي الرشوة او التعقيدات المكتبية فهنا تكون المسؤولية مسؤولية فردية لاجماعية^(٦٠).

كما يجب حتى نكون ازاء المسؤولية الفردية لأحد الوزراء أن لا يكون العمل الصادر عنه والموجب للمساءلة قد خضع لمناقشة جدية من جانب مجلس الوزراء وابدى - هذا الأخير - موافقته عليها والا كنا أمام مسؤولية جماعية للوزراء^(٦١). فلو أن وزيراً قد قام بابرام بعض العقود المتعلقة بشؤون وزارته وقام الوزير المسؤول بعرضها على مجلس الوزراء وابدى موافقته عليها او ابدى ارتياحه لها، فان المسؤولية هنا تكون مسؤولية جماعية لافردية، وتكون الحكومة مسؤولة عنها ازاء البرلمان بالتضامن. وعلى أية حال فان من المستقر عليه في الأنظمة البرلمانية في مجال المسؤولية السياسية ان من حق رئيس الوزراء ان يعتبر أمراً من الأمور ولو كان صادراً من وزير فرد محركاً للمسؤولية التضامنية للوزارة بأسرها اذا اعتبر الأمر متعلقاً بالسياسة العامة للحكومة. انه يستطيع بغير شك وفي أي وقت أن يحول المسؤولية الفردية الى مسؤولية تضامنية^(٦٢) وان كان عليه في هذه الحالة أن يعلن صراحة رغبة الوزارة في التضامن مع الوزير المسؤول قبل أن يقوم البرلمان باجراء الاقتراع على الثقة، وحتى يتضح موقف الحكومة من التصرف محل المساءلة أمام البرلمان حتى يتخذ هذا الأخير قراره. وقد حدث في النجلترا أن تقدم أحد الوزراء من حزب العمل (وكانت

٥٨ - راجع ايضاً الدكتور ثروت بدوي، المصدر السابق، ص ٣٣٤، عبدالله ناصف، المصدر السابق، ص ٥٩.

٥٩ - الدكتور مصطفى ابو زيد فهمي، المصدر السابق، ص ٥٦.

٦٠ - د. مصطفى أبو زيد فهمي، المصدر السابق، ص ٥٩.

٦١ - المصدر نفسه، ص ٥٨.

٦٢ - د. عبدالله ابراهيم ناصف، المصدر السابق، ص ١١٣.

الوزارة حينئذ وزارة ائتلافية من المحافظين والعمال ابان الحرب العالمية الثانية) يطلب الى مجلس العموم الموافقة على اعتماد استثنائي لمواجهة المصروفات المتزايدة في وزارته. غير أن المجلس لم يوافق على هذا الطلب الامر الذي يوحي بعدم الثقة بالوزير. غير ان رئيس الوزراء تشرشل قد أبلغ مجلس العموم انضمامه مع الوزير معلناً أن طلب الاعتماد أمر يتصل بالسياسة العامة للوزارة، وأن المجلس برفضه الطلب السابق يكون في اعتقاد الحكومة قد طرح الثقة بالوزارة كلها. فكان رئيس الوزراء قد حول المسؤولية الفردية الى مسؤولية جماعية تضامنية، الأمر الذي جعل المجلس يتراجع عن موقفه السابق ووافق على الاعتماد الاضافي المطلوب.

وعن إطار المسؤولية الفردية يثور التساؤل الآتي: هل يمكن تحريك المسؤولية السياسية الفردية للوزراء بشأن تصرفاتهم الخاصة والمشبوهة؟

إذا كانت المسؤولية السياسية الفردية تثار بشأن التصرفات التي تصدر عن أحد الوزراء فيما يتعلق بشؤون وزاراتهم، فان التساؤل يثار حول مدى امكان قيام هذه المسؤولية بشأن تصرفاتهم الخاصة والمشبوهة. فاذا ارتكب الوزير مثلاً جريمة يعاقب عليها القانون ويشكل وقع هذه الجريمة آثار سياسية بالنسبة للحكومة، فهل يمكن اثارة المسؤولية الوزارية الفردية في هذه الحالة؟ يجب على ذلك الاستاذ "جاك كادار" قائلاً ان الحكومة سوف تعمل في الغالب على اقالة الوزير الذي صدر منه مثل هذا التصرف، فان لم تفعل ذلك من تلقاء نفسها جاز للبرلمان أن يحرك المسؤولية الفردية تجاه هذا الوزير ويسحب الثقة منه.

فتحريك مسؤولية الوزير عن عمل شخص أو أي عمل آخر يتعلق بحياته الخاصة أمر ممكن دائماً. وفضيحة "بروفيمو" في إنجلترا تعد خير مثال لقيام مسؤولية الوزراء على اعمالهم وتصرفاتهم الخاصة المشبوهة حيث اسقط هذا الوزير بسبب افعاله الشائنة، والتي كان لها آثار سياسية خطيرة لايمكن فصلها عن وظيفته كوزير للدفاع^(٦٣).

اما المسؤولية الجماعية والتضامنية للوزراء أمام البرلمان تعد حجر الزاوية في النظام البرلماني:

تعتبر المسؤولية الجماعية والتضامنية للوزراء ركيزة النظام البرلماني وجوهره، فهي لا تمثل فقط أحد السمات البارزة لهذا النظام، وانما تعد أحد أركانه الجوهرية، بحيث يترتب على تخلفها انتفاء الطبيعة البرلمانية، ووجب البحث عن تكييف آخر للنظام السائد^(٦٤). لذلك يرى الفقه أن النظام البرلماني لا تقوم له قائمة الا بوجود هذه المسؤولية، اذ هي تختلف عن بقية اركانه الأخرى كحق الحل حيث لايجوز تخلفه دون قيام النظام البرلماني، وأن عد ذلك نقصاً فيه أو تشويهاً له deformation. وتبعاً لذلك يكون النص على المسؤولية الوزارية الجماعية أو عدم النص عليها في الدستور، كاشفاً عن طبيعة النظام السياسي الذي يعتمده الدستور، فاذا نص على وجود المسؤولية الجماعية للوزراء أمام البرلمان عد النظام برلمانياً^(٦٥)، وإذا نص الدستور على عدم مسؤولية الوزراء الجماعية امام البرلمان مقررراً مسؤوليتهم أمام رئيس الدولة

٦٣ - وتمكن هذه الفضيحة في تورط وزير الدفاع "بروفيمو" في علاقة جنسية شائنة اساءت الى شخصه كوزير دفاع.

٦٤ - د. عبدالله ابراهيم ناصف: المصدر السابق، ص ٩٧.

٦٥ - المصدر نفسه، ص ٩٧.

وحدة^(٦٦) أو اكتفى بتقرير مسؤولية الوزراء الفردية أمام البرلمان دون المسؤولية الجماعية ففي هاتين الحالتين لا يكون النظام برلمانياً حيث تنتفي المسؤولية الجماعية للوزراء. ويثور التساؤل: هل تسأل الوزارة أمام البرلمان بمجلسيه؟

تثار المسؤولية السياسية للوزراء أمام الهيئات النيابية. فإذا كان الدستور يتبنى - في شأن تشكيل الهيئات النيابية - نظام المجلس الواحد، فإن مسؤولية الحكومة تنعقد أمام هذا المجلس، والأمر لا يثير في هذا النظام اشكالاً على الإطلاق. أما إذا كان الدستور يتبنى نظام المجلسين bicameralisme فإن التساؤل يثار بشأن المجلس الذي تنعقد مسؤولية الوزراء أمامه.. هل تنقرر هذه المسؤولية فقط أمام المجلس الأدنى La chambre basse وهو المجلس الأكثر شعبية والأكثر اختصاصاً، أم أن هذه المسؤولية يمكن أن تقرر أيضاً أمام المجلس الأعلى La chambre haute وهو المجلس الأقل شعبية والأقل اختصاصاً، وهل يمكن أن تنعقد مسؤولية الحكومة أمام كلا المجلسين؟. إن بعض الدساتير تواجه هذه المسألة بنص صريح، فلا تقرر مسؤولية الوزراء إلا أمام مجلس النواب أي المجلس الأدنى. ومثل هذا الوضع قرره بعض الدساتير كدستور بولونيا الصادر عام ١٩٢١ (م ١٨) ودستور اليونان الصادر عام ١٩٢٧ (م ٨٨) والدستور المصري الصادر عام ١٩٢٣ (م ٦١)^(٦٧). وهذا الاتجاه هو الذي تميل إليه الدساتير الديمقراطية بصفة عامة، وهو الأكثر اتفاقاً مع كون المجلس الأدنى الأكثر تمثيلاً للشعب، والمعبر الحقيقي عن إرادته، والأكثر اختصاصاً وسلطاناً في نفس الوقت^(٦٨). ولكن ماذا لو لم تواجه الدساتير صراحة هذه المسألة، فهل يمكن أن تتحرك مسؤولية الوزراء أمام المجلس الأعلى؟ يجب على ذلك الاستاذ لافريير قائلاً إن الأمر يتوقف على طابع وسمه كلا المجلسين، إذ يجب أن نفرق بين المجلس الأعلى الأرستقراطي Aristocratique وبين المجلس الأعلى المنتخب^(٦٩).

فإذا كان المجلس الأعلى أرستقراطياً فإن الوزارة لا يمكن أن تسأل أمامه، لأن القول بغير ذلك معناه التسليم للمجلس الأعلى بسلطة إسقاط الوزارة المتمتعة بثقة المجلس الأدنى الأكثر تمثيلاً للشعب^(٧٠). أما إذا كان المجلس الأعلى قد جاء عن طريق الانتخاب، فإن بعضاً من الفقه يرى تطبيق ذات القاعدة السابقة، أي عدم تقرير مسؤولية الوزارة إلا أمام المجلس الأدنى، لأن التسليم للمجلس الأعلى بحق تحريك المسؤولية الوزارية قد يؤدي إلى عدم الاستقرار الوزاري، ويزيد الأمر خطورة إذا كان هناك خلاف في وجهة النظر بين كل من المجلسين، إذ غالباً ما يعمل المجلس الأعلى على إسقاط الوزارة التي تحوز على ثقة المجلس الأدنى أي مجلس النواب، وغالباً ما يعمل المجلس الأدنى على إسقاط الوزارة التي تحوز ثقة المجلس الأعلى الأمر الذي يؤدي إلى أزمات وزارية لاحد لها، وهو ما يضعف النظام البرلماني إلى حد كبير.

٦٦- الدكتور مصطفى فهمي أبو زيد: النظام البرلماني في لبنان، المصدر السابق، ص ٥٤. غير أنه لا يمنع من كون النظام برلمانياً النص في الدستور على مسؤولية الوزراء أمام رئيس الدولة فضلاً عن مسؤوليتهم الجماعية أمام البرلمان.

٦٧- إذ نصت هذه المادة على أن "الوزراء مسؤولون متضامنون لدى مجلس النواب عن السياسة العامة للدولة".

٦٨- الدكتور مصطفى أبو زيد، المصدر السابق، ص ٦٢.

٦٩- د. عبدالعزيز شبيحا، المصدر السابق، ص ٦٥.

٧٠- لذلك يكون لمجلس اللوردات الإنجليزي الحق في إثارة المسؤولية الوزارية للحكومة لأن الحكومة تتمتع بثقة مجلس النواب ممثل

الشعب..

أما البعض الآخر من الفقه فقد ذهب الى جواز تحريك المسؤولية الوزارية أمام المجلس الأعلى، ما دام انه يمكن تفادي خطر الأزمات السياسية عن طريق اللجوء الى الأمة والاحتكام اليها^(٧١). ويشير الاستاذ جاك كادار الى أن مسؤولية الحكومة يمكن ان تتعقد أمام المجلسين معاً عندما يكون المجلسان متساويين - اذ يستطيع اي منهما ان يرفض او يوقف التشريع الذي تطلبه الحكومة لتحقيق برنامجها السياسي - ومن ثم يكون لكل مجلس على حدة ان يسقط الحكومة. أما اذا كان المجلسان غير متساويين فان المسؤولية الوزارية لا يمكن ان تتعقد الا امام المجلس الأهم، وهو بطبيعة الحال المجلس الأدنى، الأكثر تمثيلاً للشعب والأكثر تمتعاً بالسلطات. ونحن اذا جاز لنا ان نبدي وجهة نظر في هذا الموضوع فإننا نميل الى القول مع بعض الفقه انه لا يجوز - في حالة غياب النص الدستوري الصريح - تقرير مسؤولية الوزراء الجماعية او الفردية الا امام مجلس نيابي واحد وهو المجلس الأدنى^(٧٢) باعتباره المجلس الأكثر عدداً والأكثر تمثيلاً عن الشعب وهو أيضاً الأكثر تمتعاً بالسلطات، ونخالف الاستاذ "جاك كادار" فيما انتهى اليه من جواز تقرير المسؤولية امام المجلسين - الأعلى والأدنى - اذا ماتساوى المجلسان، فهذا الوضع من شأنه ان يزيد من الازمات الوزارية، آفة النظام البرلماني، ويجعل من الاستقرار الوزاري أمراً صعب المنال في الكثير من الحالات التي ينشب فيها خلاف بين المجلسين حول ما تقدمه الحكومة من برامج ومشروعات. اذ سيعمل المجلس الأعلى دائماً على اسقاط الوزارة في حين تتمتع هذه الوزارة بثقة الأغلبية في المجلس الأدنى، وبمعنى آخر الحائزة على ثقة أغلبية الشعب، وهو أمر يتنافى وارادة هذا الأخير ويتعارض مع جوهر النظم الديمقراطية. ولا يقدح في نظرنا ما قد يذهب اليه البعض من أنه يمكن التغلب على مسألة عدم الاستقرار الوزاري عن طريق الاحتكام الى الأمة بمجلس البرلمان، فالحل المتكرر للبرلمان في شأن كل خلاف ينشب بين الوزارة ومجلسي البرلمان أمر يجعل المشكلة أكثر تعقيداً، ويزيد من أوجه عدم الاستقرار السياسي في الدولة. ويثور التساؤل حول: كيفية تحريك المسؤولية الوزارية؟

يجري تحريك المسؤولية السياسية الجماعية والفردية للوزراء عن طريق سحب الثقة اما بناء على مبادرة من أعضاء المجلس، أو بناء على مبادرة من الحكومة ذاتها.

١- تحريك المسؤولية السياسية بناء على مبادرة أعضاء المجلس النيابي: Initiative Parlementaire
يجري تحريك المسؤولية السياسية لأعضاء الحكومة عن طريق أعضاء البرلمان، وهذا الأسلوب المباشر لتحريك المسؤولية يعد أمراً بديهياً بل ولازماً لقيام النظام البرلماني.

وتحريك المسؤولية عن طريق البرلمانين يبدأ باجراء يحمل معنى اللوم للحكومة. وهذا الاجراء قد يطلق عليه اصطلاح الاستجواب L'interpellation أو الاقتراح بلوم الحكومة La notion de censure ويوجه الاستجواب او الاقتراح بلوم الحكومة - من عضو أو أكثر من أعضاء البرلمان الى رئيس الوزراء - اذا كان موضوع المساءلة يتعلق بعمل الحكومة - او الى الوزير الفرد - اذا كان الموضوع الموجب للمساءلة تصرف خاص بالوزير المسؤول موضحاً فيه الموضوع محل المساءلة وعناصر التفسير بشأنه، ثم تعقب

٧١- انظر في هذا الشأن: الدكتور مصطفى أبو زيد، المصدر السابق، ص ٦٣.

٧٢- إذ يرى أن المسؤولية الوزارية لا تثار - بصفة عامة - في الدول التي تأخذ بنظام المجلسين - الا أمام مجلس نيابي واحد وهو المجلس النيابي الذي يتم تشكيله بالاقتراع العام المباشر.

الحكومة او الوزير على الاستجواب بالدفاع، ثم تجري بشأن الموضوع مناقشة بين الطرفين، وفي نهاية النقاش يتم الاقتراع بالثقة او عدم الثقة^(٧٣). فاذا جاء الاقتراع بالثقة بالحكومة- او الوزير- كان لها ان تستمر في اداء مهامها، أما اذا جاء الاقتراع بعدم الثقة وجب على الحكومة- او الوزير- ان تقدم استقالتها، ويكون على رئيس الدولة- في حالة امتناعها عن الاستقالة- ان يقوم باقالتها، اللهم الا اذا تضامن مع الحكومة وقرر معها حل البرلمان والاحتكام الى الشعب^(٧٤).

٢- تحريك المسؤولية السياسية بناء على مبادرة الحكومة: Initiative du Gouvernement

اذا كانت المسؤولية الوزارية تتحرك بطريق مباشر بناء على مبادرة برلمانية، فانه يمكن ان تتحرك ايضاً بطريق غير مباشر ويكون تحريكها في هذه الحالة بناء على مبادرة من الحكومة ذاتها. فالحكومة في النظام البرلماني تستطيع ان تطرح على البرلمان دائماً موضوع الثقة بها Question de confiance، اذ هي لا تستطيع البقاء في الحكم او الاستمرار فيه الا بثقة البرلمان^(٧٥). وتطرح الحكومة موضوع الثقة على البرلمان عندما تعرض عليه بعض مشروعاتها الهامة، كمشروع الميزانية، أو مشروع قانون عادي أو قرض، ويرفض البرلمان الموافقة عليها، وفي الحالة العكسية حينما يقترح بعض اعضاء البرلمان مشروع قانون ما وتظهر الحكومة عدم رغبتها في الموافقة على الاقتراح المذكور. في هذين الفرضين تستطيع الحكومة أن تطلب من البرلمان أن يحدد موقفه وتطرح موضوع الثقة بنفسها، فاذا وافق البرلمان في الفرض الأول على مشروعات الحكومة كان ذلك معناه ابقاء الثقة بالحكومة، واذا رفض البرلمان هذه المشروعات كان معنى ذلك سحباً للثقة، ووجب على الحكومة في هذه الحالة ان تستقيل. وفي الفرض الثاني اذا عدل البرلمان عن الاقتراح المقدم من بعض اعضاءه كان معنى ذلك تأييد الحكومة واستمرار الثقة بها، واذا أصر على الاقتراح كان معنى ذلك سحب الثقة بالحكومة ووجب عليها الاستقالة. ويكون التصويت من البرلمان، في مثل هذه الحالات، ذا مضمون مزدوج، فهو يتضمن موافقة رغبات الحكومة والثقة بها في نفس الوقت، أو رفض هذه الرغبات وعدم الثقة بها. ويشير الفقه الدستوري الى انه غالباً ما يحدث أن تستخدم الحكومة هذه الوسيلة (طلب الثقة) وسيلة للضغط على البرلمان فتطرح هي الثقة بنفسها وتهدد بالاستقالة خاصة في أوقات الازمات وفي الاوقات التي تخشى فيها البلاد أن رئيس الوزراء لا يمكن أن يستبدل به سواه، الامر الذي يجعل البرلمان يتراجع ويساير رغبات الحكومة^(٧٦). ويشير الاستاذ جاك كادار الى أن النظام البرلماني يفترض دائماً امكانية اسقاط الحكومة لاستطيع -في ظل هذا النظام- البقاء في الحكم الا بثقة الاغلبية في البرلمان، فانه يكون من المنطقي ان يمكن البرلمان من سحب الثقة منها في الوقت الذي يستشعر فيه سوء سياسة الحكومة. فالثقة في النظام البرلماني تكون مطروحة دائماً، ولكن يجب على

٧٣- وقد تنتهي المناقشة بان يقرر المجلس الانتقال الى جدول الاعمال، او يقرر توجيه الشكر الى رئيس الوزارة، ويعني ذلك تأييد الحكومة وبقاء الثقة.

٧٤- فاذا قررت الحكومة حل البرلمان الذي سحب الثقة منها وعرض النزاع على الشعب فان هذا الأخير أما أن يؤيد الحكومة أو يؤيد البرلمان وهو ما تسفر عنه نتيجة انتخابات المجلس الجديد. فاذا تم انتخاب اعضاء المجلس القديم مرة اخرى كان ذلك معناه عدم تأييد الحكومة والعكس صحيح.

٧٥- وراجع ايضاً: الدكتور عبدالله ابراهيم ناصف، المصدر السابق، ص ١٠٣.

٧٦- د. مصطفى ابو زيد، المصدر السابق، ص ٦٠ ومابعدها.

اي حال - كما يشير الاستاذ كادار- أن يكون هذا الطرح ضمنياً ويجب الا يستعمل بطريق صريح الا في النادر من الحالات والتي يتبين فيها سوء تصرف الحكومة.

ونتيجة لذلك يرى الفقه ان النظام البرلماني يقتضي عدم وضع أية عوائق أمام البرلمان اذا ما اراد اسقاط الحكومة في أي وقت يريد فيه سحب ثقته عنها، ومن ثم يجب ان يمكن البرلمان من الانعقاد حتى في فترات العطلات البرلمانية- اي في الفترة فيما بين ادوار الانعقاد- لمراقبة الحكومة واسقاطها اذا ما اتخذت الحكومة في هذه الفترات اجراءات ضد ارادة اغلبيه النواب المنتخبين. لذلك يوصي هذا الفقه بالنسبة للنظم السياسية الخاضعة لنظام الدورات والتي لا تكون فيها المجالس منعقدة بصفة دائمة ان تكون المجالس قادرة على الاجتماع في اي وقت، فتستطيع في حالات العطلة البرلمانية عقد دورات استثنائية وفقاً للاجراءات المحددة في الدستور، وأن لايسمح للسلطة التنفيذية بالاعتراض دون مقتضى على طلب المجلس بعقد هذه الدورات^(٧٧). والا كان بمقدور هذه السلطة الاخيرة التصرف كما يحلو لها دون أن تخشى مراقبة البرلمان طوال فترات العطلة، أو بمعنى آخر الى أن يحين موعد افتتاح الدورة البرلمانية الجديدة.

المطلب الثاني: الحل

يقصد بحق الحل اثناء مدة نيابة المجلس النيابي قبل انتهاء مدة ولايته الدستورية، أي قبل انتهاء مدة الفصل التشريعي للمجلس. ويعد حق الحل الذي تملكه السلطة التنفيذية تجاه السلطة التشريعية الحق المقابل لحق تحريك المسؤولية الوزارية الذي تملكه السلطة التشريعية فهو يعد بحق أداة التوازن بين كل من الحكومة والبرلمان^(٧٨)، فكما أن الوزارة تكون مسؤولة أمام البرلمان، ويملك هذا الأخير أن يحجب الثقة عن الحكومة فيسقطها، فإنه يكون للوزارة، -بالمقابل- الحق في حل البرلمان واجراء انتخابات جديدة بقصد الاحتكام الى الشعب فيما ينشعب من خلاف بينها وبين البرلمان. وفي اهمية حق الحل - بالنسبة للنظام البرلماني- وباعتباره الحق الموازي أو المقابل Contre partie للمسؤولية الوزارية، يشير الاستاذ Julien Laferrriere الى أن حق الحل يعتبر أداة ذات أهمية خاصة في الحكومة البرلمانية. ويعلن Georges Burdeau أنه "بدون حق الحل لا يكون هناك نظام برلماني حقيقي". أو لا يوجد نظام برلماني بالمعنى الدقيق. ويجمع أغلب الفقه الدستوري على اعتبار حق الحل أحد الدعائم أو المحاور الاساسية للنظام البرلماني وانه يعد بحق حجر الزاوية فيه.

ويعد حق الحل الذي تملكه الحكومة ازاء البرلمان أداة (أو فرملة) لمنع تجاوز وشطط السلطة التشريعية المتزايد في اسقاط الحكومة كلما عن لها ذلك a son guise.

واساس ذلك أن هذا الحق يجعل النواب دائماً يترددون في اثاره المسؤولية واسقاط الحكومة، لكونهم يعلمون مقدماً بالنتائج التي تترتب على الحل من حيث اجراء الانتخابات الجديدة وآثارها غير المضمونة^(٧٩). إذ سيكون شبح تغيير اتجاه الرأي العام واحتمال فشلهم في الانتخابات الجديدة أمراً مخيفاً

٧٧- د.عبدالعزیز شیخا، المصدر السابق، ص٧٣.

٧٨- الدكتور مصطفى أبو زيد، المصدر السابق، ص٦٢.

٧٩- لذلك وصف الفقهاء الانجليز سلاح الحل بأنه "سلاح تأديبي مخيف بين يدي الوزير الأول" وأنه "سلاح تأديبي فعال تسلطه الوزارة على مجلس العموم"

لهم مما يجعلهم حريصين دائماً على الاعتدال في حجب الثقة عن الحكومة^(٨٠). على هذا النحو نجد حق الحل أداة في يد الوزارة تستطيع أن تدفع به أوجه التحدي والتهديد من جانب البرلمان، فهو وسيلة الوزارة في أن تؤمن لنفسها المساواة مع البرلمان والاستقلال عنه، ومن ثم يتحقق أهم أهداف النظام البرلماني ومبادئه وهي التوازن بين السلطتين. وإذا كان الفقه الدستوري يجمع على اعتبار حق الحل أداة توازن بين السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية. إلا أن هذا الحق قد يستخدم من الناحية العملية كسلاح خطر في يد رئيس الدولة يستطيع بمقتضاه شل عمل البرلمان، إذا عاود استعماله مراراً، كما قد يتخذه سبيلاً للوصول إلى أغلبية تتفق مع ميوله ورغباته إذا ما اعتاد استعماله فيما يعتقد مناسبتة لأغراضه. على أن طبيعة النظام البرلماني تجعل من إساءة استعمال هذا الحق أمراً نادر الحدوث، فـرئيس الدولة لا يعدو أن يكون حكماً arbitre بين الأحزاب، ووظيفته هي المحافظة على التوازن بين السلطات، فاستعماله لحق الحل لا يكون إلا باعتباره حكماً بين الأحزاب، لا بصفته عاملاً Facteur أي صاحب سياسة خاصة أو ذاتية^(٨١). هذا فضلاً عن أن رئيس الدولة لا يلجأ عادة لاستخدام هذا الحق إلا عند انحراف السلطة التشريعية عن دورها المرسوم وخروجها عن الحدود المقررة لها دستورياً. على أية حال فإن حق الحل يعتبر بلا جدال في الأنظمة الديمقراطية نوعاً من الاستفتاء، فهو بمثابة الوسيلة الفعالة لإعطاء الكلمة للشعب وجعله حكماً في النزاعات التي قد تنشأ بين السلطات العامة في الدولة، أعني السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية.

إن حق الحل يعد في حقيقته سلاحاً ديمقراطياً دون جدال إذا ما تم استخدامه بعيداً عن التعسف، ويكون غير صحيح على الإطلاق ادعاء البعض أن تقريره يتضمن امتهاً لارادة الأمة الممثلة في نوابها، فهو في الواقع احتكام إليها ودعوة موجهة إلى الناخبين وإلى الأمة نفسها - باعتبارها مصدر السلطات - لتقول كلمتها في النزاع بين الحكومة والبرلمان^(٨٢).

والحل في الأنظمة البرلمانية قد يكون حلاً رئاسياً، وقد يكون حلاً وزارياً. والحل الرئاسي Dissolution présidentielle هو - كما سبق وأوضحنا من قبل - الحل الذي يتم بناء على طلب رئيس الدولة وفكره الشخصي، لا بناء على طلب الوزارة، ويكون حل نزاع بين رئيس الدولة من ناحية والوزارة والمجلس النيابي من ناحية أخرى. ويحدث هذا الحل عندما يقبل رئيس الدولة وزارة تحوز على ثقة الأغلبية في البرلمان لعدم موافقته على سياستها وبأني بوزارة ائتلافية أو وزارة من خارج البرلمان.

أما الحل الوزاري Dissolution ministrielle فإنه يتم بناء على طلب الوزارة نفسها، ويكون حل نزاع بينها وبين البرلمان^(٨٣) فتطلب الوزارة من رئيس الدولة حل البرلمان لتحكيم الأمة في النزاع القائم بينها وبين البرلمان. ورئيس الدولة غير ملزم باجابة الوزارة إلى طلب الحل - وغالباً ما تحيره الوزارة بين الاستقالة

٨٠ - وقد أشار أحد النواب الانجليز عن مخاوف الأعضاء من حق الحل الذي تملكه الوزارة قائلاً: "أن السلطة التنفيذية ليست هي التي تخاف من السلطة التشريعية، وإنما العكس هو الصحيح، فإن ممثلي الشعب هم الذين يخشون حلاً مفاجئاً للمجلس يعودون منه إلى قواعدهم، الشيء الذي يؤدي بالنسبة لكل منهم إلى مصروفات تصل إلى الألف جنيه استرليني".

٨١ - د. عبدالعزيز شبيحا، المصدر السابق، ص ٧٩.

٨٢ - المصدر نفسه، ص ٨٠.

٨٣ - الدكتور سليمان الطماوي: السلطات الثلاث، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٩، ص ٥٤٩ وما بعدها.

والاجابة لطلبها في حل المجلس- وانما يكون عليه أن يبحث أي الموقفين - موقف الوزارة وموقف البرلمان- أقرب لرأي الأمة، ويصدر قراره في هذا الخصوص على ضوء تقديره لاتجاه الأمة ويدعوها لانتخابات جديدة اذا رأى أن هناك ما يدعو لحل المجلس. ويثور التساؤل؟هل يمكن حل المجلس الأعلى؟ لما كان النظام البرلماني يجعل من حق حل المجالس النيابية أداة في يد السلطة التنفيذية كسلاح مقابل لحق المسؤولية الوزارية الذي تملكه المجلس النيابية فان ذلك يقضي بأن لا يكون الحل موجهاً الا للمجلس الذي يملك في نفس الوقت تحريك المسؤولية الوزارية، فحيث تتحرك المسؤولية الوزارية يتحرك حق الحل حتى يمكن وصف هذا الأخير بأنه أداة توازن بين كل من السلطة التنفيذية والبرلمان، ومن ثم فان أغلب الدساتير- في الدولة التي تتبنى نظام المجلسين- لا تعطي للسلطة التنفيذية الا حق حل المجلس الادني الذي يملك تحريك المسؤولية الوزارية دون المجلس الاعلى.

الفصل الثاني: وضع رئيس الجمهورية في دستور جمهورية العراق لعام

٢٠٠٥

منذ سقوط النظام الملكي في العراق عام ١٩٥٨، والدساتير المؤقتة تتوالى، وتتوالى معها دكتاتوريات قائمة لانقلابات عسكرية وقائمة على رأس السلطة التنفيذية، وكل منها يدعي أنه جاء لإنقاذ الأمة من ويلات نظام بائد عفا عليه الزمن. وتوجت هذه الدساتير بدستور عام ١٩٧٠ المؤقت الذي ظل قائماً حتى سقوط نظام الحكم السابق عام ٢٠٠٣. وتلا هذه المرحلة، صدور قانون إدارة الدولة للمرحلة الانتقالية، وفسر هذا القانون عبارة (المرحلة الانتقالية) بالمرحلة المطلوبة لوضع دستور عراقي دائم وتشكيل حكومة عراقية جديدة على أن يكون آخر موعد لتشكيلها ٣١ كانون الأول ٢٠٠٥. وفي ١٥ تشرين الأول ٢٠٠٥ استفتى الشعب العراقي على الدستور الدائم، وهو الأول بعد سقوط النظام الملكي. وتبنى هذا الدستور نظاماً جمهورياً برلمانياً اتحادياً، إلا أنه لم يذكر بين ثنايا نصوصه تعبير الاتحاد الدستوري أو المركزي أو الفدرالي. لكن مناقشات وضع مسودة هذا الدستور ومساجلاته وتجاهلات القوى والتيارات السياسية والمؤسسات الدستورية التي نص عليها، كلها تشير إلى أن المشرع الدستوري تبني النظام الفدرالي. وعلى حد سواء مع الأنظمة البرلمانية، ركز الدستور العراقي النافذ غالبية الصلاحيات التنفيذية الهامة بيد مجلس الوزراء ورئيسه، حتى غدا رئيس الجمهورية رمزاً لوحدة الدولة ورئيساً تشريعياً للسلطة التنفيذية. ومع هذا تتمتع الرئيس ببعض الصلاحيات الدستورية الهامة، كاقترح القوانين واقتراح تعديل الدستور وقبول السفراء الأجانب المعتمدين في العراق واقتراح سحب الثقة من رئيس مجلس الوزراء، إلى جانب بعض الاختصاصات البروتوكولية، كإصدار المراسيم الجمهورية وتصديق أحكام الإعدام الصادرة عن المحاكم المختصة وإصدار العفو الخاص بناء على توصية رئيس مجلس الوزراء والقيام بمهام القائد العام للقوات المسلحة لأغراض تشريفية.

لقد أثرنا البحث في موضوع (رئيس الجمهورية في العراق رئيس في نظام برلماني أم رئاسي؟) دراسة تحليلية نقدية. لنقف على حقيقة الصلاحيات التي تتمتع بها الرئيس، وهل تتسجم وطبيعة النظام البرلماني الذي تبناه الدستور. ونسجل أوجه القصور التي قد تبدو على هذا الدستور في حدود رئاسة الدولة.

وتناولنا هذا الموضوع في ثلاثة مباحث، خصصنا الأول لدراسة شروط وآلية اختيار الرئيس، وبحثنا في الثاني مدة ولاية الرئيس، وكرسنا الثالث للبحث في صلاحيات الرئيس.

المبحث الأول: شروط وآلية اختيار الرئيس

تتباين الدساتير في الشروط التي توجب توافرها فيمن يتولى رئاسة الدولة، وهي عادة أكثر تشدداً في الأنظمة الرئاسية منها في الأنظمة البرلمانية. حيث يلعب الرئيس في النظام الأول دوراً محورياً في إدارة وتسيير شؤون الحكم. في الوقت الذي يبدو في رئيس الدولة في النظام البرلماني رمزاً لوحدة الدولة وعنصر توازن بين السلطتين التنفيذية والتشريعية. وبهذا المعنى نصت المادة (٦٤) من الدستور العراقي النافذ لعام ٢٠٠٥ (رئيس الجمهورية هو رئيس الدولة ورمز وحدة الوطن، يمثل سيادة البلاد، ويسهر على ضمان الالتزام بالدستور، والحفاظة على استقلال العراق وسيادته ووحدته وسلامه أراضييه وفقاً لأحكام الدستور).

وحددت المادة (٦٥) الشروط الواجب توافرها فيمن يتولى منصب رئيس الدولة، وهي:-

أولاً- أن يكون عراقياً بالولادة من أبوين عراقيين: على ذلك ليس للمتجنسين الترشيح لمنصب رئيس الدولة كونه لا يحمل الجنسية العراقية بالولادة، وإن كان أبويه يحملان الجنسية العراقية ومثل هذا الاحتمال قد يكون معتاداً في العراق، فكثيراً من الأسر العراقية ولاسيما التي عملت في السياسة، تركت العراق وهاجرت الى الخارج في أعقاب انقلاب ١٤ تموز ١٩٥٨ ولم تسمح الظروف السياسية لأبنائها المولودين بالخارج من الحصول على الجنسية العراقية. وقانونا ليس لهؤلاء بموجب الدستور النافذ الترشيح لرئاسة الدولة، وهذا ما يخالف الحق والمنطق ولا معنى لحرمان هذه الفئة من الحق في الترشيح بعد اكتسابها الجنسية العراقية.

وفضلاً عن أن هناك من يكتسب الجنسية العراقية بالتجنس نتيجة لاستيفائه الشروط التي حددها قانون الجنسية، وبالتالي من المفترض أن يكون لهذا المتجنس نفس الحقوق الممنوحة لأي مواطن آخر لاسيما وأن عليه نفس الالتزامات المفروضة على حامل الجنسية بالولادة. وربما كان وراء هذا الحظر المفروض على المتجنس، الخشية من عدم ولائه، ومع توافر هذا الاحتمال جرى العمل في الدساتير المقارنة على اشتراط مضي مدة معينة على اكتساب الجنسية كشرط للترشيح لأي منصب سياسي، كمضي خمس أو عشر سنوات على اكتساب الجنسية والإقامة خلال هذه المدة بصورة مستمرة في الدولة. ومثل هذا الشرط نص عليه القانون الاتحادي الألماني^(٨٤). والملاحظ ان المادة (٦٥) لم تكتف بأن يكون المرشح عراقياً بالولادة، ولكن اشتترط أن يكون من أبوين عراقيين، وهذا يعني أن ليس للعراقي بالولادة الترشيح لمنصب رئيس الدولة إذا لم يكن أحد أبويه عراقياً. ومن المؤكد أن هذا الشرط يتعارض ونص المادة (١٨/أولاً) من الدستور التي تنص على أنه (العراقي، هو كل من ولد لأب عراقي أو لأم عراقية). من هنا كان الأولى بالمشروع الدستوري الاكتفاء بأن يكون المرشح عراقياً بالولادة إذا كان لا بد من هذا الشرط من دون اشتراط أن يكون لأبوين عراقيين، أو أن يكون عراقياً مضي على تجنسه خمس أو عشر سنوات. وفي

٨٤- د.علي يوسف الشكري وآخرون، دراسات حول الدستور العراقي، مؤسسة آفاق للدراسات والأبحاث العراقية، بغداد،

رأينا أن مثل هذه المساواة من شأنها تأكيد الولاء لدى المرشح، ناهيك عن كونها تتماشى مع المبادئ الديمقراطية التي نادى بها الساسة العراقيون في أعقاب سقوط نظام الحكم.

ثانياً- أن يكون كامل الأهلية وأتم الأربعين سنة من عمره:- ونرى أن هذا الشرط يفتقد للدقة في صياغته، فمن المؤكد أن من أتم الأربعين سنة من عمره هو كامل الأهلية، وكان الأولى بالمشروع أن يصيغ الشرط على النحو التالي (أتم الأربعين سنة من عمره من دون أن يعتري أهليته عارض من العوارض)، كالجنون والعتة والسفه والغفلة، على أن يتم اثبات عدم الأهلية بتقرير طبي معتمد من قبل لجنة طبية يجري تعيينها من قبل اللجنة العليا المشرفة على الانتخابات الرئاسية بعيداً من مجلس النواب، ضماناً لحيدة واستقلال هذه اللجنة.

ثالثاً- أن يكون ذو سمعة حسنة وخبرة سياسية ومشهود له بالنزاهة والاستقامة والعدالة والإخلاص للوطن:- وفي رأينا أن هذا الشرط كان بالإمكان اختزاله، بوصف المرشح ذو خبرة سياسية على اعتبار أن باقي التفاصيل تدخل ضمن الشرط الرابع (غير محكوم عليه بجريمة مخلة بالشرف) الذي سنأتي لاحقاً على تفصيله.

أما شرط الخبرة السياسية، فقد ورد النص عليه في العديد من الدساتير، من بينها الدستور البرازيلي لسنة ١٩٦٧^(٨٥).

كما جرى التقليد السياسي في الولايات المتحدة على أن يكون المرشح للانتخابات الرئاسية ذا تاريخ سياسي طويل^(٨٦). ومثل هذا الشرط من شأنه ضمان جدية الترشيح وكفاءة من يتولى هذا المنصب الرفيع، وإلا فإن باقي الشروط قد تتوافر في لا يحصى من افراد الشعب (عراقي لأبوين عراقيين - أتم الأربعين سنة - غير محكوم عليه بجريمة غير مخلة بالشرف). فهل هذا يعني ان لكل إمكانية الترشيح لرئاسة الدولة؟ ومن المؤكد أن مثل هذا التساؤل لا يرمي لتقيد هذا الحق ولكن لإضفاء الجدية على طلب الترشيح لاسيما وأن التجاذبات السياسية التي شهدناها ويشهدها العراق في أعقاب سقوط نظام الحكم قد تدفع بعض الكتل الى ترشيح بعض الأسماء لا لشيء إلا للحصول على المزيد من المكاسب السياسية أو نكاية بإحدى أو بعض الكتل الأخرى.

رابعاً- غير محكوم عليه بجريمة مخلة بالشرف:- وكان على المشروع الدستوري أن يكون أكثر دقة في صياغته لهذا الشرط، بحيث يشترط أن لا يكون المرشح قد سبق وإن حكم عليه بجناية مخلة بالشرف، فتعبير الجريمة ينصرف الى المخالفة والجنحة، ومن المؤكد أن مثل هذه الجرائم لا تكون مخلة بالشرف، والجريمة المخلة بالشرف هي الجناية فقط هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لا بد من وضع معيار جديد للجرائم المخلة بالشرف في العراق بعد ان ادخلت قرارات مجلس قيادة الثورة المنحل كثيراً من الجرائم العادية في عداد الجرائم المخلة بالشرف من بينها الانتماء لحزب سياسي غير حزب البعث المنحل، والتخلف عن الخدمة العسكرية والتخلف عن جيش القدس وما يسمى بيوم النخوة وما الى ذلك من

٨٥- المصدر نفسه، ص ٢٦٧.

٨٦- د. محمد فتح الله الخطيب، دراسات في الحكومات المقارنة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٦، ص ١٠٦.

الأفعال والمصطلحات التي استحدثها حزب البعث لاسيما وان قانون العقوبات العراقي رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩ لازالت احكامه نافذة حتى اليوم.

خامساً- أن لا يكون المرشح مشمولاً باجثاث البعث:- وهذا الشرط ورد النص عليه في المادة (١٣١/ثالثاً) من الدستور، إذ حضر هذا النص على المشمول باجثاث البعث الترشيح لمنصب رئاسة الجمهورية ورئاسة وعضوية مجلس الوزراء ورئاسة وعضوية مجلس النواب ورئاسة وعضوية مجلس الاتحاد والمواقع المتناظرة في الأقاليم وأعضاء الهيئات القضائية.

وما يسجل على نص المادة (٦٥)، أنه لم يجدد المؤهل العلمي للمرشح، الأمر الذي يعني أن لكل من توافرت فيه الشروط السابقة الترشيح لرئاسة الدولة ولو كان أمياً أو لا يحسن القراءة والكتابة وهو أمر نراه محل نظر، صحيح أن الدستور أخذ بالنظام البرلماني وركز غالبية الصلاحيات التنفيذية الهامة بيد مجلس الوزراء ورئيسه إلا أن ذلك لا يعني بحال من الأحوال عدم أهمية منصب رئيس الجمهورية. من هنا نرى ضرورة اشتراط المؤهل العلمي في المرشح لرئاسة الجمهورية ولاسيما أن الدستور أشتراط فيمن يتولى رئاسة مجلس الوزراء أن يكون حاصلاً على مؤهل علمي جامعي على الأقل^(٨٧). وبالرغم من عدم اشتراط الدستور الانتماء الحزبي، إلا أننا نرى أن هذا الشرط لاغنى عنه للترشيح لرئاسة الدولة، بل لابد أن يكون المرشح رئيساً لقائمة انتخابية أو أحد أعضائها البارزين أو رئيساً لكتلة سياسية فائزة في الانتخابات. وهذا ما أفرزته الانتخابات النيابية الأولى (٣٠ كانون الثاني ٢٠٠٥)، والانتخابات النيابية الثانية (١٥ كانون الأول ٢٠٠٥). إذ أوكل هذا المنصب لمرشح القائمة الانتخابية الثانية من حيث عدد المقاعد النيابية (التحالف الكردستاني) وربما يصبح هذا المنصب حكراً على هذه القائمة إذا ما قدر لترتيب القوائم الانتخابية أن يستمر على هذا النحو في الانتخابات النيابية القادمة. ولاسيما أن رئاسة مجلس النواب قد أوكلت للقائمة السنية في الانتخابات النيابية الأولى والثانية، بعد أن ترأس الحكومة مرشح قائمة الائتلاف العراقي الموحد بفعل حصول هذه القائمة على أعلى نسبة من المقاعد في مجلس النواب.

وعلى وفق دستور عام ٢٠٠٥، يجري انتخاب رئيس الجمهورية من قبل مجلس النواب بأغلبية ثلثي أعضائه^(٨٨). ونرى أن هذا النص قد يكون معطلاً من الناحية الفعلية للأسباب التي أشرنا إليها سلفاً. فمرشح إحدى القوائم الانتخابية الفائزة هو رئيس الدولة حكماً وما على المجلس إلا التصويت شكلياً على هذا المرشح. وربما يدخل هذا النص حيز النفاذ من الناحية الفعلية بعد مدة طويلة من نفاذ الدستور أو على المدى البعيد إذا ما قدر لموازين القوى أن تتغير في المستقبل بحيث لا تصبح رئاسة الدولة أو الحكومة أو مجلس النواب حكراً على تيار أو قوى سياسية معينة.

وبموجب المادة (٦٧/ثانياً) إذا لم يحصل أحد المرشحين على الأغلبية المطلوبة (ثلثي أعضاء المجلس) يتم التنافس بين المرشحين الحاصلين على أعلى الأصوات، ويعلن رئيساً من يحصل على أكثر الأصوات في الاقتراع الثاني. وأفرد الدستور نصوص المواد (٦٤-٧٢) تحت عنوان "أولاً- رئيس الجمهورية" لتنظيم كل ما يتعلق برئيس الجمهورية لكن اللافت للنظر أن بين هذه النصوص، نصاً واحداً جاء في غير محله

٨٧- انظر م(٧٤/أولاً) من الدستور العراقي النافذ لسنة ٢٠٠٥.

٨٨- م(٦٧/أولاً) من الدستور.

من الدستور (٦٦م/ثانياً)، إذ أحال هذا النص كل ما يتعلق بمنصب نائب رئيس الجمهورية على قانون خاص يصدر لتنظيم هذا المنصب (أولاً- تنظم بقانون أحكام الترشيح لمنصب رئيس الجمهورية- ثانياً- تنظم بقانون أحكام اختيار نائب أو أكثر لرئيس الجمهورية). وإذا كان لا بد من إيراد هذه الإشارة، كان الأجدر تخصيص آخر نص لها بعد الانتهاء من معالجة كل ما يتعلق برئاسة الجمهورية. ولو أننا نرى أن تنظيم كل ما يتعلق بمنصب نائب رئيس الجمهورية في موضع خاص من الدستور وبصورة مفصلة أم أكثر ملائمة من هذه الإشارة ومن الإحالة على القانون. لأن تنظيم هذا المنصب على نحو ما ورد من الدستور من شأنه إثارة الخلاف في مجلس النواب بشأن بعض المسائل الهامة، كعدد النواب مثلاً إذا ما علمنا أن العمل جرى منذ الانتخابات التشريعية الأولى على أن يكون لرئيس الجمهورية نائبان أحدهما من المذهب الشيعي والآخر من المذهب السني.

المبحث الثاني: مدة ولاية الرئيس

حددت الدستور، مدة ولاية الرئيس بأربع سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة فقط^(٨٩). أي أن الحد الأقصى لولاية الرئيس في العراق ثمان سنوات. وحسباً فعل الدستور فيما ذهب إليه بتحديد مدة الولاية صراحة وإن أصبح ذلك مبدأً دستوري تقليدي في الدساتير الحديثة، لكنه مبدأ جديد في الدساتير العراقية منذ تأسيس الدولة العراقية حتى الآن، وفي غالبية الدساتير العربية، فترئاسة الجمهورية في البلاد العربية من نوع خاص، فهي رئاسة لمدى الحياة وإن لم يكن الرئيس قادراً على أداء مهام عمله ليس هذا حسب، لكنها تورث لمن يوصي له الرئيس بعد وفاته، فحق عليها وصف الجمهوريات الملكية. ومسايرة للاتجاه الدستوري الغالب، أجاز الدستور العراقي إعادة انتخاب الرئيس لولاية ثانية فقط، ومن المؤكد أن ذلك سيكون حافزاً لبذل المزيد من الجهد من قبل الرئيس رغبة في الفوز بولاية ثانية، بل أن قصر الولاية على مدة واحدة قد يدفع إلى الإهمال بوصف الرئيس لايشقى على منصبه الذي سيفقده حتماً بعد انتهاء الولاية الأولى سواء أحسن أم أساء استعمال صلاحياته. ومن المؤكد أن تحديد الولاية بمدة واحدة غير قابلة للتجديد قد يجرم الدولة من خبرة سياسية اكتسبها الرئيس في ولايته الأولى، كما أن تغيير الرئيس بشكل مستمر قد ينتهي إلى التغيير المستمر في أسلوب العمل الإداري فمن الطبيعي أن يكون لكل رئيس أسلوبه الخاص في تصريف شؤون الدولة.

والملاحظ أن المادة (٦٩) لم تحسم مسألة غاية في الأهمية، هي إكمال الرئيس ولاية سلفه الذي حل محله لأي سبب من الأسباب، فهل تعد هذه ولاية مستقلة، ويكون للرئيس ولاية أخرى فقط؟ أو لاتعد كذلك ويبقى للرئيس الحق في الترشيح لولايتين مستقلتين؟ وبانتهاء الأربع سنوات تنتهي ولاية الرئيس من الناحية الرسمية، لكنه يستمر بممارسة مهام عمله لحين انتخاب مجلس نواب جديد وانعقاده وانتخابه رئيساً جديداً خلال ثلاثين يوماً من تاريخ الانعقاد الأول^(٩٠). وتنتهي ولاية الرئيس بعدة حالات، أشار الدستور لبعض منها من دون البعض الآخر، وعلى النحو التالي:-

٨٩- م (٦٩/أولا) من الدستور.

٩٠ - م (٦٩/ثانياً/ب) من الدستور.

١. انتهاء مدة ولاية مجلس النواب^(٩١).
٢. الاستقالة، على أن تقدم تحريراً إلى رئيس مجلس النواب، وتعد الاستقالة نافذة بعد مضي سبعة أيام من تاريخ ايداعها لدى مجلس النواب^(٩٢). الأمر الذي يعني أن ليس للمجلس أو لرئيسه رفض الاستقالة في كل الأحوال متى أصر رئيس الجمهورية على قراره. والملاحظ أن هناك تناقضاً في نص المادة (٧٢/أولاً)، إذ أوجب هذا النص في مقدمته تقديم الاستقالة لرئيس المجلس، في الوقت الذي يشير النص في نهايته إلى أن الاستقالة تعد نافذة بعد مضي سبعة أيام من تاريخ تقديمها للمجلس وليس للرئيس. وكان الأولى بالنص أما أن يخول صلاحية قبول الاستقالة لرئيس المجلس ويعدها نافذة بعد مضي سبعة أيام من تاريخ تقديمها له. أو يمنحها للمجلس بأغلبية ثلثي أعضائه مثلاً ويعدها نافذة بمضي سبعة أيام من تاريخ تقديمها له فتكون في الحالتين مقدمة النص منسجمة ونهايته. أما النص بوضعه القائم فيه تناقض من المؤكد أنه غير مقصود.
٣. الإقالة بقرار صادر بالأغلبية المطلقة لأعضاء مجلس النواب بعد إدانته (الرئيس) من قبل المحكمة الاتحادية العليا في إحدى الحالات الآتية:-
 - أ- الحنث باليمين.
 - ب- انتهاك الدستور
 - ج- الخيانة العظمى
 والملاحظ أن الحالات التي يدان بسببها رئيس الجمهورية، حالات وردت على سبيل الحصر في المادة (٥٨/سادساً/ب). وبالتالي لايدان الرئيس ولايقال عن أي فعل أو جرم آخر. وهو أمر نراه محل نظر وكان الأولى بالمشروع الدستوري إيراد الجرائم أعلاه على سبيل المثال كي يفسح المجال أمام المحكمة الاتحادية العليا لإدانة الرئيس عن أي جرم سياسي أو جنائي آخر يمكن أن يهدد أمن الدولة وسيادتها أو يمس الشرف المهني.
- وما يسجل على المشروع الدستوري في هذا الجانب أنه أخذ نص المادة (٥٨/سادساً/ب) حرفياً عن الدستور الأمريكي ومن المؤكد أن الاقتباس ليس بمحد ذاته مأخذاً يسجل على الدستور، لكن المأخذ ألا يطوع النص ويكيف بما ينسجم وواقع المجتمع وحاجاته. كما كان على المشروع الدستوري استعمال تعابير متداولة في العراق، كالقسم كذباً بدلاً من الحنث باليمين، والجرائم الماسة بأمن الدولة وسيادتها بدلاً من الخيانة العظمى.
٤. خلو منصب رئيس الجمهورية لأي سبب من الأسباب^(٩٣). وهذا التعبير العام الذي أوردها الدستور يستوعب كل الحالات التي يمكن أن تنتهي بها ولاية الرئيس كالوفاة والعجز مثلاً، وكان على المشروع الدستوري أن يكون أكثر تفصيلاً في بيان بعض هذه الحالات، كالعجز الدائم عن ممارسة مهام الرئاسة، ومن المؤكد أن مثل هذه الحالة كثيراً ما أثارت وتثير الأزمات الدستورية بشأن من يدعي

٩١- م(٦٩/أولاً/أ) من الدستور.

٩٢- م(٧٢/أولاً) من الدستور.

٩٣- م(٦٩/ثانياً/ج) من الدستور.

العجز ومن يقرره، إذ قد يتهم الرئيس بالعجز عن ممارسة مهامه الدستورية، ويتمسك هو بقدرته على الاستمرار بعمله. من هنا كان لا بد من تحديد جهة معينة تفصل في ذلك. ومثل هذا الاحتمال أمر متوقع لاسيما في بلدان العالم الثالث، والعالم العربي تحديداً، ومن بين تلك الأزمات وليس آخرها الأزمة التي أثّرت في الكويت في أعقاب وفاة الأمير جابر الأحمد الصباح، إذ تقدم أمير الكويت الحالي صباح الأحمد الجابر ومجلس الوزراء الى مجلس الأمة بطلب تنحية الشيخ سعد العبدالله السالم بعد أن آل إليه العرش بوفاة الأمير جابر الأحمد، بحجة مرضه المزمن وعدم قدرته على ممارسة مهامه الدستورية، وبعد مد وجزر، قرر مجلس الأمة بالإجماع تنحية الشيخ سعد العبد الله وتسمية الأمير صباح الأحمد أميراً للبلاد. ولولا النص الدستوري الصريح بشأن تنظيم حالة عجز الأمير لا تنهى الأمر إلى أزمة سياسية من العسير التنبأ بأثارها. من هنا نرى ضرورة تضمين الدستور العراقي النافذ نصاً صريحاً يحدد الجهة التي لها الطعن بعجز الرئيس والجهة التي لها الفصل بذلك.

وإذا ما انتهت ولاية لرئيس لأي سبب طارئ، يحل نائب الرئيس محل الرئيس، لحين انتخاب رئيس جديد للجمهورية من قبل مجلس النواب^(٩٤). والملاحظ أن الدستور لم يحدد أي من نواب الرئيس يتولى هذا المنصب مؤقتاً، هل النائب الأول أم الثاني؟ وربما رأى المشرع الدستوري عدم الحاجة لمثل هذه الإشارة على اعتبار أن النائب الأول يحل محل الرئيس تلقائياً، أو أنه لم يحسم مسألة عدد النواب فأقر ضمناً أن ليس للرئيس سوى نائب واحد، ويبقى الأمر محض احتمال ومحل تساؤل، إذ أحال الدستور كل ما يتعلق بنائب الرئيس على قانون خاص يصدر لاحقاً، وهذا ما يوحي بثنائية الدور الدستوري لنائب الرئيس وإلا فما معنى هذا الاقتضاب والإحالة على القانون.

وما زاد في هذا الغموض والتساؤل أن الدستور في المادة (٧٢/رابعاً) يذهب الى حلول رئيس مجلس النواب محل رئيس الجمهورية في حالة خلو منصب الأخير وعدم وجود نائب له، وعبارة (عدم وجود نائب له) تثير هي الأخرى التساؤل، هل تعني هذه العبارة عدم تعيين نائب أصلاً؟ أو خلو المنصب لسبب طارئ؟ من هنا كان الأولى بالمشرع الدستوري أن يكون أكثر وضوحاً وإسهاباً في معالجة وتنظيم منصب الرئيس ولو من خلال إيراد المبادئ الرئيسة فقط وترك التفاصيل لقانون يصدر لاحقاً. أما الاقتضاب على هذا النحو فهو مأخذ يسجل على الدستور وفي رأينا أن مثل هذا النقص قد يثير أزمة دستورية لاسيما وأن الحلول في هذا المنصب أصبح جزءاً من التجاذبات والمساومات والموازنات السياسية بين الكتل الرئيسة.

المبحث الثالث: صلاحيات رئيس الجمهورية

أنقسم رأي الفقه بشأن تحديد دور رئيس الدولة في النظام البرلماني إلى اتجاهين، وكان لكل اتجاه مسوغاته وحججه التي يستند إليها في تأييد ما يذهب إليه. فقد ذهب الاتجاه الأول إلى أن طبيعة النظام البرلماني تستلزم دوراً شكلياً سلبياً لرئيس الدولة، واختصاصات اسمية يمارسها بواسطة وزرائه^(٩٥). بل أن

٩٤- م(٧٢/ثالثاً) من الدستور.

٩٥- د. محمد عبدالعال السناري- الأنظمة السياسية المقارنة- الحكومات وأنواعها- المكتبة القانونية، القاهرة، دون سنة طبع،

بعض الفقه يذهب إلى أن الرئيس في النظام البرلماني ليس له إلا توجيه النصح والإرشاد لهيئات الدولة الأخرى دون أن يكون له دور مباشر في شؤون الحكم^(٩٦). أما الاتجاه الثاني، فيرى أن النظام البرلماني لا يتقاطع ومنح الرئيس الدولة صلاحيات فعلية، فالسلطة التنفيذية في هذا النظام لم تمنح للوزارة وحدها بل يشترك معها رئيس الدولة، فكما أن البرلمان يمكن أن يتألف من مجلسين، فإن السلطة التنفيذية يمكن أن تكون مزدوجة وهذا ما ينتهي إلى وضع حد لإساءة استعمال السلطة والاستبداد بها كما يؤدي إلى زيادة الروية والتفكير في تصريف الأمور^(٩٧).

وفي رأينا أن مسألة منح أو حجب الصلاحيات عن رئيس الدولة في النظام البرلماني، مسألة نسبية تختلف من دستور لأخر، فمن الدساتير من لا تعطي للرئيس إلا دوراً شكلياً محدداً كما في بريطانيا وألمانيا في ظل دستور عام ١٩٤٩، ومنها من تودعه صلاحيات حقيقية ومؤثرة، كما في الدستور العراقي النافذ لعام ٢٠٠٥ والدستور الهندي لعام ١٩٤٩، الأمر الذي دعا بعض الفقه إلى القول "إنَّ للرئيس الهندي سلطات واسعة جداً أكثر من تلك التي لملك بريطانيا والرئيس الأمريكي"^(٩٨).

كما لا بد من الإشارة إلى أن الصفات الشخصية للرئيس وشعبيته وطبيعة علاقته برئيس الوزراء والسلطة التشريعية والثقل السياسي للكتلة التي ينتمي إليها، كلها عوامل تلعب دوراً مؤثراً في تحديد دور الرئيس في السلطة التنفيذية، من ذلك الدور المحوري الذي لعبه الرئيس العراقي جلال الطالباني وكتلته النيابية في تحديد ملامح الدولة الجديدة ورسم سياسة العراق، فقد مارس الرئيس الطالباني دوراً سياسياً أكبر بكثير من ذلك المرسوم للرئيس في ظل دستور عام ٢٠٠٥ الأمر الذي دعاه وكتلته النيابية إلى المطالبة بتعديل الدستور وبما يمنح الرئيس المزيد من الصلاحيات وإلا فإنه لن يرشح لولاية رئاسية ثانية. وليبيان طبيعة الدور الذي رسمه الدستور النافذ لرئيس الجمهورية، سوف نبحث في صلاحيات الرئيس تبعاً:-

أولاً- إصدار العفو الخاص^(٩٩):-

وينصرف معنى العفو الخاص إلى العفو عن شخص أو مجموعة أشخاص محددين بذواتهم. والملاحظ أن صلاحية الرئيس في هذا الاختصاص شكلية أكثر منها فعلية، إذ قيد الدستور اختصاصه هذا بتوصية صادرة عن رئيس مجلس الوزراء، من هنا فإن صاحب الاختصاص الفعلي في الواقع هو رئيس مجلس الوزراء وليس رئيس الجمهورية.

إذ يقتصر دور الأخير على إصدار ما أوصى به رئيس مجلس الوزراء، ناهيك عن أن هذا الاختصاص الشكلي مقيد بعدم المساس بالحقوق الخاص كما لا يمتد للمحكومين عن الجرائم الدولية أو جرائم الإرهاب أو الفساد المالي والإداري.

٩٦- د. علي يوسف الشكري وآخرون، المصدر السابق، ص ٢٨٢ وما بعدها.

٩٧- د. حسين عثمان محمد عثمان، النظم السياسية والقانون الدستوري، الدار الجامعية الإسكندرية، ١٩٨٩، ص ٢٤٥-٢٤٦.

٩٨- د. علي يوسف الشكري وآخرون، المصدر السابق، ص ٢٨٠.

٩٩- م (٧٠/أولاً) من الدستور.

ثانياً- المصادقة على أحكام الإعدام^(١٠٠): وهذا الاختصاص إجرائي تنص عليه عادة القوانين الجنائية. وبالرغم من شكلية هذا الاختصاص إلا أن الدستور العراقي جاء مقتضياً في تنظيمه، إذ لم يبين الدستور من يحل محل الرئيس في ممارسة هذا الاختصاص إذا ما غاب الرئيس لأي سبب من الأسباب أو إذا ما أمتنع عن ممارسة اختصاصه هذا. وسبق للرئيس العراقي جلال الطالباني أن أعلن عدم توقيعه على حكم الإعدام إذا ما صدر بحق صدام حسين من قبل المحكمة الجنائية المركزية. ليس طعنًا بجيادية ونزاهة المحكمة. ولكن يبدو لعدم الرغبة في التوقيع على أي حكم إعدام من هنا كان الأجدد بالدستور النص على من ينوب عن الرئيس في ممارسة هذا الاختصاص.

ثالثاً- المصادقة على المعاهدات والاتفاقيات الدولية:- وما يسجل على الدستور العراقي النافذ في تنظيمه لهذا الاختصاص أنه وقع في تناقض، فمن ناحية خول هذا الاختصاص في المادة (٧٠/ثانياً) لرئيس الجمهورية بعد موافقة مجلس النواب (المصادقة على المعاهدات والاتفاقيات الدولية بعد موافقة مجلس النواب، وتعد مصادقاً عليها بعد مضي خمسة عشر يوماً من تاريخ تسليمها). وفي موضع آخر من الدستور (٥٨/ثالثاً) منح هذا الاختصاص لمجلس النواب بأغلبية ثلثي أعضائه (تنظم بقانون عملية المصادقة على المعاهدات والاتفاقيات الدولية بأغلبية ثلثي أعضاء مجلس النواب). ومن استقراء نص الفقرتين أعلاه يبدو لنا في الواقع أن إرادة المشرع الدستوري كانت قد انصرفت إلى منح هذا الاختصاص لمجلس النواب، بدليل أن الدستور حدد الأغلبية التي تجري فيها المصادقة من قبل مجلس النواب، في حين عد مصادقة رئيس الجمهورية حاصلة حكماً إذا مضت مدة خمسة عشر يوماً من تاريخ تسلمها من دون أن يبدي رأيه فيها سلباً أو إيجاباً.

رابعاً- اقتراح القوانين والمصادقة عليها وإصدارها: تباين موقف الدساتير البرلمانية من صلاحيات الرئيس التشريعية، فمنها من توسع في ذلك فمنحه حق الاقتراح والاعتراض الإسقاطي والتصديق، ومنها من ضيق من اختصاصه هذا فخوله حق التصديق فقط كالـدستور المغربي لعام ١٩٦٢^(١٠١). وثالثة اختطت طريقاً وسطاً فمنحته حق الاقتراح والاعتراض التوقيفي والتصديق كالـدستور المغربي لعام ١٩٥٦^(١٠٢). والملاحظ أن الدستور العراقي كان قد تبني طريقاً وسطاً بين هذه الاتجاهات الدستورية، فخول الرئيس حق اقتراح القوانين^(١٠٣). والمصادقة عليها وإصدارها^(١٠٤). ويبدو لنا أن صلاحية الرئيس في المصادقة على القوانين شكلية أكثر منها فعلية، إذ يعد التشريع مصادقاً عليه حكماً بمضي خمسة عشر يوماً من تاريخ إحالته إلى الرئيس إذا لم يصادق عليه فعلياً. الأمر الذي يعني أن ليس للرئيس الاعتراض على التشريع المحال إليه توقيفاً أو إسقاطاً، هذا فضلاً عن أن عرفاً نشأ في العراق بعد سقوط نظام حكم صدام حسين، منح نائب الرئيس صلاحية المصادقة على القوانين إذا أمتنع الرئيس عن المصادقة أو كان

١٠٠- م(٧٠/ثامناً) من الدستور.

١٠١- فصل (٥٥) من الدستور المغربي لسنة ١٩٦٢.

١٠٢- فصل (١٣٢) من الدستور المغربي لسنة ١٩٥٦.

١٠٣- م(٥٧/ثانياً/أ) من الدستور.

١٠٤- م(٧٠/ثالثاً) من الدستور.

غائباً لأي سبب من الأسباب، ومن بين التشريعات التي صادق عليها نائب الرئيس، قانون المحكمة الجنائية المركزية.

خامساً- دعوة مجلس النواب للانعقاد: وللرئيس ممارسة هذا الاختصاص في حالتيه، الأولى في أعقاب إجراء الانتخابات العامة، والملاحظ أن الدستور كان قد نص على هذا الاختصاص في أكثر من موضع (٥٢م-٧٠/رابعاً) وكان الأولى بوضعي الدستور النص على هذا الاختصاص في موضع واحد تحاشياً للتكرار والإطالة والإسهاب ولاسيما أن الدساتير عادة ما تتحاشى التكرار والخوض في التفاصيل. أما الحالة الثانية، هي دعوة مجلس النواب للانعقاد بجلسة استثنائية^(١٠٥). ومثل هذه الجلسة عادة ما يدعى إليها بين ادوار الانعقاد وخلال العطلة التشريعية إذا ما استجدت مسائل هامة تستلزم استطلاع رأي المجلس فيها أو اتخاذ القرار بشأنها بوصفها داخلة ضمن اختصاصه ولا يمكن تأجيلها لحين انعقاده بجلسة اعتيادية.

والملاحظ في هذا الاختصاص أن الدستور كان قد خوله لأكثر من جهة، فإلى جانب رئيس الجمهورية، لرئيس مجلس الوزراء ولرئيس مجلس النواب ولخمسين عضواً من أعضاء المجلس دعوة المجلس للانعقاد بجلسة استثنائية، وحسناً فعل الدستور فيما ذهب إليه، فقد تتراخى إحدى هذه الجهات في ممارسة اختصاصها هذا أو ترى إمكانية تأجيل النظر من مسألة معينة في حين أن الحاجة تدعو لانعقاد المجلس على وجه العجالة، وتعدد الجهات التي لها ممارسة هذا الاختصاص يكون الدستور قد عالج الاحتمال سالف الذكر.

سادساً- طلب سحب الثقة من رئيس الوزراء: والملاحظ أن هذا الأختصاص لا يخول لرئيس الجمهورية في الدساتير البرلمانية عادة، وبهذا الاختصاص يكون الدستور العراقي قد خرج عن المبدأ العام لدور الرئيس في الأنظمة البرلمانية، ففي ظل هذا النظام يمثل رئيس الدولة عادة نقطة التوازن بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، ووسيط تقريب وجهات النظر بينهما إذا ما احتدم الخلاف وتفاقم شدته وهددت السلطة التشريعية بإقالة الحكومة أو لوححت الحكومة بحل البرلمان. أما أن يمنح رئيس الجمهورية منفرداً حق طلب إقالة رئيس الوزراء، فهو اختصاص مستحدث للرئيس في الأنظمة البرلمانية، بل خروج على المبادئ الرئيسة التي تحكم هذا النظام. صحيح أن الرئيس لا يقلل رئيس مجلس الوزراء مباشرة ولكن يتقدم بهذا الطلب لمجلس النواب، مع ذلك نرى أن هذا الاختصاص مستحدث في النظام البرلماني لاسيما وان رئيس الجمهورية (جلال الطالباني) سبق وأن هدد باستعمال هذا الاختصاص قبل نفاذ الدستور حينما احتدم الخلاف بين التحالف الكردستاني ورئيس الوزراء (الجعفري) بشأن تقرير مصير محافظة كركوك وضمتها لأقليم كردستان. من هنا كان على واضعي الدستور توخي الدقة في تحديد الجهة التي لها ممارسة هذا الاختصاص بغض النظر عن شخص الرئيس، فالدستور لا يوضع لشخص ولكن لدولة، مراعاة للمبادئ الأساسية التي تحكم النظام البرلماني ولاسيما أن الدستور نص صراحة على أن نظام الحكم في العراق

برلماني (جمهورية العراق دولة مستقلة ذات سيادة، نظام الحكم فيها جمهوري نيابي "برلماني ديمقراطي اتحادي")^(١٠٦).

سابعاً- الموافقة على حل مجلس النواب:^(١٠٧) ودور الرئيس في هذا الاختصاص شكلي من ناحية وفعلي من ناحية أخرى. فهو شكلي بوصف الرئيس ليس له ممارسة هذا الاختصاص إلا بناء على طلب رئيس الوزراء. وفعلي باعتبار أن القول الفصل في حل مجلس النواب للرئيس. إذا أيد الطلب حل المجلس وإذا رفضه استمر المجلس في ممارسة مهام عمله، هذا من الناحية الدستورية. ولكن من استقراء الوضع السياسي في العراق في ظل الحكومة الانتقالية والحكومة الدائمة الأولى والمهام التي اضطلع بها الرئيس، يبدو لنا أن الدور الفعلي للرئيس في ممارسة هذا الاختصاص يغلب على الدور الشكلي. إذا أن الثقل السياسي للرئيس وكتلته النيابية دعمت دوره الدستوري في مواجهة السلطتين التنفيذية والتشريعية وأصبح بإمكانه الضغط على رئيس الوزراء للتقدم بطلب الحل واتخاذ القرار الفعلي بحل المجلس النيابي.

ثامناً- الدعوة لانتخابات عامة^(١٠٨): ومثل هذه الدعوة يتقدم بها الرئيس إذا ما حل المجلس بقرار رئاسي بناء على طلب ثلث أعضاء المجلس (النواب)، أو بناء على طلب رئيس مجلس الوزراء. وألزم الدستور الرئيس، بممارسة اختصاصه هذا خلال مدة أقصاها ستون يوماً من تاريخ الحل. وهي مدة نراها طويلة ولا سيما أن مجلس الوزراء يعد هو الآخر مستقياً حكماً بحل المجلس، الأمر الذي قد ينتهي إلى فراغ حكومي وتشريعي. من هنا نرى ضرورة تعديل هذا النص وبما يضمن الدعوة لانتخابات عامة خلال مدة خمسة عشر يوماً أو ثلاثون يوماً في أبعد أجل من تاريخ حل المجلس.

تاسعاً- تكليف رئيس الوزراء بتشكيل الحكومة:^(١٠٩) ومثل هذا الاختصاص في الدساتير البرلمانية اختصاص شكلي محض يقتصر على تكليف مرشح الكتلة النيابية الحائزة على أعلى نسبة من الأصوات بتشكيل الحكومة، لكن هذا الاختصاص في ظل الدستور العراقي النافذ أثبت خطورته وأهميته في أعقاب إعلان رئيس الجمهورية (جلال الطالباني) وكتلته النيابية، ورفض المرشح الذي تقدمت به لائحة الائتلاف العراقي الموحد لمنصب رئيس مجلس الوزراء على أثر قيام هذا المرشح بزيارة تركيا، الأمر الذي أدخل البلد بأزمة سياسية وأخر تشكيل الحكومة واختيار رئيس الجمهورية ورئيس مجلس النواب. وعلى المرشح لمنصب رئاسة الحكومة، تقديم تشكيل حكومته خلال ثلاثون يوماً من تاريخ التكليف^(١١٠). وإذا ما أخفق بتشكيل الحكومة خلال المدة المذكورة، يكلف رئيس الجمهورية مرشح آخر^(١١١). والملاحظ أن الدستور لم يعالج مسألة إخفاق المرشح الجديد بتشكيل الحكومة، أو المدة التي يتقدم خلالها بتشكيله هذا، وهي

١٠٦- م(١) من الدستور.

١٠٧- م(٦١/أولاً) من الدستور.

١٠٨- م(٦١/ثانياً) من الدستور.

١٠٩- م(٧٣/أولاً) من الدستور.

١١٠- م(٧٣/ثانياً) من الدستور.

١١١- م(٧٣/ثالثاً) من الدستور.

مسألة نراها غاية في الأهمية، لكنه أشار إلى أن رئيس الجمهورية يكلف مرشحاً آخر لتشكيل الحكومة خلال مدة خمسة عشر يوماً إذا لم تحصل الوزارة على ثقة البرلمان^(١١٢).

عاشراً- ممارسة مهام رئيس الوزراء: ^(١١٣) وبموجب هذا الاختصاص يحل رئيس الجمهورية محل رئيس مجلس الوزراء إذا ما خلا منصب الأخير لأي سبب من الأسباب. وفي رأينا أن الدستور لم يكن موقفاً بمنح هذا الاختصاص لرئيس الجمهورية، وكان الأولى به تركه لنائب رئيس الوزراء أو النائب الأول في حالة تعداد النواب، إذ يعد النائب في رأينا أقدر على القيام بمهام رئيس مجلس الوزراء بحكم قربته من الوزارة وإطلاعه على عملها اليومي.

وربما وجد واضعوا الدستور أن تحويل هذه الصلاحية لرئيس الجمهورية سوف لن يخل بعمل الوزارة كونها حكومة تسيير أعمال، إذ يكون الرئيس ملزماً بتكليف مرشح جديد لتشكيل الحكومة خلال مدة خمسة عشر يوماً من تاريخ خلو منصب رئيس مجلس الوزراء. ونرى أن هذا المسوغ لو كان هو الدافع لمنح رئيس الجمهورية هذه الصلاحية، ويبقى غير كاف، باعتبار أن ليس لرئيس الجمهورية نفس المعرفة التي لنائب رئيس مجلس الوزراء فيما يتعلق بعمل الحكومة المنحلة، هذا فضلاً عن أن تشكيل الحكومة الجديدة قد يطول بفعل فشل المرشح الجديد بتشكيلها أو عدم نيلها ثقة مجلس النواب. من هنا نرى أن الأولى بالدستور منح هذه الصلاحية لنائب رئيس الوزراء.

حادي عشر- اقتراح تعديل الدستور: وهذا الاختصاص يشترك فيه رئيس الجمهورية ومجلس الوزراء مجتمعاً وخمس أعضاء مجلس النواب^(١١٤). ونرى أن منح هذا الاختصاص لرئيس الجمهورية منفرداً دون ضابط أو محدد، أمر محل نظر، فالدستور لم يمنحه لرئيس مجلس الوزراء منفرداً ولكن للمجلس مجتمعاً ولم يمنحه إلا لخمس مجلس النواب، أي لما يقارب من خمسة وخمسين عضواً في الأقل لخطورة وأهمية هذا الاختصاص، هذا فضلاً عن إلى أن هذا القيد يضيف على الدستور نوعاً من القدسية والجمود والأعلوية على التشريعات العادية. وأمام ذلك نرى أن الأجدر بالدستور أما حجب هذا الاختصاص عن رئيس الجمهورية أو تقييد حقه هذا بضابط يضمن حرمة وأعلوية الدستور، صحيح أن اقتراح الرئيس هذا مقيد بموافقة أغلبية ثلثي أعضاء مجلس النواب وموافقة الشعب في استفتاء عام لكن هذه القيود نراها غير مجدية في حماية قدسية الدستور في ظل انتماء الرئيس لكتلة رئيسية في مجلس النواب وربما تأييد بعض الكتل السياسية الأخرى رغبة في الحصول على تأييد كتلة الرئيس في مناسبات أخرى. ناهيك عن أن رأي الشعب أو بعض فئاته مرتبط برأي الكتلة النيابية التي تمثله أو التي صوت لها في ظل التجاذبات المذهبية والقومية التي هيمنت على الشارع العراقي في أعقاب سقوط نظام الحكم السابق.

ثاني عشر- قبول السفراء^(١١٥): ويثير اختصاص الرئيس هذا التساؤل، هل أن إرادة واضعي الدستور انصرفت الى تحويل الرئيس صلاحية قبول السفراء أم استقبلهم؟ ومن المؤكد أن هناك فارقاً واضحاً وأساسياً بين الاختصاصين. ومثل هذا التساؤل يثار لدينا بوصف الدساتير البرلمانية تمنح الرئيس عادة

١١٢- م(٧٣/خامساً) من الدستور.

١١٣- م(٧٨/أولاً) من الدستور.

١١٤- م(١٢٢) من الدستور.

١١٥- م(٧٠/سادساً) من الدستور.

صلاحية استقبال السفراء الأجانب. أما صلاحية قبولهم فهي مناطة أما برئيس مجلس الوزراء أو بالمجلس مجتمعاً، هذا فضلاً عن أن الدستور العراقي النافذ خول صلاحية تعيين السفراء العراقيين في الخارج لمجلس النواب بناء على اقتراح مجلس الوزراء^(١١٦). من هنا كان الأولى بالدستور العراقي مسابقة الدساتير البرلمانية في تنظيمه لهذا الاختصاص أو استكمال اختصاص مجلس النواب ومجلس الوزراء من خلال منحه صلاحية قبول السفراء الأجانب المعتمدين في العراق.

ثالث عشر - منح الأوسمة والنياشين: وهذا الاختصاص شرطي يمنح لرئيس الدولة في مختلف الأنظمة الدستورية، لكن اللافت للنظر أن الدستور العراقي قيد صلاحية الرئيس هذه بتوصية رئيس مجلس الوزراء^(١١٧). وهو قيد نرى أن لا محل لإيراده على اختصاص الرئيس هذا، بوصفه الرئيس الأعلى والشرطي للدولة في ظل النظام البرلماني.

رابع عشر - القيادة العليا للقوات المسلحة للأغراض التشريعية والاحتفالية^(١١٨) وبمنح هذا الاختصاص لرئيس الجمهورية يكون الدستور قد فصل بين الاختصاص الفعلي للقيادة العليا للقوات المسلحة إذ خوله لرئيس مجلس الوزراء^(١١٩). وبين الاختصاص التشريفي لهذه القيادة والذي خوله لرئيس الجمهورية، ولا نرى معنى لهذا الفصل من الناحية الشكلية، هذا فضلاً عن أن ذلك قد ينتهي إلى تعارض الاختصاص سلباً أو إيجاباً وهو ما قد يثير الخلاف بين الرئيسين.

خامس عشر - إصدار المراسيم الجمهورية
سادس عشر - أي صلاحية رئاسية أخرى واردة في هذا الدستور. وبهذا النص ختم الدستور صلاحيات واختصاصات رئيس الجمهورية، وحسناً فعل واضعو الدستور بإيرادهم هذا النص، إذ وردت صلاحيات الرئيس متناثرة بين نصوص الدستور وغير محددة بتلك الواردة في المادة (٧٠).

الفصل الثالث: وضع رئيس مجلس الوزراء في دستور جمهورية العراق لعام

٢٠٠٥

تبنى أول الدساتير العراقية في عهد الاستقلال، النظام البرلماني أسلوباً للحكم، وخلال هذه الحقبة تشكلت ثلاث وخمسون وزارة، تعاقب على تشكيلها سياسيون محترفون كثيراً ما تكررت أسماء بعضهم في التشكيلات الوزارية أو رئاستها، وربما كان أبرزهم بل أبرزهم على الإطلاق نوري السعيد. والملفت للنظر، أن أيًا من هذه الوزارات لم تكمل ولايتها، ولم يجر سحب الثقة من أي منها بناء على إرادة مجلس النواب أو بقرار منه. ولكن بإرادات ملكية ما يؤكد انحراف التجربة البرلمانية عن مسارها الصحيح لصالح الملك. ومثل هذا النظام تبناه أول الدساتير الدائمة في العهد الجمهوري، بل ونص عليه صراحة في المادة الأولى منه (جمهورية العراق دولة اتحادية واحدة مستقلة ذات سيادة كاملة، نظام الحكم فيها جمهوري نيابي "برلماني ديمقراطي....). وربما كان النص صراحة على تبني هذا النظام، انعكاساً لتجربة سياسية مريرة

١١٦- م(٥٨/خامساً/ب) و م(٧٧/خامساً) من الدستور.

١١٧- م (٧٠/خامساً) من الدستور.

١١٨- م (٧٠/تاسعاً) من الدستور.

١١٩- م (٧٥) من الدستور.

عاشها العراق منذ انقلاب عام ١٩٥٨ حتى سقوط بغداد عام ٢٠٠٣، حيث صدر خلال هذه الحقبة ستة دساتير مؤقتة أولكت جميعها شؤون الحكم لمؤسسات استثنائية تربع على عرشها حكام عسكريون أو ارتدوا بالرتب العسكرية بعد توليهم السلطة. وبداعي الظروف الاستثنائية والتهديدات الخارجية تفرد هؤلاء الحكام بالسلطة وكانوا مثلاً للسلطة المطلقة الاستبدادية وغلبت الصبغة الاستثنائية على تشريعات وقرارات هذه السلطة تماشياً والظروف الاستثنائية التي غالباً ما تعكز عليها حكام تلك الحقبة لتبرير طغيانهم.

ومن المؤكد أن هذا الطغيان كان واحداً من أهم أسباب تبني النظام البرلماني في الدستور النافذ، حيث يركز هذا النظام السلطة التنفيذية عادة بيد رئيس مجلس الوزراء ووزرائه ولا يترك لرئيس الدولة سوى صلاحيات شكلية بروتوكولية تتلاءم والدور المرسوم له باعتباره عنصر التوازن بين السلطتين التشريعية والتنفيذية. لكن تقاسم السلطة التنفيذية بين رئيس فعلي وآخر شرقي نظام لا نجد له تطبيقاً سوى في الأنظمة البرلمانية التقليدية، ومن المؤكد أن مثل هذه الأنظمة لا تتلاءم والعقل السياسي العربي، بل والعقل السياسي في عموم العالم الثالث. من هنا تبنت هذه الأنظمة نموذجاً برلمانياً متطوراً سبقها إليه بعض النظم الديمقراطية الحرة. كالنظام الفرنسي في ظل دستور الجمهورية الخامسة. مع ملاحظة أن السبب الذي وقف وراء تبني هذا النظام في العالمين (الأول - الثالث) مختلف، إذ وقف وراء تبني هذا النظام في العالم الأول ضرورات سياسية استوجبت إدخال بعض التعديلات على النظام التقليدي. أما تبني هذا النظام في العالم الثالث فلم يقف وراءه سوى حب السلطة وعدم الرغبة في التخلي عنها لرئيس (رئيس مجلس الوزراء) يمكن مساءلته عن أخطائه وسحب الثقة منه وإقالته في أي وقت. وفي هذا البحث سنتناول بالدراسة وبالتفصيل في مركز رئيس مجلس الوزراء في ظل الدستور النافذ لسنة ٢٠٠٥ والواقع السياسي. لنقف على حقيقة المركز الذي تمتع به رئيس مجلس الوزراء في السلطة التنفيذية. وطبيعة النظام الدستوري الذي تبناه الدستور النافذ (النظام البرلماني التقليدي - النظام البرلماني المتطور). وأخيراً سنبحث علاقة رئيس مجلس الوزراء بسلطات الدولة الأخرى.

المبحث الأول: المركز القانوني لرئيس مجلس الوزراء في ظل الدستور النافذ

تبني الدستور العراقي النافذ لسنة ٢٠٠٥ صراحة النظام البرلماني أسلوباً للحكم (جمهورية العراق دولة مستقلة ذات سيادة، نظام الحكم فيها جمهوري نيابي "برلماني" ديمقراطي اتحادي.....). ومثل هذا النظام يقوم على التعاون والرقابة بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، وعند بعض الفقه يقوم على التوازن والمساواة بين هاتين السلطتين. بحيث أن اختلال التوازن فيه ينتهي إلى إحدى ثلاث نتائج، أما تركز السلطة بيد هيئة واحدة، ومثل هذا الاختلال ينتهي إلى وحدة السلطة واندماجها بدل من الفصل بينها. أو ترجيح كفة السلطة التشريعية كما في نظام حكومة الجمعية، أو ينتهي هذا الاختلال إلى ترجيح كفة السلطة التنفيذية كما في النظام الرئاسي^(١٢٠).

على ذلك أن إحدى أهم مميزات النظام البرلماني، أن هناك نقطة ارتكاز هامة تقع في الوسط بين كفتي الميزان، تتمثل هذه النقطة في رأينا بنصوص الدستور أولاً، ثم بواقع نقلها الى حيز التطبيق. وبمعنى آخر ان المسألة ذات جانبين أحدهما نظري والآخر عملي لا يمكن ان ينهض احدهما دون الآخر فلا يمكن البحث عن نظام برلماني فعلي دون نصوص متوازنة، ولا معنى لنصوص متوازنة دون واقع ديمقراطي يترجم هذه النصوص الى حيز الواقع. وإذا كان هذا التوازن أمر متوقع في بلاد الديمقراطيات الغربية بحكم عراقية تجربتها في هذا الميدان، فإنه أمر مشكوك فيه في بلاد الديمقراطيات الشرقية لحداثة تجربتها في هذا المضمار أولاً، ولفهمها الخاص للديمقراطية ثانياً. ذلك الفهم الذي من شأنه تشويه أي تجربة أو نظام. وإذا كان الاختلال في التوازن في النظم البرلمانية الغربية يقع غالباً لصالح السلطة التشريعية كونها ممثلة للشعب ومختارة من قبله، فإن مثل هذا الاختلال (لصالح السلطة التشريعية) أمر مشكوك فيه في بلادنا، لكون أن تلك السلطة نادراً ما تكون مختارة فعلاً من قبل الشعب أو معبرة عن رأيه، وإذا كانت مختارة فعلاً من قبله، غالباً ما تنحرف بعد فترة وجيزة متأثرة بالأهواء الحزبية أو الضغوط السياسية أو المصالح الشخصية. أما الاختلال لصالح السلطة التنفيذية، فهو أمر متوقع في بلادنا أو غالباً ما يحدث، نتيجة لفهمنا الخاص للديمقراطية ونظمها الدستورية أو نتيجة لهيمنة العقلية السلطوية الموروثة، التي ما زالت ترى في السلطة ملك خاص للقباض او القابضن عليها. من هنا آلينا البحث في مركز رئيس الوزراء في ظل الدستور النافذ، بعد أن جاء النص صراحة على النظام البرلماني في أول دستور يعقب سقوط أعنى دكتاتورية عرفها العراق وربما المنطقة العربية وأول دستور دائم في ظل النظام الجمهوري، بعد أن طال عهد الدساتير المؤقتة وتفرّد مؤسساتها الاستثنائية.

المطلب الأول: آلية اختيار رئيس مجلس الوزراء

على خلاف نظام حكومة الجمعية، يقدم النظام البرلماني نماذج وآليات مختلفة لاختيار رئيس مجلس الوزراء. ففي بعض الدساتير البرلمانية يجري اختيار رئيس مجلس الوزراء من قبل رئيس الدولة منفرداً كما في الدستور الأردني لسنة ١٩٥٢ (الملك يعين رئيس الوزراء ويقبل استقالته....)^(٢١) ومع انفراد رئيس الدولة بهذا الحق رسمياً في بعض النظم الدستورية، إلا أنه يبقى مقيداً فعلياً بثقة الأغلبية البرلمانية ومثل هذا القيد بدا جلياً في اختيار (ديكول) لكل من دوبريه عام ١٩٥٩ وجورج بومبيدو.

ومن الدساتير البرلمانية من خول صلاحية اختيار رئيس مجلس الوزراء للبرلمان وحده دون مشاركة سلطة أخرى كما في الدستور التركي لسنة ١٩٨٢. ومنها من أشرك رئيس الدولة والبرلمان في هذا الاختصاص من ذلك الدستور اللبناني لسنة ١٩٢٦ (يسمى رئيس الجمهورية رئيس الحكومة المكلف بالتشاور مع رئيس مجلس النواب استناداً الى استشارات نيابية ملزمة يطلعه رسمياً على نتائجها)^(٢٢). والدستور الألماني، فبموجب دستور عام ١٩٤٩ يقترح رئيس الدولة على مجلس النواب (البندستاج)

٢١- د. ثروت بدوي، النظم السياسية، ج ١، النظرية العامة للنظم الدستورية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٢٩٤.

٢٢- م (٣٥) من الدستور الأردني

مرشحاً لهذا المنصب بناءً على مفاوضات سابقة مع الأحزاب السياسية^(١٢٣). ويصوت البندستاج على هذا المرشح دون مناقشة^(١٢٤). وقد تحدد خيارات الرئيس بشخص بعينه دون غيره (زعيم الأغلبية البرلمانية) وإن كان من المعارضة، من ذلك اختيار الرئيس الراحل (ميتران)، (جاك شيراك) وزيراً أول بصفته زعيم الأغلبية البرلمانية اليمينية بالرغم من كون الأول (ميتران) زعيماً للحزب الاشتراكي. واختيار الرئيس (جاك شيراك) لليساري المعارض (ليون جوسبان) وزيراً أول.

وأشارت بعض الدساتير البرلمانية صراحةً للدور البروتوكولي لرئيس الدولة في اختيار رئيس الوزراء ومن بينها، الدستور العراقي النافذ لسنة ٢٠٠٥، حيث نصت الفقرة الأولى من المادة (٧٦) على أنه (يكلف رئيس الجمهورية، مرشح الكتلة النيابية الأكثر عدداً بتشكيل مجلس الوزراء....) ومن المؤكد أن مثل هذا النص يوحي صراحةً بشكلية الدور الذي يلعبه رئيس الدولة في اختيار رئيس مجلس الوزراء. فهو ملزم بتكليف مرشح الكتلة النيابية الأكثر عدداً بتشكيل الحكومة وترأسها ولا مجال لتفسير النص على غير هذا النحو، أو ربما يمنح الرئيس صلاحية تقديرية بتكليف هذا المرشح أو غيره. لكن الواقع وفي ظل التوافقات والتجاوزات السياسية أفرز غير هذا التفسير، إذ اثبتت التجربة أن اختيار أي من الرئاسات الثلاث (الجمهورية - الوزراء - النواب) موقوف على الآخر، الأمر الذي يعني أن اختيار رئيس الوزراء في العراق قد يكون خاضعاً لتوافقات الكتل النيابية الأقل عدداً في مجلس النواب، أو مقيداً بموافقتها، لاسيما إذا لم تتمكن الكتلة الأكثر عدداً من الحصول على الأغلبية المطلقة في المجلس. بل أن حصول هذه الكتلة على الأغلبية المطلقة^(١٢٥)، قد لا يؤولها أيضاً تشكيل الحكومة وترأسها في ظل الأوضاع الاستثنائية التي هيمنة على الحياة السياسية والدستورية في العراق منذ عام ٢٠٠٣ وحتى اليوم. فمقاطعة إحدى الكتل أو التيارات القومية أو المذهبية للعملية السياسية قد يعني فشل العملية بأسرها أو على الأقل تعثرها. ومثل هذا ما حدث واقعاً في أول تجربة انتخابية في ظل أول دستور جمهوري دائم للعراق، إذ اعترضت كتلة التحالف الكردستاني على مرشح الكتلة النيابية الأكثر عدداً في المجلس (كتلة الائتلاف العراقي الموحد) لمنصب رئيس مجلس الوزراء^(١٢٦). وشاركها لاحقاً في هذا الاعتراض جبهة التوافق والحوار الوطني الأمر الذي ألجأ كتلة الائتلاف العراقي الموحد إلى اختيار مرشح آخر لمنصب رئيس مجلس الوزراء بعد أن تعرضت العملية السياسية بأسرها لخطر التهديد بالفشل والعودة إلى النقطة التي بدأت منها وهو ما راهنت عليه العديد من القوى التي قاطعت العملية السياسية أو اشتركت فيها مكرهة بعد أن جاهرت بمناصبته العدا.

من هنا نرى ضرورة تعديل نص الفقرة الأولى من المادة (٧٦) على نحو يشير صراحةً إلى أن اختيار المرشح لمنصب رئيس مجلس الوزراء يكون بالتوافق بين الكتل النيابية الرئيسية أو التي حصلت على أكثر

١٢٣- م(٥٣) من الدستور اللبناني. الجدير بالذكر أن النص بصورة الحالية جرى تعديله عام ١٩٩٠، وقبل هذا التعديل كان رئيس الجمهورية ينفرد بتعيين الوزراء ثم يختار رئيساً من بينهم.

١٢٤- ميشيل ستيوارت، نظم الحكم الحديثة، ترجمة أحمد كامل، مراجعة سليمان الطماوي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٣، ص ١٧٤.

١٢٥- م(١/٦٣) من الدستور الألماني لسنة ١٩٤٩.

١٢٦- انظر د. يحيى الجمل، الأنظمة السياسية المعاصرة، دار الشروق، القاهرة، بلا سنة نشر، ص ١٧٤.

الأصوات في الانتخابات، أو التي حصلت تحديداً على المراتب الثلاث بالتتابع، باعتبار أن كل كتلة أو مرشحها سيحصل على إحدى الرئاسة الثلاث وبالتالي يأتي النص موافقاً للواقع. وبغير ذلك ستكون هناك هوة بين ما يجب أن يكون (النص الدستوري) وما هو كائن (الواقع). وهو ما يعد خرقاً للشرعية الدستورية في الوقت الذي نحصر فيه مع كل دعاة الشرعية الدستورية على الالتزام بحدودها وعدم التجاوز عليها لأن مثل هذا التجاوز سيفتح المجال واسعاً لتعطيل باقي النصوص الدستورية أو القفز فوقها أو تفسيرها على نحو يخالف روح النص والغاية من تشريعه. وإذا كانت الأنظمة الدكتاتورية العراقية السابقة اتخذت من دساتيرها المؤقتة وظروفها الاستثنائية حجة لتبرير خروقاتها الدستورية والتشريعية، فإن المؤسسة الدستورية الحالية القائمين عليها سوف لن تجد المبرر لتبرير خروقاتها هذه، بعد أن انتقلت (المؤسسة الدستورية) والأوضاع السياسية من الشرعية الاستثنائية (اللدستورية) إلى الشرعية الدستورية المستندة إلى الشعب ورأيه.

وبموجب الفقرة الأولى من المادة (٧٦) يكلف رئيس الجمهورية وخلال مدة خمسة عشر يوماً من تاريخ انتخابه مرشح الكتلة النيابية الأكثر عدداً بتشكيل الحكومة، وعلى هذا المرشح الانتهاء من اختيار أعضاء وزارته خلال مدة ثلاثون يوماً من تاريخ التكليف^(١٢٧). وربما يرى البعض الفقه أن المدة الممنوحة لرئيس مجلس الوزراء لتسمية أعضاء وزارته، هي مدة طويلة نسبياً في ضوء حداثة تجربتنا الديمقراطية، فنحن لم نصل إلى درجة من الوعي تؤهل الوزارة المنتهية ولايتها بالاستمرار بذات الأداء الذي كانت عليه قبل ذلك لاسيما إذا لم يكلف رئيسها بتشكيل الحكومة الجديدة. لكننا نلتمس العذر لمشرعنا الدستوري في تحديده لهذه المدة (٣٠ يوماً) فمع الاتفاق المقدم على الرئاسة الثلاث (الجمهورية - الوزراء - النواب)، يبقى السعي إلى عرقلة الآخر احتمالاً قائماً تحقيقاً لأكبر قدر من المكاسب السياسية، هذا إضافة إلى أن التجربة السابقة أثبتت عدم استقلالية رئيس مجلس الوزراء المكلف في اختيار أعضاء وزارته بل وحتى وزراء الكتلة النيابية التي ينتمي إليها. وإذا ما أخفق رئيس مجلس الوزراء بتشكيل حكومته خلال مدة ثلاثون يوماً من تاريخ التكليف، يكلف رئيس الجمهورية مرشحاً آخر لتولي هذه المهمة خلال مدة خمسة عشر يوماً^(١٢٨). والملاحظ أن المشرع الدستوري جاء مطلقاً فيما ذهب إليه، إذا لم يشترط في المرشح الجديد أن يكون منتصباً للكتلة النيابية الأكثر عدداً (يكلف رئيس الجمهورية مرشحاً جديداً لرئاسة مجلس الوزراء خلال مدة خمسة عشر يوماً.....). وربما انصرفت نية المشرع الدستوري ضمناً إلى ذلك، لكننا نرى مع ذلك ضرورة إيراد نص صريح يحسم أي خرق يمكن أن يثار بشأن تفسير هذا

١٢٧- نصت المادة (٧٣/رابعاً) على أنه (يعرض رئيس مجلس الوزراء المكلف، أسماء أعضاء وزارته والمنهاج الوزاري على مجلس النواب، ويعد حائزاً لثقتها عند الموافقة على الوزراء منفردين والمنهاج الوزاري بالأغلبية المطلقة).

١٢٨- رشحت كتلة الائتلاف العراقي الموحد د. إبراهيم الجعفري لمنصب رئيس مجلس الوزراء أثر التصويت الذي حصل داخل الكتلة إذ حصل د. الجعفري على (٦٤) صوتاً وحصل د. عادل عبدالمهدي على (٦٣) صوتاً. وبعد عرض كتلة الائتلاف العراقي الموحد ترشيحها هذا على رئيس الجمهورية جلال الطالباني، أعترض الأخير على هذا الترشيح معبراً في ذلك عن رأي كتلته النيابية (التحالف الكردستاني). ولم تبين كتلة التحالف الكردستاني هذا الموقف إلا على أثر الزيارة التي قام بها د. الجعفري إلى تركيا العدو التقليدي للأكراد. ومن المؤكد أن هذه الزيارة هي السبب الظاهر لرفض ترشيح د. الجعفري. أما السبب الحقيقي فيرجع إلى اتهام كتلة التحالف الكردستاني الدكتور الجعفري بالتكبر والتماهل في تطبيق المادة (٥٨) من قانون إدارة الدولة بشأن تطبيع الأوضاع في كركوك.

النص. كما لم يحسم النص صراحة مسألة إخفاق رئيس مجلس الوزراء الجديد المكلف في تشكيل حكومته خلال المدة المنصوص عليها في المادة (٧٦/ثالثاً) (خمسة عشر يوماً من تاريخ التكليف). وإذا كان الحل يمكن استنتاجه ضمناً بتكليف مرشح جديد، لكن ما لا يمكن حسمه ضمناً المدة التي يجب تشكيل الحكومة خلالها، وكان على المشرع الدستوري النص صراحة على المدة التي يجب أن تشكل خلالها الحكومة حسماً لأي خلاف أو تفسير.

وبموجب الفقرة الرابعة من المادة (٧٦) يعرض رئيس الوزراء المكلف أسماء أعضاء وزارته والمنهاج الوزاري على مجلس النواب، ويعد حائزاً ثقتها عند الموافقة على الوزراء منفردين والمنهاج الوزاري بالأغلبية المطلقة، ما يعني أن الاعتراض على أي وزير يحجب الثقة عن الوزارة بأسرها، من هنا كان على المشرع الدستوري وتجنباً لمثل هذا الاحتمال المتوقع الاكتفاء بالتصويت على التشكيلة الوزارية باعتبارها وحدة واحدة لاسيما وأن مجلس النواب يمتلك سلاحاً بديلاً نصت عليه المادة (٦١/ثالثاً) (لمجلس النواب سحب الثقة من أحد الوزراء ويعد مستقياً من تاريخ قرار سحب الثقة.....). ومن المؤكد أن التضييق الذي جاءت به الفقرة الرابعة من المادة (٧٦) هو الذي حدا بالكتل النيابية إلى الاتفاق على التصويت على أعضاء أول تشكيلة وزارية في ظل الدستور النافذ دون وزارة الدفاع والداخلية والأمن الوطني. وفي رأينا أن هذا الاتفاق يخالف نص المادة (٧٦/رابعاً) (يعرض رئيس الوزراء المكلف أسماء أعضاء وزارته..... عند الموافقة على الوزراء منفردين.....). الذي يشير صراحة إلى وجوب عرض أسماء كل المرشحين لتولي المناصب الوزارية دون استثناء وبالتالي فإن الاتفاق سالف الذكر كان تحايلاً على النص وتفسير في غير محله.

وعلى رئيس الجمهورية وخلال مدة خمسة عشر يوماً تكليف مرشح آخر لتشكيل الحكومة إذا أخفقت الوزارة في نيل ثقة مجلس النواب، وحسناً فعل المشرع الدستوري فيما ذهب إليه، مع اعتقادنا أن مثل هذا الاحتمال على الأقل في الأجل القريب احتمال نادر الحدوث في ضوء التوافقات السياسية التي سارت عليها مجمل العملية السياسية والدستورية. لكن النص الدستوري لا يشرع لأجل محدد ولكن لفترة غير محددة وللأجيال القادمة والقادمة.

المطلب الثاني: الشروط الواجب توافرها في رئيس مجلس الوزراء

أفرد الدستور العراقي النافذ نص الفقرة الأولى من المادة (٧٧) لتحديد الشروط الواجب توافرها فيمن ينصب رئيساً لمجلس الوزراء، حيث نصت هذه الفقرة على أنه (يشترط في رئيس مجلس الوزراء ما يشترط في رئيس الجمهورية، وأن يكون حائزاً على شهادة جامعية أو ما يعادلها وأتم الخامسة والثلاثين من عمره). وفي رأينا أن صياغة النص على هذا النحو (يشترط في رئيس مجلس الوزراء ما يشترط في رئيس الجمهورية.....). كان يسعى إلى تجنب التكرار، لكننا نرى أن المشرع الدستوري لم يكن موفقاً فيما ذهب إليه، حيث ذهب النص إلى أنه يشترط في رئيس مجلس الوزراء ما يشترط في رئيس الجمهورية، وهذا يعني اشتراك رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء في كل الشروط إضافة لشرط المؤهل الجامعي أو ما يعادله بالنسبة لرئيس مجلس الوزراء. في حين أن شرط السن في حده الأدنى يختلف بين المنصبين. ففي الوقت الذي أشرت المادة (٦٨) بلوغ سن الأربعين فيمن يتولى منصب رئيس الجمهورية، أكتفت المادة

(٧٧/أولاً) بسن الخامسة والثلاثين كحد أدنى لتولي منصب رئيس مجلس الوزراء. من هنا كان الأولي بوضعي الدستور النص صراحة على الشروط الواجب توافرها في رئيس مجلس الوزراء وعلى وجه الدقة والتحديد وعدم الإحالة على تلك الواجب توافرها في رئيس الجمهورية تجنباً للخلط والتناقض. وبالرجوع إلى نص المادة (٧٧/أولاً) والمادة (٦٨) من الدستور نجد أنهما يشترطان فيمن يتولى منصب رئيس مجلس الوزراء توافر الشروط التالية:-

١- عراقياً بالولادة ومن أبوين عراقيين^(١٢٩): وهذا الشرط يعني أن ليس للعراقي المتجنس الحق في الترشيح لمنصب رئيس مجلس الوزراء. وفي رأينا أن هذا الشرط يخالف مبدأ المساواة بين العراقيين الذي نص عليه الدستور صراحة في المادة (١٤) منه (العراقيون متساوون أمام القانون دون تمييز بسبب الجنس أو العرق أو القومية أو الأصل أو اللون أو الدين.....). وربما وقف وراء إيراد هذا الشرط درجة الولاء التي قد يحملها المتجنس للعراق قياساً إلى تلك التي يفترض توافرها في العراقي بالولادة. إذ غالباً ما يلجأ الأجنبي للجنس ولاسيما في بلدان العالم الثالث سعيّاً وراء الحصول على ملاذ آمن لا رغبة في الجنسية المكتسبة. ومع ذلك نرى إن هذا المبرر غير كاف لحرمان العراقي المتجنس من هذا الحق. وكان على واضعي الدستور بدلاً من إيراد هذا الحظر اشتراط مرور مدة معينة على اكتساب الجنسية والإقامة بصفة مستمرة في العراق كشرط للترشيح، وبهذا الشرط يمكن الموازنة بين ولاء المتجنس وحقه في الترشيح.

ولم تكن الفقرة الأولى من المادة (٦٨) أن يكون المرشح عراقياً بالولادة، لكنها اشترطت أن يكون من أبوين عراقيين، ومن المؤكد أن هذا الشرط يتعارض ونص الفقرة الثانية من المادة (١٨) التي ذهبت إلى أنه (يعد عراقي كل من ولد لأب عراقي أو لأم عراقية وينظم ذلك بقانون) فبموجب هذا النص لم يعد العراقي فقط مو ولد لأب عراقي ولكن من ولد لأم عراقية أيضاً. من هنا كان على واضعي النص الاكتفاء بأن يكون المرشح عراقي مولود لأبوين عراقيين أو لأب أو أم عراقية، وبهذا النص يوافق المشرع بين ما ورد في المادة (١٨/ثانياً) والمادة (٦٨/أولاً). وكان على المشرع الدستوري في هذا الشرط (عراقياً بالولادة ومن أبوين عراقيين) أن يراعي أيضاً ما ورد في المادة (١٨/رابعاً) (يجوز تعدد الجنسية للعراقي، وعلى من يتولى منصباً سيادياً أو أميناً رفيعاً التخلي عن أية جنسية أخرى مكتسبة.....) فبموجب هذه الفقرة على من تنطبق عليه الشروط الواردة في المادتين (٦٨) وم (٧٧/أولاً) التخلي عن الجنسية الأجنبية المكتسبة، إذ يعد منصب رئيس مجلس الوزراء من المناصب السيادية الرفيعة، بل قد يكون أرفعها على الإطلاق، من هنا نرى أن إضافة شرط التخلي عن الجنسية الأجنبية للشروط الواردة في الفقرة الأولى من المادة (٦٨) أمر لاغنى عنه لاسيما في ظل عودة غالبية السياسيين المعارضين للنظام السابق من الخارج وتبوء الكثير منهم مناصب سيادية، ومغادرة بعضهم للعراق بعد انتهاء مدة ولايتهم الأمر الذي انعكس سلباً على مستوى أدائهم وثقة الشعب بهم.

٢- أتم الخامسة والثلاثين من عمره^(١٣٠)، وبهذا التحديد ميز الدستور بين السن الواجب توافرها في رئيس مجلس الوزراء ورئيس الجمهورية، حيث اشترط في الأخير أن يكون بالغاً من العمر أربعين سنة

١٢٩- م (٧٦/ثانياً) من الدستور.

١٣٠- م (٧٦/ثالثاً) من الدستور.

كاملة^(١٣١). وفي رأينا أن لامعنى لهذا التمييز، فمنصب رئيس مجلس الوزراء ليس أقل أهمية وخطورة من منصب رئيس الجمهورية، بل هو في ظل الدساتير البرلمانية ومن بينها الدستور العراقي أكثر أهمية باعتباره أن من يتولى هذا المنصب يعد الرئيس الفعلي للسلطة التنفيذية. وبغض النظر عن السن الواجب توافرها فيمن يتولى رئاسة الجمهورية، نرى أن الحد الأدنى للسن الواجب توافرها فممن يتولى منصب رئيس مجلس الوزراء، لا تتلاءم وأهمية هذا المنصب وحساسيته والخبرة الواجب توافرها فيمن يتولاه، من هنا نرى ضرورة تعديل هذا الشرط وبما يرتفع بهذا السن إلى الحد الذي يتلاءم وأهمية هذا المنصب.

٣- أن يكون حائزاً على شهادة جامعية أو ما يعادلها^(١٣٢) ومثل هذا القيد لم يشترطه الدستور فيمن يتولى رئاسة الجمهورية، ما يؤكد أهمية هذا المنصب وضرورة إفراجه بشروط خاصة مستقلة عن تلك التي اشترطها الدستور في رئيس الجمهورية. ومن المؤكد أن خطورة هذا المنصب تأتي من كون الدستور العراقي تبني صراحة النظام البرلماني أسلوباً للحكم، وفي ظل هذا النظام ولاسيما التقليدي منه يتربع رئيس مجلس الوزراء على رأس السلطة التنفيذية ويبدو شكلاً وواقعاً بأنه مركز القرار في الدولة والعنصر المحرك والمحدد لنشاط السلطة التنفيذية.

٤- ذا سمعة حسنة وخبرة سياسية ومشهوداً له بالنزاهة والاستقامة والعدالة والإخلاص للوطن^(١٣٣): والملاحظ على هذا الشرط أنه يتصف بالعمومية وعدم التحديد، وجاء كما نرى حشراً ولا محل له بين الشروط، وإلا فمن يقدر كون المرشح ذا سمعة حسنة أم خلافه؟ وما هو محدد الخبرة السياسية؟ هل الانتماء الحزبي؟ أم ممارسة النشاط المعارض؟ أم حمل مؤهل أكاديمي محدد؟ أم ممارسة النشاط السياسي واقعاً؟ وإذا كان الأمر كذلك فلا بد أن يكون هذا النشاط أما في الخارج (معارض) أو بالخفاء، في ظل تحريم النشاط السياسي بصفة مطلقة في ظل النظام السابق إلا من خلاله. ومن المؤكد أن من مارس النشاط السياسي في ظل النظام السابق محذور عليه الخوض فيه حالياً. كما أوجب هذا الشرط أن يكون المرشح مشهوداً له بالنزاهة والاستقامة والإخلاص للوطن، وأمام هذا الشرط لنا أن نتساءل من يشهد له بذلك؟ وأية تركيبة يمكن اعتمادها.....؟

والملفت للنظر أن هذا الشرط يستوجب في المرشح العدالة، ويشير لنا شرط العدالة التساؤل، هل ينصرف هذا الشرط الى العدالة التي تشترطها الشريعة الاسلامية في ولي أمر المسلمين؟ أم أن معنى العدالة هنا يختلف؟ كل هذه التساؤلات وربما أخرى غيرها يثيرها هذا الشرط، من هنا نرى أن هذا الشرط جاء حشراً ولا معنى لاشتراطه في المرشح لمنصب رئيس مجلس الوزراء.

٥- غير محكوم بجريمة مخلة بالشرف^(١٣٤).

٦- إلا يكون مشمولاً بأحكام قانون اجتثاث البعث^(١٣٥): وبموجب هذا الشرط ليس لقيادي حزب البعث المنحل من درجة عضو فرقة فما فوق الترشيح لأي منصب قيادي سيادي، كرئاسة الجمهورية

١٣١- م (٦٨/أولاً) من الدستور.

١٣٢- م (٧٧/أولاً) من الدستور.

١٣٣- م (٦٨/ثانياً) من الدستور.

١٣٤- م (٧٧/أولاً) من الدستور.

١٣٥- م (٦٨/ثالثاً) من الدستور.

ورئاسة مجلس الوزراء ورئاسة عضوية مجلس النواب ورئاسة عضوية مجلس الاتحاد والمواقع المتناظرة في الأقليم. والملاحظ ان النص على هذا الشرط في صلب الدستور جاء مؤكداً للحظر الوارد في قانون اجتثاث البعث، والحظر الوارد في المادة (٧) من الدستور، حيث حظرت هذه المادة صراحة نشاط حزب البعث المنحل تحت نفس المسمى أو أي مسمى آخر، كما قيدت النشاط السياسي لرموزه (يحظر كل كيان أو نهج..... وبخاصة البعث الصدامي في العراق ورموزه وتحت أي مسمى كان ولا يجوز ان يكون ذلك ضمن التعددية السياسية في العراق.....).

وما يسجل على المادة (٧) سالف الذكر، أن المشرع الدستور استخدم تعبير (رموز) حزب البعث، وفي رأينا أن المشرع لم يكن موفقاً في استخدامه هذا المصطلح^(١٣٦)

حيث قد ينصرف معنى الرمز الى مؤسس الحزب او الرجل الأول فيه أو كادره المتقدم، في الوقت الذي حظر قانون اجتثاث البعث على كل من البعثيين من درجة عضو فرقة فما فوق تولي المناصب القيادية الإدارية منها والسياسية، من هنا كان الأجدر بوضعي النص استخدام تعبير قياداته بدلا من رموزه.

٧- أن يكون منتمياً لإحدى الكتلتين النيابية الرئيسية: وهذا الشرط لم يأت النص عليه صراحة في صلب الدستور، لكن يفهم ضمناً من نص المادة (٧٦/أولاً). (يكلف رئيس الجمهورية مرشح الكتلة النيابية الأكثر عدداً بتشكيل مجلس الوزراء.....). فيموجب هذا النص ليس لرئيس الجمهورية تكليف من يختاره هو شخصياً ولكن من تختاره الكتلة النيابية الأكبر، ومن المؤكد أن هذه الكتلة لن تختار مرشحاً من خارجها، بل أن ذات الكتلة قد يكون لها أكثر من مرشح داخلياً وإن بدت أمام الكتلة النيابية الأخرى مجمعة على مرشح واحد. وهذا الشرط الضمني (الانتماء لإحدى الكتلتين النيابية الرئيسية) يقود بدوره الى اشتراط الانتماء لأحد الأحزاب السياسية الرئيسية، وبالتالي ليس للمرشح المستقل حظ في الترشيح لهذا المنصب، بل أن حظه بالفوز بمقعد نيابي قد يكون احتمال بعيد أو شبه مستحيل لاعتقاد الناخب ان صوته الذي يدلي به للمرشح المستقل سيذهب سداً، وبالتالي يفضل (الناخب) الإعراض عن الادلاء بصوته على منحه لمرشح مستقل. وقد يقود هذا الشرط الضمني بشقيه (الانتماء لإحدى الكتلتين النيابية الرئيسية - الانتماء الحزبي) الى شرط آخر، هو أن يكون المرشح أحد أعضاء مجلس النواب بصفة مؤقتة (لحين تشكيل الحكومة ونيلها الثقة) باعتبار أن رئيس الكتلة النيابية أو زعماء الأحزاب المؤتلفة غالباً ما يأتون على رأس القوائم الانتخابية التي يخوضون فيها المعركة الانتخابية رغبة في الاستئثار بمقعد نيابي ابتداءً ثم المنافسة على المناصب الوزارية ورئاستها.

ومن خلال استعراض الشروط الواجب توافرها في المرشح لمنصب رئيس مجلس الوزراء، يتبين أن الدستور العراقي لم يورد سوى الشروط المألوفة (باستثناء الأحكام المتعلقة اجتثاث البعث) التي جرى النص عليها في الدساتير البرلمانية المقارنة، حتى فيما يتعلق بإسناد المنصب لمرشح الكتلة النيابية الأكثر عدداً، فقد جرى العمل في الدولة الأم للنظام البرلماني (المملكة المتحدة) على إسناد هذا المنصب لرئيس

الأغلبية البرلمانية، وعلى هدي هذا النظام سار كل من الدستور الألماني والهندي والإيطالي والياباني والتركي.

المبحث الثاني: علاقة رئيس مجلس الوزراء بسلطات الدولة الأخرى

بموجب النظام البرلماني والدستور العراقي النافذ يعد رئيس مجلس الوزراء، الرئيس الفعلي للسلطة التنفيذية (رئيس مجلس الوزراء هو المسؤول التنفيذي المباشر)^(١٣٧). وبهذا الوصف يرتبط رئيس مجلس الوزراء برئيس الجمهورية والسلطة التشريعية والقضائية بعدة روابط، بعضها تعد وسائل تعاون والأخرى وسائل رقابة. وسنبحث في هذه الروابط تباعاً لتبين حقيقة المركز الذي يقف فيه رئيس مجلس الوزراء في ظل النظام الدستوري العراقي.

المطلب الأول: علاقة رئيس مجلس الوزراء برئيس الدولة

يمثل رئيس مجلس الوزراء ورئيس الجمهورية، فرعي السلطة التنفيذية في النظام البرلماني، وفي النموذج التقليدي لهذا النظام يعد رئيس الدولة، الرئيس الفخري للسلطة التنفيذية في الوقت الذي يتربع فيه واقعاً رئيس مجلس الوزراء على عرش هذه السلطة. وإلى جانب وحدة السلطة، أوجد الدستور العراقي أكثر من رابطة بين رئيس مجلس الوزراء ورئيس الجمهورية. وسنبحث في هذه الروابط تباعاً:

أولاً- تكليف رئيس الجمهورية مرشح الكتلة النيابية الأكثر عدداً بتشكيل الحكومة^(١٣٨): ويوحى نص المادة (٧٦) بأن ليس لرئيس الجمهورية سلطة تقديرية في ممارسة هذا الاختصاص، فهو كما يبدو ظاهراً مسير غير مخير، لكن الواقع وفي ضوء التوافقات التي سادت مجمل العملية السياسية في العراق منذ أول انتخابات تشريعية في ٣٠ كانون الثاني ٢٠٠٥ بدا خلاف ذلك إذ أصبح لرئيس الجمهورية بفعل الثقل السياسي للكتلة التي ينتمي إليها، الاعتراض على مرشح الكتلة النيابية الأكثر عدداً ومثل هذا ما حدث في ثاني انتخابات تشريعية (١٥ كانون الأول ٢٠٠٦)، إذ رفضت كتلة التحالف الكردستاني ومن بعدها بعض الكتل الأخرى مرشح الكتلة الأكثر عدداً لرئاسة مجلس الوزراء وارغمته على طرح مرشح آخر.

من هنا وفي ضوء هذا الواقع السياسي ولكي لا تكون هناك هوة بين النص والواقع كان على المشرع الدستوري النص على ضرورة التوافق بين الكتل النيابية الرئيسية على مرشح الكتلة النيابية الأكثر عدداً لتولي رئاسة الوزراء، بحيث لا يبقى أمام رئيس الجمهورية سوى تكليف هذا المرشح.

ثانياً- حلول رئيس الجمهورية محل رئيس مجلس الوزراء مؤقتاً^(١٣٩): فبموجب المادة (٨١/أولاً) يحل رئيس الجمهورية محل رئيس مجلس الوزراء عند خلو هذا المنصب لأي سبب من الأسباب. والواقع أن هذا الاختصاص يثير عندنا التساؤل لماذا يناط هذا الاختصاص برئيس الجمهورية ولا يمنح لنائب رئيس مجلس الوزراء؟ في الوقت الذي تنص فيه المادة (١٣٩) على أن يكون لرئيس مجلس الوزراء نائبين في الدورة الانتخابية الأولى، وفي كل الأحوال له نائب في الدورات الانتخابية اللاحقة. ألم يكن الأولى منح هذا

١٣٧- م (١٣٥/ثالثاً) من الدستور.

١٣٨- م (٧٨) من الدستور.

١٣٩- م (٧٦) من الدستور.

الاختصاص لأحد نواب رئيس مجلس الوزراء أو نائبه الأول بحكم الاختصاص وملازمته لرئيس مجلس الوزراء. من هنا نرى ضرورة إعادة النظر بنص المادة (٨١/أولاً) وبما يمنح هذا الاختصاص لنائب رئيس مجلس الوزراء بدلاً من رئيس الجمهورية.

ثالثاً- طلب سحب الثقة من رئيس مجلس الوزراء^(١٤٠): وقد يرى بعض الفقه أن هذا الاختصاص شكلي أكثر من كونه فعلي مؤثر باعتبار أن القرار النهائي متروك لمجلس النواب إن شاء أقال رئيس مجلس الوزراء وإن شاء تجاهل الطلب^(١٤١). وبخلاف هذا الرأي نرى أن هذا الاختصاص غاية في الأهمية والخطورة ووسيلة ضغط كلما دب الخلاف بينهما لاسيما إذا كانت هناك أغلبية مريحة تؤيد رئيس الجمهورية أو ترتبص برئيس مجلس الوزراء أو الكتلة التي ينتمي إليها.

والملفت للنظر أن الدستور في الوقت الذي خول فيه ذات الاختصاص (طلب سحب الثقة) لمجلس النواب فرض على الأخير توافر عدة شروط، إذ أوجب تقديم طلب من قبل (٥/١) أعضائه، على أن يكون هذا الطلب مسبوقاً باستجواب وانقضاء مدة سبعة أيام في الأقل على تقديم الطلب^(١٤٢) وفي رأينا أن هذه القيود لم تفرض على مجلس النواب الا لخطورة هذا الاختصاص، من هنا نرى ضرورة إعادة النظر بنص المادة (٦١/ثامناً/ب/١) على نحو يتحدد فيه هذا الاختصاص بمجلس النواب دون غيره.

رابعاً- اشتراك رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء بممارسة بعض الاختصاصات، وقد يبدو هذا الاشتراك امر ملفت للنظر بالرغم من وحدة السلطة التي ينتميان إليها، باعتبار أن أحدهما رئيس فخري (رئيس الجمهورية) للسلطة التنفيذية والآخر (رئيس مجلس الوزراء) رئيس فعلي لها، من هنا قد ينتهي هذا الاشتراك الى ازالة هذا التمييز او التقليل من اهميته في الوقت الذي يعد فيه (التمييز بين المنصبين) ذلك من اهم ركائز النظام البرلماني.

ولم يقصر الدستور النافذ الصلاحيات المشتركة بين رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء على الصلاحيات الشككية، ولكن تعددها الى الصلاحيات الفعلية:-

١- الصلاحيات الشككية: بموجب المادة (٧٣/خامساً) لرئيس الجمهورية منح الأوسمة والنياشين بناء على توصية رئيس مجلس الوزراء، وله اصدار العفو الخاص بناء على توصية الأخير (رئيس مجلس الوزراء)^(١٤٣)

٢- الصلاحيات الفعلية:-

أ- مجلس النواب بأغلبية ثلثي أعضائه إعلان الحرب وحالة الطوارئ بناء على طلب مشترك يتقدم به رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء^(١٤٤)، وقد يقف وراء هذا الاشتراك ان كلاهما بموجب الدستور قائد عام للقوات المسلحة^(١٤٥)، إذ يتولاها الأول (رئيس الجمهورية) لأغراض تشريفية بروتوكولية، ويختص بها

١٤٠- م(٨١/أولاً) من الدستور.

١٤١- م (٦١/ثامناً/ب/١) من الدستور.

١٤٢- م (٦١/ثالثاً/ب/٣) من الدستور.

١٤٣- م (٦١/ثامناً/ب/٢) من الدستور.

١٤٤- م (٧٣/أولاً) من الدستور.

١٤٥- م (٦١/تاسعاً/أ) من الدستور.

الثاني (رئيس مجلس الوزراء) فعلياً. ومع ذلك نرى ان الاولى بالدستور أفراد رئيس مجلس الوزراء بهذه الصلاحية بحكم اختصاصه الفعلي، ناهيك عن أن هذا الاشتراك قد ينتهي الى اختلاف لا يكون بوسع مجلس النواب حسمه لاسيما في ظل التوافقات والتجاذبات السياسية التي هيمنت ولا زالت على مجمل الحياة السياسية في العراق.

ب- لرئيس مجلس الوزراء وبناء على موافقة رئيس الجمهورية، حل مجلس النواب بالأغلبية المطلقة لأعضائه^(١٤٦). وقد يبدو ظاهراً أن رئيس مجلس الوزراء هو صاحب الاختصاص الفعلي في ذلك باعتبار ان الدستور خوله هذه الصلاحية، لكننا نرى واقعاً أن هذا الاختصاص يتقاسمه رئيس الجمهورية والكتلة النيابية التي ينتمي لها رئيس مجلس الوزراء ومن يتفق معها.

فقد علفت المادة (٦٤/أولاً) اختصاص رئيس مجلس الوزراء هذا على موافقة رئيس الجمهورية، ما يعني أن هذه الموافقة هي الحاجز الأول، ثم الأغلبية المطلقة في المجلس، ومن المؤكد أن ليس بوسع رئيس مجلس الوزراء تجاهل رأي كتلته النيابية التي هي الأكثر عدداً دائماً^(١٤٧).

والتي يطمع في تأييدها كسبيل لإعادة ترشيحه ثانية لتشكيل الوزارة، إذ ينتهي حل مجلس النواب حكماً إلى حل الوزارة^(١٤٨) وبالعكس قد تحل الأغلبية المطلقة في مجلس النواب محل رئيس مجلس الوزراء في ممارسة هذا الاختصاص حينما تسعى لحل المجلس سعياً وراء مكاسب أو تحقيق أغلبية جديدة في المجلس قادرة على تمرير مشاريعها أو انجاز أهدافها السياسية والحزبية.

المطلب الثاني: علاقة رئيس مجلس الوزراء بمجلس النواب

يقوم النظام البرلماني على دعامتين أساسيتين، أولهما ثنائية السلطة التنفيذية، وثانيهما التعاون والرقابة بين السلطتين التشريعية والتنفيذية. وحيث أن الدستور العراقي النافذ تبني النظام البرلماني أسلوباً للحكم، فقد أوجد العديد من الروابط بين السلطتين التشريعية والتنفيذية. وفي هذا المطلب سنبحث تحديداً في أوجه التعاون والرقابة بين رئيس مجلس الوزراء ومجلس النواب، دون الخوض في العلاقة بين مجلس الوزراء عموماً والسلطة التشريعية (النواب - الاتحاد).

الفرع الأول

أوجه التعاون بين رئيس مجلس الوزراء ومجلس النواب. أوجد الدستور العراقي النافذ أكثر من صورة للتعاون بين رئيس مجلس الوزراء ومجلس النواب، وتتمثل هذه الصورة في:-

أولاً- أداء رئيس مجلس الوزراء اليمين أمام مجلس النواب^(١٤٩): ويبدو أن الدستور العراقي النافذ قد تفرد في هذا الاتجاه بالنسبة للدساتير العربية، فقد ألزم كل من الدستور البحريني^(١٥٠) واليميني^(١٥١)

١٤٦- م (٧٣/ تساعاً) و م (٧٨) من الدستور.

١٤٧- م (٦٤/ أولاً) من الدستور.

١٤٨- أشرنا إلى أن كتلة رئيس مجلس الوزراء، هي الأكثر عدداً دائماً، على اعتبار أن الدستور يشترط في رئيس مجلس الوزراء أن يكون مرشح الكتلة النيابية الأكثر عدداً. م (٧٦).

١٤٩- م (٦٤/ ثامناً) من الدستور.

١٥٠- م (٧٩) من الدستور.

١٥١- م (٨٤) من الدستور اليمني.

والكويتي^(١٥٢) والإماراتي^(١٥٣) والعماني^(١٥٤) والقطري^(١٥٥) والسوري^(١٥٦) والمصري^(١٥٧) رئيس الوزراء باداء اليمين امام رئيس الدولة والزم الدستور الفلسطيني^(١٥٨) رئيس الحكومة باداء اليمين امام رئيس الجمهورية والمجلس النيابي في جلسة مشتركة. في الوقت الذي لم يحدد فيه الدستور السوداني لسنة ١٩٩٨ واللباني لسنة ١٩٢٦ و الموريتاني لسنة ٢٠٠٦ والتونسي لسنة ١٩٨٩ والمغربي لسنة ١٩٩٦ والجزائري لسنة ١٩٩٦، الجهة التي يؤدي أمامها رئيس الحكومة اليمين.

وقد يكون مبرر أداء رئيس مجلس الوزراء اليمين أمام الرئيس، أن الأخير هو من أسند له المنصب أو كلفة بمهام عمله وبالتالي لابد من أداء اليمين أمامه. لكننا نرى مع ذلك أن تجاه الدستور العراقي هو الأقرب للمنطق، باعتبار أن أداء اليمين أمام مجلس النواب إنما هو أداء لليمين أمام الشعب ممثلاً بنوابه. أما أداء اليمين أمام الرئيس هو أمر يخالف المنطق لاسيما إذا كان الرئيس ملكاً أو اعتلى العرش بناء على ترشيح المجلس النيابي أو خلاله كما في الدستور السوري^(١٥٩).

ثانياً- دعوة رئيس مجلس الوزراء، مجلس النواب لعقد جلسة طارئة^(١٦٠): مجلس النواب أدار انعقاد اعتيادية وأخرى استثنائية، يمارس المجلس خلال الاولى المهام الاعتيادية المناطة به بموجب الدستور والقانون. وخارج الفصل التشريعي الاعتيادي قد تستجد مسائل طارئة غير متوقعة لابد من اتخاذ القرار فيها من قبل مجلس النواب وعلى وجه السرعة كونها تدخل ضمن اختصاصه، من بينها إعلان الحرب وحالة الطوارئ، من هنا جرت الدساتير والقوانين الخاصة على النص على أدوار انعقاد استثنائية أو طارئة للمجلس النيابي. لكن الدساتير تباينت في تحديد السلطة المختصة بذلك، والملاحظ أن الدستور العراقي أناط هذه الصلاحية بأكثر من جهة، كان من بينها رئيس مجلس الوزراء، فقد نصت المادة (٥٨/أولاً) على أنه ليس (لرئيس الجمهورية أو لرئيس مجلس الوزراء أو لرئيس مجلس النواب أو لخمسين عضواً من أعضاء المجلس دعوته إلى جلسة استثنائية....). وفي رأينا أن تخويل هذه الصلاحية لرئيس مجلس الوزراء يبدو أمراً منطقياً يتفق والصلاحيات التي تتمتع بها بموجب الدستور، ف رئيس مجلس الوزراء هو القائد العام للقوات المسلحة^(١٦١). وبهذه الصفة له وعلى وجه الاشتراك مع رئيس الجمهورية الطلب الى مجلس النواب اعلان الحرب وحالة الطوارئ^(١٦٢).

-
- ١٥٢- م (١٢٦) من الدستور الكويتي.
 - ١٥٣- م (٥٧) من الدستور الإماراتي.
 - ١٥٤- م (٥٠) من النظام الأساسي العماني.
 - ١٥٥- م (١١٩) من الدستور القطري.
 - ١٥٦- م (١١٦) من الدستور السوري.
 - ١٥٧- م (١٦٥) من الدستور المصري.
 - ١٥٨- م (١٣٩) من الدستور الفلسطيني.
 - ١٥٩- م (٨٤) من الدستور السوري.
 - ١٦٠- م (٥٨/أولاً) من الدستور العراقي.
 - ١٦١- م (٧٨) من الدستور العراقي.
 - ١٦٢- م (٦١/تاسعاً/أ) من الدستور العراقي.

ثالثاً- لرئيس مجلس الوزراء تمديد الفصل التشريعي لمجلس النواب^(١٦٣): فقد حدد الدستور مدة الفصل التشريعي بثمانية أشهر^(١٦٤)، وخلال هذه المدة قد لا ينتهي المجلس من انجاز المهام المناطة به. من هنا أناط الدستور برئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء ورئيس مجلس النواب ولخمسين عضواً من أعضاء المجلس صلاحية تمديد الفصل التشريعي مدة لا تزيد على ثلاثين يوماً. وحسناً فعل الدستور في تحويله هذه الصلاحية لأكثر من جهة، فقد يحتج المجلس النيابي بانتهاء الفصل التشريعي لتأخير مناقشة بعض المسائل واتخاذ القرار فيها لاسيما تلك المتعلقة بعمل السلطة التنفيذية كسييل لعرقلة عملها، ومثل هذا الاحتمال ينهض حينما تكون السلطتين على طرفي نقيض او حينما يحدث الخلاف بينهما بشأن مسائل معينة تدخل ضمن الاختصاص المشترك للسلطتين كإعلان الحرب والموافقة على المعاهدات والاتفاقيات الدولية^(١٦٥) والمصادقة على تعيين السفراء من اصحاب الدرجات الخاصة^(١٦٦)، ورئيس أركان الجيش ومعاونيه ومن هم بمنصب قائد فرقة فما فوق ورئيس جهاز المخابرات^(١٦٧).

رابعاً- لرئيس مجلس الوزراء إقالة الوزراء بموافقة مجلس النواب^(١٦٨)، وفي رأينا أن هذا الوجه من أوجه التعاون الظاهر بين رئيس مجلس الوزراء ومجلس النواب قد يخفي وراءه واقعاً يمكن من خلاله لمجلس النواب عرقلة عمل رئيس مجلس الوزراء لاسيما إذا لم يكن الوزير من الكتلة النيابية التي ينتمي إليها رئيس مجلس الوزراء. ومثل هذا ما حدث فعلاً في اول وزارة في ظل الدستور النافذ، حيث كثيراً ما رفضت بعض الكتل النيابية المتنفذة في المجلس بعض التعديلات الوزارية التي تقدم بها رئيس مجلس الوزراء المتعلقة بوزرائها، في الوقت الذي وافق المجلس على اقالة بعض الوزراء المنتمين لكتلة رئيس مجلس الوزراء، من هنا كان الأولى بالدستور تحويل هذه الصلاحية لرئيس مجلس الوزراء على وجه الانفراد، كونه رئيسهم المباشر والاقدر على تحديد مستوى ادائهم ومدى الحاجة لاستبدالهم بغيرهم. ومن هذا الاستعراض الموجز لأوجه التعاون بين رئيس مجلس الوزراء ومجلس النواب، تبدو مدى اهميته بالرغم من محدوديته، فبدون هذا التعاون المتواضع من المؤكد ان الامر سينتهي الى عرقلة العملية السياسية.

الفرع الثاني: أوجه الرقابة بين رئيس مجلس الوزراء ومجلس النواب

يقوم النظام البرلماني التقليدي على التوازن بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، وفي هذا النظام يقف رئيس الدولة عادة في مركز وسط بين كفتي الميزان. من هنا يخول هذا النظام عادة السلطتين وسائل لرقابة أحدهما على الأخرى منعاً للتعسف أو إساءة استعمال السلطة. وفي هذا الفرع سنبحث في وسائل الرقابة التي خولها الدستور العراقي لرئيس مجلس الوزراء ومجلس النواب تحديداً. لنقف على حقيقة التوازن الذي سعى المشرع إلى إيجادها بين السلطتين.

١٦٣- م (٥٨/ثانياً) من الدستور العراقي.

١٦٤- م (٥٧) من الدستور العراقي.

١٦٥- م (٦١/رابعاً) من الدستور العراقي.

١٦٦- م (٦١/خامساً/ب) من الدستور العراقي.

١٦٧- م (٦١/خامساً/ج) من الدستور العراقي.

١٦٨- م (٧٨) من الدستور العراقي.

أولاً: أوجه الرقابة التي يمارسها رئيس مجلس الوزراء في مواجهة مجلس النواب: الملاحظ أن الدستور العراقي النافذ جاء في تنظيمه لهذه المسألة مقتضباً حيث لم يفرد لها سوى جزء من الفقرة الأولى من المادة (٦٤) من الدستور بمناسبة تنظيمه للحالات التي يجري فيها حل مجلس النواب (يحل مجلس النواب بالأغلبية المطلقة لعدد من أعضائه بناء على طلب من ثلث أعضائه أو طلب من رئيس مجلس الوزراء وبموافقة رئيس الجمهورية، ولا يجوز حل المجلس في اثناء مدة استجواب رئيس مجلس الوزراء). ومن خلال استعراض نص الفقرة الأولى من المادة (٦٤)، يتبين أن صلاحية رئيس مجلس الوزراء هذه مقيدة الى حد بعيد لاسيما في ظل الأجواء السياسية التي هيمنت عليها الاعتبارات الطائفية والقومية قبل المصلحة الوطنية.

ثانياً: وسائل الرقابة التي يمارسها مجلس النواب في مواجهة رئيس مجلس الوزراء: في مواجهة وسائل الرقابة المتواضعة التي امتلكها رئيس مجلس الوزراء في مواجهة مجلس النواب، تمتع الأخير بصلاحيات رقابية فاعلة في مواجهة رئيس مجلس الوزراء:-

١- حق السؤال: يقصد بهذا الحق أن يكون لأي من أعضاء مجلس النواب سؤال رئيس مجلس الوزراء أو الوزير عن مسألة معينة يجهلها أو يرغب في لفت نظر الحكومة إليها، وغالباً ما يكون السؤال موجزاً منصباً على المسألة المطلوب الاستفسار عنها، ويكون خالياً من التعليقات التي تثير الجدل أو تنطوي على الآراء الخاصة بعيداً عن الإضرار بالمصلحة العامة أو مخالفة الدستور والتشريعات النافذة^(١٦٩).

وبموجب المادة (٦١/سابعاً/أ) من الدستور العراقي يتحدد حق السؤال بين النائب السائل والوزير المسؤول، ما يعني أن ليس للغير الاشتراك في مناقشة السؤال وهو ما يسمح بتوضيح الكثير من المسائل الغامضة ويوجه نظر الحكومة إلى بعض المخالفات لتداركها أو تدارك آثارها قبل تفاقمها^(١٧٠).

٢- الاستيضاح: وهو حق تالي في المرتبة لحق السؤال، وعلى حد سواء مع حق السؤال لا يحمل هذا الحق في طبيته الاتهام لرئيس مجلس الوزراء أو الوزراء، لكنه يسعى لمزيد من الاستيضاح بشأن السياسة العامة للوزارة أو إحدى فروعها ومستوى أدائها. ومن المؤكد أن حق الاستيضاح أكثر أهمية وخطورة من حق السؤال كونه يأتي في مرحلة لاحقة لحق السؤال إذ لا يتم اللجوء لهذا الحق إلا إذا لم يكتف النائب بسؤاله أو إذا أراد المزيد من الايضاحات بشأن المسألة التي طرح السؤال عنها أو إذا راود المجلس أو بعض أعضائه الشك بإجابة الوزير. من هنا اشترطت المادة (٦١/سابعاً/ب) من الدستور تقديم الاستيضاح من قبل ما لا يقل عن خمسة وعشرين عضواً، وإذا كان السؤال يوجه مباشرة لرئيس مجلس الوزراء أو الوزير المسؤول، فإن الاستيضاح يقدم لرئيس مجلس النواب أولاً الذي يحيله بدوره لرئيس مجلس الوزراء أو الوزير المعني حيث يتولى أي منهما بدوره تحديد موعد الحضور أمام مجلس النواب لطرح اجابته والمناقشة ما يعني أن الأمر الذي يجري الاستيضاح عنه غالباً ما يستلزم إعداد الإجابة من خلال الرجوع لبعض الوثائق والأوليات.

١٦٩- انظر د. رمزي الشاعر، النظرية العامة للقانون الدستور، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٥٠٩.

١٧٠- انظر د. ماجد راغب الحلو، القانون الدستوري، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٣٤٩.

والملاحظ أن الدستور العراقي النافذ وحد في اجراءات الاستيضاح الموجهة لرئيس مجلس الوزراء والوزير وفي رأينا كان الأولى به التمييز في هذه الإجراءات وحسب أهمية وخطورة المنصب الذي يتولاه المعني، كأن يشترط تقديم الاستيضاح لرئيس مجلس الوزراء من قبل عدد من الأعضاء يزيد على ذلك العدد الواجب توافره لتقديم الاستيضاح للوزير. ويشترط أيضاً لتقديم الاستيضاح للأول موافقة هيئة الرئاسة في المجلس إضافة للعدد المطلوب من النواب مراعاة للمركز الخاص لرئيس مجلس الوزراء وثقل المهام الملقاة على عاتقه. فقد لا تجد هيئة رئاسة المجلس أن الأمر يستوجب الاستيضاح فتؤنده قبل عرضه على رئيس مجلس الوزراء.

٣- الاستجواب^(١٧١): يقصد بحق الاستجواب مساءلة الحكومة او احد فروعها عن بعض تصرفاتها أو قراراتها، ويحمل الاستجواب في ثناياه الاتهام للوزارة، من هنا يعد هذا الحق الوسيلة الأكثر فاعلية وخطورة في مواجهة رئيس مجلس الوزراء والوزراء، كونه قد ينتهي إلى إقالة الحكومة بأسرها أو أحد فروعها. ونظراً لخطورة هذا الحق فقد احاطته الدساتير المقارنة بالعديد من الضمانات، وبذات الاتجاه سار الدستور العراقي النافذ، لكن الملفت للنظر أن الدستور العراقي لم يتشدد في إجراءات طلب الاستجواب، بل أنه رسم طريق ايسر من ذلك الذي اتبعه في الاستيضاح، فقد اوجب تقديمه من قبل ما لا يقل عن خمسة وعشرين عضواً مباشراً للمعني دون المرور برئيس المجلس (لعضو مجلس النواب وبموافقة خمسة وعشرين عضواً وتوجيه استجواب إلى رئيس مجلس الوزراء أو الوزراء لمحاسبتهم.....) على أن تجري المناقشة بعد سبعة أيام في الأقل من تاريخ تقديمه، وفي رأينا أن ما ذهب إليه الدستور العراقي في هذا الموضوع أمر محل نظر، إذ كان عليه النص على إجراءات أكثر تعقيداً من تلك التي استوجبه لتقديم الاستيضاح، والتمييز في الإجراءات الواجب اتباعها في مساءلة رئيس مجلس الوزراء وتلك الواجب اتباعها في استجواب الوزير. إذ قد ينتهي الأمر في الحالة الأولى إلى إقالة الوزارة بأسرها في حين تقتصر الآثار في الحالة الثانية على إقالة الوزير المستجوب إلا إذا قررت الوزارة الاستقالة بأسرها تضامناً مع الوزير المقال. ومن المؤكد أن المشرع الدستوري العراقي أدرك خطورة الآثار المترتبة على الاستجواب، لكنه قصر الضمانات التي تتلاءم وخطورة هذا الحق في المرحلة لاحقة للاستجواب فقط، حينما ينتهي الاستجواب في نتائجه الى إدانة رئيس مجلس الوزراء أو الوزير، حيث أوجب في هذه المرحلة طرح موضوع الثقة برئيس مجلس الوزراء أو الوزير بناء على رغبته أو بناء على طلب خمسين عضواً في الأقل على أن يصدر المجلس قراره بعد سبعة أيام في الأقل من تاريخ تقديم الطلب^(١٧٢) وبالمقارنة بين وسائل الرقابة التي امتلكها رئيس مجلس الوزراء في مواجهة مجلس النواب، وتلك التي امتلكها الثاني في مواجهة الأول، يبدو جلياً رجحان كفة المجلس في هذا الجانب. من هنا نرى ضرورة إعادة التوازن بين السلطتين في هذا الاختصاص للاقترب من النظام البرلماني بشكله التقليدي.

١٧١- للمزيد من التفاصيل حول حق الاستجواب، انظر: عبدالله ناصف، المصدر السابق، ص ٨٧ وما بعدها.

١٧٢- م (٦١/ثامناً/أ) من الدستور العراقي.

المطلب الثالث: الصلاحيات التي ينفرد بها رئيس مجلس الوزراء

إضافة للصلاحيات المشتركة التي خص بها الدستور رئيس مجلس الوزراء ورئيس الجمهورية (اقترح إعلان الحرب وحالة الطوارئ)^(١٧٣) اقترح العفو الخاص^(١٧٤) اقترح منح الأوسمة والنياشين^(١٧٥) والصلاحيات الممنوحة لمجلس الوزراء باعتباره وحدة واحدة (تخطيط وتنفيذ السياسة العامة للدولة - الاشراف على عمل الوزارات الجهات غير المرتبطة بوزارة)^(١٧٦) - اقترح مشاريع القوانين^(١٧٧) - إصدار الأنظمة والتعليمات والقرارات بهدف تنفيذ القانون^(١٧٨) إعداد مشروع الموازنة العامة والحسابات الختامية وخطط التنمية^(١٧٩) توصية مجلس النواب بالموافقة على تعيين وكلاء الوزارات والسفراء وأصحاب الدرجات الخاصة ورئيس أركان الجيش ومعاونيه ومن هم بمنصب قائد فرقة فما فوق ورئيس جهاز المخابرات الوطني ورؤساء الأجهزة الأمنية^(١٨٠) والتفاوض بشأن المعاهدات والاتفاقيات الدولية والتوقيع عليها أو من يخوله^(١٨١). خص الدستور رئيس مجلس الوزراء ببعض الصلاحيات التي يمارسها على وجه الإنفراد لكن الملاحظ على هذه الصلاحيات أنها متواضعة قياساً للدور المحوري الذي يفترض أن يضطلع به رئيس مجلس الوزراء في النظام البرلماني، فبموجب المادة (٧٨) من الدستور رئيس مجلس الوزراء هو القائد العام للقوات المسلحة، وهو من يتولى إدارة جلسات المجلس ويترأس اجتماعاته. ويجوز إجراء مقارنة بسيطة بين الصلاحيات التي ينفرد بها رئيس مجلس الوزراء وتلك التي ينفرد بها رئيس الجمهورية، يتبين أن الأخير يتمتع بصلاحيات تفوق بكثير تلك التي يتمتع بها رئيس مجلس الوزراء.

فلترئيس الجمهورية دعوة مجلس النواب المنتخب حديثاً للانعقاد خلال مدة خمسة عشر يوماً من تاريخ المصادقة على نتائج الانتخابات^(١٨٢) ويقبل السفراء^(١٨٣) ويصدر المراسيم الجمهورية^(١٨٤) ويصادق على أحكام الإعدام^(١٨٥) ويتولى القيادة العليا للقوات المسلحة لأغراض تشريفية واحتفالية^(١٨٦) وله ممارسة أية صلاحيات أخرى واردة في الدستور^(١٨٧). من هنا نرى ضرورة إعادة النظر بالصلاحيات التي ينفرد بها رئيس مجلس الوزراء، وبما يوسع من هذه الصلاحيات على نحو يمكن معها قيادة السلطة التنفيذية وأدائها

١٧٣- م (٦١/تاسعاً) من الدستور العراقي.

١٧٤- م (٧٣/أولاً) من الدستور العراقي.

١٧٥- م (٧٣/خامساً) من الدستور العراقي.

١٧٦- م (٨٠/أولاً) من الدستور العراقي.

١٧٧- م (٨٠/ثانياً) من الدستور العراقي.

١٧٨- م (٨٠/ثالثاً) من الدستور العراقي.

١٧٩- م (٨٠/رابعاً) من الدستور العراقي.

١٨٠- م (٨٠/خامساً) من الدستور العراقي.

١٨١- م (٨٠/سادساً) من الدستور العراقي.

١٨٢- م (٧٣/رابعاً) من الدستور العراقي.

١٨٣- م (٧٣/سادساً) من الدستور العراقي.

١٨٤- م (٧٣/سابعاً) من الدستور العراقي.

١٨٥- م (٧٣/ثامناً) من الدستور العراقي.

١٨٦- م (٧٣/تاسعاً) من الدستور العراقي.

١٨٧- م (٧٣/عاشرًا) من الدستور العراقي.

للمهام المرسومة لها بموجب الدستور لاسيما في ظل الظروف الاستثنائية التي أحاطت بالعملية السياسية والأمنية خصوصاً.

الخاتمة

بعد الإتياء من بحث وضع السلطة التنفيذية في النظام البرلماني توصلنا الى مجموعة من النتائج والتوصيات والتي ندرج اهمها:-

١. تتكون السلطة التنفيذية في النظام البرلماني من طرفين، رئيس الدولة من ناحية، والوزارة كهيئة جماعية من ناحية أخرى.
٢. يكون رئيس الدولة في النظام البرلماني ملكاً متوجاً، يتبوء منصبه عن طريق الوراثة، وقد يكون رئيساً للجمهورية يلي منصبه بالانتخاب.
٣. عدم مسؤولية رئيس الدولة سياسياً في النظام البرلماني، وعدم جواز مساءلته عن شؤون الحكم أمام البرلمان.
٤. إذا كانت قاعدة عدم مسؤولية رئيس الدولة الملكية البرلمانية، قاعدة مطلقة، فلا يسأل الملك بحال لا من الناحية السياسية ولا من الناحية الجنائية، فإن هذه القاعدة تعد نسبية في الأنظمة الجمهورية البرلمانية إذ تقتصر عدم مسؤولية رئيس الدولة على النطاق السياسي وحده دون الجنائي.
٥. في ظل النظام البرلماني التقليدي، يعد الرئيس رمز لوحدة الدولة وعنصر توازن بين السلطتين التشريعية والتنفيذية. ومن هنا دأبت الدساتير البرلمانية في غالبيتها على عدم منحه سوى دور شرقي بروتوكولي ثانوي، مع تمتعه في بعض منها بدور فعلي هام.
٦. عدد الدستور العراقي النافذ لسنة ٢٠٠٥ بعض حالات انتهاء ولاية الرئيس من دون بعضه الآخر وكان عليه تنظيم مسألة عجز الرئيس عن ممارسة مهام عمله والجهة التي لها الطعن بالعجز، والجهة التي لها القول الفصل حسماً لأي خلاف يمكن أن يثار بشأنها.
٧. قد تنتهي ولاية الرئيس قبل انتهاء أجلها ويكمل رئيس آخر هذه الولاية، فهل تعد هذه الولاية ولاية كاملة لا تبيح للرئيس الا الترشيح لولاية أخرى؟ أم لا تعد كذلك وهي مسألة بالغة الأهمية ندعو تنظيمها.
٨. إن الدستور العراقي النافذ كان قد اختط لنفسه طريقاً وسطاً في تحديده لصلاحيات رئيس الجمهورية، فجمع بين الاتجاه الذي لا يجعل للرئيس سوى دور شكلي بروتوكولي، وبين الاتجاه الذي يخوله صلاحيات تفوق تلك الممنوحة له في النظام الرئاسي.
٩. للرئيس بموجب الدستور، صلاحيات بروتوكولية شرفية كإصدار العفو الخاص بناءً على توصية رئيس مجلس الوزراء، والمصادقة على أحكام الإعدام ومنح الأوسمة والنياشين وإصدار المراسيم الجمهورية والقيادة العليا للقوات المسلحة لأغراض تشريفية وإحتفالية.
١٠. إلى جانب الاختصاصات البروتوكولية، تمتع الرئيس في ظل الدستور النافذ بصلاحيات غاية في الأهمية، كإقترح القوانين والمصادقة على المعاهدات والاتفاقيات. وفي هذا الاختصاص وقع الدستور

- في تناقض فبموجب المادة (٥٨/ثالثاً) لمجلس النواب المصادقة على المعاهدات بأغلبية ثلثي أعضائه، وفي المادة (٧٠/ثالثاً) خول الدستور ذات الاختصاص لرئيس الجمهورية بعد موافقة مجلس النواب.
١١. خول الدستور للرئيس اختصاص سياسي بالغ الخطورة تمثل في طلب سحب الثقة من رئيس مجلس الوزراء، ومثل هذا الاختصاص لا يخول لرئيس الدولة عادة في الأنظمة البرلمانية كونه يجعل من رئيس الوزراء خاضعاً في تسيير شؤون وزارته لرئيس الجمهورية وهو ما يخالف المبادئ الأساسية التي يقوم عليها النظام البرلماني. إذا لا يعد الرئيس في هذا النظام سوى رمز لوحدة الدولة في الوقت الذي تتركز فيه غالبية الصلاحيات التنفيذية بيد رئيس الوزراء ومجلسه.
١٢. للرئيس بموجب المادة (٦١/أولاً) الموافقة على حل مجلس النواب، وقد يبدو هذا الاختصاص من الناحية الظاهرية اختصاص شكلي باعتبار أن ليس للرئيس ممارسة هذا الاختصاص إلا بناءً على طلب رئيس مجلس الوزراء. ولكن نرى أن هذا الاختصاص غاية في الأهمية والخطورة إذ يبقى مصير مجلس النواب موقوف على قرار رئيس الجمهورية. ومن المؤكد أن قرار الرئيس هذا سوف يكون محكوم بطبيعة علاقته برئيس مجلس الوزراء والأغلبية التي تتمتع بها كتلته النيابية، فإذا كانت كتلته ذات أغلبية مريحة لا يميل الرئيس لحل المجلس، أما إذا كانت أغلبية بسيطة فقد يميل إلى الحل رغبة في زيادة ثقل كتلته النيابية في الانتخابات الجديدة.
١٣. تكليف رئيس الوزراء بتشكيل الحكومة من قبل رئيس الجمهورية، ومن المفترض أن يكون هذا الاختصاص شكلي يقتصر على تكليف مرشح الكتلة النيابية الحائزة على أعلى نسبة من المقاعد في المجلس النيابي لكن التجربة في العراق أثبتت أن الرئيس وكتلته البرلمانية يمكن أن يلعب دور محوري في اختيار المرشح لمنصب رئيس مجلس الوزراء.
١٤. يحل الرئيس محل رئيس مجلس الوزراء في حالة خلو هذا المنصب لأي سبب من الأسباب، وندعو إلى منح هذا الاختصاص لنائب رئيس الوزراء بوصفه الأقدر على ممارسة هذا الاختصاص بحكم الاتصال المباشر واليومي بالمجلس، في الوقت الذي لا يكون فيه الرئيس على اتصال مباشر بمجلس الوزراء أو قد لا يحاط علماً سوى بالمسائل الهامة أو عمومياتها.
١٥. إقتراح تعديل الدستور، ويمارس الرئيس هذا الاختصاص إلى جانب مجلس الوزراء مجتمعاً وخمس مجلس النواب. وفي رأينا أن هذا الاختصاص غاية في الخطورة إذ ينفرد الرئيس بممارسته، في الوقت الذي اشترط الدستور تقديم هذا الاقتراح من قبل مجلس الوزراء مجتمعاً، وتقديمه من قبل خمس مجلس النواب ضماناً لجديته وحفاظاً على أعلوية الدستور وقديسيته.
١٦. تعددت الألقاب التي أطلقت على من يرأس الوزارة في النظام البرلماني، فقد أطلقت عليه بعض الدساتير لقب رئيس مجلس الوزراء، ووصفته بعضها بالوزير الأول، ولقبته الأخرى برئيس الوزراء، ولم يقتصر التباين بين الدساتير على اللقب، لكنه إمتد إلى الصلاحيات التي تمتع بها شاغل هذا المنصب. فمن الأنظمة الدستورية من جعلته في قمة الهرم التنفيذي ولم تترك لرئيس الدولة سوى النزر القليل من الصلاحيات وتحديداً التنفيذية والتشريعية البروتوكولية. و خلافاً للأنظمة البرلمانية التقليدية، تمتع رئيس الدولة في الأنظمة البرلمانية المطورة بصلاحيات هامة، حتى غدا الرئيس كأنه

رئيس للسلطة التنفيذية في النظام الرئاسي. ومن المؤكد أن أفراد الرئيس بهذا المركز القانوني سيكون على حساب رئيس مجلس الوزراء. وتبنى الدستور العراقي النافذ لسنة ٢٠٠٥ الاتجاه الثاني من الأنظمة البرلمانية حيث تمتع رئيس الجمهورية بصلاحيات تنفيذية هامة.

١٧. الملاحظ أن الدستور لم يفرد رئيس مجلس الوزراء إلا ببعض الصلاحيات المحددة كالقيادة العامة للقوات المسلحة، وترأس وإدارة جلسات مجلس الوزراء، في الوقت الذي تفرد فيه رئيس الجمهورية بصلاحيات أوسع وربما أهم أحياناً من تلك التي تمتع بها الأول. وإلى جانب الصلاحيات الفردية، إشتراك رئيس مجلس الوزراء مع رئيس الجمهورية، كإقتراح اعلان الحرب وحالة الطوارئ واقتراح العفو الخاص ومنح الاوسمة والنياشين.

١٨. تأكيداً للنظام البرلماني، فقد أوجد الدستور العراقي النافذ أكثر من وجه للتعاون والرقابة بين مجلس الوزراء ومجلس النواب. فقبل أن يمارس رئيس مجلس الوزراء مهام عمله لابد من أدائه اليمين الدستورية أمام مجلس النواب. ولرئيس مجلس الوزراء دعوة مجلس النواب الى عقد جلسة طارئة، كما له تمديد الفصل التشريعي متى دعت الضرورة الى ذلك.

١٩. أما من حيث الرقابة فلم يوازن الدستور بين كفتي السلطة التشريعية والتنفيذية، ففي الوقت الذي منح فيه مجلس النواب صلاحية التوجه بالسؤال لرئيس مجلس الوزراء والاستيضاح منه واستجوابه وسحب الثقة منه. لم يخول رئيس مجلس الوزراء صلاحية طلب حل مجلس النواب الا بعد موافقة رئيس الجمهورية وفي كل الأحوال يبقى الأمر معلقاً على مشيئة الأغلبية المطلقة لمجلس النواب. إن شاءت صوتت لطلب الحل وإن شاءت رفضته.

٢٠. ندعو إلى ضرورة الموازنة بين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية إذ نصت المادة (٨٣) من الدستور على مسؤولية رئيس مجلس الوزراء والوزراء أمام مجلس النواب مسؤولية تضامنية وشخصية. كما أن المادة (٧٦-٧٦) أشرت على عرض رئيس مجلس الوزراء المكلف أسماء اعضاء وزارته والمنهاج الوزاري على مجلس النواب للحصول على ثقته بالأغلبية المطلقة. كما أن المادة (٨٠-٨٠) إضافة إلى تعيين مجلس النواب لوكلاء الوزارات والسفراء وأصحاب الدرجات الخاصة ورئيس اركان الجيش ومعاونيه ومن هو بمنصب قائد فرقة فما فوق ورئيس جهاز المخابرات الوطني ورؤساء الاجهزة الامنية بناءً على توصية من مجلس الوزراء. وواضح من هذه الأمثلة مدى تعاظم سلطة مجلس النواب إتجاه الحكومة.

المصادر

أولاً: الكتب:-

١. د. ابراهيم عبدالعزيز شيحا، وضع السلطة التنفيذية في الأنظمة السياسية المعاصرة، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٦.
٢. د. ابراهيم درويش، القانون الدستوري النظرية العامة، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٤.
٣. د. ثروت بدوي، النظم السياسية - النظرية العامة للنظم الدستورية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٠.

٤. د. ثروت بدوي، النظرية العامة للنظم السياسية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٩.
٥. د. حسين عثمان محمد، النظم السياسية والقانون الدستوري، الدار الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٩.
٦. د. رمزي الشاعر، النظرية العامة للقانون الدستوري، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٥.
٧. د. سليمان الطماوي، السلطات الثلاث، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٩.
٨. د. طعيمه الجرف، نظرية الدولة والمبادئ العامة للأنظمة السياسية ونظم الحكم، دراسة مقارنة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٨.
٩. د. عبد الحميد متولي، القانون الدستوري والأنظمة السياسية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٦.
١٠. د. عبدالله إبراهيم ناصف، مدى توازن السلطة السياسية المسؤولية في الدولة الحديثة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨١.
١١. د. علي يوسف الشكري وآخرون، دراسة حول الدستور العراقي، مؤسسة آفاق للدراسة والبحوث العراقية، بغداد، ٢٠٠٨.
١٢. د. ماجد راغب الحلو، القانون الدستوري، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٧.
١٣. د. محمد عبدالعال السناري، الأنظمة السياسية المقارنة الحكومات وأنواعها، المكتبة القانونية، القاهرة دون سنة نشر.
١٤. د. محمد كامل ليلة، النظم السياسية، الدولة والحكومة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣.
١٥. د. محمد فتح الله الخطيب، دراسات الحكومات المقارنة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٦.
١٦. د. مصطفى أبو زيد، النظام البرلماني في لبنان، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٩.
١٧. ميشيل ستوارت، نظم الحكم الحديثة، ترجمة أحمد كامل، مراجعة سليمان الطماوي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٣.
١٨. د. يحيى الجمل، الأنظمة السياسية المعاصرة، دار الشروق، القاهرة، دون سنة نشر.

ثانياً: الدساتير:-

١. الدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥.
٢. الدستور اللبناني لسنة ١٩٢٦.
٣. الدستور الأردني لسنة ١٩٥٢.
٤. الدستور المغربي لسنة ١٩٥٦.
٥. الدستور المغربي لسنة ١٩٦٢.
٦. الدستور الكويتي لسنة ١٩٦٢.
٧. الدستور الإماراتي لسنة ١٩٧١.
٨. الدستور القطري لسنة ١٩٧٣.
٩. الدستور السوري لسنة ١٩٧٣.
١٠. الدستور الجزائري لسنة ١٩٨٩.
١١. الدستور اليمني لسنة ١٩٩٠.

١٢. الدستور المغربي لسنة ١٩٩٦.
١٣. الدستور الجزائري لسنة ١٩٩٦.
١٤. الدستور السوداني لسنة ١٩٩٨.
١٥. الدستور الفلسطيني لسنة ٢٠٠٢.
١٦. الدستور البحريني لسنة ٢٠٠٣.
١٧. الدستور الموريتاني لسنة ٢٠٠٦.
- الدستور المصري لسنة ٢٠١٤.

الاغتراب النفسي لدى معلمي ومعلمات مدارس الكرفانات وأقرانهم في

المدارس الابتدائية في محافظة كربلاء المقدسة

*Psychological alienation among teachers in schools
caravans and their peers in regular schools the holy city
of Karbala*

م.د. عماد عبود هاني الظالمي^(١)

Dr. Emad Abod Hani Al-Thalmy

م.م. إحسان خضير كاظم الطالقاني^(٢)

Asst.Inst. Ihsan Khudair Kadhim Al-Talkany

الملخص

تبرز أهمية البحث الحالي في كون ظاهرة الاغتراب النفسي من أبرز ملامح عصر العولمة، وأهم سماته البارزة، ويكتسب هذا البحث أهميته لندرة البحوث التي تناولت الاغتراب النفسي لدى شريحة المعلمين والمعلمات (على حد علم الباحثين) في العراق، وتتجلى مشكلة البحث في انعكاس ظاهرة الاغتراب النفسي على سلوكيات المعلمين، مثل ضعف الشعور بالانتماء للمجتمع، وتفشي ظاهرة اللامبالاة، وربما تكوين اتجاهات سلبية نحو المدرسة والتلاميذ، والآخرين.

تألفت عينة البحث النهائية من (٣٢٠) معلماً ومعلمة تم اختيارهم بالطريقة العشوائية البسيطة من المدارس التابعة لمديرية تربية كربلاء المقدسة، منهم (٢٦٤) معلماً ومعلمة من المدارس العادية، و(٥٦) معلماً ومعلمة من مدارس الكرفانات.

١ - المديرية العامة لتربية كربلاء.

٢ - المديرية العامة لتربية كربلاء.

حرص الباحثان على التحقق من توافر الخصائص السايكومترية اللازمة كالصدق والثبات، ولغرض تحقيق أهداف البحث، إستعمل الباحثان الوسائل الاحصائية المناسبة، وكانت أهم النتائج: الفروق غير دالة احصائياً بين معلمي المدارس العادية ومعلمي مدارس الكرفانات في ظاهرة الاغتراب النفسي، وفي ضوء النتائج، خلّص الباحثان الى عدد من الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات التي ضمّناها في ثنايا بحثهما.

Abstract

It highlights the importance of current research in the fact that the phenomenon of psychological alienation of the most prominent features of the era of globalization. This research is important because of the paucity of research that has dealt with the psychological alienation among teachers (according to the knowledge of both researchers) in Iraq. The research has reflected the problem of the psychological alienation on the teachers' behaviours , such as the weak sense of belonging to the community, and the feeling of apathy, and perhaps formation negative attitudes towards the school, the students and others.

The final sample has consisted of (320) teachers. They have been chosen randomly from the Directorate of Education Karbala schools, including (264) teachers from regular schools, and (56) teachers from schools caravans.

Both researchers have been keen to check the availability and reliability for the purpose of achieving the objectives of the research. Both researchers have used the appropriate statistical methods. The most important results have been: there is statistically significant difference between the teachers in regular schools and those who are in school caravans in the phenomenon of psychological alienation. In the light of the findings, both researchers have concluded a number of conclusions, recommendations and proposals that have been included in the folds of the research.

الفصل الأول

مشكلة البحث:

يعد الاغتراب النفسي مشكلة نفسية واجتماعية واقتصادية ومهنية، بسبب التطور الهائل السريع الذي يعجز الفرد ملاحقته نسبة للثغرات التي لحقت بالقيم الانسانية، فضلاً عن التحولات السريعة التي مرّت بالعالم بسبب الحروب، وما رافق ذلك من عمليات تهجير وتدمير وقتل، مما ادى الى اضرار نفسية

الاغتراب النفسي لدى معلمي ومعلمات مدارس الكرفانات وأقاربهم في المدارس الابتدائية في محافظة كربلاء المقدسة

كبيرة وظهور مشكلات نفسية، منها مشكلة الاغتراب النفسي عن الذات، والوطن والعائلة، وحتى الكلية أو مكان الدراسة، وظهور مشكلة أخرى وهي الشعور بالوحدة النفسية والتي تعد من المشكلات التي يعاني منها الانسان المعاصر نتيجة صعوبات الحياة، فلم تعد بسيطة كما كانت في السابق، فضلاً عن تفاقم الأعباء، وتعدد المشاكل العائلية والاسرية وزيادة المسؤوليات، وأصبح من الصعب على الفرد تحقيق معظم حاجاته وطموحاته، مما جعله يشعر بالاغتراب عن مجتمعه (إبراهيم، ٢٠١٣: ٥١)، وذلك مما زاد من الشعور بوجود هذه المشكلة.

كما أن مدارس الكرفانات لم تحظ باهتمام الباحثين، ما لمسّه الباحثان خلال زيارتهما لبعض مدارس الكرفانات الابتدائية التابعة لمديرية تربية كربلاء المقدسة، اذا ما علمنا إنّ المعلمين من أكثر فئات المجتمع وعياً وإدراكاً بما يحيط بمجتمعاتهم من تحديات ومخاطر، بالرغم من أنهم لا يملكون سلطة صنع القرار، ولكنهم ينفذون ما شرّعه غيرهم من مناهج وأنشطة وفعاليات، ومع ذلك توكل اليهم مهمة كبيرة وخطيرة، ألا وهي تربية الأجيال تربية سليمة، وكذلك الاهتمام بتعديل سلوكهم، ويرافق ذلك إنحسار في التقدير الاجتماعي من حيث المردود المادي، وزيادة أعداد التلاميذ في الصف الواحد، وتزايد الحريات للتلاميذ، وتقليص الصلاحيات الممنوحة للمعلمين مع إرتفاع في مستوى التوقعات منهم من قبل المسؤولين وأولياء الأمور، لذلك قد يقع المعلم ضحية لصراعات لها نتائج مباشرة على علاقاته مع الآخرين، قد تنعكس في إغترابه عن ذاته، وعن أفراد مجتمعه، وضعف الشعور بالانتماء للمجتمع، مما قد يؤدي الى تفشي ظاهرة اللامبالاة لديهم، وتكوين اتجاهات سلبية نحو المدرسة والتلاميذ، والتنصل عن تحمل المسؤولية، وقد يكون نتيجةً لذلك ضعف القيام بأداء المهمات التربوية والتعليمية المناطة بهم، بالإضافة الى ما تقدم شعر الباحثان بندرة الدراسات العراقية التي تناولت متغير الاغتراب النفسي لدى فئة المعلمين والمعلمات (على حدّ علمهما)، بل نستطيع القول انعدامها في مدارس الكرفانات.

أهمية البحث:

تعد ظاهرة الاغتراب النفسي ظاهرة اجتماعية نفسية ومشكلة انسانية عامة شائعة في كثير من المجتمعات منها العالم الثالث بسبب ازمة الانسان المعاصر ومعاناته وصراعاته الناتجة من تلك الفجوة الكبيرة بين تقدم مادي يسير بمعدل هائل السرعة وتقدم قيمي ومعنوي يسير بمعدل بطيء، وهذا يرجع الى التطور الهائل في المجتمعات المتحضرة والمشاكل والصعاب التي تعيشها المجتمعات المتخلفة، مما جعل الانسان ينظر الى الحياة وكأنها غريبة عنه أو شعوره بعدم الانتماء اليها، فالاغتراب بُعدٌ مميز، وقديم قدم الإنسان، فهو المخلوق الذي يستطيع أن ينفصل عن ذاته، أو مجتمعه، أو عالمه، وقد يتعايش مع اغترابه بصفته جزءاً من حياته، ومكوناً من مكوناته النفسية والاجتماعية، دون أن يشعر، أو يعي حالة اغترابه، وقد أصبح اغتراب الفرد عن ذاته، أو مجتمعه صفةً من صفات العصر الحالي، وقد يكون هذا الاغتراب عن المجتمع، أو الحياة، وهذا ما يُطلق عليه بالاغتراب الخاص، وقد تكون المؤسسة الاسرة التي يعيش فيها، أو الجامعة، أو المدرسة التي يعمل فيها، ويترتب على إنتشار الاغتراب ضمن المجال الاجتماعي، أو الأكاديمي العديد من الآثار التي قد تؤثر في تكيف الفرد مع محيطه الخارجي، وبالتالي صعوبة تحقيق توافقه النفسي والاجتماعي، وإعاقة نمو شخصيته في مختلف جوانبها، وفي الوقت ذاته ينعكس ذلك سلباً على المجتمع في تبديد طاقاته، أما الانسحاب ضمن المجال الأكاديمي، فيتربط عليه عدد من الآثار السلبية التي

من شأنها إعاقة تكيف الفرد مع محيطه الأكاديمي، وانعكاس ذلك على أداء مهامه، وإستغلال طاقاته النفسية والعقلية (موسى، ٢٠٠٣: ٢-٣)، ولهذا ازداد اهتمام الباحثين خلال النصف الثاني من القرن العشرين بدراسة الاغتراب النفسي في المجتمعات وفئاته (ابراهيم، ٢٠٠٤: ٧)، ومنها فئة المعلمين. وتتجلى أهمية البحث الحالي في المحاور الآتية:-

- تعد ظاهرة الاغتراب النفسي من أبرز ملامح عصر العولمة، وأهم سماته البارزة.
- تكمن أهمية البحث الحالي في ظل ما يشهده المجتمع العراقي كغيره من المجتمعات من نهضة علمية، وظواهر نفسية، ومنها ما يتعلق بالأمن والاغتراب النفسي.
- لعل هذا البحث من البحوث القليلة التي تناولت ظاهرة الاغتراب النفسي بين شريحة المعلمين والمعلمات.

- وضع بعض المقترحات والتوصيات الى السادة المعنيين في الشأن التربوي من خلال نتائج البحث من أجل المحافظة على البناء النفسي لفئة تعد من أهم فئات المجتمع، فهي الفئة التي يعول عليها بصناعة الانسان السوي الحالي من المشكلات النفسية والتخفيف من آثارها على مجتمع المعلمين والمعلمات.

أهداف البحث:

تتلخص اهداف البحث الحالي بالآتي:-
-تعرف على مستوى الاغتراب النفسي لدى معلمي ومعلمات مدارس الكرفانات واقراهم في المدارس الحكومية الاخرى.
-تعرف على الفروق في مستوى الاغتراب النفسي لدى معلمي ومعلمات مدارس الكرفانات واقراهم في المدارس الحكومية الاخرى.

تحديد المصطلحات:

- الاغتراب النفسي:
-تعريف (فروم، ١٩٦٩): هو عبارة عن شعور الفرد بالانفصال النسي عن ذاته، أو عن مجتمعه أو كليهما،
وبمعنى آخر شعور الفرد بأنه غريب عن العالم، وعن نفسه (ابراهيم، ١٩٨٧: ٢٩).
-تعريف (هورني، ١٩٧٠): "فقدان الشعور بالوجود الفعّال، وبقوة التصميم في حياته الخاصة، ومن ثم يفقد الفرد الاحساس بذاته باعتباره كلاً عضواً" (سنان، ٢٠٠٤: ٣٦).
-تعريف (حنفي، ١٩٧٨): شعور الفرد بالضيق، وعدم الفاعلية، والوحدة، والتضائل، وعدم الانتماء، ينتج عن ذلك سلوكاً مدمراً تجاه الذات في النهاية، وسلوك انسحابي من المجتمع، والذات (النجار، ١٩٨٨: ٢٣).
-تعريف (السويدي، ١٩٩٧): وعي الفرد بالصراع القائم بين ذاته والبيئة المحيطة به تتجسد في الشعور بعدم الانتماء والسخط والقلق (السويدي، ١٩٩٧: ١٣).
-تعريف الباحثين النظري: حالة نفسية تتصف بضعف التوافق بين رغبات الفرد والبيئة المحيطة به، تنتج عن بعض العوامل والظروف النفسية والاجتماعية التي تؤثر على الفرد في فترة من فترات حياته.

===== الاغتراب النفسي لدى معلمي ومعلمات مدارس الكرفانات وأقراغم في المدارس الابتدائية في محافظة كربلاء المقدسة

-التعريف الاجرائي: الدرجة الكلية التي يحصل عليها المعلمون والمعلمات على مقياس الاغتراب النفسي المطبق من قبل الباحثين في البحث الحالي.

الفصل الثاني: الاطار النظري

اولاً / الاغتراب النفسي:-

يتضح من خلال الادبيات التي تناولت مصطلح الاغتراب النفسي انه يتكون من أبعاد متعددة منها: فقدان الشعور بالانتماء، عدم الالتزام بالمعايير، العجز، عدم الاحساس بالقيمة، فقدان الهدف، فقدان المعنى، مركزية الذات (العقيلي، ٢٠٠٤: ٤)، وفيما يلي استعراض موجز للنظريات التي اهتمت بهذا المفهوم:

الاغتراب ظاهرة انسانية حظيت باهتمام كبير بين الفلاسفة، وعلماء التربية، وعلماء الاجتماع، وعلماء النفس. وقد استعمل مصطلح الاغتراب alienation للتعبير عما يشعر به الانسان الحديث من تجربة، وما يحس به من زيف الحياة وسطحيتها بصورة تكاد تهدد وجوده وصحته النفسية، ونظرا للتعقيد الذي يكتنف ظاهرة الاغتراب على مر التاريخ، وتعدد الجوانب والابعاد التي تمتد اليها هذه الظاهرة الانسانية، فقد تعددت تبعا لذلك وجهات النظر واختلفت وتداخلت في محاولتها لتفسير هذه الظاهرة (نعيسة، ٢٠١٢: ١١٥).

١- الاغتراب في بعض المنظورات النفسية:

الاغتراب عن الذات self-alination

اشار الباحث في مكان اخر من صفحات هذا البحث، ان الاغتراب النفسي لايمكن الحديث فيه بمعزل عن النمط الاخر وهو الاغتراب الاجتماعي، ومع ان كل منهما نمط مستقل بذاته الا ان الاغتراب ظاهرة نفسية له انعكاسات اجتماعية، وربما العكس قائم ايضاً. والاغتراب النفسي قوامه الاحساس بالهوية او أفول الاحساس بالذات، ويعود ذلك الى نقص في انضواء الشخص ولاسيما في طفولته في مواقف وخبرات يستطيع فيها ان يكتشف نفسه ويدرك خصائص وجوانب قوته وضعفه وان يجرب كل ذلك في تفاعله مع الاخرين سعيًا الى تبلور ذات ناضجة متميزة لديه (كامل، ١٩٩٥: ٥٦).

ومما تجدر الاشارة اليه ان التحليل النفسي للاغتراب يحيط اللثام كثيراً عن طبيعة هذه الظاهرة التي تكون في النهاية ظاهرة نفسية بالدرجة الاولى. ويظهر الاغتراب النفسي في اغتراب فكر الانسان عن نفسه، أو اغتراب مفهومه عن ذاته، فمن الخصائص المميزة للانسان حاجته الملحة الى معرفة ذاته واكتشاف خصائص شخصيته وقدراته منذ ان وجد على هذه الارض دفعته هذه الحاجة الى السعي وراء اكتشاف كل مجهول، علّه يهديه الى استكشاف المجهول الذي يحيط به وبدأ يبحث في كل ما حوله، وهو بذلك لم يكن في تفاعل مستمر مع بيئته حسب وانما كان يدرك ذاته ويكتشفها ويقومها على نحو معين من خلال عملية البحث والتفاعل هذه. وتكمن جذور الاغتراب في عجز الانسان عن معرفة المجهول الذي يسكنه ويحيط به، ومن المهم هنا توضيح مفهوم الذات (النفس) اذ يشير الى ادراك الفرد لنفسه او صورته عن ذاته كما تتميز عن الاخرين، فاذا لم يجد الفرد نفسه ولم يكتشف ذاته الحقيقية ملأه الشعور بالاغتراب واللجوء الى التبني السلبي لنماذج الفكر والسلوك خارج ذاته، دون التمثل لها في اطار

استعداداته الطبيعية وخبراته الشخصية، وبذلك يختفي مبدأ أساس من مبادئ الشخصية السليمة ومقوم رئيس من مقومات الوجود الخلّاق، وهو ان يكون (الشخص كنفسه)، أو على العكس يكون تكراراً ممسوخاً لذوات الآخرين، وتكون ذاته على هذا النحو كما يدركها هو وكما يدركها الآخرون (بقبوق وعتيقة سعدي، ٢٠١٥: ٢٢٠ - ٢٢١).

وفي هذا التكوين النفسي يضعف الاحساس بالحرية من الداخل وتظهر عبودية الخضوع للآخرين والانقياد لهم. والاحساس بالحرية الداخلية يقوم على اقتناع الشخص بحقه في تقرير مصيره وفي اتخاذ قراراته وفي اعمال عقله بشأن حقيقة أو فكرة أو عمل استناداً الى افضل نموذج يتبناه، وبحقه في اختيار طريقته في الفكر والعمل داخل اطار اجتماعي مقبول. والشخص المغترب يكون غير واع بجرية الاختيارات المتاحة له من بين هذه أو تلك من الاختيارات وذلك على أساس قدراته ومسؤولياته. وعلى أساس معنى الاختيار بالنسبة له، من ثم لا يكون اختياره هو وحده، بل جاء مفروضاً عليه من الخارج ويؤدي ذلك الى سلب الشخص حقه في التحديد الذاتي وتقرير المصير، ومسؤوليته في ذلك. والانسان لا يمكنه باي حال من الاحوال تجاوز هذا الاحباط الا اذا حدث نوع من التطابق أو الاتساق بين صورة الانسان عن نفسه كما هي، وتشمل وعيه الكبير والعميق لقدراته وخبراته واستعداداته، وبين الظروف التي تحيط به التي قد تتيح له هذا القدر من الوعي أو تحبطه عن تحقيقه. واذا احبطه الواقع المحيط به ولا يمنحه الفرصة لتوظيف امكانياته وخبراته على النحو الذي يطمح اليه ادرك تناقضاً حاداً بين امكانياته واستعداداته الطبيعية من ناحيته، والفرص المتاحة لتوظيفها من ناحية اخرى، بين عالمه الداخلي والعالم الخارجي بين الذات والموضوع. ومن ثم فان ما يؤديه من أدوار اجتماعية، أو مهنية لا تمثله، ويغترب بذلك عن نفسه. ولا يغيب عن اذهاننا ما لهذا من اهدار لطاقات الفرد والجماعة نتيجة انتفاء استعمال هذه الطاقات وتوظيفها في مواقعها التي تتطابق وتتسق معها (النعمي، ٢٠٠٥: ١٧).

ومن المظاهر المهمة للاغتراب النفسي، الاغتراب عن الفكر الذاتي مما يؤدي الى ظاهرة المعتقدات الوهمية الباطلة، وهو يؤدي الى اضطراب في مفهومنا الكامل للحقيقة بما فيها حقيقة الذات، واضطراب وعي الانسان بذاته يكمن في اغترابه وانتفاء قدرته على ادراك ذاته كما هي بالفعل ويحدث ذلك في حالات الاحباط والعجز العميقة عن الانتماء الى الذات الناتج عن معرفة عالية وواضحة بحقيقة هذه الذات شيئاً مستقلاً ومنفصلاً عن العالم الخارجي (Schunk, 1989, p13).

الاركان الاساسية للاغتراب النفسي:

وصف بعض الباحثين ان مفهوم الاغتراب النفسي يعني صراع الانسان مع أبعاد وجوده ويمكننا تحديد الابعاد بثلاثة اركان اساسية:-

١- البعد الحسي: ويكون الصراع فيه مع القوى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لتحديد موقفه التاريخي مما يدور حوله ويكون مغتربا عن هذا الموقف، لأنه لا يتحقق فيبقى الانسان مستهلكاً مسلوب الذات.

٢- البعد القيمي: وينتج الصراع فيها عن بحث الانسان عن عالم المثل المفقود لان الواقع الذي يعيش فيه يسحق شخصيته الانسانية ويشوهها فيهرب الى عالم الخيال وتقترح للانسانية أساساً روحياً، بدلاً من

الاعتراب النفسي لدى معلمي ومعلمات مدارس الكرفانات وأقراغم في المدارس الابتدائية في محافظة كربلاء المقدسة

الاساس الواقعي لها، ويزداد الصراع في هذا البعد كلما ازداد وعي الانسان بذاته اذ يبدو له ان كل ما يحيط به عبئاً عليه وقيوداً يضيق بها ذرعاً، ولا يخرج من ذلك تواصله أو علاقاته الاجتماعية، ومن هنا تأتي عزلته، ومن ثم اغترابه عن القيم الواعية التي تحيط به وتحكمه.

٣- البعد الميتافيزيقي: ويتجلى الصراع في هذا البعد حين يدير الانسان ظهره للواقع ويتجه الى العالم غير الواقعي في محاوله منه لإدراك حقيقة وجوده وموقفه الكوني منه، وبما أن المعطيات الحسية غير كفيلة بفهم العالم الميتافيزيقي فان الانسان يظل في شك مستمر في كون الوجود الذي لم يتحقق هل هو وجود فعلي، أم محتمل؟ ومن هنا يأتي اغترابه عن شرائط وجود (الشحمان، ٢٠٠٧: ٤٣)

بعض دلالات الاغتراب النفسي:

تطرح هورني عدداً من المؤشرات عن الاغتراب النفسي التي يمكن ملاحظتها على الفرد والآخرين ومنها:-

١- وجود خلل في القدرة العامة على الخبرة المدركة، فيعيش المرء وكأنه وسط الضباب فلا يوجد ما هو واضح أمامه، فتصبح المواقف مشوشة.

٢- يتناقص الاحساس بالجسم ويضعف الاهتمام به، كما يتناقص الدافع للحاجات والممتلكات المادية كالبيت والملابس والادوات.

٣- حدوث نقص في احساس المرء بقدرته على التأثير في مجريات حياته.

اما العوامل التي تؤثر في عملية الاغتراب النفسي:-

١- نشوء حلول قسرية للصراعات العصابية كالجري بإلحاح وراء محبة الآخرين له والابتعاد عن الآخرين انفعالياً والابتعاد عن أي مظهر للعدوان.

٢- الابتعاد الفعال عن الذات الحقيقية والبحث عن المجد الزائف ومحاوله الحياة على وفق ذات مثلى غير قابلة للتحقيق.

٣- تحرك فعال ضد الذات الواقعية كما هو الحال في كراهية الذات واتهامها

وتقول هورني ان الاغتراب النفسي هو علاقة غير ودية بين الفرد ونفسه. فتتغلب كرامة المرء على مشاعره وتتحكم فيها. وبدلاً من ذلك يستجيب كما ينبغي ان يفعل. لذلك لا يشعر المغترَب عن الذات بانه قادر على التحكم بطاقته. ويظهر خلل في تحمل مسؤولية الذات. فالمغترَب عن الذات يعوزه الصدق الواضح فيما يتصل بالذات. ويعني الاغتراب النفسي ان الشخص لا يختار تصرفاته بعد ان يستنير بجميع جوانب الذات الحقيقية (قبوب وعتيقة السعيد، ٢٠١٥: ٢٢١).

نظريات التحليل النفسي:

طبقاً لوجهة نظر فرويد تنبع طاقة من داخل الكائن الحي energy تسعى لتحقيق رغبة واشباع لذة، وهذه الطاقة تدفع بقوة power من اجل الظهور، ومصدرها هو ld، وهي غير محكومة بقوانين العقل او المنطق وهي ليست ذا قيم او اخلاق ولا يدفعها الا هدف واحد هو اشباع الحاجة، على وفق مبدأ اللذة libido ولكن هذه الرغبات لا تؤدي ادائها لوحدها في الساحة، بل لها ما ينظم عملها وهو الانا the ego، والانا هو الذي ينظم عملية التفاعل مع العالم الخارجي. فاذا قامت الانا بدورها بهذه المهمة بحكمة

واتزان يسود الانسجام والاستقرار النفسي ويتحقق التوافق adjustment (شلتز، ١٩٨٣: ٣٦). وأنظمة الشخصية الثلاث يجب ان تعمل بكل تعاون وانسجام لكي يتحقق الاستقرار النفسي للفرد. ويرى فرويد ان الانا اذا نمت بشكل سليم بحيث تمتلك مقومات القوة يمكنها ان تنص الطاقة التي تحولت من الهو فتكون قادره على اشباع رغبات الهو في ضوء الواقع وبشكل مقبول (هول، ١٩٧١: ٥٦٥).

اما اذا كانت الانا ضعيفة غير قادرة، فانها ستخضع لسيطرة الهو عندئذ سيسود مبدأ اللذة، ويهمل مبدأ الواقع real فيصبح السلوك منحرفاً لا يتناسب أو يتواءم مع المعايير الاجتماعية فيكون سلوكاً مغترباً (راجع، ١٩٨٣: ٥١).

ومن جهة اخرى فإن ضعف الانا قد يجعلها خاضعة لسيطرة الانا الاعلى فتتسبب صعوبة في اشباع الحاجات الاساسية، وهذا ايضاً يولد خلل في توازن الشخصية وتكون النتيجة سلوكاً منحرفاً ايضاً (الجبوري، ١٩٩٦: ٤٠).

ويرى فرويد ان الاغتراب سمة trait متأصلة في وجود الذات وفي حياة الانسان، اذ لا يمكن اطلاقاً تجاوز الاغتراب بين (الهو، والانا، والانا الاعلى). فلا مجال لإشباع كل الرغبات الغريزية، والتوفيق بين مطالب بعض الدوافع والبعض الآخر أمر مستحيل، لذلك يحدث الاغتراب النفسي نتيجة الصراع بين رغبتين متضادتين على حساب الرغبة الاخرى (فرويد، ١٩٨٠: ٢٨).

ويترتب على اداء وظائف المفاهيم الثلاثة تفاعلات ثلاثة مؤداها (سلب الحرية، أو سلب المعرفة، أو الخضوع)، فعندما تؤدي الانا دورها بشكل مطلوب تعبر عن عملها بسلب الحرية، التي تؤدي الى ظهور توترات ناشئة عن دوافع ورغبات تلح بشدة، مما يؤدي الى خضوع الانا لسلطة الانا الاعلى والواقع الاجتماعي، ويترتب على ذلك قلق وهذه اول مظاهر الاغتراب الحاصلة من علاقة الانا بالهو التي تمثل بالضرورة اغتراب الهو ذاته (شتا، ١٩٨٤: ١٦٣).

أما اغتراب الانا فيتمثل بسلب حريته في اصدار حكمه بالسماح للرغبات بالاشباع من ناحية، وسلب معرفته بالواقع وسلطة الماضي في حالة السماح لهذه الرغبات بالاشباع من ناحية اخرى، ومن ثم يكون الانا في وضع مغترب دائماً سواء في علاقته بالهو والانا الاعلى وأن اغترابه هذا يجمع بين الخضوع والانفصال، فاذا خضع للانا الاعلى والواقع ينفصل عن الهو، ويكون انفصاله خلال الخضوع واذا انفصل عن الانا الاعلى والواقع، فانه يخضع لسلطة الهو، والعكس صحيح ايضاً.

أما اغتراب الانا الاعلى فيتمثل بفقدان السيطرة على الانا المتمثلة بزيادة ضغط الهو على الانا وعدم التزامها بسلطة الماضي (الجبوري، ١٩٩٦: ٤٠).

وعلى صعيد ذي صلة ان موقف الفرد الواضح تجاه العالم وملاءمته النفسية مع النجاح والفشل في فهمه الواضح لدوره يكون امر صعب difficult للغاية في عالم سريع التغير والتحول اجتماعياً، واقتصادياً. اذ تبرز فجوة بين الاجيال تجعل حصول اختلاف في الادوار المتوقعة مما يتكون لديهم الشعور بالاغتراب النفسي نتيجة تشتت الانا الناتج عن فقدان الفرد القدرة على تكوين وتطوير وجهة نظر متماسكة نحو العالم الذي يحيط به (العكيلي، ٢٠٠٠، ٤٥).

ثانياً: المنظور الظاهراتي الانساني humanistic phenomenological:

لقد تبني اصحاب هذا المنظور اتجاهاً أكثر شمولية في دراستهم للسلوك من خلال تأكيدهم على دراسة الشخصية في جملتها مستنديين على الملاحظة الاكلينيكية ومن ابرز رواد هذا المنظور روجرز وماسلو.

يعتقد روجرز Rogers ان الانسان يواجه خلال مسيرة حياته كثيراً من الخبرات الجديدة يحاول دائماً ان يضمها الى ذاته، فاذا كانت تلك الخبرات لا تتلاءم مع فكرته عن ذاته، أو عن الصورة التي رسمها لذاته يحاول اغفالها من خلال ابعادها عن دائرة وعيه، ذلك ان أي فكرة تتعارض مع مفهومه لذاته تشكل تهديداً وقلقاً اليه، وكلما كانت تلك الخبرات تتلاءم وتنسجم مع مفهومه لذاته يحصل الانسجام، ومن ثم يكون أكثر توفيقاً، وان انكاره لبعض الخبرات المهمة او محاولة نكرانها يؤدي الى الشعور بالاغتراب النفسي (نجاتي، ١٩٨٨: ٣٤٤). والاغتراب سمة من سمات الشخصية غير المتوافقة ويحصل نتيجة عدم الانسجام بين الخبرات التي يمر بها الفرد وذاته، ذلك لأنه يسعى للحصول على التقدير الايجابي والحصول على رضا وقبول الآخرين فيقوم بتزييف بعض قيمه الخاصة ولا يدركها الا في ضوء تقدير ورضا الآخرين ورضاهم (رجال، ٢٠٠٧: ٤٢). ويرى روجرز Rogerz إن السلوك قد يصدر عن خبرات وحاجات عضوية لا تتفق مع بناء الذات وفي مثل هذه الحالات لا يكون السلوك متمنيا للفرد ويتناقض مع ما يريده فنجده مدفوعاً لان يقول (لقد خرجت عن طوري ولم يكن هذا خليقاً بي) (لماذا اقدمت على هذا) (ولقد فعلت هذا رغماً عن أنفي)، ويعلن ذلك ضمناً للابقاء على الصورة التي يصفها لنفسه (هول، ١٩٧١: ٦٢٠).

وفي ضوء نفس المنظور يرى ماسلو Maslow ومن خلال افتراضه للترتيب الهرمي للحاجات التي رتبها على اساس قوتها واعتقد ان بعض الحاجات يحتل اهمية اكبر من غيرها وكلما انخفضت الحاجة في التنظيم الهرمي كانت أكثر قسوة وكلما ارتفعت في التنظيم كانت أضعف في تأثيرها على الانسان (Maslow، ١٩٥٤p.371).

ويؤكد ماسلو ان هذه الحاجات تواجه صعوبة في اشباعها في مجتمع متغير يواجه تطورات سريعة اجتماعية، واقتصادية، وثقافية، مما ينعكس على تدهور العلاقات الانسانية، مما ينتج عنه شعور الفرد بالعزلة والاغتراب (صالح، ١٩٨٨: ١٣٠).

والشخص الذي تحبط حاجاته يجد صعوبة كبيرة في التفكير المنطقي، ونتيجة التوتر الذي يحصل من جراء عدم اشباع تلك الحاجة، ينشأ لديه تفكير غير عقلائي قد يترك تأثيره على شخصيته بشكل عام ويحول دون توافقه وانسجامه فيحيله مغترباً (Jourard، 1974، p.80).

ثالثاً: المنظور السلوكي Behaivoral prespective

على وفق هذا المنظور ان الانسان يكتسب سلوك الاغتراب بطرائق واساليب متعددة كاسلوب المحاولة، والتعزيز، والثواب، والعقاب، ويرى سكينر Skinner أحد اصحاب هذا المنظور في نظريته الاشراف الاجرائي operant condition أن سلوك الانسان يتشكل من خلال تعزيز الاستجابة الملائمة المحيطة ببيئته، فكلما تعززت الاستجابة أمكن حدوثها مرة ثانية، والانسان تحكمه قوى خارجية وليست داخلية وبقدر ما تدخل فيه من معلومات نستطيع أن نتنبأ الى حد ما بأفعاله وسلوكه. ويحدث الاغتراب

النفسي نتيجة نقص في عدد التعزيزات الايجابية، وأنواعها أي أن الاغتراب يبدو على شكل مخيف من الاحباط frustration الناشيء عن اضطراب نظام الاستجابة التي تلقت تعزيزاً في بيئة اجتماعية معينة، كما وأن الشخص الذي يشعر بالاغتراب لا يجد من يتحدث اليه أينما اتجه، لأن سلوكه لا يخلق تأثيراً يذكر.

فالاغتراب قد ينشأ بسبب فقدانه للشخص الذين يقومون بدور التعزيز، على شكل الحنان، والاواصر العاطفية، مما يترك تأثيراً عميقاً، ويعمم الى أشكال أخرى من السلوك (رجال، ٢٠٠٧: ٦١).

الفصل الثالث: منهجية البحث وإجراءاته:

يتضمن الفصل الثالث إجراءات البحث من حيث مجتمع البحث والعينة وكيفية إختبارها وأداة البحث وإجراءات بنائها وتطبيقها والوسائل الإحصائية المعتمدة في تحقيق أهداف البحث وعلى النحو الآتي:-

أولاً : مجتمع البحث:

يضم مجتمع البحث معلمي ومعلمات مدارس الكرفانات، وأقرانهم من المدارس الأخرى في مركز محافظة كربلاء المقدسة.

ثانياً: عينة البحث:

أما العينة فقد ضمت (٣٢٠) معلماً ومعلمة، يتوزعون كالاتي (٢٦٤) معلماً ومعلمة من المدارس الابتدائية العادية، و(٥٦) معلماً ومعلمة من مدارس الكرفانات، توزعت على (١٥) مدارس ابتدائية، (٣) مدارس كرفانات، و(١٢) مدرسة عادية.

ثالثاً : أداة البحث:

من أجل التعرف على مستوى الاغتراب النفسي لأفراد عينة البحث الحالي، قام الباحثان ببناء مقياس لهذا الغرض متبعاً الخصائص السيكمومترية، وكالاتي:

أ - الصدق Validity:

يعد الصدق من الخصائص الأساسية للمقياس والإختبارات النفسية والتربوية، فهو يشير إلى قدرة المقياس على قياس ما وضع من أجله (ملحم، ٢٠٠٩: ٢٢٠)، ويشير الكثير من المختصين بالقياس النفسي الى وجود طرائق متعددة لاستخراج الصدق، وقد اعتمد الباحثان أسلوب الصدق:

١- الصدق الظاهري Face Validity:

إن أفضل وسيلة للتأكد من الصدق الظاهري لأداة البحث أن يقوم عدد من المحكمين والخبراء المختصين بتقرير صلاحية الفقرات لقياس الظاهرة أو السمة التي وضعت من أجلها تلك الفقرات، ويعد الحكم الصادر منهم مؤشراً على صدق الأداة (دونالد وآخرون، ٢٠١٣: ٢٨١). والصدق الظاهري هو أن يتضمن الإختبار فقرات يبدو على إنها ذات صلة بالمتغير الذي يقاس، وإن مضمون الإختبار متفق مع الغرض منه (دودين، ٢٠١٠: ٢٣٣)، كما إن الفقرة الجيدة في صياغتها والتي ترتبط بالسمة المراد قياسها تساعد في رفع قوتها التمييزية ومعامل

الاغتراب النفسي لدى معلمي ومعلمات مدارس الكرفانات وأقراغم في المدارس الابتدائية في محافظة كربلاء المقدسة صدقها(الكبيسي، ١٧١: ٢٠٠١). بناءً على ذلك تم عرض المقياس بصورته الأولى على لجنة من المحكمين المختصين في العلوم التربوية والنفسية * لإبداء آرائهم وملاحظاتهم والحكم على صلاحية الفقرات لما وضعت من أجله أو عدم صلاحيتها، ومدى ملاءمتها للبيئة العراقية، وقد أعتمد الباحثان نسبة الاتفاق (٨٠%) فأكثر للبقاء على الفقرة وعدم حذفها، وحظيت فقرات المقياس على موافقة معظم الخبراء.

٢- القوة التمييزية للفقرات: إن من الخصائص القياسية المهمة في بناء المقاييس القوة التمييزية للفقرات ومعاملات صدقها وثباتها، اذ يؤكد (جيلفورد) إن هدف التحليل الاحصائي للفقرات هو الابقاء على الفقرات الصالحة في المقاييس واستبعاد الفقرات غير الصالحة أو تعديلها أو إعادة تجريبها(علام، ٢٠٠٩: ٢٥٧). ولحساب القوة التمييزية لفقرات مقياس الاتجاه، لجأ الباحثان الى استخدام إختبار t-Test لعينتين مستقلتين بعد ان تم حساب الدرجة الكلية للمقياس لأفراد عينة التمييز، والبالغة (١٠٠) معلماً ومعلمة، وذلك بإعتبار أن ٢٧ فرد ذوي الدرجات العليا يمثلون المجموعة العليا، والـ ٢٧ فرد ذوي الدرجات الدنيا يمثلون المجموعة الدنيا، ثم قورن بين المجموعتين بإستخدام الإختبار المذكور، وكانت جميع الفقرات مميزة عند مستوى دلالة ٠,٠٥ ودرجة حرية ٥٣، والجدول (١):

جدول (١) القوة التمييزية لفقرات مقياس الاغتراب النفسي

ت	الترتيب	المتوسط	الانحراف المعياري	T. test	الدالة	ت	الترتيب	المتوسط	الانحراف	T. test	الدالة
١	عليا	٤,١٤	٠,٩٤	٥,١٤	دالة	١٧	عليا	3.81	.750	5.977	دالة
	دنيا	٢,٧٤	١,٠٥				دنيا	1.81	1.10		
٢	عليا	4.0	.00	6.59	دالة	١٨	عليا	3.81	.750	3.243	دالة
	دنيا	1.8	1.32				دنيا	2.62	1.25		
٣	عليا	4.0	.00	2.07	دالة	١٩	عليا	3.87	.50	6.943	دالة
	دنيا	3.6	.60				دنيا	1.93	.99		
٤	عليا	٤,١	١,٢	٣,٠	دالة	٢٠	عليا	3.93	.250	6.431	دالة
	دنيا	٣,٠٧	١,٢٠				دنيا	1.87	1.25		
٥	عليا	3.87	.50	4.1	دالة	٢١	عليا	3.68	.79	3.04	دالة
	دنيا	2.62	1.08				دنيا	2.62	1.14		
٦	عليا	4.00	.00	3.4	دالة	٢٢	عليا	4.00	.00	4.39	دالة
	دنيا	2.7	1.43				دنيا	2.87	1.02		
٧	عليا	4.0	.00	5.0	دالة	٢٣	عليا	3.8	.75	4.68	دالة

		1.16	2.18	دنيا				.88	2.8	دنيا	
دالة	4.65	.250	3.93	عليا	٢٤	دالة	7.5	.25	3.93	عليا	٨
		1.21	2.50	دنيا				.85	2.2	دنيا	
دالة	3.93	1.09	3.43	عليا	٢٥	دالة	5.8	.50	3.8	عليا	٩
		1.06	1.93	دنيا				1.08	2.1	دنيا	
دالة	3.3	1.03	3.50	عليا	٢٦	دالة	7.1	.75	3.8	عليا	١٠
		1.25	2.12	دنيا				.83	1.8	دنيا	
دالة	2.22	.543	3.81	عليا	٢٧	دالة	2.4	.341	3.8	عليا	١١
		1.23	3.06	دنيا				1.0	3.1	دنيا	
دالة	٥,١	١,٨٣	٤,٠٧	عليا	٢٨	دالة	3.82	.34	3.8	عليا	١٢
		١,٣	٢,١٨	دنيا				1.19	2.6	دنيا	
دالة	3.6	.77	3.75	عليا	٢٩	دالة	2.7	.00	4.0	عليا	١٣
		1.3	2.37	دنيا				.62	3.5	دنيا	
دالة	2.8	.750	3.81	عليا	٣٠	دالة	3.6	.00	4.0	عليا	١٤
		1.16	2.81	دنيا				.957	3.12	دنيا	
دالة	4.6	.77	3.86	عليا	٣١	دالة	2.27	.54	3.81	عليا	١٥
		1.1 9	2.18	دنيا				1.3 3	3. 66	دنيا	
دالة	2.5 2	.543	3.81	عليا	٣٢	دالة	3.82	.34	3.8	عليا	١٦
		1.23	3.06	دنيا				1.16	2.18	دنيا	

القيمة التائية المحسوبة عند مستوى دلالة ٠,٠٥ ودرجة حرية ٥٣ لعينتين مستقلتين ١,٦٩.

٣-الصدق البنائي Construct Validity: ويطلق على هذا النوع أحياناً (صدق المفهوم) أو

صدق التكوين الفرضي لأنه يعتمد على التحقق تجريبياً من مدى تطابق درجات المقياس مع الخاصية أو المفهوم المراد قياسه. وللصدق البنائي أساليب متعددة منها: الاتساق الداخلي، ويهتم بإيجاد العلاقة بين الدرجة على الفقرة والدرجة الكلية على المقياس فتحذف الفقرة عندما يكون معامل ارتباطها بالدرجة الكلية واطماً على اعتبار أن الفقرة لا تقيس الظاهرة التي يقيسها المقياس بأكمله (النجار، ٢٠١٠: ٢٨٩).

ولتحقيق هذا النوع من الصدق تم تطبيق المقياس على عينة من المعلمين والمعلمات بلغت (٥٢) معلماً ومعلمة، تم إختيارها بطريقة عشوائية، وإعتمد الباحثان معادلة بيرسون (Person) لإستخراج معادلات الارتباط بين الدرجة على الفقرة والدرجة الكلية للمقياس، وقد تراوحت معاملات الارتباط بين

الاغتراب النفسي لدى معلمي ومعلمات مدارس الكرفانات وأقراغم في المدارس الابتدائية في محافظة كربلاء المقدسة (٢٢٧،٠-٥١٧،٠)، وعند إختبار الدلالة ظهر إنهما دالة، عند مستوى دلالة (0.05)، كما هو مبين في الجدول (٢):

الجدول (٢) قيمة معامل الارتباط لكل فقرة من فقرات المقياس مع الدرجة الكلية

الفقرة	معامل الارتباط	الفقرة	معامل الارتباط	الفقرة	معامل الارتباط
١	٠,٣٧١	١٢	٠,٤٢٧	٢٢	٠,٢٩٨
٢	٠,٤٦١	١٣	٠,٣١٦	٢٣	٠,٢٦٠
٣	٠,٤٢١	١٤	٠,٤٨٣	٢٤	٠,٤٨٥
٤	٠,٣٧١	١٥	٠,٤٤٩	٢٥	٠,٣٧١
٥	٠,٤٢٣	١٦	٠,٥١٢	٢٦	٠,٥١٧
٦	٠,٢٧٣	١٧	٠,٣٩٥	٢٧	٠,٤٥١
٧	٠,٢٣٩	١٨	٠,٢٩٨	٢٨	٠,٤٤١
٨	٠,٢٢٧	١٩	٠,٤٩٣	٢٩	٠,٣٦٥
٩	٠,٣٢٢	٢٠	٠,٣٣٩	٣٠	٠,٢٣٦
١٠	٠,٤٢٠	٢١	٠,٤٨٣	٣٢	٠,٣١٣
١١	٠,٣٩٠				

ج- الثبات Reliability:

يقصد بالثبات أن يعطي الإختبار النتائج نفسها إذا ما أعيد على الأفراد أنفسهم في الظروف نفسها. ويعني ثبات الإختبار عدم تناقضه مع نفسه أو دقة في القياس (دودين، ٢٠١٨: ٢٠١٠). ويستخرج الثبات بعدة طرق منها: طريقة تطبيق الإختبار وطريقة إعادة الإختبار، وطريقة التجزئة النصفية، وطريقة الصور المتكافئة. وقد إعتد الباحثان طريقة التجزئة النصفية لأنها من أكثر الطرق إستخداماً ، فضلاً عن إنها مطمئنة وأكثر ضماناً من خلال إرتباط درجات نصف الإختبار مع درجات النصف الآخر (ارنولد آري، ٢٠١٣: ٣٠٦)، وكذلك طريقة (ألفا كرونباخ)، وحساب الثبات بطريقة التجزئة النصفية، إعتد الباحثان على عينة التحليل الاحصائي، والتي أستخرج من خلالها الصدق والبالغ عددها (٥٠) معلماً ومعلمة، وقسمت الدرجات إلى (فردية و زوجية)، ثم طبقت معادلة (بيرسون) بين درجات النصفين الفردي والزوجي حيث بلغ معامل الارتباط (٠,٥٧٩) وعند إستخدام معادلة (سبيرمان - براون)، أصبح معامل الثبات (٠,٧٢٠) وهو دال عند مستوى (٠,٠٥). وبلغ معامل الثبات بطريقة (ألفا كرونباخ) (٠,٦٦٩).

رابعاً: وصف المقياس والتطبيق النهائي:

بعد التحقق من صدق المقياس وثباته، أصبح المقياس يتكون بصيغته النهائية المعدة للتطبيق على عينة البحث من (٣٢) فقرة، (الفقرات سلبية) وضعت أمام كل فقرة بدائل الاختيار (تنطبق علي / دائماً ،

غالباً ، أحياناً ' نادراً ، لا تنطبق) وكانت درجات هذه البدائل (١،٢،٣،٤،٥) على التوالي، والوقت المستغرق (١٥-٢٠) دقيقة. تتراوح درجات الاجابة على المقياس بين (٣٢ - ١٦٠)، والمتوسط الفرضي للمقياس ٩٦.

خامساً: الوسائل الإحصائية:

لتحقيق أهداف البحث الحالي استعان الباحثان بالوسائل الاحصائية الآتية: المتوسط الحسابي، الإختبار التائي لعينة واحدة، الإختبار التائي لعينتين مستقلتين، معادلة بيرسون، معادلة سبيرمان - براون التصحيحية.

الفصل الرابع: عرض النتائج ومناقشتها

الهدف الأول: التعرف على مستوى الإغتراب النفسي لدى معلمي مدارس الكرفانات

وأقرانهم في المدارس العادية"

ولتحقيق هذا الهدف إستعمل الباحثان المتوسط الحسابي، والانحراف المعياري لأفراد العينة، وإختبار t. Test لعينة واحدة، إذ بلغ المتوسط الحسابي ٨٢,٦٩، والانحراف المعياري ١٤,٨٧، علماً أن الوسط الفرضي للمقياس ٩٦، وبلغت القيمة التائية المحسوبة ١,٧١، وهي غير دالة إحصائياً، لأنها أقل من القيمة الجدولية البالغة ١,٩٦، تحت مستوى ثقة ٠,٠٥، ودرجة حرية ٣١٩. وأوضحت النتائج أن مستوى الإغتراب النفسي لدى معلمي مدارس الكرفانات وأقرانهم في المدارس العادية متوسط (٨٢,٦٩)، وهو أقل من المتوسط الفرضي البالغ (٩٦)، والجدول (٣)، يوضح ذلك:

جدول (٣) مستوى الإغتراب النفسي لدى معلمي مدارس الكرفانات وأقرانهم في المدارس العادية "

"قيمة t الجدولية ١,٩٦ عند مستوى ثقة ٠,٠٥ ودرجة حرية ٣١٩.

الاغتراب النفسي	العينة	المتوسط	الانحراف المعياري	التائية المحسوبة	درجة الحرية	الدالة الاحصائية
	320	82.69	14.87	1.71	319	غير دال

الهدف الثاني: التعرف على دلالة الفروق بين معلمي مدارس الكرفانات، وأقرانهم في

المدارس العادية في مستوى الاغتراب النفسي، والفروق بين الذكور (المعلمين)، و الإناث

(المعلمات) في مستوى الاغتراب النفسي.

ولتحقيق هذا الهدف إستعمل الباحثان إختبار t. Test لعينتين مستقلتين، وأظهرت النتائج إن الفروق غير دالة إحصائياً بين معلمي مدارس الكرفانات، وأقرانهم في المدارس الابتدائية الأخرى، كذلك

الاغتراب النفسي لدى معلمي ومعلمات مدارس الكرفانات وأقرانهم في المدارس الابتدائية في محافظة كربلاء المقدسة الفروق غير دالة بين المعلمين والمعلمات في مستوى الاغتراب النفسي، أي أنهم لا يعانون من مشكلة الاغتراب النفسي بشكل عام، والسبب قد يعود الى إيمان المعلم برسالته النبيلة، وأهمية دوره في بناء وإعداد الأجيال المستقبلية، والرغبة منه في العطاء في مجال اختصاصه، وكذلك ثقة المعلمين بأنفسهم، وأنهم قادرون في التأثير في المواقف الاجتماعية التي يتفاعل معها، والجدول (٤)، يوضح ذلك:

جدول (٤) المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة التائية المحسوبة لأفراد العينة.

العينة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة التائية المحسوبة	درجة الحرية	الدلالة
الاغتراب النفسي	معلمين	140	81.59	14.38	318	دالة غير
	معلمات	180	83.55	15.23		
	مدارس عادية	264	82.39	15.18	318	دالة غير
	مدارس كرفانات	56	84.09	13.41		

قيمة t الجدولية ١,٩٦ عند مستوى ثقة ٠,٠٥ ودرجة حرية ٣١٨.

وتشير هذه النتيجة الى التقارب بين معلمي ومعلمات مدارس الكرفانات وأقرانهم في المدارس العادية، وكذلك لا توجد فروق دالة بين المعلمين والمعلمات في مستوى الاغتراب النفسي، وربما يرجع ذلك التشابه النسبي في ظروفهم سواء من الناحية الاقتصادية، أو الاجتماعية، أو السياسية، فهم يعيشون في مجتمع واحد شبه متجانس.

الاستنتاجات:

- بما أن الاغتراب النفسي غير دال احصائياً لدى عينة البحث، فذاك مؤشر على اتصاف شريحة المعلمين والمعلمات بالتوافق النفسي بشكل عام، وشعورهم بالانتماء لمجتمعهم، وإمتلاكهم اتجاهات إيجابية نحو أنفسهم، والآخرين.

التوصيات:

- على ضوء نتائج البحث الحالي صاغ الباحثان التوصيات الآتية:
- العمل على تفعيل الأنشطة اللامنهجية التي تنسجم مع توقعات المعلم، والتي من شأنها تغيير الروتين في العملية التربوية، وتنمية القدرات الابداعية لدى المعلمين والمتعلمين على حدٍ سواء.
- الإهتمام بشكل أكبر بأفراد هذه الفئة (المعلمين والمعلمات)، لتأثيرها الواضح في بناء الجيل القادم، وترسيخ إيمان النشء الجديد بمعتقداتهم ومبادئهم، وحبهم لوطنهم، وإيمانهم بحقوقهم، وبعادلة قضيتهم، لأن كل ذلك سوف ينعكس على تلاميذهم، والرغبة في تطوير إمكانياتهم وقدراتهم، ومواكبة التطورات في مجال اختصاصهم، والشعور بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم.

المقترحات:

- إستكمالاً للبحث الحالي يقترح الباحثان إجراء الآتي:
- دراسة بين الطلبة المتميزين وأقرانهم العاديين في مستوى الاغتراب النفسي.
- دراسة الاغتراب النفسي لدى تلاميذ صفوف التربية الخاصة.

المصادر

- ابراهيم، أبو زيد (١٩٨٧): سيكولوجية الذات والتوافق، القاهرة، دار المعرفة الجامعية.
- ابراهيم، خالدة، ودينا صاحب (٢٠١٣): الاغتراب النفسي وعلاقته بالوحدة النفسية لدى طالبات كلية التربية الرياضية، المؤتمر الدوري الثامن عشر لكليات وأقسام التربية الرياضية في العراق.
- البلداوي، جميل مهدي (١٩٩٥)، الاغتراب الثقافي لدى هيئة التدريس، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية جامعة بغداد.
- الجبوري، خضير مهدي (١٩٩٦): الاغتراب عند تدريسي الجامعات العراقية وعلاقتها بجنس التدريس، الاداب، جامعة بغداد، اطروحة دكتوراه غير منشورة.
- دودين، حمزة محمد (٢٠١٠): التحليل الإحصائي المتقدم للبيانات باستخدام spss، ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- دونالد، أري (٢٠١٣): مقدمة للبحث في التربية، ترجمة سعد الحسيني، ط١، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- رجال، محمد أحمد (٢٠٠٧): الاغتراب وعلاقته بالتماسك الاجتماعي لدى طلبة الجامعة، كلية الاداب، الجامعة المستنصرية، رسالة ماجستير غير منشورة.
- شتا، السيد علي (١٩٨٤): نظرية الاغتراب، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض
- شلتز، دوان (١٩٨٣): نظريات الشخصية، ترجمة حمد دلي الكربولي وموفق الحمداني، مطبعة جامعة بغداد.
- الشحماني، اسامة عبد الرزاق (٢٠٠٧): مصطلحات سياسية: الاغتراب، شبكة نبأ للمعلومات.
- صالح، قاسم حسين (١٩٨٨): الشخصية بين التنظير والقياس، صنعاء، مكتبة الجيل الجديد، ط٢، دار النشر للجامعات.
- العكيلي، جعفر (٢٠٠٠): الاغتراب لدى حملة الشهادات العليا، كلية الاداب، جامعة بغداد، رسالة ماجستير غير منشورة.
- علاّم، صلاح الدين محمود (٢٠٠٩): القياس والتقويم التربوي، ط٢، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- فرويد، سيجموند (١٩٨٠): ثلاث مقالات في النظرية الجنسية. ترجمة سامي محمود علي.
- قبوقب، عيسى وعتيقة سعيدي (٢٠١٥): الاغتراب النفسي وتعاطي المخدرات لدى المراهق المتمدرس، مجلة الموم النفسية والتربوية، العدد (١) جامعة محمد خيضر / الجزائر.
- كامل، عمر عبد الله (١٩٩٥): الغربة والحضارة المعاصرة، البلد الأمين، نادي مكة الثقافي الأدبي.

===== الاغتراب النفسي لدى معلمي ومعلمات مدارس الكرفانات وأقراهم في المدارس الابتدائية في محافظة كربلاء المقدسة

- الكبيسي، كامل ثامر(٢٠٠١): العلاقة بين التحليل المنطقي والتحليل الاحصائي لفقرات المقاييس النفسية، مجلة الأستاذ، العدد ٢٥، جامعة بغداد، كلية التربية (بن رشد).
- نعيمة، رغداء (٢٠١٢): الاغتراب النفسي وعلاقته بالأمن لدى طلبة جامعة دمشق. مجلة جامعة دمشق، المجلد (٢٨)، العدد (٣).
- ملحم، سامي (٢٠٠٠): القياس والتقويم في التربية وعلم النفس. عمان - الاردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط ١.
- موسى، محمود عوض محمود (٢٠٠٣): مظاهر الاغتراب النفسي لدى معلمي ومعلمات المدارس الحكومية في شمال فلسطين، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، نابلس.
- نجاتي، محمود عثمان(١٩٨٨): علم النفس في حياتنا اليومية، الكويت، ط ٢، دار القلم.
- النعيمي، لطيفة ماجد محمود(٢٠٠٥): بعض انماط الاغتراب وعلاقتها بالحاجات المرتبطة به لدى الهيئات التدريسية، كلية الاداب، الجامعة المستنصرية، اطروحة دكتوراه غير منشورة.
- النجار، نبيل جمعة (٢٠١٠): القياس والتقويم - منظور تطبيقي مع تطبيقات برمجية spss، ط ١، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- هورني، كارين(١٩٨٨): صراعاتنا الباطنية: نظرية بناءة عن مرض العصاب. ترجمة عبد الودود محمود العلي. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
- هول، ك. ولندزي، ج (١٩٧١): نظريات الشخصية. ترجمة فرج احمد وآخرون. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.

- Horney , Karen, (1950). Neurosis and human Growth. New york
- Jourard.S.M.(1994).Health personality. New York McMillin –
- Maslow,A.H.(1954).Motivationandpersonality.Newyork.Harber&Rawpublishe rs..
- Schunk D. (1989). Self-efficaly and cognitive skill learuing (from internet).

ت	الفقرة	تنطبق عليّ تماماً	تنطبق عليّ غالباً	تنطبق عليّ نادراً	لا تنطبق عليّ أبداً
١	أتضايق من الالتزام بتقاليد المجتمع.				
٢	أشعر أن العلاقات الاجتماعية تحدّ من طموحي.				
٣	أفضل الاستمتاع بحياتي الحاضرة لا المستقبلية.				
٤	أشعر بالإحباط اذا لم يتقبل الآخرون وجهة نظري.				

٥	أفضل الاحتفاظ بآرائى لنفسى .				
٦	رغبتي بالمشاركة في الأعمال التطوعية ضعيفة.				
٧	القوانين لا تُطبّق على جميع المواطنين لذلك لا التزم بها .				
٨	أنا غير معنى بما يحدث من تغيرات في المجتمع.				
٩	العلاقات بين الناس تعتمد على المصالح الشخصية.				
١٠	القيم المادية هي السائدة في المجتمع.				
١١	الروابط الاجتماعية بين الأفراد باتت ضعيفة.				
١٢	يهمني تحقيق النجاح بصرف النظر عن الوسائل.				
١٣	تحقيق النجاح لا يعتمد على الجهد الشخصي.				
١٤	يصعب على التمييز بين الصواب والخطأ.				
١٥	اشعر بصعوبة تحقيق أفكارى بحرية.				
١٦	مساهمتى ضعيفة في حل الكثير من القضايا الاجتماعية.				
١٧	الحياة مملة.				
١٨	أفضل الهجرة الى بلدٍ آخر .				
١٩	مستقبلى كئيب .				
٢٠	نظام التعليم السائد قليلاً ما يشجع على الإبداع.				
٢١	التزام المعلمين بالقيم الأصيلة ضعيف.				
٢٢	أعتقد أن نظام التعليم قليل التركيز على تربية التلاميذ.				
٢٣	رغبتي ضعيفة في تنفيذ الكثير من أنشطة المدرسة.				
٢٤	أعتقد أن الاتصال بالمعلمين خارج المدرسة غير ضروري.				
٢٥	أستغرب من سلوكيات بعض المعلمين في المدرسة.				
٢٦	أشعر بقلّة الاهتمام لسمعة المدرسة.				

٢٧	مديرو المدارس لا يهتمون بمشاكل المعلمين الاجتماعية.				
٢٨	أشعر بالتقيّد في التعبير عن رأيي بصراحة في القضايا الاجتماعية				
٢٩	الأنشطة اللاصفية في المدرسة محدودة.				
٣٠	يصعب عليّ تدريس مواد خارج اختصاصي.				
٣١	أشعر بقلّة الاستفادة من دراستي في المعهد أو الكلية.				
٣٢	الحياة للمحوظين في المجتمع.				

مقياس الاغتراب النفسي بصورته النهائية

ت	الفقرة	تنطبق عليّ تماماً	تنطبق عليّ غالباً	تنطبق عليّ نادراً	لا تنطبق عليّ أبداً
١	أتضايق من الالتزام بتقاليد المجتمع.				
٢	أشعر أن العلاقات الاجتماعية تحدّ من طموحي.				
٣	أفضل الاستمتاع بحياتي الحاضرة لا المستقبلية.				
٤	أشعر بالإحباط اذا لم يتقبل الآخرون وجهة نظري.				
٥	أفضل الاحتفاظ بآرائي لنفسى.				
٦	رغبتي بالمشاركة في الأعمال التطوعية ضعيفة.				
٧	القوانين لا تُطبّق على جميع المواطنين لذلك لا التزم بها.				
٨	أنا غير معني بما يحدث من تغيرات في المجتمع.				
٩	العلاقات بين الناس تعتمد على المصالح الشخصية.				
١٠	القيم المادية هي السائدة في المجتمع.				
١١	الروابط الاجتماعية بين الأفراد باتت ضعيفة.				
١٢	يهمني تحقيق النجاح بصرف النظر عن				

					الوسائل.	
					تحقيق النجاح لا يعتمد على الجهد الشخصي.	١٣
					يصعب على التمييز بين الصواب والخطأ.	١٤
					اشعر بصعوبة تحقيق أفكار بحرية.	١٥
					مساهمتي ضعيفة في حل الكثير من القضايا الاجتماعية.	١٦
					الحياة مملة.	١٧
					أفضل الهجرة الى بلد آخر.	١٨
					مستقبلي كئيب.	١٩
					نظام التعليم السائد قليلاً ما يشجع على الإبداع.	٢٠
					التزام المعلمين بالقيم الأصيلة ضعيف.	٢١
					أعتقد أن نظام التعليم قليل التركيز على تربية التلاميذ.	٢٢
					رغبتي ضعيفة في تنفيذ الكثير من أنشطة المدرسة.	٢٣
					أعتقد أن الاتصال بالمعلمين خارج المدرسة غير ضروري.	٢٤
					أستغرب من سلوكيات بعض المعلمين في المدرسة.	٢٥
					أشعر بقلّة الاهتمام لسمعة المدرسة.	٢٦
					مديرو المدارس لا يهتمون بمشاكل المعلمين الاجتماعية.	٢٧
					أشعر بالتقيّد في التعبير عن رأيي بصراحة في القضايا الاجتماعية	٢٨
					الأنشطة اللاصفية في المدرسة محدودة.	٢٩
					يصعب علىّ تدريس مواد خارج اختصاصي.	٣٠
					أشعر بقلّة الاستفادة من دراستي في المعهد أو الكلية.	٣١
					الحياة للمحظوظين في المجتمع.	٣٢
ت	الفقرة	تنطبق علىّ	تنطبق علىّ	تنطبق بق	لا تنطبق	لا تنطبق

	تماماً	غالباً	عليّ نادراً	عليّ	بق عليّ أبداً
١					
٢					
٣					
٤					
٥					
٦					
٧					
٨					
٩					
١٠					
١١					
١٢					
١٣					
١٤					
١٥					
١٦					
١٧					
١٨					
١٩					
٢٠					
٢١					
٢٢					

					التلاميذ.	
					رغبتي ضعيفة في تنفيذ الكثير من أنشطة المدرسة.	٢٣
					أعتقد أن الاتصال بالمعلمين خارج المدرسة غير ضروري.	٢٤
					أستغرب من سلوكيات بعض المعلمين في المدرسة.	٢٥
					أشعر بقلّة الاهتمام لسمعة المدرسة.	٢٦
					مديرو المدارس لا يهتمون بمشاكل المعلمين الاجتماعية.	٢٧
					أشعر بالقيّد في التعبير عن رأيي بصراحة في القضايا الاجتماعية	٢٨
					الأنشطة اللاصفية في المدرسة محدودة.	٢٩
					يصعب عليّ تدريس مواد خارج اختصاصي.	٣٠
					أشعر بقلّة الاستفادة من دراستي في المعهد أو الكلية.	٣١
					الحياة للمحظوظين في المجتمع.	٣٢
لا	لا	تنط	تنطبق	تنطبق	الفقرة	ت
تنط	تنطبق	بق	عليّ	عليّ		
بق	عليّ	عليّ	غالباً	تماماً		
عليّ		نادراً				
أبدأ						
					أتضايق من الالتزام بتقاليد المجتمع.	١
					أشعر أن العلاقات الاجتماعية تحدّ من طموحي.	٢
					أفضل الاستمتاع بحياتي الحاضرة لا المستقبلية.	٣
					أشعر بالإحباط إذا لم يتقبل الآخرون وجهة نظري.	٤
					أفضل الاحتفاظ بآرائي لنفسی.	٥
					رغبتي بالمشاركة في الأعمال التطوعية ضعيفة.	٦
					القوانين لا تُطبّق على جميع المواطنين لذلك لا التزم بها.	٧

٨	أنا غير معني بما يحدث من تغيرات في المجتمع.				
٩	العلاقات بين الناس تعتمد على المصالح الشخصية.				
١٠	القيم المادية هي السائدة في المجتمع.				
١١	الروابط الاجتماعية بين الأفراد باتت ضعيفة.				
١٢	يهمني تحقيق النجاح بصرف النظر عن الوسائل.				
١٣	تحقيق النجاح لا يعتمد على الجهد الشخصي.				
١٤	يصعب عليّ التمييز بين الصواب والخطأ.				
١٥	اشعر بصعوبة تحقيق أفكارى بحرية.				
١٦	مساهمتي ضعيفة في حل الكثير من القضايا الاجتماعية.				
١٧	الحياة مملّة.				
١٨	أفضل الهجرة الى بلدٍ آخر.				
١٩	مستقبلي كئيب.				
٢٠	نظام التعليم السائد قليلاً ما يشجع على الإبداع.				
٢١	التزام المعلمين بالقيم الأصيلة ضعيف.				
٢٢	أعتقد أن نظام التعليم قليل التركيز على تربية التلاميذ.				
٢٣	رغبتي ضعيفة في تنفيذ الكثير من أنشطة المدرسة.				
٢٤	أعتقد أن الاتصال بالمعلمين خارج المدرسة غير ضروري.				
٢٥	أستغرب من سلوكيات بعض المعلمين في المدرسة.				
٢٦	أشعر بقلّة الاهتمام لسمعة المدرسة.				
٢٧	مديرو المدارس لا يهتمون بمشاكل المعلمين الاجتماعية.				
٢٨	أشعر بالتقيّد في التعبير عن رأيي بصراحة في القضايا الاجتماعية				
٢٩	الأنشطة اللاصفية في المدرسة محدودة.				

					يصعب علىّ تدريس مواد خارج اختصاصي.	٣٠
					أشعر بقلّة الاستفادة من دراستي في المعهد أو الكلية.	٣١
					الحياة للمحظوظين في المجتمع.	٣٢

السياحة في الاسلام

Tourism in Islam

(١)

م.م عدنان محمد دباغ الحسناوي

Asst.Inst. Adnan Mohamed Dabagh Al-Hasnavi

المقدمه

تُفصِّح لنا الآيات القرآنية الكريمة وأحاديث الرسول الكريم ﷺ - ان الاسلام لم يطلب من المسلم البقاء في المكان الذي يعيش فيه ويحضر عليه مغادرته، بل بالعكس حث الناس على التجوال والسير في الأرض. فان اجازة الاسلام للسياحة والنشاط الترويحي، ينطلق من اعانة الفرد المسلم على ترك مشاق الحياة وصعوباتها، شرط ألا تتعارض هذه السياحة مع الشريعة الاسلامية. لذا تُعد دعوة الاسلام للمسلمين بالسفر تشجيعا لهم للاتصال بالغير ودعوة للانفتاح على حضارته، وذلك في حدود التعاليم الاسلامية ومنهجها.

إنَّ الراحة والاستجمام حق طبيعي مشروع للبشر، رعاؤه الاسلام ودعا اليه وأكد ذلك عندما جعل على الانسان حقوق عديدة أمره بأن يؤديها، فلربه عليه حق، ولأهله عليه حق، ولنفسه عليه حق، ولأجل ذلك أمر الرسول الكريم ﷺ - بأن يُعطى كل ذي حق حقه. وهذا الانسان المخلوق من لحم ودم ومشاعر، كلها تحتاج الى الرعاية والعناية وعدم الاهمال.

من هذا حث الاسلام المسلمين على الترويح عن النفس، لإشباع حاجاتها الروحية. وان إقرار الاسلام الجانب الترويحي ينطلق من مراعاته للفطرة البشرية، والغرائز التي أودعها الله فيها.

محتويات البحث:

تضمن من مبحثين: المبحث الاول: مفهوم السياحة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وتضمن المبحث الثاني الضوابط الاسلامية للسياحة وختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها اهم الاستنتاجات التي توصلنا اليها وأهم التوصيات.

Introduction:

We disclose our precious Quranic verses and sayings of the Holy Prophet (r) that Islam did not ask the Muslims to stay in the place where he lives and attends attic leaving, on the contrary, exhorted people to roam and walk in the ground. Islam is the vacation for tourism and recreational activity, stems from the Country Assistance individual Muslim to leave the hardships of life and its difficulties, the condition of these tourism are not inconsistent with Islamic law. So is the call of Islam for Muslims to travel to encourage them to connect to others and an invitation to open up to his or her own, and within the limits of Islamic teachings and approach.

The rest and recuperation right of a natural project for humans, sponsored Islam and called him and said that when they make a man many rights ordered that performed, to god it right, but his family it right, but the same it right, and for that is the Holy Prophet (r) that gives everyone his right. That human creature of flesh and blood and feelings, all they need to care and attention and not to neglect.

From this Islam urged Muslims to recreation, to satisfy their spiritual needs. And the adoption of Islam recreational side stems from the observance of human encroachment, and instincts that God deposited in them.

search contents

Guarantees on two topics: First topic: the concept of tourism in the Holy Quran and Sunnah and ensure that the second topic on the Islamic regulations for tourism and sealed search conclusion it stated that the most

important conclusions we reached and the most important recommendations.

١. مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في كثرة المطالبات في تحجيم وشل حركة القطاع السياحي في العراق من قبل حركات التطرف التي تدعي تطبيق الشريعة الاسلامية.

٢. فرضيات البحث:

- ١- السياحة والسفر مباح للمسلمين، والشريعة أكرمت المسافرين، لما يتعرض له من عناء ومشقة.
- ٢- السفر بقصد الاستجمام والراحة والترفيه مباح ان لم يهدف الى ارتكاب محرم.

٣. هدف البحث:

إنَّ الهدف الذي تتوخاه من هذا البحث هو ايضاح رأي الدين الاسلامي في السياحة لمختلف الأغراض ومدى تشجيع الدين الاسلامي على السفر، والسياحة، والتفكر، والتدبر. وهذا يعد جانب من جوانب الترويج والتسويق السياحي لغرض انماء هذا القطاع وتطويره.

٤. أهمية البحث:

للبحث اهمية كبيرة في ايضاح وجهة نظر الدين الاسلامي للسفر والسياحة التي نالت جدلا كبيرا في اوساط المسلمين.

٥. منهجية البحث:

المنهج المتبع في البحث هو نظري، تناول الدراسة والتركيز على الآيات القرآنية التي تخص السياحة والسفر واحاديث الرسول الكريم ﷺ - والائمة الأطهار والصحابة - رضي الله عنهم - وعملي تناول لقاء السادة علماء الدين ومن جميع المذاهب، وخاصة المرجعية الدينية الشريفة في النجف الاشرف واخذ الآراء من المرجعيات مباشرةً.

٦. الدراسات السابقة:

- أ- رسالة ماجستير للباحث محمد عبدالرحمن بعنوان احكام السياحة واثارها مقدمة الى كلية الشريعة والدراسات الاسلامية في جامعة أم القرى وقد اشتملت على السياحة واثارها وتطبيقاتها وموقف الاسلام منها.
- ب- رسالة ماجستير في الفقه المقارن للباحث عبدالله بن ابراهيم بن صالح الحضيبي بعنوان السياحة في الاسلام وقد تطرق الباحث الى احكام السياحة في بلاد المسلمين وضوابطها واثارها على الفرد والمجتمع.

المبحث الأول:

مفهوم السياحة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة

أولاً: مفهوم السياحة

أ- تعريف السياحة لغة

السياحة: الذهاب في الأرض للعبادة والترهب، وساح في الأرض يسبح سياحة وسيوحاً وسيحاً وسيحاناً أي ذهب^(٢) وساح في الأرض يسبح سيحاً وسيوحاً وسيحاناً بفتح الباء أي ذهب^(٣).

ب- السياحة اصطلاحاً

يأتي مفهوم السياحة اصطلاحاً ضمن مصطلح السفر، ((والسفر هو الخروج على قصد قطع مسافة القصر الشرعية فما فوقها وقسم السفر حسب اجتهاد المذاهب الاسلامية الاربع. فالسياحة ظاهرة من مظاهر النشاط الانساني، عرفت منذ القدم بأنها انتقال مؤقت يقوم بها الاشخاص، تاركين مواطنهم أو محال أقامتهم، الى أماكن أخرى، أو بلاد أخرى، لأغراض غير الإقامة على سبيل الاعتقاد وعلى هذا الاساس فهي تعني:

١. انتقال الشخص من بلده الاصلي الى بلد اخر طلباً لأمر معين.
٢. انما تفيد الانتقال المؤقت الذي يتم من غير هجره.
٣. انتقال الاشخاص من موطنهم الاصلي الى مكان اخر لفترة لا تقل عن ٢٤ ساعة ولا تزيد عن ١٢ شهر لغرض غير العمل والكسب.^(٤)

ثانياً: السياحة في القرآن الكريم

يرشدنا القرآن الكريم في كثير من آياته الكريمة على السياحة والتفكر والتدبر ﴿قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الأخيرة ان الله على كل شيء قدير﴾^(٥)

﴿أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خيراً للذين اتقوا أفلا تعقلون﴾^(٦)

﴿أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو أذان يسمعون بها فأنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾^(٧)

﴿أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم وأشد قوةً وآثاراً في الارض من أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾^(٨)

٢- ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط ٣ ج ١٣، ١٩٩٤م، ص ٢٨٨.

٣- الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح، دار الفكر العلمية، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٣٢٤.

٤- كفاي، حسين: رؤيه عصريه للتنمية السياحية في الدول النامية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩١م، ص ١٥.

٥- سورة العنكبوت، الآية ٢٠.

٦- سورة يوسف، الآية ١٠٩.

٧- سورة الحج، الآية ٤٦.

﴿أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها﴾^(٩)
 ﴿قل سيروا في فأنظروا كيف كان عاقبة المجرمين﴾^(١٠)
 ﴿فسيروا في الارض فأنظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين﴾^(١١)
 ﴿قل سيروا في الارض فأنظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين﴾^(١٢)
 ﴿فسيحوا في الارض أربعة أشهر وأعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين﴾^(١٣)
 ﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين﴾^(١٤)

﴿هو الذي جعل لكم الارض ذلولاً فأمشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور﴾^(١٥)
 إن هذه الآيات القرآنية الكريمة التي امرت المسلمين بالسير في الارض بغية اكتشاف هذا الكوكب. وهذا السير والانتقال تضمن نشر الدعوة الإسلامية، والدراسة، ولغايات تجارية، كما شجعت الشريعة كشف أغوار البلاد الشاسعة بغية الاستكشاف والوقوف عند تراث الحضارات السابقة أو المعاصرة لتلك الشعوب، من أجل الاستفادة منها في ميادين العلم والفن وأخذ العبر والدروس من خلال مشاهدة آثار الأقباط السابقة.

كما ان الله تجلّت قدرته، لم يجمع منافع الدنيا في أرض واحدة، بل فرق المنافع والجهات بشكل احوج بعضها الى بعض ولذلك كانت الأسفار تزيدنا علماً بقدرة الله وحكمته، وتدعو الى شكر نعمته. والمسافر يجمع العجائب ويكسب التجارب ويجلب المكاسب^(١٦)
 يأمر الله عز وجل الناس على التجوال والسير في الارض اذ لم يطلب الاسلام من المسلم، البقاء في المكان الذي يعيش فيه ويحظر عليه مغادرته. كما جاء في الآية القرآنية في قوله تعالى
 ﴿قل سيروا في الارض فأنظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير﴾^(١٧)

وهنا القصد من قوله تعالى ﴿قل سيروا في الارض﴾ اي قل لهم يا محمد -ﷺ- سيروا في الارض فأنظروا كيف بدأ خلق الكرة الارضية والبشر، على كثرتهم وتفاوت جيناتهم واختلاف ألسنتهم والوانهم وطباعهم، وانظروا الى مساكن القرون الماضية، وديارهم وآثارهم كيف أهلكهم، لتعلموا بذلك كمال قدرة الله سبحانه وتعالى^(١٨)

٨- سورة غافر، الآية ٨٢.

٩- سورة محمد، الآية ١٠.

١٠- سورة النمل، الآية ٦٩.

١١- سورة آل عمران، الآيات ١٣٧، ١٣٨.

١٢- سورة الروم، الآية ٤٢.

١٣- سورة التوبة الآية ٢.

١٤- سورة التوبة الآية ١١٢.

١٥- سورة الملك الآية ١٥.

١٦- فهميم، حسين محمد: أدب الرحلات، سلسلة عالم المعرفة، ط١، ١٩٨٩م، ص٩٢.

١٧- سورة العنكبوت الآية ٢٠.

١٨- القرطبي، ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري: الجامع لأحكام القرآن، دار أحياء التراث العربي، بيروت ج٣، ١٩٦٥م، ص٣٣٧.

وقال سبحانه ﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها، فأنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾^(١٩) وقوله ﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾ أي بأبدانهم وبفكرهم أي قلبك بالمواعظ، ونوره بالتفكير، وقومه بالزهد، وقوه باليقين، وذله الله بالموت، ومخشي قلبه الأيام، واعرض عليه أخبار الماضين، وذكره ما أصاب من كان قبله، وسيره في ديارهم وأثارهم، وانظروا ما فعلوا وابن حلوا وعمّ انقلبوا، أي انظروا ما حلّ بالأمم المكذبة من النقم والنكال^(٢٠)

ومن تدبر الآيات القرآنية السابقة نستدل بأن الله سبحانه وتعالى يريد من الناس أموراً منها:

١. السير في الأرض من أجل التفكير بعدة أمور جديدة، وترى عيونه أشياء كثيرة، مما يجعل قلوب البشر تعقل وتعرف الكثير من أمور الحياة.
٢. الدعوة للسفر، طلباً للكسب المادي، أو العلم، وتشجيعاً للاتصال بالغير، ودعوة للانفتاح على الشعوب في حدود التعاليم الإسلامية.
٣. الراحة والاستجمام حق طبيعي ومشروع للبشر.

ثالثاً: السياحة النبوية الشريفة

إنّ سماحة الإسلام يسرت الحياة للمسلم، غير أن السياحة التي تؤخر عن ((القيام بأداء الفرائض، والواجبات من العبادات والأعمال، أو قضاء مصالح المسلمين، أو الدعوة إلى الله عز وجل))^(٢١) منهي عنها، لأن حياة المسلم يجب أن تكون متوازنة. كما قال رسول الله - ﷺ - ((إن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً))^(٢٢) وتنطلق الضوابط الإسلامية للسياحة من الآتي:

١. أن تكون السياحة لأغراض شرعية.

يجب أن يكون السفر لأغراض شرعية ومنها اكتشاف المناطق والأقاليم في الكرة الأرضية التي قد لا يعلم المسلمون منها حقائق كثيرة.

٢. وجود النية الصادقة في السياحة

يجب أن تكون غايتها التقرب إلى الله سبحانه وتعالى وأن لا يكون فيها شيء لهوى النفس الأمارة بالسوء. كما في قوله - ﷺ - ((إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كان هجرته إلى الله تعالى ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كان هجرته إلى دنيا بعينها أو أمرأه ينكحها فهجرته إلى ما هاجر عليه))^(٢٣)

١٩- سورة الحج، الآية ٤٦.

٢٠- ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١،

ج٣، ١٩٨٦م، ص ٣٦٥.

٢١- شحاته، حسين: اقتصاديات الترويج في المجتمع الإسلامي، مجلة الاقتصاد الإسلامي العدد ١٩٧، قطر، اب، ١٩٩٧م،

ص٣٤.

٢٢- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم: صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ج٢، ١٩٩٢م، ص٣٤.

٢٣- السديس، عبد الرحمن: المملكة تمثل الوجه المشرق للسياحة النظيفة النقية في ظل الأمن والأمان والاستقرار، مجلة العالم

الإسلامي، مكة المكرمة عدد ١٦٥٦، ٣٠ حزيران، ٢٠٠٠م.

٣. التعرف على الشعوب والحضارات الاخرى للتعاون معهم في ميادين الحياة المختلفة.

٤. ان تكون السياحة بقصد الاعتبار.

ان السير في الارض للاعتبار من آثار الامم السابقة، أمر مطلوب للوقوف أمام معالمها في سبيل التفكير بخلق الله سبحانه وتعالى.

٥. النهي عن السياحة غير الشرعية

- اي النهي عن السياحة التي تعطل اداء الفرائض والواجبات
- النهي عن السياحة الفاسدة، يحذر الاسلام المسلمين من السياحة غير الاخلاقية التي تتضمن الفساد حيث قال رسول الله ﷺ ((إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَانِ الْحَرَامِ بَيْنَ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ أَصْبَرًا لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يَوْشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ أَلَا وَإِنْ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلَا حِمَى اللَّهِ (محارمه) (٢٤)
- إِنَّ الضوابط الشرعية للسياحة تدور حول تجنب المسلم الفواحش الظاهر منها والباطن، والابتعاد عن ما حرم الله سبحانه وتعالى والالتزام بالآداب الاسلامية في السياحة والسفر، والتي أكد عليها رسولنا الكريم محمد ﷺ -.

رابعاً: رأي المرجعية الدينية في السياحة والسفر

ايدت المرجعية الدينية اباحة السياحة والسفر للمسلمين اذا تحققت الشروط الواردة لديها وأهم هذه الشروط:

١. ينبغي ان لا يكون السفر حراماً أو المهدف ارتكاب عمل محرم وامثلة السفر الحرام هي:
 - أ- السفر المضّر بالإنسان ضرراً بالغاً، أو سفر الولد مع نهي الوالدين.
 - ب- السفر لقتل النفس المحترمة، أو للزنا، أو للسرقة، أو للاستيلاء على أموال الآخرين، أو إيذاء الناس، أو أعانة ظالم.
٢. السفر للاستجمام والراحة والترفيه عن النفس والعائلة ان لم يكن بهدف ارتكاب محرم، مباح وليس بحرام وعليه القصر في صلاته.
٣. يشترط ان لم يكن لأجل ارتكاب عمل محرم.
٤. ان لا يسافر بصحبة الظالم وسواء كان حاكماً أو غيره (٢٥) ماعدا ذلك فإن الشريعة الإسلامية اكرمت المسافر باعتبار ما يتحملة من العناء والمشقة أحكاماً تسهيلية في بعض الالتزامات العبادية هي كالتالي:
 - أ- وجوب قصر الصلوات الرباعية (الظهر، العصر، العشاء).
 - ب- سقوط الصوم الواجب.

٢٤- مسلم، السيد الحسن مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، شرح الامام النووي، باب اخذ الحلال وترك الشبهات، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ١١، ص ٢٧.

٢٥- الشيخ الصدوق: رسائل الشيعة، كتاب الشرائع وكتاب عيون الافكار، ط ١، ص ١٧٤.

٥- سقوط صلاة الجمعة، ولكن لو صلاها المسافر أجزأته بدلاً عن الظهر.^(٢٦)

٥. سقوط صلاة العيدين في حالة وجوبهما.

٦. سقوط نوافل الظهر والعصر، وايضاً سقوط نوافل العشاء (الوتيرة).^(٢٧)

المبحث الثاني: الضوابط الاسلامية للسياحة

اولاً: موقف الاسلام من الانفاق على السياحة

تعد السياحة نوعاً من انواع التجارة. وموقف الاسلام منها يأتي ضمن رؤيته الاقتصادية لها. وتنطلق نظرة الاسلام الى سياحة رجال الاعمال في دعوته التاجر (اي التحلي بالصدق، والعفة، والامانة، ونهاه عن الغش وسوء الاستغلال وغير لك من الصفات السيئة، التي تحول الانسان الى صوره مشوهة. لا هم له فيها الا كسب المال واكتنازه).^(٢٨)

واوجب الاسلام على الفرد المسلم، عدم انفاق امواله في انواع من السياحة المحرمة والمخالفة لأحكام الشريعة. فعلى سبيل المثال لا يجوز الذهاب الى المسارح والسينما، لمشاهدة ما يخالف شرع الله، ولا الذهاب الى اماكن الاصطياف التي فيها العري وكشف العورات، ولا يشتري التماثيل ولا التصاوير المحرمة. من جانب اخر لم تكن دعوة الاسلام الى زيادة الانتاج تعني في زيادة النفقات، بل دعا في الوقت نفسه لعدم الاسراف ولترشيد الاستهلاك.^(٢٩)

والسبب في نهي الاسلام عن الاسراف في نفقات السياحة حتى لا تصل الى درجة الادمان في هدر الاموال، وتصبح لإشباع النفس الأمارة بالسوء، وتخرج من مجال العبادات والطاعات.^(٣٠) ومن ابرز الضوابط الاسلامية للسياحة هي:

١. تجنب السياحة المظهرية لان الانسان يلجأ في هذا الشكل من السياحة الى نفقات اضافية، تظهر الكبرياء والعظمة والمظهرية. وكل هذه الامور منهي عنها شرعاً.
٢. تجنب الاسراف في النفقات السياحية. لأنها ضياع للأموال بدون منفعة يقرها الشرع. وقد طلب الدين الاسلامي من المسلمين التزام الوسطية في الانفاق على كل شيء.^(٣١)
٣. الابتعاد عن النفقات السياحية غير المشروعة. يوجب الاسلام على الناس الانفاق على وسائل وادوات سياحية يقرها الشرع وتجنب النفقات التي تدفع كالرشوة أو اعتداء على حقوق الناس بأساليب لا يسمح بها الاسلام.
٤. لا يقر الاسلام الانفاق على اماكن السياحة التي تنتهك فيها حدود الله سبحانه وتعالى، سواء كانت القرى السياحية التي تكون مسرحاً للسفور والمجون، او دور السينما التي يعرض فيها ما حرمه

٢٦- المدرسي محمد تقي: احكام العبادات، كربلاء المقدسة، ط ٤، ٢٠٠٣م، ص ٢٢٠.

٢٧- اية الله العظمى، السيد علي السيستاني: منهاج الصالحين، النجف الاشرف، ج ١، ط ١، ١٩٩٣م، ص ٢٠١.

٢٨- القرني، عبد الحفيظ الزغبى: آداب السوق في الاسلام، دار النحو، القاهرة، ط ١، ١٩٨٧م، ص ١٧.

٢٩- الحضيري، محسن: التسعير الجبري للسلع من منظور اسلامي، مجلة الاقتصاد الاسلامي، العدد ١٩٧، اب ١٩٩٧م، ص ٦٧.

٣٠- شحاته، حسين: اقتصاديات الترويج في المنهج الاسلامي، م ذ. ص ٣٧.

٣١- ابن كثير: تفسير القرآن الكريم، م ذ، ج ٣، ص ٥٢٠.

الشرع الاسلامي، لان فيها ما يثير الغرائز التي تقود الانسان الى ارتكاب المفسد وغير ذلك من الافعال التي لا ترضي الله سبحانه وتعالى الذي قال في محكم كتابه العزيز ﴿ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين﴾. (٣٢)

٥. طلب الاسلام من المسلمين التزام الاولويات في الانفاق على سياحتهم وهي الضروريات، ثم الحاجات، ثم الكماليات.

ثانياً: معاملة السائح في المجتمع الاسلامي.

تعد معاملة السائح في مجتمع اسلامي معين، من اهم الامور التي تترك انطباعاتها في ذهنه، بل تشوقه في العودة للبلد مره ثانية، وتشجع اهله واصدقائه على زيارته، بهدف التمتع في المرافق السياحية والتعرف الى اماكن جديدة لم يزورها في الماضي.

وتأتي اهمية انطباعات السائح (ولا نعلم يصبحون سفراء مدح او ذم لبلد ما، نتيجة الاسلوب الذي يعامل به هؤلاء السائح. من مغادرتهم بلادهم حتى رجوعهم اليها. هذه الفترة تترك وقع في نفوسهم وانطباعات من اول اتصال لهم مع ابناء البلد والخدمات المقدمة لهم) (٣٣).

ولان الاسلام يعد السائح بمرتبة الضيف، فقد اعتنى به عناية لم يصل اليها اي تشريع في العالم قديماً أو حديثاً، فقد جعل للمسافر الذي انقطعت به السبل نصيباً من اموال الزكاة (٣٤).

قال تعالى ﴿انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾ (٣٥) ﴿وات ذا القربى حقه والمساكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً﴾ (٣٦) وابن السبيل هو المسافر المحتار في بلد ليس معه شيء يستعين به على سفره، فيعطى من الصدقات ما يكفيه أن يصل الى بلده، وان كان ذا مال. (٣٧)

قال رسول الله ﷺ - (لا تحل الصدقة لغني ألا في سبيل الله، وابن السبيل أو جار فقير، فيهي لك أو يدعوك) (٣٨) وقوله ﷺ - ابن السبيل هو المسافر المنقطع يأخذ من الصدقة وان كان غنياً في بلده، أو هو الذي قطع عليه الطريق، وابن السبيل المستحق للصدقة، هو الذي يريد السفر في غير معصية، فيعجز عن بلوغ مقصده (٣٩).

تأتي عناية الاسلام بالمسافرين والسائحين، وخاصة من انقطعت بهم السبل، وانقطع به الطريق، ومن فقد منهم الاتصال بذويه ومسقط رأسه، ومن أبرز سمات الدين الحنيف انه فرض اعطاءهم من مال

٣٢- سورة القصص: الآية (٧٧).

٣٣- الحسن، حسن: السياحة صناعة وعلاقات عامة، الدار اللبنانية للنشر والعلاقات العامة، بيروت ط ١، ١٩٧٨م، ص ١٢٠

٣٤- زبدان، زلي حسين: حقوق السائح وواجباته في الفقه الاسلامي والقانون الوصفي، التركي للكمبيوتر وطباعة الاوفسيت، طنطا، ط ١، ١٩٩٨م، ص ١١.

٣٥- سورة التوبة، الآية ٦٠.

٣٦- سورة الاسراء، الآية ٢٦.

٣٧- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. م هـ، ج ٢، ص ٥٧٠.

٣٨- ابو داود، سليمان بن الاشعث: سنن ابي داود، دار الجنان، بيروت ط ١، ١٩٨٨م، ج ٢، ص ٧.

٣٩- الشوكاني، محمد بن علي محمد: مثل الاوطان وشرح متقى الاخبار من احاديث سيد الاخبار، دار الحديث، القاهرة،

كتاب الزكاة، ١٩٧٥م، ج ٤، ص ١٦٩.

- الزكاة. حتى يشجع الناس على السياحة والسفر في سبيل الاغراض المشروعة أو الترويح عن النفس. وعليه فقد حقق الاسلام للسائح الزائر الامور الاتية لغرض الاهتمام بالسياحة والسائح وأهمها:
١. اهتمت الشريعة الاسلامية بالمحافظة على اموال السائح وحمتها بسياج منيع الضوابط، خوف الاعتداء عليها وفرضت عقوبة رادعة لمن يتعدى على هذا المال.^(٤٠)
 ٢. اهتمام الاسلام بالسائح جعلهم بمرتبة المستأمن. لقوله تعالى ﴿وان احد من المشركين استجارك فأجره﴾^(٤١) والمقصود من الآية انه من قدم من دار الحرب الى دار الاسلام، في أداء رسالة أو تجارة أو طلب صلح أو نحو ذلك من الاسباب. ان اراد اماناً فأعطه حتى يرجع الى مأمنه ووطنه تطبيقاً لقوله تعالى (استجارك) اي استأمنك.^(٤٢)
 ٣. عناية الاسلام بالمسافرين والغرباء والمنقطعين، لم يعرف لها نظير، وهي لون من الوان التكافل الاجتماعي.
 ٤. ضمن الاسلام الحرية الشخصية والدينية وحماية النفس، والعرض، والمال للمستأمن الذي قصد ديار الاسلام.
 ٥. منع الاسلام العنف ضد السياح الذين يقصدون البلاد الاسلامية.
 ٦. الاسلام لا يدعو الى الخلاف الابدي في حرمة الزائرين قال تعالى ﴿يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر واثني وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنَّ اكرمكم عند الله اتقاكم إنَّ الله عليم خبير﴾.^(٤٣)
 ٧. ان البلاد الاسلامية ليست مغلقة الابواب، في وجوه الاجانب، بل العكس هو الصحيح، فالأجنبي يدخل بلاد المسلمين بأمان طالما كان سفره في غير معصية.

ثالثاً: سلوك السائح في المجتمع الاسلامي

- يلزم الدين الاسلامي الناس الذين يعيشون ضمن البلد الذي يحتكم الى شرع الله، باحترام مشاعر المسلمين في كل امور الحياة، كما ان الاسلام ينظر الى السياح نظرة محترمة تجعلهم بمرتبة الضيف، وامر بصرف الاموال له اذا انقطعت به السبل لكن بعض السياح، قد يتصرفون تصرفات من شأنها ((استفزاز مشاعر المواطنين عبر تحرهم في ارتداء الملابس او القيام ببعض الافعال التي لا تتوافق مع المجتمع او حرمتهم للعادات والتقاليد)).^(٤٤)
- ينبع حرص الاسلام من التزام السياح بحدود التقاليد الاسلامية التي تحكم المجتمع الاسلامي، نظراً للنتائج السلبية التي تتركها بعض انواع السياحة في سلوك ابناء المسلمين.^(٤٥)

٤٠- زيدان، زكي حسين: حقوق السائح ووجباته في الفقه الاسلامي والقانون العلمي، م د، ص ١٨٨.

٤١- سورة التوبة الآية ٦٠.

٤٢- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، م د، ص ٥٢٨.

٤٣- سورة الحجرات: الآية ١٣.

٤٤- صحيفة السياحة: ندوة السياحة العربية في القاهرة، الكويت، ١٩٩٣/٦/١٩م.

٤٥- بشير، محمد بن عبد الحميد: الضوابط الشرعية لقضاء الاجازة الصيفية، مجلة الازهر، القاهرة، حزيران، ١٩٩٨م،

فعليه ان للسفر في التقاليد الاسلامية او بما يلتزم بها المسافر، او السائح من اول قدومه حتى عودته

هي:

١. لا بد في السفر من طيب الكلام وإطعام الطعام وإظهار مكارم الاخلاق.^(٤٦)
٢. عدم الحاق الاذى بالمكان او منشأته، فأمكنة السياحة والترويج حق مشترك بين جميع الناس، فمن أفسد على الناس مكان ترويجهم فقد اعتدى عليهم.^(٤٧)
٣. الحرص على الابتعاد عن مضايقة السياح الآخرين، او المواطنين المقيمين او العابرين، او المستفيدين، من الاماكن السياحية، لقوله تعالى ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً﴾.^(٤٨)
٤. حذر الدين الاسلامي السياح المسلمين من الوقوع بالخطأ في الاماكن السياحية وغير السياحية التي يقصدونها، لان اخطاءهم تنسب الى الاسلام.
٥. الحفاظ على شخصية السائح المسلم، فلا يذوب في عادات وتقاليد البلاد التي يزورها، فعليه ان يستقل بشخصيته، وان يستطلع ما هو حديث ومفيد وان يطرح ويتجنب السيء.
٦. من واجبات السياح المسلمين الابتعاد عن التنافر، والخصومة، والاختلاف، لان وحدة الصف امر واجب على المسلمين في كل زمان ومكان.
٧. على السائح او المسافر المسلم اعطاء حق الطريق لان الطرقات في الاسلام لها حقوق على كل من يسير او يمشي عليها، وقد امر بذلك رسول الله -ﷺ- بقوله (فأعطوا الطريق حقه) قالوا وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال (غض البصر، وكف الاذى، ورد السلام، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر).^(٤٩)

اما بالنسبة للسياح غير المسلمين الذين يقصدون البلاد الاسلامية يجب اعطاءهم تعليمات عند دخولهم البلد الاسلامي، تتضمن عادات وتقاليد المجتمع الذي يزورونه، لغرض تطبيقها واحترامها حتى لا يتم المساس بعبادات وتقاليد البلد، فتتولد كراهية وحقد من قبل سكان المنطقة المضيفة تجاه السياح.^(٥٠)

رابعاً: موقف الاسلام من الآثار كالتماثيل والاصنام

إنَّ التماثيل الاثرية التي تعود الى ما قبل الاسلام، مجرد تسجيل للتاريخ وليس لها اي تأثير سلبي على عقيدة المسلمين، والإبقاء عليها ليس حراماً (وخاصة انه لا يعبدونها احدٌ على وجه الارض الان، اما اذا توجه اليها اي كان للعبادة، وهي في بلاد المسلمين يفرض هدمها حكماً)، حتى ان كانت تدر مصالح اقتصادية للبلد الاسلامي من خلال تنشيط السياحة فيه، وان القرآن الكريم فيه قصص الاولين ومنهم مشركون وهذه القصص باقية ومعروفة على رغم غياب اصحابها المشركين منذ الاف السنين تأخذ منها

٤٦- الغزالي، ابو حامد محمد بن محمد: احياء علوم الدين، عالم الكتب، بيروت، ج٢، ١٩٩٨م، ص٢٢٢.

٤٧- السدحان، عبد الله بن ناصر: الترويج وعوامل لأغراض رؤية شرعية، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، قطر، عدد٧٤، ط١، شباط، ٢٠٠٠م ص٧.

٤٨- سورة الاحزاب الآية ٥٨.

٤٩- مسلم: صحيح مسلم، م د، كتاب اللباس والزينة، باب الفحص عن الطرق واعطاء الطريق حقه، ج١٤، ص١٠٢.

٥٠- توفيق، ماجد عبد العزيز: صناعة السياحة، دار زهران، عمان، ١٩٩٧م، ص٩.

العبرة والعظة، وقياساً عليه فإن الآثار اذا كانت تدخل تحت مبدأ (تلك اثارهم تدل عليهم)، فلا مانع شرعاً من الابقاء عليها^(٥١) والآيات القرآنية الكريمة التي نزلت حول التماثيل والاصنام منعت الاقوام السابقة التي كانت تعبد هذه الاصنام وعليه يتلخص موقف الاسلام من الآثار كالتماثيل والاصنام بالتالي:

١. التماثيل الاثرية التي تعود الى ما قبل الاسلام وليس لها تأثير سلبي على عقيدة المسلمين، ولا تعبد في الارض من انسان كائن من كان، لا يعد الابقاء عليها حراماً.
٢. كل الادلة القرآنية التي قبلت في تشريع الهدم، مردود عليها بأساليب اخرى من القرآن لا تجعل الهدم حتماً او مطلقاً وانما تضع مصلحة المسلمين في مرتبة اسبق. فإذا اضر الهدم مع المصلحة او اضر بها قدمت المصلحة.^(٥٢)
٣. لقوله تعالى ﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(٥٣) والمقصود بالآية، لا تسبوا الاصنام فيرتد عليكم ضرر اكبر يتمثل في سب الله تعالى العياذ بالله (فإذا كان سب التماثيل منهياً عنه في القرآن الكريم فكيف بتحطيم التماثيل).
٤. لا دليل في الشرع على وجود ازالة التماثيل مطلقاً، وما روي عن رسول الله - ﷺ - من امره بتكسير الاوثان وازالتها انما هو خاص بالتماثيل التي لا يقصد بها الا العبادة^(٥٤).
٥. نستدل من ذلك ان هدم الآثار والتماثيل التاريخية التي قامت به العصابات الاجرامية من الدواعش في العراق وسوريا ليس لها اي سند شرعي او قانوني، وهو افتراء بعيد كل البعد على الدين الاسلامي، وعمل اجرامي ضار بمصلحة المسلمين.

الاستنتاجات:

بعد رحلتنا البحثية هذه وصلنا الى الاستنتاجات الآتية:

١. امر الله عز وجل عباده المسلمين في كثير من آيات القرآن الكريم بالسياحة، والتفكير، والتدبر.
٢. امر الرسول الكريم - ﷺ - المسلمين في العديد من الاحاديث الشريفة بالترويح عن النفس، لإشباع حاجاتها الروحية.
٣. سماحة الاسلام اقرت الترفيه واللهو البريء للإنسان، شرط الالتزام بالحدود الشرعية الاسلامية.
٤. إن اقرار الاسلام الجانب الترويحي في حياة المسلم، ينطلق من مراعاته للفطرة البشرية، والغرائز التي أودعها الله سبحانه وتعالى في النفس البشرية.
٥. نحى الاسلام عن السياحة التي تؤدي الى عدم القيام بالفرائض والواجبات من العبادات، والاهتمام بالمسلمين والدعوة الى رسالة الحق.

٥١ - صحيفة السياسة: ندوة السياسة العربية في القاهرة، م د، ص ٢٠.

٥٢ - النمر، عبد المنعم: تاريخ الاسلام في الهند، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ٣، ١٩٩٠م، ص ٨٨.

٥٣ - سورة الانعام، الآية ١٠٨.

٥٤ - الاراكي، محسن: مؤسس المركز الاسلامي في انكلترا، ((لا دليل في الشرع الى وجوب ازالة التماثيل مطلقاً، والاسلام لا

يمنع الاحتفاظ بالآثار، صحيفة الحياة عدد ١٣٨٩٢، ٢ آذار، ٢٠٠١م، ص ٢١.

٦. منع الاسلام العنف ضد السياح الذين يقصدون البلاد الاسلامية، كما منع ممارسة العنف ضد اي مواطن من دين غير دين الاسلام.
٧. الاسلام اباح السياحة والسفر للمسلمين، وان الشريعة الاسلامية اكرمت المسافر باعتبار ما يتحمل من العناء والمشقة شرط الالتزام بالتعاليم الاسلامية.

التوصيات:

١. يجب ان تكون السياحة والسفر للأغراض التي امر الله عز وجل المسلمين في اكتشاف المناطق والاقاليم في الكرة الارضية التي لا يعلم معرفة للمسلمين بها والاطلاع.
٢. الابتعاد عن المظاهر الفاسدة في ممارسة السياحة التي نهى عنها الاسلام، وان لا يكون السفر حراماً يهدف الى ارتكاب محرم.
٣. تجنب الانفاق على الاماكن السياحية التي تنتهك فيها حدود الله سبحانه وتعالى.
٤. معاملة السياح معاملة حسنة من مواطني المقصد السياحي، وخاصة السياح من الديانات الاخرى.
٥. ضرورة ان يكون توجيه اعلامي للمواطنين المحليين والسياح بالعمل على وضع ضوابط في احترام العادات والتقاليد الاسلامية، والحفاظ على الهوية الاسلامية.
٦. على الادارات السياحية، والحكومات المحلية العمل على جعل السياحة تتوافق مع الشريعة الاسلامية وخاصة في المدن والاماكن السياحية.
٧. الاهتمام بالسياحة بصورة عامة، والسياحة الدينية بشكل خاص لما لها ايرادات مالية كبيرة تساعد البلد في النهوض بالجانب الاقتصادي.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ابن منظور، ابوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، بيروت، ط ٣، ج ٣، ١٩٩٦.
٢. ابن كثير، عماد الدين: الفداء اسماعيل ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ج ٣، ١٩٨٦م.
٣. ابو داود، سلمان بن الاشعث: سنن ابي داود، دار الجنان، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م.
٤. اية الله العظمى، السيد علي السيستاني: منهاج الصالحين، النجف الاشرف، ج ١، ط ١، ١٩٩٣م.
٥. الاراكي، محسن: مؤسس المركز الاسلامي في انكلترا، صحيفة الحياة، عدد ١٣٨٩٢، اذار، ٢٠٠١م.
٦. بشير، حمدي عبد الحميد: الضوابط الشرعية لقضاء الاجازة الصيفية، كلية الازهر، القاهرة، حزيران، ١٩٩٨م.
٧. البخاري، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم: صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ج ١٩٩٢م.
٨. توفيق، مصر عبد العزيز: صناعة السياحة، دار زهران، عمان، ١٩٩٧م.

٩. الحضيرى، محسن: التسعير الجبري للسلع من منظور اسلامي، مجلة الاقتصاد الاسلامي، العدد ١٩٧، اب، ١٩٩٧م.
١٠. الحسن، حسن: السياحة صناعة وعلاقات عامة، الدار اللبنانية للنشر والعلاقة العامة، بيروت، ط١، ١٩٧٨م.
١١. الرازي، محمد بن ابي بكر عبد القادر: مختار الصحاح، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م.
١٢. زيدان، زكي حسين: حقوق السائح وواجباته في الفقه الاسلامي والقانون الوضعي التركي للكومبيوتر وطباعة الاوفسيت، طنطا، ط١، ١٩٩٨م.
١٣. السدحان، عبدالله بن ناصر: الترويج وعوامل الانحراف رؤية شرعية، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، قطر، عدد ٧٤، ط١، شباط، ٢٠٠٠م.
١٤. السديس، عبد الرحمن: المملكة تمثل الوجه المشرق للسياحة النظيفة في ظل الامن والاستقرار، مجلة العالم الاسلامي، مكة المكرمة، عدد ١٦٥٦.
١٥. شحاته، حسين: اقتصاديات الترويج في المنهج الاسلامي، مجلة الاقتصاد الاسلامي العدد ١٩٧، اب، ١٩٩٧م.
١٦. الشيخ الصدوق: رسائل الشيعة، علل الشرائع وكتاب عيون الاخير.
١٧. صحيفة السياسة: ندوة السياحة العربية في القاهرة.
١٨. الغزالي، ابو حامد محمد بن محمد: احياء علوم الدين، عالم الكتب، بيروت، ج٢، ١٩٩٨م.
١٩. فهم، حسين محمد: ادب الرحلات، سلسلة عالم المعرفة، ط١، ١٩٨٩م.
٢٠. القرطبي، ابو عبدالله بن احمد الانصاري: الجامع لأحكام القرآن، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ج٣، ١٩٦٥م.
٢١. القرني، عبد الحفيظ مزعلي: آداب البحوث في الاسلام، دار الصحوة، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م.
٢٢. كفائي، حسين: رؤية عصرية للتنمية السياحية في الدول النامية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩١م.
٢٣. مسلم، ابو الحسن مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، شرح الامام النوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١١.
٢٤. المدرسي، محمد تقي: احكام العبادات، كربلاء المقدسة، ط٤، ٢٠٠٣م.
- النمر، عبد المنعم: تاريخ الاسلام في الهند، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٣، ١٩٩٠م.

تجارب فندقية في إدارة الجودة شركة ريتز كارلتون أنموذجاً

Hotel experiences in quality control: Ritz Carlton's example

(^١)

م.م. حيدر عبدزید خضر السلطانی

Asst.Inst. Haider A. Z. Khuder AL-Sultani

(^٢)

م.م. نجم عبد العالی عباس الدعمی

Asst.Inst.Najim A. Abbas AL-Da'ami

الملخص

يهدف هذا البحث إلى تناول إدارة الجودة الشاملة في القطاع الفندقي وإبراز أهميتها في كل القطاعات وخصوصاً في قطاع السياحي. وبالتحديد في قطاع الفنادق لها تأثير إيجابي على العائدات المتحصلة من السياحة، وتصل إلى رضا الزبون وكانت إشكالية البحث ((ما هو تأثير استخدام الجودة الشاملة على القطاع الفندقي؟ وتناولنا تجربة شركة ريتز كارلتون الرائدة في هذا صناعة الفنادق.

Abstract

This research aims to have the running total quality in the hotel sector and shew its importance in all sectors, especially in tourism sector. particularly in the hotels sector and it has appositive impact on revenues course. And also reaches to please of customer. The problem of the research is what the influence of using the standards total quality to hotel sector. And we have the experience of the com Pany Ritz Carlton that leader in the field of hotel industry.

١ - جامعة الفرات الأوسط التقنية /المعهد التقني / كربلاء /قسم السياحة والفندقة.

٢ - جامعة الفرات الأوسط التقنية /المعهد التقني / كربلاء /قسم السياحة والفندقة.

المقدمة

لقد أصبح اليوم على الشركات التي غايتها الوصول إلى التفوق والاستمرار في عملها وتطويره في الوقت الحاضر باختلاف أنواعها وأنشطتها الاقتصادية أن تلتزم بمبادئ الجودة وأن تلتزم بنظمها، وذلك لضمان بقائها في ظل سوق المنافسة الشرسة الموجودة في الأسواق التي يعرفها المجال الاقتصادي اليوم، لذلك يعد اليوم مفهوم الجودة من بين أهم المفاهيم إذ أصبحت من أهم المفاهيم التي نالت اهتماماً كبيراً وواسعاً بالاقتصاديات الحديثة بسبب أنها أصبحت من أهم متطلبات النجاح والبقاء في سوق المنافسة. ولو تتبعنا في تطور هذا المفهوم عبر الزمن نلاحظ أنه عرف تطورات متتالية نحو التطور، إذ لم يعد يركز على جودة المنتج النهائي فحسب بل أصبحنا اليوم نتحدث ما يعرف إدارة الجودة الشاملة إن هذا المفهوم لم يعد حكراً على الأنشطة الإنتاجية فقط بل شمل أيضاً حتى الأنشطة الخدمية، إذ أصبحنا اليوم نسمع على نظم الجودة في مجال التعليم، الصحة، النقل، الطيران، السياحة... إلخ. من هنا تأتي أهمية موضوع بحثنا وخاصة تطبيقاتنا على القطاع السياحي وسيتم دراسة الموضوع من خلال أربعة مباحث:

المبحث الأول: منهجية البحث

المبحث الثاني: الجودة وأبعادها

المبحث الثالث: تجربة شركة ريتز كارلتون

المبحث الرابع: الاستنتاجات والتوصيات

المبحث الأول: منهجية البحث

أولاً: أهمية البحث

في ظل المنافسة بين مقدمي الخدمات الفندقية وفي ظل هذا السوق الخدماتي المفتوح، سيكون البقاء للأجود، حيث أصبحت المنافسة اليوم في كل المجالات وخصوصاً في مجال صناعة الضيافة وعلى وجه الخصوص صناعة الفنادق، أذن لا بد من أن يكون جودة في الخدمات المقدمة ومستوى عالي من تقديم الخدمات، مما يدفع الإدارات البحث عن كل ما هو من شأنه تطوير الخدمات المقدمة من أجل المنافسة في سوق العمل، إذ بات بسبب المنافسة صعوبة التمييز بين الفنادق، لذلك تكمن أهمية البحث في إبراز أهمية إدارة الجودة الشاملة في صناعة السياحة بشكل عام وصناعة الفنادق على وجه الخصوص، وما لها من تأثير من خلال تقديم أفضل الخدمات والذي ينعكس إيجاباً على العائدات المتحققة من مجال صناعة الفنادق، وكذلك تكمن أهمية البحث من تناول تجربة في مجال جودة الخدمات المقدمة من أحد السلاسل الفندقية العالمية وهي شركة ريتز كارلتون الرائدة في مجال صناعة الفنادق والتي لها تجربة في إدارة الجودة والخدمات المقدمة.

ثانياً: إشكالية البحث

تظهر إشكالية البحث في معرفة إدارة جودة الخدمات في صناعة الفنادق، لذلك تحاول هذه الدراسة إظهار تجربة شركة ريتز كارلتون في هذا المجال، وتكمن إشكالية البحث والتي تم صياغتها في تساؤل عام هو ((ما هو تأثير استخدام معايير الجودة الشاملة على القطاع الفندقي؟)).

ثالثاً: أهداف البحث

إنَّ للبحث عدة أهداف من أبرزها، تسليط الضوء على الدور الكبير الذي تقوم به إدارة جودة الخدمات الفندقية في تحسين مستوى المنافسة، مما ينعكس على زيادة الأرباح في القطاع الفندقي، في حالة اعتماد أساليب حديثة ومبتكرة تواكب التطور في هذا القطاع.

كما ان للبحث أهدافاً أخرى هي:

١. تحديد علاقة أثر جودة الخدمات على القطاع السياحي الفندقي.
٢. إبراز أهمية استخدام معايير الجودة.
٣. التعرف على تجربة شركة ريتز كارلتون في إدارة الجودة.

رابعاً: فروض البحث

مما لا شك فيه أن هناك علاقة تأثير، بين استخدام معايير الجودة الشاملة ورضاء الزبون على المنتج السياحي.

المبحث الثاني: جودة الخدمات وأبعادها

أولاً: الخدمة

يعد الافتقار إلى تعريف واضح ودقيق وشامل للخدمة بالمقارنة مع المفهوم السائد للسلع المادية، من أبرز العوامل التي تقف عائقاً أمام تمكين مؤسسات الخدمة من رسم استراتيجيات تسويقية فعالة في قطاع الخدمات، فلو كان بالإمكان تصنيف الخدمات بطريقة واحدة لأصبح من السهل حصر الخصائص والسلوكيات ذات الصلة المباشرة بالخدمات، والعمل بأدراجها في أدبيات تسويق الخدمة كحقل قائم بحد ذاته. إلا ان هذه الحقيقة لا تنفي إطلاقاً وجود محاولات جادة وأكيدة لسبر غور قطاع الخدمات من خلال عشرات البحوث والدراسات التي قام بها الأكاديميون والممارسون والتي استهدفت الاتفاق على أرضية مشتركة لمفهوم الخدمة. وسنحاول تسليط الضوء على عدد من التعريفات التي جاءت بها الأدبيات المختلفة المختصة بتسويق الخدمات. فالجمعية الأمريكية للتسويق عرفت الخدمة بأنها: "النشاطات أو المنافع التي تعرض للبيع أو التي تعرض لارتباطها بسلعة معينة". إلا أن هذا التعريف يعد ضعيفاً فضلاً عن عدم تمييزه بصورة كافية بين السلعة والخدمة. وهنالك تعريف ل (Stanton) يقول إنَّ الخدمة هي: "النشاطات غير الملموسة والتي تحقق منفعة للزبون أو العميل، والتي ليست بالضرورة مرتبطة ببيع سلعة أو خدمة معينة لا يتطلب استخدام سلعة مادية". وفي تعريف آخر للخدمة هي: "نشاط أو منفعة يقدمها

طرف إلى طرف آخر وتكون بالأساس غير ملموسة ولا يترتب عليها أية ملكية، فتقديم الخدمة قد يكون مرتبطاً بمنتج مادي أو لا يكون^(٣).

أما (Kotler) فعرفها: أنها أي نشاط أو منفعة يقدمها طرف لطرف آخر، وتكون بالأساس غير ملموسة ولا ينتج عنها أي ملكية، كما أن إنتاجها قد يكون مرتبطاً بمنتج مادي ملموس وقد لا يكون^(٤).

ومن ناحية الخدمات السياحية عرفت بانها: "الأنشطة غير الملموسة والتي يمكن أن تقدم بشكل منفصل وتوفر إشباع الرغبات والحاجات، وأن المستهلك للخدمة قد يكون بحيازة مؤقتة أو استخدام مؤقت التي يتطلبها إنتاج الخدمة (غرفة في فندق، إيجار سيارة، رحلة سياحية)، ولكن دون أن يملكها المستهلك"^(٥).

ومن التعريفات السابقة للخدمة، تتضح المضامين التالية:

١. تكون الخدمة في الغالب محسوسة وغير ملموسة.
 ٢. قد تكون الخدمة مرتبطة بمنتج ملموس أو مادي أو قد لا ترتبط بذلك.
 ٣. تدرك الخدمة بالحواس من خلال المنفعة التي تقدمها للمستفيد.
 ٤. تتألف الخدمة من جوهر تدعمه خدمات تكميلية.
- من خلال التعاريف السابقة الذكر يمكننا أن نقول إنَّ الخدمة السياحية هي: "خليط تقع بين طرفين أحده ملموس وآخر غير ملموس، ممكن أن يتغلب أحدها عن الآخر وهي مركبة من سلع وخدمات. (حسب رأي الباحث). فمثلاً السفر في رحلة سياحية، تتكون عن عناصر ملموسة مثل استخدام الباص السياحي للنقل وتناول الطعام والشراب، وهناك عناصر غير ملموسة مثل تعامل السائق والمرشد السياحي وإمكاناته في إدارة الرحلة وتعريف السياح بأماكن القصد السياحي كلها عناصر غير ملموسة، يكمل أحدها الآخر مما يكون خليط من العناصر الملموسة وغير الملموسة وتالياً تكون الرحلة متميزة.

ثانياً: أبعاد الخدمة

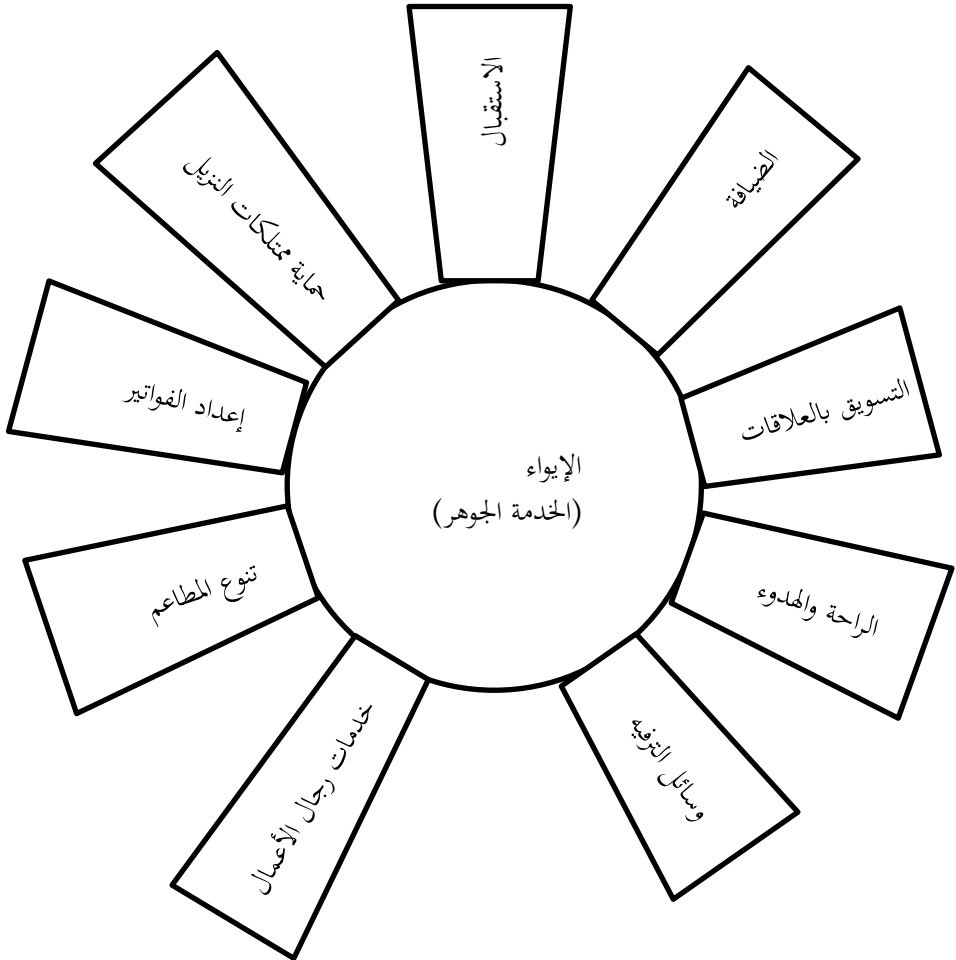
تتمثل أبعاد الخدمة في جوهر يسمى الخدمة الجوهر (Core Service)، وخدمات تكميلية داعمة لهذا الجوهر، فالجوهر يشير إلى الفائدة الأساسية التي يرغب بها المستفيد بالحصول عليها من الخدمة بينما تشير الخدمات التكميلية الداعمة للجوهر إلى أشياء أخرى ضرورية للحصول على خدمة متكاملة راقية وقد شبه (كريستوفر لوفلوك) (Lovelock) أبعاد الخدمة بزهرة أطلق عليها تسمية زهرة الخدمة (Flower of service). ففي المؤسسات الخدمية الضعيفة تكون الزهرة ذابلة، وأورقها كذلك، حيث سرعان ما

٣- أ. د. حميد عبد النبي الطائي، د. بشير العلاق، تسويق الخدمات (مدخل استراتيجي، وظيفي، تطبيقي)، الطبعة العربية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٩م، ص ٣٤.

٤- د. إياد عبد الفتاح النسور، أسس تسويق الخدمات السياحية العاجية (مدخل مفاهيمي)، الطبعة الأولى، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٨م، ص ٥٦.

٥- د. نعيم الظاهر، سراب إلياس، مبادئ السياحة، الطبعة الأولى، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، ٢٠٠١م، ص ٢٥٢.

تتساقط بفعل نسمة هواء بسيطة، بينما الزهرة النضرة تقاوم الرياح العاتية، ويوضح الشكل التالي نموذجاً لزهرة خدمة فندقية راقية^(٦).



أنموذج لزهرة خدمة فندقية راقية

٦- أ. د. حميد الطائي، أ. د. محمود الصميدعي، د. بشير العلاق، أ. إيهاب علي القرم، التسويق الحديث (مدخل شامل)، الطبعة العربية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٠م، ص ٢١٨.

ثالثاً: جودة الخدمات

من الاتجاهات الرئيسة الأخيرة التي ستؤثر على دورة حياة المنطقة السياحية هي موضع الخدمة، فقد أدت الضغوط الناتجة عن المنافسة إلى زيادة صعوبة التمييز بين أحد الفنادق وبين الفنادق الأخرى، خاصة في مستوى السلسلة العالمية إذا مجرد أن تقوم إحدى المؤسسات بتقديم منتج أو خدمة تجذب العملاء يقوم منافسهم بمجاراة المنتج أو الخدمة ومحاولة التفوق عليها، لقد كانت النتيجة في العادة تقديم مستوى عالي من المنتجات والخدمات. وبشكل متزايد أصبح ما يميز أحد مقدمي الخدمات عن الآخرين هو الانتباه إلى التفاصيل وكان هذا ميدان المعركة الذي تتنافس فيه الفنادق والمطاعم ويخوضون غمار الحرب التنافسية، فلقد أصبحت معظم المنتجات والخدمات تمثل سلعاً مستهلكة، ويبدو أن الفنادق تقدم نفس المزايا الأساسية، وهي عبارة عن مكان نظيف للنوم ومنعشات يتم توفيرها للزبان أثناء النشاطات الهامة، لقد أصبحت الخدمات الشخصية والاهتمام بالتفاصيل هي التي تميز الفنادق، وهناك استثناء هو تميز الموقع أو المرافق في مجال الفنادق، فمثلاً الفندق الوحيد الصغير الذي يقع في منتجع رئيسي مرتفع لن يكون معرضاً لمنافسة فعالة^(٧).

وإن الاهتمام بجودة الخدمات يعد في الوقت الحاضر من المهام التي تركز عليها المنظمات المنتجة للخدمات، وذلك بسبب تزايد المنافسة بشكل كبير، الذي تطلب إعطاء موضوع جودة الخدمة ما تستحقه من أهمية لدورها الفاعل في إشباع رضاء الزبون.

إن أي تعريف لجودة الخدمات "لابد أن يركز وبشكل واضح على ما يمكن أن يتوقعه الزبون من وراء السبب الجوهري لشراء هذه الخدمة، وبالتالي توضح مدى استطاعت هذه الخدمة أن ترضي حاجة الزبون الحقيقية". لذلك فإن تعريف جودة الخدمة يتمحور حول المنافع التي تقدمها هذه الخدمة إلى الزبون (مستوى أدراكه لجودة الخدمة المقدمة) أن النظر لجودة الخدمة من خلال ادراك المستفيد لها يحتم التركيز على أجمالي المنافع والقيمة التي تقدمها الخدمة للمستفيد. وهذا المدخل يركز خارج إطار الملموسية أو عدم الملموسية أو عدم ملموسية الخدمة بل على إشباع حاجات ورغبات المستفيدين من خلال تفاعل منظمات الخدمة.

وفي تعريف آخر لجودة الخدمات هي: "أنها تعتمد على التجربة الحالية للزبون وتجاربه السابقة للخدمات التي استفاد منها، وتعتبر القاعدة الأساسية لتقييم الخدمة استناداً إلى جودة الخدمة المدركة"^(٨).

الجودة وفق المفاهيم اللغوية الدارجة تعبر عن صفة ملازمة ومرتبطة بالموصوف الجيد، وهذا الموصوف إما أن يكون شيئاً مادياً ملموساً (سلع وخدمات) أو شيئاً غير ملموس (خدمات)، بمعنى أن الشيء

٧- تيم نولس، ديمتريوس ديمانتس، جاد الله بيك المرحي، عولمة السياحة والضيافة منظور استراتيجي، ترجمة، أ. د. عبد الرحمن بن أحمد بن هيجان، الطبعة الأولى، دار المؤيد للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٤م، ص ٢٩.
٨- أ. د. محمود جاسم الصميدعي، د. ردينة عثمان يوسف، تسويق الخدمات، الطبعة الأولى، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، ٢٠١٠م، ص ٩٢.

الموصوف بالجودة يتسم بمواصفات إيجابية ويقال عنه جيد ومقبول على الأخص من قبل الجهة التي تستخدم ذلك الشيء وكذلك الجهة التي تتعامل به^(٩).

ومن خلال التعاريف السابقة يمكننا أن نقول أن جودة الخدمة هي: "هي كل المنافع التي يحصل عليها المستفيد من الخدمة وتكون ملموسة وغير ملموسة، وحسب تجاربه السابقة ومدى تقييمه للخدمة لحظة تقديمها".

رابعاً: معايير جودة الخدمة

١. الاعتمادية: بمعنى قدرة مقدم الخدمة على إنجاز أو أداء الخدمة الموعودة بشكل دقيق.
 ٢. مدى توفر الخدمة من حيث الزمان والمكان: بمعنى هل ان الخدمة متوفرة في المكان والزمان الذين يريدهما الزبون؟.
 ٣. الأمان: بمعنى هل أن الخدمة خالية من الخطورة والشك؟.
 ٤. المصادقية: هل أن مقدم الخدمة أهل للثقة؟، هل يلتزم مقدم الخدمة بوعوده؟.
 ٥. درجة فهم مقدم الخدمة للزبون: هل يفهم مقدم خدمة المتطلبات الخاصة بالزبون؟، هل يعرف مشاعره وهل يقدر المشاعر؟.
 ٦. الاستجابة: ما هو مدى استعداد ورغبة مقدم الخدمة على تقديم المساعدة للزبون أو حل مشاكله المتعددة؟.
 ٧. الجدارة: ما هو مستوى الجدارة الذي يتمتع بها القائمون على تقديم الخدمة من حيث المهارات والقدرات التحليلية والاستنتاجية، والمعارف التي تمكنهم من أداء مهامهم بشكل افضل؟.
 ٨. الأشياء الملموسة: بمعنى البيئة المادية التي تقدم من خلالها الخدمة (المباني، المعدات، الديكور، الإضاءة...).
 ٩. الاتصالات: بمعنى هل ان مقدم الخدمة قادرٌ على تنوير الزبون حول طبيعة الخدمة المقدمة والدور الذي ينبغي على المستفيد أن يلعبه للحصول على الخدمة المطلوبة؟^(١٠).
- تكتسب الجودة أهمية في كل مجالات الحياة الحديثة (modern life) و السياحة أيضاً، فان السياح (الضيوف) يطلبون المنتجات التي يتأكدون من أنهم سيحصلون من خلالها على جودة عالية (top quality) ومن الأسباب الأبعد لوجود نظام إدارة الجودة الشاملة في السياحة هي المنافسة المتزايدة وعلى أي حال، تعد الجودة في السياحة ظاهرة معقدة جداً، ولإرضاء طلبات العملاء المتغيرة بسرعة بشكل كبير تم تطوير "إدارة الجودة الشاملة" تحتوى إدارة الجودة الشاملة في السياحة على مبادئ التوجه بالعملية، حيث يتم التأكيد على أن كل منتج أو خدمة هي نتيجة لعملية تكون مرتبطة في كل خطوة بما قبلها وما بعدها، فجودة العمليات الفردية تشكل في النهاية الجودة الكلية، ومع مرور الوقت فان

٩- د. مؤيد عبد الحسين الفضل، د. يوسف حجيم الطائي، إدارة الجودة الشاملة، الطبعة الأولى، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤ م، ص ٢٠.

١٠- د. بشير العلاق، ثقافة الخدمة، الطبعة العربية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٩ م، ص ١٥٢.

مستويات الجودة ترتفع عن طريق دائرة دائمة للتخطيط (التطبيق، المراجعة، التصحيح). وتشمل إدارة الجودة الشاملة في السياحة ثلاث سمات هي:

- ١- هدف الجودة (Quality target).
- ٢- تطوير الجودة (Quality development).
- ٣- تأكيد الجودة (Quality assurance)^(١١).

المبحث الثالث: تجربة شركة ريتز كارلتون

أولاً: نبذة عن الشركة

أنشئت في عام ١٩٨٣ من شراء فندق ريتز كارلتون، في بوسطن مع نفس اسم ريتز كارلتون، نمت الشركة من إدارة فندق واحد إلى ٨١ فندقاً في جميع أنحاء العالم مع وجود خطط لمزيد من التوسع في أوروبا وأفريقيا وآسيا والشرق الأوسط والأمريكتين، وريتز كارلتون الشركة هي فرع تعمل بشكل مستقل من ماريوت العالمية، وموجودة في ٢٦ بلداً في جميع أنحاء العالم: (ألمانيا، النمسا، البحرين، كندا، جزر كايمان، تشيلي، الصين، مصر، إندونيسيا، إيرلندا، إيطاليا، اليابان، كوريا، ماليزيا، المكسيك، عمان، البرتغال، بورتوريكو، قطر، روسيا، السعودية (جزيره العرب)، سنغافورة، إسبانيا، تركيا، الإمارات العربية المتحدة، وجزر فيرجن الأمريكية والولايات المتحدة)^(١٢).

شركة ريتز كارلتون أول شركة ضيافة والشركة الوحيدة التي كسبت جائزة (مالكولم بالدريج للجودة الوطنية) والتي تميز الإنجاز الاستثنائي في الممارسة العملية لأسس إدارة الجودة الشاملة المقدمة من وزارة التجارة بالولايات المتحدة والتي كسبتها مرتين، وتالياً أصبحت الشركة الوحيدة المتخصصة بالضيافة والتي تكتسبها مرتين، ويبدأ برنامج إدارة الجودة الشاملة (TQM) (total quality management)، يبدأ برنامج إدارة الجودة الشاملة لريتز كارلتون بالتزام مطلق من الإدارة العليا بتطوير TQM، وتنفيذها، ولا يشمل هذا وعداً بالسياسة فقط، وإنما يشمل ضماناً بحوالي ربع وقت الإدارة العليا لمتابعة التنفيذ، وكذلك شمول المديرين على مستوى الوحدة والعاملين الذين معهم.

" فليس الطعام الفخم، والمنتج الفخم، والخدمة الفخمة، والتكاليف الضخمة كافياً "، وما قاله رئيس وضابط العمليات الرئيسي شولتز لشركة ريتز كارلتون " علينا ان نجد طريقة لنكون الأفضل من ذلك، فتعني الجودة حقيقة المبيعات صفر، والحفاظ ١٠٠% على العميل أو الزبون "، وتم من خلال ذلك ترشيح ضرورة هذه الفلسفة في مجموعة من القيم الرئيسية التي تسمى مجتمعة مع بعضها "النمطيات الذهبية" (The Gold Standards)، وحتى العاملون الجدد يحصلون على توجيه لمدة يومين يركز على ثقافة خدمة الشركة، ويتم خدمة المفاهيم في الاجتماعات اليومية للأقسام التي يحضرها كل العاملين، وتكون ريتز كارلتون رائدة في الصناعة في تقديم ١٢٠ ساعة تدريب لكل عامل في السنة^(١٣).

١١- http://www.tourism.lt/nsv/engl/WTO%2...%20label_A.doc، وزارة السياحة الليتوانية

١٢- <http://www.ritzcarlton.com> موقع فندق ريتز كارلتون

١٣- كلسي هسو، توم بورز، تسويق الضيافة، الطبعة الأولى، دار المريخ للنشر، الرياض، ٢٠٠٧م، ص ٧٢.

ثانياً: النمطيات الذهبية

تطبع هذه النمطيات الذهبية على بطاقة مصفحة بحجم الجيب ويحملها كل عامل في جيبه، كتذكيرة مستمرة بأن رضا النزيل هو الرسالة الاسمي وتسمى كذلك (بطاقة العقيدة)

هناك ثلاث خطوات لتقديم الخدمة

١. الترحيب الدافئ الخالص (استخدام اسم الضيف ان كان ممكناً)
 ٢. الامتثال والتحسب لرغبات وحاجات الزبون.
 ٣. التوديع بحبة: أعط الزبون وداعاً دافئاً باستخدام اسمه ان كان ممكناً.
- نحن السيدات والسادة نخدم السيدات والسادة
١. ان فندق الـ ريتز كارلتون هو المكان حيث الراحة والعناية الحقيقية لزبائننا وهذا من اعلى وأهم مسؤوليتنا.
 ٢. نحن ملزمون بتوفير وتزويد زبائننا بأفضل الوسائل والخدمات الشخصية حيث يتمكنون من التمتع بجو دافئ ومريح وحسن.
 ٣. خبرة الـ ريتز كارلتون تعيد أحياء الأحاسيس وغرس الرضا والإنجاز وحتى الرغبات والحاجات غير المعبر عنها من قبل الزبون.
- تعهدات الموظفين
١. السيدات والسادة من أهم أكثر المصادر أهمية في الـ ريتز كارلتون في تعهداتها الخدمية للزبائن.
 ٢. نحن نشئ ونزيد من أهمية المواهب لفائدة الفرد والمجتمع بتطبيق مبادئ الثقة والإخلاص والاحترام والنزاهة والالتزام.
 ٣. الـ ريتز كارلتون تنشئ بيئة عمل يكون فيه التنوع موضع تقدير ومنمي لأسلوب الحياة ومحبي للطموحات الفردية.

المصدر: كلسي هسو، توم بورز، تسويق الضيافة، مصدر سابق، ص ٧٥.

المبحث الرابع: الاستنتاجات والتوصيات

أولاً: الاستنتاجات

١. استخدام معايير الجودة له تأثير إيجابي على زيادة الواردات للمنشآت السياحية وخصوصاً قطاع الفنادق.
٢. استخدام معايير الجودة بالشكل الصحيح له تأثير على نفسية الزبائن ما يجعله يعود إلى نفس الفندق، أي يصبح له ولاء للفندق.
٣. استخدام معايير الجودة تقلل من نسبة السليبيات (المعيبات) في صناعة الضيافة بشكل عام وصناعة الفنادق بشكل خاص، ما ينعكس إيجاباً على صناعة السياحة.

٤. استخدام معايير الجودة لها تأثير أنساني وذلك من خلال بناء علاقة ارتباط من قبل الزبون والعاملين.
٥. لا يمكن استخدام معايير الجودة من قبل العاملين في القطاع السياحي إلا من خلال كادر متخصص بالسياحة وكذلك من خلال التدريب والدراسة والتأكيد على ذلك من قبل الإدارة.
٦. فرض استخدام معايير الجودة حافز قوي للعاملين والإدارة في التأكيد على استخدام هذه المعايير بسبب زيادة الإيرادات.

ثانياً: التوصيات

من خلال هذه البحث يمكننا ذكر مجموعة من التوصيات التي من شأنها تطوير القطاع السياحي العراقي:

١. عدم السماح لأي موظف أو عامل العمل في الأماكن السياحية إلا بالتراخيص من قبل وزارة السياحة أو الهيئات المعنية بالشأن السياحي.
٢. القيام بعمليات الرقابة والمتابعة من قبل الجهات المختصة لرفع مستوى أداء الخدمات المقدمة للمؤسسات العاملة في المجال السياحي.
٣. وضع استراتيجيات للنهوض بالواقع السياحي، وذلك من خلال تشكيل هيئة خاصة بالتنسيق بين القطاع العام والخاص، وعقد الندوات والنقاشات لتبيان اثر جودة الخدمات في تطوير القطاع السياحي.
٤. اعتماد معايير الجودة في تصنيف المواقع السياحية.
٥. اعتماد خريجي الكليات والمعاهد السياحية وعلى العمالة المدربة في المجال السياحي لتوظيفهم في الأماكن السياحية، ووضع معايير خاصة للعاملين في القطاع السياحي.
٦. الاستعانة بذوي الاختصاص من اجل تطوير القطاع السياحي العراقي بالاعتماد على الخبرات العراقية والأجنبية ومنظمة السياحة العالمية، والاستفادة من التجارب العالمية في هذا المجال.
٧. فرض عقوبات وغرامات على الشركات السياحية في حالة مخالفتها معايير جودة الخدمات السياحية.

المصادر

١. أ. د. حميد عبد النبي الطائي، د. بشير العلاق، تسويق الخدمات (مدخل استراتيجي، وظيفي، تطبيقي)، الطبعة العربية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٩م.
٢. د. إياد عبد الفتاح النصور، أسس تسويق الخدمات السياحية العاجية (مدخل مفاهيمي)، الطبعة الأولى، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٨م.
٣. د. نعيم الظاهر، سراب إلياس، مبادئ السياحة، الطبعة الأولى، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، ٢٠٠١م.
٤. أ. د. حميد الطائي، أ. د. محمود الصميدعي، د. بشير العلاق، أ. إيهاب علي القرم، التسويق الحديث (مدخل شامل)، الطبعة العربية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٠م.
٥. أ. د. محمود جاسم الصميدعي، د. ردينة عثمان يوسف، تسويق الخدمات، الطبعة الأولى، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، ٢٠١٠م.

٦. د. مؤيد عبد الحسين الفضل، د. يوسف حجيم الطائي، إدارة الجودة الشاملة، الطبعة الأولى، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤ م.
٧. د. بشير العلاق، ثقافة الخدمة، الطبعة العربية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٩ م.
٨. كلسي هسو، توم بورز، تسويق الضيافة، الطبعة الأولى، دار المريخ للنشر، الرياض، ٢٠٠٧ م.
٩. تيم نولس، ديمتريوس ديمانتس، جاد الله بيك المرعي، عولمة السياحة والضيافة منظور استراتيجي، ترجمة، أ. د. عبد الرحمن بن أحمد بن هيجان، الطبعة الأولى، دار المؤيد للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٤ م.

مواقع الأنترنت

١. وزارة السياحة الليتوانية <http://www.tourism.lt/nsv/engl>
- <http://www.ritzcarlton.com> موقع فندق ريتز كارلتون

تنازع الاختصاص بين الاجهزة الرقابية في العراق

على أعمال الإدارة في العراق -دراسة مقارنة-

Conflict of jurisdiction between the Watchdogs about administration in Iraq: A comparative study

Hadi H. Abd

هادي حمزة عبد^(١)

المستخلص

تحتل الرقابة المالية والادارية على اعمال الادارة أهمية كبيرة في دول العالم كافة، اذ انها تضمن تقديم أفضل الخدمات للمواطنين بأسرع وقت وأقل جهد وتكلفة، لذا اولت دول العالم عناية خاصة بالرقابة، واهتماماً واسعاً بها، واعتمدت الدولة العراقية منذ تأسيسها على جهاز رقابي واحد يقوم بممارسة اعمال الرقابة على نشاطات الادارة من الخارج وهو ديوان مراقب الحسابات واخذ يتطور هذا الجهاز الرقابي الى ان اصبحت تسميته ديوان الرقابة المالية واخذ هذا الجهاز الرقابي يتوسع في اختصاصاته مع تطور عمل الادارة في كافة المجالات، وبعد عام ٢٠٠٣ وما شهدته العراق من تطور في عمل الادارة، وانتشار ظاهرة الفساد الاداري والمالي بشكل ملحوظ، مما دفع المشرع العراقي للتصدي الى هذه الظاهرة عن طريق انشاء أجهزة رقابية عديدة أذ قام المشرع العراقي بتشريع ثلاثة قوانين مكوناً بها ثلاثة اجهزة رقابية وهي ديوان الرقابة المالية، وهيئة النزاهة، ومكتب المفتش العام.

وعملت هذه الاجهزة مجتمعة على مكافحة الفساد الاداري والمالي، فضلاً عن وجود الرقابة الذاتية للإدارة، التي تمارسها لمراقبة انشطتها المتعددة، وان ممارسة هذه الاجهزة الرقابية لاختصاصاتها ادى الى حصول تشابك وتزاحم في هذه الاختصاصات القى بضلاله على عمل هذه الاجهزة الرقابية مما تسبب في تراجع مستوى الرقابة، وانشغال الادارة عن عملها لتكون احدى الاطراف التي قد تضررت من تزاحم الاختصاصات بين الاجهزة الرقابية، وقد سنحت الفرصة للمفسدين بممارسة الفساد الاداري والمالي مع

انشغال الأجهزة الرقابية في فض تنازع الاختصاص فيما بينها، الأمر الذي يستوجب معه وجود جهة رقابية فاعلة وموحدة على أعمال الإدارة ذات تخصص رقابي ولديها الاختصاصات الكافية في ممارسة أعمالها متمتعة بالاستقلال الإداري والمالي وبعيدة عن المحاصصات السياسية والحزبية، على أن يتمتع موظفي هذه الجهة بالخبرة والكفاءة والنزاهة والتخصص.

وتحتاج هذه الجهة الرقابية إلى اعتماد استمارة خاصة بالشكاوى تتضمن بيان الجهة التي قدمت إليها الشكاوى مسبقاً والإجراءات المتخذة بخصوصها منعاً لتكرار موضوع الشكاوى أمام أكثر من جهة، وتبرز الحاجة الماسة إلى توحيد الجهة التي تحيل إلى التحقيق الإداري، منعاً لتزاحم التحقيقات في الموضوع ذاته.

Abstract

Fiscal and administrative observing the administrative deeds is very important all over the world because it insures giving best services to citizens in short time and less efforts and cost. Therefore, all states paid wide and special attention to observation. And since its foundation, the Iraqi state depended on an observational organization whose duty was to observe administration from outside. That is Auditing Observer Divan (office). Then this observing organization expanded as the administration job expanded in all fields.

After 2003, Iraq witnessed development in administration job, and administrative and fiscal corruption spreaded widely and noticeably. So Iraqi legislator confronted that phenomenon by legislating three laws by which three observational organizations were founded; Financial Observation Divan (office), Integrity Commission and General Inspector Bureau.

All of the above organizations worked together to fight the administrative and fiscal corruption, beside the self-observation which the managing office practices to observe its various activities. It is worth saying that those observing organizations did their jobs in a way that their jobs interlocked and resulted in retreating the level of observation. On other hand the managing offices suffered from the interfering of such organization. That gave the chance to the corrupters to practice demonstrative and fiscal corruption. The corrupters made use of busyness of those organizations in settling their observation disputes.

Thus, the necessity for one united active observation organization rises. Such organization should be specialized in observation and having authority to practice its job independently away from the political and parties sharing. Meanwhile officials of that organization should be well-experienced, honest, well-qualified and specialized in observation.

Furthermore, this observation staff should use a special form for complaints including the party which has already submitted the complaint and the procedures adopted to prevent repeating the complaint to more than one office. Another necessary need is to unite the cadre who send the claim to administrative investigation to prevent many investigations about one subject.

المقدمة

أولاً / موضوع البحث:

نظراً لشيوع ظاهرة الفساد الإداري والمالي في البلد والتي كانت نتيجة أسباب عدة، منها عدم خضوع السلطات السياسية والإدارية لقوانين وتعليمات واضحة ومعلنة تمكن من الرقابة عليها، أو بسبب جهل المواطن بهذه القوانين والتعليمات، أو بسبب هيمنة الجهات الإدارية على الرقابة الداخلة ضمن تشكيلاتها أو التدخلات السياسية في شؤون الرقابة وكذلك عدم وجود الرجل المناسب في مكانه المناسب، الأمر الذي أدى إلى التفات المشرع العراقي إلى تدارك هذه الظاهرة والحد من اثارها وتحجيمها قدر المستطاع، وذلك عن طريق انشاء أجهزة رقابية متخصصة ومستقلة.

وقد أوجد المشرع العراقي أجهزة رقابية متخصصة اختصاصاً دقيقاً بالرقابة على أعمال الإدارة ومكافحة الفساد الإداري بأشكاله كافة و هذه الأجهزة مستقلة عن الإدارة وتمثل في (ديوان الرقابة المالية الاتحادي وهيئة النزاهة)، ويتمشى استحداث الأجهزة المستقلة في عمل الرقابة مع النتائج المترتبة على اتساع تدخل الدولة في نشاط الأفراد تحت شعار الحفاظ على المال العام والمصلحة العامة، والتي تشكل غاية العمل الإداري والذي يتحدد بموجبه مشروعية العمل الإداري من عدمه^(٢)، كما اوجد اجهزة اخرى غير مستقلة استقلالاً تاماً عن الادارة كما في جهاز مكتب المفتش العام.

كما وأن اتجاه الدول هو الأخذ بالأسلوب الرقابي الذي يمارس من قبل أجهزة مستقلة خارج التنظيم الإداري وتمارس عملها بجانب الرقابة الإدارية في داخل الأجهزة الإدارية، وسبب هذا الاتجاه هو ان الرقابة الأخيرة محدودة الجدوى^(٣)، وذلك كون الرقابة الداخلية على أعمال الإدارة تكون عرضة لتأثيرات الرئيس الإداري عليها سواء أكانت بصورة مباشرة، كالتدخل بآلية عملها و التدخل بإعفاء مسؤول الجهاز الرقابي، أم بصورة غير مباشرة كتحديد الموازنة المالية لهذه الأجهزة.

وقد تم إنشاء جهاز رقابي مستقل في العراق وهو هيئة النزاهة بالإضافة الى وجود ديوان الرقابة المالية الاتحادي المستقل.

وقد كشف لنا الواقع العملي عن وجود نوعين من تنازع الاختصاص في عمل الأجهزة الرقابية المختصة على أعمال الإدارة في العراق، وهو التنازع الايجابي والتنازع السلبي.

٢- د. مازن راضي ليلو، القضاء الإداري، ط٢، مطبعة جامعة دهوك، ٢٠١٠، ص ٥٥.

٣- د. إبراهيم عبد العزيز شيحا، اصول الإدارة العامة، منشأة المعارف، الاسكندرية، ٢٠٠٤، ص ٤٤٣.

ثانياً / أهمية الموضوع:

مع تطور عمل الإدارة، واتساع نشاطها، أصبحت الحاجة ماسة إلى وجود رقابة فاعلة على عمل هذه الإدارة تتميز بال تخصص، والكفاءة والنزاهة، وتتجلى أهمية الموضوع في التطورات التي لامست عمل الإدارة وفي أهمية الأجهزة الرقابية ودورها في معالجة أخطر آفة تواجهها الدول المعاصرة وهي آفة الفساد الإداري، وفي أهمية معالجة الآثار المترتبة على عمل هذه الأجهزة.

ثالثاً / مشكلة البحث:

منحت القوانين النافذة في العراق صلاحية مكافحة الفساد الإداري والمالي وسلطة ممارسة الرقابة على أعمال الإدارة الى أكثر من جهة رقابية، كما منحت هذه الجهات سلطات ومهام متشابهة، الامر الذي يؤدي الى حصول تداخل وتراحم في الاختصاصات الممنوحة لهم، مما يترتب عليه ارباك عمل هذه الأجهزة الرقابية، والمؤسسات التي تراقبها، والهدر في الاموال المترتبة على الانفاق عليها، ومن هنا تبرز الحاجة الى الاجابة عن تساؤلات عدة في هذا السياق منها كيف يحصل التنازع في اختصاصات الأجهزة الرقابية؟ وماهي الآثار المترتبة على ذلك؟ وكيف يتم معالجة هذا التنازع؟.

رابعاً / منهجية ونطاق البحث:

سوف نعتمد في بحثنا ل (تنازع الاختصاص بين الأجهزة الرقابية على أعمال الإدارة في العراق دراسة مقارنة) على منهج التحليل المقارن والذي نحلل بموجبه واقع الأجهزة الرقابية في العراق ومجالات التنازع بالمقارنة مع الأجهزة الرقابية في مصر ولبنان مع الاشارة الى بعض الدول وتحديد نقاط التوافق والاختلاف، ونقاط القوة والضعف، وبيان مواطن الخلل واقتراح الحل المناسب لها.

خامساً / خطة البحث:

بناءً على ما تقدم سوف نقسم الموضوع الى مقدمة ومبحثين وكالآتي:

المبحث الاول: نتناول فيه صور تنازع الاختصاص وسوف نقسمه الى مطلبين نبحت في المطلب الاول: تنازع الاختصاص الايجابي وفي المطلب الثاني: تنازع الاختصاص السلبي.

المبحث الثاني: الآثار المترتبة على تنازع الاختصاص بين الأجهزة الرقابية نقسمه الى مطلبين نبحت في المطلب الاول: الآثار القانونية لتنازع الاختصاص وفي المطلب الثاني: الآثار الاخرى لتنازع الاختصاص.

المبحث الأول: صور تنازع الاختصاص

يأخذ تنازع الاختصاص في عمل مؤسسات الدولة بصورة عامة وعمل المؤسسات الرقابية بصورة خاصة، احدى صورتين وهما: (التنازع الايجابي والتنازع السلبي)، ويتحقق التنازع الايجابي بأن يصدر العمل أو القرار الإداري من الجهة أو العضو في اختصاص لم يستند إلى نص في القانون، وقد يتخذ عدم الاختصاص الشكل السلبي، من خلال امتناع جهة إدارية أو عضو إداري عن اتخاذ قرار إداري معين اعتقاداً منها أنه لا يدخل في نطاق اختصاصها، في حين أنها تكون مختصة به في حقيقة الأمر^(٤).

وقد شهدت مؤسسات الدولة بصورة عامة تنازع في السلطات، وتفشي ظاهرة التجاوز على الصلاحيات^(٥)، ولم يستثن هذا التنازع في الاختصاص الجهات الرقابية، إذ اصاب عمل هيئة النزاهة ازدواجاً في الاختصاصات، وتجاوزاً في السلطات، وقامت هذه الهيئة بإجراء التحقيق في العديد من القضايا والاختصاصات التي تدخل من ضمن اختصاص مكاتب المفتشين العموميين متجاوزةً على اختصاصات هذه المكاتب، وهذا ما بينته الهيئة ذاتها في تقريرها السنوي لعام ٢٠١٣^(٦).

ومما تقدم يتضح لنا أنه كلما تعددت السياسات والمؤسسات التي تتولى ادارة قطاع ما، كلما زاد التقاطع والتنازع في الصلاحيات، وعدم تحديد المسؤوليات وزيادة الاستغلال للوظيفة أو المؤسسة في البلد^(٧)، وبالتالي تستفحل ظاهرة الفساد الإداري، وتصبح سهولة الانتشار في المجتمع وفي هذه المؤسسات، مع عدم القدرة أو صعوبة السيطرة عليها.

وبناءً على ما تقدم سنقسم هذا المبحث على مطلبين، نبين في المطلب الأول، التنازع الإيجابي ونبحث التنازع السلبي في المطلب الثاني ووفقاً للآتي:

المطلب الأول: تنازع الاختصاص الإيجابي

الأصل هو أن يصدر القرار الإداري أو أي عمل إداري ممن يملك الاختصاص بإصداره قانوناً، وإن لا يقع عدم الاختصاص من حيث الموضوع، إذ أن صدور القرار ممن لا يملك سلطة إصداره في مسألة معينة تدخل في اختصاصات هيئة أو عضو آخر، فإن هذا النوع من عدم الاختصاص يمثل اعتداءً من هيئة إدارية على اختصاص هيئة أخرى، أو من عضو على اختصاص عضو آخر، وبذلك يتعين على كل سلطة أو هيئة أن تحترم اختصاص الهيئات الأخرى^(٨).

ويتحقق التنازع الإيجابي أو عدم الاختصاص الإيجابي عند صدور القرار من سلطة إدارية غير مخولة قانوناً صلاحية إصداره، وقد يصدر هذا القرار بشكل صريح أو ضمني، إذ أن القرار الصريح يعد صادراً من الجهة الموقعة عليه، وقد يحصل أن يشتمل القرار على عدة توقيعات فيكون صادراً من الجهة المختصة إذا كانت إحدى التوقيعات عائدة لتلك الجهة، ويعدّ القرار الضمني صادراً من السلطة الإدارية الموجه إليها الطلب الرامي إلى إصدار هذا القرار^(٩).

وقد يكون التنازع في الاختصاص بين المؤسسات والهيئات المتساوية في المستوى أو المراكز الوظيفية والتي تملك الاختصاصات الإدارية ذاتها، فمنصب رئيس ديوان الرقابة المالي في العراق يوازي منصب رئيس

٥- الاستراتيجية الوطنية لمكافحة الفساد للسنوات ٢٠١٠ - ٢٠١٤، ص ١٦، وقد تم اعداد هذه الاستراتيجية من قبل المجلس المشترك لمكافحة الفساد في العراق.

٦- التقرير السنوي لهيئة النزاهة، لعام ٢٠١٣، ص ١٥.

٧- المركز اللبناني للدراسات، نظام النزاهة العربي في مواجهة الفساد، صادر عن منظمة الشفافية الدولية، ٢٠٠٩، ص ٤٠.

٨- د. عبد الغني بسيوني، القانون الإداري، منشأة المعارف، الاسكندرية، ٢٠٠٥، ص ٤٧٨.

٩- د. ادوار عيد، القضاء الإداري، الجزء الثاني، مطبعة البيان، بيروت، ١٩٧٥، ص ٧٦.

تنازع الاختصاص بين الأجهزة الرقابية في العراق على أعمال الإدارة في العراق هيئة النزاهة، إذ أن كلا المنصبين بدرجة وزير^(١٠)، وبذلك فإن أي تجاوز من سلطة على اختصاصات السلطة الاخرى من الهيئات في أعلاه يعد تجاوزاً لاختصاصها الذي يكون مصيره البطالان.

وقد تتداخل الاختصاصات بين ديوان الرقابة المالية الاتحادي وهيئة النزاهة ومكاتب المفتشين العموميين بصورة مجمعة، أو قد يكون التنازع بين جهازين من بين هذه الأجهزة الرقابية، ويمكن ادراج بعض الحالات التي يتم فيها التداخل بالاختصاصات وعلى وفق الآتي:

أولاً: تلقي الاخبار والشكاوى:

منحت القوانين التي نظمت عمل الأجهزة الرقابية في العراق صلاحية تلقي الإخبارات والشكاوى الواردة إليها بأنواعها كافة والمتعلقة بالمخالفات التي تقع ضمن دوائر الدولة بصورة عامة، ومنحها القانون سلطة اتخاذ الإجراءات اللازمة في هذه الشكاوى، ولم تبين قوانين هذه الأجهزة طبيعة هذه الشكاوى والإخبارات، وهل هي من اختصاص الجهة المعنية الواردة إليها أم أنها من اختصاص جهة أخرى، كما لم تبين قوانين الأجهزة الرقابية ما هو الإجراء المتخذ إذا قدم الإخبار أو الشكاوى إلى أكثر من جهة رقابية في الوقت ذاته؟، ومن هي الجهة المختصة في اجراء التحقيق إذا تحققت هذه الحالة؟، ولم نجد نصاً قانونياً أو الية عمل للإجابة عن هذه الاسئلة، الأمر الذي يحتاج إلى تدخل تشريعي لحصر هذه الشكاوى والإخبارات بجهة معينة ومختصة.

وقد أفرز لنا الواقع العملي قيام صاحب الشكاوى بتقديم شكواه إلى كل هذه الأجهزة الرقابية أو عدد منها أو تقديمه الشكاوى لجهة غير مختصة ظناً منه أنه سوف يحصل على مبتغاه بأسرع وقت، أو لعدم ثقته ببعض هذه الأجهزة، الأمر الذي يسبب الارباك في عمل الأجهزة الرقابية وهدر الوقت والجهد من جانب، واربك عمل الادارات الخاضعة للرقابة من جانب اخر.

وفي مصر لم يشر قانون الجهاز المركزي للمحاسبات إلى اختصاص هذا الجهاز في تلقي الإخبارات والشكاوى، بالرغم من ان طبيعة عمل هذا الجهاز تقتضي قيامه باتخاذ الإجراءات اللازمة في ما يخص الإخبارات والشكاوى الخاصة بالمخالفات المالية، وقد نص قانون هيئة الرقابة الإدارية رقم (٥٤) لسنة ١٩٦٤ (المعدل) على اختصاص الهيئة بتلقي الشكاوى الخاصة بمخالفة القوانين أو الإهمال في واجبات الوظيفة أو الخدمات^(١١).

وأما في لبنان فلم ينص قانون ديوان المحاسبة رقم (٨٢ لسنة ١٩٨٣) المعدل ولا قانون التفتيش المركزي رقم (١١٥ لسنة ١٩٥٩ المعدل) على صلاحية تلقي الإخبارات والشكاوى، إلا أن طبيعة عمل هذه الأجهزة الرقابية تفرض قيامها باتخاذ الإجراءات المناسبة فيما يتعلق بالإخبارات والشكاوى التي ترد إليهم والخاصة بالمخالفات المالية والإدارية.

١٠- تنظر المادة (٢٢ / ثانياً) من قانون ديوان الرقابة المالية الاتحادي في العراق رقم (٣١ لسنة ٢٠١١ المعدل) والمادة (٤ / ثالثاً) من قانون هيئة النزاهة العراقي رقم (٣٠ لسنة ٢٠١١).

١١- تنظر المادة (٢ / د) من قانون اعادة تنظيم هيئة الرقابة الإدارية المصرية رقم (٥٤) لسنة ١٩٦٤ المعدل.

وبذلك تشترك الأجهزة الرقابية في كل من مصر ولبنان بمسألة غياب النص في قوانينها بصلاحيات تلقي الشكاوى والإخبارات خلافاً لقوانين الأجهزة الرقابية في العراق التي نصت على صلاحية هذه الأجهزة بتلقي الإخبارات والشكاوى.

ثانياً: صلاحية التدقيق والتفتيش:

لقد منح قانون ديوان الرقابة المالية الاتحادي في العراق صلاحية تدقيق وتفتيش حسابات ونشاطات الجهات الخاضعة لرقابته والتحقق من سلامة التصرف في الاموال العامة، وفاعلية تطبيق القوانين والأنظمة والتعليمات^(١٢).

وللديوان في سبيل ذلك طلب الأوليات اللازمة وإعداد فرق تفتيش وتدقيق وسواء كان هذا التدقيق إداري أو مالي.

ولهيئة النزاهة القيام بأي عمل يسهم في مكافحة الفساد والوقاية منه^(١٣)، وتلتزم دوائر الدولة كافة بتزويد الهيئة بما تطلبه من وثائق وأوليات ومعلومات تتعلق بالقضية المراد التحري منها^(١٤)، ومن منطوق منح هذه الصلاحية يستدل ان لهذه الهيئة سلطة التدقيق والتفتيش على كافة دوائر الدولة.

وكذلك لمكتب المفتش العام في كل وزارة أو جهة غير مرتبطة بوزارة صلاحية اخضاع اداء الوزارات ودوائر الدولة لإجراءات المراجعة والتدقيق والتقييم والتفتيش وأي نشاط آخر لمراجعة الأداء^(١٥).

وبإمكان موظفي المكتب، الوصول دون قيود إلى جميع مكاتب الوزارة الخاضعة لرقابتهم، ولهم حق الاطلاع على كافة السجلات وبيانات المعلومات والتقارير والخطط والتوقيعات والأوامر والعقود والمذكرات والمراسلات الاخرى بما في ذلك المراسلات الالكترونية^(١٦).

وبذلك من الممكن أن يحصل تنازع أو تزامن في الاختصاصات عن طريق اجراء التدقيق أو التفتيش على اية دائرة من دوائر الدولة من قبل هذه الأجهزة الرقابية، إذ تقوم كل هذه الأجهزة الرقابية أو عدد منها بطلب ذات الأولويات المراد تدقيقها، مما يكلف الإدارة موضوع الرقابة تكاليف اضافية في تصوير الأولويات المطلوبة من قبل الأجهزة الرقابية، وبذل الجهد والوقت والنفقات الاضافية، والضغط على الموظفين في الإدارة لغرض تزويدهم بهذه الأولويات، كون عدم تزويدهم بما تعد مخالفة تحاسب عليها قوانين هذه الأجهزة^(١٧)، ناهيك عن التنازع الحاصل إذا تم طلب النسخة الاصلية لذات الموضوع من قبلهم.

١٢- تنظر المادة (٦ / أولاً) من قانون ديوان الرقابة المالية الاتحادي في العراق رقم (٣١) لسنة ٢٠١١ المعدل.

١٣- تنظر المادة (٥ / سابعاً) من قانون هيئة النزاهة العراقي رقم (٣٠) لسنة ٢٠١١.

١٤- ينظر المواد (٥ / سابعاً، ١٥ / أولاً) من قانون هيئة النزاهة العراقي رقم (٣٠) لسنة ٢٠١١.

١٥- ينظر القسم الأول من قانون المفتشين العموميين العراقي الصادر بموجب أمر سلطة الائتلاف المؤقتة رقم (٥٧) لسنة ٢٠٠٤ المعدل.

١٦- ينظر القسم (السادس / ١) من قانون المفتشين العموميين العراقي الصادر بموجب أمر سلطة الائتلاف المؤقتة رقم (٥٧) لسنة ٢٠٠٤ المعدل.

١٧- ينظر المادة (٢ / ثالثاً/رابعاً) من قانون ديوان الرقابة المالي العراقي رقم (٣١) لسنة ٢٠١١ المعدل والمادة (٧) من قانون

اعادة تنظيم الرقابة الإدارية المصرية، رقم (٥٤) لسنة ١٩٦٤ المعدل.

وفي مصر يمارس الجهاز المركزي للمحاسبات مهمة التفتيش والتدقيق الإداري والمالي على دوائر ومؤسسات الدولة^(١٨).

وكذلك منح قانون إعادة تنظيم هيئة الرقابة الإدارية المصرية رقم (٥٤) لسنة ١٩٦٤ المعدل، هذه الهيئة اجراء التفتيش والتدقيق سواء على مستوى المخالفات المالية أو الإدارية^(١٩)، وهذا ما يدعو الجهازين اعلاه إلى التصادم و التزاحم في اختصاصات التدقيق والتفتيش وعلى النحو الذي تم بيانه في الأجهزة الرقابية في العراق.

وأما في لبنان فيتركز تدقيق ديوان المحاسبة على الأمور المالية، من خلال رقابته السابقة واللاحقة، إذ أن ديوان المحاسبة ينظم تقاريره السنوية على النتائج المالية وبذلك نصت المادة (٤٧) من قانون ديوان المحاسبة رقم (٨٢) لسنة ١٩٨٣ المعدل على أنه (ينظم الديوان في نهاية كل سنة تقريراً عن نتائج رقابته والاصلاحات التي تقترح ادخالها على مختلف القوانين والأنظمة التي يؤدي تطبيقها إلى نتائج مالية).

ويختص جهاز التفتيش المركزي في لبنان بالتفتيش والتدقيق الإداري والمالي على المؤسسات العامة، وتصدر الأوامر الخاصة بتكليف الموظفين في التفتيش، اما عن رئيس ادارة التفتيش المركزي في جميع الاحوال، أو عن رئيس الديوان أو المدعي العام لدى الديوان إذا كان الأمر يتعلق بالتفتيش المالي^(٢٠)، وهذا الاجراء يقلل من التزاحم بالاختصاصات بين هذين الجهازين الرقائيين، ففي هذا الاجراء نرى ان لبنان تقدمت خطوة على كل من العراق ومصر في إصدار أوامر التكليف للمفتشين، إذا كان يتعلق هذا التفتيش بالأمور الإدارية، أو المالية وكل جهاز حسب اختصاصه.

ثالثاً: سلطة التحقيق والإحالة إليه:

يعد التحقيق أحد الإجراءات المهمة والجوهرية التي يتعين على الجهة المختصة أن تتخذها قبل أن توقع أي نوع من أنواع الجزاءات على الموظف العام^(٢١).

وتختلف سلطة الاحالة إلى التحقيق من دولة إلى أخرى حسب نظام الدولة المتبع، ففي العراق يأمر بالإحالة إلى التحقيق الرئيس الإداري سواء كان الوزير أو رئيس الدائرة، ويجري التحقيق الاداري عن طريق لجنة مكونة من ثلاثة اعضاء على أن يكون أحدهم حاصلاً على شهادة جامعية في القانون^(٢٢).

أما التحقيق الجنائي فيلزم أن يصدر به أمر قضائي، أو واري إذا كان القائم بالتحقيق من منتسبي هيئة النزاهة، وعمل هذا المحقق في الأساس هو إجراء التحقيق الجنائي، ويكون حامل لشهادة محددة ذات صلة بالقانون ويعمل تحت إشراف ومتابعة القضاء^(٢٣).

وكذلك للأجهزة الرقابية في العراق سلطة اجراء التحقيق بنفسها أو إحالته إلى الجهات المختصة لإجرائه، حسب الصلاحيات المخولة إليها، وحسب جسامة المخالفة المرتكبة.

١٨- ينظر المادة (٥) من قانون الجهاز المركزي للمحاسبات المصري رقم (١٤٤) لسنة ١٩٨٨ المعدل.

١٩- تنظر المادة (٢) من قانون إعادة تنظيم الرقابة الإدارية المصرية، رقم (٥٤) لسنة ١٩٦٤ المعدل.

٢٠- ينظر المادة (١٢ / ١ / ٢ / ٦) من قانون التفتيش المركزي اللبناني، رقم (١١٥) لسنة ١٩٥٩ المعدل.

٢١- كوثر حازم سلطان، امتيازات الموظف العام واثرها في زيادة فاعلية الإدارة - دراسة مقارنة-، رسالة ماجستير، كلية القانون، جامعة بغداد، ٢٠٠٠، ص ١٣٩.

٢٢- تنظر المادة (١٠ / أولاً) من قانون انضباط موظفي الدولة والقطاع العام رقم (١٤) لسنة ١٩٩١ المعدل.

٢٣- سالم رضوان الموسوي، دور القانون و القضاء في مكافحة الفساد، ط٢، مكتبة صباح، بغداد، ٢٠١١، ص ٢١٣.

إذ يملك ديوان الرقابة المالية الاتحادي صلاحية إحالة المخالفات إلى التحقيق، فعند اكتشافه المخالفة يطلب من مكتب المفتش العام أو هيئة النزاهة اجراء التحقيق، وهذه الاحالة جوازية وليست وجوبية، إذ نصت المادة (١٤) من قانون ديوان الرقابة المالية الاتحادية على أن (للدويان عند اكتشاف مخالفة ان يطلب من المفتش العام أو هيئة النزاهة اجراء التحقيق.....)، ومن منطوق هذه المادة نرى ان القانون جعل للدويان الخيار في الاحالة للتحقيق أو عدم الاحالة، وهنا نرى انه كان الاجدر بالمشرع العراقي ان يلزم ديوان الرقابة المالية الاتحادي بإحالة التحقيق إلى الجهات المختصة أو اجراء التحقيق بنفسه، لا ان يترك امر الاحالة مرهوناً بإرادة الديوان، وكذلك لرئيس الديوان أن يطلب من الوزير أو رئيس الجهة الخاضعة لرقابته إحالة الموظف المسؤول عن المخالفة إلى التحقيق^(٢٤)، هذا ويلتزم ديوان الرقابة المالية ان يودع جميع الادلة عن أعمال الغش والتبذير وإساءة التصرف إلى المفتش العام المختص ليتولى الأخير اتخاذ الإجراءات المناسبة^(٢٥).

ونجد أن القانون تارة يخير ديوان الرقابة المالية الاتحادي بإحالة المخالفات المكتشفة على مكتب المفتش العام وهيئة النزاهة، أو يطلب رئيس الديوان من الوزير إحالة الموظف المخالف إلى التحقيق، ويلزم الديوان بإيداع جميع الأدلة المتعلقة بأعمال الغش والتبذير وإساءة التصرف لدى المفتش العام تارةً أخرى، إذ أن هذا التعدد في الاحالة إلى التحقيق امر يتعارض وتوزيع الاختصاصات بصورة دقيقة وواضحة، ويؤثر سلباً على عمل الادارات من جانب، وعمل الأجهزة الرقابية من جانب آخر، والسبب في ذلك يعود إلى كثرة الجهات التي تملك صلاحية التحقيق أو الاحالة اليه، لا بل ان الجهة الواحدة تخير بالإحالة إلى التحقيق إلى أكثر من جهة مختصة.

ولهيئة النزاهة ايضاً التحقيق في قضايا الفساد^(٢٦)، ولها كذلك أن تطلب من جهات اخرى اجراء التحقيق كمكتب المفتش العام^(٢٧)، وكذلك لمكتب المفتش العام صلاحية الاحالة إلى التحقيق على سلطات التحقيق المناسبة، هذا بالإضافة إلى اختصاصه الاصيل بأجراء التحقيق في المخالفات المكتشفة من قبله أو المحالة اليه من جهات اخرى^(٢٨).

وفي مصر فإن سلطة التحقيق والإحالة إليه تكون من قبل جهتين:

الأولى (الجهة الإدارية) والتي تتمثل بالوزير المختص، إذ له أن يحيل إلى التحقيق كل موظف تم تعيينه بمرسوم جمهوري أو من هم بدرجة مدير عام، اما من هم اقل درجة من هؤلاء الموظفين فأن وكيل الوزير أو رئيس المصلحة بحسب الاحوال هو الذي يتولى إحالتهم إلى التحقيق الإداري^(٢٩).

٢٤- تنظر المواد (١٤، ١٥ / أولاً) من قانون ديوان الرقابة المالية الاتحادي في العراق، رقم (٣١) لسنة ٢٠١١ المعدل.

٢٥- تنظر المادة (٢١ / ثالثاً / رابعاً) من قانون هيئة النزاهة العراقي، رقم (٣٠) لسنة ٢٠١١.

٢٦- تنظر المادة (٣ / أولاً) من قانون هيئة النزاهة العراقي، رقم (٣٠) لسنة ٢٠١١.

٢٧- التقرير السنوي لمكتب المفتش العام في وزارة التربية لعام ٢٠١٢، ص ١٧٥.

٢٨- ينظر القسم (الخامس / ٢، ٤) من قانون المفتشين العموميين العراقي الصادر بموجب أمر سلطة الائتلاف المؤقتة رقم

(٥٧) لسنة ٢٠٠٤ المعدل.

٢٩- احمد محمود الربيعي، التحقيق الإداري في الوظيفة العامة، رسالة ماجستير، كلية القانون، جامعة الموصل، ٢٠٠٣، ص ٣٦.

والثانية هي (النيابة الإدارية)، إذ لها صلاحية التحقيق في المخالفات التي ترفع إليها من رئيس الرقابة الإدارية أو نائبه^(٣٠)، وكذلك تقوم بمهمة التحقيق في المخالفات التي ترد إليها عن طريق الشكاوى من الافراد أو الهيئات^(٣١).

وعلى الرغم من وجود جهتين فقط تقوم بإجراء التحقيق في مصر خلافاً لما هو عليه الحال في العراق الذي يكون فيه التحقيق والاحالة إلية من عدة جهات، وذات صلاحيات اختيارية والزامية كما تم توضيحه سابقاً، إلا أن هناك من يرى أن ممارسة النيابة الإدارية لأعمال التحقيق فيه نوع من الازدواج في توزيع الاختصاصات، كما ان في ذلك اضعافاً لسلطة الرئيس الإداري على رؤوسيه، كون المدير هو المسؤول عن نجاح إدارته ويجب أن يتمتع بقدر من السلطة يعادل ما يتحمله من المسؤولية، ويرى هذا الرأي أن منح النيابة الإدارية الاختصاص الاصيل في التحقيق يعد اعتداءً واضحاً على سلطات الرئيس الإداري في مجال التحقيق^(٣٢).

وأما في لبنان فيحال الموظف المخالف إلى مجلس التأديب^(٣٣) عن طريق الجهات الآتية:

١. السلطة التي لها حق التعيين.

٢. هيئة التفتيش المركزي^(٣٤).

٣. ديوان المحاسبة أو المدعي العام لدى الديوان وذلك عن طريق تكليف هيئة التفتيش المركزي

بأجراء التحقيق وفق ما تقتضيه المصلحة العامة^(٣٥)، وكذلك للمدعي العام في الديوان ان

يجري التحقيق بنفسه في موضوع المخالفة^(٣٦).

وإذا شكل فعل الموظف المخالف للقانون جريمة فيتم إحالته إلى القضاء^(٣٧).

ونستنتج مما تقدم أنه كلما ازدادت اعداد الأجهزة الرقابية، ومنحت صلاحيات التحقيق والاحالة اليه، بدون أن يكون هناك تنظيم في الاحالة وتنسيق مسبق في إجراء التحقيق، فإن كل ذلك سيؤدي إلى ازدواج وتنازع في الاختصاص ما بين هذه الأجهزة الرقابية، أو كما يرى جانب من الفقه أن يحصل (تزامح في الاختصاصات الرقابية)^(٣٨)، مما يؤدي إلى هدر الجهود والموارد وزيادة النفقات وضغط مضاف على كاهل المؤسسة موضوعة المراقبة.

٣٠- تنظر المادة (٨) من قانون اعادة تنظيم الرقابة الإدارية المصرية، رقم (٥٤) لسنة ١٩٦٤ المعدل.

٣١- تنظر المادة (٢) من قانون النيابة الإدارية والمحاكمات التأديبية في مصر رقم (١١٧) لسنة ١٩٥٨ المعدل.

٣٢- د. ماجد راغب الحلو، القضاء الإداري، الدار الجامعية، بدون مكان نشر، ١٩٨٨، ص ١٧٩.

٣٣- يسمى المجلس التحقيقي في لبنان (مجلس تأديب).

٣٤- تنظر المادة (٥٨ / ١) من نظام الموظفين اللبناني الصادر بموجب المرسوم الاشتراعي رقم (١١٢) في ١٢/٦/١٩٥٩ المعدل.

٣٥- تنظر المادة (٢٨) من قانون ديوان المحاسبة اللبناني رقم (٨٢) لسنة ١٩٨٣ المعدل.

٣٦- تنظر المادة (١/٦٨) من قانون ديوان المحاسبة اللبناني رقم (٨٢) لسنة ١٩٨٣ المعدل.

٣٧- تنظر المادة (١/ ٦١) من المرسوم الاشتراعي رقم (١١٢) لسنة ١٩٥٩ المعدل الخاص بأنشاء جهاز التفتيش المركزي اللبناني.

٣٨- بلال أمين زين الدين، اعادة هيكلة الجهاز الاداري للدولة في اطار الواقع الدولي المعاصر دراسة قانونية اجتماعية، ط ١، دار الفكر الجامعي، القاهرة، ٢٠١٣، ص ٤٠٤.

المطلب الثاني: التنازع السلبي

يتحقق التنازع السلبي عندما يرفض كل من المرجعين اختصاصه للنظر في القضية الواحدة معتبراً أنها خارجاً عن صلاحيته^(٣٩).

وكذلك يتحقق هذا التنازع عندما تتذرع سلطة إدارية خطأ بعدم اختصاصها لرفض اتخاذ قرار معين وهي تملك الصفة القانونية لاتخاذها، أو عندما تعتبر السلطة المختصة خطأ أنها مقيدة بمجرد رأي استشاري غير ملزم لها قانوناً، كأن يكون هذا الرأي صادراً من منظمة رأيها غير ملزم، إلا أنه يدخل في عمل المؤسسة المعنية، كالآراء التي تصدر من النقابات على سبيل المثال^(٤٠).

ومن صور التنازع السلبي تخلي الجهاز الرقابي عن القضايا أو الإخبارات الواردة إليه، كونه ليس الجهاز المختص بالنظر فيها، فقد تم العثور على (٥٢٠٠٠) اثنين وخمسين ألف اخبار محفوظ في هيئة النزاهة دون اتخاذ اجراء مناسب فيها، وكذلك عدم الاهتمام بالقضايا المهمة التي فيها هدراً كبيراً في المال العام^(٤١).

و قد يتخلى كل جهاز رقابي عن الأعمال الموكلة إليه من تدقيق و تفتيش على اعتبار أن هناك جهازاً آخر يقوم بهذه المهمة، فقد بين تقرير ديوان الرقابة المالية لعام ٢٠١٣ ان مكتب المفتش العام في وزارة البيئة لم ينفذ من خطته التفتيشية سوى ١٠% من هذا العام^(٤٢)، وكذلك قلة الزيارات التفتيشية لمكتب المفتش العام في وزارة العدل لدائرة الاصلاح العراقية والسجون التابعة لها لذات العام^(٤٣)، إن ترك الجهات الرقابية للأعمال الموكلة إليها هو إحد الصور المهمة للتنازع السلبي فيما بين هذه الأجهزة الرقابية، والذي يلقي بآثاره السلبية على مصلحة المواطن فيضعف ثقته بهذه الأجهزة ويتعد عن التعاون مع العاملين فيها.

وفي التقرير السنوي الصادر عام ١٩٥٩ من هيئة التأديب العليا في لبنان، انتقد بموجبه عدم القيام بالمهام الرقابية والتأديبية من قبل الأجهزة الرقابية والمؤسسات العامة التي تمتلك سلطة الرقابة، وعدم إحالة الموظفين الذين يرتكبون مخالفات كبيرة إلى هيئة التأديب العليا ليمت اتخاذ الإجراءات المناسبة بحقهم، إذ لم تحال إلى الهيئة المذكورة سوى (٢١) قضية، رغم المخاطبات التي أجرتها الهيئة مع المؤسسات العامة والبلديات^(٤٤).

والملاحظ عدم وجود نص في قوانين الأجهزة الرقابية في العراق يبين الإجراءات أو الآلية المتبعة إذا رفض أحد هذه الأجهزة الرقابية القيام بأمر معين أحيل إليه من أي جهة سواء كانت هذه الجهة من منظمات المجتمع المدني أو من المؤسسات الحكومية، فهل يترك موضوع الاخبار أو الشكوى عن قضية فساد دون أن يتخذ بها إجراء من قبل الأجهزة الرقابية؟، إذ أن القوانين النافذة والمختصة بهذا الموضوع لم

٣٩- د. الياس ابو عيد، نظرية الاختصاص في أصول المحاكمات المدنية والجزائية، منشورات زين الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٥٨٨.

٤٠- د. ادوار عيد، القضاء الإداري، الجزء الثاني، مطبعة البيان، بيروت، ١٩٧٥، ص ٧٧.

٤١- التقرير السنوي لهيئة النزاهة في العراق لعام ٢٠١٣، ص ١٥.

٤٢- تقرير ديوان الرقابة المالية الاتحادية العراقي لعام ٢٠١٣، ص ٢١٧.

٤٣- تقرير ديوان الرقابة المالية الاتحادية، المصدر نفسه، ص ٤٤.

٤٤- د. طارق المجذوب، الإدارة العامة، ط ١، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٧٨٥.

تنص على وجود جهة معينة يمكن اللجوء إليها إذا رفضت شكوى أو اخبار قدم من مواطن، وتدرعت الأجهزة الرقابية بعدم اختصاصها بموضوع هذا الاخبار أو الشكوى.

في حين عالج مجلس الدولة الفرنسي بصورة عامة حالة التنازع السلبي في الطلبات المقدمة إلى جهات غير مختصة، سواء كان هذا التنازع على مستوى المؤسسات العامة أو على مستوى الأجهزة الرقابية فيها، إذ استقر قضاؤه على انه إذا قدم الطلب إلى جهة غير مختصة وكان لها دور في فحص الطلب، مثال ذلك تزويد الجهة صاحبة الاختصاص بالمعلومات اللازمة عن الطلب المقدم إليها، وامتنعت تلك الجهة عن القيام بدورها ولم تقم بإحالة الطلب إلى الجهة المختصة لغرض اتخاذ إجراءاتها فيه، فقد عدّ هذا الإجراء بمنزلة قرار إداري سلبي وبالإمكان أن يرفع ضده دعوى الإلغاء، أما إذا تم تقديم الطلب إلى جهة غير مختصة ولم يكن لهذه الجهة دور فيه فيتوجب على هذه الجهة أن ترفض قبول هذا الطلب تأسيساً على عدم الاختصاص، ولا يحق لها أن تحفظه دون ابلاغ مقدم الطلب، وإذا قدم الطلب إلى الجهة المختصة قانوناً وامتنعت عن اتخاذ الإجراء المناسب بشأنه فبعد امتناعها قراراً سلبياً قابلاً للإلغاء^(٤٥).

وفي قرار صادر عن المحكمة الاتحادية العليا في العراق قررت هذه المحكمة (.....) ولدى عطف النظر في الحكم المميز وجد انه غير صحيح ومخالف للقانون ذلك ان محكمة القضاء الإداري قضت برد دعوى المدعي من جهة الاختصاص..... بوصفها انها لا تختص بالقرارات الإدارية التي رسم القانون طريقاً للتظلم منها أو الاعتراض عليها أو الطعن بها دون ان تلاحظ ان المدعي يدعي في دعواه المرقمة ٢٠١٢/ق/٤٠٤٠ امتناع المدعي عليه اضافة إلى وظيفته من ترويج معاملته التقاعدية واكملها وفقاً للاستحقاق القانوني..... وبما ان القرار المطعون فيه قرار سلبي صادر عن المدعي عليه / اضافة لوظيفته يقضي بعدم ترويج معاملة المدعي التقاعدية وارسالها إلى دائرة التقاعد وفق السياقات المتبعة، فتكون محكمة القضاء الإداري هي المختصة بنظر الدعوى المقامة بعد توفر شروطها.....^(٤٦).

وبذلك يعدّ الامتناع عن القيام بالأعمال الموكلة للدائرة التي هي من اختصاصها القيام بها، قراراً سلبياً قابلاً للطعن فيه، وفق توجه المحكمة الاتحادية العليا في العراق.

ونرى أن تنازع الاختصاص السلبي بين الأجهزة الرقابية هو أخطر وأشد وطأة من التنازع الإيجابي، والسبب يكمن في أن عمل هذه الأجهزة هو مكافحة الفساد الإداري والمالي في البلد، وأن ترك أي قضية من قضايا الفساد من دون أن يتم التحقيق فيها من قبل هذه الأجهزة بذريعة عدم اختصاصها يؤدي إلى انتشار الفساد الإداري والمالي وانتهاك الأموال العامة من دون محاسبة، وذلك لعدم وجود آلية واضحة في قوانين الأجهزة الرقابية أو في أنظمتها الداخلية تضع حداً لهذا التنازع، ناهيك عن تعدد هذه الأجهزة وتداخل صلاحياتها وتعدد مهامها الأمر الذي يلقي بكاهله على أعمال هذه الأجهزة.

٤٥- د. خالد الزبيدي، القرار الإداري السلبي في الفقه والقضاء المقارن، بحث منشور في مجلة الحقوق الكويتية، جامعة الكويت، العدد ٣، السنة الثلاثون، ٢٠٠٦، ص ٣٥٠.

٤٦- قرار المحكمة الاتحادية العليا في العراق، المرقم (٩٧ / اتحادية / تمييز / ٢٠١٣) الصادر بتاريخ ٢٠١٣/٥/٦، والمنشور على الموقع الرسمي للمحكمة الاتحادية.

المبحث الثاني: الآثار المترتبة على تنازع الاختصاص بين الأجهزة الرقابية

يؤدي تنازع الاختصاص بين الأجهزة الرقابية إلى حصول آثار، تربك عمل الأجهزة الرقابية المتمثلة بـ (ديوان الرقابية المالية الاتحادية وهيئة النزاهة ومكتب المفتش العام)، وهذه الآثار سوف تؤدي إلى قصور هذه الأجهزة في أداء المهام الملقاة على عاتقها، وتجعل المفسدين في مأمن من الحساب والملاحقة القانونية، ومن جانب آخر فإن التنازع في الاختصاص يؤدي إلى قصور الإدارة والمؤسسات العامة في أداء النشاط الموكل إليها ويؤدي إلى اختلال المرافق العامة، والذي يلقي بظلاله على المال العام فيصبح من الصعوبة السيطرة عليه.

وتنقسم هذه الآثار إلى آثار قانونية تتمثل بإلغاء أو بطلان هذه القرارات الإدارية والأعمال القانونية للأجهزة الرقابية، وآثار أخرى متعددة، إذ تعاني مؤسسات الدولة المعنية بمراقبة أعمالها، من انعكاس هذا التنازع الحاصل بين الأجهزة الرقابية على أعمالها الإدارية والقانونية، مما يحصل تراجعاً في تقديم الخدمات إلى المواطنين من جانب، وعدم تلبية الحاجات التي يقدمها المرفق العام لغرضها المنشود من جانب آخر. وبناءً على ما تقدم سنقسم هذا المبحث على مطلبين نبحث الآثار القانونية لتنازع الاختصاص في المطلب الأول ونبين في المطلب الثاني الآثار الأخرى:

المطلب الأول: الآثار القانونية لتنازع الاختصاص

تنتج عن تنازع الاختصاص بين مؤسسات الدولة آثار قانونية تؤثر بصورة مباشرة على عملها. ومن أهم هذه الآثار إلغاء القرارات التي تصدر من هذه الجهات إذا كانت مخالفة لقواعد الاختصاص، ويميز الفقه بين نوعين من عيب الاختصاص، يتمثل النوع الأول بالعيب الجسيم، والذي يصل إلى درجة البطلان أو الانعدام ويسمى باغتصاب السلطة، أما النوع الثاني من عيب الاختصاص هو العيب البسيط، إذ يجعل عيب الاختصاص معيماً ويكون قابلاً للإلغاء إذا طعن به أمام القضاء الإداري^(٤٧).

وللمحاكم الإدارية في العراق والدول المقارنة عدة قرارات الغت بموجبها قرارات هيئات إدارية قامت بالتجاوز على اختصاصات هيئات أخرى مساوية لها، فقد اصدر مجلس شورى الدولة العراقي قراراً نص فيه (... وحيث ان اصول المعاملات الإدارية توجب بأن الوزير يخاطب من هو في مركزه... وتأسيساً على ما تقدم من اسباب قرر المجلس لا يجوز تحويل مدير الإدارة الانتخابية في المفوضية العليا المستقلة للانتخابات الموافقة على تنسيب الموظفين من دوائر الدولة والقطاع العام إلى المفوضية)^(٤٨).

وكذلك ألغت المحكمة الإدارية العليا في مصر قرار وزير الحربية، القاضي بترقية موظف تابع لوزارة أخرى، إذ جاء في حكمها بتاريخ ١٦/٦/١٩٥٦ (ان هذا القرار قد شابه عيب عدم الاختصاص، ومن ثم يكون باطلاً لفقدانه احد مقوماته، ويتعين من اجل ذلك القضاء بإلغائه)، وقد أخذ مجلس شورى الدولة اللبناني نفس الموقف في حكم له بخصوص تجاوز وزير المالية للصلاحيات المخولة له و الصادر

٤٧- د. نواف كنعان، القضاء الإداري، ط ١، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٩، ص ٢٥٠.

٤٨- القرار رقم (٥٥ / ٢٠١٣) الصادر بتاريخ ٣٠/٥/٢٠١٣، قرارات وفتاوى مجلس شورى الدولة لعام ٢٠١٣، ص ١٣٥.

بتاريخ ١٢/٤/١٩٦٢، إذ جاء فيه (ان وزير الخارجية والمغتربين قد وافق على ما جاء بمذكرة مدير المغتربين.... وحيث ان هذه الموافقة تلزم الدولة بالمبلغ الممنوح لها لأنها صادرة عن الوزير المختص، فلا صلاحية لوزير المالية بالإدلاء بما يخالف النتائج المترتبة على القرارات الالزامية التي تصدر عن الوزير المختص في كل ما يدخل ضمن اختصاصه)^(٤٩).

ويتبين لنا ان الأثر المترتب على القرارات الإدارية والأعمال القانونية والمادية التي تصدر من أي هيئة إدارية أو رقابية هو الالغاء، أو البطلان كل بحسب ظروفه وأحواله، وان بطلان العمل أو القرار الإداري يرتب عليه ازالة آثاره والنتائج المترتبة عليه وبالتالي تذهب الجهود والنفقات التي بذلت في سبيل انجازه في مهب الريح.

ومن الآثار القانونية المترتبة على تنازع الاختصاص هو التضارب في اصدار التوصيات والمقترحات من هذه الأجهزة إلى الإدارات موضوع الرقابة، فأن كل جهاز يصدر توصياته ومقترحاته على وفق ما يراه مناسباً، ووفق الرؤيا المعتمدة لديه في دعم المصلحة العامة، مما يحصل تشابك وتداخل في هذه التوصيات والمقترحات والتي قد تصدر مختلفة بين الجهاز والآخر، وهذا ما تم توضيحه في الاستبانات المعدة بهذا الخصوص^(٥٠)، إذ تم ملء (١٨) ثمان عشرة استبانة من أصل (١٠٠) مائة استبانة التي تم ملؤها من قبل موظفي ادارات الدولة، والتي أشارت إلى تعدد التوصيات والمقترحات وتضارب هذه التوصيات والمقترحات فيما بينها، بالإضافة إلى تضارب القرارات الصادرة على أساس هذه التوصيات و المقترحات. وكذلك تتأثر التشريعات الخاصة بمكافحة الفساد الإداري بالتنازع الحاصل بين الأجهزة الرقابية المختصة، إذ منح قانون هيئة النزاهة في العراق رقم (٣٠) لسنة ٢٠١١، لهذه الهيئة اعداد مشروعات القوانين ورفعها إلى السلطة التشريعية المختصة عن طريق رئيس الجمهورية أو رئيس الوزراء أو اللجنة البرلمانية المختصة بموضوع التشريع المقترح^(٥١)، وكذلك منح قانون ديوان الرقابة المالية الاتحادية رقم (٣١) لسنة ٢٠١١ المعدل لهذا الديوان دراسة القوانين والأنظمة والتعليمات، وابداء الرأي في مشروعات القوانين والأنظمة والتعليمات المعروضة على الديوان^(٥٢)، وكذلك للديوان دراسة التشريعات المالية والإدارية وتقديم المقترحات والتوصيات المناسبة بشأنها^(٥٣).

والسؤال الذي يطرح هنا هو إذا اعترض ديوان الرقابة المالية الاتحادية على مشروع قانون يتم تقديمه من قبل هيئة النزاهة فمن هي الجهة التي لها الأولوية في الرأي؟، ومن هي الجهة المختصة في ترجيح أو تغليب الرأي المناسب بين آراء هذه الجهات؟، ونرى ان في حالة وجود جهة واحدة تمارس الرقابة على

٤٩- وردت هذه القرارات في كتاب د. حسين عثمان، قانون القضاء الإداري، ط١، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت،

٢٠٠٦، ص٤٣٣.

٥٠- قام الباحث بإعداد هذا الاستبيان لدوائر الدولة في محافظة كربلاء المقدسة كل من (جامعة كربلاء، المديرية العامة لتربية كربلاء المقدسة، دائرة توزيع الكهرباء / فرع كربلاء، دائرة بلديات كربلاء، مديرية بلدية كربلاء، مديرية زراعة كربلاء، دائرة توزيع المنتجات النفطية / فرع كربلاء) لغرض الوقوف على الواقع العملي للآثار المترتبة على أعمال الأجهزة الرقابية وتقاطع اختصاصاتها.

٥١- تنظر المادة (٣ / رابعاً) من قانون هيئة النزاهة العراقي، رقم (٣٠) لسنة ٢٠١١.

٥٢- تنظر المادة (٢٥ / ثالثاً) من قانون ديوان الرقابة المالية الاتحادية في العراق، رقم (٣١) لسنة ٢٠١١ المعدل.

٥٣- تنظر المادة (٤ / أولاً / ج) من النظام الداخلي لديوان الرقابة المالية الاتحادية في العراق المرقم (١) لسنة ٢٠١٢.

أعمال الإدارة، لما حصل هذا التنازع وما حصلت هذه الآثار، وما أثّرت هذه التساؤلات التي تحتاج إلى تعديل تشريعي من أجل حسم الاجابة عليها.

ويختلف الأمر في كل من مصر و لبنان، إذ لم تنص قوانين الأجهزة الرقابية فيها، على صلاحيتها في اقتراح أو اعداد مشاريع القوانين، ولم تتضمن ايضاً بيان رأيها القانوني أو توصياتها ومقترحاتها في هذا الخصوص، وبذلك يستبعد ان تكون هناك آثار قانونية لاستبعاد تنازع الاختصاص في هذا المجال.

المطلب الثاني: الآثار الأخرى لتنازع الاختصاص

هناك آثار أخرى لتنازع الاختصاص فيما بين الأجهزة الرقابية تؤدي إلى انتشار ظاهرة الفساد الإداري والمالي، وذلك من خلال تنازع هذه الأجهزة فيما بينها تاركة المفسدين بدون حساب أو رقابة عليهم. وتتمثل الآثار الأخرى بالنقاط الآتية:

أولاً: هدر المال العام:

تقوم الأجهزة الرقابية باستنفاد جهود موظفيها، بالإضافة إلى صرف مبالغ مضاعفة خاصة بالعمل الرقابي وبالتالي قد تكون النتيجة ان هناك جهازاً رقابياً آخر قد سبقها في هذا الإجراء، مما يتسبب في هدر نفقات أحد الأجهزة على إجراءات رقابة موضوع معين وقد سبقه جهاز آخر في اتخاذ هذا الاجراء.

ثانياً: تأخر حسم القضايا المعروضة أمام الجهات الرقابية:

قد تتطلب بعض القضايا تشكيل لجان متخصصة وهذا التخصص قد يتوفر في جهاز رقابي دون الآخر، أو قد ينتظر الجهاز الرقابي حسم ذات القضية من قبل جهاز رقابي آخر ليقوم بدوره في تشكيل لجنة أخرى مما تطول الإجراءات وتطول معها فترة انجاز القضية، كما أن تنازع الاختصاص في العمل يؤدي إلى استغلال المنصب الوظيفي لغرض تأخر حسم هذه القضايا والذي يمثل احد عناصر الفساد الإداري^(٥٤).

وقد أشارت عينة من موظفي الدولة إلى هذا النوع من الآثار في الاستبانة المقدمة اليهم، إذ جاء في أحد هذه الاستبانات (يقوم أحد هذه الأجهزة بالتوصية لإحالة قضية معينة إلى المحاكم المختصة وجهاز آخر يوصي بغلق التحقيق لعدم كفاية الادلة فهذا يؤدي إلى تنازع الاختصاص)^(٥٥).

ثالثاً: عدم مصداقية تقارير الأجهزة الرقابية:

ومن بين آثار تنازع الاختصاص بين الأجهزة الرقابية تقديم هذه الأجهزة بيانات عن مكافحة الفساد بصورة خاطئة أو غير دقيقة وقد تكون مبالغاً فيها، والتي تعرض هذه البيانات على الجمهور أو الجهات المسؤولة عن الاشراف على أعمال هذه الأجهزة الرقابية، ومثال هذه الآثار هي عندما تحال قضية تتعلق بالفساد الإداري من جهاز رقابي على جهاز رقابي آخر أقل منه درجة، فعندما يحيل ديوان الرقابة المالية الاتحادي قضية فساد أو مخالفات مالية إلى مكتب المفتش العام لأجراء التحقيق الإداري بهذا

٥٤ - سالم روضان، مصدر سابق، ص ١٥١.

٥٥ - الاستبيان الذي اجريناه مع أحد الموظفين القانونيين في مديرية زراعة محافظة كربلاء المقدسة.

الخصوص^(٥٦)، أو عندما تحيل هيئة النزاهة اخباراً أو شكوى على مكتب المفتش العام لغرض قيام الأخير باتخاذ إجراءات التحقيق والتدقيق بهذا الخصوص، وقد تكون نتائج هذا التحقيق أو التدقيق إعادة مبالغ مالية إلى الدولة، أو إحالة اصحاب المناصب العليا إلى القضاء بتهم الفساد، فلن يحتسب هذا الانجاز؟، أمحسب إلى الجهة التي أحالت هذه القضية أو هذا الإخبار أم يحسب إلى الجهة التي اتخذت الإجراءات المناسبة بخصوصه وقامت بنفسها بإجراءات التدقيق والتحقيق؟.

إن الإجابة عن هذه التساؤلات هي حتمية، وذلك أن كل جهة من هذه الجهات سوف تحسب هذه الانجازات لها، وهذا ما يؤثر على مصداقية هذه الأجهزة وتكرار ذكر ذات القضية عند أكثر من جهاز، وبالتالي اضعاف الثقة بهذه الأجهزة الرقابية، مما يحل التصادم بينها كون كل جهاز رقابي سيحاول أن يظهر في مركز الصدارة من بين الأجهزة الرقابية ولو على حساب المصداقية في العمل.

رابعاً: الآثار الإدارية:

هناك آثار إدارية تنتج عن تزامم وتداخل الصلاحيات فيما بين الأجهزة الرقابية، وتمثل هذه الآثار في نفور موظفي الإدارات من الأجهزة الرقابية وذلك عن طريق طلب أوليات القضية موضوع التدقيق من قبل أكثر من جهة رقابية، وتلزم الإدارات بتزويدها بهذه الأوليات سواء كانت ذات تكلفة باهظة الثمن أم لا، كطبع أوليات القضية واستنساخها، وسحب هذه الأوليات والاحتفاظ بها إن تطلب الأمر، ناهيك عن تفرغ الموظفين في الدوائر الخاضعة للرقابة لغرض تزويد الأجهزة الرقابية بهذه الأوليات^(٥٧)، بالإضافة إلى الزام قوانين الأجهزة الرقابية إدارات الدولة ومؤسساتها على تزويد كل جهاز رقابي يطلب الأوليات التي يحتاجها في التدقيق والتفتيش وعدم تبرير التأخر عن منحه هذه الأوليات^(٥٨)، وقد عدت قوانين بعض هذه الأجهزة الرقابية عدم تزويدهم بالأوليات المطلوبة مخالفة يتعرض مرتكبها إلى إجراءات التحقيق لأغراض قوانينها^(٥٩).

إن موضوع الآثار الإدارية المترتبة على تنازع الاختصاص لم يقتصر على الأجهزة الرقابية في العراق بل شمل هذا الموضوع أيضاً الأجهزة الرقابية في مصر، كالجهاز المركزي للمحاسبات^(٦٠)، وكذلك هيئة الرقابة الإدارية في مصر من أجل مباشرة اختصاصاتها حق طلب أو الاطلاع أو التحفظ على أية ملفات أو بيانات أو أوراق أو الحصول على صورة منها^(٦١)، مما يحصل أيضاً تزامم في اختصاصات طلب هذه الأوليات.

وفي لبنان يعاقب بالغرامة كل موظف تأخر عن تزويد ديوان المحاسبة بالأوليات المطلوبة ضمن المدة القانونية^(٦٢)، وفي الوقت ذاته يقوم المفتشون التابعون إلى جهاز التفتيش المركزي بالإطلاع على جميع

٥٦- تنظر المادة (١٤) من قانون ديوان الرقابة المالية الاتحادي في العراق، رقم (٣١) لسنة ٢٠١١ المعدل.

٥٧- لقد جاء في احد الاستبيانات التي اعدت لغرض هذا البحث بأن (التعامل مع عدة أجهزة رقابية يتطلب التفرغ للإجابة على تساؤلاتهم وملاحظاتهم التي غالباً ما تكون بعيدة عن المهنة عدا جهاز ديوان الرقابة المالية).

٥٨- تنظر المادة (١٥ / أولاً) من قانون هيئة النزاهة العراقي رقم (٣٠) لسنة ٢٠١١.

٥٩- تنظر المادة (١٢ / أولاً وثانياً وثالثاً) من قانون ديوان الرقابة المالية الاتحادي في العراق رقم (٣١) لسنة ٢٠١١ المعدل.

٦٠- تنظر المادة (٧) من قانون الجهاز المركزي للمحاسبات في مصر رقم (١٤٤) لسنة ١٩٨٨ المعدل.

٦١- تنظر المادة (٦) من قانون إعادة تنظيم هيئة الرقابة الإدارية في مصر رقم (٥٤) لسنة ١٩٦٤ المعدل.

٦٢- تنظر المادة (٦٠ / ٩) من قانون ديوان المحاسبة اللبناني رقم (٨٢) لسنة ١٩٨٣ المعدل.

المستندات والسجلات والقيود والأوراق في الدوائر التي يتولون تفتيشها ويأخذون صوراً عنها إذا شاءوا^(٦٣).

وإن الازدواجية في عمل الأجهزة الرقابية وتنازع اختصاصها سواء كان سلباً أم إيجاباً يؤدي إلى ضياع المسؤولية، وهدر النفقات، وسوء تحديد المهام^(٦٤)، وبالتالي يثقل بكاهله على الميزانية العامة للدولة من دون تحقيق النتائج المرجوة من وجود هذه الأجهزة الرقابية.

الخاتمة

بعد ان اقمنا بحثنا عن "تنازع الاختصاص بين الأجهزة الرقابية على أعمال الإدارة في العراق دراسة مقارنة" فقد توصلنا إلى أهم النتائج والتوصيات الآتية:

أولاً / النتائج:

١. عندما تتعدد المؤسسات والأجهزة المعنية بمكافحة الفساد الإداري والمالي والتي تهتم بأعمال الرقابة على الإدارة، التي تمارس الرقابة من الخارج فأن هذا يؤدي إلى تراحم الاختصاصات المنوطة بها، ومن ثم يصعب السيطرة على تفشي ظاهرة الفساد، وكما ان تعدد الصلاحيات في التفتيش والتدقيق واستلام الإخبارات والشكاوى وإجراء التحقيق والإحالة إليه من دون تنسيق مسبق، وعدم حصر جهة واحدة لاتخاذ هذه الإجراءات فإن ذلك يؤدي إلى هدر الجهود والموارد وزيادة النفقات، وضغط مضاف على كاهل المؤسسة موضوع الرقابة.
٢. يبرز دور التشريع باعتباره من أهم وسائل فض تنازع الاختصاص بين الأجهزة الرقابية، إذ يقوم بتنظيم عمل هذه الأجهزة ويبين اختصاصاتها ويضع الحدود المناسبة لممارسة صلاحياتها على وفق ما هو مرسوم لها وبدون تجاوز من قبل جهاز رقابي على اختصاص جهاز آخر.
٣. يعدّ التنسيق وسيلة مهمة لتجنب تراحم الاختصاص، إذ انه يحقق التجانس والانسجام بين أعضاء المؤسسات، ويمنع وقوع التضارب والتنازع في العمل، كما أن الحاجة إلى التنسيق تزداد كلما تقسم العمل بين المؤسسات على أساس التخصص، ويساهم في منع الازدواج في الاختصاصات، وتجنب التنازع في العمل الوظيفي.

ثانياً / التوصيات:

من أجل القضاء على تنازع الاختصاص بين الأجهزة الرقابية على أعمال الإدارة في العراق نقترح التوصيات الآتية:

أ: التوصيات المقترحة في حال تعديل الدستور

١. تعديل الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ وذلك بإلغاء النصوص الدستورية التي نصت على إنشاء وارتباط ديوان الرقابة المالية الاتحادي وهيئة النزاهة، وإيراد مادة في الفصل الرابع من الدستور العراقي

٦٣- تنظر المادة (١٦ / ١) من قانون التفتيش المركزي اللبناني رقم (١١٥) لسنة ١٩٥٩ المعدل.

٦٤- امير فرج يوسف، مكافحة الفساد الإداري والوظيفي، المكتب الجامعي الحديث، مصر، ٢٠١٠، ص ٣٠.

تحت باب الهيئات المستقلة تكون صياغتها على النحو الآتي (تؤسس هيئة عامة تسمى "هيئة الرقابة العامة" تتمتع بالاستقلال الإداري والمالي والفني، تمارس مهمة الرقابة على أعمال الإدارة وتخضع لرقابة مجلس النواب وينظم عملها بقانون).

٢. دعوة المشرع العراقي بعد تعديل الدستور على وفق ما جاء بالفقرة الأولى من التوصيات إلى تشريع قانون لهذه الهيئة يبين هيكليتها واختصاصها، بعد أن يضمن استقلالها المالي والإداري بالاستناد إلى الدستور.

٣. حصر الجهات التي تخول بالإحالة إلى التحقيق بيد هيئة الرقابة العامة، والجهات الإدارية حصراً، وذلك منعاً لتزاحم الاختصاصات في الإحالة إلى التحقيق، وتجنباً لإعادة التحقيق بأكثر من مرة لموضوع المخالفات ذاته.

ب: التوصيات المقترحة في حال عدم تعديل الدستور:

١. دمج مكاتب المفتشين العموميين ببيئة النزاهة، وذلك لوحدة عمل هذين الجهازين من جهة، وإبعاد هذه المكاتب عن تأثيرات السلطة التنفيذية وضغط النفقات و حصر الجهود وتجنب تنازع الاختصاص فيما بينها من جهة أخرى.

٢. إيراد مادة في قوانين الأجهزة الرقابية يكون نصها الآتي (يشترط فيمن يتقدم إلى التعيين على الجهاز الرقابي أن يتمتع بالخبرة والكفاءة والنزاهة والتخصص، بالإضافة إلى شروط التعيين المنصوص عليها في قانون الخدمة المدنية رقم ٢٤ لسنة ١٩٦٠ المعدل، وتتولى لجنة عليا من الجهاز الرقابي ذاته، التحقق من مدى توافر وانطباق هذه الشروط على المتقدمين للتعيين).

٣. تعديل المادة (١٤) من قانون ديوان الرقابة المالية الاتحادي رقم (٣١) لسنة ٢٠١١ المعدل ليكون نصها الآتي (على ديوان الرقابة المالية عند اكتشاف مخالفة أن يطلب من مكتب المفتش العام أو هيئة النزاهة كل حسب اختصاصه اجراء التحقيق واتخاذ الإجراءات اللازمة وإزالة آثارها).

٤. تنظيم استمارة من قبل الأجهزة الرقابية خاصة باستلام الشكاوى تكون أحد فقراتها الجهة التي قدمت اليها الشكاوى مسبقاً والإجراءات المتخذة بخصوصها.

المصادر

باللغة العربية بعد القرآن الكريم

أولاً: الكتب العربية

١. د. إبراهيم شبيحا، اصول الادارة العامة، منشأة المعارف، الاسكندرية، ٢٠٠٤.
٢. د. ادوار عيد، القضاء الاداري، ج ٢، مطبعة البيان، بيروت، ١٩٧٥.
٣. د. الياس ابو عيد، نظرية الاختصاص في اصول المحاكمات المدنية والجزائية، منشورات زين الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٤.
٤. د. حسين عثمان محمد، قانون القضاء الاداري، ط ١، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٦.

٥. سالم روضان الموسوي، دور القانون و القضاء في مكافحة الفساد، ط٢، مكتبة صباح، بغداد، ٢٠١١.
٦. د. سعد عصفور، د. محسن خليل، القضاء الاداري، القسم الثاني، بدون مكان نشر، بدون سنة نشر.
٧. د. طارق المجذوب، الادارة العامة، ط١، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٥.
٨. د. عبد الغني بسيوني، القانون الاداري، منشأة المعارف، الاسكندرية، ٢٠٠٥.
٩. د. ماجد راغب الحلو، القضاء الاداري، الدار الجامعية، بدون مكان نشر، ١٩٨٨.
١٠. د. مازن ليلو راضي، القضاء الاداري، ط٢، مطبعة جامعة دهوك، ٢٠١٠.
١١. د. نواف كتعان، القضاء الاداري، ط١، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٩.

ثانياً:- المجلات والدوريات والتقارير

١. الاستراتيجية الوطنية لمكافحة الفساد في العراق، للاعوام ٢٠١٠ - ٢٠١٤.
٢. التقرير السنوي لعام ٢٠١٢ الخاص بعمل مكتب المفتش العام لوزارة التربية.
٣. د. خالد الزبيدي، القرار الاداري السلبي في الفقه والقضاء المقارن، بحث منشور في مجلة الحقوق الكويتية، جامعة الكويت، العدد ٣، السنة الثلاثون، ٢٠٠٦.
٤. نظام النزاهة العربي في مواجهة الفساد، صادر عن منظمة الشفافية الدولية، المركز اللبناني للدراسات، ٢٠٠٩.

ثالثاً:- الرسائل الجامعية

١. احمد محمود الربيعي، التحقيق الاداري في الوظيفة العامة، رسالة ماجستير، كلية القانون، جامعة الموصل، ٢٠٠٣.
٢. كوثر حازم سلطان، امتيازات الموظف العام واثرها في زيادة فاعلية الادارة - دراسة مقارنة-، رسالة ماجستير، كلية القانون، جامعة بغداد، ٢٠٠٠.

رابعاً:- الدساتير والاتفاقيات الدولية

١- الدساتير

أ: الدساتير العراقية

- ١- دستور جمهورية العراق النافذ لسنة ٢٠٠٥.

ب: الدساتير العربية

- ١- الدستور اللبناني لسنة ١٩٢٦ المعدل.
- ٢- دستور جمهورية مصر العربية لسنة ١٩٧٠ الملغى.
- ٣- دستور جمهورية مصر العربية لعام ٢٠١٤.

٢- الاتفاقيات الدولية

- اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، لسنة ٢٠٠٨.

خامساً: - القوانين

أ: القوانين العراقية

- ١- القانون المدني العراقي رقم (٤٠) لسنة ١٩٥١ المعدل.
- ٢- قانون انضباط موظفي الدولة والقطاع العام رقم (١٤) لسنة ١٩٩١ المعدل.
- ٣- قانون المفتشين العموميين الصادر بموجب الامر التشريعي رقم (٥٧) لسنة ٢٠٠٤ المعدل.
- ٤- قانون المحكمة الاتحادية العليا في العراق رقم (٣٠) لسنة ٢٠٠٥.
- ٥- قانون التضمنين العراقي رقم (١٢) لسنة ٢٠٠٦.
- ٦- قانون هيئة النزاهة رقم (٣٠) لسنة ٢٠١١.
- ٧- قانون ديوان الرقابة المالية رقم (٣١) لسنة ٢٠١١ المعدل.
- ٨- النظام الداخلي لديوان الرقابة المالية رقم (١) لسنة ٢٠١٢ المنشور في جريدة الوقائع العراقية بالعدد (٤٢٦٥) الصادرة بتاريخ ٢٨/١/٢٠١٣.
- ٩- النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي.

ب: القوانين العربية

- ١- قانون اعادة تنظيم النيابة الادارية المصري رقم (١١٧) لسنة ١٩٥٨.
- ٢- قانون نظام الموظفين اللبناني رقم (١١٢) لسنة ١٩٥٩.
- ٣- قانون انشاء التفتيش المركزي اللبناني رقم (١١٥) لسنة ١٩٥٩.
- ٤- قانون اعادة تنظيم الرقابة الادارية المصري رقم (٥٤) لسنة ١٩٦٤ المعدل.
- ٥- قانون نظام العاملين المدنيين المصري رقم (٤٧) لسنة ١٩٧٨ المعدل.
- ٦- قانون المحكمة الدستورية العليا في مصر رقم (٤٨) لسنة ١٩٧٩ المعدل.
- ٧- قانون ديوان المحاسبة اللبناني رقم (٨٢) لسنة ١٩٨٣ المعدل.
- ٨- قانون الجهاز المركزي للمحاسبات المصري رقم (١٤٤) لسنة ١٩٨٨ المعدل.
- ٩- قانون المجلس الدستوري اللبناني رقم (٢٥٠) لسنة ١٩٩٣ المعدل.

سادساً: - البحوث والمقالات و التقارير المنشورة على شبكة الانترنت

١. التقرير السنوي لديوان الرقابة المالية لعام ٢٠١٣، منشور على الموقع الرسمي لديوان الرقابة المالية، على الرابط: www.raqaba-m.iq
٢. التقرير السنوي لهيئة النزاهة لعام ٢٠١٠، منشور على الموقع الرسمي لهيئة النزاهة، على الرابط: www.nazaha.iq
٣. التقرير السنوي لهيئة النزاهة لعام ٢٠١٣، منشور على الموقع الرسمي لهيئة النزاهة، على الرابط: www.nazaha.iq

٤. تقرير منظمة الشفافية الدولية لعام ٢٠١٣، منشور على الموقع الرسمي للمنظمة، على الرابط:
<http://ar.wikipedia.org/wik>

شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي ومواقفه السياسية والوطنية

The Arab poet Abd AL-Muhssin AL-Kadhmi and his patriotic, Political stances

Asst.Inst. Abbas J. Kadhim

م.م. عباس جعفر كاظم^(١)

ملخص البحث

ان تنمية الروح الوطنية يعد احد اهداف تدريس مادة الادب على مستوى المرحلة الثانوية ويهدف البحث الى التعريف بالمواقف الوطنية والسياسية للاديب العراقي الشاعر عبد المحسن الكاظمي. ومن خلال شعر الشاعر يمكن التعرف على نموذج من الشعراء الوطنيين في الادب العراقي الحديث وذلك لكي يسهل استيعاب مفهوم الوطنية المتوازنة البعيدة عن التطرف والتعصب وكذلك رفع روح الوطنية القائمة على التجربة الواقعية التي عاشها ادباء عراقيون حملوا هم الوطن بصدق وامانة. فجاء البحث في تمهيد وثلاثة مباحث وقد أحاط التمهيد بشيء من حياته وسيرته فجاء المبحث الأول عن المعاني الوطنية في شعر الكاظمي، وتناول المبحث الثاني موقفه من الدولة العثمانية أما المبحث الثالث فتناول مواقفه من الاحتلال البريطاني والثورة العربية. فالبحث يعالج موضوعاً مهماً في الحياة الانسانية بشكل عام وفي شعر الاديب العراقي عبد المحسن الكاظمي بشكل خاص الا وهو الموقف الوطني والسياسي للشاعر.

Abstract

Developing of nationalist spirit is considered as one of the goals of literature education on secondary level, the research aims to identify national and political statuses of the Iraqi author the poet Abdulmohsin Al-Kadhmi.

Through the poetry of the poet, identifying of nationalist poets in the modern Iraqi literature could be done in order to facilitate the comprehension of balanced nationalism concept away from extremism and bigotry as well raising of standing nationalist spirit above realist experiment which Iraqi authors lived, those who carried the concern of nation honestly and truthfully .

Research has come into three topics, preface has come mentioned some of his life and biography, first topic has contained national meanings in Al-Kadhimi poetry, second topic has dealt with his status of the ottoman state, while the third topic has dealt with the British occupation and the Arabian revolution.

The research is treating an important issue in the humanitarian life in general and in the poetry of the Iraqi author the poet Abdulmohsin Al-Kadhmi in particular, which is the poet's national and political status.

المقدمة

الوطنية هي حب الوطن والتعلق به والاخلاص والتضحية من اجله وهي كذلك مصطلح يستخدم للدلالة على المواقف الايجابية والمؤيدة للوطن من قبل الافراد والجماعات. وان مفردتي (وطنية) و(وطن) كليهما تشيران الى الانتماء السياسي.

والوطنية عامل انساني ايجابي مشروط بعدم التعصب والتطرف الذي يعزل شعباً ما عن محيطه الاقليمي والعالمي. والشاعر العراقي عبد المحسن الكاظمي نموذج واقعي فهو يمتلك شعوراً وطنياً معبراً عن حب العراق في كل الاحوال والظروف اذ انه كان يحب العراق ويخلص له ويضحى من اجله ويعمل على نصرته ويدعو الى استقلال بلاده.

ونلاحظ ذلك جلياً من خلال ادبياته وخاصة شعره الوطني الحماسي في ذكر العراق وتمجيده والدفاع عن قضاياه.

وان استقراء شعره يكشف ارتباطه الوثيق بوطنه العراق الا انه لم يكن متطرفاً ولا متعصباً في وطنيته وانما كان يمتلك نزعة وطنية منفتحة على بلاد المشرق عموماً ولاسيما البلاد العربية وهذا ماتكشفه المواقف السياسية التي ييوج بها عبر نصوصه الشعرية.

والموضوع يخدم حالة تربوية يجب ان يرتقي لها الشاب العراقي في ظرف صعب يدعونا الى ايجاد امثلة تاريخية حية سهلة التقليد عليها تسهم في بناء الشخصية الوطنية عند بعض الشباب ممن هم بحاجة ماسة لمثل هذه المفاهيم.

وسيعالج البحث الشعر السياسي الوطني عند شاعر (البداهة والارتجال) الأديب عبد المحسن الكاظمي.

والكاظمي (شاعر العرب) هو لقب فخم ضخم لم يطلق عليه عبثاً إنما كان الرجل جديراً وأهلاً له، وشعره يشهد له بذلك.

فكان الكاظمي مع العراق ضد الأتراك العثمانيين ومع العراق ضد الاحتلال البريطاني وهذا ما تناوله البحث.

وقد اعتمد البحث مصادر أساسية مثل ديوان الشاعر المطبوع عدة طبعات، طبعة دمشق، وطبعة مصر، وطبعة دار الحكمة في لندن، وإن الطبعة الأخيرة من الديوان هي الأكثر اعتماداً في توثيق النصوص الشعرية. وكانت رسالة الدكتوراه للأستاذ (رؤوف الواعظ)، ورسالة الدكتوراه للأستاذ (محسن غياض) خير مصدر اعتمده البحث في استقصاء مادته، ومصادر أخرى وردت في القائمة، والحمد لله رب العالمين.

كما أود أن أشكر العاملين على إدارة مكتبة العتبة الحسينية والعباسية وكذلك الشكر موصول إلى القائمين على شعبة البحث والتطوير في مديرية تربية كربلاء المقدسة.

تمهيد

عبد المحسن بن محمد بن الحاج علي بن محسن بن محمد بن صالح بن علي بن الهادي النجفي، ينتهي نسبه لأبيه إلى قبيلة نفع اليمانية وينتهي نسبه لأمه زينب مهدي الزركش الملقب بـ (البير) إلى الشريف الرضي. ولد ببغداد يوم الاثنين الخامس عشر من شعبان سنة ١٢٧٨ هـ الموافق ليلة بقيت من تشرين الأول سنة ١٨٧١ م ونشأ في دار والده بالكاظمية^(٢).

تعلم الشيخ عبد المحسن الكاظمي مبادئ القراءة والكتابة وتعلم اللغة الفارسية بجانب العربية ودرس في الحلقات الدينية في الكاظمية والنجف وترعرع بين أحضان أسرة عرفت بالأدب والعلم. والكاظمي كان شاعراً قد درج بين بيئات الأدب وحلقات الأدباء ودرس العلوم الإسلامية كما اطلع على الآداب الفارسية وأول ما نظم الغزل فالرثاء فالفخر. فنشأ شاعراً مجيداً يقول عنه السيد عز الدين آل ياسين (كان بملي شعره عن طبع وافق ووحى حاضر وبديهة مستعدة وروح قوية وقريحة متحفزة وله في الشعر نفس طويل يعود إلى كثرة ما كان محتزناً في حافظته من شعر العرب)^(٣). والظاهر أن بلاد العراق لا تزال أقرب إلى السليقة العربية وأن النابغين فيها (أكثر من) غيرها ولقد واثى هذه البلاد أكثر من رجل فاضل جدير بلقب (الأديب) وقلت الجدير به في العصر ألا وهو الشيخ أبو المكارم عبد المحسن الكاظمي (نسبة إلى الكاظمية بلدة في ضواحي بغداد)^(٤).

أثر الكاظمي تأثيراً مباشرة على النهضة الأدبية وهو خير أديب تفتخر به العروبة وتعتر به الضاد وقد لقب بشاعر (البداهة والارتجال) وبـ (شاعر العرب) وبـ (شاعر الكفاح الخالد)

وهي ألقاب تعكس لنا شخصيته الشعرية التي جمعت بين المثانة والفصاحة والبلاغة والجزالة وبين نزعة الوطنية التي كانت تدفعه إلى مقارعة الاستبداد والاستعمار. وكان شعره يمتاز بعذوبة الألفاظ

٢- ينظر معجم الشعراء العراقيين المتوفين في العصر الحديث، ولهم ديوان مطبوع، د. جعفر صادق حمودي التميمي، ١/ ٢٩٦.

٣- عبد المحسن الكاظمي سيرة وشعر وفكر، سعد محمد الزبيدي: ١.

٤- م. ن: ١.

والمعاني وفصاحة البيان حتى صنف على رأس الشعراء أمثال (أحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، والرصافي، والزهاوي) (٥)

المبحث الأول: مفهوم الوطنية في شعر عبد المحسن الكاظمي

نعني بالوطنية جملة الخصائص المكونة لرؤية الفرد لأرض معينة وللمجموعة البشرية التي تشاركه الانتساب إليها وما يمازج تلك الرؤية من موقف عاطفي وجداني وتصورات للتعامل الإيجابي مع تلك الأرض وتلك المجموعة بما يكفل ازدهارها ومناعتها (٦).
وقد قال الكاظمي (٧):

الوطن الروح وما ————— أهل ————— وه إلا الجسد

الشاعر في البيت عدّ الوطن بمثابة الروح، أما المواطنون المنتسبون إليه فمأهم الا جسد لهذا الوطن لأحياة لهم بدونه فهو الروح الجامعة لكل منتسب لارضه.
ورغم هجرته من وطنه ملتمساً النجاة بنفسه من جور الحكام فأن الشوق والحنين حيث يذكر وطنه المهجور نسمعه يقول (٨):

وكم قال سر نحو مصر ترى المنى ————— وأنت على كل البلاد أمير
فقلت لهم والدمع منى مطلق ————— أسير وقلبي في العراق أسير

رغم ان مصر في زمان هجرة عبد المحسن الكاظمي كانت افضل حالا وكان لها دور بارز في السياسة العربية، والحياة فيها ربما تعطي الفرد استقراراً أكثر الا ان الشاعر يسافر إليها هرباً من عيون السلطات المحتلة لبلده وقلبه اسيراً لحب بلده العراق.

ونجد في قصيدته ذكراك (يا وطن الصبا) حنيناً وألماً بسبب فراقه (٩):

روض الأماني منك خضل ————— يعني كما يشتر نخل (١٠)
في كل يوم مطلع ————— وهلال آمال يهل
وإذا القلوب تراسلت ————— فصوادق الآمال رسل
ذكراك يا وطن الصبا ————— ذكراري أرحل أوأحل
وإذا خلا قلب فقل ————— سي من همومك ليس يخلو
عهدي بعرقك لا يكل ————— عند الخطوب ولا يفل
أخبث زنودك أو وهت ————— تلك السواعد فهي فتل (١١)
أولاك أقوامي الألى ————— مجدا إن الأقوام جلوا

٥- عبد المحسن الكاظمي، سيرة حياة وفكرة الانسجام الثنائي بين الصورة والمعنى في شعره، د. سعاد محمد الزبيدي: ٧.

٦- ينظر أهم مظاهر الرومانتيكية في الأدب العربي الحديث:

٧- ديوانه: ٢١٩، ط ١، دمشق (المجموعة الأولى).

٨- ديوانه، ط ١، دمشق (المجموعة الأولى): ٤٣

٩- م. ن. ٦٨٢.

١٠- شيء خضل: أي الرطب، والخضل: النبات الناعم، لسان العرب: ٢٠٨/١١، يشار: شار العسل

يشروه واشتاره يشتره: اجتباه من خلاياه ومواضعه، لسان العرب: ٤٣٤/٤.

١١- الاخبات: الخشوع والتواضع، لسان العرب: ٣٧/٢، وهت الشيء وهتا: داسه دوساً شديداً، م. ن. ١٠٩/٢.

شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي ومواقفه السياسية والوطنية
ب على ذرى الدنيا أطلوا
وبدورها إما تجلوا

من فوق عالية القبا
فهم مصابيح الهدى

المخاطب في الابيات هو العراق، والشاعر بين ان وطنه عبارة عن روض من الاماني وان هذا الروض يزهر مخضراً، ومن يرومه يجد فيه الرحيق الذي يسهل جنيته لوفرتة، وهذه صورة للخير الوفير. وان شروق الشمس ويزوغ القمر كما في البيت الثاني اعلان عن يوم جديد ويشير الى ولادة امل. وان تراسل القلوب لهذه الاماني تصادق عليها رسل الامال المتتابة. والشاعر لا يكاد يفارق ذكرى وطنه العراق والحنين اليه رغم ان اسباب الحياة ومشقتها تأخذ منه الكثير في دار الغربة.

ثم يستفهم مستنكراً (اخبت زنودك اوهمت) وذلك لعلمه ان سواعد العراقيين (قتل) لاتفلح الخطوب، فان اهل بلد القباب العالية يطلون على الدنيا من فوق هذه القباب التي باتت رمزاً للشموخ والعزة والكرامة وكل ماهو خير.

وقد هاجر الكاظمي بعد أن ضاق ذرعاً بما لقي فيه من فقر وعوز ولكنه لم ينس العراق قط طول تلك السنوات التي عاشها في مصر فقد كان دائم الحنين إلى الوطن والتشوق إلى ربوعه وتمني العودة إليه والعيش فيه وقد بقي هذا الحنين إلى الوطن في نفس الكاظمي قويا يتزايد ويقوى ويعمق أثره على مرور الأيام ولم يخف منه ذلك النجاح الذي أصابه الكاظمي في أرض مصر ولا تلك الشهرة العريضة التي حققها لنفسه فيها والحنين إلى الوطن والتشوق إليه ظاهرة بارزة جدا في شعر الكاظمي فلا تكاد تخلو قصيدة له من ذلك منذ دخوله مصر حتى وفاته فيها.

وإنك لتجد في حنينه هذا إلى الوطن عاطفة قوية جياشة وألماً ممضاً وإخلاصاً رائعاً لم تضعفه الأيام^(١٢) وأسمعه يقول من قصيدته^(١٣):

وفي مصر أراك وأنت لاه
فكم وإلى م تنحب ثم تبكي
وقلبك في العراق جوى يذوب
ولا يجدي البكاء ولا النحيب

وكذلك نرى هزته وحنينه إلى وطنه وقد امتزج ذلك بالأسى والإشفاق على هذا الوطن الذي ما فتأت ذكرياته تخاليل نفسه، فيعصف به الحنين إليه على حد قوله^(١٤):

أن يكن بات في الكنانة جسمي
أرفاق الصبا، وليس حراما
ففؤادي بالكرخ ظل رهينا
أن أنادي رفاقي الأقدمينا

ويشده الحنين إلى بلاده ويتشوق إلى أرض الرافدين، حيث مراتع صباه وملاعب وجده وإليك قوله^(١٥):

ألا خبر من ثايا العراق
يطلع أوزورة تطـرق

١٢- ينظر شاعر العرب، د. محسن الغياض: ١٧٥.

١٣- ديوانه (المجموعة الأولى)، ط / دمشق: ٣٠٤.

١٤- ديوانه، ط / لندن: ١١٣.

١٥- ديوانه، ط / لندن: ٣٨.

فالوطنية هي معنى الشعور بحب الوطن وتشتمل على ما يبثه الشاعر من حب وشوق^(١٦)... والكاظمي يجعل من العراق أغلى أمنيته وهذا أعلى سمات الوطنية فأسمعه يقول^(١٧):

يا أجبائي والتعطف دين
لو علمتم ما حل به
لست أبكي على انقضاء حياة
وطني! أنت كل ما أتمنى

أين في الكرخ عهدنا المعهود
لعلتم أن خطبي من بعدكم الشديد
ليس فيها لموطن تخليد
من حياة وأبتغي وأريد

ولبغداد مكانة خاصة في قلب شاعرنا الكاظمي تأمل في قصيدته التالية^(١٨):

إذا ما قيل بغداد كوها
ومن شاء الوقوف على اعتقادي
أحب الكرخ أسمع أو أراه
وأهوى في الرصافة ما جنته

بلا عجة الحنين فقد كواني
فلدين أول والكرخ ثاني
وليس الكرخ يسمع أو يراني
وما أهوى سوى غرر المجاني^(١٩)

ويعاهد بغداد علي الوفاء لها والتفاني في سبيلها فيخاطبها على البعد^(٢٠):

أبغداد أبشري وثقي بأني
ولو أعطيت ملك الأرض طرا

بجبك سالك سبل التفاني
بغير هواك عيشي ما هناني

ونراه يحبي بغداد ويحن إليها متشوقا^(٢١):

أبغداد لا فاتك مني تحية
حيننا إلى أرض حييت بترها

يفسر منها ما أراد المفسر
ويا ليتني في ذلك الترب أقبر

ويظهر من شعره إن له وطناً أكبر في الجغرافية من العراق وهو بذلك يريد للعرب بلادا موحدة لا حدود فيه ولا سدود كما يقول في هذه القصيدة^(٢٢):

إنما الشام والعراق ومصر
سينال الجميع بعد قليل
فتعود البشري لنا تلوى بشري
ليعيش كل طالب عربي

أخوات وأن تفرقن حيننا
ما رجاه لخير الراجونا
نتغنى بذكرها طربنا
وليقل عند دعوتي أمينا

يبوح الشاعر في هذه الابيات بوجه اخر من وجوه الوطنية ليشمل في امنيته البلاد العربية، ويرى ان الحدود وان كانت ضرورة لحفظ بعض المصالح ولكن يجب ان لا تكون حائلا دون تواصل شعوبها وتعاضدهم في سبيل مصلحة اكبر وطموح اوسع.

ويبدو أن للكاظمي نظرة للوطن تشمل الشرق من حيث الجغرافية فأسمع قوله^(٢٣):

١٦- ينظر معجم المفصل في الأدب، د. محمد التونجي، ٨٨٥/١.

١٧- ديوانه، ط / لندن: ١٥٥.

١٨- م.ن: ١١.

١٩- المجاني: من (الحنن) وهو خلط الجد بالهزل، لسان العرب: ٤٠٠/١٣.

٢٠-

٢١- شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي، د. محسن غياض: ١٧٧.

٢٢- ديوانه، ط / لندن: ٤٢١.

شاعر العرب عبد الحسن الكاظمي ومواقفه السياسية والوطنية
أعضاء أن بايعت لا تنقض البيعا
رأيت في مصر عضوا يشتكي الوجعا
وجدت في جلق طرفا لها دمعا
رأيت في فارس من يدفع الجشعا
أن تلبس الذل حيث الذل قد نزعا

كأنما الشرق جسم والشعوب به
إذا اشتكى عضوها الهندي من وجع
وأن تبينت في بغداد ذ شجن
وأن أناخ على الأفغان ذو جشع
أبا الشعوب أفق أن الشعوب أبت

في الابيات يشبه الشاعر الشرق الاوسط بالجسم الواحد، وان دوله اعضاء لهذا الجسم، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. وذكر بعض هذه الدول مثل الهند ومصر وبغداد وجلق وافغانستان وفارس. ثم يخاطب حكام هذه الدول ان افيقوا فان شعوب الشرق تأبى ان تلبس الذل. ولاشك ان هذه الابيات تعد صرخة مدوية للتحرر والاستقلال من التبعية.

المبحث الثاني: موقف الكاظمي من الأتراك العثمانيين

لقد ضاق المفكرون والأدباء بما كانوا يمارسه العثمانيون من تمييز بين الأتراك وغيرهم من الشعوب الخاضعة للدولة العثمانية، فقد كانت أغلب تلك الشعوب ترى نفسها ليست أقل من الأتراك الحاكمين ما دام الإسلام هو الذي يوحد الشعوب التي تؤمن به ^(٢٤)، قال رب العزة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ ^(٢٥) لا فضل لأحدهم على الآخر لأن التقوى هي ميزان التفاضل فيما بينهم ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ ^(٢٦).

عندما أطل الدستور العثماني من الاستانة معلنا بداية عهد جديد يحمل تباشير الحرية ^(٢٧). وعبد المحسن الكاظمي شاعر الارتحال يعد في طليعة الطبقة الأولى من شعراء هذا العصر ومن المهتمين لشعبه بإعلان الدستور العثماني ظنا منه أن الدستور فتح بابا للحرية وقد أنشد ^(٢٨):
لوأك على كل المنازل خافق
بكل فم تحلو وفي كل خاطر
صبونا لمراك البديع كما صبا
ولما تبين إلا وهذا مصافح
طلعت طلوع الفجر ما فيك ريبة
وذكرك في كل المحافل عابق ^(٢٩)
فلفظك سيال ومعناك رائق
لمعشوقه عند الزيارة عاشق
ترنحه البشري وهذا معانق ^(٣٠)
وجئت كما جاء الربيع المغادق

فقد كان الكاظمي من الذين دعو إلى الثورة على الأتراك ومحاربتهم والتخلص من نيرهم وقد كرر دعوته هذه في قصائد عدة وحض قومه على إنتهاز فرصة الحرب العالمية الأولى للقيام بهذه الثورة وحذر من فواتها ^(٣١) ومن ذلك قوله ^(٣٢):

- ٢٣- الكاظمي شاعر الكفاح العربي (الحلقة الثانية): ٩٠.
٢٤- مجلة صدی كربلاء العدد: ٩/١٠، مقالة أ.د. عبود جودي الحلي، كلية التربية، جامعة كربلاء.
٢٥- الحجرات: ٨.
٢٦- الحجرات: ١٢.
٢٧- ينظر دراسات في الشعر العراقي الحديث، سلمان عبد الهادي آل طعمة: ٥٧.
٢٨- ديوانه، ط / لندن: ٤٠٥.
٢٩- عابق: من عبق به عبقا اي لزمه، لرق به، لسان العرب: ١٠/٢٣٤.
٣٠- المغادق: من الغدق: اي المطر الكثير العام، م.ن: ١٠/٢٨٢.
٣١- ينظر شاعر العرب، د. محسن غياض: ١٢٦.

كم فرصة سنحت فكفكفها
واليوم أحسنها يمر بنا
ولئن تغمنا بوادرها
عن نيلها الإهمال والكسل
فلئن تفت فالتكل والهبل
فهناك الإسعاد والنفل

وقد سخر من وعود الأتراك للعرب لكسبهم إلى جانبهم فقال محذرا^(٣٣):
قال الأعادي سوف نصفكم
لم ينهجوا للعدل منهجه
لا تذهبن برشدكم عمدة
خوضوا غمار الحرب وابتدروا
تخلي ميادين النزال لكم
كذبوا فكم وعدوا وكم مطلوا^(٣٤)
كلا ولا عن ظلمهم عدلوا
تلك الوعود بروقها ضلل
تلك البحار خضمها وشلوا^(٣٥)
إن قيل أن العرب قد نزلوا

وعندما انطلقت الثورة العربية فعلا سنة ١٩١٦م بقيادة الشريف الحسين بن علي كان الكاظمي من أكبر المؤيدين لها وأشدهم حماسا وتعددت قصائده الثورية التي كانت تنشر في صفوف الثوار في الجبهات التي يحاربون بها وأشاد بهم وحضهم على مواصلة القتال والصمود وتذكيرهم بمظالم الأتراك واستبدادهم ثم مدحا لقادة الثورة وثناء عليهم وقد اتصل الكاظمي بالشريف حسين وابناؤه عبد الله وفيصل وعلي وله عدة قصائد في مدح الشريف حسين والإشادة بفضله ومنها قوله^(٣٦):

من شاء أن يكسي العلي فلينتم
هذا الحسين وذاك أول من دعا
ذو عزمة جعل الإله شبلتها
للخمسة الأعلى من أهل الكسا
والرأس أولى بالعلا أن تراسا
نقما تصب على الطغاة وأبؤسا

ولعل السبب وراء وقوف الشاعر وبقية أدباء العراق الذين كانوا يوافقوه الرأي ضد الدولة العثمانية وتفشي مظاهر التفسخ في الولايات العراقية وشيوع الرشوة إذ كانت أعلى المناصب والوظائف معرضة للثراء من ضمنها الولاية نفسها وكان هذا يستدعي صراعا على السلطة فتشتري ذمم الناس وضمايرهم بالأموال التي تجبى باسم الضرائب ولم تكن الحياة الثقافية أحسن حالا من الصورة الاجتماعية^(٣٧)، وما يهمننا من هذا هو الشاعر وموقفه الراض لهذه الحالة السيئة فلا عجبنا نراه يبايع قائد الثورة العربية ويسميه ملك العرب نحو قوله^(٣٨):

ملك وهل للعرب مثل حسينها
أحمي رجاء العرب من بعد موته
ملك توالى منه وأب بر
أسيفك أمضى أم عزيمتك البكر

٣٢- ديوانه (المجموعة الأولى)، ط / دمشق: ١٥.

٣٣- م.ن: ١٤٧.

٣٤- المظل: التسويف والمدافعة، لسان العرب: ١١ / ٦٢٤.

٣٥- الوشل: الماء القليل، م.ن: ١١ / ٧٢٥.

٣٦- ديوانه (المجموعة الثانية)، ط / مصر: ٢٧٨.

٣٧- ينظر الأدب العربي الحديث، د. سالم أحمد الحمداني: ٢٣.

٣٨- ديوانه (المجموعة الثانية)، ط / مصر: ٢٧٨.

المبحث الثالث: موقف الكاظمي من الاحتلال البريطاني

الاحتلال البريطاني للعراق ومنذ بداية أمره قد صدم الناس وأصابهم بالذهول وتركهم صرعى يتخبطون في بيداء الحياة لا يدرون ماذا يفعلون. وقد ظهر أثر ذلك جلياً على الشعراء أنفسهم ذلك لأن من نظم منهم في التنديد بهذا الاحتلال قلة قليلة لا تكاد تتجاوز أصابع اليد الواحد، فكان هذا الاحتلال قد ألجم أعنتهم وأخرس أعلامهم ولكن ما نظم من شعر في هذه الفترة أن دل على شيء فأتما يدل على حيوية هذا الشعب الذي لم يستنم على ضيم، ولقد ناصر هذا الشعر قضية العراق العادلة وانبرى يدافع عن أحقيته في الحرية والاستقلال ويكشف عن ألاعيب الاستعمار وخداعه المتواصل وعلى هذه الصورة. ويوم بعد يوم بدأ الشك في وعود الحلفاء يتسرب إلى نفوس الناس جميعاً واتضح لديهم أن هؤلاء الحلفاء ما اطلقوا هذه البلاد من الأسر إلا لكي يأسروها هم بأنفسهم^(٣٩).

ولقد وضحت هذه الظاهرة في شعر الكاظمي فأنت ترى فيه دلالات قوية على مثل هذا الشك الذي أخذ يزحف إلى قلبه ووجدانه قليلاً قليلاً^(٤٠):

يصدق الوعد منهم والوعيد	قيل للعرب في الورى حلفاء
ليس عن سنة الوفاء نحيب	حلفوا بالعلى لنا وحلفنا
ربطتهم مواقف وعهود	أتراهم والعهد يوثق منا
أنجزت منهم إلينا وعود	أم تراهم والوعد ينجز منا
لست أدري أيا يريد المرید	صدق القائلون لكن أراي
وإذا كان فالحالف جود	فإذا كان فالحالف بأس

ومن مثل هذه المعاني - معاني الشك نستطيع أن نجد أمثلة أخرى في أكثر من موضع في قصائده التي نظمها في هذا الشأن.

ولما كان الشاعر مدركاً تمام الإدراك لعدم وفاء الإنكليز لوعودهم انقلب هذا الشك عنده إلى يقين إذ أدرك أن الحلفاء قد لحسوا وعودهم وكشفوا عن نواياهم الاستعمارية وأنهم ما جاءوا إلى هذه البلاد إلا لكي يستعبدوها هم بدلاً من الأتراك العثمانيين^(٤١).

حينئذ اندفع الشاعر إلى نظم القصائد التي تذكر الحلفاء بمواثيقهم ويعرب عن مماتلتهم وتسويقهم ويؤكد أحقية الشعب في أرضهم وممتلكاتهم ويفند مزاعمهم التي اختلقوها ومعاذيرهم التي راحوا يعلنون عنها للحيلولة بين الشعب وبين تحقيق إرادتهم في الحرية والاستقلال. وقد جاءت هذه القصائد كلها قوية في معانيها شريفة في مضمونها الإنساني كما يغلب على أسلوبها طابع من الجدل والحاجة. فلنستمع إليه وهو يقول^(٤٢):

وإذا سألت فلم أكن	ألقى سوى التسويق ردا
إن قلت أين الوديا	من قد حلفت بأن تودا
قال السياسة تقتضي	أن لا أراعي اليوم عهدا

٣٩ - ينظر، الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث، رسالة دكتوراه في الآداب، د. رؤوف الواعظ: ٦٣.

٤٠ - ديوانه، ط / لندن: ١٤٩.

٤١ - ينظر، الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: ٦٤.

٤٢ - ديوانه، ط / لندن: ١٩٤.

ويشير الشاعر في قصيدته (مثنى)^(٤٣) إلى هذه المعاني نفسها، ويعرب عن شكه الذي استحاله إلى يقين في وعود الحلفاء في قوله:

يقيمنا ويقعد	كل مساء حادث
يسرنا ويكرم	وكل صباح نبأ
ما لم يصح السند	هل صح فينا خبر
ت الخبير المؤكد	هل عند غير النازلا
يغشاك ليل أريد ^(٤٤)	أخاف يا صبح المني
نا من عقبال قيودوا	وأن يقبال مطلقو
حلالها المعقد	كيف تحمل عقدة
بين الوري يوطد	قيل سلام ثابت
مطامع يستند	هل يثبت السلم على

فهذه المعاني توضح سخريته اللاذعة من وعود الإنكليز والتشكك في قيمة إدعاءاتهم وأقوالهم ويتساءل هذا التساؤل القوي المليء بالسخرية والتهكم في مثل هذا التعبير الجميل:

حلالها المعقد	كيف تحمل عقدة

فالإنكليز الذين بشروا بالسلام وبالحرية والاستقلال والذين أعلنوا أكثر من مرة أنهم ما جاءوا فاتحين ولا قاهرين وإنما منقذون ومحررون. وقد صاروا اليوم وبالا على هذا الوطن وحرية واستقلاله وما دعواهم إلى التحرير من رق الأتراك إلا بمثابة المخدر لهم ولما انحاز الناس إلى جانبهم وقتلوا معهم بل انتصروا في الحرب بفضلهم عادوا فانقلبوا عليهم وغدروا بهم وأمعنوا في سلوك المراوغة والمخاتلة معهم^(٤٥)، ويشير الشاعر إلى سياسة المكر والخداع هذه فيقول^(٤٦):

ثم خانوا العهد بعد قليل	لست أشكو إلا الألى عاهدوها
من مباح المشروب والمأكول ^(٤٧)	نهمة في العدى تعد قرانا
ذهبوا بالسامين والمهزول	لم يجيء أرضنا المعادون إلا
حيث جاروا شهادة من عذول	أقننوا الكيد والخداع ونالوا
من ضروب التغير والتضليل	كل ضرب لغشنا جربوه
أن شكونا ظلامنا للجليل	يشتكي الظالمون للسيف منا
قد شأنا بين الوري بالعويل	وعجيب من ظالم مستبد
قاتلا يشتكي من المقتول	من رأى والعجيب من الناس كثر

٤٣- م.ن: ١٧٦.

٤٤- أريد: من الريدة أي الغيرة، لسان العرب: ١٧٠/٣.

٤٥- ينظر، الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: ٦٥.

٤٦- ديوانه، ط / لندن: ٤١٣.

٤٧- النهمة: بلوغ الهمة في الشيء، لسان العرب: ٥٩٣/١٢.

وبعدها يزحف الهم والحزم على قلب الشاعر ووجدانه بسبب سياسة المكر والخداع وسلوك المراوغة والمخاتلة من قبل الإنكليز نجد الشاعر قد كثرت في شعره الدعوة إلى الحرب وطرده المستعمرين الدخلاء من وطنهم كما في قولهم (٤٨):

ليس بمجد عمل	ليس لنا فيه يد
وليس ثم مقصد	إن قيل تم المقصد
يا قوم أن تمناونوا	فحركم مستعبد
من نام عن أوطانه	فذاك حميت يلحد (٤٩)
ومن يمت دون حما	ه فهو حي يحم
الوطن الروح وما	أهلوه إلا الجسد
وكيف يسهو بدن	عن روحه ويرقد
مجيدي وما مجدي إلا	الوطن المجد

وهكذا يؤكد هذا المعنى قوله (٥٠):

لا تجعلوا أوطانكم وبلاذكم	مغدى بزة أو مراح نسور (٥١)
لا تتركوا التأخير يبعث بينكم	النجح آفته من التأخير
سيروا بأقدام الجسور ولا تنوا	خاب الجبان وفاز كل جسور (٥٢)

ويعضي الشاعر على حدث نيل الاستقلال بالقوة لأن النصر لا يتحقق إلا لمن أرادوه وصمموا على نياله بالعزيمة الصادقة والإيمان الراسخ وإلى هذا يشير في قوله (٥٣):

أني رأيت الأمر رأي مجرب	وشعرت بالحدثان أي شعور
فعلمت أن أولى العزيمة أن سعوا	قدروا على ما ليس بالمقدور
لو أن لي عينا تطلع عزمي	لغوا إلى الشعرى العبور عبوري
ولقمت للأوطان بالغرض الذي	هو فرش كل مهند مطرور (٥٤)
أعيش والأوطان ليس حرة	للموت أولى من حياة بور

وعلى هذه الصورة نجد شعر الكاظمي ثورة على الظلم والحق أن هذا الشعر يمثل روحه التي لا تصبر على ضيم، ولهذا كان أثر هذا الانعكاس قويا في شعره شريفا في مقصده مدعوما بالحجة والمنطق وإيراد البراهين وقد كانت دعوته الصارخة هذه ودعوات غيره من الشعراء والزعماء والساسة قد ألهمت الحماسة في قلوب الناس إذ اندفعوا في قوة وإيمان ثابت لا يتزعزع إلى الثورة في وجوه الغاصبين، إذ لم تمر مدة طويلة

٤٨ - ديوانه (المجموعة الأولى)، ط / دمشق: ٢١٩.

٤٩ - يلحد: أي مال وعدل، لسان العرب: ٣١٤/٥.

٥٠ - م.ن: ٢٢٩ - ٢٣٠.

٥١ - بزة: جمع بازي: وهو من الطيور الجوارح، لسان العرب: ٣١٤/٥، المرج: القضاء، لسان العرب: ٣٦٤/٢.

٥٢ - التواني في الأمر: التقصير فيه، م.ن: ٩٨/٥.

٥٣ - الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: ٧٠.

٥٤ - مهند مطرور: أي صقيل، لسان العرب: ٥٠٠/٤.

حتى تركت جموع الجماهير في ثورة (١٩٢٠م) في العراق فكان الكاظمي من الشعراء الملهمين للشوار وقد لعب شعره دورا في هذه الثورة^(٥٥).

الخاتمة

نستخلص من البحث ما يلي:

- إنَّ الشاعر عبد المحسن الكاظمي كان صاحب موقف ضد السلطة التركية وضد الاحتلال البريطاني لصالح الشعب العراقي خاصة والعرب عامة والعالم الإسلامي بشكل أشمل.
- انتزع الشاعر ألقاب تاريخية تعكس مواقفه الجادة للقضايا التي تصدى لها ومن هذه الألقاب (شاعر البداة والارتجال) و (شاعر العرب) و (شاعر الكفاح الخالد).
- سجل الكاظمي من خلال شعره التقلبات السياسية فكان شعره بحق سجل يعكس الحياة السياسية والاجتماعية في عصره فجاء شعره يعكس لنا شخصيته الشعرية التي جمعت بين المتانة والفصاحة والبلاغة والجزالة وبين نزعتة الوطنية التي كانت تدفعه لمقارعة الاستبداد والاستعمار.

المصادر والمراجع

١. الأدب العربي الحديث دراسة في شعره ونثره، د. سالم أحمد الحمداني و د. فائق مصطفى أحمد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، دار الكتب، بغداد.
٢. أهم مظاهر الرومانطيقية في الأدب العربي الحديث، فؤاد القرقون، سلسلة (حوار الثقافات والحضارات)، الدار العربية للكتاب.
٣. دراسات في الشعر العراقي الحديث، سلمان هادي آل طعمة، دار البيان العربي، ط، ١٩٩٣م، بيروت.
٤. ديوان الكاظمي (المجموعة الأولى)، دمشق، ١٩٤٠.
٥. ديوان الكاظمي (المجموعة الثانية)، مصر، ١٩٤٨.
٦. شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي حياته وشعره، د. محسن غياض، دار العربية للموسوعات، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨م.
٧. عبد المحسن الكاظمي سيرة وشعر وفكر، سعاد محمد الزبيدي، دار الحكمة، لندن، ٢٠٠٩م.
٨. الكاظمي شاعر الكفاح العربي، الحلقة الثالثة، عبد الرحيم محمد علي، مطبعة الغري الحديثة، النجف الأشرف.
٩. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري (ت ٧١١هـ)، ط ١، دار الصادر - بيروت، (د.ت).
١٠. معجم الشعراء العراقيين المتوفين في العصر الحديث، ولهم ديوان مطبوع، الجزء الأول، د. جعفر صادق حمود التميمي.

١١. معجم المفصل في الأدب، د. محمد التونجي، مدلد (٢)، ص ٨٨٥، ط ٢، ١٩٩٩م، بيروت.

الأطاريح والرسائل الجامعية:

١ - الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث، د. رؤوف الواعظ، دار الحرية، ط، ١٩٧٤م، بغداد.

٢ - عبد المحسن الكاظمي سيرة حياة وفكرة الانسجام الثنائي بين الصورة والمعنى في شعره، سعاد محمد الزبيدي، د. جلال الخياط، رسالة جامعية، ٢٠٠١م.

المجلات:

- مجلة صدى كربلاء العدد (١٠)، مقالة أ.د. عبود جودي الحلبي، كلية التربية، جامعة كربلاء.

العناصر التيبوغرافية في الصحف العراقية (دراسة وصفية)

Typographical elements in Iraqi newspapers (descriptive Study)

Dr.Jassim Z. H. AL-Saadi

م.د. جاسم زبون حسن الساعدي^(١)

ملخص البحث

تعد العناصر التيبوغرافية في الصحف، ورفع كفاءتها بالاستفادة من تكنولوجيا التقنيات الرقمية مهمة كبيرة من خلال إعتبارها معارف وخبرات متراكمة ومتاحة، وأن أدواتها ووسائلها المادية والتنظيمية والإدارية في جمع المعلومات ومعالجتها، وإنتاجها، وتخزينها، وإسترجاعها ومن ثم نشرها والاستفادة منها ضمن العناصر التفاعلية والرقمية، وإستعراض تطور أساليبها من خلال الأنماط التعليمية للمهارات الأدائية في الإخراج الطباعي ضمن إطار مهارات القرن الواحد والعشرين..

Abstract

The typographic elements in newspapers in the newspapers and raising their efficiency by using digital technology have become an indispensable issue in the use of the multimedia of the twenty-first century skills framework.

They are considered to be knowledge and accumulated experiences available in their tools,materialistic and organizational means, data collecting processing, producing,storing,retrieving,disseminating,benefiting and reviewing the evolution of their styles through the educational patterns of the performing skills in graphic design.

المقدمة

إنَّ تعريف "التكنولوجيا" له معاني مادية وأخرى علمية ومنهجية، من خلال الآلات والمعدات والإنشاءات الهندسية والفنية التي تشتمل على العناصر الفكرية الأساسية والمعرفية والتقنية والمنهجية التي تعتبر محصلة لنتائج الوحدات المادية الممتزجة والمتداخلة مع بعضها البعض في تلك المكونات، وأن غياب أحدهما يسقط إمكانية وجود الآخر^(٢).

وشهدت السنوات الأولى من القرن الواحد والعشرين تطورات هائلة في عالم المعلومات الكبير الذي اعتمد على تكنولوجيا المعلومات في جميع نواحي النشاط الإنساني وتميز بشكل هائل من خلال "شبكة الإنترنت"، كونها وسيلة إتصال فائقة السرعة وكمصدر معلوماتي قيم الأهمية وليس هناك على وجه الأرض حتى الآن مجتمع معلومات كامل.

وما يزال البعض يفكر بهذا الوافد الجديد الذي دخل بدون إستأذان والبعض الآخر يستعد للدخول في بودقته ضمن مجتمعات المعلومات وآخرون دخلوه، وإستاذنوه، ويتنقلون في فضاء أكثر تقنيّاً وتقدماً، ونحن نعيش وقتنا الحاضر في عالم متغير، عالم يختلف كثيراً عما كان من قبل إنه عالم يتجه نحو التكتلات المعلوماتية وشبكات الإتصالات بعيدة المدى التي تقدم المعلومات حيث شهدت المجتمعات البشرية عدداً لا يستهان به من التطورات المهمة في التاريخ.

لذا نجد أن العناصر التيبوغرافية في الصحف، ورفع كفاءتها بالإستفادة من تكنولوجيا التقنيات الرقمية تعد مهمة من خلال إعتبارها معارف وخبرات مترابطة ومتاحة، وأن أدائها ووسائلها المادية والتنظيمية والإدارية في جمع المعلومات ومعالجتها، وإنتاجها، وتخزينها، وإسترجاعها ومن ثم نشرها والإستفادة منها ضمن العناصر التفاعلية والرقمية، وإستعراض تطور أساليبها من خلال الأنماط التعليمية للمهارات الأدائية في الإخراج الطباعي ضمن إطار مهارات القرن الواحد والعشرين.

عليه تتلخص مشكلة "البحث" بما يأتي:

- ١- قلة عدد الخبرات والكوادر البشرية المتخصصة بمجال التصميم الطباعي في العراق.
- ٢- الإهمال لهذا المجال يجعل عملية اللحاق بتكنولوجيا المعلومات صعبة على العاملين فيه.
- وبناءً على دراسة قام بها "الباحث" يرى ضرورة العمل على:
- * دراسة العناصر "التيبوغرافية" في الصحف العراقية بإستخدام الحاسوب.
- * دور العناصر "التيبوغرافية" في تطور العمل بمجال التصميم الطباعي بإستخدام الحاسوب.
- * بيان أهمية المعلومات لهذا المجال ولإستفادة منها وتوظيفها لتحقيق المهارات الأدائية في:
- ١ - مهارات التعليم الذاتي. ٢- المهارات المعلوماتية. ٣- المهارات التكنولوجية. ٤ - مهارات إدارة الذات"

المبحث الأول: العناصر التيبوغرافية التفاعلية في الصحف العراقية

تشير العناصر "التيبوغرافية" إلى أي وحدة تشترك في بناء الرسالة التصميمية للصحف لتكون مقروءة من خلال الحروف والكلمات والصور والأطر والعناصر الأخرى التي تسهم في العملية الأخراجية له

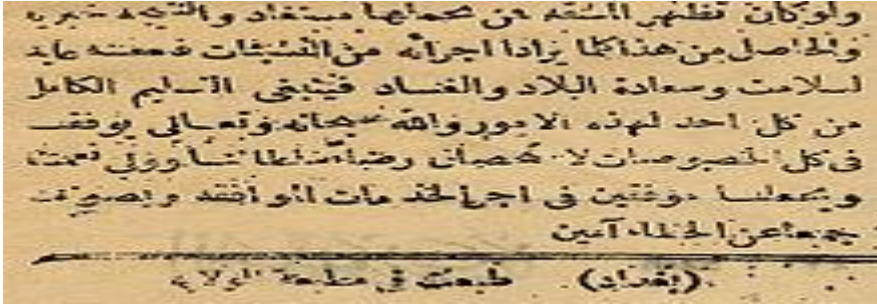
٢- حسنين محمد شفيق: الإعلام التفاعلي ثورة تكنولوجية جديدة، رحمة بريس للطباعة والنشر، القاهرة (٢٠٠٨) ص ١٧-١٨.

وتكون مكتملة في إدراكها بغية الوقوف على أهم السمات والملامح التي تميزها عن غيرها، وكيفية توظيف هذه العناصر في خدمة الأهداف التي تنتهجها الصحيفة، ومدى تقاربها مع القواعد والأسس "التيوغرافية" والبصرية التي تتحكم باستخدام العناصر المختلفة، والتي تشترك في بنائها بشكل عام من "حروف المتن والعناوين والصور والرسوم والفواصل والجداول والألوان، ليتجه الموضوع إلى الأداء المهاري للتصميم الطباعي للدوريات المختلفة، بالإيضاح والدلالة للمصممين والمنفذين الذين يهتمون بتكنولوجيا التقنيات الرقمية للعناصر "التيوغرافية" ورفع كفاءتهم المهنية والإبداعية بما يلي:

أولاً: شكل الحروف الطباعية وأرضيتها وكثافتها

تعد الاداة الرئيسة في أي عملية إخراجية "تيوغرافية" أحد العناصر التصميمية المجتمعة فيها، والتي تتعدد من خلال طول العناوين وصغرها في الصفحة أو زيادة عدد الكلمات التي يتضمنها سطر المتن المكتوب لإيصال المعنى الكامل وكفايته للقراءة، وإيصال الرسالة التوضيحية والإرشادية لتعزيز الخبر باشتراك الصورة في نقل المعنى كاملاً- كان موضوعه أو نوعه، وفي حال عدم وجود تعليق عليه، كي لا تصل الصورة بشكل مغلوط "خاطئ"^(٣).

إن حروف المتن هي أحد العناصر والأدوات التي يتكون منها حجم الخبر الإعلامي، والتي تختلف بطريقة الاستخدام من حيث كبر الكمية المكتوبة وإتساعها بعد وضعها في قوالب تقليدية دون أي تنوع يذكر، وتختلف عن حروف العناوين بكل أنواعها التحريرية والأعلانية^(٤).



الشكل (١) يمثل شكل الحروف وأرضيتها وكثافتها في الصحف ولما كانت الحروف هي الاداة الرئيسة في عملية القراءة، وتأخذ الحيز الأكبر في عملية إيصال الأخبار للمتلقى، لذلك يتحتم على المصمم أن يراعي تحقيق الحد الأقصى من السهولة في القراءة (Read ability) والذي تشير إلى إمكانية القراءة الميسورة للحروف خلال فترة طويلة من الوقت دون الشعور بالصعوبة التي تذكر، لتمكين القارئ بالسهولة وراحة العين أثناءها، والتي تتعاضد عند قراءة كميات كبيرة من الحروف، مثل ما يظهر واضحاً في حروف المتن^(٥).

٣- Edmund Arnold: Modern (Newspaper Nork York & Row 1969) p39

٤- ينظر إلى:

- أشرف صالح: إخراج الصحف العربية الصادرة بالإنكليزية، الطباعي للنشر والتوزيع، القاهرة (١٩٨٤) ص ١٣٥.
- سعيد الغريب النجار: مدخل إلى الإخراج الصحفي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة (٢٠٠٩) ص ٦٨.

٥- Walter Tracy, lettersot of Credit, Aview of Type Design, (London: Gordon Fraster 1986) p.30.31.

ولسهولة وراحة عين المتلقي ينبغي على "المصمم" أن يضع بمهام عمله معالجة العناصر "التيبوغرافية" لحروف المتن لضمان أكبر قدر ممكن من المواد المنشورة في الصحف، وتتفنن بعضها بإستخدام متغيرات إخراجية بعناصر المتن "التيبوغرافية" وتلجأ إلى التنوع بشكل الحروف، وإستخدام "الأبناط" الأكبر أو الإسراف بالمسافات التي تترك بين الكلمات، والسطور، وتنوع أطوالها، بما يعكس أشكالاً شاذة لها، ويدلل شكل الحروف إلى الطريقة التي تظهر بها على الورق المطبوع، والتي تعد من أهم العوامل المؤثرة في يسر القراءة والبساطة في التصميم^(٦).

وتتعدد أشكال الحروف حسب المجموعات الآلية التي تظهر بها بعد الطبع على صفحات "الجريدة" من خلال إستخدام الحواسيب، وأماطها الألكتروني، وبرامجياتها التي تتمتع بإمكانات هائلة في معالجة الكلمات بكل ما تتضمنه من عناصر "تيبوغرافية" تشترك في بنائها، ومن أهم وأبرز حروف العناوين المتاحة والأكثر إستخداماً في الصحف العراقية هي:

١. بيروت الجديد التصويري.

٢. بيروت المحدد، والمظلل.

٣. الذهب، والرياض.

٤. الكوفي، وأحمد التصويري.

٥. الحرف الأندلسي.

٦. دمشق الأبيض، والأسود.

٧. النديم أو بغداد الأبيض والأسود.

٨. حرف الجزائر.

٩. الحروف المضغوطة والمائلة.

ويعد حرف النديم، والياقوت أكثر إشكال الحروف إستخداماً في الصحف، لكونها الأكثر تحقيقاً ليسر القراءة، وطوعية وبساطة في التصميم ويناسبان الجمع بالأحجام المختلفة ومنها:-

أ- الحروف المائلة وإتجاهاتها.

على الرغم من أن حروف المتن ليست ذات أهمية من حيث قيمتها التأثيرية في جذب إنتباه القارئ إلى المطبوع، ولكن على "المصمم الطباعي" أن يركز على كيفية معالجتها في توفير أكبر قدر ممكن من اليسر للقراء^(٧)، ومنها الأشكال التالية على سبيل المثال:

العناصر التيبوغرافية في الصحف العراقية

العناصر التيبوغرافية في الصحف العراقية

٦- أشرف صالح وسعيد الغريب النجار: مصدر سابق، ص ١٩.

v- Arthur Turnbull & russel Baird, The graphic of Commun ication, (New York: Rienhart & Winston, 4th, ed., 1980) b. 67.

إلا أن العديد من الصحف العراقية تلجأ لتأكيد أهمية بعض الأخبار والموضوعات المنشورة على صفحاتها، باتباع بعض الإجراءات "التيبوغرافية" التي تؤثر على شكلها بما يعوق عملية القراءة السهلة، وتتجه إلى استخدام الحروف المائلة في جمع المواد، الأمر الذي ساعدها في ذلك هو تطوير أجهزة الجمع التصويري، التي يمكن بواسطتها الحصول على صورة الحروف والتحكم في زاوية ميل العدسة وتحريكها إلى اليمين واليسار بعد إتمام الطبع على الورق، ورغم المرونة والسرعة التي تنتهجها أجهزة الحواسيب وبرامجها المتقدمة في العملية وتنفيذها ببساطة ويسر من خلال الأمر المائل في القائمة من شكل الكتابة باستخدام التنسيق والمستخدم بشكل عام، وهذا النوع من الحروف يحقق التباين في أشكالها مع الحروف المعتدلة والمستقيمة على الصفحة الواحدة التي أثبتت أنها الصيغة المفضلة لدى القراء بتحقيق الراحة والسهولة لهم، في حين لا تلقى الحروف المائلة قبولاً لديهم، نظراً لما تسببه من إرهاق بصري للعين، وخاصة إذا تعددت السطور المجمعة بها^(٨).

وهناك فارق بين الحروف المائلة إلى الجهة اليسرى والأخرى إلى اليمين، فالأولى تظهر الخطوط فيها الزوائد العلوية والسفلية مائلة من أعلى اليمين إلى أسفل اليسار، أما الحروف اللاتينية تميل إلى اليسار من الأعلى، ليعكس ذلك التأثير على يسر قراءتها من خلال سير العين ذاتها، وهذا ما يتفق مع المسرى الطبيعي للقراءة في اللغة العربية، والتي تسير فيها العين من جهة اليمين إلى اليسار لتصبح أقل إرهاقاً لها في الحروف المائلة من جهة اليسار^(٩).

وتتباين الصحف في مدى إستخدامها للحروف المائلة، ليقصر ذلك على المقدمات والمواضيع الطويلة، في حين تتجه بعضها إلى الإسراف في إستخدامها وجمع بعض الفقرات المهمة داخل الموضوع الواحد، وجمع نصوص الأسئلة والأحاديث، وبعض الأخبار الصغيرة، والعناوين وتعليقات الصور وأسماء الكتاب كما في الشكل رقم (٢).

العناصر التيبوغرافية في الصحف العراقية

العناصر التيبوغرافية في الصحف العراقية

العناصر التيبوغرافية في الصحف العراقية

٨- سعيد الغريب النجار: مصدر سابق، ص ٢١.

٩- المصدر نفسه، ص ٢٢.

الشكل (٢) يمثل بعض استخدامات الحروف المائلة بالصحف العراقية

ب - شكل وأرضية الصفحات واستخدام الشبكات:

من الإجراءات التي تؤثر على شكل الحروف المستخدمة في الصحف، وتلجأ إليها معظمها لإضفاء مزيد من الإبراز على مواضيعها، كتابة متن الأخبار والموضوعات على أرضيات داكنة "شبكة" بواسطة استخدام الحاسوب الآلي في تنفيذها للصفحات "إلكترونية" على الشاشة، وفي طباعة "الأوفسيت"، الأمر الذي مكن الصحف من استخدام الأرضيات بمعدلات عالية من السرعة والمرونة، ويمكن التمييز بينها في عدة أشكال مختلفة للأرضيات وهي:

- طبع الحروف على أرضية "بالشبك" الباهت.
- يُعدُّ هذا الإجراء الذي يقلل من التباين بين حروف المتن والأرضية المطبوعة، مما يعيق عملية القراءة الصحيحة، وزيادة قتامتها ليصعب على العين التقاط الحروف وقراءتها، لقلة التباين بين الشكل والأرضية، وتزايد الأسنان الرفيعة للحروف مع نقاط "الشبكة" السوداء، وهذا يؤدي إلى التشويه في شكلها، ويؤثر على يسر القراءة ويسبب إرهاقاً للعين^(١٠).
- طبع الحروف على أرضية مخططة (مستقيمة ومتوازية)
- إنَّ عملية طبع الحروف على أرضية مخططة تؤدي إلى قلة التباين وتداخل الخطوط المكونة لها وإنحاء الحروف المطبوعة عليها لتشتت التركيز وإرهاق العين أثناء القراءة.
- تفرغ حروف المتن من أرضية قائمة.
- إجراء يحقق التباين بين الحروف والأرضية المفرغة، ويصيب العين بالإرهاق، لتردها بين الحروف "سوداء" وإخرى معكوسة "بيضاء" على الصفحة الواحدة^(١١)، والشكل رقم (٣) يمثل ذلك.
- تفرغ حروف المتن من أرضية رمادية.
- يعيب هذا الشكل عند استخدامه إلى جانب تغيير نوع الجهد الذي تبذله العين أثناء القراءة ويرهق البصر من قلة التباين بين الحروف والأرضية الرمادية الباهتة^(١٢)، ويشوش شكل الحروف من جراء إيصال الزوائد والأسنان الرفيعة البيضاء في "الشبكة".
- استخدام أكثر من علاقة بين الشكل والأرضية.
- يعد طبع كل سطر من سطور الخبر الصحفي الواحد بطريقة تختلف عن التي سبقته من أسوء الطرق التي تعيب التصميم الطباعي، وترهق البصر فضلاً عن ماتسببه من تردد العين بين علاقيتين مختلفتين

١٠ - أحمد علم الدين: دراسة تيبوغرافية للمصحف المصرية كونها وسيلة إتصال مطبوعة، إطروحة دكتوراه، غير منشورة، جامعة حلوان، كلية الفنون التطبيقية (١٩٨٨) ص ١٩٠.

١١ - أشرف صالح: دراسة مقارنة للمطبوعات البارزة والملساء وأثر الطباعة في تطوير الإخراج الصحفي، إطروحة دكتوراه، غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الإعلام (١٩٨٣) ص ٢١٦.

١٢ - أحمد علم الدين: مصدر سابق، ص ١٩٣.

للكل والأرضية عند قراءتها لكل سطر في المتن المطبوعة بهذه الطريقة، وهو ما يضاعف من الإرهاق الذي يصيب البصر أثناء القراءة^(١٣)، كما في الشكل رقم (٣).



الشكل رقم (٣) يمثل بعض إستخدامات الحروف المائلة بالصحف العراقية

- طبع حروف المتن على جزء من الصور المصاحبة. إعتادت الصحف العربية والمحلية منها على تركيب سطور بعض الأخبار الصغيرة على الصور المصاحبة لها، وعند طبعها تكون قائمة، ولا بد من تفرغ الحروف والكتابة منها بحيث تظهر بيضاء بلون الورقة التي تطبع عليها، وإذا كانت باهتة فلا بد أن تطبع الكلمات عليها بلون الحبر الأسود، حرصاً على تحقيق أكبر قدر من الظهور البارز لتجنب إرهاق بصر القارئ^(١٤).



الشكل رقم (٤) يمثل طبع حروف المتن على جزء من الصور المصاحبة.

قد يكون من المقبول إستخدام الأرضيات القائمة أو الشبكية فقط، وفي حالة إبراز خبر إعتيادي صغير المساحة كوسيلة للتعويض عن عدم البروز على أن لا يتكرر ذلك أكثر من مرة في الصفحة نفسها،

١٣- المصدر نفسه، ص ١٩٤.

١٤- المصدر نفسه/ ص ١٩٥.

مع استخدام "الشبك" الباهت الذي لا تزيد درجته عن (٣٠%) من الوضوح، وحجم الحروف في محاولة لزيادة التباين بينه وبين الأرضية المطبوع عليها أو المفرغة منها، بما يحقق لحسن ويسر القراءة، وإن الشيء الذي لا يجذب الإصراف فيه باستخدام الأرضيات القائمة بمساحات مختلفة على الصفحة من خلال ما يأتي:

(١) مضار بصرية من خلال استخدام الأرضيات التي تحمل "الشبك" القاتم والتي شأنها أن تجهد بصر القارئ لمواصلته القراءة لفترة طويلة تجعله لا يستطيع تكملة الموضوع.

(٢) الشبك القاتم يؤثر على سرعة قراءة الحروف السوداء على أرضية بيضاء تستغرق زمناً من الوقت أقل من الحروف البيضاء المفرغة من أرضية سوداء بنسبة (١٠%) وأقل من الحروف المطبوعة على أرضية شبكية بنسبة (١٧%) من أخرى مطبوعة بدرجة أكبر^(١٥).

ثانياً: حجم الحروف الطباعية واستخداماتها

يقاس حجم الحروف بـ "البنط" في الترتيب والإتساع والكثافة، ومن أعلى جزء إلى أسفلها، ويترك عند تصميمها وعملها وحجمها، كي لا تلتصق ببعضها، وأن الحروف المعمولة بأجهزة "الجمع التصويري" تبدو أصغر من حجمها الأصلي، وكذلك لحروف "الجمع الإلكتروني" التي تنضد بواسطة الحاسوب من نظيراتها التي تنتج بواسطة آلات الجمع الساخن "اللتريس" القديمة، وليس هناك معيار محدد للتمييز بين حجمها ونوعها واستخدامها، ولا يمكن القول بأن هناك أحجام معينة تصلح لعناوين ومتن معين فإن استخدامها يدخل في نطاق حروفه التي تتراوح ما بين (٧-١٢ بنط) من الإحجام الصغيرة وتنقسم إلى:

أ- الحجم الإعتيادي "الشائع" واستخداماته:

تستخدم معظم الصحف الحرف (١٠ بنط) التصويري في جمع أغلب مادتها التحريرية، وهو ما يعادل في حجمه وأثره البصري حرف (٩ بنط) المعدني المجمع يدوياً "السبائك الرصاصية" التي تستخدم في الطباعة الإعتيادية والبارزة التي تجمع بآلات "اللينوتيب" وبالجمع الذي يحقق يسر القراءة للعين والإتساع المعتاد للعمود التصميمي للصحف والذي يساوي (٤،٥ سم).

ب- الأحجام الصغيرة من الحروف واستخداماتها:

تستخدم بعض الصحف أحرف (٧-٩ بنط) في الإعلانات المبوبة على الرغم من استخدامها حرف (١٠ بنط) في بقية الصفحات ويعد هذا محدوداً على الرغم من صعوبة قراءته لأنه يؤدي إلى إجهاد العين أثناء القراءة وتترك الصحيفة برمتها، أو عدم تكملة قراءتها، لطول مواضيعها، وينصح "التيبوغرافيون" أن يتجنب المصممون هذه الطريقة وأن يقوموا باختصار المقالات والمواد المكررة والحشو الذي يطيل السرد الأنشائي لها، ليضمنوا مواصلة قراءتها بسهولة ويسر، لأن المتلقي غير ملزم بمتابعة ما ينشر إذا وجد صعوبة في القراءة^(١٦).

١٥- أحمد علم الدين، مصدر سابق، ص (١٩٧).

١٦- ينظر إلى: 69-70. p. cit, op. Arthur Trunbul.

ج - الأحجام الكبيرة من الحروف واستخدامها:

تلجأ بعض الصحف إلى استخدام أحجام أكبر من المعتاد عليها في جمع المواد على صفحاتها، في محاولة لتأكيد أهميتها الخيرية على أساس أن استخدامها بهذه الطريقة يعد من أقوى العناصر والوسائل "التيوغرافية" التي تحقق أكبر قدر من لفت الانتباه عما سواها وهي:

١- تكبير حجم الحروف بقياس (١٢ و ١١ بنط) (١٧):

تتجه بعض الصحف إلى تكبير حروفها والمقدمة تقوم بمهام الفقرات الثانوية، لتحقيق الانتقال التدريجي للبصر من خلال حروف العناوين الكبيرة والصغيرة، ومن الإجراءات المرغوبة بما هي جمع أكثر من حجم في سطور المقدمة باستخدام السطور الأولى بحجم (١٤ بنط) وتليها بحجم (١٢ بنط) وجمع المتن بحرف (١٠ بنط) وهذا الأمر يحقق نظر "التيوغرافيين" في التدرج البصري للعين، دون الإحساس بفاصل بصري واضح بينها.

٢- استخدام أحجام حروف أكبر في جمع الموضوعات بكاملها:

تعد هذه الإجراءات محمودة حين تجمع الموضوعات الكاملة بمساحة واحدة لتصل إلى صفحة واحدة وتستخدم لمقالات رؤساء التحرير وكبار الكتاب على أساس أنها تحمل رأى وتوجه إلى الصفوة وذوي النفوذ، عادة ما يكونوا من كبار السن لجعل القراءة أكثر راحة لأبصارهم.

المبحث الثاني: التصميم الطباعي.. أسسه العامة وإعداد المرتسمات.

أ- مفهوم التصميم الطباعي:

ويعني كتابة الخبر وإبرازه وما هو عنوانه ونوعه وما عدد سطوره وكيف يتم عرض عناوينه وبأى حجم أو نوع أو مساحة وأين يقع مكانه وموقعه بالتحديد ضمن إخراج الصحيفة ومضمونها إلى أن يخرج الخبر بظهور الصحيفة إلى عالمها الرحب بالقراء وعالمهم المتسع.

ويعرف "أشرف صالح" الإخراج الصحفي بأنه "هو كل العمليات الفنية التي تساعد على الخروج إلى المتلقى والتي تشمل على كل من التيوغرافيا والتصميم والطباعة" (١٨). وكذلك الأمور الفنية التي تؤدي إلى تنوع وتصنيف المادة الصحفية، وتقويمها وعرضها وإخراجها بشكل جمالى جذاب، معتمدة على مستحدثات المجالات الفنية الطباعية وعلم النفس التربوى ووسائل العرض والجذب وأساليب القراءة والإطلاع التي تنعكس بشكل كبير على اقتصاديات الصحيفة وتطورها وانتشارها بما يحقق زيادة إمكاناتها الإبداعية والحرفية والمهنية" (١٩).

١٧- إبراهيم إمام: فن الإخراج الصحفي، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة (١٩٧٧م) ص ٢٦٥-٢٦٦.

١٨- أشرف صالح: تصميم المطبوعات الإعلامية، الطباعى العربى للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٨٦.

١٩- نعمان أحمد عثمان: فنون التحرير الصحفي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٦، ص ١٥.

ب- الأسس العامة للتصميم الطباعي:

١- أسس الأداء المهارى للتصميم الطباعي:

يقوم الأداء المهارى فى تصميم الصحف على مجموعة من الأسس والقواعد منها ما يتم على الإدراك البصرى وما يتم ضمن الأسس النفسية والنضج العقلى للمتلقي، والأسس الأخرى المكملّة مادىة كانت أو مهنية وطريقة عرضها، ولا بد أن يتطلع الأمر الذاتى والنفسى العقلى بأسلوب التحكم والمتغيرات التى تحصل بالجنس ونوعه ودرجة التعلم للفرد ومن ثم تنعكس هذه الأمور على فئات المتلقين ودرجة استيعابهم وإطلاعهم على المضامين المرسلّة من خلال تصنيفهم على شكل فئات هى:

١-١ الفئة الأكثر تفكيراً:

وهذه الفئة تعتبر مجموعة محدودة أو قليلة بالنسبة إلى فئات المجتمع، وهى فئة تهتم بشكل عام بالمقالات التى تعالج الشؤون الداخلية والخارجية والسياسية والاقتصادية، وهى ليست بحاجة ماسة إلى توجيهها نحو الموضوعات فيما تتعرض لها الصحف بقدر ما لهم فى حاجة إلى إبراز نوع الكتابة والخطوط لأن اهتمامهم بالمضمون يصبح أكبر من اهتمامهم بالشكل والعرض.

١-٢ فئة المهتمين بالعلمية:

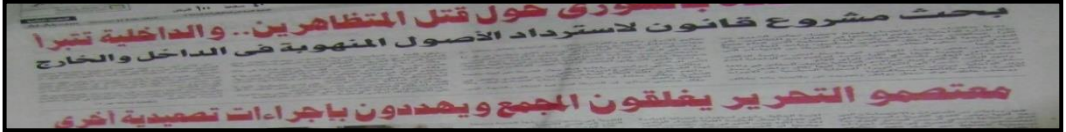
تهتم هذه الفئة بالبحث والتقصي عن المقالات والقصص الإخبارية والى تفيدهم فى أبحاثهم المتخصصة والمعلومات والبيانات التى تساعدهم على تحسين أدائهم المهني، وهذا النوع من القراء ليس لديهم وقت كافٍ لتكملة الصحيفة ولكن يكتفى بقراءة العناوين التى تجذب إنتباههم وتثير فضولهم، وتجعل المصمم يقدم لهم مادة موجهة يراعى فيها الوضوح والبساطة على صفحات المطبوع دون الحاجة إلى الإكثار بالوسائل التى تستخدم لجذب الإنتباه إلى خبر بعينه، لأن أفرادها لديهم القدرة على تقدير أهمية ما يقرأون من مواد منشورة.

١-٣ فئة الجمهور العام:

وهى التى تمثل أكبر الفئات وأوسعها انتشاراً فى قراءة الصحف للحصول على رغبة الاحتياج ويمكن توزيعهم وتصنيفهم إلى ثلاثة أنماط كالتالى:

- النمط الاول: ليس لديهم حافز لممارسة ابسط الأنشطة الرياضية بينما لديهم طاقة فى أجسامهم فيلجأون لقراءة قصص البطولة ومشاهدة كرة القدم وغيرها للتعويض عن مكانتهم الذاتية.
 - النمط الثانى: ليس لديهم حافز للهو بعد أن يفتشوا عن البدائل فى مشاهدة برامج التليفزيون الترفيهية والاستماع إلى الموسيقى والأغاني فأنتهم يعمدون إلى قراءة الكتابات الهزلية والإطلاع على الرسوم الساخرة والفكاهية والإطلاع على الصور الكاريكاتيرية.
 - النمط الثالث: الذين ليس لديهم حافز التفوق ليهتموا بقراءة قصص الإخبار التى لنجح أصحابها فى المجالات المختلفة ليتخيلوا أنفسهم أنهم الأبطال ويشعرون بلذة النجاح وكأنهم أصحابها.
- وجميعهم يحتاجون إلى ما يجذب انتباههم ويشدهم، لذا فإن دور المصمم الطباعى فى هذه الصحف، يتحتم عليه إبراز وتحقيق رغباتهم، فمثلاً يلجأ إلى أسلوب التصميم الأفقى بالعناوين العريضة لعرض أكبر مجموعة من الأخبار المثيرة والهامة بشكل بارز وواضح يجذب القارئ إليها، ويحتاج القارئ إلى ما يثير

اهتمامه لقراءة المادة المنشورة على الصفحات من خلال العناوين العريضة والصور الجذابة والأطر الكبيرة وأحياناً الألوان (الفضفاضة)، ويكون التركيب النفسى المضاف إليه درجة النضج العقلى الذى تتحكم فيه مجموعة المتغيرات التى تصل إلى السن والجنس والعادات والتقاليد والتى تسهم فى تمكين المجموعات فى استيعاب مضمون المادة الصحفية، وعلى المصمم الطباعى أن يراعى هذه المضامين ليتفق مع خصائص وسمات كل فئة وبما يتفق أيضاً فى درجة التعليم وقدرة الاهتمام مع المادة الصحفية التى تعنى بمتابعة الشؤون السياسية والاقتصادية والرياضية والحوادث والمقالات والافتتاحيات وغيرها.



الشكل رقم (٥) يمثل الأخبار المثيرة والهامة بشكل بارز وواضح لجذب القارئ إليها

٢- الأسس الفسيولوجية للتصميم الطباعي:

يعد تيسير عملية قراءة الصحف من الأهداف الرئيسة للمصمم لأنها أهم وسيلة بصرية لإيصال مضمون الرسالة الإعلامية، وأن عين المتلقى هى الصورة اللاقطة والمستوعبة لها ومن خلالها تنقل إلى منطقة الإدراك فى مخ الإنسان كى تتحول الصورة إلى مضمون يستوعبه العقل تبرز أشياء قد تؤثر على الاستيعاب وتعتبر من أهم عوامل التشويش، وهى سوء الطباعة وصغر حجم ونوع الحروف والانتقالات المفاجئة فيها، والتصرف فى خلفيات الحروف يرهق العين، واللون الأسود فانه يمتص الأشعة الساقطة ليعكس لوناً واحداً، والألوان الأخرى تعكس الأشعة بألوانها، ويبقى اللون الذى يستخدم فى الصحف هو المناسب لوضوح المادة المطبوعة عليه لسببين^(٢٠):

الاول: قلة تكاليفه لكونه غير ناصع البياض ومتوفر محلياً.

الثاني: لا يعكس كل ما يقع عليه من ضوء ويمتص بعضاً منه ويريح أعصاب العين للقارئ.



الشكل رقم (٦) يمثل صحيفة النصفية والكاملة



الشكل رقم (٧) علاقة النص بالأرضية مأخوذ من الانترنت

وفي هذا الصدد يمكن أن نخلص إلى ما يأتي:

- عدم حشو الصفحة بالعناصر التبيوغرافية الثقيلة مثل كثرة الصور بشكل يؤذى البصر، ولو اضطر المصمم إلى ذلك.. فلا بد من ترك مساحات بيضاء تساعد على إبراز الصورة.
- يجب عدم الإسراف في استخدام الإطارات والفواصل بشكل يسيء إلى الشكل العام للمصفحة.



(٨) يمثل الاسراف في استخدام

الشكل رقم

٣- الأسس المهنية للتصميم الطباعي:

من الشروط الواجب توافرها في الخبر الصحفي ليكون صالحاً للنشر هي: الصدق، والدقة والقرب في الحدث والجدية والمواكبة الواقع الاجتماعي، والصحافة أداة تأثير وتوجيه وتثقيف وإمتاع ضمن سياسة المطبوع، وإن سياسة الصحيفة تجعل المكنانات والمساحات الواجب توفرها تحقق عوامل الجذب والانتباه والإثارة في القراءة لدى المتلقي، ومحور الخبر له وسيلة الكلمة في التعبير عن المضمون، بينما المصمم فإن وسيلته في التعبير شكل الكلمة واللفظ على الصفحة.



الشكل رقم (٩) يمثل أشكال الجمع وأثرها على سهولة وصعوبة القراءة



شكل رقم (١١) يمثل خبر منزوي بالصفحة

شكل (١٠) يمثل مكان الخبر المنزوي



الشكل رقم (١٢) حشو الصفحة بالعناصر



التيبوغرافية الثقيلة



الشكل رقم (١٣) استخدام الإطارات والفواصل الشكل رقم (١٤) حجم ونوع الحروف والانتقالات

٤- الأسس الفنية والإخراجية للتصميم الطباعي:

بما أن فن التصميم الطباعي الحديث ينظر إلى الصحيفة على أنها "وحدة متكاملة من حيث الشكل العام الذي يكسبها شخصية مميزة بين الصحف والتي تتزايد بشكل كبير قد يضر أكثر من أن يؤدي مهام بذاتها، فإن المصمم هو الذي يضع كل خبر أو موضوع في مكانه المناسب على أوجه الصحيفة ليؤدي المهام المرجوة، ويراعى أن تكون الأشياء المكتملة في كل صفحة بشكل منسق في حيث المنظر العام

لتكون وحدة متكاملة وجميلة تؤدي إلى جذب انتباه الجمهور وتغري القارئ وعينه على تفحصها بأقل جهد ممكن^(٢١).

والتكوين الفني المتكامل في المطبوع يتميز بعدة خصائص وهي:

٤-١ التوازن:

هو شكل الصفحة ويتكون من مجموعة عناصر "تبيوغرافية" وهي "حروف المتن والعناوين والصور والرسوم والإعلانات" وهي بمثابة أشكال سوداء على صفحة بيضاء، لكن درجة هذه المواد تتفاوت بين الرمادي الفاتح والغامق والأسود الفاحم، وأن هذه العناصر تتفاوت من حيث المساحة التي تنتشر بها على الصفحة، حيث كانت الأساليب الكلاسيكية للإخراج الصحفي تعتبر المواد ثقلاً، فالمساحة السوداء الكبيرة أكثر ثقلاً من السوداء الأصغر منها وهذه الأساليب ترى إن التوازن لا يتحقق في الصفحة إلا إذا تمت هذه الأثقال وفقاً لقانون الروافع الذي يقول: (القوة × ذراعها = المقاومة × ذراعها) على اعتبار أن المحور الذي يقسم الصفحة من طولها إلى نصفين متساويين ومحور الارتكاز الذي توضع فيه قربة منه، بينما توضع الأثقال الصغيرة بعيدة عنه، فيتحقق بذلك التوازن، وقد ذهبت هذه الأساليب الكلاسيكية للتصميم الطباعي إلى تقسيم:

النوع الأول: التوازن الشكلي المتماثل يقسم الصفحة طولياً لنصفين متماثلين تماماً.

النوع الثاني: الذي يمتاز بتباين الصور والعناوين والحروف في الصفحة بشرط أن تؤلف معاً شكلاً جميلاً متناسقاً وهذا النوع من التوازن لا يمكن قياسه، وإنما يحس به الناظر، فينجذب إليه.

٤-٢ الإيقاع:

المقصود به أن يكون شكل الصفحة نابضاً بالحياة ويمكن أن يتحقق الإيقاع إذا استخدمت درجات اللون الأسود أو الألوان الأخرى في التكوين.

٤-٣ التناسب:

وهو الذي لا يتحقق بتساوي مكونات الصفحة في المساحة والشكل ولكن يتحقق إذا كانت كل عناوينها بحجم وشكل واحد أو إذا كانت كل الصور على الصفحة مربعة مثلاً ومتساوية في المساحة، فإن على المصمم أن يستغل ذلك بالإضافة إلى أنه يعتمد التنويع في شكل الحروف بما يحقق الانسجام بين كافة العناصر التبيوغرافية بالصفحة ومراعاة التناسق بين هذه العناصر^(٢٢).

٢١- أشرف فهمي خوجة: الإخراج والصحافة الإلكترونية، مصر الأسكندرية، دار المعرفة الجامعية، (٢٠١١)، ص ٢٢.

٢٢- المصدر نفسه، ص ٢٣.



الشكل رقم (١٥) يمثل التوازن المتباين

الشكل رقم (١٦) يمثل التوازن الشكلي المتماثل



الشكل رقم (١٧) يمثل الإيقاع

الشكل رقم (١٨) يمثل التناسب



الشكل رقم (١٩) يمثل عمل يدوي بالتوازن

اتجاه العنواين

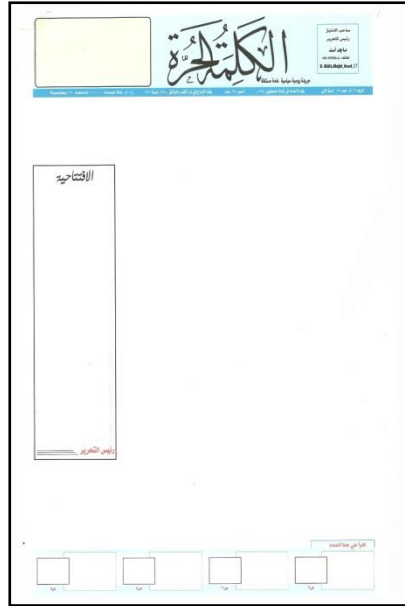


الشكل رقم (٢٠) يمثل الاستخدام للخطوط والعناوين

ج - المصمم الطباعي وتنفيذ الصحيفة:

تبدأ عملية تصميم الصفحة بالقلم الرصاص على المرتسم حيث يقوم المصمم أو سكرتير التحرير برسم الصفحة بشكل تمهيدي مراعيًا ترتيب الأخبار والموضوعات والصور عليها حتى تأتي مطبوعة، ومن أهم وظائفه أن يجعل "المالكيت" متحركاً ومرناً وقابلًا لاستيعاب الأخبار الجديدة أولاً بأول، وأن يتحكم في الصفحة موزعاً عليها المادة الإعلامية بشكل جمالي وجذاب وهو يقوم أيضاً بكتابة نوع الحرف والمقاس أو الحجم على الأصول بشكل واضح، وأن يقدر مساحة الموضوع بعدد السطور أو عدد الأعمدة، وأن يتأكد أن جميع الصور التي وردت إليه مكتوب عليها شرحاً خلفها، مع وضع اسم صاحبها وتاريخ التصوير، وإن المصمم الطباعي هو المسؤول عن شكل الصحيفة ويقوم بجمع المواد الصحفية على الحاسوب مستخدماً التقنيات الحديثة مثل أجهزة كمبيوتر "ماكيتوش" أو أجهزة كمبيوتر (IBM) وبرنامج الناشر الصحفي وبرامج معالجة الكلمات وتصميم الصفحات والصور والعناصر "الجرافيةكية" وآلات المسح الضوئي حتى تخرج المادة في

أحسن صورها تمهيداً لطباعتها، ويقوم المصمم الطباعي بالاتصال برؤساء الأقسام أو رؤساء الصفحات والمحررين ومندوبي الإعلانات، ثم بالمطبعة والعاملين فيها، فهو يعد حلقة الوصل بينهم.



الشكل رقم (٢١) تمهيدى مراعيًا ترتيب الأخبار والموضوعات والصور (من عمل الباحث). وقد لخصت مهام "المصمم الطباعي" على النحو التالي^(٢٣):

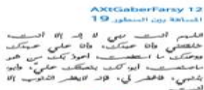
- البحث عن مواد عدد اليوم التالي.
- يطلب (المالكيت) المخصص للإعلانات لحجز الأماكن المخصصة له.
- يطلب من كل قسم بيان بما لديه من موضوعات وأصول المواد المتفق على نشرها.
- يتفق مع قسم التصوير على الموضوعات الجارية تصويرها وينتظر وصولها.
- يحضر اجتماع هيئة التحرير لمناقشة الموضوعات وتوزيعها على (المالكيت) المبدئي.
- يتأكد من إن عمال الجمع جاهزون لتسلم المادة لتنفيذ الصفحات وفقاً للنموذج المرسل.
- يبدأ بإرسال المواد، وإعداد (المالكيتات) واضعاً في اعتباره الأول مواعيد الطبع.
- وتقع مسؤولية وضع علامات وإرشادات الجمع على عاتق المصمم الطباعي ويتعين على أقسام الجمع ملاحظة هذه الإرشادات والقواعد المتفق عليها، وترسل الأصول ويكتب عليها نوع الحروف والمقاس ويقدر طول الموضوع وعدد سطوره، وعادة ما يقدم للحاسب الآلي بيان بعدد سطور المقال، ويقوم بتنفيذ التصميم مجموعة من المحررين، يمكن تصنيفهم إلى فئتين:
الأولى: فئة المصممين ويعملون داخل صالات التحرير أو مكاتبهم الخاصة.

- والثانية: فئة المنفذين الفنيين وعملهم داخل صالات "المونتاج" ويندرج تحت الأتي:
- محرر التنفيذ (Layout Edition) وهو المسؤول عن إخراج الصحيفة، ويخطط لكل صفحة في مشروع أو نموذج "ماكيت" مراعيًا تنسيق المواد الصحفية المتباينة في وحدات واضحة، وترتيبها وفقاً لقيم صحفية معينة.
 - المخرج المنفذ (Make up editor) وهو المسؤول عن إخراج الصحيفة في جانبها التنفيذي، حيث يقوم بإعداد كل صفحة طبقاً لتعليمات محرر التنفيذ أو المخرج المخطط الذي قام بوضع "الماكيت" مسبقاً.
 - المصمم (Designer) وهو الذي يحدد معالم التصميم الأساسي ويعطى تعليماته الخاصة للاتجاهات والأساليب الإخراجية الواجب إتباعها في إعداد الصحيفة، ويضع السياسة الإخراجية للصحيفة.
 - سكرتير التحرير أو المدير الفني: وهو الذي يقوم بالإشراف على العمليات الفنية الخاصة بالتصميم وتوزيع الموضوعات وتحديد أحجام العناوين والصور والألوان وفق طبيعة كل صفحة ومحتوى كل موضوع.
 - وتختلف هذه المسميات في الصحف العربية عنها في الصحف الأمريكية والغربية، فنجد الشخص الذي يتولى عملية إخراج الصفحات في الصحف العربية هو سكرتير التحرير الفني، وفي الصحف "الأميركية والأوروبية" يتولى المهمة محرر التوضيب، والمصمم التنفيذي والفني.

كيفية تصميم المرسومات الطباعة (الماكيت)

- هناك عدد من الأدوات التي يستعين بها المصمم الطباعي لأداء عمله من أهمها:
- ١- برامج الحاسوب الآلي المتخصصة في النشر الإلكتروني مثل برنامج الناشر الصحفي، ومعالجة الكلمات، والصور والرسوم، وتنفيذ الصفحات والعناصر الجرافيكية.. وغيرها.
 - ٢- إعداد قائمة بموضوعات العدد توضح أسم المواضيع، وعناوينها، وتاريخ ووقت تقديمها.
 - ٣- نماذج مرسمات (ماكيت) خالية مصغرة أو بالحجم الحقيقي للصفحات.
- وتنقسم الصفحة إلى أعمدة أفقية لوحداث طول الصفحة وهي عبارة عن نماذج ورقية تقترب من نصف المقاس الفعلي للصحيفة في حالة النماذج المصغرة، وعلى هذه الورقة التي تماثل المساحة المزمع طبعها، يقوم سكرتير التحرير بتوزيع العناصر المكونة لبنائها مشيراً عليها كل التعليمات التي يرغب في تنفيذها مثل اتساع الجمع، وأحجام العناوين، والألوان المطلوبة والصور، وهي خارطة ترشد الطابع إلى كيفية إنتاج الأنماط "التيوغرافية" على الصفحة، ويأتي وضع "الماكيت" في مرحلة سابقة على المرتسم المراد تنفيذه، لتجريب بعض أساليب تصميم الصفحة، إلى أن يستقر الرأي على طبعه ويتضمن ما يلي^(٢٤):
- عنوان الصفحة التي يقوم بتصميمها.

- رقم الصفحة، ورقم الطبعة – إن أمكن.
 - الشعار أو اللافتة (اللوكة).
 - الجداول والأطر والفواصل بين المتن والعناوين والصور والأعمدة بعضها البعض
 - تحديد مقاسات الصور والرسوم والخرائط.
 - عدد أسطر العنوان والمتن وعدد الأعمدة التي يحتويها وحجم الحروف.
 - الفواصل بين الصور والشروح والتعليق.
 - أسماء الموضوعات الخيرية وامتساع العمود (بالسنتمتر).
 - التغييرات وأرقام الصفحات التي تحال عليها، وأن يكتب التغيير إلى صفحة أخرى.
 - العناوين الفرعية ومقاساتها.
 - أن توضح المساحات التي تحتوي على صور أو رسوم داخل إطارات (Boxes) ويرسم بداخله علامة (X) كبيرة ليفصل بين تلك المساحة التي تشغلها النصوص.
 - توضع علامة (X) صغيرة توضح بداية المادة الخيرية وعلامة (#) لنهاية الموضوع.
- شكل (٢٢) يمثل الجداول والأطر والفواصل بين المتن والعناوين والصور والأعمدة



الشكلين رقم (٢٣) يمثلان رأس الجريدة والعدد والتاريخ

الاستنتاجات والتوصيات:

الاستنتاجات:

- ١- اعتماد الصحف العراقية على العناصر التبيوغرافية كونها وسائط تستخدم في التصميم الطباعي
- ٢- تنفيذ المرسومات وإنجازها بشكل مقبول لترويج وبيع الصحيفة للمتلقي.

- ٣- يهدف التصميم إلى جذب القارئ من خلال التأثير على إنتباهه وماينتصب في شراء الصحيفة.
- ٤- تُستخدم العناصر التيبوغرافية في الصحف من خلال العنوان والمتن والصورة والخطوط بشكل كبير لأنها تدعم المادة الخبرية وتبرزها.
- ٥- تكون أغلب العناصر التيبوغرافية في ما يدل عليه العنوان والمتن والصورة والأشكال والحرف.
- ٦- تعتمد أغلب عناصرها على حروف المتن والفواصل وتوزيع المادة الإعلامية التي تتناولها.

التوصيات:

- ١- الإسهام في تدريب القدرات العاملة بالمهارات الأدائية للتصميم الطباعي بإستخدام الحاسوب.
- ٢- تحويل المؤسسات الإعلامية الكبرى والصحف إلى مشاريع اقتصادية للتطور البلد.
- ٣- بما أن المصمم الطباعي يستخدم العناصر التيبوغرافية في الصحف فعليه أن يطور الكوادر الجديدة بالمهارات الأدائية والتقنيات الحديثة لإعداد جيل آخر للعمل بإستخدام تقنيات الحاسوب.
- ٤- التنسيق مع المؤسسات الإعلامية والجامعات للاستفادة من تجاربها في هذا المجال الحيوي.
- ٥- مراعاة الشروط المهنة عند صياغة المهارات الأدائية للعناصر التيبوغرافية التي تستخدم.

المصادر العربية

- ١- أحمد علم الدين: دراسة تيبوغرافية للصحف المصرية كونها وسيلة إتصال مطبوعة، إطروحة دكتوراه، غير منشورة، جامعة حلوان، كلية الفنون التطبيقية (١٩٨٨).
- ٢- إبراهيم إمام: فن الإخراج الصحفي، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة (١٩٧٧).
- ٣- أشرف صالح: دراسة مقارنة للمطبوعات البارزة والمساء وأثر الطباعة في تطوير الإخراج الصحفي، إطروحة دكتوراه، غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الإعلام (١٩٨٣).
- ٤- أشرف صالح: إخراج الصحف الصادرة بالإنكليزية، دار الطباعي للنشر، القاهرة (١٩٨٤).
- ٥- أشرف صالح: تصميم المطبوعات الإعلامية، العربي للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة (١٩٨٦).
- ٦- أشرف صالح: إخراج صحيفة الإهرام الدولية، العربي للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة (١٩٨٧).
- ٧- أشرف فهمي خوخة: الإخراج والصحافة الإلكترونية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية (٢٠١١).
- ٨- حسنين شفيق: الجوانب العملية في إخراج الجريدة، القاهرة، رحمة بريس للطباعة (٢٠٠٦).
- ٩- حسنين شفيق: الإعلام التفاعلي ثورة جديدة، رحمة بريس للطباعة، القاهرة (٢٠٠٨).
- ١٠- سعيد الغريب النجار: مدخل إلى الإخراج الصحفي، الدار المصرية، القاهرة (٢٠٠٩).
- ١١- سمير صبحي: الجورنال، القاهرة، دار المعارف، (١٩٩٥).
- ١٢- نعمان أحمد عثمان: فنون التحرير الصحفي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (٢٠٠٦).

المصادر الأجنبية

- 13- *Arthur Trunbul, op.cit, p.69-70.
- 14- -Walter Tracy, lettersot of Credit, Aview of Type. Design, (London: GordonFraster1986).

15- Edmund Arnold: Modern (Newspaper Nork York & Row 1969).

16- Ication (New05 York: Rienhart & Winston 4th ed 1989).

قسم

الانكليزي

- Thompson, Mel. *Understand Philosophy*, UK, Macmillan, 1995.
- Thomson, Peter. *Brecht: Mother Courage and Her Children*. UK. Cambridge University Press.1997.
- Thomson, P., & Gardner, V. *Brecht: Mother Courage and her children*. UK. Cambridge University Press.1997.
- Von Balthasar, Hans Urs. *Theo-Drama: Theological Dramatic Theory*. USA, Ignatius Press, 1988.
- Weber, Betty Nance, Hubert Heinen. *Bertolt Brecht: Political Theory and Literary Practice*,USA. University of Georgia Press. 1980.
- Weedon, Chris. *Feminist Practice & Poststructuralist Theory*, USA, Basil Blackwell, Inc., 1989.

- Blanshard, Paul. Classics of Free Thought, Prometheus Books, NY, 1977.
- Bloom, Harold. Brecht, Bertolt: Comprehensive Research and Study Guide. USA. Chelsea House Publishers. 2002.
- Brecht, Bertolt. Mother Courage and Her Children. London .Methuen 1995. "Mother Courage and her children, trans." E. Bentley 1962.and Anderson, Edith. "Theatre for Learning." The Tulane Drama Review, Vol. 6, No. 1 (Sep., 1961), pp. 18-25.
- Brooks, Peter and Robert, Penn Warren. Understanding Poetry (4th ed).New York: Holt, Rinehart and Winston, 1976.
- Cohen, Robert. Theatre. Fifth edition. California: Mayfield Publishing Company, 2000.
- Eagleton, Terry. Marxist Literary Theory, USA, Blawell Publishers, 1996. Literary Theory: An Introduction. Oxford: Blackwell Publishing, 2006.
- Garaudy, Roger. Marxism in the Twentieth Century, UK, Collins Clear-Type Press, 1970.
- Gordon,Walter K. Literature in Perspective, NY: Appleton-Century-Crofts, 1968. Gussowdec, Mel "A Melding of the Artist's Politics and the Politician's Art", New York Times, 2011http://www.nytimes.com/2011/12/19/theater/vaclav-havel-an-intertwining-of-artist-and-politician.html?_r=0
- Kellnar, Douglas. "Brecht's Marxist Aesthetic ". <http://www.gseis.ucla.edu/faculty/kellner/kellner.html>
- Lefevere, André. "Mother Courage's cucumbers: Text, system and refraction in a theory of literature." Modern Language Studies (1982): 3-20.
- Lyon, James K., Bertolt Brecht in America. USA, University of Illinois Press, 1980.
- Mennemeier, Franz Norbert. Bertolt Brechts Lyrik. Schwann-Bagel, 1982. "Mother Courage and Her Children." Trans. JF Sammons. Brecht: A Collection of Critical Essays.Ed. Peter Demetz. Prentice-Hall: Englewood Cliffs (1962): 138-150.
- Mother Courage and Her Children." Trans. by John Willett. New York 2007. Rob Graham,Theatre: A crash course ,UK,Ivy Press Limited,1999.
- Subiotto, Arrigo V., Bertolt Brecht's Adaptations for the Berliner Ensemble. London : Modern Humanities Research Association, 1975.

involvement of coproduction in the spheres of labour and politics, Brecht goads the same kind of collaboration and involvement in his production. He works in collectives whereby a group of co-workers cooperate on production. He found in his co-workers significant participants in the process of creation, all and sundry were made to take part in the production of the literary work. This procedure constituted a revolution in terms of writing whereby it rejects the concept of the creator as the only genius. This was meant to change aesthetic production completely.

CONCLUSION:

Brecht's *Mother Courage* is exceptionally significant to us today so to speak to the past generation(s). There are still wars that are profoundly individual and roused by eagerness yet dressed figuratively speaking in religious clothes, expending a huge number of pure souls. These wars are regularly incited by individual conscience or for business reason. In the majority of these spots the war is regularly asserted to be religious and sacred. Obviously we ought not overlook the now rested immovable issue of the Northern Ireland. The way that there are still wars going ahead in different places over the globe is an affirmation that humankind has not taken in anything from past catastrophes. The Nazis and Communists are worse than the old systems, but they could not have acquired a hold over men's minds if orthodox dogmatic habits had not been instilled in youth. Stalin's language is full of reminiscences of the theological seminary in which he received this training. What the world needs is not dogma but, as Bertrand Russell puts it is "an attitude of scientific inquiry combined with a belief that the torture of millions is not desirable, whether inflicted by Stalin or by a Deity" (Paul Blanshard, *Classics of Free Thought*, P.156) This in itself makes *Mother Courage* topical and contemporary. There is a basic contradiction that underlies Brecht's approach to theatre and that is Brecht as, a Marxist, believes in materialistic determinism, and yet at the same time he appeals to human freedom to decide to change the prevailing conditions.

REFERENCE:

- Barry, Peter. *Beginning Theory*, UK, Manchester University Press, 2009.
- Bently, Eric. *The Theory of Modern Stage* (London, Penguin Books, 1990.

Walter Benjamin emphasizes that the response to epic theatre must be: "Things can happen this way, but they can also happen quite a different way"(quoted in. Terry Eagleton, Marxist Lit. Tummy P. 138.) This critical stance nurtured by a montage of images and a sequence of characteristic social tableaux that Brecht labelled "gestus".

His theatre parts with the "culinary" theatre as he terms the conventional or dramatic theatre where the play is a closed system of interdependent scenes, each are evolving inexorably from its predecessor but with the plot so structured that the audience was kept in suspense. The epic play takes a completely different course of action where the play is assembled as a montage of independent incidents that reflect a process taking place.

Brecht repudiated theater which aims at producing an illusion of reality. His motives lie in the fact that this illusionist theatre is prone to reproduce the dominant ideology and persuade the audience to identify bourgeois ideologies with reality.

Brecht applies Korsch's theory that ideology was a material force that served as a deluding force from which people must be freed and try at the same time to produce plays that could destroy people's identification with bourgeois ideologies.

Therefore, Brecht's strategy of annihilating dominant ideology is achieved through his manipulation of Korsch's principle of ideology. Brecht held that his theatre could supersede the reigning bourgeois ideology theatre. This strategy could compel the audience to mull over the world more critically. He estimated that this is a type of critical intercession with bourgeois culture that could debilitate it from inside. Therefore, dramaturge and philosopher, saw intellectual action, in addition to aesthetic and political theory, as significant instances in revolutionary practice along with economic and political action.

For the sake of producing an iconoclastic theatre, Brecht contemplated the separation of the elements or what MacCabe terms a "politics of separation". (Kellner, "Brecht Marxist Aesthetics")

Thus he isolated words, music, and scene from "Wagnerian Gesamtkunstwerk"(*Ibid*) which mixed these components into one alluring and domineering whole where by all components collaborate to devour the audience in the aesthetic totality. Accordingly each element or component will maintain its independence sometimes contradictorily so as to arouse critical thinking and clairvoyance.

This aspect of theatricalization on the part of Brecht is compatible with Korsch's Marxist philosophy because exactly as he spurred a democratic

understood my plays" and saw in Marx "the only spectator of my plays". (Quoted in D. Kellner)

Marxian dialectic targets at a modification of the dominant bourgeois order. Hence this dialectic assesses reality as a process of an incessant transformation. Marxist perception stipulates a reading of history as a specific phenomenon i.e. understanding society in terms of a specific historical era instead of dealing with universalizing discourse.

Brecht has adopted this historic specification of a context so that he can reveal how such a context impacts and creates the characters. In this instance he parts with the conventional dramatists whose concern was the universal element of the human condition and destiny. Hence in *Mother Courage*, he portrays trades people relation to soldiers and civilians during war in an emerging market society.

His major theatrical device was the alienation effect or, to use the German, *verfremdungseffekt*, was Brecht's way of stopping actors from identifying with their roles, and demonstrating them instead. He used devices to distance the audience, such as having the actors whisper asides or wear masks. Brecht's epic technique relied on audiences' reflective skills to interpret the action. (Rob Graham, P.109)

His avoidance of theatrical illusion, intends to reveal the ideology and human conduct, and accordingly inform his spectators about why they act in a particular way in society. *Mother Courage's* sufferance is to be comprehended as a historically specific component of her ambience and the theatre was to convince the audience to ponder why such events occur, therefore supplying the spectators with historical knowledge.

Roland Barthes frankly speaks that there is "a specific ideological content, coherent, and remarkably organized in Brecht's theatre" which means that Brecht has dramatized Marxist ideology into theatrical experience. So to separate the Brechtian theatre from its theoretical foundations would be as erroneous as to try to understand Marx's action without reading *The Communist Manifesto*.

Brecht's theatre draws on Marxism not in terms of mottos or articulation of arguments but rather in terms of a general method of explanation. In his theatre the Marxist elements always appear to be recreated. His ideological themes might be described as a dynamic of events that amalgamate observation and explanation, ethic and politics: according to the Rob Graham deepest Marxist instructions, each theme is at once the delineation of what men aspire to be.

Religion, Marx holds, comes to be associated with deficiency and lack which are made valid by the bourgeoisie democratic state. The situation that man, forsaken to the self-centered aloneness of the maze of the commercial economy, and hegemonized by alien forces which menace and destroy him, lives the "split-up" which distinguishes religious life in his real life he is an individual, severed from his proper human life.

This abstract split is embodied by the chaplain where he, towards the end of scene six, reveals this split. He claims, as he chops wood, that he is "not a wood cutter by trade" for he "studied to be a pastor of souls". His talent is being abused by manual labour:

My God- given endowments are denied expression. It is a sin. You have never heard me preach. One sermon of mine can put a regiment in such a frame of mind it'll treat the enemy like a flock of sheep. Life to them is a smelly old foot- cloth which they fling away in a vision of final victory.

First, the chaplain's mastery to dispatch people into war heedless of their likes could be read as an allusion to Hitler's oratory which also conjured up a vision of final victory. It also sheds some light on the demagogic nature of clergy man whose life of a "species- being", which is their properly human life (as opposed to the self-centered individualism imposed by capitalism and more generally, by the commercial economy), they project into heaven, where love rules and man acknowledges himself formally as a species- being (living and dying for the whole of mankind).

The bourgeois democratic state, Marx believes validates this division; that of the individual's real life where the conflict between the individual, sensuous existence of man and his species- being is cancelled. He also contends that religions are no more than "different degrees of the development of the human mind, "snake-skins sloughed by man" (P.5). He holds as well that religions are born, live and demise in determined historical conditions. Christianity for him, is well-adapted to a commercial economy where by man is divided up into a self-cantered individual in his real life, and a moral person in the heavenly recompense resorts to for the lack of species life.

The Dramatization via Technique:

Brecht's Marxism was shaped by his mentor Karl Korsch ('Doughy Kellner. "Brecht's Marxist Aesthetic ") whom he refers to as "My Marxist Teacher" and elsewhere he wrote: "when I read Marx's capital, I

religion, ideology (world views, ideas, values, and beliefs). Marx argues that superstructure grows out of the base, and reflects the interests of the ruling class that controls the base. As such it justifies how the base operates, and the power of the ruling class.

Hence *Mother Courage* is an incessant Marxist indictment of the economic motives behind international aggression. War is an extension not of diplomacy but of free enterprise. The Swedish monarch Gustavus Adolphus pretends to be motivated by religion and Zeal but he is after personal gain and territorial aggrandizement. In this context where both factions annihilate each other for profit, all human ideals deteriorate into a sycophantic cant. The tycoons in the play remain invisible which the external conflict is narrated, but the dramatic action concentrates on the lives of the laity, the subordinate. The war is just the same as a commercial transaction and the "General Tilley's victory at Leipzig" has more significance only insofar as it "costs *Mother Courage* four shirts".

The refusal of a role for religious belief among wartime tycoons is quite obvious in scene three's action as well. The chaplain's hypocrisy is evident in his words, "All good Catholics here" and it seems not to matter to *Mother Courage* which religion's flag she flies. The speed with which the chaplain changes his clothes when they are attacked by the Catholics reveals that his religious principles are immediately replaced by his lack of bravery. One can possibly believe that the differences between both factions are not so great after all, which facilitates it for people to adopt another allegiance for non-religious causes. *Mother Courage* says "Bribery in humans is like mercy in God" and here Brecht Poses the question of the worth of religious belief in what is, after all, supposed to be a war of religion.

Marx argues that the split of man between his life which is abandoned to the capitalist system and his illusory life as an "abstract citizen of an abstract community in which he finds an inferior substitute species – being" is typical of both political and religious alienation.

Marx makes plain that Christianity is especially made to fit the conditions of an individualist commercial so city where by a human being, cloistered as an individual, looks for a celestial recompense for this seclusion in "the cult of the abstract man...the religious complement which is most suited" to communities of this kind. In the democratic bourgeois state one finds a secularized expression of this split- up of man: it expresses "in a human and secular form, in its political reality, the human basis of which Christianity is the transcendental expression".

Bible, but our Lord turned the five loaves into five hundred there was no war on and he could tell people to love their neighbors as they 'd had enough to eat. Today it's another story" (scene2, p.17), to which the general's answer is "Quite another story ...you Pharisee".

Marx believes that for the sake of hegemony and manipulation, the dogma of original sin has been used for this purpose. He supports his argument by citing St. Augustine who preaches in his city of God that "God introduced slavery into the world as a punishment for original sin: to seek therefore, to abolish slavery would be to rebel against the will of God" (Saint Augustine, City of God, P.46) The Christian institution has invariably accredited all types of class ascendancy as being decreed by God. All atrocities are committed in the name of God in the play. Religion is taken at its face value and men of religion symbolized by the chaplain only pay lip service to religious morality. What dominates is the notions of the capitalist system. Religion in the play is disparagingly subordinate; an attitude represented by the general and the chaplain and the despicable way the chaplain is treated by the general whose "piss all for the chaplain, the old bigot". Is expressive of this subordinateness.

The chaplain is the voice of the church and reveals in his attitude the above mentioned concept of supporting the capitalist system and its policy of amassing fortunes at the expense of the masses because for the chaplain it is "a war of faith ...fought for the faith and therefore pleasing to God." (Scene 3, P.25). Later the chaplain speaks of the gracious nature of the monarch and his concern about human liberty, he says all our king minded about was freedom. The emperor had made slaves of them all, Poles and Germans alike, and the king had to liberate them" (Scene 3, P.26)

The truth about what the monarch did was mainly out of a capitalist urgency in that Gustavus Adolphus was fighting to establish Swedish control of the Baltic provinces and to put an end to Catholic, Polish claims to the throne of Sweden, which was protestant, so he was already championing Protestantism, as he was to do later to do in the Thirty years war. The General's Christianity, however, as his racy comments on the peasants as "dung-encrusted yokels" and the chaplain show, is little more than a license to plunder the catholic population.

Religion, Economy, and politics are closely associated since in Marxist theory, human society consists of two parts: the base and super structure. The base refers to the forces of production –to all the people, relations between them, the roles that they play. Superstructure refers to culture,

religion runs counter to the political health and well-being of nations " (Baron D' Holbach, P.26)

Brecht is quite supportive of this claim as the chaplain comment makes clear when he argues that when war fails to continue, it might to "A Slight case of negligence, and it's bogged down up to the axles. And then it's a matter of hauling the war out of the mud again. But emperor and kings and popes will come to its rescue ". (scene 6, P.52- 53).

Brecht is referring to the connivance of religion with politics to continue the war and he unmasks the political and social abuse of religion.

Marxist anti- religion attitude does not start from a negation, but from an affirmation it affirms the autonomy of man and it demands as a result the repudiation of any try to usurp man's creative power.

For Marx the repudiation of the metaphysical is no longer meaningful because disbelief is a negation of God and seeks to affirm by this repudiation the existence of man. That is to say humanist philosophy is no more to be defined by the rejection of religion.

Marx denial of God is the inheritor of the humanism of Fichte and Hegel, which restores to man the powers " traditionally alienated in God" (Garudy, P. 67). His philosophy is also heir of Feuerbach's humanism which opposes religion as severing man from what is best in him by "projecting his hopes and virtues into God".

Marx's handling of this problematic is different from his predecessors' in that he does not look at religion as a lie manufactured by oppressors or as chimera created out of ignorance, he rather diagnosed it according to the human needs and how they were mystified and met by religion. Human needs, he holds, are at once a reflection of an essential dilemma and a protest against it.

In *Mother Courage and her Children*, religion is seen as an ideology that both explains and justifies the existing order therefore it is used or rather abused as a firm instrument which makes it attainable to instruct then that existing governments or world views are willed by God and that, as docile and law-abiding citizens, they must consign themselves to it.

This notion of submission to the Ancient Regime is pictured in the Christian permutation of the Biblical import. Eilif has committed a heinous crime of murdering the peasants and confiscating their property which is eulogized by his general and upon being asked by the general about Eilif's act, the chaplain succumbs to the reigning discourse and supremacy of terror so he tries to justify the abominable act and retorts: "Necessity's the mother of invention " by saying "That phrase is not strictly speaking in the

Kragler, walked out on the German insurgency after the war for going to bed with his better half.

While in Berlin in the mid-1920s, Brecht started to demonstrate an enthusiasm for Marxism. He connected with a wide hover of recognized radical companions and specialists, and got to be familiar with Marxism through examination with companions and partners, for example, Leon Feuchtwanger, Fritz Sternberg, John Heartfield, Wieland Herzfelde, Alfred Doblin, Hans Eisler, and Erwin Piscator. As Brecht lets it know, he required data about financial matters for a play arranged with Piscator for the 1926-1927 seasons about the Chicago grain market. The unfinished play, *Wheat*, obliged information about the deal and appropriation of wheat. Brecht said that in spite of the fact that he talked widely with grain representatives, they were not sufficiently ready to clarify the workings of the wheat business sector and that the grain business stayed unfathomable in standard monetary and business talk.

Despite the fact that the arranged dramatization stayed fragmentary - it was later renamed *Joe Fleischhacker* - Brecht entered Marxist study bunches as of now, including Marxist apostate Karl Korsch. The man who he later alluded to as "My Marxist Teacher" was one of the first Marxist savvy people to be arranged out of the Communist Party for "deviationism." Korsch additionally added to a number early to scrutinize Leninism and afterward Stalinism. Brecht's particular rendition of Marxism was very impacted by his "instructor" Karl Korsch and that in reality Korsch's form of Marxism molded Brecht's tasteful hypothesis and practice. I endeavor to exhibit that certain Marxist thoughts were integral to Brecht's perspective, as well as to his extreme idea of political craftsmanship. In like manner, accentuation will be put on the ways that his political style, got from Marxian thoughts, helped formed the very type of his theater and composing. However, to begin with, I show how Brecht appropriated his idea of Marxism and what adaptation of Marx's thoughts so profoundly impacted him.

Religion in the play is portrayed as something of little help in a time of crisis. In the play it is depicted through the sycophant character of the lascivious chaplain who changes his allegiance at the drop of a hat. When peace is declared he dusts off his vestments and is prepared to go to work, but soon changes his mind when war breaks out again.

Baron d' Holbach was a major influence on Karl Marx in terms of his atheistic *weltanschauung* whose ideas are portrayed by Brecht. D' Holbach advocates an anti- Christian attitude because he argues that " Christian

Brecht as a Marxist:

Eugen Berthold Friedrich Brecht (was conceived at Augsburg in 1898). Brecht was the child of a very much regarded bourgeois gang. Brecht Marxist hostility to independence presented with French sauces, is presently about prevailing in the college, and influence the media and amusement businesses. Surely, Brecht was following up on his standards, however one can recoil at his sermons on "goodness," while making the most of his renowned maxims: "First comes eating, then comes profound quality," and "For this life, no individual is sufficiently terrible," His initial ballad, "Concerning poor B.B., " has a delightful entry where he leans back, in the midst of a couple of ladies, whom he guarantees:" In me you see a man upon whom completely you can't answer." Whether Hauptmann composed some, or even all, of this lyric is a pleasant question. Brecht was an expert Stalin perpetually, yet against Nazi.

Brecht's relationship to Marxism is amazingly vital and exceedingly complex. From the 1920s until his passing in 1956, Brecht recognized himself as a Marxist; when he came back to Germany after World War II, he picked the German Democratic Republic (GDR), where he and his performer wife Helene Weigel framed their own theater troupe, the extremely popular Berliner Ensemble, and were inevitably given a state theater to run. Yet Brecht's relationship to universal Marxist authorities and tenet was frequently conflictual, and his own work and life were profoundly peculiar. Of an unequivocally hostile to common mien from his childhood, the youthful Brecht was additionally at first repulsed by Bolshevism. He encountered the German insurgency of 1918 with some indecision and committed himself to abstract and not political action amid the turbulent early years of the Weimar republic. He recorded in his Diaries, for instance, a negative reaction to a discussion he heard on 1920 on the Soviet Union in which he was repulsed by the idea of communist request he heard examined. He showed a negative impression of Bolshevism and finished up his entrance by noticing that he preferably has another auto than communism!

Yet from the earliest starting point of his abstract vocation, Brecht was a foe of the built up average society. Brecht created unequivocally against common play Baal (1918-19), which had an unpredictable connection to expressionism (Kellner, "Brecht Marxist Aesthetics"), and in 1919 composed Drums in the Night, a play that managed the bafflement after World War I and the German insurgency. The returning trooper in the play,

playwrights "emane them under the devastating scrutiny of their dramatic art"(Walter K.Gordon, Literature in Perspective,P.5)

That Brecht questions religion in this play is completely caught in the expressions of Mother Courage, when after the makeshift annihilation of the Protestants, Swiss Cheese and the Chaplain bandy together sitting tight for the chance to resume their typical life. Taking a gander at them from a vantage position, Mother Courage says (28), "That's how it is. Here you sit---one with his religion, the other with his cash box, I don't know which is more dangerous." This is the crux of the matter. Which of the two is more perilous -Capitalism as symbolized by Swiss Cheeses' money box or religion as spoken to by the Chaplain? It is a question that was never determined in the play. What is not dicey in any case, is that in Mother Courage religion capably serves as an impetus for homicide, loot, savagery, bloodletting, decimation, and the destruction of a whole populace.

Brecht powerfully demonstrated the preposterousness of religious figures in this play by depicting the Chaplain as a war hawk and a dynamic teammate in its execution. Truly the ashes of this war are stirred by religious emotions communicated by individuals like the Chaplain. For instance, in a polemical discussion with the Cook concerning the devastation destroyed by the war, he is able to legitimize the demolition of individuals in this war by comparing it to affliction. He says (24), "All very touching my dear cook, but to fall in this war is not a misfortune, it is a blessing. This is a war of religion. Not just any old war but a special one, and therefore pleasing unto God". Articulations like this, made by the religious request or their agents help in fanning the coals of contempt in this war. Both sides are completely persuaded they are battling a 'Heavenly war' satisfying unto God. Furthermore, in endeavors to satisfy their "God(s)" they crush whole towns and towns as saw amid the attack on the town of Halle where Kattrin lost her life. In yet somewhere else in the content when Mother Courage incomprehensibly communicates her trepidation about the possibility of peace, the same Chaplain advises her not to stress in light of the fact that the war will never stop not to mention arrive at an end. This section merits citing finally on the grounds that it catches the commitment of pioneers, both transient and profound in making and in addition managing wars.

eager for force, name, treasure or territory"(ibid). Wars are hence indicted not due to religion as capably showed by Brecht in this play, yet are essentially business regularly camouflaged under the façade of religion.

Brecht's attitude towards religion is additionally not a cordial one. This can be ascribed to his Marxist belief system. It is an open mystery that Marxism as a philosophy is antagonistic to all religions. Karl Marx was accounted for to have depicted religion as opium of the masses. By this Karl Marx implies that religion is a palliative, a diversionary trick made by the decision class to redirect the consideration of the working classes from their persecution and in addition to make them more pliable to the impulses and fancies of the decision class.

Doubtlessly that religion is/ and works like some other belief system. Marxist essayists, for example, Louis Althusser, Pierre Marchery, Terry Eagleton, and Raymond Williams to specify a couple of samples, had at different focuses in their vocations depicted the ideological capacity of religion. In particular, Louis Althusser in his exposition "Belief system and Ideological State Apparatuses" puts religion on the same platform with writing and the instructive framework. He called these (counting religion) as the Ideological State Apparatuses (ISAs) and he obviously recognized them from the Repressive State Apparatuses (RSAs) as exemplified by the police, the armed force, and the jail framework. Ideology, he argues, is: " a system (possessing its logic and proper rigour) of representations(images, myths, ideas or concepts according to the case) endowed with an existence and historical role at the heart of a given society" (Barry, *Beginning Theory*, P.157)

The significant distinction between the ISAs and the RSAs lies in their usual way of doing things. While the RSAs flourishes with arm winding and roughness, the ISAs lives up to expectations unpretentiously and manipulatively. This is ordinarily accomplished through influence and molding. Religion being a piece of the collection of the ISAs is hence constantly prepared to serve the decision class. This is apropos caught in *Mother Courage* where the movers of the war -the Kings, Pope, and Generals -are fast to claim that the war is religious notwithstanding being sacred. It is critical to note that Brecht is unambiguously against the organization of religion in this play. Therefore, he ridicules religion and cartoons its illustrative image in the character of the Chaplain. Social types such as the Chaplain have been epitomized by literature by Moliere's *Tartuffe* and Chaucer's *Canterbury Tales* to name but few where the

Courage (a specialist). The fighters are enthusiastic to take from their weapons military supplies including shots which are the life line of any armed force. They will offer these things to Mother Courage who will thusly offer it to the same armed force at a benefit. It is evident that the entire framework is degenerate through and through as this cycle of defilement turns into the standard all through the play. It is informative to note that in this play debasement is not glared at, but rather will be fairly considered as a type of salvation.

Mother Courage herself is completely mindful of this when she says, "Corruption is our only hope. As long as there is corruption, there'll be merciful judges and even the innocent may get off" (37-38). Debasement is along these lines the motor place of war and business. Nonetheless, this does not at all imply that Mother Courage appreciates degenerate honours. It just implies that she is more concerned with her existential conditions under the cruel substances of the war with its outcomes of yearning, starvation, and demolition.

Dim says, "Business in Brecht's play is the expression for the corrupted state of (present) history and for the "participation" of people in it, to which one must immediately add that participation has the mark of self-defense and of elementary control of existence, not of ethical guilt." Truly one can see the cooperation of Mother Courage in the degenerate exercises that penetrate the woven artwork of this play as a sort of 'important insidiousness'- -an endeavor to get by under the yolk of an oppressive framework that looks to undermine the honest and the powerless. It is intriguing to note that examining Mother valor by comprehending the rationale of Brecht in this critical play.

This rationale is exemplified in the structure of the play. The way that he utilized his idea of the Epic Theater helped incredibly in forming the emotional structure of the play. The structure with its verbose and nonlinear account structure likewise permitted him to inconspicuously and suggestively bundle his message without sounding excessively instructional. In such manner, Brecht in Mother Courage is out to demonstrate that "It is not enough... to express the simple truism that war is hell, or that life is hard, or that people act irrationally during war time. It is not also enough... to say that people are capable of acting bravely, or heroically." Brecht is however "inspired by the more unpredictable issue of how social orders make a war story sufficiently generous to legitimize tremendous activities, how war saturates our financial and mental cravings, and how wars will never stop inasmuch as there are pioneers out there

This is a piece of the mystery of this war without honorable point or core interest. This is likewise the silliness of the entire circumstance that Brecht is attempting to venture all through the embroidered artwork of this play. In such manner Eilif's execution additionally indicates the instability of activities, deeds, and behaviors amid war time. There are no rigid guidelines in war time. Basically, standards take after the impulses of the circumstance. There are neither benchmarks nor strong sets of principles in presence. All the more vitally, it likewise alternately indicates the way that everything may be reasonable in war time as principles have either caved in or are non-existent. This is a piece of the degeneration of humankind as a result of war, be it mainstream or religious. In actuality the vast majority of the players in *Mother Courage* are mindful of the war due to its negative effect instead of its straightforwardly announced religious intention. Case in point, in an extremely telling minute the Cook concedes that despite its religious dressing, this war is similar to whatever other, "because there's fleecing, bribing, plundering, not to mention a little raping," he however, maintains that, "it's different from all other wars because it's a war of religion" (24).

From the prior, it is anything but difficult to recommend that through this unexpected tone Brecht is scrutinizing the legitimacy of all wars, whether common or religious in light of the fact that they don't yield anything.

It is likewise vital to note that notwithstanding the case of individuals, for example, the Chaplain and the Swedish administrator that the war is religious, all confirmation focuses actually. Case in point, it is extremely typical that Katrin gets her demise from the Catholic Soldiers amid the time when the entire town of Halle is currently imploring. In the event that truth be told this war is a 'Heavenly war' as the Swedish officer depicts it, why assault unarmed workers that are in a petition to God session? In actuality religion includes less *Mother Courage*. It is only a spread utilized by the forces that are to fulfill their covetousness and greed. The main impetus of the war is basically avarice as exemplified in the enthusiasm of the individuals included in it to endeavor the circumstance for their own advantage. As expressed before, this war is, in addition to other things, a business, an industrialist wander that really turns up benefit for individuals like Yvette, and misfortune for individuals like *Mother Courage*.

It is additionally a business in light of the fact that it keeps running by individuals who are resolved to subverting its standards (on the off chance that it has any) for their own advantage. Hence, in this play the officers are not at all unique in relation to individuals like Yvette (a whore) or *Mother*

outcome of a righteousness they have. The significance of this point lies in the way that Excellences are thought to be shortcoming in war time.

Due to its foolishness, war hates human temperance's and subsequently obliterates those that challenge to display them. It is noteworthy that Mother Courage is the first figure to practically comprehend the peril those individuals that parade their ideals like identifications will endure throughout the war. For instance, prior on in the play she cautions Swiss Cheese about the threat he may confront as an aftereffect of his ethicalness on the off chance that he is not careful. Mother Courage says to him, "Your feeling of obligation stresses me. I've brought you up in all honesty in light of the fact that you are not splendid. However, don't go too far!" It is foremost that Swiss cheese in the long run lost his life as an aftereffect of his genuine endeavor to rescue the money box endowed to him as a Protestant regimental paymaster. His refusal to hand over the trade confine for cold hard currency dislike of the unavoidable threat the refusal stances to his life, prompts his consequent execution. His genuineness incomprehensibly devours his life. This occurrence further fortifies the generally held conviction that in war, truth and trustworthiness are the first setbacks.

It is enlightening likewise to note that Eilif, the gutsy one additionally bites the dust in comparable circumstances as an aftereffect of his gallantry. His hamartia comes from his absence of vision and in addition his inability to recognize a courageous demonstration done in the thick of battling and the results of the same activity amid a time of provisional détente. Prior on in the play, Eilif strips a laborer family and calms them of their bovines.

He is sufficiently remunerated for this "chivalrous" deed and is even facilitated to a supper by the administrator. Empowered by this show of appreciation, Eilif feels free to rehash the same activity amid a time of makeshift truce. For this he is captured, court-martialed, and later executed by the same armed force that distinctions him for a comparative activity before. The incongruity of the entire scene lies in the way that the same activity that was viewed as courageous in one condition turns into a criminal demonstration in another throughout the same war. In this regard the Chaplain catches the mind-set existing apart from everything else by saying, "In war time they honored him for it. He sat at the commander's right hand. It was bravery" (64). However, in a quick retort, the soldier that arrests Eilif counters by saying, "Stealing cattle from a peasant, what's brave about that?"(69).

Brecht bases himself "on the Enlightenment founders of stage aesthetics, Diderot and Lessing" (Hans Urs Von Balthasar, *Theo-Drama: Theological Dramatic Theory*, P. 326). Pure amusement, provoked even by objects of tragedy, struck me like Diderot as "utterly hollow and unworthy unless it added something the spectator's knowledge." (Eric Bentley, *The Theory of Modern Stage*, P. 99). Thus the theater is philosophized; henceforth it educated." However, Brecht is of supposition that the theater ought not to be stripped of its stimulation capacity; but rather all the more significantly; it ought to amuse the group of onlookers through instruction. The point of the Brechtian Theater is eventually to stimulate men to activity in both the social and the political stadiums. Remarking further on these twin elements of the theater, Brecht contends in a 1954 exposition that theater must show all the delights of revelation, all the emotions of triumph connected with freedom. Also Brecht opines that, "It is insufficient to request knowledge and useful pictures of reality from the theater. Our theater must empower a yearning for comprehension and the experience of evolving reality." (Thomson, P., & Gardner, V. (1997).

He goes ahead to say, "Our crowd must experience not just the approaches to free Prometheus, and yet be educated in the very craving to free him" (Ibid)

This is the sign of the distance or removing procedure engendered by Brecht. That the theater ought to instruct the group of onlookers' lessons by reassuring them to separate themselves from the activity and additionally the characters is another of its points. As per this idea, the point of the theater is to make individuals think instead of to be candidly included. Brecht accepted that it is just by deduction basically that individuals may be excited to an activity that could prompt social change because "experience is a linguistic construct" (Chris Weedon, *Feminist Practice & Poststructuralist Theory*, P. 28)

This is the thing that he means to accomplish in this play that is essentially about war, religion, and business exchanges. There is little to uncertainty that Brecht detested war in every one of its repercussions. His humorous treatment of it in *Mother Courage* is a confirmation to that. His ideological leanings as a Marxist may have impacted him to state in his book of set models that he needed to show in *Mother Courage* that, "War which is a continuation of business by other means makes the human virtues fatal to their possessors" (Biggs 11-12). This is found in the play where all the three offspring of *Mother Courage* pass on in the war as an

INTRODUCTION:

The stage has from the most punctual time been utilized by men to impart their convictions, emotions, and philosophies. The adequacy of the theater in enlisting a quick effect and reaction from its target group is not easily proven wrong. Thus, the theater has been utilized for both scholarly, political, and additionally social investigation of social orders and their hones crosswise over time and space. The theater has in this admiration been utilized to question and test the past as well as the present and what's to come. In the expressions of dramatist and previous President of the Czech Republic, Vaclav Havel "Theater is the time when the scholarly and profound existence of the human group solidifies"(Mel Gussowdec, 2011) It is in respect that Brecht's Mother Courage is significant to our era so to speak to the past eras, and may yet stay of significance to future eras. There is also one fundamental point here which both theologian philosophers, Paul Tillich and Susanne Langer, raise about the relationship of religion and art. They hold that " all religious ideas and images were symbols, pointing to "being itself", and that religious truths could not be conveyed other than by symbols"(Mel Thompson, Understand Philosophy, P. 260). Brecht is trying here, as in most of his pieces, to create a narrative discourse based on Marxist Aesthetics that "unites the experience of daily life with a properly cognitive, mapping, or well-nigh scientific perspective."(Fredrick Jameson, The Political Unconscious, P.104)

The play is a narrative of the travails of the lead character Anna Fierling otherwise called Mother Courage, a subtler lady and a "trader mother"(Mennmeier, 140) as she takes after troops (with her wagon) fighting a 'religious war' more than a time of thirty years. Inside of the life compass of this war she lost all her family as a result of the war and is lessened to a pitiable figure before the end of the play. This historification of the play is crucial for Brecht's idea of Epic Theater. Its point is to make the gathering of people to realize from what had happened in the past and to take that information to change their own particular world. This idea likewise squares with Brecht's conviction that the fundamental reason for the theater is to enthrall and additionally to train. Remarking on the active capacity of the theater Brecht contends that through instruction, the Theater entered the territory of the logicians - at any rate, the kind of scholars who needed to clarify the world as well as to change it. As a dramaturge, he is out there to inform the audience that what they see on stage is a "constructed literary image" (Peter Barry, Beginning Theory, P. 156)

Religion in Mother Courage and Her Children: A Marxist Perspective

أ.م.د. صباح واجد علي^(١) Asst. Prof. Dr. Sabah Wajid Ali

الملخص

إن البحث عبارة عن دراسة لمسرحية بيرتولت برشت ألام شجاعة وأبنائها وكتقصي للأفكار الدينية كما يصورها جماليا في المسرحية. وعليه فإن الباحث يسلط الضوء على خلفية الكاتب الاشتراكية لاسيما من منهجه كماركسي. لقد أثرت قراءته الفكر الماركسي وبشكل كبير على معتقداته وايدولوجيته السياسية. يحلل البحث كذلك كيفية استثماره لفكرة التغريب الافتراضية لدراسة عجائب الحرب واقتترانه بالدين. يختتم البحث بموجز لذهنية برشت تجاه الحرب والدين وايماءاته لألف عام قادم.

Abstract

The paper is a study of Brecht's Mother Courage and her Children as an investigation of the ideas of Religion as he aesthetically depicted them in the play. In doing as such, I draw from Brecht's social foundation; particularly from the way that he was a self-admitted Marxist. His readings of the works of Karl Marx have incredibly affected his ideological and also political convictions. The paper likewise analyzes how he utilized his hypothetical idea of estrangement to study the wonder of war and its association with religion. The paper finishes up with a summation of Brecht's state of mind towards both war and religion and its suggestion to the new thousand years.

Editorial's word

Culture and university

Universities would not exist without culture, otherwise, they are only concrete structures, dunbed halls and a place for destructive knowledge. Only ignorant students will graduate in such unversities, brought out just like barrels of oil are produced, and instead of giving any benefit, they only cause harm and devastation in society. Culture is the art of living, it is the art of dealing with others, and of receiving and applying knowledge properly.

How could a unuversity professor lack culture? And thus behave like ignorants would with his colleagues? And how could a university student lack culture? Behaving just the way illiterate people would with his peers? And what is the use of having a university with all its gardens, labs and classes when it is without a cultured human being?

Are universities to be a place for irresponsible and childish conduct? Is the task of universities to teach medicin, engineering, physics or math only? In the contrary, its task is to teach students to be human before they become doctors, engineers, physicists or mathmaticians.

Our universities' task is a major one, that is to teach students the culture of living. Teach them how to live and respect others and to treat them with dignity. Teach them their duties even before their rights. Culture is a means of exalting and relating one with God and other humans. God has sent prophets to exalt and teach at the same time.

"It is He Who has sent amongst the Unlettered a messenger from among themselves, to rehearse to them His Signs, to sanctify them, and to instruct them in Scripture and Wisdom,- although they had been, before, in manifest error"

Hotel experiences in quality control: Ritz Carlton's example.....540

Asst.Inst. Haider A. Z. Khuder AL-Sultani
Asst.Inst.Najim A. Abbas AL-Da'ami

**Confliſt of jurisdiction between the Watchdogs about administration in
Iraq:A comparative study..... 551**

Hadi H. Abd

**The Arab poet Abd AL-Muhssin AL-Kadhmi and his patriotic, Political
stances.....572**

Asst.Inst. Abbas J. Kadhim

Typographical elements in Iraqi newspapers (descriptive Study).....585

Dr.Jassim Z. H. AL-Saadi

Human capacity in the school of Ahl al-Bayt	203
Dr. Mohammed Idan Mohammed	
Means of developing the legal texts	215
Dr. Jamal A.k. Al-Haj Yassin Inst. Ali Sh. H. AL-Shimmery	
The cultural aspects of the previous People in the glorious Quran	235
Razzak Mahdi Hamadi AL-Saadi	
Peak of Eloquence in the Poetry of Al- Sharif Alradi died (406).....	262
Dr. Hashim Jafar AL-Haidary	
Education in Iraq during the period (1534-1933)	283
Dr. Salem Hashim Abbas Abo-Dalh	
Statement and predication in Sura 'Al Tur':Analytic Study	323
Dr. ALI ABBAS SALMAN	
The Eygptian foreign policy on Iraq after the American occupation	339
Dr. Arshad Muzahim Mijbel	
The obstacles facing elementary school teachers in Iraq as they practice their job from their viewpoint (field study).....	355
Dr. Dhya'a S. M. AL-Attar	
Negotiations and its role in technological development contracts Search settlement made	382
Dr. Ghassan Obeid Mamouri	
Issue The group killed the One Doctrinal evidentiary comparative study	415
Dr. Hamid Jassim Ghorabi	
The Status of executive Power in the parliamentary regime: comparative study.....	440
Asst.Prof. Maitham H. AL-Shafei	
Psychological alienation among teachers in schools caravans and their peers in regular schools the holy city of Karbala	501
Dr. Emad Abod Hani Al-Thalmy Asst.Inst. Ihsan Khudair Kadhim Al-Talkany	
Tourism in Islam	525
Asst.Inst. Adnan Mohamed Dabagh Al-Hasnavi	

Contents

Editorial	6
Religion in Mother Courage and Her Children: A Marxist Perspective	7
Asst. Prof. Dr. Sabah Wajid Ali	

Contents of Arabic Researches

Guarantee: Obtaining property or no	11
Dr.Ali Shakir Al-Badry	
The methods of propaganda to organize Daash in web	39
Dr. Israa Shakir Hasan	
Administrative Corruption and the role of constitutional institution in its fighting	81
Dr.Samir Muayed Abdul-latif Asst.Inst. Hayder Sami Gharib	
The role of the digital social media in forming the public opinion of the students of Kerbala University.....	105
Dr. Nusaif Jassim	
The general provisions of endowment	126
Inst. Hasan Khalid Debis Inst. Shaheed Abdul-Zahra	
The lost Islamic sources mentioned in the book "Inception and History" by Muttaher bn Taher AL-Maqdisi.....	143
Dr. Khudder P. Ebbadi Prof. Hadi A. Zadeh	
The possible application of the strategy of Industrial Clusters	162
MussawiAsst.Inst. Ihab A. Al- Prof. Kadhim A. AL-Batat Prof. Rahim K. AL-Sharaa	
Picture of story place in Suhail Idris Novel Tripl The case of Paris image in "Al Hay Allatini "novel.....	183
Dr.Abdullah Hosseini an Nazemian Dr.Hoom	

Consultant staff

Prof. Dr.
Hassan Al Chalabi

Prof. Dr.
Abboud Joudi Al Helli

Prof. Dr.
Zakaria Modlag Al Rawi

Prof.Dr.
Moaiiad Abd Al Hussain
Khalal Al Fadhl

Prof.Dr.
Entedhar Al Shemmari

Prof. Dr.
Ghazi Faisal Mahdi

Prof.Dr.
Kawe Mohammad Faraj

Prof. Dr.
Hekmat Abd Al Razaq Al
Dabagh

Prof. Dr.
Akram Mohsen Al Yaseri

Prof. Dr.
Abd Al Jabbar Mahmood

Prof. Dr.
Sadeq Yasin Al Helou

Prof. Dr.
Ahmad Khalil Al Hussein

Prof. Dr.
Alae Farhan Al Daemi

In The Name Of Allah Most Gracious, Most Merciful

ISSN 1819-2033

issue: 22

Ahlulbait

Refereed Journal (Quarterly)
Issued By Ahlulbait University

Chief Editor

Prof.Dr. Lobnan Hatef Al Shami

Editorial Secretary

Dr. Baqer Jawad Al-Zajajy

Editors

Prof. Dr.Abbas Hussein Al-Hmeiry

Prof. Dr. Aziz Jabor Shaial

Prof. Dr. Majed Hamze Tome Al Dafaai

Asst. Prof. Dr. Hassan Hantoush Rashid

Asst. Prof. Dr. Adel Khalil Mahdi

Asst. Prof. Dr. Hamid Abd Al Jawad Al Najdi

Karbala, Al-Hurr street, P.O.Box: 486
info@abu.edu.iq, www.abu.edu.iq
